المماليك

كثيرًا ما يرد ذكر المماليك في الكلام على مصر واحكامها واحوالها لانهم تولوا حكومتها قرونًا وتركوا فيها آثارًا باقية حتى مال الناس الى معرفة اصلهم وكيفية تبوئهم الاحكام وما اتوهُ من الاعمال فرأينا ان نفرد للكلام فيهم مقالة مختصرة نبين فيها اصل نشأتهم وملخص تاريخ دولتهم وما آل اليهِ امرهم الى ان قضى الله بانقراضهم على يد المغفور لهُ محمد علي باشا . وينقسم المماليك باعتبار انواع حكوماتهم الى قسمين (١) السلاطين وهم الذين استقلوا باحكام المملكة المصرية (٢) الامراء وهم الذين تولوا حكومتها بعد الفتح العثماني تحت سلطة الباب العالي ونتكلم عن كل منها على حدة فنقول

(أولًا) السلاطين المماليك . يتصل اصل المماليك ببلاد تركستان وهي بلاد شاسعة الاطراف في شمالي اسيا تمتد من نهر جيحون غربًا الى حدود الصين شرقًا ويحدها من الشمال الاوقيانوس المتجمد الشمالي ويسكن هذه البلاد شعوب التركمان والمغول والتتر والجركس ويتصف اهلها بقوة البنية وجمال الخلقة وقد كانت هذه البلاد قبل ظهور الاسلام في حالة الهمجية والبداوة يدينون باديان مختلفة ترجع كلها الى الوثنية

فلما ظهر الاسلام وافتتحوا الامصار اوغل قوادهم شمالًا بعد افتتاح العراق وفارس وارمينيا حتى ادركوا اولئك الاقوام فقامت الحروب بينهم وبين المسلمين سجالًا وكان العرب يرسلون من يقع في حوزتهم من اسرى تلك البلاد الى دار الخلافة بمثابة الجزية لاستعمالهم في منازل الخلفاء وكبار الامراء ويدعونهم بالمماليك وكان ظهور ذلك اولًا في عهد الدولة العباسية . فكان الخلفاء العباسيون اذا جاءهم سرب من هؤلاء الاسرى انتقوا منهم احسنهم خلقة واقوام بنية واستخدموهم في دورهم ثم صاروا يتفاخرون بالاكثار منهم

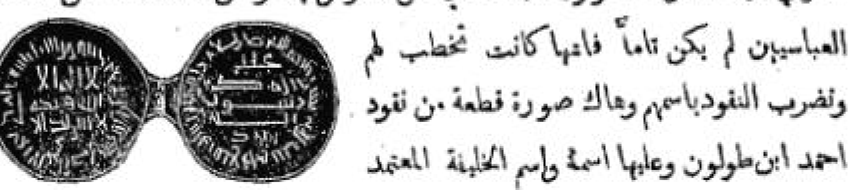
وكان المماليك في بادئ امرهم في ظلمات من الجهل وعلى ابعاد من الفضيلة لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولكنهم بمخالطتهم الامراء ورجال الدولة واعتناقهم الديانة الاسلامية تهذبت عقولهم واستنارت اذهانهم فاحبهم الخلفاء وقربوهم منهم حتى استخدموهم في بلاطهم ثم بالغوا في ترقيتهم وعهدوا اليهم بعض اعمال الدولة فبرعوا في السياسة وتدبير الاحكام وادارة الاعمال وهم كما تقدم من نخبة الرجال قوة وعقلًا وجمالًا

فلما كثر تمرد عمال الامصار من العرب صار الخلفاء يعهدون الى هؤلاء المماليك

ولاية الامصار وقيادة الجند وشأنهم في ذلك شأن الفراعنة مع جالية اليونان فان المصريين في عهد الفراعنة كانوا يحتقرون كل امة غير امتهم ويبالغون في النفور من الغرباء فلم يكن لليونان يد في مصر · فلما تولى بسامتيك الاول من العائلة السادسة والعشرين ومن جاء بعده اباحوا لهم الاتجار بمصر واكرموا وفادتهم فطاب لهم المقام وكثر ترددهم ثم صار الفراعنة يتخذون منهم جنوداً وقواداً حتى عظم شأنهم ومدوا ايديهم الى الاحكام وكان ذلك فاتحة استيلائهم على مصر الدبار

وهكذا كان شأن المماليك في الاسلام فان المعتصم العباسي بالغ في اقتناء المماليك واكثر من ابتياعهم تعزيزاً لحاشيته حتى تجاوز عددهم المئات وامر بتدريبهم على حمل السلاح والحقهم بالجند ليختار منهم من يشاء ليدخلهم في بطانته فكبرت نفوسهم وجعلوا يعيثون فيمن حولهم

وكان في بطانة المعتصم مملوك يقال له طولون وكان ممتازاً بالقوة والذكاء فرقاه حتى صار رئيساً لبطانته وبالغ في تعزيز كلمته حتى اتفق لابنه احمد بن طولون بعد ذلك ان يتولى مصر وكانت ولاية من ولايات العباسيين وما لبث احمد ان استقل باعمال مصر الادارية وصارت ارثاً لبنيه من بعده وهي الدولة الطولونية حكمت مصر زهاء ٣٥ سنة بالعدل والاستقامة وهي اول دولة من دول المماليك ولكنها تعرف بالدولة الطولونية ومن آثارها الباقية الى الآن جامع ابن طولون في الصليبة بمصر وبلغت مصر في عهد الدولة الطولونية مبلغاً عظيماً من العز والمجد ولكن استقلالها عن الخلفاء العباسيين لم يكن تاماً فانها كانت تخطب لهم وتضرب النقود باسمهم وهاك صورة قطعة من نقود احمد ابن طولون وعليها اسمه واسم الخليفة المعتمد



ثم عادت مصر الى كنف الدولة العباسية وتولاها اثناء ذلك دولة عرفت بالاخشيدية تحت رعاية العباسيين الى ان افتتحها الفاطميون سنة ٣٥٩ هـ وبنوا مدينة القاهرة ثم تولاها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٧ هـ ومن جاء بعده من السلاطين الايوبيين الى سنة ٦٤٨ هـ وكانت هاتان الدولتان تكثران من استخدام المماليك في الجند وادارة الاحكام حتى عظم امرهم في عهد آخر السلاطين الايوبيين ونشأ منهم دولة السلاطين المماليك وهم الذين بقيت منهم بقية الى ما بعد الفتح العثماني عرفت بالامراء المماليك كما سترى

واصل هؤلاء المماليك من بلاد قفجاق من شمالي اسيا وكانت من مستعمرات الاسلام يقيمون عليها ولاة من امراء السلاف حكام روسيا اما سبب استجلابهم واستخدامهم في دور السلاطين والخلفاء فلم يكن مثل السبب الاول تماماً وتفصيل ذلك انهُ لما قام جنكزخان المغولي ومن جاء بعده من اولاده وغزوا بلاد القوقاس وجهات قسبين هاجر اهل تلك البلاد فراراً من وجوههم وتشتتت قبائلهم نزل الخوارزميون في اعالي اسيا وما بين النهرين وحطوا رحالهم هناك اما من بقي منهم فلم يجدوا لهم مفراً فهاموا على وجوههم يطوفون البلاد باولادهم ونسائهم لا يستقرون على حال. وكانت تجارة الرقيق في ابانها فاغتنم تجارها الفرصة وجعلوا ينتقون من ابناء اولئك المساكين اجملهم صورة واقواهم بنية واذكاهم عقلاً ويبيعونهم بيع السلع فاكثر امراء مصر وسوريا وملوكها من اقتناء اولئك المماليك

وكان الملك الصالح سابع السلاطين الايوبيين قد ابتاع من اولئك الارقاء نحو الالف وجعل منهم امراء دولتهِ وخاصة بطانتهِ والمحيطين بدهليزه ودعاهم بالحلقة اشارة الى انهُ لا يبرح محاطاً بهم كيفما توجه وجعل مماليكهُ صنوفاً يميز كل منها بعلامات خصوصية يجعلونها على ثيابهم او امتعتهم فكانت علامة بعضهم الورد وعلامة البعض الآخر اشكال الطيور وكانت لهم ملابس خاصة بهم فيتمنطقون بمناطق مزركشة بالوان مختلفة حتى تألف منهم جند كبير وما لوا الى تسلق السلطنة والاستقلال بالحكم وكانت امنع الحصون في قبضتهم على انها ما لبثت ان ضاقت ذرعاً عن الاحاطة بهم فابتنى لهم الملك الصالح قصوراً عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة قرب القاهرة حيث يتفرع النيل الى فرعين وكان يدعى عند تفرعهِ بالبحر لعظم اتساعهِ فسمي هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية وهذا سبب تسمية دولتهم بعد ذلك بدولة المماليك البحرية

وما زالت سطوة المماليك البحرية تعظم يوماً فيوماً حتى تمكنوا من خلع الملك المعظم آخر السلاطين الايوبيين والاستقلال بحكومة مصر سنة ٦٤٨ هـ فانشأُوا دولة عرفت بدولة المماليك البحرية ولقبوا بالسلاطين وعددهم ٢٨ سلطاناً اعظمهم السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري تولى من سنة ٦٥٨ هـ الى ٦٧٦ هـ وكان ملكاً جليلاً كثير المصادرات لرعيتهِ ودولتهِ فارساً مقداماً واتسعت مملكة مصر في ايامهِ حتى شملت جميع بلاد سوريا وحلب وما وراءها وقد عمل اعمالاً عظيمة وبنى كثيراً من القلاع

والحصون والجوامع ومن اعماله المذكورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في اوقاف الخليل وعمّر قناطر شبرامنت بالجيزة وسوّر الاسكندرية ومنار رشيد وردم فم بحر دمياط وعمر طريقة وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلع الصبيبة وبعلبك والصلت وصرخد وعجلون وبصرى وشيرز وحمص وعمّر المدرسة بين القصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وقد جعله الفرنساويون عند مجيئهم الى مصر قلعة وهو البناء القديم في سكة الظاهر جعلته الحكومة مخازن للاقوات . وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وبنى هناك قرية سماها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناح وجدّد الجامع الازهر بالقاهرة واعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بمصر وبنى القصر الابلق في دمشق . ومن آثاره في القاهرة ايضاً قناطر السباع وهي عبارة عن سلسلة من قناطر ممتدة عرضاً من جوار فم الخليج الى قلعة الجبل ولا بد للمتوجه من القاهرة الى مصر القديمة من ان يقطعها هذا اذا لم يمر عند فم الخليج فانه اذ ذاك يمر بمنشأها . وهي تنتهي من طرفها الغربي بالسبع سقايات بجانب فم الخليج . والسبع سقايات بناء قديم فيه سبع دواليب (سواقي) لرفع الماء من النيل وتحويله الى قناة على ظهر هذه القناطر ليجري الماء فيها الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعاً من الحجارة ولذلك قيل لها قناطر السباع والقناطر المذكورة بعضها مهدوم وبعضها باقٍ وفي الحالين لا فائدة منها لانها لا تستخدم لشيء . وكان محباً لركوب الخيل الجياد ورمي النبال فأنشأ ميداناً دعاه ميدان القبق ويقال له ايضاً الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق وكان شاغلاً بقعة من الارض تمتد بين الثغرة التي ينزل اليها من قلعة الجبل وبين قبة النصر التي هي تحت الجبل الاحمر وبنى فيه مصطبة سنة ٦٦٦ هجرية للاحتفال برمي النشاب والتمرين على الحركات العسكرية وكان يحث الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك فكان ينزل كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء وهو يرمي ويحرض الناس على الرمي والنضال والرهان فما بقي امير ولا مملوك الا وهذا شغله وما برح من بعده اولاده ومن بعدهم يمارسون هذا الميدان بجميع انواع الالعاب الحربية . وكان يقوم بنفقات جميع هذه الاعمال بدون ان يسلب الاهالي درهماً واحداً فوق ما اعتادوا دفعه من الضرائب لان الغنائم التي كان يكسبها من اعدائه كانت تساعده كثيراً في النفقات

هذه هي اعمال الملك الظاهر بيبرس قد تركت له اثرًا يبقى ذكره دهورًا طوالاً

وترى في الشكل امامك صور نقود الملك الظاهر بيبرس على ثلاثة اشكال وعليها كلها صورة الاسد

ومن كبار السلاطين المماليك البحرية الملك المنصور قلاوون حكم من سنة ٦٧٨ الى ٦٨٩ ﻫ ومن آثاره جامع قلاوون بالنحاسين وهاك نقوده



ومنهم السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون البكر حكم من سنة ٦٨٩ الى سنة ٦٩٣ ﻫ ومن آثاره خان الخليلي بالقاهرة وكان في مكانهِ مدافن الخلفاء الفاطميين · ومنهم الملك الناصر بن قلاوون توالت سلطنته ثلاث مرات حكم اثناءها زهاء ٤٢ سنة وانتهى حكمه سنة ٧٤١ ﻫ ومن آثاره الخليج المدعو باسمه (الخليج الناصري) سنة ٧٢٣ ﻫ · وقد انشأ سنة ٧٢٨ ﻫ سبعة جسور وفي السنة الثانية انشأ مرصدًا في الميدان وشاد قصرًا على انقاض قصر الاشرف فانتهى منه في سنة ٧٣٤ ﻫ واقام جسور شبين سنة ٧٣٥ ﻫ · وابتنى عدا عن الجامع الناصري المتقدم ذكرهُ جامعًا آخر بجانب جامع ابيهِ في شارع النحاسين يشاهد فيهِ عند الدخول اليهِ اعمدة ملتفة يقال ان الملك الاشرف بن قلاوون جاء بها من عكا تذكارًا للظفر وهناك كتابة يقول فيها ان الذي بنى ذلك المشهد هو السلطان محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٩٨ ﻫ والمقريزي يقول ان بناءه تم سنة ٧٠٣ ﻫ وان الملك العادل كتبوغا هو الذي وضع اساسه ايام السلطنة · وشاد الناصر دارًا كبيرة دعاها دار العدل وانشأ عيونًا كثيرة ومدارس عالية متعددة واتم بناء البيمارستان الذي شرع ابوهُ في بنائهِ وزاد فيهِ كثيرًا وخصص مالاً معلومًا للنفقة عليهِ

ومن اعمالهِ الحميدة انهُ ابطل جميع الضرائب الظالمة التي كانت تؤخذ على كل ما يباع ويشترى من حيوان ونبات وعقار فاحبتهُ الرعية واجمعوا على طاعتهِ. فاستتبت الراحة وعمر الصعيد على نوع خاص

وحكم بعد الناصر اولاده وهم ثمانية الآن حكمهم جميعاً لم يتجاوز ١١ سنة ومنهم السلطان حسن بن الناصر توفي سنة ٧٦٢ هـ واليهِ ينسب جامع السلطان حسن قرب القلعة بالقاهرة وهو من اجمل الجوامع واعظمها يقال انهُ اشتغل في بنائهِ ثلاث سنوات وكان ينفق عليهِ كل يوم ما يساوي ستمئة جنيه

وكان السلاطين البحرية يستخدمون في جندهم وحكومتهم فئة اخرى من المماليك يقال لهم المماليك الشراكسة نسبة الى منشاهم وهم من الشعب الشركسي او الجركسي واصلهم من بلاد سيبريا ونواحي بحيرة بيكال وهاجروا في اوائل الهجرة الى غربي بحر قسبين واستوطنوا هناك ودعيت بلادهم هذه بلاد الجركس وكانوا يُحملون من بلادهم للاتجار بهم في جهات العالم فاقتنى منهم المماليك البحرية عدداً وافراً كانوا يستخدمونهم في مصالح الدولة فارتقوا فيها حتى صارت اليهم حماية الحصون والقلاع فجعلوا سكناهم في الابراج فلقبوا بالمماليك البرجية وما زالوا يزدادون قوة ومنعة حتى تاقت نفوسهم الى السلطة وتمكنوا من ذلك فخلعوا آخر السلاطين حاجي بن شعبان وتولوا مكانهُ سنة ٧٨٤ هـ

اولهم واعظمهم الملك الظاهر برقوق حكم ١٧ سنة وكان سلطاناً عادلاً كثير التصدق محباً للعلماء فابتنى المدارس والجوامع والتكيات ولا يزال جامع برقوق معروفاً بالقاهرة في شارع النحاسين وكان لهُ ولع خاص في اقتناء الاسلحة والخيول ونظم مصالح حكومتهِ مراتب ودرجات جعل رؤساءها تسعة وهم

(١) اتابك العساكر

(٢) رأس نوبة الامراء

(٣) امير السلاح

(٤) امير المجلس

(٥) امير الباخور

(٦) دوادار

(٧) راس النوبة الثاني

(٨) حاجب الحجاب

(٩) النائب

وكانت مقاليد الحل والربط بيد هؤلاء التسعة فاذا اجمعوا على امر انفذوهُ ولا مردّ لقضائهم

وتولى بعده ابنهُ فرج بن برقوق ثم توالى الحكم بين خلفائهِ من المماليك الشراكسة الى سنة ٩٢٢ هـ فدخلت مصر في حوزة السلاطين العثمانيين على يد السلطان سليم خان

وعدد سلاطين المماليك الشراكسة ٢٤ سلطاناً . وفي جملتهم السلطان الاشرف قايتباي (من سنة ٨٧٢ الى ٩٠١) ومقامهُ مشهور خارج القاهرة . والسلطان قنصو الغوري (من سنة ٩٠٦ الى ٩٢٢ هـ) وقد حارب السلطان سليماً في مرج دابق قرب حلب وقتل هناك ومن آثاره جامع الغورية قرب السكة الجديدة . وآخرهم السلطان الاشرف طومان باي وفي ايامهِ جاء السلطان سليم الفاتح العثماني وافتتح الديار المصرية عنوة بعد حرب فاصبحت ولاية عثمانية ولا تزال الى الآن

وكان السلاطين المماليك يعترفون بسلطة الخلفاء العباسيين الدينية ويسمونهم بالائمة وكان مقرّ الخلفاء العباسيين بغداد منذ انشأوها الى سنة ٦٦٠ هـ حينما افتتحها التتر ففرّ منها ابن الخليفة الظاهر بامر الله وجاء مصر على عهد الملك الظاهر بيبرس فاكرم بيبرس وفادته وانزلهُ على الرحب والسعة ولقبهُ بالمستنصر بالله واصبحت القاهرة من ذلك الحين مقرّ الخلفاء العباسيين وما زالوا فيها حتى اخرجهم السلطان سليم خان

وسنتكلم عن امراء المماليك في الهلال القادم ان شاء الله تعالى

سيأتي البقية



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

«النهضة العربية في عصر العباسيين»

(تابع لما قبله)

(٩) النحو

اللغة العربية ارقى اللغات بيانًا وادقها تعبيرًا وكانت قبل الاسلام محصورة في شبه جزيرة العرب وكانت لغات متعددة تختلف باختلاف القبائل والبطون والافخاذ وقد تقدم لنا كلام مسهب بشأن اصلها وارتقائها في اول كلامنا عن تاريخ آداب اللغة وكان كلامهم معربًا بالفطرة بغير تكلف او تعلم ولكنهم كانوا يميزون لغات بعض القبائل عن بعضها من حيث البلاغة وحسن البيان وقد اجمعوا على ان الذين يوثق بعربيتهم من قبائل العرب العرباء سبع قبائل وهي قريش وهذيل وهوازن وكنانة وبني تميم وقيس وغيلان واليمن

على انهم كثيرًا ما طعنوا بعربية بعض هذه القبائل ولكن المقرر انهم كانوا يقسمون اللغة الى لغتين هما لغة قريش ولغة حمير والاولى لغة مكة وما جاورها والثانية لغة اليمن

فلما جاء الاسلام وكان القرآن الشريف بلغة قريش غلبت هذه اللغة على لغة حمير وبقيت متداولة وعليها الاعتماد

واما علوم اللغة فلم يكن لها اثر في الجاهلية ولكنها حدثت في الاسلام بحدوث الحضارة والعمران واختلاط العرب بالاعاجم من الفرس واليونان والقبط وغيرهم فدخل الفساد في لسانهم فخافوا التحريف والالتباس من تغيير احوال القراآت بتغيير الحركات

فوضعوا علم النحو وهو اوّل علم وضعوه من علوم اللغة وضعه ابو الاسود الدؤلي (توفي سنة ٧٦ هـ) بايعاز الامام علي بن ابي طالب وسبب ذلك ان الامام علياً سمع اعرابياً يقرأ « لا يأكله الاّ الخاطئين » فأسف لهذا اللحن فاوعز الى ابي الاسود الدؤلي ان يضع علم النحو. وما رواهُ ابو الاسود عن نفسهِ قال « دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهِ السلام فوجدتُ في يدهِ ورقة فقلت ما هذه يا امير المؤمنين فقال اني تأملت كلام العرب فوجدتهُ قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني الاعاجم) فاردت ان اضع شيئاً يرجعون اليهِ ويعتمدون عليهِ ثم القى اليَّ الرقعة وفيها مكتوب (الكلام كلهُ اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أُنبئ بهِ والحرف ما افاد معنى) وقال لي انحُ هذا النحو واضف اليهِ ما وقع اليك واعلم يا ابا الاسود ان الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس يا ابا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر واراد بذلك الاسم المبهم »

قال « ثم وضعتُ بابَي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام الى ان وصلت الى باب إنَّ واخواتها ما خلا لكنَّ فلما عرضتها على عليٍّ عليهِ السلام امرني بضمّ لكنَّ اليها وكنت كلما وضعتُ باباً من ابواب النحو عرضتهُ عليهِ الى ان حصلت ما فيهِ الكفاية فقال لي ما احسن هذا النحو الذي نحوت فلذلك سمي النحو »

ويروون عن سبب وضع النحو روايات اخرى تخالف هذه من بعض الوجوه الاّ انَّ الاجماع على ان ابا الاسود وضعهُ بايعاز الامام علي ضبطاً للقراآت. وتتميماً لهذه الغاية ايضاً وضع الحركات ويقال في سبب وضعها ان ابا الاسود سمع رجلاً يقرأ في سورة التوبة « انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولهِ » بالجرّ فاستعظم ابو الاسود ذلك وقال عزَّ وجه الله تعالى ان يبرأ من رسولهِ وكان زياد بن ابيهِ قد سأَلهُ وضع شيءٍ يقيمون بهِ كلامهم فأبى عليهِ فلما سمع ذلك اللحن سار الى زياد فقال يا هذا قد اجبتك الى ما سألت ورأيت ان ابدأ باعراب القرآن فابعث اليَّ ثلاثين رجلاً فاحضرهم زياد فاختار منهم ابو الاسود عشرةً ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال لهُ خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فاذا فتحتُ شفتيَّ فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفلهِ فاذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنةً فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى اتى

على آخره ثم وضع المختصر المنسوب اليهِ بعد ذلك

وأخذ النحو عن ابي الاسود عنبسة بن معدان وعن عنبسة اخذ ميمون الاقرن وعن ميمون اخذ عيسى بن عمر الثقفي البصري والف الثقفي في النحو كتباً كثيرة منها الجامع الذي ينسب الى سيبويه لانهُ بسطهُ وأضاف اليهِ (توفي سنة ١٤٩ هـ) وعنهُ اخذ الخليل بن احمد واضع علم العروض وعن الخليل اخذ سيبويه النحوي الشهير امام البصريين وهو فارسي الاصل وعاصرهُ علي بن حمزة الكسائي امام الكوفيين وجرى بين هذين الامامين جدال طويل في بعض قضايا النحو وتشيع لسيبويه اهل البصرة وللكسائي اهل الكوفة ونشأ بسبب ذلك الخلاف في مذاهب النحو بين البصريين والكوفيين ومنشأ ذلك الخلاف مسألة لم يتفقا عليها وهي قول العرب « كنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي » وهو من امثالهم فاجاز الكسائي « فاذا هو اياها » وانكرهُ سيبويه وكان ذلك في مجلس يحيى بن خالد البرمكي فتشاجرا طويلاً ثم اتفقا على مراجعة العرب وكان الكسائي معلماً لاولاد الرشيد فتعصبوا لهُ ولكنهم استدعوا اعرابياً بدوياً وسالوه كيف تنطق العرب بهذا المثل فقال كما قال سيبويه فغضب الامين وقال لهُ انما نريد كما قال الكسائي فقال ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الاّ الى الصواب فقرروا معهُ ان شخصاً يقول قال سيبويه كذا وقال الكسائي كذا فالصواب مع من منهما فيقول العربي مع الكسائي فقال هذا يمكن ثم عقد لهم المجلس واجتمع أئمة هذا الشان وحضر العربي وقيل لهُ ذلك فقال الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليهِ وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسهِ لما جرى عليهِ وقصد بلاد فارس وأقام بها الى ان مات . ومن ثم انقسم أئمة النحو الى فرقتين ذهبت كل منهما مذهباً ويقال انهُ حيثما وجد خلاف بين المذهبين فمذهب البصريين أصح من جهة اللفظ ومذهب الكوفيين اصح من جهة المعنى

ونبغ من كل من اصحاب المذهبين بعد ذلك جماعة طبق ذكرهم الآفاق فمن أئمة البصريين

(١) الاخفش الاوسط وهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة توفي سنة ٢١٥ هـ وسمي بالاوسط تمييزاً لهُ عن الاخفش الاكبر ابي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد وعنهُ اخذ سيبويه وابو عبيدة والاخفش الاصغر ابي الحسن علي بن سليمان المتوفي سنه ٣١٦ هـ

وقد الف الاخفش الاوسط في النحو كتاب الاوسط وكتاب المقياس وكتاب الاشتقاق وقد اخترع في العروض بحر الخبب والف في العروض والقوافي وله كتاب الملوك وكتاب الاصوات وكتاب المسائل الكبير والصغير وكتاب معاني الشعر وكتاب تفسير معاني القرآن وقد اخذ النحو عن سيبويه

(٢) المبرد تلميذ الكسائي واسمه محمد بن يزيد بن عبد الاكبر ومن مؤلفاته ما اختلف لفظه واتفق معناه وطبقات النحويين والبصريين وله مؤلفات اخرى في الآداب منها كتاب الكامل والروضة والمقتضب توفي سنة ٢٨٥ ﻫ

(٣) محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان اخذ عن المبرد المذكور توفي سنه ٢٩٩

(٤) ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج توفي سنة ٣١١ ﻫ وقد اخذ عن المبرد ايضاً . ومن مؤلفاته في النحو كتاب مختصر وكتاب فعلت وافعلت وكتاب سر النحو ويوجد منه جزء خطي في ما ينصرف وما لا ينصرف بالمكتبة الخديوية . والف في غير النحو كتاب الامالي وكتاب ما فسر من جامع المنطق وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب خلق الفرس وكتاب شرح ابيات سيبويه وكتاب النوادر وكتاب الانواء وغير ذلك

(٥) السيرافي وهو القاضي ابو سعيد حسن بن عبد الله المرزباني شرح كتاب سيبويه ويوجد منه نسخ خطية في الكتبخانة الخديوية . والف كتاب الاقناع في النحو وصناعة الشعر والبلاغة وكتاب اخبار النحاة البصريين وغير ذلك توفي سنة ٣٦٨ ﻫ

(٦) ابو علي الفارسي وهو حسن بن احمد بن الغفار توفي سنة ٣٧٧ ﻫ ومن مؤلفاته في النحو كتاب الايضاح وتكملته ويوجد له شروح خطية بالكتبخانة الخديوية وكتاب المقصور والممدود

(٧) ابو حسن الرماني وهو علي بن عيسى توفي سنة ٣٨٤ ﻫ اخذ عن الزجاج ومن مؤلفاته الحدود الاكبر وشرح الاصول وشرح كتاب سيبويه وشرح الوجيز وشرح مختصر الحريري وشرح الالف واللام للمازني وشرح المقتضب وشرح معاني الحروف

(٨) محمد بن حسين بن عبد الوارث الفارسي توفي سنة ٤٢٠ ﻫ تلقن من ابي علي الفارسي وتوطن في جرجان وكان اماماً في النحو

(٩) الجرجاني . وهو عبد القادر بن عبد الرحمن واضع المعاني والبيان توفي في سنة ٤٧١ هـ ومن مؤلفاته كتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وشرح الايضاح ومقتصد اعجاز القرآن والعوامل وعمدة في التصريف

واما الكوفيون فأشهرهم الفراء وهو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان كثير التحامل على سيبويه شديد التشيع للكسائي وقد اخذ النحو عنه ومن مؤلفاته كتاب الحدود وكتاب معاني القرآن وكتابان في الشكل وكتاب البها وكتاب اللغات وكتاب المصادر في القرآن وكتاب الجمع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وكتاب المفاخر وكتاب آلة الكتاب وكتاب الواو وكتاب النوادر وكتاب المقصور والممدود

ومنهم احمد بن يحيى بن زياد بن سيار ابو العباس ثعلب توفي سنة ٢٩١ هـ وكان اماماً للكوفيين ومن مؤلفاته كتاب معاني القرآن وكتاب معاني الشعر والقراءة والتصغير والوقف والابتداء والامالي وغريب القرآن والفصيح واختلاف النحويين

وقد نبغ من النحاة عدد كبير يضيق هذا المختصر عن ذكر تراجمهم وانما نذكر اشهرهم فيما يلي وهم

	سنة الوفاة هجرية
الحريري صاحب المقامات	٥١٦
ابو القاسم الزمخشري	٥٣٨
كمال الدين الانباري	٥٧٧
ابو محمد المقدسي المصري	٥٨٢
ابو الفتح المطرزي	٦١٠
ابو البقاء العكبري	٦١٦
ابو عبد الله بن البرذعي	٦٤٦
جمال الدين بن الحاجب صاحب الكافية	٦٤٦
جمال الدين بن مالك صاحب الفية ابن مالك	٦٧٢
الفاضل الاسفرائيني	٦٨٤
محمد بن سمحان	٦٨٥
رضي الدين الاستراباذي	٦٨٦

		سنة الوفاة هجرية
ابو الخطاب المري	بعد	٧٠٠
ابن آجروم صاحب الآجرومية		٧٢٣
نجم الدين القمولي		٧٢٧
اثير الدين ابو حيان النفزي الاندلسي		٧٤٥
جمال الدين الانصاري صاحب مغني اللبيب		٧٦١
بهاء الدين بن عقيل صاحب شرح ابن عقيل		٧٦٩
سعد الدين التفتازاني		٧٩٣
حسام الدين الجراني		٧٩٥
ابو زيد المكودي		٨٠١
ابو يحيى زكريا الانصاري		٨٢٥
بدر الدين بن الدماميني		٨٢٧
شمس الدين البرماوي		٨٣١
ابو القاسم النويري		٨٥٧
عبد الرحمن الجامي		٨٩٨
ابو بكر الازهري الجرجاوي		٩٠٥
جلال الدين السيوطي		٩١١
جمال الدين الفاكهي		٩٧٣

وممن الف في النحو في هذا القرن واجاد العلامة الشيخ ناصيف اليازجي واحسن ما كتب فيه ارجوزة جوف الفرا وقد شرحها شرحاً سماه «نار القرى في شرح جوف الفرا» مطبوعة غير مرة ويعوّل عليها في مدارس سوريا والف في هذا الفن غيره ايضاً وسناتي على ذكر ذلك في كلامنا على النهضة العربية الاخيرة

ومن الكتب المعوّل عليها في التدريس بفن النحو الاجرومية سميت كذلك نسبة الى مؤلفها ابن اجروم وهو ابو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المولود سنة ٦٨٣ والمتوفي سنة ٧٢٣ * شروحها وعددها ٢٣ شرحاً والفية ابن مالك وشروحها ومن اشهر هذه الشروح حاشية الصبان وهو العلامة الشيخ محمد بن علي ابي العرفان

المتوفي سنة ١٢٠٦ ﻫ على شرح الاشموني على الالفية . وشرح ابن عقيل وارجوزة جوف الفرا وشرحها وكافية ابن الحاجب وشروحها ومغني اللبيب وشروحه والازهرية وشروحها وغير ذلك

(١٠) الصرف

جرت عادة ائمة اللغة ان يقدموا الصرف على النحو في الكلام لانه يبحث عن احوال ابنية الالفاظ والنحو يبحث عن نسبة تلك الالفاظ بعضها الى بعض في الجملة ولكننا قد نظرنا في ما كتبناه هنا الى زمن وضع كل منهما فقدمنا النحو لانه وضع اولاً واما الصرف فواضعه على راي الجمهور معاذ بن مسلم الهراء شيخ الكسائي في النحو وكان شيعياً توفي سنة ١٨٧ ﻫ وقد اشتهر في عصره بأعمر الطويل وكان له اولاد واحفاد فمات الكل وهو باق حتى قال فيه سهل بن ابي غالب الخزرجي من قصيدة:

قل لمعاذ اذا مررت به ... قد ضج من طول عمرك الامدُ
يا بكر حواء كم تعيش وكم ... تسحب ذيل الحياة يا لبدُ
قد اصبحت دار آدم خرباً ... وانت فيها كانك الوتدُ
صاحبت نوحاً ورضت بغلة ذي الـ ... ـقرنين شيخاً لولدك الولدُ

وصنف في النحو كثيراً ولكن مؤلفاته لم تصل الينا

وممن اشتهر في الصرف والف فيه عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفي سنة ٦٤٦ ﻫ الف في الصرف كتاب « الشافية » وقد شرحها احمد بن الحسن فخر الدين المتوفي سنة ٧٤٦ ﻫ وشرحها ايضاً الخضر يزدي فرغ من شرحها سنة ٧٢٠ ﻫ ورضي الدين الاستراباذي الشهير بنجم الرضي توفي في اواخر القرن السابع للهجرة والسيد عبد الله الحسيني بنقره كار المتوفي سنة ٧٧٦ ﻫ والشيخ يوسف بن عبد الملك القفور من علماء القرن التاسع وغيرهم وبعض هذه الشروح مطبوع وكلها موجودة في المكتبة الخديوية

وابو الفضائل ابراهيم بن عبد الوهاب عماد الدين بن ابراهيم الزنجاني المتوفي سنة ٦٥٥ ﻫ صاحب كتاب التصريف العزي وقد شرح هذا الكتاب كثير من علماء اللغة وعلقوا عليه الحواشي منها شرح السعد التفتازاني المتوفي سنة ٧٩٣ ﻫ وقد شرح هذا الشرح ناصر الدين اللقاني المتوفي سنة ٩٥٨ ﻫ وشرح شرح اللقاني هذا احمد بن قاسم العبادي المتوفي سنة ٩٩٤ ﻫ وجميع هذه الشروح موجودة خطاً في كتاب واحد

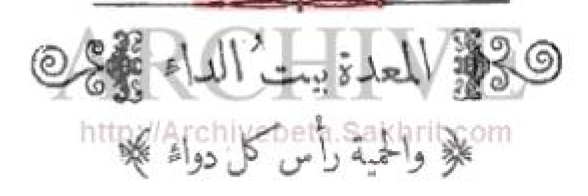
بالكتبخانة الخديوية . وشرحها غير هؤلاء ايضاً

والامام ابن مالك النحوي المتقدم ذكره الف في الصرف لامية سماها لامية الافعال شرحها كثيرون

ومن امهات كتب الصرف غير ما تقدم كتاب « المقصود » يقولون ان مؤلفه الامام الاعظم وكتاب « مراح الارواح » تاليف الامام احمد بن مسعود وكتاب بناء الافعال . وكتاب الامثلة والكافية وهي قصيدة تاليف بعض علماء القرن السابع للهجرة وكلها متون مشهورة ولكل منها شروح او حواش عديدة واكثرها مطبوع متداول

ومن امهات كتب الصرف اليوم ارجوزة العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي مشروحة بقلمه ومطبوعة وله مؤلفات اخرى في الصرف كلها حسنة، راجع ترجمة حياته في الهلال الحادي والعشرين من السنة الماضية

والف في الصرف كثير من علماء هذا القرن واكثر ما كتبوه موضوع على اساليب بسيطة تقرب تناولها من الطلبة ومنها ما هو في فني الصرف والنحو معاً



والحمية رأس كل دواء

لم ينطق البلغاء ولا جاء الحكماء على اختلاف الاعصر والاجيال بعبارة اكثر انطباقاً على الحقيقة من قول حضرة صاحب الشريعة الاسلامية الغرّاء « المعدة بيت الداء » فقد قيلت منذ نيف وثلاثة عشر قرناً والطب لا يزال طفلاً رضيعاً فشبّ الطب وشاخ ولم يزدها الاّ اثباتاً وتحقيقاً . لان المعدة عضو رئيسي للهضم والهضم قوام حياة الانسان وفي صحتها صحتهُ وسعادتهُ وفي اعتلالها شقاؤهُ وبليتهُ

ولو كان تأثيرها مقصوراً على اعتلال الصحة ونحول البنية لهانت مصيبتنا فيها ولكن في اعتلالها وتلبكها اعتلال العقل وتلبكهُ فمن ضعفت معدتهُ وعسر هضمهُ ساءت طباعه وضاق خُلقهُ واصبح لا يرى من الدنيا الاّ مصائبها ومتاعبها وشوائبها فيخال له ان تجارتهُ كسدت وآمالهُ حبطت ومساعيهُ تعرقلت وان الارض قد ضاقت به والسماء اطبقت عليهِ وابواب الرزق اقفلت دونهُ فينقم على الدهر ويندب سوء حظهِ وربما

هجر الديار وطلب القفار فرارًا مما يخافه وحذرًا مما يتوقعه وهو يحسب ان الدهر يعانده والاقدار تتهدده. ولو تبصر قليلاً ما احتاج في ازالة هذه الاوهام الى اكثر من الحمية في الطعام او تناول جرعة من ابسط العقاقير الهاضمة مما لا يكلفه درهماً ولا يعنيه لحظة

فقد تمرُّ بصديق لك صباحاً وهو لم يتناول بعد غذاءه فيهش لك ويبشُّ ويبشرك بتحسن حاله واقبال الناس على بضائعه وان الاسعار في صعود فلا يلبث ان تزيد ارباحه فيبتاع العقارات والابعديات ويوسع نطاق تجارته ويقول لك ان تجارته احسن التجارات واوفرها فائدة واذا سألته عن اهل بيته انطلق لسانه بالشكر لله على ما آتاه من النعم لان امرأته واولاده رافلون في بحبوبة النعمة متسربلون بسربال العافية وتراه يخاطبك ووجهه منبسط وصدره منشرح والآمال لديه واسعة

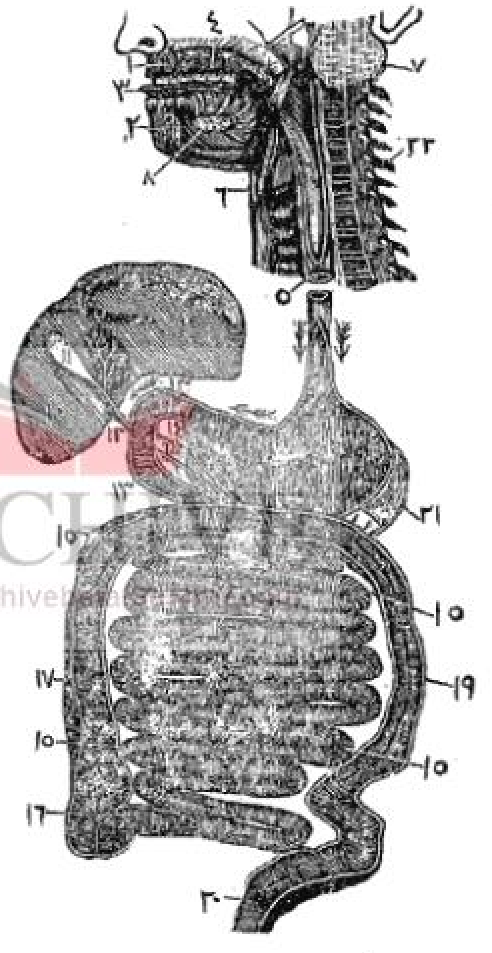
ثم اذا مررت به بعد الظهيرة فقد تراه مقطب الوجه كاسف البال كئيباً حزيناً لا يقبل تعزية ولا يرضى بتأسية واذا سألته عن حاله فربما ساءه ظناً بسؤالك وحسبك تهزأُ به لضيق ذات يده واذا لم يكن ثم مكان للظنة بادأك بالشكوى من سوء الحال واخذ يقص عليك من تراكم الديون عليه وانه يخاف اذا عجز عن الوفاء في الاجل المضروب ان يسوقوهُ الى المحاكم فيثلم صيته بين التجار فيتحاملوا عليه ويحجزوا على متاعه وانه يخاف ان يصيب اهله مرض يكلفه دفع النفقات على غير جدوى وربما لم يشفَ العليل فهناك المصيبة الكبرى الى غير ذلك من انواع المصائب التي قد لا يكون مصدرها الا الوهم

واذا حاولت تعزيته وتبيان حقيقة حاله فلا يزيدك الا تشكياً وتظلماً ولو بحثت في سبب ذلك الاختلاف بين صبح النهار واصيله لما رأيت سبباً سوى تلك المعدة من غذاء تزاحمت فيه الالوان وتثاقلت به اعمال الهضم ولكن قلَّ ان ينتبه الناس الى هذا السبب. وهذا ما حملنا على بسط الكلام في هذا الموضوع وفي اعتقادنا ان اربعة اخماس مصائب الناس منشاها الوهم ومعظم ما يقوم من الشحناء والبغضاء بين الاقران والاقرباء قد لا يكون له سبب الا انحراف عمل المعدة فتأمل

وللاحاطة بالموضوع وبسطه نتكلم اولاً عن الجهاز الهضمي واعمال الهضم ثم نبحث في العلل الهضمية وخصوصاً عسر الهضم وهو ما يعبرون عنه بالدسبيسيا لانه اكثر الامراض انتشارًا واشدها تأثيرًا في حالة الانسان مادياً وادبياً على سهولة تداركها اذا انتبه لها فنقول

(۱) الجهاز الهضمي وعمل الهضم

(الشكل الاول)(١)



يقسم الجهاز الهضمي الى قسمين (١) اعضاء الهضم الرئيسية وهي القناة الهضمية (٢) الاعضاء الاضافية وهي تابعة لها

(١) القناة الهضمية . وهي قناة طويلة تمتد من الفم الى الاست وتنقسم الى ستة اقسام الفم والبلعوم والمريء والمعدة والمعا الدقيق والمعا الغليظ . واعضاء الهضم الاضافية الاسنان والغدد اللعابية والكبد والبنكرياس والطحال (انظر الشكل الاوّل)

فالفم بداية القناة الهضمية وهو تجويف مؤلف من الشفتين والخدين والاسنان والاضراس واللثة والحنك واللسان وارض الفم واللهاة والحلقوم . وفي الفم يتم مضغ الطعام وترطيب اللقمة باللعاب المفرز من الغدد اللعابية وهي ثلاث « الغدة النكفية » وموضعها على جانب الوجه اسفل الاذن والى مقدمها و« الغدة تحت الفك » وهي واقعة

(١) ١ الفك العلوي ٢ الفك السفلي ٣ اللسان ٤ سقف الحلق ٥ المريء ٦ القصبة الرئوية ٧ الغدة النكفية ٨ الغدة تحت اللسان ٩ المعدة ١٠ الكبد ١١ كيس المرارة ١٢ القناة التي تؤدي الى ١٣ وهو الاثناعشري ١٤ البنكرياس ١٥ المعا الدقيق ١٦ فتحة المعا الدقيق في المعا الغليظ ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ المعا الغليظ ٢١ الطحال ٢٢ الجزء العلوي من العمود الفقري

اسفل الفك السفلي و « الغدة تحت اللسان » وموضعها اسفل الغشاء المخاطي المبطن لارض الفم بجانب قيد اللسان (انظر الشكل الاوّل)

والبلعوم موضوع خلف الانف والفم والحنجرة وفيه تزدرد اللقمة اي تنزلق من الفم الى المريء

والمريء قناة غشائية طولها نحو تسعة قراريط ممتدة من البلعوم الى المعدة وفيه تمرُّ اللقمة بعد ازدرادها فينقبض ويتمدد فيدفع اللقمة نحو المعدة وقد يتبادر الى الذهن ان اللقمة تنزل بثقلها نحو الاسفل فلوصح ذلك لامتنع الطعام على المستلقي والواقع خلاف ذلك فاندفاع اللقمة في المريء انما يكون بواسطة الانقباض كما قدمنا

(الشكل الثاني) [١]

اما المعدة فهي العضو الرئيسي في القناة الهضمية لان اهم اعمال الهضم تتم فيها شكلها مخروطي غير منتظم منحنٍ على نفسه (انظر الشكل الثاني) قطرها المستعرض عادة ١٢ قيراطاً او نحو ٣٦ سنتيمترا وقطرها العمودي نحو اربعة قراريط ووزنها نحو اربع اواق ونصف ولها فتحتان الفتحة المرئية وهي التي تستطرق الى المريء ويقال لها القلبية والفتحة البوابية وهي تستطرق الى الجزء الاول من المعا الدقيق وقد سميت البوابية لانها بمنزلة البواب تفتح وتغلق في اوقات معينة

وموضع المعدة اسفل الصدر تماماً ويظن العامة ان هناك موضع القلب فاذا احس احد بالم في معدته قال « قلبي يوجعني » لزعمهم ان القلب هناك واذا قال المعدة فانه يريد الامعاء غالباً

وجدار المعدة مؤلف من اربع طبقات الطبقة المصلية وهي غلافها الظاهري

---

(١) ١ أسفل المريء ٢ الفتحة التي بها يمر الاكل الى المعدة ٣ المعدة ٤ البواب ٥ التقويس الأصغر ٦ التقويس الأعظم ١٠ و ١١ و ١٤ الاثنا عشري ١٢ و ١٣ القناة المشتركة للصفراء والعصارة البنكرياسية ا ب س اغشية المعدة

والطبقة العضلية وهي تؤلف معظم الجدار وعليها العمل في انقباض المعدة وانبساطها اثناء الهضم والطبقة الخلوية وهي مبطنة للعضلية من الداخل والطبقة المخاطية وهي غشاء مخاطي سميك مغط لسطح المعدة من الداخل على سطحهِ نوع من الخمل يكسبها خشونة وهو اكثر ظهوراً في الحيوانات المجترة كالغنم فانهُ فيها كثير الخشونة على شكل نباتات

والمعا الدقيق (انظر الشكل الثالث) قناة متلففة طولها نحو عشرين قدماً وتنقسم الى ثلاثة اقسام وهي الاثنا عشري والصائم واللفائفي فالاثنا عشري سمي كذلك لان طولهُ يقرب ان يكون عرض اثني عشرة اصبعاً يبتدىء من الاعلى بالفتحة البوابية للمعدة وينتهي ببداية الصائم . والصائم سمي بهذا الاسم لانهُ يوجد غالباً فارغاً بعد الموت طولهُ نحو خمسي ما بقي من المعا الدقيق واللفائفي سمي بذلك لكثرة تلافيفهِ طولهُ نحو ثلاثة اخماس المعا الدقيق وينتهي في آخرهِ بنقطة منتفخة يقال لها الاعور موصلة بينهُ وبين المعا الغليظ وبناء المعا مثل بناء المعدة الا انهُ ارق منها

(الشكل الثالث) [1]

والمعا الغليظ ممتد من منتهى اللفائفي الى الاست وطولهُ نحو خمس اقدام ونراه في الشكل الثالث ممتداً حول المعا على هيئة قوس كبيرة محوطة بتلافيف المعا الدقيق وهو مؤلف من ثلاثة اقسام الاعور وقد تقدم ذكرهُ . والقولون وهو عبارة عن تلك القوس . وقد قسموهُ بالنسبة الى سيرهِ الى اربعة اقسام الصاعد والمستعرض والنازل والتعريج السيني وهو الاخير لانهُ يشبه السين بتعرجها . والمستقيم وهو القسم الانتهائي للمعا الغليظ ممتد من التعريج السيني الى الاست طولهُ من ستة الى

(١) ١و١ الاثني عشر ٢ و٣ الامعاء الدقيقة ٣ محل اتصال الامعاء الدقيقة بالغليظة ٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ الامعا الغليظة ٦و٧ و٨ و٩ القولون ١٠ المستقيم وينتهي بالشرج

ثمانية قراريط وهي بالمستقيم لان سيره اقل تعرجاً من سائر اجزاء الامعاء

اما الكبد فهو غدة عظيمة واقعة في الجانب الايمن للبطن وزنة من ثلاثة الى اربعة ارطال وفائدته افراز سيال اصفر يقال له الصفراء في الاثني عشري وله فوائد اخرى (انظر الشكل الاول) والبنكرياس غدة مؤلفة من فصيصات وضعه اسفل المعدة ووراء الاثني عشري ويفرز فيه سيالاً اشبه شيء باللعاب . اما الطحال فهو غدة تختلف حجماً باختلاف الاشخاص وهو موضوع الى يسار المعدة ولم يتحقق فائدته تماماً

والاطعمة تنقسم من حيث الغذاء الى قسمين اطعمة نيتروجينية واطعمة غير نيتروجينية فالاولى فائدتها توليد الحرارة الحيوانية وهي في الغالب اللحوم والبيض واللبن وما شاكل والثانية فائدتها تركيب الانسجة وفيها الزيوت على انواعها والمواد النشائية كالحنطة وانواع الحبوب كالرز والذرة ومعظم انواع الخضر ويقال بالاجمال ان القسم الاول يشمل الاغذية الحيوانية والثاني يشمل الاغذية النباتية ولا بد لقوام الحياة من تناول النوعين اما معاً واما على التوالي

واذ قد فهمنا تشريح القناة الهضمية ولواحقها وانواع الاطعمة لنتقدم الى كيفية حصول الهضم

فاول تغيير بالطعام يحصل في الفم فان اللقمة وهي الكتلة الغذائية تجزأ بالمضغ الى اجزاء تمتزج باللعاب فيسهل ازدرادها ويؤثر اللعاب على ما فيها من المواد النشوية فيحول جزءاً منها الى سكر فيسهل ذوبانها لان النشاء غير قابل للذوبان واما الـ ... فيذوب بسهولة واما خاصية هذا التحويل في اللعاب فمن الامور المقررة وبرهانها انك اذا مزجت مغلي النشاء باللعاب في وعاء فانه يتحول حالاً الى سكر وعليك بالامتحان

اما البلعوم والمريء فلا يؤثران في تركيب اللقمة او تحليلها واما فائدتها فمحصورة في ايصال اللقمة الى المعدة

واما المعدة فعليها المعول وفيها تتم اهم اعمال الهضم وذلك ان اللقمة اذا وصلت المعدة تهيج غشاؤها المخاطي وتوارد اليه الدم بكثرة وفي ذلك الغشاء غدد صغيرة جداً وظيفتها افراز عصارة يقال لها العصارة المعدية فتفرز العصارة وتمتزج بالطعام بواسطة حركة المعدة الانقباضية المنتظمة او المتموجة والعصارة مؤلفة من مواد لها خاصية تذويب الطعام اهمها سائل حامض و «البيبسين» وهو سائل لزج يمكن استحضاره

بكشط سطح المعدة الداخلي وقد استحضروهُ من سطوح معد العجول وجففوهُ على هيئة مسحوق اسمر يستخدمونهُ في بعض احوال عسر الهضم المستعصي ولو وضعت السيال المعدي في وعاء على حرارة ٩٠ درجة ف وجعلت فيه طعاماً ترى الطعام يتحول الى مادة لبنية وهو الهضم فالكتلة الغذائية تتحوَّل في المعدة الى سائل لبني غليظ يقال لهُ في اصطلاح الاطباء « كيموس » والعصارة المعدية تفعل بالاكثر على المواد الحيوانية اما المواد النباتية فيبتدىء هضمها بالفم كما تقدم فالذي يتحوَّل من نشائها الى سكر هناك فعند وصوله الى المعدة تمتصهُ جدرانها والذي يبقى منهُ غير مهضوم يتم هضمهُ في الامعاء وخصوصاً المواد الزيتية . وفي اثناء عمل المعدة تكون فتحتها البوابية مقفلة فاذا صار الطعام كيموساً فتحت وانحدر الكيموس الى الاثني عشري والمواد الحيوانية فيه معظمها ذائب اما الدهنية فغير ذائبة ولكنها ممتزجة بالمواد الاخرى مزجاً وفي الاثني عشري يتم بعض الهضم بواسطة افراز الصفراء والبنكرياس وغيرها ومتى اثرت عصارات الامعاء على الكيموس يزداد سيولة ويتم هضمهُ ويقال لهُ اذ ذاك « كيلوس » ويسهل امتصاصهُ فتمتصهُ جدران الامعاء بواسطة اوعية دقيقة فيها يقال لها الاوعية اللبنية ومن هناك يسير في غدد يقال لها الغدد المساريقية ومنها الى قناة يقال لها القناة الصدرية ومنها الى الدم فيمتزج بهِ ويتحوَّل بواسطة عمل التنفس وغيره الى دم احمر يدور في الجسد فيأخذ منهُ كل عضو حاجتهُ وهو الغذاء

اما ما يبقى من الطعام غير منهضم فيخرج من المستقيم على هيئة فضلات لا فائدة منها

(٣) عسر الهضم او التخمة

المعدة عضو كسائر اعضاء الجسد والاعضاء تتفاوت رقة وخشونة ونشاطاً وخفة فالمعدة من الاعضاء الدقيقة ولا نقول نحيفة لانها تعمل اعمال الابطال لا تكف عن العمل ليلاً ولا نهاراً ولكنها تحب الانتظام والترتيب وكما ان يدك اذا عملت بها عملاً فوق طاقتها تتعب وتحتاج الى الراحة فالمعدة كذلك وربما تقول انك لا تشعر بتعب معدتك كما تشعر بتعب يدك فاذا رفعت ثقلاً كبيراً بيدك تشعر وانت ترفعهُ بألم في يدك واما المعدة فلا تشعر فيها بذلك الالم مهما حمّلتها من الاثقال نقول ان هذا هو الواقع ولكن عدم شعورك بتألمها ناتج عن نوع اعصابها فهي كسائر اعضاء التغذية

غير خاضعة للارادة ولا يشعر الدماغ بحركتها كما انهُ لا يشعر بحركة القلب وسائر الاحشاء . والمعدة بالحقيقة كما وصفها العلاّمة الدكتور فانديك « عضوٌ مظلوم اشد ظلم يلقي عليها صاحبها اشغالاً شاقة تضاهي اشغال هركليس الاثني عشر وهي صابرة على ذلك مدة مستطيلة تكمّل المطلوب منها بلا تذمُّر ولو على تعب جزيل ثم اخيراً يصيبها اليأس فتنقطع العمل وتبطل الشغل وتعذب صاحبها وتنتقم منهُ اشد الانتقام على ظلمهِ اياها ومتى اخذت تشكو يعسر تسكينها واذا سُكّنت بواسطة التلطيف والتملق والمداراة كمداراة العين الرمداء تهيج على اقل سبب كانها انتبهت الى قوّتها وقيمتها فصارت مثل الولد المتخلق لا يُرضيها شيء »

وتصاب المعدة بعلل كثيرة وتكون واسطة لامراض اخرى اذا ساء صاحبها استخدامها وحمّلها فوق طاقتها وهذا معنى قولهِ « المعدة بيتُ الداء » وليس غرضنا الآن البحث في ما يطرأُ على المعدة من العلل ولا ما ينجم عنها من الامراض فان ذلك اوسع من ان تستوعبهُ هذه المقالة وانما نريد الكلام في عسر الهضم خاصة وهو على بساطتهِ يظهر بمظاهر مختلفة ويسبب انحرافات كثيرة جسدية وعقلية لما بين المعدة والدماغ من العلاقة التشريحية والفسيولوجية وهذا هو سبب ما يستولي على عقل ذي المعدة المتلبكة من الاوهام

اما اسباب ضعف المعدة او عسر الهضم فهي

(١) ادخال الطعام على الطعام اي ان يتناول الانسان طعاماً قبل هضم الطعام السابق وهو ما نبه اليه الحكماء والاطباء من قديم الزمان وفي مقدمتهم الشيخ الرئيس فقال ((واحذر طعاماً قبل هضم طعام))

(٢) الافراط من تناول الاشربة السخنة او المنبهة او المخدرة كالشاي والقهوة والتبغ والافيون

(٣) طول الصوم ثم تناول الطعام بكثرة والمعدة فارغة

(٤) سرعة المضغ والازدراد واللقمة لم تُسحق جيداً ولا امتزجت باللعاب كما يجب . وقد سئل المستر غلادستون عن سبب اقتداره على الاعمال السياسية الشاقة على كبر سنهِ فنسب معظم ذلك الى التأني في مضغ الطعام وسحقهِ جيداً حتى قال « لا ازدرد اللقمة قبل ان اسحقها بين اضراسي ثلاثين سحقة على الاقل »

(٥) الاعمال العقلية على اثر تناول الطعام فان المطالعة او الكتابة تنبه الدماغ فيتوارد اليه الدم بكثرة فلا يبقى للمعدة كمية كافية منه لافراز السائل المعدي فيضعف عمل الهضم وتفسد الاطعمة فيها ولا يستثنى من ذلك الاعمال الجسدية وهذا ما حمل الامم المتمدنة على عادة القيلولة بعد الطعام فانها احسن وسيلة للراحة وانتظام عمل المعدة

(٦) تناول الطعام على اثر التعب الشديد عقلاً او جسداً وهو يشبه السبب الثالث (طول الصوم) ومن عوائد هنود اميركا انهم اذا عادوا من صيد وقد اعياهم التعب وهم جياع يتامون قليلاً ثم يأكلون

(٧) تناول الاطعمة الضخمة والاكثار من الاطعمة وتعداد الوانها حتى يدخل المعدة منها فوق ما تستطيع هضمه

(٨) السهر الطويل بغير انتظام مع ما قد يعقب ذلك من اسرار الليل

(٩) طول القعود ساعات متوالية بغير رياضة او مشي وخصوصاً اذا كان ذلك في اماكن فاسدة الهواء (١٠) عدم تنظيم اوقات الاكل اي ان لا يعين للطعام ميقات معلوم كل يوم

على انك اذا تدبرت هذه الاسباب وغيرها مما لم نذكره رأيتها ترجع كلها الى تحميل المعدة فوق طاقتها فان مقدرتها على الطعام تختلف باختلاف حالة الجسم جملة فالمعدة في الحالة الصحة الاعتيادية تهضم رطلاً من الطعام مثلاً واما في حال تعب او سهر او صوم او ما شاكل فلا تستطيع ذلك

وبهذا الاعتبار نعود الى ان «الحمية رأس كل دواء» والحمية لغةً الامتناع عما يضرّ ونريد بها هنا تجنب المآكل الضخمة والاكتفاء من الطعام بما دون الشبع اذ قد تطلب النفس اكثر مما تحتمل المعدة وقد يخال الجائع انه يستطيع هضم كل ما يدخل المعدة مهما كان نوعه ومقداره ولكنه يندم بعد قليل . وربما ظن بعضهم ان ارجاع القوى او اكتسابها انما يقوم بكثرة الطعام والحقيقة ان الجسم لا يحتاج مما تناوله من الطعام الا الى جزء صغير وما يزيد عليه يذهب هدراً ويضرّ بالمعدة . وزد على ذلك ان في بعض احوال عسر الهضم يشعر الانسان بالجوع الشديد وسببه تشكو الضعف والتخم تتوالى عليه والحموضة تتصاعد الى بلعومه وهذا ما ندعوه جوعاً كاذباً او جوعاً مرضياً فيجب الانتباه اليه

فالحمية رأس كل دواء ولكن لا بد من تجنب الاسباب التي قدمناها ومراعاة حالة الجسم العمومية من الضعف والقوة والصحة والمرض فالمحموم قد يطلب الطعام ولكنه لا يهضمه وقد رأينا كثيرين من عقلاء القوم وفيهم جماعة من الاطباء يدفعون عنهم صدمات الامراض الاولى بالانقطاع عن الطعام او التقليل منه وهي وسيلة ناجحة

وبالجملة ان من كانت معدته صحيحة فلينظم مواقيت طعامه فلا يتغدى اليوم في الساعة الثانية وغداً في الثالثة وبعد غد في الرابعة ويذهب يوماً الى شغله بغير فطور ويوماً يفطر فطوراً ضخماً فانه اذا تجنب ذلك مع الاعتدال في كل شيء ومضغ الطعام جيداً حافظ على صحته وتجنب كثيراً من اتعاب هذا العالم وآلامه واكداره وهو بذلك يدفع الداء قبل مجيئه

اما اذا كان مصاباً بعسر الهضم فافضل الوسائل واسطها الحمية او التقليل من الطعام وخصوصاً الاطعمة النشائية كالخبز والرز وانواع الحبوب والبطاطس والدهن وسائر المعجونات والاعتماد في غذائه على الاطعمة القليلة الكمية الكثيرة الغذاء الناضجة نضجاً تاماً. ومما يجب تجنبه في فصل الصيف الماء المثلج كثيراً بكميات كبيرة

وخلاصة القول ان « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » والسلام

باب المراسلات

﴿ فوائد صحية مستخرجة من بعض الكتب الانكليزية ﴾

﴿ أحسن دواء لمنع عرق الرجلين ﴾

احسن دواء لمنع عرق الرجلين ان تغمس الجوارب بمحلول ملح الطعام وتلبس او لمنع عرق البدن اذا اقتضت الحال فتغمس الفلانلة به

﴿ لدغ الحيات السامة ﴾

لدغت احد شيوخ قبائل الهند في احدى رجليه بعض الحيات السامة المسماة: نوماكاس وهي من اسم حيات الهند حتى وصل الملدوغ الى درجة الخطر الشديد

الحمل يومو ولا بد من برهة لا تقل عن الاسبوعين يتردد فيها الحاسب بين الظن واليقين وهذه البرهة كافية لتعديل حساب المعتقد بعدم صلاحية الشهر الثامن للولادة فاذا كانت الولادة في اوائل الثامن طبقها على الشهر السابع واذا كانت في اواخره عدَّل الحساب من جهة اخرى فتقع في الشهر التاسع وهذا هو سبب ما تقرَّر في اذهانهم من ان المولود لا يحيا الاَّ اذا ولد في الشهر التاسع او السابع والله اعلم

﴿ الرصَد ﴾

(بني سويف) نصري افندي حبيب

بعد تقديم واجبات الاحترام نرجو ان تفيدونا عن الارصاد التي كانت في الزمن القديم هل لها اثر باقٍ الى الآن وهل قولهم عن بحر النيل انهُ مرصود ولهُ كتاب يسمى كتاب النيل حقيقي ام لا

(الهلال) الرصَد لغةً الحرس ويطلق في عرف المنجمين على جماعة يرصدون الكواكب اي ينتظرون حركتها وبلوغها الى اماكن معينة ويطلق الرصَد على المكان الذي يرصدون بهِ والعامة يزعمون ان الرصد شخص او تمثال عربيٌّ او غيرهُ ينصب في المدافن والكنوز لحراستها وهذا ما تعنونهُ بسؤالكم على ما نرى . والجواب عليهِ ان امر المدافن والكنوز وهي المخابي وكانوا يسمونها المطالب كان شائعاً في صدر الاسلام وكانوا يزعمون أن الدولة الرومانية لما خرجت من مصر والشام بعد فتحها على يد المسلمين اكتنزت كثيرًا من اموالها في مواضع اعدتها لذلك وكتبت كتباً باعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت هذه الكتب القسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك . وزعم آخرون ان الرومانيين لم يكتنزوا تلك الكتب ولكنهم ظفروا بكتب الكنوز ممن ملك هذه البلاد قبلهم من النبط والفرس والاشوريين واليونان فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في كنيسة القسطنطينية وزعموا انها لا تعطى الى احد حتى يخدم تلك الكنيسة مدة فيدفع اليهِ ورقة تكون حظهُ فيأتي بها ويفتح كنزها ويستولي على ما فيهِ من الاموال ويكون لهُ مالاً حلالاً

ويظهر من مطالعة تاريخ الاسلام في مصر انهم عثروا على كثير من تلك المدافن ونالوا منها ثروة طائلة في عهد عبد العزيز بن مروان (تولى مصر سنة ٦٥) واحمد بن

طولون (حكم سنة ٢٥٧ هـ) وغيرها وهم يبالغون بمقادير ما اصابوه من الاموال فيها ولا يبعد عثورهم على تلك المدافن ولكن علاقتها بالرصد من قبيل الخرافات والاقوال المختلفة

على ان الخرافة مهما استغربناها لا تخلو من الحقيقة وفي رأينا ان اصل هذا الزعم ناشىء عما يراه الباحث في الآثار المصرية من المخبأآت الثمينة وفيها الحلي والذهب وغيره وهو مشاهد فيها الى هذه الغاية وترى منه جانباً عظيماً في المتحف المصري بالجيزة فظن القدماء عند عثورهم عليها في تلك الهياكل ان التماثيل القائمة هناك انما اقيمت رصداً عليها لحفظها ثم جعلوا يتفننون في التحدث عنها حتى اتخذها بعضهم ذريعة لخداع الناس . واكثر من عُني بذلك اهل المغرب وهم مشهورون بيننا باستخراج الكنوز ومعرفة رصدها

وهاك ما قاله العلامة ابن خلدون عنهم « وكثيرون من طلبة البربر بالمغرب عاجزون عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق المتخرمة الحواشي اما بخطوط اعجمية او بما تُرجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء امارات تدلُّ على كنوز ودفائن مدفونة في الارض يبتغون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويوهمون عليهم بانهم انما حملهم على ذلك طلب الجاه في مثل هذه من منال الحكام والعقوبات فكثيرٌ من ضعفاء العقول في الامصار يصدقون ذلك معتقدين ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت الارض مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفضُّ ختامها الا من عثر على علمه واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان فاهل البلاد في افريقية[1] يرون ان الافرنج الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم واودعوها في الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في امم القبط والروم والفرس يتناقلون في ذلك احاديث خرافية من مشاهدة بعض الطالبين الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم او تميد بهم الارض حتى يظنها خسفاً واذا افترقوا بانهم لم يعثروا على شيء ردّوا ذلك الى الجهل بالطلسم وفي القطر المصري كانوا يبحثون عن تغوير المياه او نضوبها بالاعمال السحرية لما يرون من اموال قدمائهم كلها مدفونة في مجاري النيل »

اما كتاب النيل فلم نفهم مرادكم منه فاما اذا كنتم تريدون ما هو من قبيل ما تقدم فقد قلنا انه حديث خرافة ولكننا نقول ايضاً ان الخرافة لا تخلو من الحقيقة فان

(١) مراد بافريقية القيروان وما جاورها من بلاد المغرب

القدماء كتبوا بشان النيل كتباً بحثوا فيها بحثاً فلكياً وجعلوا فيضان النيل مرتبطاً بحركة الكواكب لظنهم بتوقفه على المد والجزر في البحر المتوسط ولهم في هذا الشان كلام طويل لا محل له هنا فربما تحول معنى هذه الكتب في فهم العامة الى الرصد او الطلاسم وهم لا يبرحون منذ عمرت الارض يحولون العلوم الى خرافات والخرافات الى علوم ولله في خلقه حكمة لا تدركها العقول

باب الأخبار العلمية

التلغراف الكاتب

لا ريب في ان اختراع التلغراف من افضل ما يفتخر به القرن التاسع عشر على سائر القرون وترام لا ينفأ ون عن التحسين فيه وترقيته حتى اتصلوا مؤخراً الى ان يجعلوه ينقل الكتابة كما هي وكان لا ينقل الا المعاني بواسطة علامات لها دلالة حرفية معينة في اصطلاح التلغراف واما التلغراف الكاتب فينقل الخط كما هو بقطع النظر عن معناه . وآخر ما بلغ اليه هذا التحسين الآن انهم نقلوا به الخط في لندرا على مسافة ٨٢ ميلاً ولا يزالون آخذين في تحسينه

ملابس المرضين

رأى الاطباء ان تردي المرضين والمرضات في المستشفيات العمومية بالالبسة الصوفية كالاجواخ والاصواف التي لا تغسل لا يخلو من الخطر في نقل العدوى بما تحمله من جراثيم الاوبئة وتحفظه فيه زمناً طويلاً فاشاروا بابدالها بالاقمشة الاخرى التي يمكن غسلها بالماء الحار لاماتة تلك الجراثيم ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة

مستشفيات داء الكَلَب

بناء على ما ظهر من نجاح هذا المستشفى في دار السعادة قد صدرت الارادة السنية بانشاء امثاله في الولايات العثمانية كبغداد ودمشق واليمن وغيرها

درع لا يخرقها الرّصاص

اخترع بعض الالمانيين درعاً قال انها ترد الرصاص المطلق من البنادق واوشك

ثانياً امراء المماليك (تابع لما قبله)

فلما دخلت مصر في حوزة سلاطين آل عثمان كان فيها جماعة كبيرة من المماليك لاسبيل الى اخراجهم منها فضلاً عن انهم نخبة اهل البلاد وعمدتهم وحاميتهم ولكن بقاءهم فيها على ماهم فيه مع بعد الديار المصريه عن دار السعادة لايخلو من الخطر فخاف السلطان سليم ان يكون ذلك موجباً لعصيانهم وعودهم الى الاستقلال وكان من الجهة الثانية لايأمن الوالي العثماني الذي يقيمه عليها ان يتحد مع المماليك ويخلعوا طاعة الدولة ويقيموا دولة اخرى فعمل الفكرة لتدبير طريقة تضمن له بقاء مصر تحت كنف الدولة العلية ورأى ان يجعل حكومة مصر مؤلفة من ثلاث ادارات كل منها تراقب اعمال الآخرين فلا يمكن اتحادها جميعاً وتمردها وهي

(اولاً) « الباشا » وهو الوالي وواجباته ابلاغ الاوامر السلطانية لرجال الحكومة والشعب ومراقبة تنفيذها ومقامه القلعة لايبرحها

(ثانياً) « الوجاقات » وهي فرق من الجند احدها وجاق وهي ستة وزاد عليها السلطان سليمان القانوني واحداً فصارت سبعة وعدد جنودها جميعاً ستة الاف فارس وسبعة الاف ماش اقامها في المدن الكبيرة من القطر وجعل عليها قائداً عثمانياً عاماً وامره ان يقيم في القلعة لايفارقها ابداً . وواجبات الوجاقات حفظ نظام البلاد والدفاع عنها وجباية الخراج وهاك ترتيب الوجاقات واسماءها

(١) وجاق المتفرقة . وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني

(٢) وجاق الجاويشية . وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان جيش السلطان سليم فعهد اليهم جباية الخراج

(٣) وجاق الجملية

(٤) وجاق التفنجية . وهم ناقلو البنادق

(٥) وجاق الانكشارية . وهم اخلاط من نخبة القبائل الخاضعة للدولة العثمانية وكانوا يعرفون ايضاً بالمستحفظين لاناطة محافظة البلاد بهم

(٦) وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفاً من افراد يقال لهم « وجاقلية » واحدهم

« وجاقلي » على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا بصحبة الكخيا والباش اختيار والدفتردار والخزندار والروزنامجي . ومن اجتماع هؤلاء الضباط من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضي امراً الا بمصادقتهم . اما هم فلهم ان يوقفوه عن الاجراء وان يمتنعوا الى ديوان الاستانة عند الاقتضاء . ولهم ايضاً ان يطلبوا عزله حالما يشتبهون بمقاصده.

اما الفئة الثالثة فالمماليك . وهم بقايا الدولتين السالفتين والفائدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لانهم في الاصل اعداء لكلا الفريقين ومن غرضهم الانتصار للفريق الاضعف ليمنعوا القوي من الاستبداد . وقد كان القطر المصري منقسماً الى ١٢ « سنجقلية » (مديرية) يحكم كلا منها حاكمٌ يقال له « سنجق » او « بك » بمعينة الديوان (وهو مجلس شورى الباشا) من امراء المماليك . ولا غرو ان تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها مع تعداد الآمرين مما يقود الى القلاقل والمتاعب اما الدولة العثمانية فقد اجتنت راحة من هذا التعب لانها كانت على ثقة من استبقاء الديار المصرية في حوزتها.

وكانوا يسمون احد الامراء المماليك في القاهرة ضابطها وزعيمها وهو بمثابة المحافظ اليوم وكانوا يسمونه شيخ البلد على ان هؤلاء المماليك لم يقفوا عند هذا الحد لانهم كانوا يحسبون انفسهم اولى الناس بالاستقلال بمصر وهم سلاطينها وقد سفكوا دماءهم في الدفاع عنها وكان المصريون يهابونهم و يرهبون جانبهم ولم يكن الباشوات قادرين على قمع نفوذهم بل بالعكس فان الامراء المماليك ما انفكوا يزدادون قوةً ونفوذاً والباشوات ضعفاً واحتقاراً حتى صارت الحكومة برمتها الى المماليك واكبرهم « شيخ البلد » واصبح الباشوات اسماً بلا رسم لايبرحون القلعة ولا يعلمون من المجريات شيئاً وهم لاعتقادهم بقصر مدة ولايتهم قلما كانوا يهتمون بالسهر على احوال البلاد واصلاحها على ان المماليك انفسهم كانوا منقسمين الى احزاب يحارب بعضهم بعضاً تسابقاً الى مشيخة البلد واكبر تلك الاحزاب اثنان وهما القاسمية والفقارية ولكل منهما علامة خارجية يتميزون بها فكانت مشيخة البلد وبعبارة اخرى حكومة مصر يتناوبها كبار هذين الحزبين بالقوة والباشوات ينظرون الى كل ذلك عن بعد ولا يصلحون مابينهم لاعتقادهم ان ذلك الانقسام يضعفهم فتقوى شوكتهم ولكن الامر كان بالعكس فان المماليك وان انقسموا على

المشيخة فهم متفقون على اذلال الباشا ونبذ طاعته

وقد تواتر على الالسنة وتقرر في الاذهان ان حكومة الامراء المماليك كلها استبداد وظلم وهو الواقع من حيث النظر العام ولكنهم قد قام من بينهم امراء كانوا مثال العدل والقسط وانموذج البسالة والاقدام منهم اسماعيل بك ابن قاسم عيواظ بك رئيس الطائفة القاسمية وكان حكيماً عاقلا فسعى في الوفاق بين طائفته وطائفة الفقارية فاتفقتا وكتبتا الى الاستانة تطلبان عزل الباشا فعزل وجاء غيره بعده على ان وجوده وعدمه سيان وكان اسماعيل عادلاً عاقلاً محسناً على الفقراء محباً للعلماء ويروون عنه حكايات هي اشبه بما يروونه عن عدل الخلفاء والامراء في صدر الاسلام ولكنه مات قتلاً بسيف الفقارية بدسيسة الباشا وتولى مشيخة البلد شركس بك زعيم الفقارية سنة ١١١٦ هـ ولكنها لم تثبت له فاسترجعها القاسميون عنوة

واشهر الامراء المماليك واعظمهم علي بك الكبير وقد بلغ من السطوة والصولة الى ان اخرج الباشا من القلعة واستقل بالحكومة وقد شرحنا تاريخ هذا الرجل ووصفنا حال البلاد في عصره وصفاً دقيقاً في روايتنا المسماة «استبداد المماليك» وكذلك في تاريخ مصر الحديث. وكان علي بك حازماً باسلاً مقداماً فلما اتصلت به مشيخة البلد اخذ يكبر احزابه ويستعد للاستقلال بحكومة مصر وكان في جملة قواده رجل يقال له محمد بك ابو الذهب وكان من مماليكه فرقّاه وقربه منه وزوجه ابنته ووثق به حتى سلم اليه قيادة جنده وكانت الدولة العلية اذ ذاك في حرب مع روسيا فاغتنم علي بك فرصة اشتغالها بالحروب ونادى باستقلاله وبعث صهره ابا الذهب لافتتاح الحجاز ففتحها ثم وجهه الى الشام ففتحها وكان في العزم ان يواصل الفتوحات لولا ان محمداً هذا رجع الى صوابه وهو في دمشق فلاح له انه انما يشقى ويفتح المدن ويعصى الدولة ولا فائدة له لانه يفعل ما يفعله باسم علي بك فتمرد وتوقف عن الفتوح ثم عاد الى القاهرة وحاول اخراج الحكومة من يد علي بك وقامت الحرب بينهما وانتهت بغلبة محمد ابي الذهب فعادت مصر الى كنف الدولة العلية سنة ١١٨٧ هـ

وفر علي بك الى سوريا والتجأ الى حاكم عكا الشيخ ضاهر العمر واتفقا على ان يسترجعا مصر واصاب علي بك مرض عضال بسبب الغيظ الذي استولى عليه لعقوق صهره

غيران مرضه لم يوقفه عن محاربة ابي الذهب ولكن الحرب انتهت بقتل علي

بك قرب الصالحية وحملوا جثته الى القاهرة ودفنوها قرب مقام الامام الشافعي على ان ابا الذهب لم يهنأ بحكومته فاصبحوا يوماً فاذا هو ميت في خيمته بجهات فلسطين وكان قد جاء لمحاربة الشيخ ضاهر

اما علي بك فكان عظيم الهيبة حتى اتفق لاناس انهم ماتوا خوفاً من هيبته وكانت تاخذ بعضهم الرعدة بمجرد النظر اليه فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول له هون عليك وكان صحيح الفراسة شديد الحذق فهو بصفاته الشخصية شبيه بالامير بشير الشهابي الكبير امير لبنان

ومما يؤيد استقلال علي بك بالحكومة انه ضرب نقوداً باسمه فترى في الشكلين امامك صورة نقود السلطان مصطفى بن احمد وقد نقش عليها اسم علي بك وكانه



ابقى صورة النقش كما كانت وزاد عليها العين واللام فوق الباء حتى صارت مثل كلمة علي . وترى على احدها تاريخ سنة ١١٧١ وهي سنة تولية السلطان مصطفى وعلى الاخرى سنة ١١٨٣ وهي السنة التي صرح بها علي بك باستقلاله

وتولى مشيخة البلد او بالاحرى حكومة مصر بعد ابي الذهب اسماعيل بك وهو من رجال علي بك فلم تثبت له فاستخرجها منه اثنان يقال لهما ابراهيم ومراد وهما ايضاً

من امراء علي بك وكان هذان الاميران يتناوبان مشيخة البلد وامارة الحج وقد اتحدا على ابتلاع ثروة البلاد واستنزاف اموال اهلها وفي ايامهما قدم نابوليون بونابورت الى الديار المصرية وافتتحها سنة ١٧٩٨ والظاهر ان ما قد تقرر في الاذهان من استبداد المماليك يعزى معظمه الى ايام هذين الرجلين لانهما تجاوزا الحد في الظلم والخيانة

اما الحملة الفرنساوية فقد جاءت الديار المصرية في آخر القرن الماضي تحت قيادة البطل الشهير نابوليون الاول وكان على مصر مراد بك وابراهيم بك ورجالهم فطاردهم الفرنساوية حتى اوصلوهم الى امبابه قرب القاهرة وهناك حصلت الواقعة الشهيرة المعروفة بواقعة الاهرام او واقعة امبابه وكانت عظيمة لا يزال يذكرها المؤرخون وهناك نادى بونابرت رجاله واشار بيده الى اهرام الجيزة وقال لهم « ان خمسين جيلاً من الناس تنظر اليكم من قمم هذه الاهرام وتراقب حركاتكم ناظرة الى ما يؤول اليه امركم مع هؤلاء المماليك » وقد رسمنا صورة هذه الواقعة في صدر الهلال الماضي

اما المماليك فكانوا تحت قيادة الامير مراد وقائد آخر يقال له ايوب بك الدفتردار ودافع المماليك دفاعاً حسناً ولكنهم لم يثبتوا امام الفرنساوية ففروا على اعقابهم وكانت تلك الواقعة كافية لانخذالهم ففروا الى الصعيد

واقام الفرنساوية في مصر ثلاث سنوات لم يهدأ لهم فيها بال حتى اخرجوا منها سنة ١٨٠١ وعادت مصر الى كنف الدولة العلية وعاد المماليك الى آمالهم في استرجاع السلطة لهم على ان الباب العالي كان قد اوعز سرًّا الى والي مصر ان ينتدل هؤلاء المماليك ويمحو اثرهم ولكن ذلك لم يتيسر لاحد غير محمد علي باشا مؤسس العائلة المحمدية العلوية فانه دعاهم الى القلعة لمشاهدة الاحتفال بخروج ابنه طوسون باشا الى محاربة الوهابيين سنة ١٨١١م فحضروا مع قائدهم شاهين بك وهم لا يعلمون بما اضمر لهم من المكايد فاستقبلهم الباشا في سرايته بكل ترحاب ثم قدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة امر محمد علي بالمسير فسار الموكب وكلٌّ في مكانه منه جاعلين المماليك الى الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا اقتربوا من باب العزب من ابواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالي امر محمد علي فانغلقت الابواب واشار الى الالبانيين (الارناوط) فهجموا على المماليك بغتة فانذعر اولئك

وحاولوا الفرار تسلقاً على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا اكثر تعوداً على تسلقها . واقتحم المشاة المماليك من ورائهم بالرصاص فطلب المماليك الفرار بخيولهم من طرق اخرى فلم يستطيعوا لصعوبة المسلك على الخيول ولما ضويق عليهم ترجل بعضهم ونزلوا ساعين على اقدامهم والسيوف في ايديهم فتداركهم الجنود بالبنادق من الشبابيك فقتل شاهين بك امام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الى الحريم اي الى طوسون باشا بدون فائدة . ثم نودي في المدينة ان كل من يظفر باحد المماليك في اي محل كان باقي بو الى كتخدا بك فكانوا يقبضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجاً وهو يقتلهم

وكان عدد المماليك المدعوين الى الوليمة اربعمئة فلم ينجُ منهم الا اثنان احدهم احمد بك زوج عديله هانم بنت ابراهيم بك الكبير وكان غائباً بناحية بوش والثاني امين بك وقد اتى القلعة متاخراً فرأى الموكب سائراً نحو باب العزب فوقف خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم لما أُقفلت الابواب بغتة وسمع اطلاق النار علم المكيدة فهمز جواده وطلب الصحراء قاصداً سوريا . والمتناقل على الالسنة ان امين بك هذا كان داخل القلعة فعند ما حصلت المعركة همز جواده فوثب بو من فوق السور لجهة الميدان فقتل جواده وسلم هو والاقرب للحقيقة ان هذه الاشاعة مختلقة او مبالغ فيها . ثم نودي في الاسواق ان شاهين بك زعيم المماليك قد قتل فخافت الناس ثم طافت العساكر في المدينة ينهبون بيوت المماليك وياخذون حريمهم وجواريهم وعلا الصياح

وفي اليوم التالي نزل الباشا وابنه من القلعة وطافا المدينة فامر الباشا بايقاف النهب وقتل كل من حاول ذلك ولكنه حرّض على قبض من يظفرون بو من المماليك في سائر انحاء القطر فكانوا يأتون بهم افواجاً يسوقونهم كالغنم الى الذبح فبلغ عدد من قتل من البكوات ٢٣ بيكاً . وفي اليوم التالي نزل طوسون باشا الى الاسواق في فرقة من الجند لتسكين القلوب وايقاف النهب . اما الجثث التي كانت في القلعة فاحتفروا لها حفراً جعلوا فوقها التراب وصرح محمد علي باشا بحماية جميع نساء المماليك ولم يسمح بتزويجهن الا لرجاله

وكان ذلك آخر عهد الناس بالمماليك وهكذا كان انقضاء امرهم واذا اردت زيادة التفصيل راجع رواية «الملوك الشارد»

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »

(تابع لما قبله)

(١١) علم اللغة

نريد بعلم اللغة او علم متن اللغة معرفة اوضاع المفردات ويعبر عن مجموعها بالمعجم ثم اطلق عليها لفظ القاموس ومعنى القاموس لغة البحر واول من سمّى المعجم بهذا الاسم الفيروزابادي فانه سمّى معجمه بالقاموس ثم أطلق هذا اللفظ على كل معجم. ويدخل في علم اللغة أيضاً ما يبحث عن ألفاظها من حيث اشتقاقها ونسبتها بعضها الى بعض

وقد تقدم لنا كلام مسهب عن اصل اللغة وألفاظها وتاريخها في السنة الاولى من الهلال وفي المقالة الاولى من تاريخ آداب اللغة في السنة الثانية فلا حاجة بنا الى التكلم فيه الآن وانما نتكلم عن تاريخ المعجمات وما يتعلق فنقول:

كان العرب في بداوتهم يتناقلون الفاظ اللغة تناقلاً على ألسنة الحفّاظ ويسندون عربيّتها الى رواتها من البدو ثم لما اختلطوا بالاعاجم وتحضّروا احتاجوا الى جمع اللغة خوفاً عليها من شائبة الدخيل فأخذوا في جمع المفردات وضبطها والتمييز بين عربيها ودخيلها وما صحت عربيّته او ضُعّفت الى غير ذلك حتى تعدّدت أنواع الالفاظ وتفرّعت وبلغت الأربعين وفرّقوا بينها بأوصافٍ جامعةٍ مانعةٍ منها الصحيح الثابت وهو ما اتفق الرُّواة في نسبته الى العرب نسبةً ثابتةً والمتواتر وهو لغة القرآن وما تواتر على ألسنة العرب والآحاد وهو ما تفرّد بنقله بعض أهل اللغة والمرسل او المنقطع وهو ما انقطع سنده والافراد وهو ما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره

والمصنوع وهو ما أدخل من كلام العرب مما ليس فيه والفصيح وهو ما يدرك حسنه بالسمع والضعيف وهو ما انحط عن درجة الفصيح والمنكر وهو اضعف من الضعيف واقل استعمالاً والمتروك وهو ما كان قديماً ثم تُرِك واستُعمل غيرهُ والرديء المذموم وهو اقبح اللغات وأنزلها درجة والمطرد وهو ما استمرَّ من الكلام في الاعراب وغيرهِ من مواضع الصناعة والشاذ وهو ما فارق ما عليهِ بقيَّة بابهِ والحوشي وهو وحشيّ الكلام وغريبهُ او هو ما نفر عنهُ السمع ويقال لهُ الغريب والشارد والنادر وهو يشبه الشارد والمفاريد وهي ما كان فرداً لا نظير لهُ في الالفاظ المسموعة مع اطباق العرب على النطق بهِ او عدم اطباقهم والمختلف وهو ما اختلف العرب في نطقهِ إمَّا بالحركات او بالاحرف وتداخل اللغات وهو اجتماع لغتين فاكثر في الكلام الفصيح وتوافق اللغات والمعرَّب وهو ما استعملهُ العرب من الالفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها والالفاظ الاسلامية وهي الالفاظ التي حدثت بحدوث الاسلام كقولهم المؤمن والكافر والمنافق وغيرها والمولَّد وهو ما احدثهُ المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم والفرق بينهُ وبين المصنوع ان المصنوع يوردهُ صاحبهُ على انهُ عربي فصيح وهذا بخلافهِ والحقيقي وهو ما دلَّ على ما وضع لهُ والمجازي وهو ما دلَّ على غير ما وضع لهُ لمشابهة في الصور الذهنية والمشترك وهو الاسم الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند اهل اللغة والاضداد وهو ما دلَّ على معنيين متضادين والمترادف وهو عبارة عن الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد والاتباع وهو ان تتبع الكلمة الكلمة على وزنها او رويها اشباعاً وتوكيداً كقولهم عطشان نطشان والعام وهو اللفظ الباقي على عمومهِ ومنهُ الكليات والخاص وهو ما دلَّ على شيء خاص والمطلق وهو ما اطلق بالاستعمال على كلّ فرد من نوعهِ والمقيد وهو ما تقيد بصفة كقولهم لا يقال للكاس كاساً حتى يكون فيها شراب ولا للمائدة مائدة حتى يكون عليها طعام والمشجر وهو ما تفرَّع من لفظ واحد تشبيهاً لهُ بالشجرة والمبدل وهو ما ابدلت بعض حروفهِ بما يقاربها لفظاً والمقلوب وهو ما تغيرت فيهِ مواضع الحروف في اللفظ الواحد مثل جذب وجبذ والمنحوت وهو ما نحت من لفظين فاكثر الى لفظ واحد مثل قولهم بسملَ اي قال بسم الله الرحمن الرحيم وغير ذلك من انواع الالفاظ ما يضيق المقام عن استيفائهِ

واوَّل من دوَّن اللغة في الاسلام ابو عبيدة معمر ابن المثنى البصري النحوي الشهير

ولد سنة ١١٠ وتوفي سنة ٢٠٩ هـ وقد تقدم ذكره بين رواة التاريخ وكان معلماً لهرون الرشيد خامس خلفاء بني العباس وكان اعلم الناس بلغة العرب واخبارهم وايامهم وانسابهم وقد الف في اللغة وغيرها ما ينيف على المئتي مؤلف وكان شديد العناية بقيود اللغة وغرائبها وهو القائل لا يقال كاس الا اذا كان فيها شراب والا فهي قدح ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهي خوان ولا كوز الا اذا كان فيه عروة والا فهو كوب ولا قلم الا اذا كان مبرياً والا فقصب ولا فرو الا اذا كان عليه صوف والا فجلد ولا خدر الا اذا كان خلفه امرأة والا فستر ولا رضاب الا اذا كان في الفم والا فبصاق . وكان ابو عبيدة ثقة في اللغة يرجع اليه في الاسناد

واول من وضع علم متن اللغة وهو علم تعرف به مباني الالفاظ واوضاع المفردات ابو علي محمد بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي المتوفي سنة ٢٠٦ هـ ويعرف بقطرب اخذ النحو عن سيبويه وكان من ائمة عصره وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة وله في اللغة كتاب المثلث وهو على صغره يشهد لصاحبه بالسبق في وضع هذا العلم وقد الف على مثال كتابه هذا كثيرون بعده

وهاك اشهر من كتب في علوم اللغة بين معجمات وغيرها مرتبة اسماؤهم حسب سني وفاتهم

(١) ابو سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالاصمعي توفي سنة ٢١٦ هـ وقد تقدم ذكره بين رواة التاريخ ومؤلفاته لا تعد ولا تحصى ومما وصل الينا منها في اللغة كتاب الفرق مجلد واحد طبع في فينا سنة ١٨٧٦ م

(٢) ابو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفي سنه ٢٩١هـ ومن مؤلفاته كتاب فصيح ثعلب مطبوع في ليبسك سنة ١٨٧٦ ولم يذكره ابن خلكان ولكنه ذكر له مؤلفات اخرى في اللغة والنحو

(٣) ابو القاسم اسماعيل بن ابي الحسن الطالقاني المعروف بالصاحب المولود في اصطخر سنة ٣٢٦ هـ وتوفي بالري سنة ٣٨٥ هـ وكان نادرة زمانه في فضائله ومكارمه وكان من الوزراء الفخام تولى الوزارة اولاً عند مؤيد الدولة من بني بويه والف في اللغة كتاباً سماه المحيط في سبعة مجلدات رتبه على حروف المعجم كثّر فيه الالفاظ وقلل الشواهد ومنه في الكتبخانة الخديوية الآن الجزء الثالث فقط والف كتباً اخرى ايضاً منها الكافي

في الرسائل وكتاب الاعياد وفضائل النيروز وغيرها

(٤) ابو منصور محمد بن احمد الازهري الهروي المولود سنة ٢٨٢ هـ والمتوفى بمدينة هراه سنة ٣٧٠ هـ وكان فقيهاً شافعياً وانما غلبت عليه اللغة واتفق له انه اسر عند القرامطة وكانوا عرباً عاربة فاخذ من كلامهم وكان قد جمع قبلاً شيئاً كثيراً فالف كتاباً في اللغة سماه «تهذيب اللغة» على شكل المعجم رتبه ترتيباً خاصاً فبدأ بحروف الحلق واولها العين ثم الحروف السنانية ثم الشفوية وهو في عشرة مجلدات او اكثر ولا يوجد منه الا بضعة اجزاء خطية في المكتبة الخديوية

(٥) ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفي سنة ٣٩٣ هـ وهو تركي الاصل مولود في فاراب الف في اللغة معجماً سماه «تاج اللغة وصحاح العربية» و يعرف بصحاح الجوهري مطبوع في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ ويقال انه بعد ان جمع كتابه المذكور دفعه الى العرب وقال خذوا لغتكم من رجل اعجمي وقد اختصر الصحاح الشيخ محمد بن ابي بكر الرازي من علماء القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه مختار الصحاح وهو مشهور متداول

(٦) الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي توفي سنة ٤٥٨ هـ وكان اماماً في اللغة والعربية وكان ضريراً ابن ضرير وقد ساعده ذلك على قوة الذاكرة واشهر ما الف في اللغة كتاب سماه «المحكم والمحيط الاعظم في لغة العرب وجمل من غريب الكتاب والحديث وفنون في النحو والادب» ولكنه مشهور بالمحكم ميز فيه بين اسماء الجموع ونبه على الجمع المذكر والفرق بين التخفيف البدلي والقياسي والفرق بين القلب والبدل وشاذ النسب والجمع والتصغير وغير ذلك وقد نحا في ترتيبه نحو كتاب تهذيب اللغة المتقدم ذكره فجعله على ترتيب الحروف الحلقية و يؤخذ ترتيب المحكم من اوائل كلمات هذه الابيات وهي

علقت حبيباً هنت خيفة غدره فقليل كرى جفني شكا ضر صده
سبا زهوه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لحده
نواظره فتاكة بمسيده ملاحته اجرت ينابيع وجده

والمحكم لم يطبع ولكن منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية

ومن مؤلفاته كتاب «المخصص» في ١٧ مجلد كبيراً وهو معجم معنوي وريد

بالمعنوي ما يميزه عن المعجمات اللفظية التي ترتبت فيها الالفاظ بحسب حروفها اما المخصص فقد ترتبت فيه الالفاظ بحسب معانيها فجعلت على شكل مجاميع فما تشابهت معانيه او تقاربت او اختصت بجامعة تجمعها جعله في باب خاص على مثال فقه اللغة للثعالبي لكنه اوسع منه كثيرًا وهو لم يطبع ولكن منه في المكتبة الخديوية نسخة مكتوبة بخط مغربي وقد عزم بعضهم على طبعه ونشره ثم توقف وربما وقفه ما يقتضيه ذلك من النفقات الطائلة لكبر حجم الكتاب ويا حبذا لو عنيت الحكومة بطبعه لانه من افضل كتب اللغة واوسعها

(٧) ابو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الشهير المتوفي سنة ٥٣٨ هـ وهو من ائمة التفسير والحديث واللغة والنحو والبيان وقد تقدم ذكره غير مرة في تاريخ آداب اللغة ومن مؤلفاته في اللغة كتاب اساس البلاغة وهو معجم يمتاز عن سائر المعجمات باعتماد مؤلفه على ذكر استعمال الالفاظ فلا يذكر اشتقاق الفعل ومعانيه المختلفة ولكنه يورد عبارة بليغة يفهم القارئ منها معنى الكلمة وطريق استعمالها وهو يفيد المنشئين بنوع خاص وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٩ هـ بالمطبعة الوهبية في جزئين كبيرين . وله مؤلفات اخرى في فنون مختلفة اما في اللغة فله كتاب سماه مقدمة الادب منه جزء خطي بالمكتبة الخديوية وكتب اخرى لم نعثر عليها

(٨) الحسن بن محمد بن الحسن العمري ثم الصغاني المتوفي سنة ٦٥٠ هـ صاحب كتاب «العباب الزاخر واللباب الفاخر» وهو مشهور باسم العباب قال انه جمع فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة لم نعثر الا على جزء منه خطي في المكتبة الخديوية

(٩) جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين ابي العز مكرم بن نجيب الدين الانصاري الافريقي المصري المتوفي سنة ٧١١ هـ صاحب معجم «لسان العرب» وهو من اشهر المعجمات العربية واطولها طبع في بولاق سنة ١٣٠٠ هـ في ٢٠ جزءًا كبيرًا جمع فيه كل ما ورد في المعجمات التي تقدمته ورتبه على حروف اواخر الكلم وهو مشهور ومعتمد

(١٠) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المولود سنة ٧٢٩ والمتوفي سنة ٨١٧ هـ وهو صاحب كتاب «قاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما

ذهب من كلام العرب شماطيط » ويعرف بقاموس الفيروزابادي او بالقاموس المحيط وهو مشهور وعليه اعتماد ائمة اللغة الآن وقد طبع غير مرة في مجلدين وفي اربعة مجلدات وقد شرحه ابو الفيض محمد بن محمد الشهير بالسيد المرتضي الحسيني الزبيدي المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ في عشرين مجلداً كباراً سماه كتاب « تاج العروس من شرح جواهر القاموس » وقد طبع غير مرة . وترتيب حروف القاموس المحيط على الابجدية ولكن حسب اواخر الافعال وفي شهرته ما يغني عن وصفه

ومن مشاهير المؤلفين في اللغة وما يتعلق بها

	سنة الوفاة هجرية
ابو عبد الله القاسم ابن سلام	٢٢٢
ابو بكر محمد الازدي (صاحب الجمهرة)	٣٢١
ابو الفتح عثمان بن جني	٣٩٢
ابو منصور الثعالبي « صاحب فقه اللغة »	٤٢٩
الحريري صاحب المقامات	٥١٦
ابو منصور الجواليقي	٥٣٩
ابو الفتح المطرزي	٦١٠
سليمان بن بنين الدقيقي المصري	٦١٤
ابو سهل المروي	٦٣٩
محيي الدين ابو زكريا النووي	٦٤١
رضي الدين العدوي العمري الصغاني	٦٥٠
جلال الدين السيوطي	٩١١

واشهر المعجمات الموضوعة في اواخر هذا القرن قاموس محيط المحيط ومختصره قطر المحيط تأليف المرحوم العلامة بطرس البستاني طبعا في بيروت سنة ١٨٧٠ م « واقرب الموارد في فصيح العربيه والشوارد » تأليف الاديب الفاضل سعيد افندي الشرتوني اللبناني طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩ وهو آخر معجم أُلف في اللغة العربية

تجارة الرقيق

كثر تحدث الناس في هذه الايام بالرقيق وتجارته والغائه بسبب ما حدث من القبض على جماعة من نخبة اعيان البلاد ومحاكمتهم بتهمة ابتياعهم بعض الجواري كما تراه مفصلاً في تاريخ الشهر من هذا العدد فرأينا بمناسبة ذلك ان نأتي على تاريخ الاستعباد منذ اول عهده وكيفية التدرج في الغائه وللاحاطة بالموضوع واستيضاحه نقسم الكلام فيه الى قسمين (١) تاريخ الاتجار في الرقيق (٢) تاريخ الغائه

اولاً الاتجار في الرقيق او النخاسة

الاستعباد او اتخاذ العبيد طبيعي في العمران مرافق له منذ اول عهده وهو من قبيل تسلط القوي على الضعيف والانسان مطبوع على حب الاثرة والسيادة فاذا اتيح له الامر استبد به واستعبد القوي الضعيف فالاستعباد قديم في الارض سابق لزمن التاريخ والناس منذ كانوا عائلات وقبائل استخدم قويهم ضعيفهم لا يرون في ذلك غرابة ولا ظلماً

اما التاريخ فاقدم ما وصل الينا منه التوراة وهي تدل على قدم عهد الاستعباد وكثرة شيوعه ويظهر من تصفحها ان الاستعباد كان اذ ذاك على اربعة انواع

(١) استعباد كبار القوم ورؤسائهم لضعفائهم وخدامهم واقدم من استعبد منهم ابراهيم الخليل وكان العبيد عنده على نوعين مولودين في بيته ومملوكين بفضته ومما يؤيد ذلك نص التوراة في سفر التكوين الاصحاح السابع عشر والعدد الثالث وفيه كلام الله تعالى لابراهيم قائلاً «يختن المولود في بيتك والمشترى بفضتك» والمراد بالمولود هنا ما ولد في بيته من العبيد من غير صلبه بدليل قول التوراة في الاصحاح ١٤ عدد ١٤ من ذلك السفر «فلما سمع ابراهيم ان اخاه قد اسر جرد حشمة المولودين في بيته ثلاثمئة وثمانية عشر وجدَّ في اثرهم الى دان وتفرق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم واتبعهم الى حوبة التي عن يسار دمشق»

(٢) استعباد المصريين لليهود وامرهم مشهور وما زالوا الى آخر زمانهم يدعون مصر بدار العبودية واول من بيع منهم للمصريين يوسف بن يعقوب كما هو مشهور

(٣) استعباد اليهود بعضهم بعضاً وسببه اولاً الفقر فكان الرجل اذا احاطت

بهِ الفاقة باع نفسهُ لآخر ليفي عنهُ دينًا أثقل كاهلهُ وهو استرقاق اختياري ويؤيد ذلك ما جاء في سفر اللاويين الاصحاح ٢٥ عدد ٣٩ « وإذا افتقر اخوك معك فباع نفسهُ لك فلا تستخدمهُ خدمة العبيد » ثانيًا العقاب على ذنب اقترفهُ ودليل ذلك ما جاء في سفر الخروج الاصحاح ٢٢ عدد ٣ حيث يقول بعد ان يذكر السرقة التي يقترفها ذلك الرجل « فان وُجد وقد شرقت الشمس فلا يهدر دمهُ وانما يعوض وان لم يكن فليُبَعْ في سرقتهِ » ثالثًا بيع الرجل ابنتهُ لآخر لتكون زوجة لهُ ويؤيد ذلك قول التوراة في ذلك السفر الاصحاح ٢١ عدد ٧ « وان باع احدابنتهُ امة فلا تخرج خروج العبيد »

(٤) استعباد المدن مثل سكان جبعون وهم قد جاؤوا يشوع بن نون في بعض حروبهِ فاعترفوا بانهم عبيد لهُ خوفًا من ان يفتك بهم (راجع سفر يشوع الاصحاح التاسع) ولكنهم لم يكونوا خدمة في بيوت الاسرائيليين بل بقوا في بلادهم ومنازلهم

على ان الاستعباد كان شائعًا في سائر الممالك القديمة في مصر واشور وفينيقية وكان العبيد في جملة تجارة الفينيقيين ثم انتقلت هذه التجارة الى اليونانيين فالرومانيين ولم يكن ذلك امرًا غريبًا عندهم ولا مستقبحًا وكان لتجارة الرقيق اسواق مشهورة في اثينا وغيرها من بلاد اليونان وكانوا يسمون تلك السوق « كوكلوس » وزاد عدد العبيد في بعض ازمنة اليونان حتى فاق عدد الاحرار ويؤخذ من بعض احصاآتهم ان عدد الاحرار كان في مدينة اتيكا ٢١ الفًا والغرباء عشرة آلاف والعبيد اربعين الفًا حتى ان افقر رجل من الاثينيين لم يكن يخلو منزلهُ من عبد يتولى خدمتهُ اما الغني فقد يزيد عبيده على الخمسين والستين ولكنهم كانوا يحظرون استعباد ابناء جلدتهم وقال بعضهم ان بعض عظماء الرومانيين كان في خدمتهِ ما ينيف على عشرة الاف عبد ولا عجب فان بعض سلاطين المماليك وغيرهم قد حازوا في خدمتهم فوق هذا العدد من المماليك

وما زال الاستعباد شائعًا بعد انتشار الديانة المسيحية لانها لم تنهَ عن اتخاذ العبيد صريحًا وان تكن مبادئها العمومية تنفي كل استعباد وتأمر بالمساواة والمحبة والاخاء على ان ذلك قد قلل كثيرًا من الاستعباد وخصوصًا في عهد يوستنيانوس في القرن السابع للميلاد ولكن حروب البرابرة في اوروبا اعادت الاستعباد فاذا كانت الاجيال المظلمة والحروب الصليبية انتشر الاستعباد على هيئات مختلفة اشهرها طرق الاقطاع (التزام

الاراضي) وغير ذلك وما زالت الحال كذلك الى ان افاقت اوروبا من غفلتها في الازمنة الاخيرة فسعت في ابطال الاستعباد كما سيجيء

اما في الشرق فما زال الاستعباد شائعاً متبعاً على اساليب مختلفة متصلاً من قرن الى قرن دائماً في سائر المدن والامصار الى ظهور الاسلام . ويؤخذ من نصوص القرآن الكريم ان ما يكسبه المسلمون بالحرب من الاسرى نساء ورجالاً يكونون عبيداً لهم ولكنه لم يقل بالاتجار بهم او ببيعهم بل اوصى بحسن معاملتهم واعتاقهم اذا التمسوا ذلك واستحقوه ويعبر عن العبيد في القرآن بالعبد والامة او المملوك او « ما ملكت ايمانكم »

ولكن ذلك لم يمنع الاسلام بعد اتساعهم ملكهم من الاتجار بالعبيد والمماليك خصوصاً بعد ان انغمسوا في الترف والبذخ واول من اكثر من ابتياع المماليك الخليفة المعتصم العباسي كما ذكرنا في تاريخ المماليك بالهلال الماضي ومطالعة ما كتبناه هناك وفي هذا العدد عن المماليك ما يكفينا مؤونة التكرار . وبقي الاستعباد شائعاً مباحاً الى اواسط القرن الماضي ثم شرع في ابطاله كما سترى

ثانياً تاريخ الغاء تجارة الرقيق

لا ريب ان العقلاء ونصراء الانسانية استنكفوا منذ القدم من استعباد بني الانسان ورأوا وجوب ابطاله ولكنهم لم يستطيعوا اخراج ذلك من القوة الى الفعل نظراً لميل النطرق البشرية اليه خلقة . اما الانبياء فقد مهدوا السبيل الى ذلك بما وضعوه من الشرائع والسنن فان الشريعة الموسوية جعلت للعبيد امتيازات وحقوقاً وقالت بمساواة العبيد والاسياد في الثواب والعقاب وفرضت على الاثنين فروضاً متساوية فاذا استأثر اليهودي بعبده وظنه احط منه درجة في الانسانية لا يلبث ان يعلم يوم السبت انهما تحت شريعة واحدة لان شريعتهم تأمرهم جميعاً امراً واحداً في حفظ يوم السبت وتذكرهم بانهم كانوا عبيداً في ارض مصر (سفر التثنية الاصحاح ٥ العدد ١٤ و ١٥) وتأمرهم سواء في دخول الهيكل وحضور الاحتفالات العمومية وكان العبيد يتعلمون الفروض الدينية والقواعد الادبية مثل اسيادهم وكانت لهم ايام معلومة واسابيع وسنين مقدرة يكفون بها عن العمل ولهم ان يختاروا اسياداً غير اسيادهم واذا سامهم اسيادهم بما هو خارج عن حدودهم أعتقوا وغير ذلك من الامتيازات فكأن شريعة موسى قد مهدت السبيل لتحرير العبيد

اما الديانة المسيحية فقد قلنا انها لم تامر بمنع الاتجار بالرقيق صريحاً ولكنها قالت بذلك ضمناً كما يفهم من مآل تعاليمها كقول بولس الرسول في رسالته الاولى الى كورنثوس الاصحاح السابع والعدد ٢١ «أدعيت وانت عبد فلا يهمك ذلك ولكن ان امكنك ان تنال الحرية فالاحرى ان تغتنمها» وغير ذلك مما يدعو الى الحرية الشخصية وفي تعاليمها عن المحبة وتقبيح اعمال البشر الدالة على القسوة والاستبداد ما يقوم مقام الدعوة الى الحرية

اما الاسلام فقد تقدم ان القرآن لم يدع الى الاستعباد من طريق البيع والشراء وانما قال به في الحرب ولكنه اوصى بحسن معاملة العبيد وفي الحديث النبوي اقوال صريحة بتحسين الاعتاق والترغيب فيه مثل ترغيب العبيد بالايمان والتقوى والتخلص من الاسر وما شاكل ومن الاحاديث النبوية في حسن معاملة العبد «لا يقلن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي»

وما جاء في القرآن بحسن معاملة العبيد في سورة النساء قوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) وقد ورد ايضاً من الآيات ما يامر باعتاقهم من ذلك ما جاء في سورة النور (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههنَّ فان الله من بعد اكراههنَّ غفور رحيم)

ولاطلاق سراح العبيد في الاسلام اربع طرق (١) الاعتاق . وذلك ان يقول صاحب العبد لعبده قد اعتقتك او انت معتوق او نحو ذلك فهو من ذلك الحين حرٌّ (٢) الكتاب . وهو ان يكتب العاتق للمعتوق كتاب العتق مقابل دية يدفعها (٣) التدبير . وهو اعتاق العبد او الامة بوصية تنفذ بعد موت المالك (٤) الاستيلاد . وذلك ان الامة اذا وضعت مولوداً من سيدها فتصبح حرة وتدعى من ذلك الحين «ام الولد» ويكون اولادها احراراً ايضاً

ومما يوجب الاعتاق في الاسلام ايضاً التكفير عن ذنب مثل الافطار في رمضان

وقت الصوم او الرجوع بالقسم كأن يقسم الرجل بالطلاق مثلاً ثم يندم فيكفر عن يمينه بتحرير رقبة لكي لا يطلق امرأته وقس عليه

على ان الاستعباد ما زال جارياً منتشراً يزداد يوماً فيوماً وخصوصاً في ازمنة المماليك حتى اصبح الجند المصري اذ ذاك فرقاً سوداً وفرقاً بيضاً وكلهم ارقاء او المماليك . ولم يقم احد ولا جماعة تنصر هؤلاء الضعفاء وترفع عن اعناقهم ذلك النير الذي هو من آثار الاستبداد والاستئثار الى اواسط القرن الماضي

وكان الاستعباد في الازمنة الاولى على غير ما وصل اليه في القرون الاخيرة اما قديماً فكان العبيد او المماليك في الغالب اسرى الحرب او المتطوعين للخدمة لقاء مكافاة وقلما كانوا يتجرون بهم على مثل ما كان جارياً مؤخراً الاّ المماليك فانهم كانوا يبيعونهم احياناً

واما اخيراً فانحصرت النخاسة تقريباً في العبيد السود من اهالي اواسط افريقيا والحبشة واول من باشر هذه التجارة البورتوغاليون سنة ١٤٨١ فكانوا يجلبون العبيد من الكونغو والانجولا ثم انتشرت تلك التجارة في الاصقاع المجاورة لخط الاستواء وكثر النخاسون من سائر الدول ويقال ان مساحة الارض التي كانوا يستجلبون اولئك العبيد منها تزيد على اربعة ملايين من الاميال المربعة على جانبي خط الاستواء وفي بلاد الحبشة

واول من سعى في ابطال هذه التجارة فئة من المسيحيين في بلاد الانكليز يقال لهم الكويكر وقد هموا بالامر في سنة ١٧٢٧ ولم تات سنة ١٧٥١ حتى ابطلوا استخدام الرقيق من منازلهم وفي سنة ١٧٧٢ اصدر القضاة في لندرا قراراً رسمياً ان كل عبد تطأ قدمه ارضاً انكليزية يكون حراً . وفي سنة ١٧٨٣ اعرض جماعة الكويكر الى مجلس الاعيان الانكليزي يطلبون الغاء تجارة الرقيق جملة وفي سنة ١٧٨٧ تأسست في لندرا جمعية موضوعها السعي في ابطال هذه التجارة انتظم في سلكها جماعة من كبار الانكليز وسراتهم فاعادوا الكرة على مجلس الاعيان سنة ١٧٨٨ والتمسوا الاقرار رسمياً على ابطال هذه التجارة وما زالوا يناضلون ويجادلون ويعاودون الكرة بعد الكرة حتى صدر قرار رسمي سنة ١٧٩١ مآله منع حمل الرقيق الى ايالات الهند ولكن ذلك لم يقنع الجمعية ولا اسكنها فما زالت تحرك الهمم وتقدم العرايض حتى اصدر مجلس الاعيان (البرلمان)

قرارًا رسميًا بالغائها جملة سنة ١٧٩٦ على ان ذلك القرار لم يثبتهُ الملك الا في ٢٥ مارس سنة ١٨٠٧ وجعلوا عقاب التاجر في الرقيق ١٤ سنة في الاشغال الشاقة ثم اغلظوا العقاب فجعلوهُ اشغالاً شاقة طول الحياة

وفي نحو ذلك الزمن نشأت جمعية اخرى دعوها «الجمعية الافريقية» وهذه اختلطت بعدئذ بجمعية «مقاومة الاستعباد» وانشئت ايضًا جمعيات اخرى في اماكن اخرى وموضوعها كلها تحرير العبيد وابطال الاتجار بهم فصدر قرار رسمي مصدق عليهِ من ملك انكلترا بتاريخ سنة ١٨٣٣ بتحرير العبيد من سائر المملكة الانكليزية وسنوا لذلك قانونًا مبنيًا بكيفية معاملة العبيد اذ ذاك ومن جملة ما قرروهُ هناك ان من كان منهم فوق السادسة من عمره يدخل المعامل لممارسة الصناعة ووضعوا لهم روابط اخرى ليس هنا محل استيفائها

واخذ تحرير العبيد ينتشر في سائر انحاء اوروبا والدول تصادق عليهِ حتى لم تبق دولة الاَّ عملت بهِ وفي سنة ١٨٧٠ جاء الاقطار السودانية السير صموئيل باكر احد رجال انكلترا بقصد ابطال النخاسة تطاف انحاءها ونادى بالحرية وجعل يعلم الناس الحرية الشخصية ثم جاء بعدهُ الجنرال غوردون الشهير وقال مثل قولهِ فتمرد السودانيون وغضب النخاسون والمظنون ان ذلك كان من اكبر العوامل في قيام الدعوة المهدوية وتمرد الدراويش لان اطلاق الحرية دفعة واحدة بعد الاستعباد يؤول الى الثورة كما ان رفع الضغط عن باطن الارض بغتة يفتح البراكين

اما مصر فكانت قد سعت في ابطال الرقيق قبل معاهدتها مع انكلترا كما يفهم من نص تلك المعاهدة اما المعاهدة فهي التي ابرمت مع الخديوي الاسبق اسماعيل باشا في ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧ مآلها منع تجارة الرقيق منعًا تامًا وفرضت على من يتجر بها عقابًا صارمًا وعاملته في المحاكمة معاملة السارقين والقاتلين وجعلت محاكمتهُ في مجلس عسكري وسنت بنودًا لاطلاق سبيل كل عبد واعطائهِ كتاب الحرية وانشأت للقيام بهذه الاعمال قلمًا دعتهُ قلم الرقيق في كل من القاهرة واسكندرية اما خارجهما فجعلت امر ملاحظة ذلك منوطًا بمفتشي العموم

وعقدت مثل هذه المعاهدة ايضًا بين انكلترا والباب العالي فصار الاتجار ممنوعًا في سائر المملكة العثمانية ولم يزل كذلك الى الآن

ولا ريب ان ابطال النخاسة وتحرير الارقاء من عبوديتهم لمن اكثر اعمال الانسان فضلاً واعظمها اجراً فان بني الانسان اخوة في الانسانية واذا امتاز بعضهم عن بعض انما يكون ذلك كاختلاف الاخوة قوة وعقلاً فيجب على القوي منهم مساعدة الضعيف ليخفف عنه اعباء هذه الحياة لا أن يزيده اثقالاً بالاستعباد والاستبداد . ولا مشاحة في ان ابطال هذه التجارة من اعظم الادلة على ارتقاء عقول ابناء هذا القرن ورقة عواطفهم

باب المراسلات

ساعات الفراغ

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

ان ما اتيتم به من المقالات المفيدة في هلالكم الباهر يحملنا ان نثني على همتكم وفضلكم الثناء الجميل حيث انكم اخذون في نشر كل ما يعود بالنفع الجزيل للوطن وخصوصاً تلك المقالات الرنانة في « ساعات الفراغ » فانها حازت رضى جميع القراء الكرام لما حوته من حقائق المعاني ودقائق المباني فنرجو من بحر معارفكم الواسع اشباع المقال بهذا الموضوع الجزيل الفائدة والكثير النفع تعميماً للتهذيب وحفظاً لآداب بعض شباننا وحرصاً على دراهمهم المبذولة جزافاً في تلك الساعات الملعونة اذ اننا نرى كثيرين من الشبان يقضون ساعات فراغهم باللهو ومعاشرة فلانة وفلاناً في قهوات البرج التي كثرت في هذه الايام وفاقت المدارس والمكاتب والجرائد احصاء فانها ولله الحمد قد تجاوزت الخمسين عداً على ان مدارسنا البيروتية وجرائدنا ومكاتبنا جميعاً لا تكاد تبلغ هذا العدد واذا اردنا مقارنة قهوات بيروت بقهوات باريس التي تفوقها بعدد السكان والتمسك بالبذخ واللهو لرأينا قهوات بيروت اكثر عدداً بالنسبة لعدد سكانها وغناها

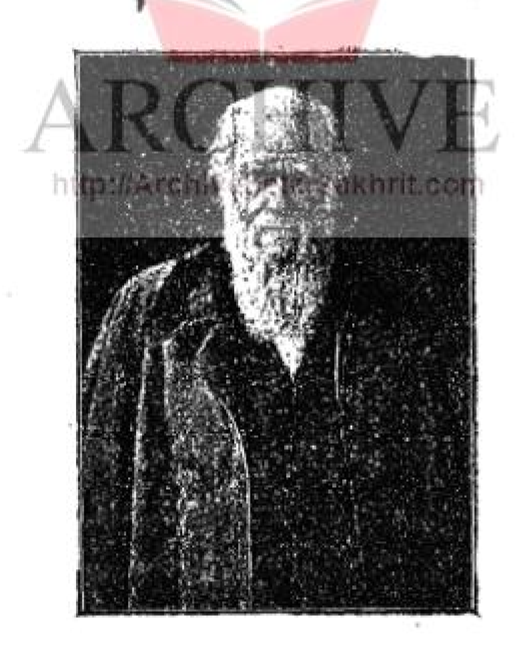
فيا حبذا لو ان هؤلاء المترددين الى تلك الاماكن بدلاً من ان يقضوا ساعات فراغهم في الملاهي والكسل والملذات المبيدة لدينهم ودنياهم يقضونها في مطالعة كتاب

الهلال

الجزء الثالث من السنة الثالثة

﴿ اول اكتوبر سنة ١٨٩٤ ؛ ٢ ربيع الثاني سنة ١٣١٢) (٢٢ توت سنة ١٦١١ ﴾

اشهر الحوادث واعظم الرجال



﴿ شارلس داروين ﴾

﴿ ولد سنة ١٨٠٩ وتوفي سنة ١٨٨٢ م ﴾

هو صاحب المذهب الشهير المعروف بالمذهب الداروينى نسبةً اليهِ والمذهب الداروينى ويقال لهُ مذهب النشوء والارتقاء من المذاهب الحديثة التي قامت لهُ اوروبا وقعدت في النصف الثاني من هذا القرن وتضاربت فيهِ الاقوال واختلفت فيهِ الآراء بين مصدق ومنتقد ومصوّب ومخطّيء على ان ذلك الاختلاف على تعاظمهِ لم يزد صاحبهُ الاشهرة لتفضلهِ على العلوم الطبيعية وغيرها بابحاثهِ الدقيقة وهذا ما حدا بنا الى ذكر ترجمة حالهِ مع تبيان حقيقة مذهبهِ واعتراض العلماء عليهِ تاركين الحكم فيهِ لفطنة القارىء . والعلماء على اختلافهم في مؤداهُ متفقون في فضل صاحبهِ على العلم بما جمعهُ من التجارب التي استغرقت اعواماً متطاولة ما لا يتأتى لاحد ان يجيء بمثلها كما سترى . وللاحاطة بذلك نقسم الكلام فيهِ الى قسمين اولاً ترجمة حياتهِ ثانياً مذهبهُ

(١) ترجمة حياته

ولد شارلس داروين في بيت عريق في العلم لانهُ ابن روبرت داروين بن اراسموس داروين الطبيب الانكليزي والشاعر المفلق الذي اشتهر في القرن الماضي باشعاره العلمية وفي جملتها كتابهُ « الحديقة النباتية » و « شرائع الحياة العضوية » و « شرائع الزراعة والاستنبات » وغير ذلك مما جعل لهُ ذكراً حسناً بين معاصريهِ

اما صاحب الترجمة فولد في اوائل سنة ١٨٠٩ في بلدة شروسبري من بلاد الانكليز واخذ مبادىء العلم عن الاسقف بطلر الفيلسوف الشهير في مدرسة من مدارس شروسبري ثم انتقل سنة ١٨٢٥ الى مدرسة ايدنبرج ثم مدرسة كمبردج فنال رتبة البكلوريا وهو في الثانية والعشرين من عمره وكان منطوراً على حب العلوم الطبيعية وخصوصاً التاريخ الطبيعي النبات والحيوان ولعاً بدرس خفاياه كثير المراقبة لحركات الحيوان ودرس طبائعهِ فاتفق عند نيلهِ البكلوريا ان الحكومة الانكليزية اعدت سفينة اسمها البيجل (كلب الصيد) وجعلت فيها جماعة من العلماء يطوفون بها الكرة الارضية من اقصائها الى اقصائها للبحث عن الغوامض العلمية فاغتنم داروين تلك الفرصة وساعدهُ استاذهُ في علم النبات حتى تمكن من النزول في السفينة على شريطة ان ما يجمعهُ من الرواميز والامثلة من نبات وحيوان انما يكون ملكاً خاصاً لهُ على ان لا يكلف السفينة شيئاً من النفقة لانهُ كان من ذوي اليسار .

فقضى في ذلك الطواف خمس سنوات بالبحث والاختبار فاتسعت دائرة معارفهِ

وعلم ان في العلم مجهولات لا تعد ولا تحصى وكلها تحتاج الى بحث طويل ونظر دقيق والف بعيد عودتهِ كتاباً سماه « سياحة طبيعي » ضمنهُ ملخص آرائهِ التي ظهرت بعد ذلك مطولة في كتبهِ الاخرى

وبعد ان عاد من سفرتهِ هذه بثلاث سنوات تزوج بابنة خالتهِ سنة ١٨٣٩ وبعد ثلاث سنوات اخر انتقل الى مقاطعة كِنت وسكن بالقرب من قرية دَوْن شيخاً عليها وقضى باقي حياتهِ مكباً على التاليف والتصنيف في علم الحياة (البيولوجيا) في الحيوان والنبات وارتأى بهِ اراء خصوصية اشتهر بها اشتهار نيوتن بعلم الفلك وليل بعلم الجيولوجيا وسبنسر بعلم العمران وبلغ عدد مؤلفاتهِ بضعة عشر مجلداً ضخماً فضلاً عن المقالات والمراسلات والمداولات وكل ذلك مبتكر من بنات افكاره ونتيجة بحثهِ الخصوصي ودرسهِ الطويل وهاك اسماء مؤلفاتهِ مرتبة حسب سني صدورها

(١) كتاب « سياحة طبيعي » (٢) بناء الصخور المرجانية وتفرقها في البحور (٣) الجزائر البركانية (٤) ملاحظات جيولوجية في اميركا الجنوبية (٥) اصل الانواع (٦) تلقيح النباتات السحلبية (٧) تلقيح الازهار (٨) اشكال الازهار (٩) تسلسل الانسان وناموس الانتخاب الجنسي (١٠) ملامح العواطف في الانسان والحيوان (١١) دورة الارض · وغير ذلك

وفي كل من هذه المؤلفات من الابحاث والادلة والقياسات ما يدل على سعة اطلاعهِ وتأنيهِ واعتدالهِ · وتوفي في ١٩ افريل سنة ١٨٨٢ ودفن بجانب قبر السير وليم هرشل الفلكي الشهير بقرب مدفن اسحق نيوتن شيخ الفلاسفة · وحمل نعشهُ جماعة من عظماء الانكليز منهم دوك اركيل واللورد دربي ولول رئيس جمعية العلوم الملكية ووالس وهوكر وهكسلي ولبك وغيرهم ومشى في جنازتهِ نخبة اشراف الانكليز وسفراء الدول

وكان شارلس داروين ساذج المعيشة كريم الاخلاق لين العريكة حسن المعشر دقيق الملاحظة لا يستنكف من سماع احاديث البسطاء وعامة الناس لاعتقاده ان حديثهم لا يخلو من فائدة حتى ضرب بهِ المثل بالدعة واللين وحسن الطوية

(٢) مذهبهُ

اشتهر شارلس داروين خاصة بمذهبهِ المتقدم ذكره في النشوء والارتقاء وخلاصتهُ

«ان انواع الحيوان العديدة من ذوات الثدي والاسماك والطيور وغيرها على اختلاف انواعها واشكالها لم توجد كلها دفعة واحدة على ما هي عليهِ ولكنها نشأت عن اصل واحد او بضعة اصول وكذلك انواع النبات» وتفصيل ذلك ان الناس ما زالوا الى اوائل هذا القرن مجمعين على ان انواع الحيوان المتقدم ذكرها وجدت مستقلة بعضها عن بعض منذ الخليقة اي ان الحصان مثلاً كان حصاناً منذ الخليقة والبعوضة بعوضة منذ الخليقة والسمكة سمكة منذ الخليقة وهكذا . فظهر في اوائل هذا القرن عالم فرنساوي اسمهُ لامارك الف كتاباً في فلسفة الحيوان سنة ١٨٠٩ وكتاباً آخر في تاريخ الحيوان العديم الفقرات سنة ١٨١٥ قال فيهما «بعدم ثبوت الانواع المشار اليها وانها انما تدرجت وتكاملت بالاشتقاق بعضها من بعض من ادناها الى اعلاها بالنموّ التدريجي» وهو قول يشبه قول داروين الاَّ انهما يختلفان في كيفية حصول ذلك التدرج والاشتقاق فنسب لامارك ذلك الى اسباب اهمها العادة والضرورة ونوع المعيشة والتفاوت في استعمال الاعضاء وتأثير الاحوال الخارجية والوراثة فعنده ان الجسم يتوفق للاحوال الخارجية ولاحتياجاته بقوة فيهِ . واما داروين فعنده ان التوفق المذكور حاصل من تأثير الاحوال الخارجية لا عن استعداد فيهِ لقبولهِ

فيقول لامارك ان الخلد ليس لهُ عينان او هما اثريتان فيهِ لانهُ يسكن تحت الارض فلا يحتاج اليهما وقال اذا ربطنا احدى عيني الطفل ينتهي بهِ الامر بعد زمن ان يصير بعين واحدة واذا تكرَّر ذلك عدة اجيال تكون نسل اعور . وان الافاعي انما كانت ذات شكل مستطيل وجسد املس لانها تمرّ في مسالك ضيقة . وان الطيور المائية تولد لها غشاء بين اصابعها لاحتياجها الى السباحة وتعودها اياها وان الاوز لم يطل عنقهُ ويغنِ الاَّ لمحاولتهِ التقاط غذائهِ من اسفل الماء وان الزرافة انما كان عنقها طويلاً لاحتياجها الى التطاول بهِ الى اوراق الشجر العالية وقس عليهِ

وقد انتصر لرأي لامارك هذا بعض من عاصره من العلماء وناقضهُ بعض ولم يُنتبه لرأيهِ هذا حق الانتباه الاَّ عند ظهور كتاب داروين في «اصل الانواع» فكان لهُ تاثير عظيم في عالم المعارف وظهر لهُ من الانصار والاضداد جمع غفير وقام الجدال على ساق وقدم وبلغ دويهُ بلاد المشرق فتحدث بهِ الناس في المجتمعات العلمية في سورية ومصر حتى انقسموا عليهِ واختلفوا في التخطئة والتصويب فذهب كل منهم نظرًا

يناسب مداركه ومنهم من اتهم صاحبهُ بالكفر والجنون ومنهم من ادعى لهُ النبوَّة والفلسفة . وليس من غرضنا ولا نحن في موقف يتيح لنا الحكم فيهِ لخطارتهِ ودقتهِ فضلاً عن ان البحث فيهِ واستيفاءه يستغرق زمانًا طويلاً وبحثًا دقيقًا لا يسعهما المقام ولكننا قيامًا بواجب الجريدة نذكر خلاصة المذهب ومستندات صاحبهِ واهم ما ورد عليهِ من الاعتراضات فنقول

ان خلاصة مذهب داروين هو « ان انواع الحيوان والنبات على تكاثرها واختلاطها واختلاف تنوعاتها لم تخلق كما هي ولكنها تفرعت عن اصل واحد او بضعة اصول »

اما اسانيده في ذلك فهي

(١) ان الاجسام الحية يموت منها بالعوارض اكثر مما يعيش

(٢) ليس بين الاحياء حيَّان متشابهان تمام المشابهة

(٣) ان الخصائص التي يمتاز بها افراد الحيوان قابلة للانتقال منها الى اولادها

(٤) لا يعيش من تلك الافراد ويتناسل الَّا التي هي اكثر موافقة للاحوال المحيطة بها

(٥) ان بقاء الاجسام الحية لموافقتها الاحوال المحيطة بها يحفظ التوازن بين تلك الاجسام واحوالها

(٦) احوال الاحياء تتغير دائمًا ولكن تغيرها بطيء

(٧) طبائع الاحياء اذا لم تتغير بتغير الاحوال حفظًا للتوازن فانها تنقرض

(٨) التغيرات التي تحدث بذلك في الافراد تزداد اختلاطًا وتشوشًا بمقتضى الناموس القاضي بان الاختلاف في بعض اعضاء الجسم يحدث اختلافًا في الاعضاء الأخرى

(٩) كل عضو من اعضاء الجسم الحي يغتذي بقدر ما يعمل

واستنتج داروين من هذه المقدمات ان هذه التغييرات تجتمع على توالي الازمان وطول المدة فيحدث عنها اختلاف الانواع وقد فرض لحدوثها زمنًا طويلاً جدًّا . وسمى مجمل هذه العوامل او عاملها الاصلي « الانتخاب الطبيعي » ومعناه ان الطبيعة او الاحوال الخارجية تنتخب من الاحياء ما يوافقها بطباعه ونوع معيشتهِ وتبيد ما لا يوافقها وهذا معنى تسمية هذا العامل ايضًا « ببقاء الاصلح » اي ان الطبيعة لا يبقى فيها الَّا ما يصلح لها وبعبارة اخرى ما يوافق عوارضها وتغيراتها طبقًا لتغيرها فيحفظ التوازن

وقد يتبادر الى ذهن القارىء ان من مآل هذا المذهب ان انواع الحيوان تدرجت الى ما هي عليهِ الآن بانتقال احدها من نوع الى نوع معها كأن تصير النحلة مثلاً كلباً ثم يصير الكلب جملاً والجمل فيلاً ولكن المراد ان النحلة والكلب والجمل والفيل تفرعت من اصل آخر هو غير كل واحد منها كتفرع الاغصان من جذع واحد وهاك ما قالهُ داروين نفسهُ في كتابهِ اصل الانواع بالحرف الواحد قال « ارى ان حيوان الارض من باقٍ وبائد متسلسل من اربعة آباء او خمسة على الكثير وان نبات الارض قد تسلسل من مثل عدد هذه الاصول او اقل وقياس التمثيل يدلني على تسلسل كل نبات الارض وحيوانها من اب واحد ولكن التمثيل قد يكون غروراً »

هذه خلاصة راي داروين وادلتهِ اما الذين اشتغلوا بنقض هذا الراي فقد جاؤوا باعتراضات طبيعية واعتراضات تاريخية

اما الاعتراضات الطبيعية فهي

(١) ان الاجسام الحية من ادناها الى اعلاها لا تزال هي هي منذ ابتداء العالم الى الآن ولم يحدث فيها تغيير البتة

(٢) ان الطوائف الاربع او الخمس الكبرى للمملكة العضوية من النبات والحيوان وهي الاولي والمشععة والرخوة والمنصلبة حتى ذوات الفقرات يوجد منها آثار مجتمعة او متجاورة في اسفل طبقات الارض فلو كان مذهب النشوء صحيحاً لاقتضى ان يكون الاعلى منها بعد الادنى كأن تكون اولاً النباتات ثم الحيوانات مرتبة حسب درجات ارتقائها الى الحيوانات الفقرية

(٣) اننا نجد في الطبقات الحديثة من الارض اجناساً او انواعاً ادنى مما في الطبقات القديمة

(٤) ان كثيراً من الاجناس والطوائف كان في الازمنة الاولى ارقى منهُ اليوم

والاعتراضات التاريخية هي

(١) ان بعض الشعوب الحاضرة لا يزال كما كان منذ اجيال عديدة في عهد الموث ودب الكهوف والايل العظيم يحارب باسلحة من الحجر ويسكن اكواخاً من ورق الشجر

(٢) ان بعض الشعوب اذا بلغ درجة معلومة من التمدن وقف ساكناً زماناً طويلاً ربما تجاوز الالف سنة كالصينيين

(٣) ان بعض الشعوب بعد ان بلغ درجة معلومة من التمدن عاد فانحط الى حضيض الجهل والغباوة

هذه خلاصة ما اعترضوا به على ذلك الرأي . وقد ردَّ اصحاب الراي ردوداً اخرى ورد عليهم المعترضون وطال الجدال والاخذ والرد مما لا محل له هنا وانما نكتفي بما اوردناه بيانًا لهذا الراي والاعتراض عليه

ويتفرع من الراي الداروبني في اصل الانواع رايهُ في تسلسل الانسان وقد وضع في ذلك كتابًا مرَّ ذكره ذهب فيه الى ان الانسان متسلسل من نوع من القرود باد واندثر وانهُ وبعض انواع القرود من اصل واحد مشترك في الصفات بينهُ وبينها او هو حلقة واصلة بينهما وجاء بالادلة التشريحية والفسيولوجية والطبيعية وقال ان رأيهُ هذا لا يتأيد الاّ متى عثر على تلك الحلقة ويظن زعماء هذا الراي ان تلك الحلقة او ذلك الحيوان المتوسط في الصفات بين الانسان والقرد اذا وجد فانهُ يكون في المحجرات القديمة لانهُ انقرض من سطح الارض وهذا ما يعبرون عنهُ بالحلقة المفقودة ويزعمون ان ذلك الحيوان يجب ان يكون جامعًا لصفات الانسان والقرد كأن يكون مثلاً منتصب القامة مستدير الراس ناطقًا ببعض النطق ضاحكًا بعض الضحك وغير ذلك من صفات الانسان وان يكون كثير الشعر ذا ذنب قصير وما شاكل ذلك من صفات القرود . والقائلون بهذا القول يبحثون عن تلك الحلقة في طبقات الارض وظنوا من بضع سنين انهم عثروا عليها ثم وجدوا انهم كانوا واهمين

على ان هذا الراي وان يكن فرعًا من رايهِ في اصل الانواع فقد هاج خواطر الناس في اوربا واميركا وغيرهما فتقولوا على داروين وسلقوه بالسنة حداد واكثروا من التنديد فيه والطعن عليه وهم بين محتقر وساخر ومناضل ومناظر ولم يحرم داروين ايضًا انصارًا اخذوا بيده ودافعوا عن رايهِ . ولا يزال رايهُ هذا في مقام رايهِ في اصل الانواع من حيث الثبوت والنقض بل هو احوج الى الاثبات ربما يجدون الحلقة المفقودة

على ان مذهب التسلسل او النشوء او تحول الانواع وهو مذهب داروين المتقدم ذكره سواء ثبت او نقض فانهُ لا يحط شيئًا من قدر ما اتاه صاحب الترجمة من الخدم الثمينة للعلم فقد غير العلوم كلها وسبكها بقالب حديث واصبح نظر العلماء فيها الآن غير ما كان عليه قبلهُ وهذا امر اقرَّ به خصومهُ على اختلاف اغراضهم

وهم يعبرون عن ذلك الرأي بالارتقاء العام فالارتقاء واقع في الطبيعة شامل لكل احوالها من حيّ وغير حي ويراد بالارتقاء هنا ميل الموجودات على اختلافها الى التدرج في التحول صاعداً او نازلاً والاقتراب من الكمال بالتفرع من الكل الى الجزء ثم ارتقاء الجزء على هذه الكيفية حتى يصير كلاً مستقلاً وذلك ظاهر في احوال الحياة واعراضها ولوازمها كاللغة وانواع المعائش من الصنائع والمتاجر والقوانين والعلوم وسائر احوال الاجتماع كالجمعيات والحكومات والممالك والدول وما شاكل مما لا يخفى على المتأمل

﴿ وصف الهلال ﴾

اطلعنا على ابيات مما نظمه شعراء العرب في وصف هلال السماء فاخترنا منها بعضاً لنذكرها في الهلال من باب مراعاة النظير وهي

﴿ قال الصلاح الصفدي ﴾

هلالنا في افقه قد بدا ... وهو الى الانفس محبوبُ
كحاجب من الورد شائب ... الكنه في الوضع مقلوبُ

﴿ وقال ﴾

لا يعجب الناس من شكل الهلال اذا ... ما لاح في الافق الغربي منتصبا
سعى ليخرج من تحت الشعاع الى ... ان انحنى ظهره من اجل ما تعبا

﴿ وقال مضمناً ﴾

يقول هلالنا في كل شهر ... مقالة ذي عناء واكتئاب
مضى زمني ولي وجه مليح ... افوق به على الخود الكعاب
وقد اصبحت منحنيا كأني ... افتش في التراب على شبابي

﴿ وقال ﴾

تبدّى هلال الافق في الشرق بعدما ... تمحق من ارجائه النور وامحى
فأشبهَ والتشبيه شتى ضروبه ... بقايا طحين لاح في جانب الرحى

﴿ وقال ﴾

تقاسم الناس تشبيه الهلال ولـ ... ـكن قال منهم ظريف عند ما لمحهْ
كأنه شارب ظام حسا لبناً ... وراح وهو على فيه وما مسحهْ

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

«النهضة العربية في عصر العباسيين»

(تابع لما قبله)

(١٢) علم البيان

قد رأيت فيما مرّ من كلامنا عن علوم اللغة ان تلك العلوم حدثت بحدوث العمران في الاسلام وانها تدرّجت في الحدوث تبعاً للحاجة اليها فحدث اولاً النحو ثم الصرف ثم جمعت المعجمات فلما اتسع سلطان العرب واتسع رواق الاسلام جنحوا الى التأنق في الكتابة والتفنن في الانشاء فرأوا ان يجعلوا لذلك في لسانهم قواعد وروابط فاستحدثوا علم البيان ويدعى علم المعاني والبيان او علم البلاغة ويطلق علم البلاغة على علم المعاني والبيان ويطلق علم البيان على علوم المعاني والبيان والبديع وهي بالاجمال تفيد النظر في تركيب الجمل وما تؤديه من المعاني بالنسبة لنوع ذلك التركيب واما بالتفصيل فعلم المعاني يحتذر به من الخطإ في تأدية المعنى المراد والبيان يحتذر به من التعقيد المعنوي والبديع يراد به تحسين الكلام وزخرفته

وقد انتبه أئمة اللغة الى هذه العلوم وتكلموا بها وكتبوا فيها رسائل ومقالات متفرقة غير وافية بالمراد واقدم من كتب منهم في ذلك جعفر بن يحيى البرمكي المتوفى سنة ١٨٧ ه والجاحظ البصري المتوفى سنة ٢٥٥ ه وهو صاحب الفرقة المعروفة بالجاحظية من فرق المعتزلة وقد الف في كل فن وله في البيان كتاب اسمه البيان والتبيين ذكره ابن خلكان ولم نقف عليه . وممن اشار الى علوم البيان قدامة وغيره غير ان كتاباتهم لم تكن لتفي بالمراد وانما هي نتف متفرقة

على انهم ينسبون لكل علم من تلك العلوم واضعاً على حدة فواضع علم البديع ابو

العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٧ وتوفي سنة ٢٩٦ ه وكان اديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً جيد القريحة حسن الابداع للمعاني محباً لمجالسة العلماء وكان لفرط ولعه في ... الادب قد وضع علم البديع والف فيه كتاباً سماه كتاب البديع . واما في غير هذا الفن فلهُ مؤلفات جمة ذكرها ابن خلكان ومن كلامهِ « البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام »

وفي القرن الخامس للهجرة ظهر الجرجاني فوضع علمي المعاني والبيان والجرجاني هو عبد القاهر بن عبد الرحمن ابو بكر الجرجاني النحوي المشهور اخذ النحو عن ابي الحسن محمد بن علي الفارسي وكان من كبار أئمة العربية ولهُ تآليف في النحو وغيره وكان حسن الشعر . ونشأ بعد الجرجاني جماعة كبيرة من علماء اللغة فألفوا في هذه العلوم ووسعوها وبوَّبوها وتفننوا فيها

واشهر من كتب في علم البيان السكاكي الشهير فهو الذي محض زبدته وهذب مسائلهُ ورتب ابوابهُ على ما هي عليهِ الآن . والسكاكي هو الامام ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي المولود سنة ٥٥٥ والمتوفي سنة ٦٢٦ ه في خوارزم وقد اشتغل بسائر علوم اللغة والف كتاباً سماهُ « مفتاح العلوم » قسمهُ الى ثلاثة اقسام الاوَّل في علم الصرف والثاني في علم النحو والثالث في علم المعاني والبيان والبديع وختمهُ بما يكمل بهِ علم المعاني وهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الاستدلال وذلك علم المنطق ثم ما يتم بهِ الغرض من علم المعاني وهو الكلام في الشعر وذيَّلهُ بخاتمة في ارشاد الضلال في دفع ما يطعنون بهِ في كلام رب العزَّة والكتاب لم يطبع ولكن منهُ نسخة خطية في الكتبخانة الخديوية . وعن السكاكي اخذ اكثر من جاء بعده من علماء البيان واكثرهم عنوا بشرح ما كتبهُ هو وبعضهم لخص تلك الشروح او علق عليها الحواشي او غير ذلك . ومن تلك الشروح كتاب « مفتاح المفتاح » وهو شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم شرحهُ قطب الدين الشيرازي المتوفي سنة ٧١٠ ه غير مطبوع « وتلخيص المفتاح » وهو تلخيص القسم الثالث من مفتاح العلوم لخصهُ جلال الدين القزويني المعروف بخطيب دمشق المتوفي سنة ٧٣٩ ه لم يطبع « وايضاح المعاني والبيان » وهو توضيح التلخيص لهُ ايضاً . و « ايضاح الايضاح » وهو شرح على ايضاح القزويني لجمال الدين الاقصرائي المتوفي قبل سنة ٨٠٠ ه و « مفتاح تلخيص المفتاح » لمحمد بن مظفر

الخطيبي الخلخالي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ و« شرح تلخيص المفتاح » لسعد الدين التفتازاني المتوفي سنة ٧٩٢ هـ مطبوع في كلكتة من بلاد الهند سنة ١٢٢٨ هـ ويعرف بمختصر التفتازاني و« المطوّل » وهو شرح تلخيص المفتاح مطوّلاً للتفتازاني ايضاً مطبوع طبع حجر ببلاد العجم سنة ١٢٧٤ هـ و« مفتاح تلخيص المفتاح » لابي يحيى زكريا الانصاري المتوفي سنة ٩٢٦ هـ مطبوع ببولاق سنة ١٣٠٥ هـ و« مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح » لابن يعقوب لم يطبع و« معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » لعبد الرحيم العبادي العباسي المتوفي سنة ٩٦٣ هـ لم يطبع . و« عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي المتوفي سنة ٧٧٣ هـ لم يطبع . و« شرح مفتاح العلوم » للسيد الشريف الجرجاني المتوفي سنة ٨١٦ هـ لم يطبع . وحاشية الخفاجي على شرح الشريف المرتضي لشهاب الدين الخفاجي المتوفي سنة ١٠٦٩ هـ لم تطبع . وحاشية الدسوقي على شرح التفتازاني لمحمد بن محمد بن عرفة الدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ مطبوع في بولاق سنة ١٢٧١ هـ . و« حاشية الحفيد » على مختصر التفتازاني لاحمد بن يحيى ابن محمد حفيد التفتازاني المتوفي سنة ٩٠٦ هـ . و« شرح ديباجة مختصر السعد » لاحمد المجيري الملوي المتوفي سنة ١١٨١ هـ . و« الاطول » وهو شرح على تلخيص المفتاح لعصام الدين الاسفرائيني المتوفي سنة ٩٥١ هـ مطبوع بالاستانة سنة ١٢٨٤ هـ وغير ذلك من الشروح والحواشي مثل حاشية ابي الليث وحاشية عبد الحكيم وحاشية الفناري وحاشية ملّا خسرو وغيرها وكلها على مطوّل التفتازاني

ومن امهات علم البيان متن السمرقندية لابي القاسم بن ابي بكر الليثي المعروف بابن الليث السمرقندي من علماء النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة ومن شروحها « ايضاح المشكلات من متن الاستعارات » لاحمد بن عبد المنعم الدمنهوري المتوفي سنة ١١٩٢ هـ لم يطبع . و« شرح الملوي » وهو احمد بن عبد الفتاح الملوي المتوفي سنة ١١٨١ هـ على السمرقندية وحاشية محمد بن محمد الامير المالكي المتوفي سنة ١٢٣٢ هـ على شرح الملوي مطبوع غير مرة . وحاشية ابراهيم الباجوري المتوفي سنة ١٢٧٦ هـ مطبوع غير مرة . وشرح عصام الدين الاسفرائيني المتوفي سنة ٩٥١ هـ وحاشية البهوتي المتوفي سنة ١٠٨٨ على شرح العصام . وحاشية حفيد العصام المتوفي سنة ١٠٠٧ هـ على شرح العصام وحاشية الخضري المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ على شرح الملوي وحاشية الشيخ حسن

الزيباري على شرح العصام . وحاشية الصبان المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ على شرح العصام وحاشية العطار المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ على متن السمرقندية . وحاشية الشيخ يس الحمصي المتوفي سنة ١٠٦١ هـ على شرح العصام . ولقط الجواهر السنية على الرسالة السمرقندية للدمنهوري وغير ذلك

وممن الف في البيان ايضاً

مجد الدين اسامة الشيرزي	المتوفي سنة	٥٨٤ هـ
فخر الدين الرازي	" "	٦٠٦ هـ
صلاح الدين الصفدي	" "	٧٦٤ هـ
تقي الدين بن حجة الحموي	" "	٨٣٧ هـ
جلال الدين السيوطي	" "	٩١١ هـ
عبد الرحيم العبادي	" "	٩٣٢ هـ

وممن الف في علم البيان ايضاً العلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي الف كتاباً سماه عقد الجمان في علم البيان وهو معتمد للتدريس في مدارس سورية

(١٣) علم الأدب

وعند العرب علم يقال له علم الادب بمدونة في جملة علومهم ويدخل في جملة علوم اللغة وهو بالحقيقة لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وإنما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة ومسائل اللغة والنحو مبثوثة اثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب والمهم من انسابهم واخبار العامة . واشهر من الف في هذا الفن القاضي ابو الفرج الاصبهاني المتوفي سنة ٣٥٦ هـ صاحب كتاب الاغاني الذي تغني شهرته عن وصفه وقد تقدم ذكره في الهلال غير مرة ولكننا نذكر ما قاله العلامة ابن خلدون فيه قال « وقد الف القاضي ابو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغاني جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب واوفاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التي

سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمهُ وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها » والكتاب مطبوع في عشرين مجلداً بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ ه والجزء الحادي والعشرون منهُ مطبوع في ليدن سنة ١٣٠٥ ه . ومن اشهر كتبهم في الادب ايضاً كتاب العقد الفريد تاليف ابي عمر بن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ ه وهو في ثلاثة اجزاء كبيرة مطبوع غير مرة وهو مبوب تبويباً يوافق اسمهُ فهو مقسوم الى ابواب سمى كل واحد منها باسم حجر من الحجارة الكريمة فيقول باب الزمردة وباب الياقوتة وباب اللؤلؤة وغير ذلك ومن مجموع هذه الجواهر يتالف العقد والكتاب ثقة في اخبار العرب وعوائدهم وآدابهم واخلاقهم وما شاكل ذلك ما لا يقل عن منزلة كتاب الاغاني

وكتب العرب في الادب لا تعد ولا تحصى وخصوصاً عند التوسع في ما يريدونهُ من علم الادب فقد رأيت انهم يدخلون فيه سائر علوم اللغة وما يتعلق بها وخصوصاً الشعر والامثال والمراسلات والمناظرات وما جرى مجراها ولو اردنا ذكر ما كتبهُ العرب في ذلك ولو مختصراً لضاقت دونهُ الصحف فنكتفي بهذه الاشارة

(١٤) الانشاء

ومن علوم اللغة العربية الانشاء وهو علم يبحث فيه عن الكلام المنثور في التعبيرات والعبارات الحسنة اللائقة بالمقام بحيث تكون بليغة ومادتهُ ماخوذة من الخطب والرسائل وانواعهُ الامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي والعرض والتحضيض والنداء والقسم والتعجب وافعال المدح والذم وصيغ العقود وغير ذلك . واكثر العلوم احتياجاً الى الانشاء علم التاريخ لانهُ يشمل كل هذه الانواع

وقد اشتهر بين العرب جماعة كبيرة من الكتاب والمنشئين ولكن اشهرهم على الاجماع عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب المتوفي سنة ١٣٢ ه ويضرب به المثل في البلاغة فيقال ابلغ من عبد الحميد وهو الذي يقول فيه البحتري في قصيدته التي امتدح بها محمد بن عبد الملك الزيات حيث قال

قد تفننت في الكتابة حتى عطَّل الناس فنَّ عبد الحميد

وهو من اهل الشام وكان اوَّلاً معلماً يتنقل في البلدان وعنهُ اخذ العرب اساليب الكتابة وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائلهِ مقدار الف ورقة وهو

اول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده • وكان كاتباً للخليفة مروان بن محمد من بني امية فقال له يوماً وقد اهدى له بعض العمال عبداً اسود فاستقلّه اكتب الى هذا العامل كتاباً مختصراً وذمه على ما فعل فكتب اليه « لو وجدت لوناً شرّاً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهديته والسلام » ومن قوله « القلم شجرة ثمرها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة » ومن اقواله ما كتبه على يد شخص كتاباً بالوصاية عليه الى بعض الرؤساء فقال « حق موصل كتابي اليك عليك كحقه عليّ اذ رآك موضعاً لامله ورآني اهلاً لحاجته وقد انجزت الحاجة فصدق امله » ومن كلامه « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً »

ومن اشهر كتاب العرب ابو الفضل محمد بن العميد الكاتب المشهور المتوفي سنة ٣٦٠ • وكان وزيراً لركن الدولة ابي علي الحسن بن بويه الديلمي وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم واما الترسل فلم يقاربه بواحد في زمانه ولذلك يقال « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد »

وقد الف في فن الانشاء ابو العباس القلقشندي كاتب الانشاء بمصر المتوفي سنة ٨٢١ • الف كتاباً سماه صبح الاعشى في صناعة الانشاء • والف غيره ايضاً

ومن اشهر كتاب العرب عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة وابو منصور الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩ • وابو بكر الخوارزمي المتوفي سنة ٣٨٢ • وغيرهم

(١٥) المحاضرات

ومن علوم اللغة عندهم ايضاً علم المحاضرات وهو علم تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المكاتبة من جهة معانيه الاصلية • وهو من الفنون الاجنبية ويقال ان مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد اخذه العرب في جملة ما اخذوه عن الاعاجم في صدر الاسلام في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن • ومن اشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفي سنة ٤٠٠ • الف فيه كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات • ومما أُلف في هذا الفن ايضاً كتاب « محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار » تاليف محيي الدين الطائي الحاتمي الاندلسي

المتوفي سنة ٦٢٨ هـ مطبوع . وكتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء» تاليف ابي القاسم الراغب الاصبهاني في اول القرن الخامس للهجرة مطبوع غير مرة . وغير هذه الكتب وقد يختلط هذا العلم بعلم الادب اوهو داخل فيه

(١٦) الخط العربي

وآخر ما نتكلم عنه من علوم اللغة الخط وهو بالحقيقة ليس من علوم اللغة لانه صناعة يدوية اوهو آلة لرسم العلوم جملة ولكنه من العلوم الاسلامية وقد تكلمنا عنه مطولاً في السنة الاولى من الهلال مع ايضاحه بالرسوم والاشكال في مقالة تاريخ الكتابة واصل الخطوط فليراجع هناك



حضرة الفاضل منشئ جريدة الهلال الاغر

قرأت في الجزء الاول من الهلال للسنة الثالثة في باب السؤال والاقتراح السؤال عن السبب في ان المولود اذا سقط في الشهر الثامن لا يعيش وجوابكم عنه وحيث اني رأيت في كتاب تسهيل المنافع ما يفيد جواباً آخر غير ما ذكرتم احببت ان اوافيكم به خدمة للعلم واهله قال

واما السبب عندهم ان المولود لثمانية اشهر ابقى من المولود لسبعة فكان ابقراط يقول في كتابه في المولود لثمانية اشهر انه اذا اتى على الجنين ستة اشهر تامة وصار في الشهر السابع اضطرب اضطراباً شديداً يروم بذلك الخروج بالطبيعة فان كان نصيحاً قوياً سميناً هتك الحجب وخرق الاغشية وكان من حكمه البقاء وان حدث له اضطراب وهو ضعيف غير قوي على هتك الحجب اعتراه من ذلك الاضطراب المرض وبقي في الرحم مريضاً سيء الحال حتى يصير في الشهر الثامن الى ان قال واما المولود في الشهر التاسع

فيسلم لرجوع القوة اليو اذا انقلب وإن كان انما يساق الى الحركة في ذلك الوقت فحكمة حكم الضعيف واكثرما يولد في العاشر بكون ضعيف القوة وقد اراد الخروج في التاسع ولم يقو » انتهى المقصود منة ولولا طول العبارة لنقلتها بتمامها واقبلوا احترامي

(بورسعيد) عبد الفتاح الجمل

(الهلال) اما قول ابقراط هذا فهو من قبيل التعليلات العقلية التي كان يلتجيء اليها فلاسفة اليونان في تفسيرهم الحوادث الطبيعية وهي غير مؤسسة على الابحاث الطبيعية لقصر اختبارهم فيها وقلة بضاعتهم : واما الحقيقة فهي كما قلناه في جوابنا الماضي وهو رأي اطباء هذا العصر والله اعلم

محاسن التشطير

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

ردًّا على ما ورد في اقتراح حضرة الاديب موسى افندي يوسف في الهلال الرابع والعشرين من السنة الماضية وقد ندد في التشطير واستفهم عن منافعو او محاسنو اقول من محاسنو قلب الموضوع كقول الهلالي رحمة الله تعالى

واترك الخمرة ان كنت فتى ترك السطل وبالهمّ اشتغل
انما الهمّ جنون عجبي كيف يسعى في جنون من عقل

ومنها رد القائل الى الصواب كقول بعض افاضل الوطن في تشطير بيت من بعض المراثي

خطبٌ لقد عمّ كل الكائنات فلا تحكي عزوًا تقي المعنيّ بأبّاه
سبحان من كل شيءٍ في ارادتو والله ما زلزل الاقطار الاّ هو

ولعلنا ان سمح الوقت نواصل الكتابة في هذا الموضوع

(حمص) محمد ابو الهدي الاماسي



﴿ بديع التشبيب في التلغراف العجيب ﴾

وما مدنفٌ اضناهُ بعدُ حبيبهِ   وليس له سلوى على مضضِ الصبرِ
وبينهما حالت حزونٌ شواسعٌ   ولا نجادٌ امتدت الى آخر القطرِ
وخلاهما البعدُ القصيُّ بحالة   يبيتان في شوق احرَّ من الجمرِ
يطيران من فرط الهوى كل ليلةٍ   لبعضهما لكن بأجنحة النسرِ
يودّان ملقىً بالجسوم وان ذا   محالٌ يزيد الامرَ عسرًا على عسرِ
ولكنْ سؤالَ الهوى منهما جرى   من البعد حتى استسهلا معضل الامرِ
وصارت بهذي الحال شكوى الهوى بهِ   ألذّ وأشهى من معتقة الخمرِ
بأدهش من ذات التلغراف عبرةً   لمن قد رماهُ الدهر في لجة الهجرِ
فهذا رسول البرق يروي خطابهُ   بقطر من الدنيا فيسمع في قطرِ
ويعرب عما في ضمير جنانهِ   بدون فمٍ من حيث يدري ولا يدري
يصيخ الى قول المحدث سمعهُ   مطيعًا ومنقادًا الى النهي والامرِ
يجوب بها حزن البلاد ونجدها   ويوجفُ في بيدائها موغلَ الحضرِ
لعمري اذا أرخى عنانُ سراحهِ   أبى ان يجارى بالمطهمة الضمرِ
يجوب كمثل البرق في كل لحظةٍ   من الوقت اميالاً تجل عن الحصرِ
يسير ولا فرق لديهِ اذا مشى   على جنةٍ فيحاء او مهمهٍ قفرِ
لخير الورى قد اوقف الدهر عمرهُ   وخوّلهم ما لا يحدّ من الوفرِ
كأني بهِ لما رأى الناس شملهم   يمزّقهُ عند النوى برثنُ الدهرِ
تشتّتهُ الامصارُ في كلّ فدفدٍ   واقرانهم تنبثّ في السهل والوعرِ
توخى بأن القرب ينظم شملهم   وان جميع الناس تسكن في مه
ورامَ بأنْ البعد يصرمُ حبلهُ   وان تستوي الاحوال في الوصل والهجرِ
نعم قد تمنى ثم نال مرامهُ   فعمّ اتحاد الفكر في العسرِ واليسرِ
ولم يبقَ ما بين الشعوب تنافرٌ   لان الرضى وافى اليهم على قسرِ
ولم يبقَ مهجورٌ ولم يبقَ هاجرٌ   ولم يبق فوق الارض بدوي ولا حضري
بل الكل ضمَّ الصب يجمعهم معًا   كأنهمُ قد أوقفوا موقف الحشرِ
لان التقي فيهِ يناجي حليفه   م المقيم بأقصى الارض في ساحل البحرِ

كأن الفتى ينأى عن العين جسمه ولكنه طي الحشاشة والفكرِ
وإن جميع الناس شرقاً ومغرباً باقصى اقاصي الارض تسكن في حجرِ
نعماً له كم خوّل الناس منةً وألبسهم تاجاً من العز والفخرِ
جزى الله عنا اليوم صانعه فكم اراحَ بني حوّاء من نصب يفري

(صيدا) موسى يوسف

﴿ أقدمُ عيد لأقدم أُمة ﴾

الاعياد الوطنية والمواسم الاهلية العمومية شائعة بين جميع قبائل البشر من بدوٍ وحضرٍ من غابر الايام وقديم الاعوام ولكنها تختلف في الوضع والاتفاق بحسب اختلاف احوال الزمان والسكان فالامة العريقة في المدنية البالغة من الحضارة مكاناً علياً تجد اعيادها الوطنية ومواسمها العمومية محكمة الوضع جميلة الصنع كثيرة النفع تميل اليها النفوس بحكم بالطبع و بالعكس

واول امة وضعت نظام الاعياد القومية والاحتفالات العامة الاهلية هي الامة المصرية الاصلية باجماع المتقدمين والمتأخرين واقدم واكبر عيد وضعته تلك الامة الجليلة الشهيرة من هذا القبيل هو عيد راس السنة الوطنية النوتية القبطية الباقي رسمه بوادي النيل لحد هذا الحين وكان الغرض من وضعه تذكير كل فرد من افراد الامة بعدد السنوات المارة عليه ومراجعة الاحوال والاعمال الصادرة منه واليه حتى يندم عما فرط منه من الخلل والزلل في الماضي ويستعد لاصلاح سيره وسلوكه في الآتي

ونظرًا للغاية الشريفة التي وُضع لاجلها هذا العيد السعيد استمر سكان مصر في كل جيل وعصر على احياء شعائره واقامة معالمه بالاحتفال العظيم والاحتفاء العميم الجسيم من اول ايام الملك مينا الاول الذي جلس على عرش مصر قبل المسيح بخمسة آلاف عام الى الوقت الذي تلاشت فيه الخلافة العربية من هذه البلاد في القرن السادس عشر بعد الميلاد حيث كان الوطنيون والمستوطنون والملوك والخلفاء والوزراء والامراء والاعيان والجنود والضابطان وكافة السكان هم الذين يقومون كرجل واحد بتشييد وتحكيم هذا الموسم الاهلي في كافة انحاء القطر المصري كما تراه مذكورًا ومسطورًا في خطط العلامة المقريزي

خلق الله الانسان واوصاه ان يأكل خبزه بعرق جبينه وخلق له النهار للعمل والليل للراحة وهي ساعات الفراغ ومن عمل بذلك عاش عيشاً رغيداً ولمن النفر على ان بعضهم يقضون معظم الليل ايضاً بالاشغال يريدون اكتساب ما يكون ذخراً لمستقبل حياتهم ونعمَّ ما يفعلون اذا ساعدتهم صحتهم . ولكن السواد الاعظم من شباننا يقضون ساعات الفراغ ليلاً ونهاراً بالتصورات فيبنون القصور في الهواء ولا اساس لها الا المخيلة ولا يبدون حركة وراء ما يؤملون هذا اذا لم تكن اخلاقهم فاسدة والا فهناك الويل والثبور وعظائم الامور فان راس الكسلان معمل الشيطان وقانا الله شر هذا المعمل فقد ملأ اصحابه السجون وسعوا في الارض فساداً . وفريق من هؤلاء الكسالى يلجأ الى اماكن اللهو واكثر هؤلاء من شبان المدارس المتفرنجين يريدون جلاء صدأ قلوبهم وهم انما يسعون الى اصدائها فيقضون الساعات يعاقرون ويسامرون حتى اذا انقضى من الليل هزيع تراهم سكارى يترنحون وقد لا يترنحون ولكن تعودهم على تلك الاماكن يعود عليهم بضياع زهرة شبابهم وما ادراك ما وراء المعاقرة من الاشراك والموبقات فلا يفيقون الا وقد سبق السيف العذل ولم يعد لهم منقذ من وبلاتهم فيندمون ولات ساعة مندم

فارغب اليكم ان تواظبوا على الكتابة في ساعات الفراغ فانها احسن خدمة نحن في احتياج اليها والسلام

(نيويورك باميركا) جرجي الياس نور

باب السؤال والاقتراح

تاريخ النقود

(سمنود) عبد المسيح افندي يوسف

ما هو تاريخ وجود الفضة والذهب وكيف كانت معاملة الاولين بالنقود

(الهلال) الذهب والفضة من المعادن التي استخدمها الانسان منذ اول عهد العمران وانما يظهر من النصوص التاريخية القديمة كالتوراة وغيرها ان النحاس والحديد عرفا قبلاً فانهما مذكوران في الاصحاح الرابع من سفر التكوين عدد ٢٢ عند ذكر

توبال قايين وبينه وبين آدم ستة أجداد فقد قيل هناك انه "اول صيقل لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية" واما الفضة فقد ذكرت اولاً في زمن ابراهيم قبل الميلاد بنحو عشرين قرناً ويدلنا التاريخ على ان الفينيقيين كانوا يأتون بالفضة من ترشيش الى صور . اما الذهب فقد ورد ذكره في التوراة قبل سائر المعادن فقد قيل في سفر التكوين الاصحاح الثاني والعدد الحادي عشر عند الكلام عن انهر جنة عدن "اسم احدها فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الارض جيد" والنصوص التاريخية الاخرى والبحث في طبقات الارض يؤيد ان قدم عهد هذه المعادن

اما النقود فقديمة ايضاً وللاحاطة بتاريخها واشكالها نقسم الكلام فيها الى قسمين اولاً النقود غير المضروبة وهي التي كانت تستخدم في المعاملة وليس عليها نقش او كتابة ثانياً النقود المضروبة

(١) النقود غير المضروبة

المعاملة والبيع والشراء قديم في الارض او هو مرافق لاول عهد الانسان فالانسان في اول عهده احتاج الى معاملة جيرانه ومبادلتهم ما لديه من محصولات ارضه بما لدى هؤلاء من نتاج حيواناتهم او جلودها ثم ما لبث ان اصطلح على المعادن ثمناً يدفعه البائع مقابل ما يأخذه الشاري من المتاع . وقد وجدوا في انقاض مصر واشور وبابل وفينيقية آثاراً من مثل هذه النقود فنقود المصريين القدماء كانت عبارة عن حلقات او اقراط من الذهب او الفضة تتفاوت زنةً وحجماً بتفاوت المراد من قيمتها . ونقود الاشوريين او البابليين كانت قطعاً تتفاوت مقاديرها بتفاوت وزنها . اما الفينيقيون فلم نعثر على نقود لهم قبل زمن سلطة الفرس عليهم ولكن المأخوذ من كتب وبتاريخ انهم كانوا يتعاملون بقطع من الذهب والفضة او الحديد على مثال ما كان يفعله الاشوريون ولعل نقودهم كانت اخلاطاً من نقود تلك الامتين لترددهم عليهما

واقدم ما ورد من ذكر هذه النقود في التوراة في سفر التكوين الاصحاح ۱۳ وعدد ۲ عند الكلام على ابراهيم حيث يقول « وكان ابراهيم غنياً جداً بالماشية والفضة والذهب » وكانت قيم هذه النقود تقدر بالمثقال فيقولون قد بيع هذا البيت مثلاً بكذا وكذا مثقال من الفضة او الذهب ويظهر ايضاً ان اليهود كانوا يستخدمون الاقراط

وانواعاً من الحلي بمنزلة النقود مع اعتبار وزنها من ذلك ما ورد في حكاية رفقة في الاصحاح ٢٤ من سفر التكوين عند ما لاقاها عبد اسحق على البئر وسقتة « فاخذ الرجل خرصاً من ذهب وزنة نصف مثقال وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب الخ » وقد يؤخذ من ذلك ان تلك الحلى كانت بمنزلة النقود او انهم كانوا يزنونها ليعرفوا قيمتها الحقيقية . والفضة كانت اكثر استعمالاً من الذهب فاذا ارادوا التعبير عن البيع والشراء بدون تحديد القيمة قالوا « بفضة تمتارون منهم طعاماً فتاكلونة وبفضة تبتاعون ماء فتشربونة » (سفر التثنية الاصحاح ٢ عدد ٦)

(٢) النقود المضروبة

اختلف المؤرخون في مخترع النقود فقال بعضهم ان مخترعها فيدون ملك ارغوس من بلاد اليونان في القرن الثامن قبل الميلاد وقال هرودوتوس ان الليديين وهم سكان ليديا من آسيا الصغرى اول من استعمل النقود من الذهب والفضة وحقق آخرون ان نقود الليديين كانوا ينقشون على احد وجهيها علامة وعلى الوجه الآخر رسم المربع هذا هو رسم اقدم نقودهم ثم صاروا ينقشون عليها صورة راس اسد . ثم انتشرت النقود المضروبة في سائر بلاد اليونان وكان منها انواع يمتاز بعضها عن بعض بنقوش وعلامات فمنها النقود الاتيكية والنقود الايجينية والمكدونية ثم النقود الاسكندرية التي ضربت على عهد البطالسة في الاسكندرية ثم النقود الفينيقية والقرطاجنية وغيرها من نقود اليونان والرومان والفرس وغيرهم

واقدم ما ذكر منها في التوراة النقود الفارسية في سفر عزرا الاصحاح الثاني والعدد ٦٩ حيث يقول « فاعطوا على حسب وسعهم لخزينة العمل واحداً وستين الف درهم من الذهب وخمسة الاف منا من الفضة ومئة قميص للكهنة »

وانواع النقود القديمة غير ما تقدم ذكره كثيرة لا تعد ولا تحصى اشهرها نقود الاسكندر الاكبر والدول التي تخلفت عنة في مصر وسوريا وغيرهما ومن خلفهم ما لا يقع تحت الحصر ومنها نقود يهودية ضربت في ازمنة مختلفة ويقال بالاجمال ان كل دولة قامت منذ عهد اليونان بعد الليديين ضربت نقوداً خاصة بها من النحاس او الفضة او الذهب او منها كلها او من مزيج منها وكانوا ينقشون عليها شارات خاصة بهم او اسماء ملوكهم او رسومهم او ما شاكل ذلك

اما العرب قبل الاسلام فكانوا يتعاملون غالباً بالنقود الفارسية واشهر ما كان عندهم منها القنطار قال في القاموس «هو وزن اربعين اوقية من الذهب او الف ومائتا دينار او الف ومائتا اوقية او سبعون الف دينار او ثمانون الف درهم او مئة رطل ذهب او فضة او الف دينار او ملء مسك ثور ذهباً او فضة» والدينار «ضرب من المعاملات القديمة» وقال الزمخشري «الدينار قطعة من الفضة تساوي ثماني واربعين شعيرة» والمشهور ان الدينار قطعة من الذهب لا الفضة . والدرهم «خمسون دانقاً وبه سميت القطعة المضروبة من الفضة المعاملة لانها درهم من الفضة كما ان الدينار مثقال من الذهب»

والدليل على استعمال هذه النقود عند العرب قبل الاسلام انها وردت في القرآن الكريم فالقنطار والدينار ورد ذكرهما في سورة آل عمران في قوله «ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم مَن إن تأمنه بدينارٍ لا يؤدهِ اليك الا ما دمت عليهِ قائماً» والدرهم ورد في سورة يوسف في قوله «وشروهُ بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيهِ من الزاهدين»

الشكل الاوّل



اما النقود الاسلامية فلم يضرب منها في عهد الخلفاء الراشدين الا النقود النحاسية واما الفضية والذهبية فقد ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وترى في الشكل الاول صورة النقود النحاسية التي ضربت في عهد الخلفاء الراشدين وعليها كتابة بالحرف الكوفي فالقطعة الاولى عليها من الوجه الواحد سورة الشهادة وعلى الوجه الآخر «محمد رسول الله» اما الرسم الظاهر هناك فلا نظنهُ رسماً حقيقياً لعلمنا بان ذلك محرم في الاسلام وربما كان مكانهُ كتابة طمست واختلطت حتى اشبهت

هذا الرسم فنقلها الرسّام عن النقود على هذه الصورة · والقطعة الثانية عليها من الجهة الواحدة " محمد عبد الله ورسوله " وعلى الوجه الثاني " لا اله الاّ الله وحده " وهكذا في القطعة الثالثة

الشكل الثاني





اما الشكل الثاني فهو دينار من دنانير عبد الملك بن مروان على احد وجهيهِ في الوسط " الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد " وعلى الوجه الثاني في الوسط " لا اله الاّ الله وحده لا شريك له " ضرب سنة ٧٩ هـ

ثم ضرب الخلفاء من بعد عبد الملك نقودًا على صور مختلفة وترى ذلك متصلاً مع الرسوم اللازمة في كتابنا " تاريخ مصر الحديث "

الشكل الرابع

الشكل الثالث









ومن غريب ما ضربوه نقود زجاجية قد ضربت في عهد الدولة الفاطمية وانما جعلوها من الزجاج لقلة الفضة والذهب عندهم في آخر دولتهم فلما تولى السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ الغاها وترى رسمها في الشكل الثالث

وقد عثرنا على قطعة من النقود الفضية يقال ان محمد احمد المتمهدي السوداني ضربها وتراها في الشكل الرابع وعلى احد وجهيها "ضرب في ام درمان سنة ١٣٠٤" وفوق الباء رقم ١ ويريدون بتاريخ ١٣٠٤ سنة استقلالهم وبالواحد السنة الاولى من سلطانهم وعلى الوجه الثاني ما يشبه الطغراء يقرأ منها كلمة "مقبول" كأنهم يريدون بها ان هذه النقود مقبولة عند حكومتهم وعند اسفل الطغراء سنة ٥ ربما يقصدون بها السنة الخامسة من ظهور المهدي

تكاثر النمل

(طنطا) حبيب افندي حكيم

اسكن منزلاً منذ خمس سنوات تقريباً ففي الاربع سنوات الماضية لم يكن في المنزل نمل مطلقاً . اما في هذه السنة فقد تكاثر النمل كثيراً حتى ملأ المنزل فما لتي اسباب وجوده. وما هو الدواء لاتلافه

وبالاستفهام من كثيرين عن سبب وجود هذه الحيوانات الصغيرة فكان كل منهم يقول قولاً مطابقاً لاعتقاده. وبما انها من نوع الخرافات اذكرها بحروفها تفكهة للقراء

قال لنا بعضهم ان اسباب ذلك « بدخاتة بمنزلكم » اما خدمنا فهم هم قبل ان تقاطر علينا النمل وبعده . وقال آخرون ان كنس المنزل يوم الاربعاء وجمعة الحزينة يسبب ذلك . وقال آخرون غير ذلك فما رايكم

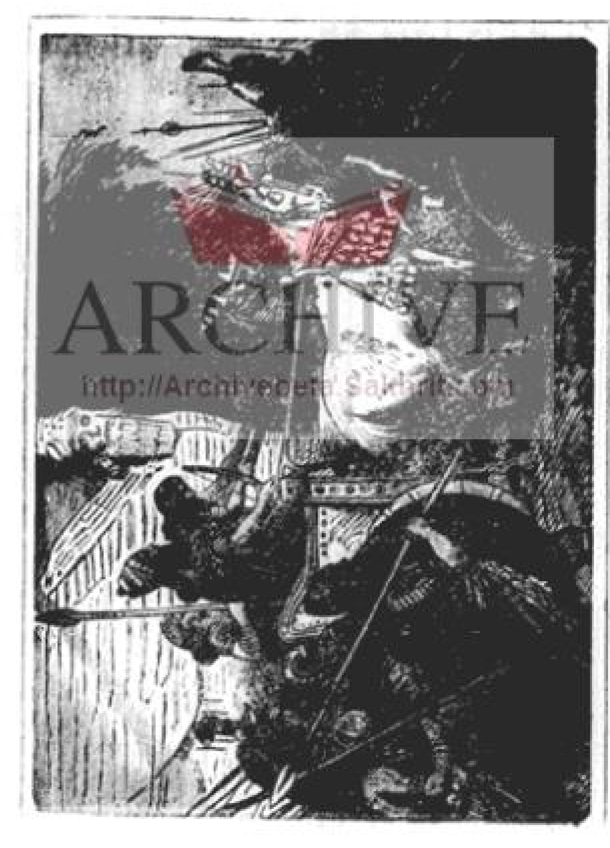
(الهلال) اما سبب تقاطر النمل على المنازل فلا بد له من اسباب تدعو اليه وان لم يظهر للباحث فربما كان في بعض جدران المنزل او في اسفله او بعض مخبئاته بعض المواد الحيوانية الفاسدة التي يجتمع عليه النمل او ربما حدث في جدار المنزل مثل هذه العوارض والنمل سريع التكاثر ونحن في مصر نشكو مثل هذه الشكوى

اما الوسائل لاتلافه فقد وصف بعضهم عقاقير مختلفة الخواص وهي تباع في اكثر الصيدليات غير ان ذلك لا يتلف هذا الحيوان اتلافاً تاماً وللتخلص منه لا بد من البحث عن منشاه وقطع دابره من هناك . اما الخرافات التي ذكرتموها فهي من قبيل اوهام العامة كما ذكرتم . ويقابلها اوهامهم في الرقية والسحر والكتابة التي يستخدمها بعضهم في اتلاف النمل واخراجه من المنازل كانهم يريدون دفع الوهم بالوهم



الجزء الرابع من السنة الثالثة

١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٤ (١٧ ربيع الثاني سنة ١٣١٢) (٧ بابه سنة ١٦١١)



ملك أشور في مركبته وموكبه



البابليون والكلدانيون والاشوريون

كثيرًا ما خلط المؤرخون بين هذه الامم الثلاث فاذا ذكروا الواحدة ارادوا الاخرى والحقيقة انها ثلاث امم مختلفة التاريخ والعوائد والمواقع وقد تعاقبت في منشإها ولكنها تعاصرت وتداولت السلطة والنفوذ على انها كلها كانت تقيم في بقعة من آسيا هي منشأ الانسان الاوَّل واقعة فيما هو الآن مابين النهرين وما جاورها من ارمينيا شمالاً الى خليج فارس جنوبًا وصحراء سوريا غربًا وبلاد فارس شرقًا اما تفصيلاً فكانت هذه البقعة مقسومة الى ثلاثة اقسام او نقسمها نحن الى ذلك تسهيلاً لادراك موقع كل من هذه الامم بوجه التقريب فالقسم الجنوبي ويمتد من ملتقى نهري الفرات والدجلة شمالاً الى خليج فارس جنوبًا كان مقام الكلدانيين ومن ملتقى النهرين شمالاً وغربًا مقام البابليين والى الشمال والشرق من ذلك مقام الاشوريين على ان هذا التقسيم تقريبي لا يخلو من التساهل

اما تعاقب هذه الامم فاقدمها امة البابليين ثم الكلدانيين ثم الاشوريين وقد كان تاريخ هذه الامم تغشاه ظلمة والتباس الى اواسط هذا القرن عند ما حلوا رموز اللغة الاشورية المعروفة بالكتابة الاسفينية او المسمارية فتوصلوا بذلك الى تحقيق كثير من احوالها كما ان حل الكتابة الهيروغليفية كشف للناس حقائق تاريخ مصر وجلا لهم غوامض احوالها

اما منشأ هذه الامم فمتصل بمنشأ الانسان الاوَّل واقدم ما عرف عنها ما جاء في التوراة ويظهر مما ورد هناك ان سكان ذلك الاقليم اقدم بني الانسان وهم الذين بقوا بعد الطوفان

وتفصيل ذلك ان الانسان الاوَّل على ما ورد في سفر الخليقة وجد في جنة عدن وقد حقق الباحثون ان ذلك المكان يقابل مكانًا يجاور نهر الفرات او ما بين النهرين ثم حصل الطوفان فلما جفت المياه استقرَّت سفينة نوح على جبل اراراط وهو من جبال ارمينيا

ثم انحدر نوح واولاده من السفينة الى الجنوب فاذا بسهول خصبة ما بين نهري دجلة والفرات تدعى ارض شنعار فاقاموا هناك وتناسلوا وتكاثروا وتفرعت منهم القبائل والبطون فضاقت بهم الارض فتفرَّقوا يطلبون مقرًّا والمظنون ان ابناء حام

ساروا الى افريقيا واقاموا على ضعاف النيل فنشأت عنهم الامة المصرية وابناء يافث استقروا في قارة اوربا فنشأت عنهم امم اوربا اما ابناء سام فبقوا في ارض شنعار فنشأت عنهم الامم المتقدم ذكرها وهم البابليون والكلدان والاشوريون وقد حفظوا حكاية الطوفان عندهم ونقشوها على آثارهم

فبناء على ذلك يكون سكان ما بين النهرين وهي الامم المشار اليها اقدم امم الارض واقدمها البابليون الذين بنوا برج بابل الشهير

ولكل من هذه الامم تاريخ خاص بها يشرح حالها وما بلغت اليه من العمران والسطوة وليس من غرضنا التعرض الى ذكر تاريخها اذ يضيق المقام دونه وانما نكتفي بالاشارة الى ما بلغت اليه من العظمة والسطوة في تلك الازمنة الغابرة مع لمع من اديانهم وفنونهم ولغاتهم وما يتعلق بذلك فنبدأ بمدنهم فنذكر اشهرها وهي بابل عاصمة البابليين ونينوي عاصمة الاشوريين واور عاصمة الكلدانيين

مدنهم

(١) بابل — كانت مدينة بابل قائمة على ضفتي نهر الفرات جنوبي كربلاء وبالقرب من الحلة ولا تزال آثارها ظاهرة هناك والفرات يمر في وسطها فيقسمها الى شطرين شرقي وغربي وربما كانت اقدم واعظم مدينة بنيت في العالم حتى ضرب المثل بها في المنعة والسلطان على ان بعضهم يظن ان ارك وكلنة المذكورتين في سفر التكوين عمرتا قبلها اما في العظمة فلم تبلغ شأوها مدينة في تلك العصور • وهيرودوتس يقول (الكتاب الاول عدد ١٧٨) ان بابل صارت عاصمة اشور بعد خراب نينوى ولكن ذلك لا يطعن باقدميتها اذ المراد ان الاشوريين اتخذوها عاصمة بعد خراب عاصمتهم الاولى • اما زمن بنائها ففيه اختلاف والآراء في ذلك متفاوتة لكنها تتفق في قدم عهدها ومما يدلك على ذلك ان البابليين رصدوا الافلاك ودونوا ارصادهم على جدران بناياتهم في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

اما بانيها فني حقيقته من الاقوال ما يشبه اقوال كثير من الامم القديمة عن مؤسسي مدنها وهم في الغالب ينسبون ذلك الى الآلهة او أنصاف الآلهة او ما شاكل ذلك فيزعم البابليون ان باني مدينة بابل اله من آلهتهم في زمن غير معروف وقال

آخرون ان بانيها بعل وهو اسم اله عندهم يقابل زحل عند اليونان وقال غيرهم غير ذلك

وبلغت بابل في ابانها من الثروة العظيمة واتساع التجارة ما ذهب مثلاً حتى لقبت بمدينة الذهب · واشهر ما احدث في بابل من الامور العظام هيكلها المشهور بهيكل بعل والقصر الملوكي وحدائقه المعروفة بالحدائق المعلقة يريدون انها كانت معلقة في الهواء

واوثق مصدر وصل الينا مما كتب عن مدينة بابل وآثارها رواية هيرودوتس الرحالة الشهير فانه زار تلك المدينة في القرن الخامس قبل الميلاد ووصفها كما رآها وكانت قد ذوت نضارتها وبلغت عصر الكهولة وهاك ما قاله في وصفها في الكتاب الاول من عدد ١٧٨ فما بعده

« اما بلاد اشور فهي مشتملة على عدة مدن كبيرة واشهرها بابل الحصينة وهي صارت عاصمة الملك ومقر سرير الملوك بعد خراب نينوى وموقعها في سهل عظيم فسيح وهي مربعة الشكل وكل جانب منها يبلغ طوله عشرين استادة فيكون محيط المدينة اربعمائة وثمانون استادة (١) وبالجملة فهي مدينة عظيمة لا نعرف لها نظيراً يكتنفها خندق عميق مفعم ماء ويليه سور سمكه خمسون ذراعاً ملكية وعلوه مائتا ذراع والذراع الملكية تزيد على الذراع المعروفة ثلاث اصابع

« وهنا محل لان نذكر ما عملوه بتراب الخندق وكيف بني السور فانهم كانوا كلما حفروا جانباً من الخندق صنعوا ترابه لبناً وكلما حصل لديهم جانب منه شووه بالاتانين ثم لصقوه بالحمر المسخن وذلك انهم كلما بنوا ثلاثين سافاً من اللبن بسطوا فوقها قصباً مشبكاً لاستمساك البناء واول ما بنوا على هذا النسق جوانب الخندق وبعده السور وشيدوا فوقه ابراجاً وفي كل منها حجرة تقابل حجرة اخرى وجعلوا في خلال الابراج مسافة كافية لان تدور بها المركبة التي يجرها اربعة افراس وكان للسور مائة باب من نحاس وكذلك عضائدها واعتابها وعلى مسافة ثمانية ايام من بابل مدينة ايس وهي قائمة على شاطئ نهر صغير يدعى باسمها ويصب في نهر الفرات ويجر بمياهه كثيراً من الحمر ومنه جمعوا ما لزمهم لبناء اسوار المدينة

«ونهر الفرات مار في وسط المدينة فيقسمها الى شطرين وهو نهر عظيم عميق

(١) الاستادة ١٨٥ متراً

سريع الجري مخرجه من ارمينيا ومصبه في بحر اريترة (خليج العجم) فجعل السور الاول والثاني على شبه دعامة في النهر وهناك يبتدئ سورٌ مبني من الطوب على جانبيهِ من ناحيتي النهر وصيف والبيوت ذات ثلاث او اربع طبقات وطرق المدينة مستقيمة متشعبة مؤدية الى النهر وتجاهها في السور القائم على النهر منافذ ذات ابواب نحاسية ينزل منها الى النهر وهي في عدد الطرق

«والاسوار الخارجية اقيمت لوقاية المدينة والداخلية ليست باقل تحصيناً ومتانة منها لكنها اقل عرضاً وفي اواسط شطري المدينة ما يقضي بالعجب وهو قصران احدهما الملك وسوره كبيرٌ حصينٌ جداً والآخر في المحل المخصوص بجوبيتر بعلوس وبوابة نحاسية ولا يزال قائماً حتى اليوم وهو مربع محكم الضبط ومقدار فسحته من كل جهة استادة وفي وسطهِ برج مصمت مقداره استادة واحدة طولاً واستادة عرضاً وفوقهُ برجٌ اخر يعلوه برجٌ ثالث وهكذا حتى ينتهي الى ثمانية ابراج واقاموا في الخارج درجاً لولبياً يصعد به الى كل من هذه الابراج وفي وسط الدرج قاعة فيها كراسي يستريح عليها الصاعدون والنازلون وفي منتهى الابراج هيكلٌ داخله اريكةٌ في غاية الزينة وبقربها مائدةٌ ذهبية وليس هناك من تمثال البتة ولا يسوغ لاحدٍ ان يسهر فيه ليلاً الا اذا كان امرأة من اهل البلاد قد اصطفاها الاله على ما يقول الكلدان كهان هذا الاله

«وفي هيكل بابل قاعةٌ سفلى فيها تمثالٌ عظيم من ذهب يمثل جوبيتر جالساً وحذاءه مائدة على عرش ذهبي درجه من ذهب وكل ذلك على زعم الكلدانيين يساوي ثماني زنات من الذهب (١) وبخارج القاعة مذبح ذهبي ومثله مذبح اخر عظيم جداً تذبح عليه الثيران البالغة في السن اذ كان من الممتنع التقدمة على مذبح الضحية الا حيوانات الرضاع وكان الكلدانيون في كل سنة يحرقون على المذبح العظيم في يوم عيد الاله الف زنة من البخور (٢) وكان في المقام المقدس تمثال من ذهب مقدار طوله اثنتا عشرة ذراعاً ولم ارَ مثله قط لكني اورد ما تلقيته عن الكلدانيين وقد اراد دارا بن هستاسب ان ياخذه ولكن لم يتجرأ على اتمام مراده ثم ان زارش بن دارا قتل الكهنة الذين مانعوه في مشروعه هذا واخذه . وهكذا كان غنى هذا الهيكل ويوجد فيه

(١) الزنة الواحدة ٧٠٢٠٠ فرنك (٢) عبارة عن ١٦٣٢ رطلاً مصرياً

ايضاً عدة تقدمات من اناس مخصوصين » (انتهى)

ومن عجائب مدينة بابل القصر الملكي الذي انشأهُ بختنصر وكان مملأ للعجب والاندهاش لسعته وعظمه وما يليه من الحدائق المعلقة التي عدَّت في جملة عجائب الدنيا ويقال في سبب انشاء هذه الحدائق ان بعض ملوك بابل سالته محظية فارسية ان يمثل لها ما في بلادها من الروابي المكسوة بخضرة الرياض فامر بانشائها على هيئة سطوح قائمة بعضها فوق بعض وكل واحد من هذه السطوح يتأخر عن الذي تحته حتى كانت الاشجار عليه بشكل رابية خضراء ذات مروج وخمائل رائعة . وكانت هذه الحدائق مربعة الشكل طول كل جهة من جهاتها ٤ فلترات اي نحو ١٢٠ متراً وكل سطح من السطوح المذكورة يرقى اليه بسلَّم بينه وبين الذي يليه والسطوح برمتها قائمة على عمد وهي مفروشة بصفائح من الرخام طول الواحدة منها ١٦ قدماً وعرضاً ٤ اقدام وهذه الرخام مستورة بخيزران قد غُمس في الحُمَر وفوقهُ صفَّان من الآجرّ المغموس في الجصّ وفوق ذلك صفائح من الرصاص تمنع نفوذ الماء الى ما تحتها من البناء اذا سقي ما فوقها من الاشجار . وفوق الرصاص التراب المغروسة فيه اشجار الحدائق وهو من الكثافة بحيث يمكن ان تغرس فيه اعظم شجرة . وكان هذا الموضع كلهُ مغطَّى بالشجر المختلف والمغروسات الانيقة ذات النشر والثمر . وفي داخل العُمُد المذكورة غُرَف رائعة الاتقان محكمة الوضع ينفذ اليها النور من خلال العُمُد وهي الغُرَف الملكية وكان احد العَمَد اجوف من رأسهِ الى عقبهِ وفي داخلهِ آلات ترفع الماء من النهر فتصبهُ في الحدائق

(٢) نينوى — هي عاصمة اشور وكانت ابعد مدنها شهرة واعظمها شأناً وثروة ما خلا بابل المتقدم ذكرها وكان موقعها على نهر دجلة شرقي بابل اما بانيها ففي التوراة انهُ اشور بن سام وذهب مؤرخو اليونان الى انهُ نينوس وقال آخرون غير ذلك مما لا فائدة من ذكره . وبلغت نينوى معظم مجدها وفخرها في زمن الملك سنحاريب وهو بالحقيقة الذي اعاد اليها مجدها بعد ان كادت تمحى اثارها وقد نقش على بعض اطلالها ما معناه « قد اعدتُ بناء جميع عظائم نينوى دار سلطنتي ومقر ملكي وجددت شوارعها فوسعت ضيقها وجعلت خرائبها ابهى من نور الشمس » وما زالت نينوى آهلة عامرة الى ان أخربها كياكصر ملك مادي فلم تعد تقوم لها قائمة من ذلك الحين

(٢) أور او أور الكلدانيين وهي اقدم مدن الكلدان ومنها خرج ابراهيم الخليل في اوائل القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ويؤخذ من نصوص التوراة ان كدرلعومر العيلامي كان متملكا فيها في عهد ابراهيم المذكور . وكان موقعها قرب ملتقى نهري الدجلة الفرات في مكان يقال له الآن المغاور

هذه اشهر مدن هذه الامم القديمة وهناك مدن اخرى اشتهرت في تلك الاعصر كمدن بورسيبا وسلوقية واكتزيفون واكد وابوليس وكالح وتعرف بنمرود وغوغاميلا وقد اغفلنا وصفها حبا بالاختصار . وقد عني الافرنج وخصوصا الانكليز بجمع آثار الاشوريين فجمعوا منها شيئا كثيرا في متحفهم الشهير وفي جملة ذلك قصر اشوري حملوه الى المتحف بكل ما فيه من الجدران والسقوف والابواب وركبوه هناك وقد شاهدناه اثناء زيارتنا عاصمة بلاد الانكليز سنة ١٨٨٦

دياناتهم

يؤخذ من آثار بابل واشور ان اهلها كانوا يعبدون الاوثان كسائر الامم القديمة في مصر وفينيقية والهند والفرس وغيرهم وكان عندهم عدد وافر من الاصنام يعبدونها ويقدمون لها المحرقات وانما يقال بالاجمال ان اله الاشوريين كان يدعى اشور واله البابليين يدعى إيل وهما اعظم آلهتهم ويليهما ثلاثة آلهة يدعونها بالمثلث وهي انو وبيل وايا وعندهم ان انو ملك العالم السفلي ورئيس الارواح والشياطين وبيل ابو الآلهة وهو الخالق وانه صنع الارض والسماء وخلق الانسان من دمه وتراب الارض . ويشبه هذا المثلث ما كان عند المصريين من المثلثات واشهرها مؤلف من اوزيرس وايزيس وهورس . وعند الاشوريين مثلثات اخرى تلي هذا بالعظمة منها المثلث المؤلف من الاله سن (القمر) وشمش (الشمس) واول (الهواء) فالقمر سيد الآلهة عندهم والمنير والدائر حول السموات ورب الشهر . والشمس مؤسس السماء والارض . والهواء المهيج للعواصف والمستاصل للاشجار ويستدل من اعتقادهم هذا انه مستنتج فيهم مما شاهدوه من ظواهر الطبيعة

وعندهم ان الآلهة الستة المتقدم ذكرها كلها متزوجة بخلاف الالهين الاولين اشور وايل وقد ذكروا لكل منها زوجة . ويتلو هذه الآلهة كلها خمسة آلهة هي من الاجرام السيارة (١) نن (زحل) (٢) مردوخ (المشتري) (٣) نرغال

(المريخ) (٤) اشتار (الزهرة) (٥) نبو (عطارد) وينسبون الى كل منها اعمالاً خاصة به كالحرب والقضاء والحب والحكمة وما شاكل ذلك

وكانوا يقيمون لهذه الآلهة انصاباً من الحجارة او المعادن وفي الغالب ان يكون بدن الاله بدن حيوان وراسه راس انسان ويداه جناحين وكانوا ينصبون تلك التماثيل في ابنية متشامخة يقدمون لها القرابين ويحتفلون باعيادها

ومن غريب ما يخالط هذه العبادة الوثنية الاعتقاد بالثواب والعقاب وهو مبني على اعتقادهم بالخلود وذلك من الادلة القاطعة على ان الانسان مفطور على ذلك الاعتقاد وترى في وصف العقاب والثواب عندهم ما يؤيد ذلك فهم يعتقدون ان انفس الابرار تلبس في الجنة ثياباً بيضاء منيرة وتسكن مع الآلهة وتاكل من الطعام السماوي واما انفس الاشرار فتنحدر الى الهاوية وهي مكان مظلم قد ساد فيه الجوع فليس لديها ما تاكله غير التراب على ان المصريين كانوا اكثر ذكراً للآخرة في كتبهم ولا يبعد ان يكون الكهنة انفسهم يعتقدون بالاله الواحد الازلي كما كان كهنة المصريين وربما كان ابراهيم الخليل واحداً من اولئك الموحدين

ونظراً لقربهم من زمن الطوفان فكانت حكاية الطوفان متداولة بينهم يرويها الخلف عن السلف وهي كثيرة المشابهة برواية التوراة حتى ظن بعض المؤرخين انهم اخذوها عن اليهود لما سبتوا الى بابل في اواخر القرن السادس قبل الميلاد ولكن اسماء الاشخاص فيها تختلف عن اسمائهم في التوراة حتى يترجح الظن بانها غير منقولة عن اليهود والله اعلم

(لغاتهم)

اما لغات الاشوريين والبابليين والكلدان فترجع الى لغة واحدة هي اللغة الآرامية (او الكلدانية او الاشورية) وهي على ما نرى ام اللغات الشرقية وقد اشرنا الى ذلك في اول كلامنا عن تاريخ آداب اللغة العربية ويساعدنا على ذلك حكاية خلق الانسان وتفرق قبائله بعد الطوفان وغير ذلك من الادلة اللغوية والتاريخية

وقد كانت اللغة الاشورية مجهولة حتى اتيح لغروتفند الالماني ورولنسن

الانكليزي وغيرهما حل الكتابة الاسفينية او المسمارية كما تأتى لشامبليون الفرنساوي حل رموز الكتابة المصرية القديمة الهيروغليفية . فكتبوا بها الكتب والمعجمات واللغة الاشورية او الارامية او الكلدانية او البابلية تشبه اللغات الشرقية وخصوصاً السريانية لان هذهِ متخلفة عنها . وتنتهي الفاظها دائماً بالضم فهي من هذه الحيثية تشبه اللغة العربية وخصوصاً بما يتعلق بالاعراب واما اشتقاق الفعل فيها فشبيه ايضاً بسائر اللغات الشرقية الا ان صيغة فيها اكثر تركيباً وقد عثر على ١٢ صيغة . وفيها صيغ لا وجود لها في سائر اللغات الشرقية وربما كانت في تلك اللغات عند اول عهد انفصالها عن امها ثم دثرت وتولد غيرها مما لم يكن في امها ولزيادة الايضاح نذكر تلك الصيغ وهي

فعل نفعل فاعل تفعل افتعل افتنعل أنفعل أتنفعل افتاعل افتناعل استفعل استنفعل

فبعض هذه الصيغ موجود في العربية كفعل وفاعل وبعضها موجود في السريانية والعبرانية مثل تفعل وانفعل وبعضها غير موجود في غير الاشورية مثل افتنعل واستنفعل وغيرها كما ترى وهو من الادلة على ان اللغة الاشورية اصل وسائر اللغات الشرقية فروع ولنا في ذلك كلام نرجئه الى فرصة اخرى

والاسم عندهم يعرب اعراب الاسم العربي رفعاً ونصباً وجراً فيرفع بالضم وينصب بالفتح ويجر بالكسر كما في العربية تماماً اما الجمع فيصاغ بالكسر مثال ذلك سر (ملك) فانهُ يتصرف هكذا

ملكٌ سرُّ ملكاً سرَّ ملكٍ سرِّ ملوكٌ سرّو

واللغات الشرقية كلها عطل من الاعراب الّا العربية والاشورية وهذا دليل آخر على تفرع اللغة العربية عن الاشورية

والضمائر عندهم كما في العربية تقريباً فمنها ضمائر رفع وضمائر نصب وضمائر جرّ . وتتصرف الافعال مع الضمائر كما في العربية مع بعض التغيير فيقولون في تصريف سَبْ (وثب) جلَسَ في المضارع هكذا

أسِبْ أجلس تسِبْ تجلس (انت)

تسِبي تجلسين يسِبْ يجلس

تسِبُ	تجلس (هي)	نسِبْ	نجلس
تسِبو	تجلسون	نسِبا	نجلسنَ
يسِبو	يجلسون	يسِبا	يجلسنَ
يسبا	يجلسان		

وهي اقرب الى التصريف العربي منه الى سائر التصاريف الشرقية

كتابتهم

اما الكتابة عندهم فبالاحرف الاسفينية كما قدمنا وهي التي نقشوا بها آثارهم كما فعل المصريون بالكتابة الهيروغليفية ولكن الاشوريين قلما اتخذوا الحجارة الصلدة في آثارهم وانما كانوا يتخذون الطين وهو اسهل استخداماً للنقوش فيطبعون عليه ما يريدون نقشه بالادوات الكتابية او غيرها وهو لين فاذا جف بقيت الكتابة او النقوش عليه ظاهرة فهو اقل نفقة واقرب تناولاً من النقش على الصوّان او الحجارة الاخرى ولذلك فانهم اكثروا من استخدام هذا الطين حتى كانوا يصنعون منه الواحاً صغيرة يقيدون عليها الصكوك والمعاهدات والمخاطبات الخصوصية فهي بمثابة ورق البردي عند المصريين وقد عثروا على جانب عظيم منها مؤخراً فحملوه الى المتاحف التاريخية في اوربا وقد شاهدنا شيئاً كثيراً منها في المتحف البريطاني سنة ١٨٨٦ وذلك مما يدعونه بالقرميدات الاشورية وهي بمنزلة الدفاتر والسجلات والكتب عندنا

والكتابة الاسفينية دعيت بذلك لمشابهتها للاسافين وبالمسمارية لمشابهتها بالمسامير وهي مقطعية او كلمية اي ان الحرف منها يدل على مقطع او كلمة مثل الكتابة الهيروغليفية مثال ذلك وتلفظ (قلو) ومعناها أحرقَ و وتلفظ (سرّ) ومعناها ملك

اما اصل هذه الحروف فمجهول تقريباً ولكن المظنون انه كان في الاصل رسوماً كالحروف الهيروغليفية ثم تحوّل بالاستعمال والعجلة في رسمه طبعاً بالمسامير كما تقدم حتى زالت منه الهيئة الصورية وقد عثروا على كتابة اشورية قديمة ايدوا بها هذا الظن وشاهدنا بالمتحف البريطاني بلندرا حجراً بيضيّ الشكل عليه نقوش اشورية او هي كتابة يظن انها كتبت في القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد

وفيها الكتابة اشبه برسوم بنايات او شجر او ما شاكل ذلك كما ترى في الشكل



وربما كان ذلك قبل استخدام المسامير في طبع كتاباتهم على الطين لان هذه الكتابة منقوشة على حجر صلد فلما عولوا على النقش بالمسامير على الطين اللين لم يعد مستطاعاً لهم ايضاح الاشكال تماماً فاغفلوا امرها وصارت الكتابة عندهم كما قدمنا وهكذا حصل بالكتابة المصرية القديمة (الهيروغليف) فتحولت بالاستعمال من الصور الواضحة الى ما يسمونه بالحرف الديموطيقي او الهيراتي

وما زال الاشوريون يكتبون بالحرف الاسفيني حتى حمل اليهم الفينيقيون الحروف الفينيقية التي استخرجوها من الحرف المصري القديم فاتخذوها وجعلت تتنوع عندهم وتتفرع تبعاً لناموس الارتقاء العام حتى تولد منها الحرف الارامي اقدم حروفهم الحديثة وهو قريب من الحرف الفينيقي وهاك مثاله

ميتبا زي قرب معنن بر عمرن

اصلم الها لحيي نفشه

اي «العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه»

ثم تولد الحرف الاسطرنجيلي وعنه نشأ الحرف السرياني الذي تكتب به اللغة السريانية الآن والحرف الكوفي الذي كانت تكتب به اللغة العربية قديماً وقد تكلمنا عن تاريخ هذه الخطوط عند كلامنا عن تاريخ الكتابة واصل الخطوط في السنة الاولى من الهلال فليراجع هناك

علومهم وصنائعهم

الكلدان ويريدون بهم حكماء بابل اول من رصد الكواكب واخترع المزاول

وقد اتقنوا هذا الفن كل الاتقان في اقدم ازمانهم ويقال انهم رصدوا الكواكب اولاً سنة ٢٢٣٤ قبل الميلاد فكان لهم الفضل الاكبر على سائر الامم التي تمدنت قديماً بعلم الهيئة ومتعلقاته غير ان تعلقهم بهذا العلم جرَّهم الى علوم خرافية كعلم التنجيم وغيره وهذا هو اصل عبادتهم للاجرام السماوية على ما نرى

ومهر الاشوريون في علم الطب ايضاً وهم اول من وضع اساساته وكانوا اذا اصيب احدهم بمرض حملوه الى الشوارع ووضعوه على قارعة الطريق حتى اذا مرَّ به احد ممن اصيب بذلك الداء فيصف لهم الدواء الذي استخدمه لشفائه وبهذه الواسطة اتقنوا علم الطب ودونوا ما علموا منه طبعاً على القرميد كما تقدم

وكان الاشوريون يتفاخرون بالابنية الهائلة والتماثيل العظيمة كمعاصريهم المصريين القدماء ولكنهم لم يبلغوا مبلغهم فيه وخصوصاً لاعتمادهم على الطين في بنائهم فانه لا يقوى على مقاومة العوامل الطبيعية كالاحجار الصلبة التي كان يستخدمها المصريون في ابنيتهم

وقد اتخذوا المركبات تسوقها الخيل الجياد واستخدموا القوس والنشاب والرمح والترس وكانوا يلبسون على رؤوسهم قلانس اشبه شيء بالخوذ وكان ملوكهم يولعون بالقنص فيخرجون على مركباتهم لصيد الاسود لانها كانت كثيرة في صحاريهم واذا ركب الملك الى حرب او سفر تحف به كوكبة من المشاة والفرسان مسلحة والملك يسوق مركبته بيده كما كان يفعل فراعنة مصر

وترى في صدر هذا المقال صورة ملك منهم قد خرج بمركبته وحوله جماعة من رجاله وقد حمل القوس والنشاب ليرمي بها فريسة وامسك لجام الخيل بعض حاشيته في المركبة لاشتغاله هو عن ذلك بقوسه



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »

(تابع لما قبله)

العلوم الدخيلة

قد تكلمنا فيما مرَّ من النهضة العربية في عصر العباسيين عن العلوم الاسلامية التي حدثت بحدوث الاسلام ولنشرع الآن في التكلم عن العلوم الدخيلة وهي التي اقتبسها العرب من الاعاجم واشتغلوا بها ترجمة او تأليفاً او شرحاً ومنها علوم الهيئة والكيمياء والطب والرياضيات والمنطق والفلسفة والموسيقى والجغرافية والسحر والطلسمات واسرار الحروف والتنجيم وما جرى مجراها كما ستراه مفصلاً

(١) علم الهيئة او الفلك

قد رأيت في كلامنا عن الكلدانيين في هذا الهلال انهم هم الذين وضعوا علم الفلك واوّل من رصد الكواكب وعنهم اخذ اليونان والفرس وسائر الامم التي عاصرتهم او جاءت بعدهم واشهر من الف في الفلك من الروم ايبرخس وثاون وبطليموس القلوذي وهو اشهرهم (وهو ليس من ملوك البطالسة) نبغ في القرن الثاني للميلاد بالاسكندرية واشتغل بالرياضيات والفلك والجغرافية واستعان على الفلك بالكتب التي كانت بمكتبة الاسكندرية وقد جمعها الملك بطليموس الثاني من كتب الكلدان والفرس والسريان والهند وغيرهم فألف بطليموس القلوذي كتاباً في علم الفلك سماه المجسطي وعنه اخذ العرب في صدر الاسلام اذ نقلوه الى لسانهم كما سترى . ولبطليموس هذا ينسب علم الجغرافية القديم

اما العرب في جاهليتهم فقد اخذوا شيئاً عن الاحكام الفلكية من الفرس او السريان اثناء مخالطتهم اياهم بالتجارة ولكن ما اخذوه ليس بالكثير او العظيم وانما تناقلوه تلقيناً ملوه بالخرافات والاكاذيب وزادوا عليها عبثاً ما اقتضته حالهم فعرفوا السيارات السبعة وهي الشمس والقمر والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وزحل وعرفوا ابراج الشمس ومنازل القمر

وكانوا يعتقدون بانواء المنازل اعتقاد المنجمين بالسيارات . والانواء جمع نوء واصل النوء سقوط نجم بالغد في المغرب وطلوع نجم يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوماً وانما يكون ذلك لنجوم الاخذ وهي منازل القمر وهي ثمانية وعشرون نجماً فلكل نجم رقيب وكانوا ينسبون لكل نوء فعلاً واثراً وكانوا يقسمون السنة الى ١٢ شهراً والاسبوع الى سبعة ايام مثل سائر الامم وقد تقدم في كلامنا عن اللغة في زمن الجاهلية بما كانوا يسمون شهورهم وايامهم وما شاكل ذلك . وكانت اشهرهم قمرية من اقدم زمانهم ويؤيد ذلك ان كلمة شهر اصل معناها القمر ولا يزال هذا معناها في اللغة السريانية واخواتها الى الآن ويدل الشهر في العربية على القمر ولكنهم يحسبون ذلك من قبيل المجاز والحقيقة ان اطلاقه على الشهر مجاز وعلى القمر حقيقي ولكن معرفتهم في الفلك على قلتها قد وسعوها بواسطة لغتهم فجعلوا لكل شهر من اشهر السنة ولكل يوم من ايام الاسبوع بل لكل ساعة من ساعات النهار او ساعات الليل اسماً او اسماء فهم يسمون اوّل ساعة من الليل مثلاً ناشئة الليل والشفق ثم العشوة ثم الغسق ثم هدأة ثم شرع ثم جنح ثم زلفة ثم هزيع ثم عبس ثم سحر ثم الفجر ثم الصبح

واوّل ساعة من النهار البكور والثانية البزوغ والثالثة الرأد والرابعة الضحى والخامسة المتوع والسادسة الظهيرة والسابعة الزوال ويقال لها الهاجرة ايضاً والثامنة الاصيل والتاسعة العصر والعاشرة الطفل والحادية عشرة الحرور والثانية عشرة الغروب

اما البَرْدان فهما طرفا النهار اي الغداة والعشي والاضحىّ اليوم الذي تطلع شمسه وتصفو سماؤه

وقد جعلوا لكل ثلاث من ليالي القمر اسماً خاصاً فيقولون للايام الثلاثة

الاولى الغرر ثم النفل ثم تسع ثم عشر ثم البيض ثم الدرع ثم الظلم ثم الحنادس ثم الدراري ثم المحاق

وكذلك يسمون الليلة الاولى من القمر الغرة واوّل الليالي البيض وهي الليلة الثالثة عشرة الغراء وبعدها البلهاء وهي ليلة البدر واوّل ليالي المحاق وهي الثامنة والعشرون الدعجاء والتي بعدها الدهماء والاخيرة الدلماء وقيل السواء ليلة اربع عشرة من الشهر والسرار آخر ليلة منه وقيل الداء داء آخر الشهر

ودعوا الشمس باسماء مختلفة حسب موقعها من الفلك فسموها عند شروقها بالغزالة وعند غروبها بالجونة وجعلوا للمطر اسماء بحسب زمان حدوثه وللريح اسماء باختلاف شدتها ومهبها الى غير ذلك من التوسع بالاسماء والاوصاف كأنهم اذا ضاقت مذاهبهم في سائر العلوم عوضوا عنها بلغتهم

فلما ظهر الاسلام واختلط المسلمون بالاعاجم اقتبسوا كثيرًا من علومهم وكان علم الفلك او علم الهيئة اول ما وجهوا اليه انتباههم في صدر الاسلام لاعتقادهم استطلاع الغيب بواسطته واقدم ما علمنا من اعتناء العرب في استخراج علم الهيئة الى العربية ان الخليفة ابا جعفر المنصور العباسي الذي تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ كان كثير الهواجس شديد البلبال يظن سوءًا بكل احد فقيل له ان في كتب الفرس والهند علم النجوم وبه تستطلع الخفايا وتعلم الضمائر وسمع بكتاب في الهند في علم النجوم اسمه «سند هند الكبير» وكان مشهورًا وفتشوا كثيرًا فبعث فجيء به اليه وامر رجلاً يقال له محمد بن الفزاري وكان عالمًا بالفلسفة والنجوم فنقله الى العربية وما زال معمولاً به الى زمن الخليفة المأمون (تولى من سنة ١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ) ووجه المأمون فكره الى علوم اليونان والفرس وكان في جملة علماء ذلك العصر ثلاثة اخوة يعرفون باولاد موسى وقد تقدم ذكرهم مطولاً في ما مر من تاريخ اداب اللغة في الجزء ١٢ من هلال السنة الماضية وكانوا ولعين بعلم الفلك وخصوصًا احدهم محمد بن موسى فاوعز اليه المأمون ان يختصر كتاب سند هند هذا فلخصه فكان اساسًا لعلم الفلك عند العرب بعد الاسلام

وفي سنة ٢١٢ هـ لما اخذ المأمون في ترجمة الكتب العلمية من اليونانية والفارسية الى العربية امر بترجمة المجسطي تأليف بطليموس القلوذي المتقدم ذكره وقد اختلف في

مترجمه فقال قوم انهُ اسحق بن حنين النصراني وكان ممن خدم على الترجمة وتولاها واتقنها واحسن فيها وقال آخرون بل الحازن بن يوسف . فلما ترجم المجسطي الى العربية انبعة العرب وعولوا عليهِ وتوغلوا فيهِ فاتيح لهم الزيادة عليهِ فاكتشفوا نقطة الرأس والذنب للارض ووقفوا في رصد ميل دائرة البروج على خط الاستواء وضبطوا الوقت وانشأوا مراصد في بغداد وقرطبة ووضعوا احكامًا وضوابط عوَّل عليها الافرنج لما افاقوا من غفلتهم بعد الاجيال المظلمة حتى اعترف علماء الهيئة الحديثين منهم انهُ لولا كتاب نور الدين في الكرة لم يستطع كبلر اكتشاف اهليلجية افلاك السيارات ولولا زيوجهم [1] في السيارات والثوابت لم يكن زيج الفونسو العالم الاسبانيولي

واما علماء الفلك من العرب فاشهرهم واقدمهم الخليفة المأمون نفسهُ فانهُ على رغبتهِ في سائر العلوم كان ميالاً خاصة الى علم الفلك فتمكن منهُ واشتهر بهِ فبنى المراصد واستقدم الآلات اللازمة للرصد واول مرصد بني في الاسلام بناه المأمون (سنة ٢١٤ هـ) في مدينة كان يقال لها الشماسية بنواحي الشام وعين فيهِ يحيى بن ابي منصور وعبد الملك وعباس بن سعيد الجوهري لرئاسة المنجمين فيهِ

ورصد المأمون ميل دائرة البروج رصدين احدهما في بغداد تولاه يحيى بن ابي منصور والآخر في دمشق تولاه خالد بن عبد الملك

وفي ايام المأمون نبغ كثير من فلكيي الاسلام منهم احمد بن عبدالله البغدادي الذي لهُ ثلاثة زيوج الواحد على مذهب الهند والثاني المشهور باسم الممتحن والثالث الزيج الصغير ولهُ رسالة في فن الاسطرلاب والاسطرلاب آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب . ومنهم عمر بن فرجان البطري احد المنجمين ترجم كتبًا كثيرة والف في النجوم وسائر العلوم . واحمد بن محمد الفرغاني وكان ماهرًا خاصة بعلم الهندسة والهيئة والنجوم ولهُ كتاب سماه الجامع بيّن فيهِ مسائل المجسطي بايضاح وافصاح

وجاء بعد هؤلاء جماعة كبيرة من المنجمين رصدوا الافلاك ودونوا الازياج ووصفوا السماء وهاك اسماء اشهرهم مترتبة حسب سني وفاتهم

(١) جعفر بن محمد بن عمر البلخي توفي سنة ٢٧٢ هـ ولهُ زيج مشهور باسمهِ

(١) الزيج كتاب تعرف بهِ احوال حركات الكواكب ويوخذ منهُ التقويم

(٢) ثابت بن قرة ولد سنة ٢٢١ ﻫ وتوفي سنة ٢٨٨ ﻫ وله ارصاد حسان للشمس تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بيّن فيه مذهبه في سنة الشمس وما ادركه بالرصد في موضع اوجها ومقدار سنيها وكمية حركاتها وصورة تعديلها وقد قيل انه مات قهرًا باضطهاد روساء ملته لاتهامهم ظنوناً في تعاليمه ما يمس معتقدهم كما حصل لغليليو القائل بدوران الارض

(٣) محمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني توفي سنة ٣١٧ ﻫ وهو من مشاهر الفلكيين وعدتهم واشتهر خاصةً بالارصاد المتقنة وكان يرصد في رقّة وفي انطاكية وهو صابي المذهب وزيجه مشهور باسم الزيج الصابي

(٤) محمد بن يحيى بن اسمعيل البوزجاني الحاسب المشهور ولد سنة ٣٢٨ وتوفي سنة ٣٧٦ ﻫ وهو اول من استخدم الماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا وقيل انه كشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة وصنع زيجاً سماه الشامل

(٥) علي بن عبد الرحمن بن يونس الصدفي المصري وكان معاصرًا الحاكم بامر الله توفي سنة ٣٩٩ ﻫ وهو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس وكان متبحرًا بسائر العلوم

(٦) الخازن الاندلسي توفي سنة ٤٣٠ ﻫ وهو صاحب كتاب الفجر والشفق عين فيه ابتداء كل منهاوقت بلوغ ١٩ درجة تحت الافق وحسب علو الهواء ٨ ر ٥١ ميلاً حاسباً محيط الارض ٢٤٠٠٠ ميل وله كتاب كثير الذكر في البصريات ضمنه في سبع مجلدات طبع باللاتينية سنة ٩٨٠ ﻫ (١٥٧٢ م) وقد فاق هذا الاندلسي سائر القدماء في فن البصريات وخصوصاً انكسار النور واكتشف كثيرًا من احكامه

(٧) هبة الله بن الحسين المنعوت بالبديع الاسطرلابي وكان مشهورًا بعمل الآلات الفلكية متقناً لهذه الصناعة توفي سنة ٥٣٤ ﻫ.

(٨) محمد بن حسن الطوسي نسبة الى طوس بخراسان ويلقب نصير الدين توفي سنة ٦٧٢ ﻫ ببغداد وقد صنع الزيج المعروف بالزيج الخاني في مرصد مراغة بامر هولاكو التتري وله تآليف اخرى بالهندسة والهيئة وغيرها

(٩) موئيد الارضي وكان من اصحاب الطوسي واصطنع كرة عربية حروفها

كوفية وهي محفوظة في متحف درسدن بالمانيا . وظهر كثيرون غير هؤلاء يضيق المقام عن ذكرهم

بقي علينا تبيان ماهية اقوالهم في الفلك ومذاهبهم فيه لانها اصبحت من قبيل الآثار البالية لانقلاب هذا العلم وتغير احكامه بانقلاب القول بثبوت الارض الى القول بدورانها وهذا اساس الفرق بين علم الهيئة القديم وعلم الهيئة الحديث . اما مذهب العرب ومن اخذوا عنهم في نظام الافلاك فهو على ما يأتي وهي غاية ما وصل اليه علم الهيئة القديم وملخصه :

ان الارض كروية الشكل ولكنها ثابتة لا تتحرك مطلقاً ومركزها في منتصف الفضاء ونسبتها الى الافلاك كنسبة مركز الدائرة الى محيطها وان السماء مؤلفة من تسعة افلاك مرصوصة بعضها فوق بعض وان هذه الافلاك كروية الشكل وتتحرك بعضها فوق بعض حركة كروية حول الارض فالارض عندهم كرة يحيط بها الهواء ثم الفضاء ثم الافلاك التسعة الواحد وراء الآخر مرصوصة رصاً بما يشبه قشور البصلة . وابعد هذه الافلاك عن الارض وهو المحيط بسائر الافلاك الاخرى دعوه فلك الافلاك او الفلك الاطلس وحسبوه خالياً من الكواكب ويتحرك حركة يومية من الشرق الى الغرب ويليه من الداخل فلك البروج او فلك الثوابت وزعموا ان النجوم الثوابت مرتكزة فيه . والافلاك السبعة الباقية هي افلاك السيارات السبعة ورتبوها بعضها فوق بعض بحسب ما تراءى لهم من خسفها بعضها بعضاً فجعلوا اقصاها فلك زحل واقربها الى الارض فلك القمر

ثم زعموا ان ما بين فلك القمر ومركز الارض ثماني طبقات سموها العنصريات وسموا اقربها من القمر طبقة النار الصرفة ثم طبقة ما مزج من النار والهواء الحار وفيها تتكوّن ذوات الاذناب والنيازك ثم طبقة الهواء العليا وفيها تحدث الشهب ثم طبقة الزمهرير التي تنشأ منها السحب والبرق والرعد والصواعق ثم طبقة الهواء الكثيف الملامس للارض ثم طبقة الماء وبعضها محسور عن اليبس ثم طبقة الارض التي تتولد بها الجبال والمعادن ويعيش فيها النبات والحيوان ثم طبقة الارض المحيطة بالمركز

هذا ملخص آرائهم في ترتيب الافلاك وقد بنوا على هذا الرأي احكامهم في

الظواهر الفلكية من الخسوف والكسوف وحركة الكواكب وما شاكل وعللوا ذلك بما لديهم من نواميس الحركة ووضعوا نواميس وقواعد تنطبق على ما نشاهد وعلى ما ذهبوا اليهِ ولم تنقصهم حركة او ظاهرة مما يحدث في الافلاك الّا عللوها تعليلاً يقبلهُ العقل اذا سلم بالمقدمات الاولية التي اشرنا اليها واساسها ثبوت الارض في مركز الافلاك

وما زال هذا الرأي معمولاً بهِ ومعولاً عليهِ منذ كتبهُ ابرخوس وبطليموس الى ان افاقت اوربا من غفلتها فقام بها علماء في الفلك وغيره وترجموا كتب العرب وازياجهم الى لغاتهم وتبحروا في غوامضها وعملوا بها الى اوائل القرن السادس عشر للميلاد فظهر العالم الفلكي البروسياني نيقولاوس كوبرنيكوس[1] المولود في بتورن سنة ١٤٧٣ م فشغف بالرياضيات شغفاً لا مزيد عليهِ حتى تعين استاذاً بها برومية وتولى الرصد سنة ١٥٠٠ ثم رجع الى بلاده فقال بثبوت الشمس ودوران الارض وسائر السيارات حولها وبنى اقوالهُ هذه على نواميس الثقل ولم يكن ناموس الجاذبية العامة معروفاً ثم اثبت العلماء بعده دوران الارض بالبراهين الحسية القاطعة مما لا محل لهُ هنا على انهُ متداول ومشهور لا يحتاج الى تبيان

وخلاصة راي العلماء المتاخرين في حركات الافلاك ان النجوم التي تتزين بها القبة الزرقاء كثيرة لا تعد ولا تحصى وهي قسمان ثابتة ومتحركة

والثابتة قد تمكنوا ان يروا منها بواسطة نظارة هرشل عشرين مليون نجم وقد قسموها الى مجاميع او صور وشبهوها باشكال حيوانات او ادوات اخرى تسهيلاً لتصوُّرها وحفظ مواقعها وقسموا هذه الصور الى رتبتين صور قديمة وصور مولدة

فالقديمة هي التي كانت معروفة عند الكلدان والمصريين واليونان والعرب منذ القدم وعددها ٤٨ صورة تقسم الى ثلاث رتب (الاولى) صور الابراج الاثني عشر المشهورة وهي الحمل والثور والجوزاء او التوأمان والسرطان والاسد والسنبلة

(١) وكان قد قال بدوران الارض فيلسوف يوناني يقال لهُ ارستارخوس من جزيرة ساموس فقال ان الارض تدور على محورها وتدور حول الشمس وهو اول من قال هذا القول ولكن معاصريهِ عدوا ذلك منهُ خرافة واتخذوهُ هزوءًا فنبذوهُ ظهريًا وتعمدوا الايقاع بهِ انتقاماً حتى كادوا يقتلونهُ وكان ذلك سنة ٢٨٠ ق م ولم يقل بهِ قائل من ذلك الحين وظهر بقوله الا كوبرنيكوس المذكور

والميزان والعقرب والرامي او القوس والجدي والدلو والحوتان · (والثانية) الصور الواقعة الى شمالي منطقة الابراج وعددها ٢١ صورة وهي الدب الاصغر والدب الاكبر والتنين وقيفاوس والعواء والفكة (قصعة المساكين) والجاثي والشلياق (النسر الواقع) والدجاجة وذات الكرسي وفرساوس (برشاوش) وممسك الاعنة والحوّاء والسهم والنسر الطائر والدلفين وقطعة الفرس والفرس الاعظم والمرأة المسلسلة والمثلث وشعر برنيكي (الهُلبة) · (والثالثة) الصور الواقعة الى جنوبي منطقة الابراج وعددها ١٥ وهي قيطوس والجبار والنهر والارنب والكلب الاكبر والكلب المتقدم (الاصغر) والسفينة والشجاع والباطية والغراب وقنطاروس والذئب والمجمرة والاكليل الجنوبي والحوت الجنوبي

اما الصور المولدة فهي صور اضافها العلماء المولدون الى القديمة لزيادة التدقيق في وصفها وتعيين مواقع نجومها وهي مقتطعة من بعض الصور القديمة وعددها ٥٧ صورة واسماؤُها ماخوذة من اسماء الحيوان وبعض الادوات ايضاً كالابراج القديمة واكثرها لا عبرة به لان الصور القديمة تغني عنه

ويقسمون النجوم الثوابت ايضاً بالنسبة الى درجة انارتها الى مجاميع سموها اقداراً وهي تسعة فالقدر الاول حاوٍ انور الثوابت وقد عدوا من هذا القدر عشرين نجماً تسعة منها في نصف الكرة الشمالي و ١١ في النصف الجنوبي وهي الشعرى اليمانية وسهيل وانور قنطاروس والسماك الرامح ورجل الجبّار والعيوق والنسر الواقع والغميصاء الشامية وابط الجوزاء وآخر النهر والدبران وثاني قنطاروس والصليب الجنوبي وراس العقرب والنسر الطائر والسماك الاعزل وفم الحوت وثاني الصليب الجنوبي وانور التوأمين وقلب الاسد

والقدر الثاني وعدد نجومه اربعون من امثلتها الفرس والمراق ونجم القطب · والقدر الثالث عدد نجومه ١٤٠ والرابع ٣٠٠ نجم والخامس ٩٥٠ نجماً والسادس ٤٤٥٠ نجماً وهذه كلها ترى بالعين المجردة اي بدون استخدام النظارة فيكون عدد النجوم الظاهرة للعين المجردة نحو ستة الاف نجم اما نجوم القدر السابع وعددها ١٣٠٠٠ ونجوم القدر الثامن وعددها ٤٠٠٠٠ ونجوم القدر التاسع وعددها ١٤٢٠٠٠ نجم فلا ترى الا بالنظارة

اما النجوم المتحركة وهي السيارات وفي جملتها الارض والقمر فانها تؤلف مع الشمس نظامًا خاصًا سموه النظام الشمسي وهو قول العلماء المتأخرين وقد خالفوا بل ناقضوا به العلماء المتقدمين فقلبوا علم الفلك رأسًا على عقب. وقد قال به اولاً كوبرنيكوس كما قدمنا ولكن اشهر من ايده واثبته كبلر المتوفي سنة ١٦٣٠ م وغاليلو المتوفي سنة ١٦٤٢ م ثم جاء اسحق نيوتن شيخ الفلاسفة فاكتشف ناموس الجاذبية العامة فثبت هذا المذهب ثبوت الجبال الرواسخ

وخلاصته: ان الشمس ثابتة والسيارات تدور حولها وفي جملتها الارض وان تلك الدورات ليست تامة الاستدارة بل اهليلجية اي مستديرة مع استطالة وان للارض حركتين يومية تدور بها على محورها (اي على نفسها) مرة كل اربع وعشرين ساعة فيتولد الليل والنهار ودورة سنوية وهي دورتها كسائر السيارات حول الشمس مرة في السنة وان القمر سيار يدور حول الارض ويستمد نوره من الشمس وان لبعض السيارات الاخرى اقمارًا تدور حولها ايضًا ولبعضها غير قمر واحد ونحو ذلك وما يترتب عليه على احكام مضبوطة ثابتة

وقد الف الافرنج في هذا الفن كتبًا جمة في سائر اقطار اوروبا واميركا اما في اللغة العربية فلم يترجم منها شيء او يؤلف فيها الى اواسط هذا القرن واوسع ما رأيناه في ذلك كتاب «اصول الهيئة» تأليف استاذنا العلامة الدكتور كرنيليوس فانديك طبع بمطبعة الامركان في بيروت

وقد كتب حضرته مؤخرًا كتابًا سماه ارواء الظماء في محاسن القبة الزرقاء طبع في بيروت سنة ١٨٩٢ وقد بسط فيه الكلام عن القبة الزرقاء وما فيها من الكواكب على اختلاف اشكالها ووصف النظارة وكيفية استعمالها وحث ذوي اليسار ممن يملون اوقاتهم فيما لا طائل تحته ان يقضوها في رصد الكواكب فيشاهدوا من سعة هذا الكون ودقة احكامه ونواميسه ما يعين على تسبيح الخالق جلّ وعلا. وقد اسس الدكتور فانديك مرصدًا في بيروت لا يزال قائمًا الى هذه الغاية

اما في مصر فقد اشتهر بعلم الفلك العلامة المرحوم محمود باشا الفلكي وفي العباسية بقرب القاهرة مرصد ترصد به الكواكب على مثال مراصد اوروبا وسنعود الى الكلام في حال علم الفلك الآن في كلامنا على النهضة العربية الاخيرة ان شاء الله

العفاف سياج العمران

نريد بالعفاف تنزه النفس الانسانية عن الدنايا وخصوصاً ما يحرمه الشرع والعرف من التهتك والفحشاء وقد حملنا على الكلام في ذلك ان بعض شباننا واكثرهم من اهل اليسار الذين يرجو الوطن منهم رفع مناره وتعزيز شأنه قد انغمسوا في الشهوات وعكفوا على المنكرات واشتغلوا بها عن واجباتهم المقدسة فبدلاً من ان يكونوا مثال العفاف ونبراس الفضيلة اصبحوا قدوة سيئة وعثرة في سبيل الانسانية فان الفحشاء هوّة عميقة تذهب باهلها الى الدمار ولا تصلح امةٌ ركبت متنها وتدنست برذائلها لانها مُضعفة للهمم ناهكة للمروّة ذاهبة باصحابها ومن صاحبهم الى اسفل دركات الذل والمسكنة

ناهيك عما ينجم عن اباحة الفحشاء من داعيات الخراب فان في عالم التاريخ من الشواهد الناطقة والادلة الحية ما لا يعد ولا يحصى على ان الانغماس في المنكرات مقوض لاركان العمران ذاهب بالجد والانفة وعزة النفس داعٍ الى الذل والخمول ومن كان عبداً لشهواته فلا عجب اذا استعبده الاخرون

انظر الى دولة الرومان التي امتد رواق سلطانها على الخافقين وحملت اليها الجزية من اربعة اقطار المسكونة فانها حالما فسدت آداب اهلها فسد نظامها ووهنت قواها وما لبثت ان سقطت وكان سقوطها عظيماً . ولو تتبعت تواريخ الامم على اختلاف الزمان والمكان لرأيتها تتشابه من هذه الحيثية وكلها قد ذهبت فريسة التهتك والابتذال

ولكن ما لنا وللامم البعيدة اليك دولة العرب التي قلّ ان بلغت دولةٌ مبلغها من العظمة والسطوة وهي انما بلغت ما بلغته من ذلك في صدر الاسلام على عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين الذين اتخذوا العفاف نبراساً وعملوا بمقتضى الكتاب والسنة فاتسع ملكهم ودانت لهم الرقاب فاذا كانت ايام دولة بني العباس وقد بلغت شمسها الهاجرة في عهد الرشيد والمأمون مالوا الى البذخ وانقطعوا الى الشهوات فاذا كانت ايام المعتصم تعاظم اقتناؤهم للجواري والمماليك واطلقوا لشهواتهم العنان فانغمسوا في الفساد واكثروا من التهتك والفحشاء فذلت نفوسهم وخارت قواهم وتغلب عليهم التتر والاكراد وغيرهم من الاعاجم فدالت دولتهم واندك طود ملكهم واندثرت اعلام مجدهم ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين

على اننا لا نحتاج الى النظر بعيداً وشاهدنا في دارنا هذه مصر السعيدة قد جاءها

المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة المحمدية العلوية والمنكر ضارب اطنابه فيها بما احلّهُ الامراء المماليك من المحرمات وقد ضربت الذلة والمسكنة على المصريين حتى لم يكن يرجى لم بعث من ذلك المهوات وخصوصاً بعد الحملة الفرنساوية التي زادت الاباحة واطلقت سراح المومسات فعلم محمد علي باشا الداء وبادر الى الدواء فشدد النكير على كل منكر وعمل على قطع دابر المتهتكات نفياً وقتلاً ومما يحكى عنه انه علم بارتكاب بعض رجاله منكرًا من هذا القبيل فامر به وبالمرأة فاغرقا في النيل معاً ولا ازيدك علماً بعاقبة ذلك ولسان الحال شاهد عدل

وربَّ قائل يقول « ارى الهلال يحظر امرًا قد اباحته الحكومة فانها قد اطلقت عنان الحرية في ذلك ومهدت له السبيل بما عينته من الاطباء لفحص المومسات فحصاً طبياً فازدادت اقدامهنَّ تمكناً في تلك المهنة واتخذن لهن مقاماً في اواسط المدينة وبالقرب من الحدائق العمومية واماكن اللهو تسهيلاً لاجتلاب الشبان بما ينصبونه من الشراك »

نقول اما الحكومة فعذرها في تعيين الاطباء انها اختارت اهون الشرّين فلما لم تستطع مع ذلك منعاً تاماً ورأت تفشي الامراض الخبيثة السريعة الانتشار التي لا دواء لها بقطع جرثومتها عينت الاطباء دفعاً لتلك الغائلة بقدر الامكان وهي ربما لا يتأتى لها الآن ما تأتى للمغفور له محمد علي باشا من هذا القبيل والناس متمتعون بحريتهم الشخصية وخصوصاً بعد ان اقيمت المجالس وتأيدت الحكومة العدلية فالحكومة من هذا القبيل تظن انها اجرت ما هو في طاقتها . وانما العمدة في ذلك على الشبان وتهذيبهم وطرق معاشراتهم وما شاكل ذلك

اما الحكومة فاذا سلمنا بعجزها عن التشبه بمؤسس العائلة الخديوية فهي لا تنجو من غائلة اللوم على امر هو عندنا من الاهمية بمكان وذلك ان اماكن الفحشاء هذه معظمها في اواسط المدينة وعلى الشوارع العمومية بحيث تكون شراكها اكثر اصابة فضلاً عن الاضرار التي تلحق بالعائلات الساكنة في ذلك الجوار فالحكومة مطالبة شرعاً وعرفاً بدفع هذه المحظورات بتنقية المدينة من هذه الاوساخ وتطهيرها من هذه الارجاس واذا كانت لا تستطيع استئصال شأفة اولئك الابالسة فلا اقل من اخراجهنَّ من قلب المدينة الى مكان بعيد في ضواحيها فلا يذهب اليهنَّ الاّ المستهلك في سبيل شهواته

وهذا حياته كمماته وينجو كثير من الشبان الذين انما ينقادون الى تلك الاماكن انقياد الشاة الى الذبح اما بلفظة او باشارة اوعلى اثر كاس من الخمر اوقدح من (البيرا) وهم ليسوا مفطورين على تلك الرذائل

ولكن وجود تلك الشراك في وسط المدينة وعلى قارعة الطرق هو الذي جرّهم الى هذا الامر المنكر لان اولئك المومسات يقفن على قارعة الطريق يتحرشن بابناء السبيل باساليب الخلاعة مما تشمئز منه النفوس ولا ينجو منهن الّا الذي رسخت قدمه في المبادي الصحيحة ولكن الضعفاء في الناس اكثر كثيرًا من الاقوياء فلو كانت هذه الاماكن خارج المدينة لما وصل اليها الّا المنغمس في شهواته ولا سبيل الى اصلاحه ولا فائدة من وعظه

وانما غرضنا وقاية الشبان الذين على شفا جرف الهاوية فاما ان يدفعهم الشيطان الى سماسرته واما ان تعود بهم الفضيلة الى سواء السبيل والله حسبنا ونعم الوكيل



المعدة بيت الداء

سيدي الفاضل منشئ الهلال الاغر

اطلعنا في الجزء الاوّل من هلالكم الاغر لهذه السنة على مقالة المعدة وتلبكها من الاكل وما اشرتم به من الحمية ومضغ الطعام وما شاكل ذلك . فما قولكم دام فضلكم بالذين لا يعرفون ان لهم معدة ولا يفهمون معنى الهضم ولا يفقهون لتلبك المعدة فقد رأيت أناسًا ياكلون دفعات كثيرة باليوم ومن العار عندهم اذا دعوا الى طعام ان لا يتناولوا منه شيئًا ورأيت اناسًا يقضمون البصل والثوم بغير حساب وبعضهم ياكلون القثاء ارطالًا على سبيل التفكه وآخرين يتناولون مقادير من الفاكهة غير الناضجة ما لو اكله سواهم لكفاه مؤونة الحياة وهم مع ذلك صحيحو البنية اقوياء المعدة يعيشون عمرًا طويلًا واسنانهم كالفضة . اما الادوية فاكثر اهالي السودان والصعيد لا يعتقدون

نها ولا يهمهم الطبيب حضر او غاب ولهم علاجات مخصوصة تصلح من ادوائهم ما يعجز عنهُ الاطباء ككي النار فانهم يعتمدون عليهِ في اكثر الامور وغالبًا ينجح ومنهم من يستعمل الحجامة في كل خمسة عشر يوم اوشهر مرة ولا تضره وهم يصفون شرب السمن لمن تعتريه حمّى وبعضهم يتناول منهُ رطلاً او اكثر في اليوم والخلاصة ان هناك اشياء كثيرة يمجها ذوقنا وتضرُّ بصحتنا وهم يتخذونها دواء ولا تضرهم ناهيك عن اكل الاسماك المملحة التي يسمونها بالملوحة وما شاكل فما رأيكم في ذلك كاتبهُ

(وادي حلفا) جرجي ميخائيل حبري

(الهلال) يرجع تفسير مجمل ما شرحتموهُ الى عوامل العادة فالعادة هي التي جعلت معدة ذلك الفلاح تحتمل تلك الاحمال الضخمة لانهُ ربي من طفوليتهِ على هذا النوع من المآكل فاعتادتها معدتهُ وتكيفت وظيفتها على ما يناسبها وقد يستنتج عند ذلك ان الحمية اذًا مضرة بالصحة لانها تضعف القوى وتعوّد المعدة على المآكل الخفيفة فاذا عرض لها طعام ضخم لا تقوى على هضمهِ فضلاً عن تأثرها لاقل العوامل . ونرى جماعة من الناس يذهبون هذا المذهب فيحاولون تعويد اطفالهم على الخشونة في المأكل والمشرب والملبس بدعوى ان الترفه يعود على الطفل بنحافة الجسم وسرعة التأثر . والجواب على ذلك ان تعوّد الخشونة افضل من تعوّد الرفاهة ولكن من يضمن لنا ان الطفل الذي نعرضهُ للبرد والحرّ ونطعمهُ الاطعمة الغليظة لا يصاب بعواقب تلك الاحمال قبل ان يتعوّدها لان العادة لا تأتي الاّ تدريجًا والذين ينجون من خطر ذلك التعود قليلون فان ذلك الفلاح الذي يأكل الارطال من القثاء والملوحة والبصل النيء ولا يصاب بضرر انما هو واحد بقي حيًا من بين عشرات ماتوا في اثناء هذا التعود لان الاجسام ليست سواء في احتمال تلك الاثقال وخصوصًا الذين يولدون ضعفاء البنية فهؤلاء من الخطاء الفادح ان تحاول تعويدهم المعيشة الخشنة فانك ان فعلت ذلك فانما انت تسوقهم الى حتفهم عمدًا

وزد على ذلك ان بيئات اهل البر ونوع معيشتهم تختلف كثيرًا عن بيئات اهل المدن ومعيشتهم فالفلاح وغيره من سكان القرى المزارعين يعملون اعمالاً خشنة فهي بمثابة الرياضة لاجسامهم والرياضة مساعدة على تقوية المعدة وهناك

احوال اخرى لا يمكن حصرها تساعد بعضهم على احتمال تلك الاطعمة لا يميل لغيرهم اليها لانها من طبيعة الاقليم والشخص الواحد منا تختلف حال معدته من الهضم وعدمه باختلاف الاماكن التي يقيم فيها فمن ربي في القاهرة مثلاً لو خرج يوماً الى بعض ضواحي المدينة او بعض الاماكن المعروفة بجودة الهواء فانه يشعر بتحسن في طعامه وشرابه ولو موقتاً

واهل سوريا مثلاً يقضون صيفهم غالباً في جبل لبنان وهو من احسن اقاليم الدنيا هواء وماء فيأكلون مقادير من الطعام يستحيل عليهم تناولها في المدن بغير ان ينالهم عسر الهضم او تصيبهم الحمى اما في لبنان فيأكلون تلك المقادير مرارًا في النهار وقد ينامون في الخلاء بغير غطاء ويشعرون بالبرد القارس وهم مع ذلك صحيحو البنية لا يصيبهم شرٌ ثم اذا عادوا الى المدن فلا يلبثون ان يعودوا الى حالهم من النحافة فتعود معدهم الى ما كانت عليه

وبالجملة فان العادة هي السبب الاول في ما ذكرتم ولكن الاعتماد عليها خطر لما قدمنا من اختلاف الابنية والاجسام قابلية لاحتمال الخشونة في المعيشة اما المولودون في بيئات خشنة فهم محمولون على ذلك قسرًا ولو تتبعت ماجرياتهم بالتدقيق لرأيت اكثر اسباب الوفاة بينهم ناتجة عن خشونة المعيشة وتحميل المعدة فوق طاقتها وهذا غالب في دوري الطفولية والحداثة فالذي يبقى حيا بعد جواز تلك العقبات فانه يقوى على دفع العوارض ويظهر لنا من حاله ما يخالف القاعدة فلا يصح الركون اليه او القياس عليه اما القاعدة فهي «ان المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء»

اما ما ذكرتم من غريب علاجهم فبعضه لا يخلو من حقيقة طبية والبعض الآخر نعده من جملة العوائد المتناقلة بالتقليد واغلبها يستعملونه في غير موضعه وعاقبته الضرر واذا صح العلاج به احيانًا فمن قبيل الشاذ الذي لا يعتمد عليه

دواء النمل

مُنشي الهلال عليك من حمصٍ السلامْ	يا كوكبَ العلماء يا نورَ الظلامْ
جاء الحكيم اليك يشكو سقمهُ	معْ ظلمه من جيش نملٍ كالغمامْ

الهلال

الجزء الخامس من السنة الثالثة

اول نوفمبر سنة ١٨٩٤ ; ٢ جمادى الاول سنة ١٣١٢) (٢٢ بابه سنة ١٦١١

اشهر الحوادث واعظم الرجال



السمعاني

وُلد سنة ١٦٨٧ وتوفي سنة ١٧٦٨ م

هو من افراد القرن الثامن عشر قام بنصرة المشرق وقضى احسن سني حياتهِ منجوِّلاً في سائر انحائهِ بدوّن مآثر علمائهِ ومؤَلفيهِ وقد حبّب الينا ذكر ترجمة حالهِ خاصة انهُ من المشارقة الذين نالوا قصب السبق في اعظم عواصم اوربا في عصره حتى تُرجمت مؤَلفاتهُ الى اللاتينية او كُتبت فيها اوّلاً ولفهم كل ذلك نقسم تاريخ حياتهِ الى ثلاثة اقسام (١) ترجمة حالهِ (٢) مؤَلفاتهُ المطبوعة (٣) مؤَلفاتهُ غير المطبوعة

﴾ (١) ترجمة حالهِ ﴿

هو يوسف بن شمعون الحصروني الماروني وشهرتهُ السمعاني وتعرف عائلتهُ بالساعنة وكل منهم يلقب بالسمعاني ولكن صاحب الترجمة اشتهر بهذا اللقب خاصة دون سواهُ والساعنة منشأهم حصرون وهي قرية بالقرب من ارز لبنان نبغ فيها جماعة كبيرة من العلماء الافاضل اشهرهم الساعنة

وُلد صاحب الترجمة في حصرون وقيل في طرابلس في ٢٧ اوغسطس (آب) سنة ١٦٨٧ م وتثقف وتعلَّم على يد عمهِ يوسف السمعاني مطران طرابلس الشام فنشأ منذ نعومة اظفاره على التقوى والورع ولما بلغ الثامنة من عمره ارسلهُ عمهُ الى مدرسة الموارنة في رومية فنبغ فيها وامتاز خاصة بالعلوم الرياضية والتعاليم الكنائسية فتوسم بهِ اساتذتهُ الذكاء والنباهة

وكان لما اتم دروسهُ المدرسية عازماً على العود الى وطنهِ فامسكهُ البابا اكليمندوس الحادي عشر واقترح عليهِ كتابة خلاصة لاتينية لكتب شرقية قديمة كانت في المكتبة الفاتيكانية وهي في الاصل مهداة من الخوري الياس السمعاني احد انسباء صاحب الترجمة وكان قسيساً في الكنيسة الانطاكية . فاذعن يوسف لاقتراح البابا وكتب الخلاصة على شكل فهرست علق عليهِ الحواشي والملاحظات فاعجب البابا بمعارفهِ وذكائهِ فعهد اليهِ منصب الترجمة في اللغتين العربية والسريانية في المكتبة الفاتيكانية وهو اذ ذاك في الثانية والعشرين من عمره وفي تلك السنة نال لقب "ملفنا" في الفلسفة واللاهوت وهو لفظ سرياني معناهُ "المعلم" ويقابلهُ لقب دكتور اليوم والدكتور لفظ لاتيني معناهُ المعلم ايضاً . وانشأ البابا اكليمندوس اثناء ذلك جمعية لتهذيب الكتب الدينية الشرقية وكان السمعاني من اهم اعضائها فظهرت مواهبهُ فازداد البابا اعجاباً بهِ فارسلهُ في مهمة ذات شان الى جهات المشرق وتفصيل ذلك ان الافرنج

كانوا قد افاقوا من غفلتهم في الاجيال المظلمة وهموا باستخراج العلوم من معادنها وكان في الشرق كنوز من الكتب الخطية باللغات العربية والسريانية والقبطية لا تقدر قيمتها لدى العارفين بها ولكنها كانت مشتتة في الديور وغيرها في مصر وسوريا والعراق قلَّ من يهمهُ امرها وكان البابا اكليمندوس المشار اليهِ من الراغبين في استطلاع العلوم ورأى في صاحب الترجمة كفاءة لهذا الامر فعهد اليهِ التجوال في انحاء المشرق يجمع ما يتيسر لهُ جمعهُ من الكتب القديمة والحديثة ويأتي بها رومية وكانت مهمتهُ هذه من اكبر الوسائل لحفظ آثار الشرق التي كاد ان يغشاها الدثور لانغماس المشارقة اذ ذاك في ظلمات من الجهل وخصوصاً في مصر فان دولة الامراء المماليك كانت في ابانها وفي الاشارة غنى

وخرج السمعاني من رومية وجاء المشرق وجعل يتعهد الديور في مصر وسوريا والعراق وغيرها ويحمل ما تصل يداهُ اليهِ من الكتب الفلسفية واللاهوتية والتاريخية وغيرها فحمل منها ما لا تعرف لهُ قيمة ويقال ان من جملة ما حملهُ من الكتب ثلاثة مراكب ملأها كتباً قبطية وعربية من ديور النطرون المصري فغرق منها اثنان ونجا واحد وكان وحده كافياً لاعجاب اهل الفاتيكان بما في الشرق من الكنوز العلمية

فلما عاد الى رومية بتلك الخيرات عمد الى تأليف كتابهِ المسمى بالمكتبة الشرقية وسيأتي ذكره وفي آخر سنة ١٧٣٠ م جعلهُ البابا حافظاً ثانياً للمكتبة الفاتيكانية ثم صار بعد ذلك حافظاً اول او رئيساً وهو لا ينفك عاملاً على التأليف والتصنيف وساعدهُ على ذلك ان بين يديهِ مكتبة قلَّ ان تفوقها مكتبة في تلك الاعصر اعني المكتبة الفاتيكانية ولانهُ كان متمكناً بلغات كثيرة اهمها العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والافرنجية وهي اللغات التي كانت رائجة في ذلك العصر وكان لهُ المام بغيرها حتى حسبوا عدد ما يتكلم بهِ من اللغات ثلاثين لغة

وما زال السمعاني مشتغلاً في التأليف والتصنيف وهو يرتقي من منصب الى آخر فتدرَّج من الرتبة الاكليريكية ثم صار كاهناً ثم قانونياً ثم صار خادماً شرفاً في قاعة البابا الخصوصية ثم صار سنة ١٧٣٥ م من الرؤساء في بلاطهِ مأذوناً بضبط عصا الرعاية والتجمل بتاج الحبرية وهي من المناصب الفاتيكانية السامية

ومن اعمالهِ المأثورة انهُ أُرسل سفيراً الى لبنان لنشر فروض التهذيب الكنائسي

بين ابناء الطائفة المارونية فانفذ لذلك مجمعًا في لبنان قاسى في سبيل انشائهِ مشاق جسيمة فجاء مجمعًا لم ينسج على منوالهِ هناك قط فاثمرت سفارته ثمرًا حسنًا فلما عاد الى رومية جعله البابا سنة ١٧٣٩ م «مبلّغ الالتماسات المعدلة والمرجحة» وهو منصب يقلده البابا من يثق بمعرفتهِ التامة بالناموس والقوانين لفحص ما يقدم له من الالتماسات والتمييز بين ما يطلب بها عدلاً وما يطالب مرجحة وانعامًا

ولم تقتصر منزلتهُ على الفاتيكان ولكن كرلوس الرابع وهو ملك نابولي وصقلية اذ ذاك قلدهُ رتبة مؤرخ مملكة نابولي (ولعلها من الرتب الحلمية عندهم) ثم خوّلهُ حق المدنية بتلك العاصمة وغير ذلك من الالتفات

وبلغ من التفات البابا اليهِ انهُ جعلهُ مستشارًا في مجمع الفحص المقدس ثم تقلد منصب (دفتري) في مجمع سرّ التوبة سنة ١٧٥٩ ثم صار امينًا للختم سنة ١٧٦١ واخيرًا تقلد رئاسة اساقفة صور سنة ١٧٦٦ وما زال عاملاً في خدمة الدين والعلم الى ان توفاه الله برومية في ١٣ يناير (ك ٢) سنة ١٧٦٧ م ودفن في كنيسة القديس يوحنا الانجيلي في مدرسة الموارنة برومية · ومما يوجب الاسف انهُ في السنة التالية لوفاته احترقت امتعتهُ وامتعة المطران اسطفانوس عواد وكانت كلها في بعض مخادع المكتبة الفاتيكانية فاحترق بها جانب عظيم من مؤلفاتهِ سيأتي ذكرها بعد ذكر مؤلفاتهِ المطبوعة وهو ما حملنا على قسمة مؤلفاتهِ الى مطبوعة وغير مطبوعة

(٢) مؤلفاتهُ المطبوعة

(١) المكتبة الشرقية · هي بالحقيقة اعظم مؤلفاتهِ وقد تقدمت الاشارة اليها وموضوعها ذكر الكتب الخطية القديمة باللغتين العربية والسريانية وغيرها مع ترجمة حياة مؤلف كل كتاب منها مع كثير من الحواشي والتعاليق · وهي تنقسم الى ١٢ مجلدًا لم يطبع منها الا اربعة الاول في مؤلفي السريان الارثوذكسيين طبع برومية ١٧١٩ في مطبعة مجمع انتشار الايمان · والثاني في المؤلفين السريان المونوفزيتيين والثالث في المؤلفين السريان النساطرة والرابع في السريان النساطرة والسريان المونوفيزيتيين طبعت برومية سنة ١٧٣٠

(٢) رسالة في سر الثالوث طبعت في رومية سنة ١٧٢٥

(٣) التاريخ الشرقي · وهو بالاصل تاليف بطرس الراهب المصري وترجمة

ابراهيم الحاقلاني من العربية الى اللاتينية فترجمة المترجم ثانية والحق بو اربع مقالات طبع في البندقية سنة ١٧٣١

(٤) انة ترجم جانباً من سنكساري الروم وراجع الجانب الآخر وقد طبع الكل في اوربني

(٥) ترجم مؤلفات القديس افرام السرياني من اليونانية الى اللاتينية مع اضافات وحواش وفهرست لجميع تاليف القديس المذكور من مطبوعة وغير مطبوعة وطبعت هذه الترجمة في المطبعة الفاتيكانية سنة ١٧٣٢ وما بعدها

(٦) مقالة في القديسين الفرنتيين في توسكانا وهم بونيفاشيوس وربدمبتوس الاسقفان واونيكوس الكاهن والشهيد قدمها للكردينال هنيبال البانوس طبعت في رومية سنة ١٧٤٧

(٧). غرامطيق يوناني طبع في اوربيني سنة ١٧٣٧ في مجلدين

(٨) تابين لفريدريك اوغسطوس الثاني ملك بولونيا طبع بالمطبعة الفاتيكانية سنة ١٧٣٣

(٩) رسالة رسولية باسم البابا اكليمنضوس الثاني عشر عين بها قوانين لترتيب المكتبة الفاتيكانية وحفظها وجعها اثناء رئاستو للمكتبة المذكورة وطبعت برومية سنة ١٧٣٩

(١٠) ترجم قوانين وفرائض الرهبان السريان الموارنة اللبنانيين من رهبانية مار انطونيوس الى اللغة اللاتينية وعلق عليها حواشي وجعل في صدرها مقالة في اصل هذه الرهبنة وانتشارها في سوريا ولبنان طبعت في رومية سنة ١٧٣٥

(١١) رسالة عربية في اصل الرهبان في جبل لبنان طبعت في رومية سنة ١٨٤١

(١٢) رسالة اخرى في اصل الراهبات الباسيليانيات في سورية ولبنان طبعت في رومية سنة ١٧٦٤

(١٣) تقويم الكنيسة . وفيو اسماء القديسين وصورهم واعيادهم ماخوذة عن نقوش على البلاط او كتابة على الرقوق والحق بذلك شروحاً وايضاحات. طبع في رومية سنة ١٧٥٠ في ستة مجلدات

(١٤) كتاب في مؤلفي تواريخ ايطاليا اخذها عن كتب قديمة خطية في

المكتبة الفاتيكانية وغيرها من المكاتب القديمة وأضاف الى ذلك مقدمات وحواشي · طبع في رومية سنة ١٧٥١ وما بعدها في اربعة مجلدات

(١٥) مكتبة الناموس الشرقي القانوني والمدني وهو خمسة مجلدات الاول في قوانين الكنيسة الرومية طبع برومية سنة ١٧٦٢ · والثاني في الناموس المدني في الكنيسة الرومية طبع برومية سنة ١٧٦٣ · والثالث والرابع والخامس حاشية على كتاب القاموس القانوني والمدني في الكنيسة الرومية · طبعت برومية سنة ١٧٦٢ وما بعدها

(١٦) رسالة عربية في اصل الرهبنة الباسيليارية وانتشارها في كبادوكية وسورية ولبنان وهي غير المتقدم ذكرها

وله غير هذه المؤلفات رسائل وخطب عديدة في مواضيع مختلفة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع

(٣) مؤلفاته غير المطبوعة

(١) ثمانية اجزاء من المكتبة الشرقية التي تقدم ذكر اربعة منها فالخامس يشتمل على ترجمات الكتاب المقدس السريانية والعربية والسادس على كتب السريان الكنائسية والسابع يحتوي مجموعات المجامع السريانية والثامن في مجموعات المجامع العربية والتاسع في المؤلفين اليونان الذين ترجمت كتبهم الى السريانية والعربية والعاشر في المؤلفين العرب النصارى والحادي عشر والثاني عشر في المؤلفين الاسلام

(٢) الجزء السابع من تقويم الكنيسة وهو في تقويم كنيسة الروم القديمة والثامن في السريان الموارنة واليعاقبة والنساطرة القديمة والتاسع في تقويم الارمن القدماء والعاشر في كنائس المصريين والحبشة القديمة و ١١ و ١٢ في تقويم اللاتين القدماء

(٣) ست مجلدات تتمة كتاب مؤلفي ايطاليا المتقدم ذكره من الجزء الخامس الى العاشر وفيها مؤلفو تواريخ نابولي وصقلية القدماء وآثارهم والحق بذلك تعليقات مما يدخل في تاريخ ايطاليا كممالك الكوبوديين ودوكية رومية وسبولاتوس وفربولي وتوسكانا وغيرها

(٤) كتاب في الصور والذخائر المقدسة في خمسة مجلدات وهي تبحث في الصور المقدسة مما هو مصنوع من الفسيفساء او منقوش على الرخام او غيره ومحفوظ في كنائس

المغرب والمشرق او مرسوم في الكتب القديمة اللاتينية او اليونانية وصور السيد المسيح وصور العذراء المحفوظة في المشرق او المغرب والصور الموجودة في فلسطين والذخائر وغير ذلك · وقد نجا هذا المؤلف من الحريق وندرج خلاصة الجزء الاول منه نيقولاوس البياني في مقالة له نشرت في رومية سنة ١٧٥٦ وباقي الاجزاء بقيت عند الورثة

(٥) اعمال مجمع الموارنة الانطاكي الذي عقد سنة ١٧٣٦ وكان هو رئيساً فيه فقد كتب اعماله بالعربية ثم ترجمها الى اللاتينية وكلتا النسختين نجت من الحريق واللاتينية طبعت

(٦) الخولوجيات الكنيسة الشرقية وتشتمل على الطقوس ورتب الليتورجية الالهية والفروض والاسرار والتكريس والتبريك والحق بها كتب علماء الكنيسيين التي لم تطبع الى ذلك الحين وقسمها الى سبعة اجزاء

(٧) اعمال مجامع الكنيسة الشرقية · في ستة مجلدات اخذ ذلك عن كتب شرقية قديمة خطية وفيها مجامع الموارنة السريان والكلدان واليعاقبة والقبط والارمن والروم الالبانيين وغيرهم

(٨) مؤلف مطول في سورية القديمة والحديثة · مقسوم الى تسعة اجزاء الاول في تخطيط سورية جملة (٢) في فلسطين (٣) في فينيقية (٤) في سورية تفصيلاً (٥) في بين النهرين (٦) في اشور (٧) في كيليكيا (٨) في بلاد العرب (٩) في قبرس وقد نجا الجزءان الثاني والتاسع ونبذ من الباقي وهي محفوظة في جملة ما نجا عند الورثة

(٩) التاريخ الشرقي · في تسعة اجزاء الاول في الموارنة السريان (٢) في الروم الملكية (٣) في الدروز والنصيرية (٤) في الاسلام (٥) في القبط (٦) في اليعاقبة والسريان (٧) في الحبشة (٨) في النساطرة السريان (٩) في الارمن

(١٠) غراماطيق سرياني مطول ومشروح بالعربية نجا من الحريق وهو عند الورثة

(١١) منطق عربي نجا من الحريق وهو عند الورثة

(١٢) كتاب علم الالهيات كتبه بالعربية

(١٣) لاهوت اعتقادي كتبه بالعربية · وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة منتشرة ومتداولة بين طلبة هذه العلوم

(١٤) تفسير الآيات الغامضة في العهدين القديم والحديث . نجا من الحريق ومنهُ نسخة في مكتبة البطريركية المارونية

(١٥) مقالات لاهوتية في مواضيع مختلفة وشروح وفتاو وغير ذلك مما لو جُمع لبلغ المجلدات الضخمة

وقد اشار رحمة الله الى هذه المؤلفات وغيرها في مقدمات كتبهِ المطبوعة ولعل ما نجا منها من الحريق قد طبع الآن ولم نقف عليهِ

وصف الهلال

« تابع ما قبلهُ »

اطلعنا على ابيات مما نظمهُ شعراء العرب في وصف هلال السماء فاخترنا منها بعضاً لنذكرها في الهلال من باب مراعاة النظير وهي

قال الصلاح الصفدي

وقد لاح الهلال لمن يراهُ وذيل الليل عند الشرق مرخي
كنون او كنؤي او كنوس بلا وتر رماها او كفخ

وقال

قلت وتشبيهي لهُ رونق كأنما هذا الهلال الجديد
زردة من فضة بعضها قد لاح في سابغة من حديد

وقال ابو الحسن ابن ظافر المصري

والليل فرع بالكواكب شائب فيهِ مجرتهُ كمثل المفرق
ولربما يأتي الهلال بفجرهِ متصيد حوت النجوم بزورق

وقال تميم بن المعز

وانجلى الغيم بعد ما اضحك الرو ض وبكى السحاب فيهِ بوبل
عن هلال كصولجان نضار في سماء كأنها جام سبل

وقال ايضاً

وكأن الدجى غدائر شعر وكأن النجوم فيها مدارى
وانجلى الغيم عن هلال تبدى في يد الافق مثل نصف سوار

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »

العلوم الدخيلة

(٣) الفلسفة

الفلسفة لفظ يوناني مركب من كلمتين (فيلوس) محب و (سوفيا) الحكمة اي محب الحكمة وهو الفيلسوف واول من لقب به فيثاغورس الفيلسوف اليوناني الشهير الذي ظهر سنة ٥٦٤ ق م لقب نفسه به تواضعاً وذلك ان الفلاسفة كانوا قبله يدعون حكماء والفلسفة الحكمة فلما ظهر فيثاغورس وحضر الى مدينة البلاذة وتذاكر مع لاون الملك بابحاث فلسفية فاظهر مهارة ودقة فسأله الملك اية صناعة اتقنت من الصناعات فقال لا اعرف شيئاً على الاطلاق سوى اني احب الحكمة ومن ثم اطلق عليه وعلى الحكماء من بعده لقب الفيلسوف

اما موضوع الفلسفة فهو في تعريف المتقدمين " البحث في جميع ما يمكن معرفته إما بواسطة الحواس الخارجية وإما بالاستدلال العقلي من كل ما يتعلق بالله وبالارواح وبالعالم الهيولي " وفي عرف المتاخرين تطلق على بيان اسباب الاشياء المادية وغير المادية او ذكر الاشياء مع اسبابها وفيه ما يجمع التعريفين . على انهم عند التخصيص يقصدون بها ابحاثاً اخرى تدخل تحت هذا التعريف بالاجمال فالفلسفة الطبيعية تبحث عن بيان اسباب الظواهر الطبيعية والفلسفة العقلية تبحث عن اسباب الظواهر العقلية ومن امثال ذلك الفلسفة التاريخية والادبية وما جرى مجراها وهذا كله من استعمال المتاخرين . اما المتقدمون فالفلسفة عندهم اعم من ذلك او هي تشمل المنطق والطبيعيات وتبحث عن علل ونواميس هذا الكون واصل الوجود وعلاقة المادة بما

وراءها وعلم الاخلاق وما يتعلق بكل ذلك فيدخل فيهِ ما هو بمنزلة علم اللاهوت او علم الكلام او التصوف او ما جرى مجراهُ من الابحاث الدينية الفلسفية

والفلسفة في اعم معانيها فطرية في الانسان او هو فيلسوف بالفطرة بمعنى انهُ ما انفك منذ ظهوره يبحث عن علل الظواهر ويفرض لها اسباباً يعلل بها ما يراه من حوادثها على ان ذلك لم ينتظم ويترتب ويعرف علماً مستقلاً الَّا في عهد اليونان فهم بالحقيقة آباء الفلسفة وكل من جاء بعدهم انما هو مغترف من بحرهم

ولولا ضيق المقام لجئنا بتاريخ الفلسفة من اول ازمانها الى الآن ويدخل في ذلك ابحاث يرتاح اليها العقل وتلتذ بها النفس ولكن غرضنا هنا لا يتجاوز صدر الاسلام ولفهم ما نحن فيهِ نذكر تمهيداً في تاريخ الفلسفة واقسامها قبل الاسلام ثم نأتي على حالها بعدهُ

تاريخ الفلسفة قبل الاسلام

تدرجت الفلسفة عند اليونان تدريجاً شأن سائر العلوم واقدم من اشتهر من فلاسفتها سبعة نبغوا قبل القرن السادس ق م اشهرهم طاليس المليطي المولود سنة ٦٤٠ ق م في مدينة مليطة وهو اوَّل من عرف علم الطبيعة والهيئة من اليونانيين فاخبر بالكسوف والخسوف قبل وقوعها واظهر الكهربائية بالحك ولم يكن احد قبلهُ يعرف طريقة لقياس ارتفاع الاهرام والقلاع ونحوها من ظلها وهو اوَّل من رتب قواعد الفصول وحدد كل شهر ثلاثين يوماً وفي آخر كل ١٢ شهراً اضاف خمسة ايام

اما فلسفتهُ اي آراؤهُ في هذا الكون وموجوداتهِ فهي " ان العالم لا اوَّل لهُ ولا آخر وهو اوَّل من قال من الروم ان الارواح ازلية ابدية غير فانية ويزعم ان الموت والحياة مستويان وان الماء هو الاصل الاوَّل لكل شيء وان الارض ليست الَّا ماء جمد والهواء ماء ثقيل الرقة وان جميع الاشياء تتغير دائماً من حال الى حال الى ان يأول امرها الى رجوعها ماء وان كل ما في الكون لا يخلو عن احساس وانهُ مملوءٌ بما لا يدركهُ الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات روح وان الارض في وسط العالم تتحرك على مركزها الاصلي الذي هو عين مركز العالم لانها من حيث هي موضوعة على مياه البحار ثبت لها هذا الاضطراب الذي كان سبباً في تحركها وان الشمس جرم مضيء بنفسهِ وهي قدر جرم القمر مئة وعشرين مرة وان القمر جسم غليظ لا يمكنهُ ان يعكس نور الشمس الَّا بجهة واحدة من سطحهِ "

وظهر بعد طاليس جماعة كبيرة من الفلاسفة زادوا على فلسفته او شرحوها وسعوها اشهرهم انكسمينس وانكسغوارس المولود سنة ٤٦٩ ق م ثم ارخيلاوس وغيرهم الى ان ظهر سقراط الفيلسوف المشهور المولود سنة ٤٦٨ ق م فجرد الفلسفة من البحث في الطبيعيات بدعوى ان البحث في ذلك لايجمل في الفيلسوف خصلاً حسنة فحصرها بقراءة علوم الاداب والاخلاق وتمييز الاشياء الجيدة من الرديئة واهمل الامور الغامضة التي لا توذن الطبيعة بمعرفتها ولزم الشرائع ونظمها على ترتيب عجيب فقسمها الى ثلاث شرائع شريعة تخص الانسان من حيث هو انسان وشريعة تخص الانسان من حيث هو اب او مدبر آخرين وشريعة تخص الانسان من حيث هو احد الجماعة . ومن تعاليمه خلود النفس الانسانية والثواب للابرار ويقال بالاجمال انه واضع الحكمة العملية الادبية عند اليونان ومات مسموماً بعد ان عاش سبعين سنة وبعد موته انقسم تلامذته الى ثلاث فرق وهي القيروانية والاشراقية والكلبيه تختلف تعاليمها بعض الاختلاف فالفرقة الاشراقية وتدعى الاكاذيمية انقسمت بحسب ادوارها الى اكاذيمية قديمة واكاذيمية متوسطة واكاذيمية حديثة فالاكاذيمية القديمة واضعها افلاطون الاثيني المشهور المولود سنة ٤٢٨ ق م وتدعى ايضاً الفرقة الافلاطونية نسبة اليه واما فلسفته فيأتها ان هذا الكون راجع الى ثلاثة اصول وهي الاله والمادة والادراك فالاله بمثابة علة المعقول والمادة نشئة السبب الاول للتوليد والفساد والادراك كجوهر روحاني قائم بذات الاله

ولما توفي افلاطون انقسم تلامذته الى فرقتين فرقة بقيت معروفة باسم الاكاذيمية القديمة وفرقة عرفت بجمعية المشائين رئيسها الفيلسوف ارسطو او ارسطاليس الشهير (ولد سنة ٣٨٤ ق م) وسميت جمعيته بالمشائين لان ارسطو كان من عادته تعليم تلامذته وهو ماش معهم واشتهر ارسطو في جميع العلوم ولا سيما الفلسفة والسياسة والمنطق والف فيها كتباً كثيرة وقد ذكرنا كل ذلك منفصلاً مع ترجمة حاله وفلسفته في الجزء الخامس من السنة الثانية من الهلال . وانما نذكر هنا ما يدعونه بالمقولات العشر او مقولات ارسطو وهي عبارة عن حدود لعلاقات الاشياء بعضها ببعض وجمل ذلك في عشر قضايا القضية الاولى اساس للتسع التالية وهي

المقولة الاولى مقولة «الجوهر» وهو جسماني وروحاني

المقولة الثانية «الكم» وهو اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل العدد او

متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة وهو اما متتابع مثل حركة الفلك او قار وهو المسمى العُظم والامتداد للجسم من الطول والعرض والعمق فمن الطول وحده تتعقل الخطوط ومن الطول والعرض تتعقل السطوح ومنها مع العمق يحصل الجسم التعليمي

المقولة الثالثة « الكيف » وقسمة الى اربعة اقسام الاول هو الاستعدادات يعني هيئات العقل والجسم المكسوبة بالاعمال المكررة مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة على الكتابة والرسم والرقص والثاني القوى الطبيعية مثل قوة النفس والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمس والقدرة على المشي والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد والحر والالوان والاصوات والروائح والاذواق والرابع الصور والاشكال التي ينتهي بها الكم مثل الاستدارة والتربيع والكروية والتكعيبية

المقولة الرابعة « الاضافة » وهي النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمخدوم والخادم والملك والرعية وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر للمبصر بالقوة وكالنسبة التي تقتضي المشاركة كالشبيه والمساوي والمباين والاصغر والاكبر

المقولة الخامسة « الفعل » سواء كان قائمًا بالفاعل مثل القيام والمشي والرقص والمعرفة والعشق او واقعًا منهُ على غيره مثل القتل والضرب الخ

المقولة السادسة « الانفعال » مثل الانكسار والانحراق

المقولة السابعة « الأين » يعني جواب السؤال الذي يتعلق بالمكان كقولك في الشام في الفراش في الدار

المقولة الثامنة « المتى » وهو جواب السؤال الذي يتعلق بالزمان كما اذا قلت متى كان موجودًا فلان فتقول منذ مئة سنة او متى وقع هذا فتقول البارحة

المقولة التاسعة « الوضع » كحالة الوقوف والجلوس وكونه قبل او بعد او على اليمين او على اليسار

المقولة العاشرة « الملك » وهو وجود الشيء مع الانسان منسوب اليه كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك به وحوزته له هو هذه المقولة وقد نظم بعضهم في ذلك فقال

زيد الطويل الازرق ابن مالك في داره بالامس كان متكي
في يده سيف لواه فالتوى فهذه العشر المقولات سوى

وقام بعد ارسطو كثيرون غيره من اليونان ونبغ ايضاً في الرومان فلاسفة كثيرون وخصوصاً في مدرسة الاسكندرية وغيرها بعضهم موافق لليونان وبعضهم مخالف لا يهمنا من امرهم شيء في هذه المقالة ولا يهمنا من الفلاسفة المتقدم ذكرهم بنوع خاص الاّ أرسطو وافلاطون لان العرب اتخذوا فلسفتهما واشتغلوا بها وعولوا عليها وبالاخص ارسطو كما سترى

الفلسفة عند العرب

اشتهرت فلسفة اليونان في العالم واشتغلت بها الامم قبل الاسلام باجيال فلما ظهر الاسلام وانتشر واختلط علماؤهُ بالاعاجم واطلعوا على علومهم كان في جملة ما نقلوه منها الى لسانهم الفلسفة وعلى الخصوص كتب ارسطو وافلاطون وفيثاغورس وشغفوا بالفلسفة شغفاً عظيماً فظهر من منهم فلاسفة عظام ذاع صيتهم في الآفاق ولكن المرجع في فلسفتهم على انواعها الى مذاهب الفلاسفة الثلاثة المتقدم ذكرهم

على ان تلك الفلسفة كانت قد دخلت بلاد العرب قبل الاسلام بواسطة الاطباء والكهان من النساطرة والسريان وغيرهم من المسيحيين وكان المسيحيون يدرسون فلسفة ارسطو لتقوى حججهم في المجادلات الدينية لما قام بينهم من الانقسامات والمناظرات ولكن العرب لم ينكبوا على دراسة الفلسفة الاّ بعد نصرهم وقيام امرهم في الدولة العباسية واوّل من باشر ذلك منهم الخليفة هرون الرشيد ثم ابنهُ المأمون ومن جاء بعده مجاولين بالمترجمين من السريان والنساطرة وغيرهم واشهر من اشتغل في ترجمة الكتب الفلسفية من هؤلاء اربعة وهم حنين بن اسحق العبادي ويعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وعلي بن فرجان الطبري . واما الكتب التي ترجموها في الفلسفة فهي مؤلفات فيثاغورس وافلاطون وارسطو وهاك تفصيلها

(١) مؤلفات فيثاغورس الحساب وعلم الموسيقى وغير ذلك من العلوم الرياضية

(٢) مؤلفات افلاطون ومنها كتاب في النفس وكتاب السياسة المدنية وطيماوس البرهان في ترتيب العوالم الثلاث العقلية وهي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وطيماوس الطبيعي في تركيب العالم الطبيعي وهذان الكتابان كان علمهما هذا الفيلسوف الى تلميذ له اسمهُ طيماوس فسماهما باسمهِ

(٣) مؤلفات ارسطاليس في المنطق والاشكال التي جعلها آلة للعلوم

النظرية وكتاب الخطوط وكتاب الحيل وكتاب الكون والفساد وكتاب العالم والسماء وكتاب سمع الكيان وكتاب الآثار العلوية وكتاب الحيوان وكتاب النبات وكتاب الحس وكتاب النفس وكتاب الصحة والسقم وكتاب الشباب والهرم وكتاب في السياسة من جملة ما قاله فيه هذه الدائرة المشهورة وهي "العالم بستان سياجه الدولة . الدولة سلطان تحيا به السنة . السنة سياسة يسوسها الملك . الملك نظام يعضده الجند . الجند اعوان يكفلهم المال . المال رزق تجمعه الرعية . الرعية عبيد يكتنفهم العدل . العدل مألوف وبه قوام العالم" ثم ترجع الى الاول فتقول "العالم بستان سياجه الدولة"

واقتدى بالعباسيين في ترجمة العلوم الدولة الاموية في الاندلس فان خلفاءها اتخذوا قرطبة عاصمة لهم حتى كادت تضارع مدينة بغداد عاصمة العباسيين وافضلهم في ذلك عبد الرحمن الناصر فبعث الى قيصر القسطنطينية ليرسل اليه من يعلم له عبيدًا الترجمة فبعث اليه راهبًا اسمه نقولا ثم بعث الى افريقية وبلاد فارس ومصر والعراق من يشتري الكتب او يستنسخها وكتب بنفسه الى مؤلفي زمانه يطلب كتبهم واجازهم عليها حتى جمع على ما يقال اربع مئة الف مجلد وقيل اكثر من ذلك وفي جملتها كثير من كتب الفلسفة على انواعها فآل ذلك الى نبوغ جماعة من فلاسفة العرب في الاندلس

وما زاد الاسلام رغبة في الفلسفة والمنطق والتوسع بهما البدع التي حدثت في الاسلام وما ترتب على حدوثها من المجادلات والمحاورات وخصوصًا في امر المعتزلة والشيعة فاحتاجوا الى الفلسفة خصوصًا في علم الكلام كما قد مرَّ تفصيل ذلك عند كلامنا على علم الكلام فرغب العرب فيها وطافوا الاقطار في طلبها وانشأوا المدارس لها ولغيرها واغفلوا منها ما يغاير معتقدهم وشرائعهم وما زالت عندهم حتى سقطت دولتهم فسقط العلم بسقوطها وبقيت مؤلفاتهم في الفلسفة كنوزًا افتتحها الافرنج في الاجيال الاخيرة واستخرجوا مكنوناتها ونقلوها الى لسانهم وخصوصًا مؤلفات ابن سينا وابن رشد وابن باجه وغيرهم . وهم لا يزالون يسمون فلسفة كل من هؤلاء باسمه وقد حرفوا اسماءهم عن مبانيها حتى يكاد يتعذَّر معرفة اصلها فهم يسمون ابن سينا (افيسنا) Avicenna وابن رشد (افيروبس) Averroes وابن باجه (افمباسا) Avempace

وهاك ترجمة اشهر فلاسفة العرب مرتبة حسب سني وفاتهم

(١) يعقوب بن اسحاق الكندي وهو اشهر فلاسفة العرب وقد تقدم ذكره في

جملة مترجمي الفلسفة اما العرب فيعدونه اكبر فلاسفتهم و بعضهم يقول انه لم يشتهر غير الكندي بالفلسفة في الاسلام ولد في البصرة وتوفي نحو سنة ٢٦٦ ه وقد اشتهر فضلاً عن الفلسفة بالهندسة والهيئة والطب والمنطق وغيرها وله تصانيف في اكثر العلوم تبلغ الخمسين كتاباً منها كتاب في المنطق وكتاب التوحيد المعروف بنعم المذهب وكتاب في الرد على الذين يذهبون مذهب الأزلية القديمة وكتاب الموسيقي وكتاب في اثبات النبوَّة وكتاب في الادب ورسالة تسلية الاحزان وقال ابن خلكان كان يعقوب بن اسحاق الكندي المسمى فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس من الكوفة وانتقل الى بغداد واشتغل في علم الفلسفة والادب وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاليس وصنف الكتب الجلية الجهة واجودها كتاب اقسام العقل الانسي وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى وقال بعض موّلفي الافرنج ان يعقوب الكندي كان من جملة المشهورين في استخراج الكتب وله موّلفات منها كتاب الفلسفة الاولى في ما دون الطبيعيات والتوحيد وكتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية وما فوق الطبيعيات ورسالة في ان الفلسفة لا تنال الا بعد الرياضيات وكتاب الحث على تعليم الفلسفة ورسالة في كمية كتب ارسطو وكتاب في قصد ارسطو من المقولات ورسالته الكبرى في مقياسه العلمي وكتاب في اقسام العقل الانسي وكتاب في ماهية العلم واقسامه وكتاب في ان افعال الباري تعالى كلها عدل لا جور فيها وكتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له وكتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات الاول وكتاب في عبارات الجوامع الفكرية وكتاب ايساغوجي لفرفريوس وكتاب في المدخل المنطقي مبسوط وآخر مختصر ومسائل كثيرة في المنطق وغيره ورسالات كثيرة في كل العلوم وهي مئتان وخمسون رسالة مفيدة بكل علم اتقنته وكلها مذكورة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ولم نعثر على شيء منها مطبوعاً

(٢) الفارابي - وهو ابو النصر محمد بن طرخان بن وزلغ الفارابي احد اكابر فلاسفة المسلمين وهو تركي الاصل من مدينة فاراب وتخرج بها ثم نزح الى بغداد وهو يتكلم التركية ولغات اخرى الا العربية فتعلمها واتقنها واخذ يطالع كتب الفلسفة فلم تمض مدة حتى نبغ في هذه العلوم وفي غيرها واتقن فن الموسيقي اتقاناً غريباً ودرس كتب ارسطاليس درساً جيداً وتبحر فيها وكان يقرأ الكتاب عشرين او ثلاثين مرة

وقد قال هو محدثاً عن نفسه «قرأت السماع الطبيعي لارسطاليس الحكيم اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قراءته» توفي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ

ومن مؤلفاته كتاب في احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه وكتاب في السياسة المدنية ولخص كتاب ارسطو في كتابه المسمى بالثمانين في علم المنطق وعلق عليه شروحاً ويقال انه هو الذي اخترع القانون الآلة المطربة

(٣) ابن سينا . هو الشيخ الرئيس الفيلسوف الطبيب ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البخاري ولد في قرية خرميثن من قرى بخارى سنة ٣٧٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ وكان نابغة من نوابغ عصره منفرداً بالذكاء والفطنة تخرج في العلم والفلسفة على ابي نصر الفارابي المتقدم ذكره . وقد ذكرنا ترجمة حياته مطولة في الجزء العاشر من السنة الاولى من الهلال مع مؤلفاته ومذهبه وكل ما يقال عنه وقد ذكرنا مؤلفاته كلها فبلغت ٨١ مؤلفاً منها ٢٦ في الفلسفة فقط . وبمطالعة كتبه هذه يتضح جلياً انه اخذ عن ارسطو اخذاً صريحاً او نسج على منواله وهو بالحقيقة اول من اذاع فلسفة ارسطو بين العرب

(٤) الغزالي . وهو ابو حامد محمد الغزالي الملقب بحجة الاسلام توفي سنة ٥٠٥ هـ وقد تقدمت ترجمة حياته بين علماء الصوفية في باب التصوف من تاريخ آداب اللغة بالجزء التاسع عشر من السنة الماضية

(٥) ابن رشد . هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد المالكي الاندلسي القرطبي ولد في مدينة قرطبة بالاندلس سنة ٥١٤ هـ من عائلة عريقة بالعلم والفضل خصوصاً القضاء وتربى وتثقف ونبغ في العلوم وخصوصاً الفلسفة والف فيها التآليف الكثيرة وشرح كتب ارسطو وجالينوس وغيرهما وله في ذلك زهاء ثلاثين مؤلفاً او تزيد وتوفي سنة ٥٩٥ هـ وقد وردت ترجمة حياته مطولة مع مؤلفاته ومذهبه وكل ما يتعلق بذلك في اول السنة الثانية من الهلال فليراجع هنالك

(٦) ابن باجه . وهو ابو بكر محمد بن يحيى بن باجه ولد في سرقوسة بالاندلس في اواخر القرن الخامس للهجرة وكان عالماً في الفلسفة والطب والرياضيات والهيئة وسكن في اواخر ايامه بغرناطة ثم نقل الى افريقية وتوفي كهلاً سنة ٥٣٣ هـ وله مؤلفات حسنة بالمنطق الا ان الاجل لم يفسح له في اظهار مواهبه

(٧) ابن الطفيل . هو ابو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي ولد بالاندلس سنة ٤٩٤ هـ واشتهر بالطب والفلسفة والشعر وقد وصل الينا من مؤلفاته رسالة تدعى (حي بن يقظان) وهي تشتمل على اشهر آراء العرب الفلسفية ويقال انه اخذها عن ابن سينا وهي مطبوعة غير مرة ومتداولة

وهناك غير هؤلاء ممن اشتغلوا في الفلسفة او ربما اشتبه فيهم المنطق بالفلسفة او التصوف فاغضينا عن ذكرهم هنا

باب المراسلات

العفاف سياج العمران

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

جزاكم الله خيراً على ما تتوخونه من الخدمة الصادقة لابناء الوطن فان مقالتكم في «العفاف سياج العمران» لا تقل فائدة عن سابقتها «ساعات الفراغ» واني بلسان القراء كافة اتقدم اليكم ان تثابروا على الكتابة في هذا الموضوع وامثاله لان فيه منجاة لكثير من الشبان الذين قد اخذت بهم عوامل الشبيبة وهوى بهم ضعف الجبلة البشرية الى مهاوي الرذيلة وبئس المصير

وقد اعجبني قولكم ان اكثر المنغمسين في تلك الدنايا انما هم من اهل اليسار الذين يرجو الوطن منهم رفع مناره وتعزيز شأنه ثم ان ذلك لما يزيد المصيبة كبراً. ومن البلية ان يكون المال وسيلة للخراب والناس انما يسعون اليه طلباً للعمار وهو بالحقيقة قوام العمران. افتتخذه اولئك الاغرار وسيلة لهدم اركان الهيئة الاجتماعية وتدنيس الآداب العمومية أليس من موجبات الاسف ان يكون بيننا شبان وهبهم الله جسماً صحيحاً وعقلاً صحيحاً وقد تعلموا وتهذبوا وتثقفوا فضلاً عن استعدادهم الطبيعي للعمل وقد وقف خلو جيوبهم عثرة في سبيل اعمالهم وربما قضوا السنين الطوال يتحرقون ويتحرمون لقصر ايديهم عن اعمال قد حال فقرهم دون مباشرتها على انهم لو باشروها لجاءت بالنتائج

العظيمة لوطنهم او لبني الانسان كافة . وان يكون في الجانب الآخر شبان وُلدوا في نعيم وعز وتربوا في بحبوحة السعادة والرفاه لا يعرفون للدينار قيمة الآبما يسهل لهم من طرق الفحشاء والعياذ بالله فينفقون الاموال الطائلة في سبيل امر ينكره الشرع والعرف وتنفر منه الآداب وتخالفه الفضيلة ويرتجف لهوله العمران لانه هادم لاركانه منوض لدعائمه فكأن الغنى وسيلة لارتكاب الدنايا فبئس ذلك الغنى وباحبذا الفقر

ولا اظنكم تخالفونني في ان اللوم في امر اولئك الشبان انما هو راجع الى والديهم لانهم لم يلتفتوا الى مستقبل اولادهم فلم يعلموهم الفرق بين الفضيلة والرذيلة ولا حببوا اليهم التمسك باذيال العفاف بل غادروهم على اميالهم الفطرية ومهدوا لهم سبل الرذائل بما يجرون عليهم من الاموال بغير حساب فاذا شبوا على ذلك وقضى الله بموت والديهم او اوصيائهم ازدادوا تمكناً من الرذائل والعياذ بالله

واسمحوا لي ان اعترض على التماسكم العذر للحكومة بإباحتها ذلك الامر وتعيين الاطباء . فقد قلتم انها بذلك تمسكت باهون الشرين

نعم ان تعيين الاطباء لفحص المومسات اهون من اطلاق سراحهن بغير فحص ولا حدود ولكن قطع دابرهن جملة اولى وافضل واذا قيل انها لا تستطيع ذلك « والناس متمتعون بحريتهم الشخصية » نقول انها تستطيع على الاقل ان تصرح باستنكار هذا الامر وتأمر بابطال الاماكن العمومية المختصة به وتنهى اصحاب الاملاك عن ايجار منازلهم لمن اشتهرن بالمنكر اوعرفن به فاذا لم تستطع بذلك قطع دابرهن فانها تضعف عمل المنكر وتقلل عدد المومسات لما يلاقينه في سبيل رواج بضاعتهن من العقبات واذا لم يكن لهن اماكن معلومة في شوارع مسماة فالشبان لا يسعى منهم اليهن الآ الذي استهلك في سبيل شهواته وهور بما لا يتصل الى تلك الامكنة الآ بعد شق الانفس اولا يتصل اليها اوربما رجع عن غيه قبل بلوغها

اما الآن فاني لأخجل والقلم لا يطاوعني على التصريح بما يترتب على وجود الشوارع العمومية المختصة بذلك الامر الفظيع من الاضرار وانما اقول بالاختصار ان وجود شارع معروف باسمه وصفته ومكانه مشهور في سائر الاقطار بما هو فيه لما يحمل الناس على المنكر ويسوقهم الى الفحشاء سوقاً وخصوصاً اذا كان ذلك المكان في اواسط المدينة كما هو الحال في القاهرة الآن وقد احسنتم بالتماس اخراجه الى ضواحيها ولا تنكر ان ذلك

يخفف المصيبة بعض الشيء ولكن ابطالها جملة اولى وافضل وليس ذلك على رجال حكومتنا بعزيز (القاهرة) (ر . ن .)

﴿ محاسن التشطير ﴾

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

بناء على طلب احد ادباء صيدا محسنات التشطير كتبنا شيئاً مختصراً في ذلك ووعدنا بالكتابة ان سمحت الفرصة والآن وفاء بالوعد كتبنا هذه العجالة مدمجين المحسنات والامل المساعدة من حضرات الادباء الكرام فان الحقيقة بنت البحث

التشطير عند علماء البديع ان يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتي بكل شطر مخالف لقافية الآخر ليتميز كل شطر من اخيه (النابلسي)

من كل معتقل بالرمح مشتمل بالسيف منتقم في الجحفل اللهم

ويستعمل ايضاً بان يضم الى الشطر الاوّل من بيت الشعر المقصود تشطيره شطراً موافقاً للشطر الثاني بالقافية والى الشطر الثاني شطراً آخر قبلهٔ فيصير البيت بيتين

ولعله مأخوذ من الابداع وهو ان يودع الناظم شعره بيتاً او اكثر او مصراعاً او ما دونهٔ من شعر آخر بعد ان يوطي لهٔ توطئة تناسبهٔ بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان الكلام بجملتهِ لهُ

قالوا والاحسن ان يصرف الشاعر ما اودعهُ في شعره عن معناه الاوّل الذي قصده صاحبهُ وهو غاية الاوائل

لكن الفرقة التي مشت تحت العلم الفاضلي وتحلت بالقطر النباتي لم ترضَ بنقلهِ مجرّداً من التورية اوما يناسبها من انواع البديع

فيتحسن في التشطير ما يتحسن في الابداع ويكون اقساماً ثلاثة وهي دون وحسن واحسن

فادنى المراتب ما يذهب برونق الكلام ويكون غرضاً لسهام الملام بان يأتي الشاعر بكلمات ملفقة ومعان متزحلقة غير مرتبطة بالاصل وكان جسماً عري عن المفصل تشمئز منها الطباع وتنفر عنها الاسماع فلا خلاف في انهُ ضرب من الهذيان لم يجنح لقبولهِ ادنى انسان كقولهِ

ردوا على طرفي النوم الذي سلبا يا اهل ودي جسمي صار منتهبا
من يوم فارقتكم ما شمته ابدًا وخبروني بعقلي اية ذهبا

والحسن هو ما كان مرتبطًا بالاصل ارتباطًا تامًا بحيث يظن السامع ان القصيدة واحدة ليس للغير فيها ادنى زائدة وهو كثير ربما يتلقى بالقبول ولا يعد من الفضول كقوله

وقائلة لما ضيعت مالاً جنته يد الاصول بكل هون
ولم تعنض بشيء عنه الا بجمع الكتب قلت لما دعيني
لعلي ان ارى في بعض كتب حقائق اوضحت سبل اليقين
ويتلو لي لسان الحال منها افادات لدنياي وديني

وربما مله قوم لعدم الفائدة ونكتة جديرة زائدة وربما اتى هذا النوع بمحسنات لفظية لم تكن في الاصل فيلحق برتبة الاحسن عند اهل الفضل · مشطر البردة

خفضت كل مقام بالاضافة اذ جزمت بالفتح من ذي العطف والكرم
ومذ نصبت بمحراب المدى قدمًا نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

الباقي مشطرًا

سمحت بارسال الدموع محاجري مذ صد عني رئم رملة حاجري
وتناقص الصبر الجميل بمهجتي لما تزايد بالتجني هاجري

وله ايضًا

وان مشيت على الحصباء صيرها عبير ذيلك مسكًا فاح مفتوتا
كما ودر دموعي رد لؤلؤها شعاع خدبك مرجانًا وياقوتا

وله ايضًا

فكن شاربًا صبرًا لمر صدوده فذلك مهما مر تعقبه الحلوى
وشرب الحشا من عين سلوانها اجتنب فما ذاق طعم المن من هم بالسلوى

وفي هذا القدر كفاية لذوي الدراية

والاحسن بتغيير المعنى المراد للشاعر وان اتى بمعنى زائد كان تحت شرط الاديب الماهر (الملالي)

واترك الخمرة ان كنت فتى ترك السخط وبالمسم اشتغل
انما المسم جنون عجبي كيف يسعى في جنون من عقل

﴿ غيره ﴾

قالوا الطلا محرم   نعم وبشبه الرجيع
بصفر بليت ان   قلت لهم هو الربيع

﴿ غيره ﴾

بدا العذار فما من حاجة بفوت   سوى انتشاق عبير الآس بالدوم
والحمد لله ان الآس ذو عمر   والورد دولتة وقت من اليوم

﴿ غيره ﴾

ان يكن في العلم خوف   كان ذا خير لباس
واذا اورث بغيا   لم يكن في الجهل باس
انما الجاهل مهما   شاهد العلام قاس
ذاك ان مس فذا ان   سع المحبوب باس

او يرد الاصل الى الماجاب من جهة المعنى كقول الياقي مشطرا

يا مريض الجفون عذبت قلبا   لم يبت قط من هواك خليا
وتلطف بجسم صب نحيل   كان قبل الهوى قويا سويا

فان الاستوا من صفات الاجسام لا القلوب او من غيره كالاعتناد كقوله

خطب لقد عم كل الكائنات فلا   تحكي غلوّا تنى المنعي يأباه
سبحان من كل شيء في ارادته   والله ما زلزل الاقطار الاّ هو

او بزيادة عليه اقتضاها المقام كقول الشيخ امين الجندي لما كان بمصر بمعية ابراهيم باشا نجل المغفور له محمد علي باشا وقد اقترح عليه تشطير ابيات منها

لقد اعربت عيناه عن سحر بابل   وعن سيف ابراهيم بالفتك والاسر
لها حركات معرب رفع لحظها   وان كان مبنيّ الجفون على الكسر

ولما وقع موقع الاستحسان ادخله الخزائن وحشا فاه درا فابى ولم يرضَ من ذلك الا شيئا نزرا مائة وخمسين قرشا لبقال اقامة حلاً وترحالاً منفقا على العيال

او اقتضاها سياق الكلام كقول صاحب الفضيلة الشيخ محمد افندي الحريري مشطرا بيت صاحب السماحة ابي الهدى افندي الصيادي الرفاعي مشيرا الى تمام القصة

ذاك الرفاعيّ الحسينيّ الذي   من ذكره النار الموقودة تخمد

والطائل الباع الذي في جحو | مدت له من مجرة المادي اليد

وقلت مشطرًا

قلت للمحبوب صلني | واحكم فيما اردت
انما سؤلي وقصدي | يا بديع الحسن انت

وهذا ما سنح للذهن الفاتر وفيما اشرنا اليه بغية للناظر والامل من اخوان الصفاء النظر بعين الوفاء لا الجفاء (حمص) محمد ابو الهدى الامامي

العلم وذووه

وردت علينا قصيدة ضافية من نظم حضرة الاديب امين افندي فارس بالناصرة في العلم وذويه كنا نود درجها برمتها لولا ضيق المقام فاخترنا منها بعض الابيات والجزء يدل على الكل قال

ما العلم الا منارٌ للهدى رُفعا | به الضلال انمحى والجهل قد دُفعا
ومصدر العلم محراب المدارس ما | أحلى واسعد تلميذًا بها رتعا
ومنها فمن تعلق بالعلم الشريف غدا | مواصل العز بين الخلق مرتفعا
ومنها هبوا فهذي رياض العلم قد جمعت | من كل فاكهة زوجين قد ينعا
قطوفها اصبحت للعقل دانية | فاقطف وسُرَّ بها والتذّ منتفعا
وخصّ بالشكر من ادنوا معالمها | بعد النوى باجتهادٍ كالقضا اندفعا
ومنها مذ ارسلوا في بلاد الغرب فدغرب | جهل الذميم وبدر العلم قد طلعا
شادوا المعاقل للعلم الشريف وقد | دكوا قلاع جيوش الجهل فاقتلعا
ومنها بل اشكروا ملكًا في ظله ارتفعت | ذوو العلوم فجل العلم واتسعا
ومنها عبد الحميد حميد الاسم مكتسب | حمد الرفيع من المولى الذي رفعا
احيا العلوم وحيّا كل مكرمة | فليحيَ طول المدى بالله ممتنعا
ومنها ان القناعة الا بالعلوم غنى | لكن بها وحدها ما اجدر الطمعا
لبس القنوع بها الا اخا كسل | والنفر والثور بالكسلان قد ولعا
يا طالب العلم هل يرضيك شاطئه | والدرّ في العمق للغوّاص قد وُضعا

(الناصرة) امين فارس

بالبرودة خلافاً لسائر الاجسام ودليل زيادة مسامهِ انهُ يطفو على وجه الماء فهو اخف منهُ وبالتالي فهو اكثر مسام منهُ ومع ذلك فالثلج لا يقبل الانضغاط بغيران يتكسر لانهُ قصم وهكذا الزجاج والله سبحانهُ وتعالى اعلم

﴿ استفهام ﴾

(مصر) انيس افندي عازر

ان تكرمكم بافتتاح باب السؤَال والاقتراح قد سوَّل لي ارسال هذا السؤَال وهو اني قرات في احدى الجرائد الانكليزية ان سيدتين وثلاثة رجال صعدوا الى قمة جبل جوستا في تلماركس جنوبي بلاد النروج . وكان صعودهم صباحاً والجو صحواً ثم تغير الطقس عند الظهر فظهر ضباب كثيف وفيما بين الساعة ٦ والساعة ٧ بعد الظهر انكشف الضباب عن بعض اجزاء الجوّ فظهر لهم الفضاء المحيط بهم منيراً كالشمس ولما رأوا ذلك جعلوا يصعدون على ارتفاعات لكي يحققوا ما يرونهُ جيداً . فلما ولوا وجوهم جهة المشرق شاهدوا قوس قزح مزدوجة على شكل دائرة وخيل لهم ان هذه الدائرة تبعد عنهم بعداً يختلف بين ٢٠ و ٣٠ قدماً فقط . وانهم شاغلون مركز هذه الدائرة وانعكست اشباحهم حتى رُسمت امامهم فصار كل واحد يرى صورة الآخر بلون اسود كأنها مرسومة على مرآة . ومكثت هذه الظاهرة عدة دقائق ثم اختفت ثم تجددت اربع مرات وكانت في كل مرة تظهر اجلى من المرة التي قبلها . وعلو هذا الجبل نحو ٦٠٠٠ قدم

(الهلال) يظهر من مجمل هذه الظواهر انها حاصلة من تفاعل الشفق بكهربائية الغيوم وسنفرد فصلاً عن الشفق في فرصة اخرى ان شاء الله تعالى

﴿ دوران الارض ﴾

(طوخ القراموص) الشيخ احمد محمد الالفي خادم العلم الشريف

ذكرتم في العدد الرابع من السنة الثالثة للهلال ان اوَّل من قال بدوران الارض ارستارخوس سنة ٢٨٠ ق م الى ان قلتم ولم يقل به قائل من ذلك الحين وظهر بقوله الا كوبرنيكوس مع ان هناك اقوالاً لغيركم لعدة اشخاص يستفاد منها ان احد اصحاب فيثاغورس هو القائل بهذا القول وها انا اسرد على سيادتكم بعضاً من هذه الاقوال

بنصها . قال العلامة القزويني في كتابه عجائب المخلوقات ما نصه ومن القدماء من اصحاب فيثاغورس من قال ان الارض متحركة دائمًا على الاستدارة والذي يرى من دوران الكواكب انما هو دوران الارض لا دوران الكواكب الخ . وقال سعادة خير الدين باشا في مقدمة كتابه اقوم المسالك ما نصه وان منهم (اي من اهل اوربا) من لا تنكر منته على العرفان مثل كوبرنيك من اهل بولونيا المولود سنة ١٤٧٢ وهو الذي حرّر القول بان الشمس في مركز العالم وان الارض والكواكب تدور حولها قيل وليس هو اوّل قائل بذلك وانما الاوّل فيلولاوس احد تلامذة فيثاغورس قال على ان كوبرنيك هو الذي ينبغي ان ينسب اليه مزية الابتكار وان انتفع بالاهتداء اليه بقول فيلولاوس المذكور الخ . وقال المرحوم رفاعه بك في كتابه انوار توفيق الجليل والمرحوم الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه صفوة الاعتبار ما يماثل ما تقدم على ان المرحوم رفاعه بك بعد ان نقل هذا القول ونسبه لاصحاب فيثاغورس صرّح بانه مذهب لفيثاغورس كانه اراد ان اصحابه نقلوه عنه ورأيت في العدد الاوّل لجريدة المدى الغرّاء ما يؤيد ما تقدم نقلاً عن كتاب في الفلك لكوبرنيكوس بدائرة المعارف العربية وهذا نص عبارة الجريدة المذكورة "طالما اعتقد القدماء ان الارض ثابتة في الفضاء ولم يصدم عن ذلك قول كثيرين من فلاسفة اليونان بدورانها قال وما زال الناس يعتقدون هذا الرأي حتى ظهر الفلكي الشهير كوبرنيك الالماني سنة ١٥٤٢ ميلادية ووضع كتابًا في علم الفلك قال في مقدمته ان المعارف الجارية المتعلقة بالارض ناقصة فبحثت عن الحقائق في كتابات القدماء قال وانني الفت هذا الكتاب منذ ٣٦ سنة وامتنعت عن نشره قبل ان ألحّ عليّ بذلك الكردينال شومبرغ قال ومع ذلك ترددت عن نشر الكتاب طويلاً وقلت في نفسي لعل الصواب في اقتفاء آثار اصحاب حكمة فيثاغورس وغيرهم الذين اعلنوا تعاليمهم لنفع اصدقائهم الخ" فما هي الحقيقة حينئذ أنعوّل على ما جاء في الهلال ونضرب صفحًا عن هذه الاقوال ام نضرب صفحًا عن ما جاء في الهلال والّا فما هو طريق التوفيق نرجو الافادة

(الهلال) لا يخفى على حضرتكم ان للارض حركتين الواحدة على محورها وهي يومية والاخرى حول الشمس وهي سنوية وقد اجمع العلماء على ان ارستارخوس اليوناني هو اول من قال بهاتين الدورتين وهذا ما اردناه بقولنا في الهلال الماضي . اما

فيثاغورس فقد قال بحركة الارض ولكنهُ اراد حركتها حول مركز ناري زعم وجوده وسماه النار المركزية وخلاصة مذهبهِ من هذا القبيل ان السماء يراد بها افلاك الثوابت او الخلاء بين الثوابت والقمر او العالم برمتهِ شاملاً للافلاك والارض جملة وان الافلاك عشرة لا يرى منها الا تسعة وهي فلك الثوابت وافلاك السيارات السبعة وفيها الشمس والقمر وفلك الارض واما الفلك العاشر فقال انهُ لا يرى وانما فرض وجوده لاعتماده في فلسفتهِ على الاعداد واعتباره العشرة عدداً كاملاً وسمى الفلك العاشر هذا فلك "ضد الارض" او مقابل الارض وكان يعلل بهِ خسوف القمر وزعم ان في منتصف الكون ناراً سماها النار المركزية وانها مصدر الحرارة والحياة وان السيارات وفي جملتها الشمس والارض تدور حول هذه النار وكان يزعم ان القمر وسائر النجوم اجسام عاقلة او تسكنها اجسام عاقلة

هذا هو ملخص مذهب فيثاغورس وقد تناولهُ عنهُ تلميذهُ فيلولاوس الذي ذكرتموهُ وكان عائشاً سنة ٣٧٤ ق م وهو يختلف عن رأي ارسترخوس كل الاختلاف لان فيثاغورس يقول بدوران الارض والشمس وسائر الاجرام السيارة حول شيء وهمي فرضهُ هو واما ارسترخوس فقد قال بدوران الارض حول الشمس وبدورانها على محورها وهو قول كوبرنيكوس عينهُ وهذا ما اردناه هناك

على اننا نثني على اعتراضكم لانهُ دل على رغبتكم في تقرير الحقائق رغبة منزهة عن كل غرض ولانهُ نبهنا الى تفصيل ما اجملناه دفعاً للاشكال ونشكر لكل اديب يحذو حذوكم في الانتقاد فان الحقيقة بنت البحث

ملحق بباب المراسلات

بعد ان اقفلنا باب المراسلات ورد علينا جوابان آخران على السؤال المدرج في هلال الماضي من الاديبين وهبه افندي تادرس معاون محطة السكة الحديدية في المحسمة ومحمد افندي حسني كاتب بقلم بمابورتات المويس وهما بمعنى الاجوبة الاخرى التي تقدم ذكرها هناك

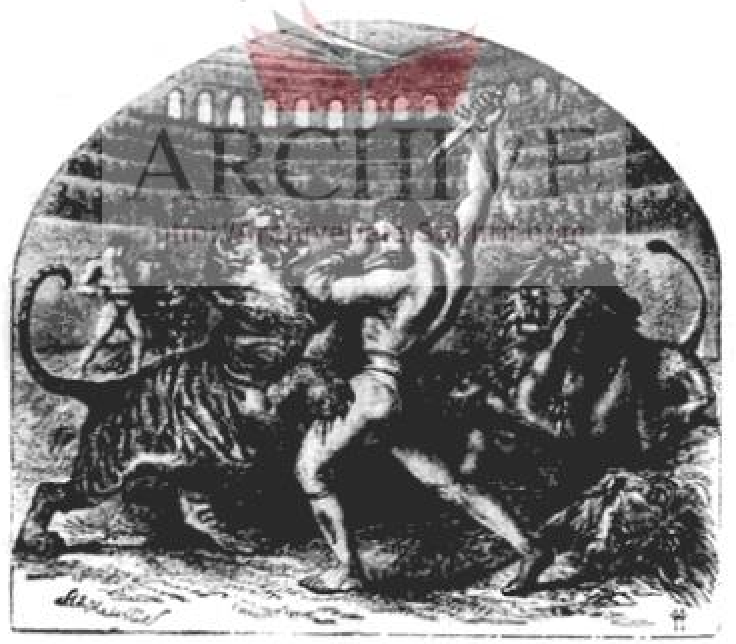
وقد ذكر الامضاء في ذيل دواء النمل في الهلال الرابع الماضي حسن حسني والصواب محمد حسني

الهلال

الجزء السادس من السنة الثالثة

١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ | (١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٢) (٧ هاتور سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



مبارزة الاسود عند الرومان

بلغت الدولة الرومانية في ابانها من السطوة والصولة ما قلما بلغت اليه دولة من دول الارض فقد اتسع نطاق ملكها حتى احاط بالعالم المعمور وطالت مدة حكمها قروناً متطاولة مالم يتيسر لسواها من دول الارض قاطبة . والتمدن الروماني مشهور وله فضل عظيم على تمدن اوربا الحالي مما لا حاجة بنا الى تبيانه وانما غرضنا من هذه المقالة الاشارة الى عادة كانت جارية في ابان دولة الروم لم يسبقهم اليها غيرهم ولا تناولها عنهم سواهم ولو ادعوا انها عادة قديمة كما سيجيء . وتلك العادة هي «تبارز الاسرى» وما ادراك ما تبارز الاسرى كان الرومانيون في ابان دولتهم يستعبدون اسراهم كسائر الدول في تلك العصور وما بعدها وذلك ما جرت عليه دول الاسلام على اختلاف ازمانها وقد تقدم لنا بيان ذلك كلام مسهب في الهلال عند كلامنا على الاسترقاق والمماليك . اما الاسلام فكانوا اذا استعبدوا اسراهم انما يستخدمونهم في منازلهم او مصالح دولتهم او يبيعونهم لسواهم بثمن معلوم

اما الرومانيون فارتأوا ان يقتلوا اولئك الاسرى وتفننوا في طرق ذلك حتى جعلوهم يقتلون بعضهم بعضاً بالمبارزة في مراسح مخصوصة بنوها لذلك وهم يجلسون على مقاعد مستديرة تحيط بذلك المرسح مرتبة بعضها وراء بعض تتدرج ارتفاعاً كلما بعدت يجلس عليها المتفرجون يعلو بعضهم بعضاً وكلهم مشرف على الساحة الوسطى حيث يتبارز المتبارزون ويسمون المكان الذي كانوا يجتمعون فيه لتلك المشاهد «امفيثياتر» وهي كلمة يونانية مؤلفة من لفظين «امفي» (على الجانبين) و«ثياترون» (مرسح) وهو عبارة عن ساحة متسعة بشكل نصف دائرة مفروشة بالرمال يحيط بها مقاعد تقدم ذكرها وهي تصنع من الخشب او الحجارة او منهما معاً يجلس عليها الناس صفوفاً مرتبة بعضها وراء بعض بشكل مستدير . ويختلف الامفيثياتر مساحة واتقاناً فمنها ماتبلغ مساحة ارضه خمس فصبات اوستاً فيسع نحواً من سبعين او ثمانين الفاً من الناس او اكثر من ذلك كثيراً . ويتفننون صنع هذه المقاعد اتقاناً عجيباً ويزينونها بانواع النقوش ويجعلون عليها الاكاليل الجميلة وسائر انواع الزينة فيصعد المتفرجون اليها بسلالم تختلف وضعاً وشكلاً باختلاف الذين يصعدون عليها فمنها ما هو مصنوع لاعاظم رجال الدولة وبعضها للاعيان او غيرهم وكان من هذه المراسح عدد عديد في بلاد الرومان وخصوصاً في رومية عاصمة مملكتهم الى ذلك العهد ولا يزال بعض من آثارها باقياً الى هذه الغاية

تجلى فيه مظاهر العظمة ويدل دلالة صريحة على استبداد اولئك الاقوام وعظمتهم

اما المبارزة فكانت تحصل في تلك الساحة المفروشة بالرمال والناس ينظرون من مقاعدهم والموسيقى تعزف بالحانها كأنهم يطربون لوقع النصال على المبارزين ويزيد طربهم اذا كانت الضربة قاضية وقد اظهر ضاربها تفنناً بها

والمتبارزون كانوا في اول الامر الاسرى الذين يؤخذون بالحرب فبدلاً من ان يقتلوهم صبرًا كانوا يفرضون عليهم المبارزة في تلك الساحة اما مصارعة بالايدي او مدافعة بالسلاح ويفرضون لمن يفوز بالبراز مكافأة تختلف نوعاً ومقدارًا باختلاف ما يظهر منه من الحركات الحربية ويجلس الرومانيون على تلك المقاعد يشاهدون ما يؤول اليه امر اولئك المتبارزين ولا يعبأون بمن يقضي عليه سوء حظه ان يقع صريعاً في تلك الساحة وربما كان القاتل له اخاه او صديقه وانما حمل على مبارزته بامر لا مرد له . ثم صارت تلك المبارزة بعد حين صناعة قائمة بنفسها ذات احكام وقوانين ولها اساتذة ومدربون فصاروا يبتاعون الارقاء فينتقون منهم اقواهم بنية واقدرهم على المبارزة ويدربونهم عليها حتى اذا اتقنوها يبيعونهم لاصحاب المراح وتكاثرت هذه الالعاب في بعض ازمنة الرومان حتى صارت شغلاً شاغلاً لهم وعلق الامبراطورون بها ونشطوها فكثر اصحابها وتعدد المتبارزون وصاروا احزاباً وفرقاً كما كان الحال في المماليك الحربية والشراكسة في مصر فكانوا يتجمهرون احياناً ويأتون اعمالاً فظيعة موجبة لقلق حكومة رومية واشهر ما جاؤا به من هذا القبيل ثورتهم سنة ٧٦ ق م فان جماعة منهم ثاروا على رئيسهم او صاحبهم فقتلوه وفروا الى الجبال فاجتمع اليهم جماعة من امثالهم الارقاء الشاردين وهاجموا رومية وتهددوا ابوابها وقامت الحرب بينهم وبين الحكومة وطال الاخذ والرد ثلاث سنوات متوالية قاست اثناءها الحكومة عذاباً مرًا حتى اذا قتل زعيمهم وكان اسمه اسبارطاكوس فثابوا الى الطاعة

وكان المتبارزون فرقاً تتميز بعضها عن بعض بنوع اسلحتها وكيفية مبارزتها فمنهم (١) المتبارزون العاديون وكانوا يتبارزون ازواجاً على الطريقة المعتادة (٢) المتبارزون جماعات واسمهم يدل عليهم (٣) الفرسان وكانوا يتبارزون على ظهور الخيل (٤) اصحاب الشراك سموا بذلك لانهم كانوا يستعملون الشراك في مبارزتهم لقيه بعضهم على بعض تفنناً في اساليب المضايقة (٥) المتعامون وكانوا يلبسون

خوذاً عميقة تغطي عيونهم فيتبارزون وعلى ابصارهم غشاوة وكان الجمهور المشاهدون يرتاحون كثيراً الى هذا النوع من المبارزة لما يأتيه المتبارزون العميان من الحركات المضحكة (٦) اصحاب السلاح التام وكانوا يتحاربون جماعات وعليهم سائر انواع السلاح

والمتبارزون على اختلاف فرقهم كانوا يلبسون الخوذة ويتقلدون السلاح ما عدا اصحاب الشراك . وكان من عوائدهم اذا اصيب احد المتبارزين بجرح فسقط على الارض ولم يمت ان يقف الضارب دائماً فوقه ينتظر اشارة الجمهور اما بقتله او بالكف عنه فاذا كان الجميع قد شاهد من الجريح دفاعاً حسناً قبل وقوعه كافأوه بحجب دمه فينكسون اباهمهم اشارة الى اكتفائهم بما اصابه اما اذا لم يرضهم الكف عنه نصبوا اباهمهم فيجهز الغالب على جريحه بطعنة يقضي بها عليه وكانوا يمنحون الغالبين سعف النخل علامة لسرورهم منهم او ان يعفوهم من هذه الصناعة فيطلقوا سراحهم ويقلدوهم اسيافاً من الخشب

وافظع سائر انواع المبارزة مبارزة الأسود وذلك ان يطلقوا على المبارزين اسوداً ضارية معدة لذلك وهي اشد خطراً مما تقدم ذكره وقل ان ينجو منها المبارزون وترى في صدر هذا المقال صورة تلك المبارزة في افظع حالاتها مما تشمئز منه نفوسنا بمجرد النظر الى رسمها فما قولك في من كانوا يتخذونها وسيلة للهو والضحك وحجتهم في ذلك انهم يتعودون بها مشاهدة القتل فتتصلب قلوبهم فيزداد جاشهم ثباتاً في ساحة القتال

وهم يزعمون ان هذه العادة قد اتصلت اليهم من آسيا ويجعلونها بمنزلة قتل الامم الشرقية اسراها بعد الحرب وبين الحالين فرق واضح على ان كليهما لا يتبرأ من الفظاعة والتوحش لان القتل في ساحة الحرب شيء وذبح النفوس في معرض اللهو والضحك شيء آخر ولله في عباده واحوالهم واطوارهم حكمة لا تدركها العقول



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »

العلوم الدخيلة

(٣) الطب

هو من العلوم الضرورية في العمران واوّل من وضع اساسه البابليون في اوّل عهد تمدنهم وقد قلنا في كلامنا عن الاشوريين والبابليين في الهلال الرابع من السنة الثالثة ان اهل بابل اوّل من بحث عن علاج الامراض فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مرَّ بهم احد ممن اصيب بذلك الداء فيعلمهم بسبب شفائه وكيفية توصله اليه وكانوا يكتبون اسماء العقاقير او الوسائل التي يحصل الشفاء بها على الواح يعلقونها في هيكل شيدوه على اسم اله الطب عندهم فكانت تلك الالواح اوّل كتاب كتب في علم الطب . وعن البابليين اخذ سائر الامم المعاصرة لهم اما المصريون فربما اخذوا عنهم ايضاً الا ان الطب كان قديماً جداً عندهم وقد اتقنوه والفوا به الكتب وهو اوّل علم الفوا به على ما يظن وكان لكل مرض طبيب خاص لا يتعاطى معالجة غيره وهم الذين استعملوا الفصد واستخدموا المقيئات والضمادات واقدم من الف في الطب عندهم الملك تتا اخو الملك « منّا » اوّل من ملك مصر من الفراعنة الف كتاباً في التشريح جددت كتابته في عهد رعمسيس الثاني (بالقرن ١٥ قبل الميلاد)

ويقال بالاجمال ان ليس في العالم القديم امة لم تتعاط صناعة الطب كثيراً او قليلاً ذلك لانها من ضروريات العمران . ولكن اليونانيين هم الذين حازوا الشهرة فيه لانهم بوّبوه ورتبوا ابوابه واوّل من فعل ذلك منهم ابقراط ابو الطب ظهر في

القرن الخامس ق م وقد تقدمت ترجمة حالهِ في السنة الثانية من الهلال اما قبل ابقراط فكان اليونان يتناقلون هذه الصناعة تلقيناً يتوارثها الابن عن الاب ولذلك فانها كانت محصورة في بعض عائلاتهم دون سواها . وظهر بعد ابقراط اطباء عديدون اشهرهم جالينوس وفيليمون وروفس واندروماخوس وديسقوريدس وغيرهم وعنهم اخذ العرب صناعة الطب وخصوصاً عن ابقراط وجالينوس

وجملة القول ان صناعة الطب زهت واتسعت في عهد اليونان ثم الرومان وعنهم اخذها من قام بعدهم من الدول الحديثة على ان كثيرًا من الامم كالهنود والسريان والفرس اتصلت اليهم تلك الصناعة من قدماء البابليين راساً وكيف كانت الحال فان العرب قبل الاسلام كانوا يعرفون شيئاً عن العلاج والوقاية اما عملاً بالاستقراء واما اقتباساً ممن كانوا يخالطونهم من السريان والفرس والهنود

وللعرب في جاهليتهم علاجات وعقاقير قد اشتهر امرها ولا يزال بعضها او كلها جاريًا في بلاد العرب وغيرها الى هذه الغاية مثل الكي والحجامة وما جرى مجراها وقد امتاز بعضهم في معاطاة هذه المهنة من قديم ازمانهم فعرفوا بالاطباء وما برحوا يتحدثون بهم ويتمثلون باقوالهم واقدم من اشتهر في الجاهلية من الاطباء لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم وفي اصلهِ وزمن وجوده اختلاف ويليهِ رجل من تيم الرباب يقال لهُ ابن حذيم ويضربون بهِ المثل بالحذاقة في الطب فيقولون لمن ارادوا وصفهُ بذلك اطبُّ من ابن حذيم وهو اشهر اطباء العرب عندهم وفيهِ يقول اوس بن حجر

فهل لكم فيها اليَّ فانني   بصيرٌ بما اعيى النطاسي حذيما

ومن احدث اطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من بني ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جنديسابور وغيرها وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالاً ثم عاد الى بلاده واقام في الطائف ونال شهرة عظمى وقد ادرك الاسلام وكان النبي يامر من كان بهِ علة ان ياتيهُ فيستوصفهُ وكان الحرث يقول «من سرَّه البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلّ من غشيان النساء » يريد بخفة الرداء ان لا يكون عليهِ دين وقبل مات الحرث في اول الاسلام ولم يصح اسلامهُ

ومنهم ابن ابي رومية التميمي وكان معاصرًا للحرث . ونضر بن الحرث بن علقمة وقد

شهد يوم بدر وأُخذ فيهِ اسيرًا

ومن اقوالهم في العلاج «كل داء حسم بالكي آخر الامر وآخر الطب الكي» وهو قول لقمان . وقول الحرث بن كلدة «من سرَّه البقاء الخ» وكانوا يعالجون الحوَل بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانهِ يزعمون ان العين تستقيم بهِ ويعالجون الخدر بان يدعو صاحبهُ احب الناس اليهِ ومنهُ قول الشاعر

رآني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما اراكِ
الى كم تهجرين فتى معنًّى اذا خدرت لهُ رجل دعاك

ومن الاحاديث النبوية الواردة في الطب ومتعلقاتهِ قولهُ

ما انزل الله داء الا انزل له شفاء

الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي

ان هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الا من السام [1]

ان التلبينة [2] تجم فؤَاد المريض وتذهب ببعض الحزن

احتجم واعط الحجام أجره واستعط

عليكم بهذا العود الهندي فان فيهِ سبعة اشفية يستعط بهِ من العذرة ويلد بهِ من ذات الجنب

ان امثل ما تداويتم بهِ الحجامة والقسط البحري وقال لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط

لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفرَّ من المجذوم كما تفر من الاسد

الكمأة من المنّ وماؤُها شفاء للعين

الحمَّى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء

اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها

خير ما تداويتم بهِ السعوط والدواء والحجامة والمشي وفي بعض الروايات والعلق

اذا بلغ الرجل من امتي خمسين سنة فليكل الحجامة

خير كحلكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر

(١) السام الموت

(٢) التلبينة مزيج من النخالة واللبن والعسل

العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم وقال ايضاً من تصبح بسبع تمرات لم يضره في ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ

عليكم بزيت الزيتون كلوه وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وانه ينفع من الباسور

وغير ذلك من الاحاديث النبوية المملوءة بالنصائح الطبية كقوله «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء» وقد تقدم لنا كلام فيها بالجزء الاول من هذه السنة فنشأ الاسلام والناس يرفعون من منزلة الطب ويتحدثون بما ورد منه على لسان النبي وما هو ماثور من اقوال الجاهلية ومن النصائح الطبية فعنيوا بالبحث فيه والعمل به منذ اول تمصرهم فلما كانت دولة بني امية امر الوليد بن عبد الملك في بناء المارستان ودور المرضى فكان ذلك اول ما بني في الاسلام وجعل في المارستان الاطباء واجرى عليهم النفقات وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق

وكان الاطباء الى ذلك العهد يطببون بالطب الخشن يعني طب الجاهلية وكان الطب محصوراً اذ ذاك في النصارى واليهود ولم يكن الاسلام قد رغبوا فيه او غيره من العلوم لاشتغالهم عنه بالفتوحات والحروب فلما بني الوليد المارستان ودور المرضى واحتاج الى الاطباء عمل بالحديث القائل «استعينوا على كل صنعة بصالح اهلها» فاخذ يبحث عن امهر الاطباء في زمانه فقيل له ان جميعهم من النصارى واليهود فتردد في امر استخدامهم لئلا يكون الشرع قد نهى عنهم فقيل له ان الحرث بن كلدة كان نصرانياً وقد سكن المدينة فارسل اليه سعد بن ابي وقاص وهو احد الصحابة يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك عندهم على ان استخدام غير المسلمين في مصالحهم جائز فاستقدم الوليد ومن جاء بعده من الخلفاء كثيراً من الاطباء النصارى واليهود وكانوا يتولون في الغالب رئاسة الطب وبعضهم تعلموا اللغة العربية ليشتغلوا بالترجمة في دور الخلفاء تقرباً من دولة العرب كما هو شاننا الآن في تعلم اللغات الافرنجية للاشتغال في مصالح الافرنج

واول من تعين في تلك المناصب منهم راهب رومي كان عالماً بصناعة الطب يقال له موريانوس وهو الذي علم هذه الصناعة والكيمياء لابي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي . وتلا موريانوس طبيب مترجم اسمه اسطفانوس وهو اول المترجمين لخالد المشار اليه ترجم له عدة مصنفات من اليوناني الى العربي . ثم

ماسرجويه وهو سرياني اللغة يهودي المذهب وكان بارعاً في العلوم الطبيعية وترجم مؤلف القس اهرون من السرياني الى العربي في خلافة مروان بن الحكم. وثيوذوكس وثيودون وهما طبيبان روميان كانا في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان وكانا يلقيان دروساً على الطلاب وخصوصاً ثيوذوكس فان من تلامذتهِ الفرات بن سحناثا في زمن المنصور

واشتهر في صدر الاسلام عائلة مسيحية عرفت بعائلة بختيشوع اولهم يدعى جاورجيوس ابن بختيشوع الجنديسابوري من جنديسابور دخل في خدمة الخلفاء العباسيين من اوَّل امرهم وكيفية ذلك أن الخليفة المنصور ثاني خلفائهم اصيب بمرض عجز عن معالجتهِ الاطباء فذكر امامهُ جاورجيوس فبعث يستحضره من جنديسابور فجاء الى بغداد ومعهُ تلميذهُ عيسى بن شهلاثا فلما مثل بين يدي الخليفة دعا لهُ بالفارسية والعربية فعجب المنصور من حسن منطقهِ ومنظره وامره بالجلوس ثم سالهُ عن اشياء اجابهُ عنها بسكون وهدوِ ورزانة فاخبره بمرضهِ فقال «اني ادبرك بمشيئة الله وعونهِ» فامر لهُ للوقت بخلعة جليلة وانزلهُ في اجمل موضع من دوره واكرمهُ كما يكرم اخص الاهل واقرب ارباب الدولة وما زال جاورجيوس يطبب المنصور حتى شفي من مرضهِ ففرح بهِ فرحاً عظيماً ووسع لهُ بالدخول عليهِ واكرم وفادتهُ فقال لهُ يوماً من يخدمك هنا قال تلميذي فقال سمعت ان ليس لك امرأة فقال لي زوجة طاعنة في السن ضعيفة لا تقوى على النهوض ولا الانتقال ثم خرج من حضرة الخليفة واراد الكنيسة فامر الخليفة خادمهُ سالماً ان يحمل اليهِ ثلاثاً من السراري الروميات الحسان مع ثلاثة آلاف دينار فحملها الى بيتهِ ولم يكن هو هناك فاستلمها تلميذه فلما جاء البيت اخبره تلميذه بما كان من انعام الخليفة عليهِ واراه الجواري فانكر امرهنَّ وغضب على تلميذه لانهُ قبلهن وقال لهُ لما ادخلت هؤلاء الى منزلي أأردت ان تنجسني امضِ وردهنَّ على اصحابهنَّ فمضى الى دار الخليفة وردهنَّ على الخادم فلما اتصل الخبر الى الخليفة احضره وقال لهُ لِمَ رددت الجواري قال لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوَّج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا ناخذ غيرها فحسن موقع هذا عند الخليفة وزاد موضعهُ عندهُ وفي سنة ١٥٢هـ مرض جاورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلدهِ فعرض عليهِ المنصور الاسلام قائلاً يا حكيم اتقِ الله وأَسلم وانا اضمن لك الجنة فقال جاورجيوس «قد رضيت حيث

آبائي في الجنة او في النار» فضحك المنصور من قوله فانصرف الى بلده وترك تلميذه عيسى بن شهلاثا عند الخليفة فاتخذه المنصور طبيباً اما هو فاخذ بأذية الناس الى ان اطلع المنصور على امره فنفاه

ثم بعد وفاة جاورجيوس المذكور قام ابنه بختيشوع وصار طبيب الخليفة هارون الرشيد وفي ايام هذا الخليفة كان يوحنا بن ماسويه الطبيب البارع صاحب المؤلفات الشهيرة . وبعد بختيشوع المذكور قام ابنه جبرائيل وبعد جبرائيل جاورجيوس اخوه ثم بختيشوع بن يحيى وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ هـ اي مدة ثلاثمئة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب وكتب واحد منهم الجبل السجع

وفي هذه المدة اشتهر غير هؤلاء الاطباء من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء منهم منكة وصالح بن بهلة وعبدوس بن يزيد وموسى بن اسرائيل الكوفي وعائلة الطيفوري وزين الدين الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق السباح الكندي المسيحي وقسطه بن لوقا ويحيى بن ماسويه ومن مؤلفاته كتاب البرهان وكتاب البصيرة وكتاب الحميات وكتاب الفصد والحجامة وكتاب الجذام وكتاب الاغذية وكتاب المعدة وكتاب في الادوية المسهلة

واشهر هؤلاء ابو زيد حنين بن اسحق العبادي الطبيب المشهور تلميذ يحيي بن ماسويه المذكور ولد سنة ١٩٤ هـ وكان في ايام الخليفة المأمون بن هرون الرشيد واشتهر وتفنن بالترجمة وهو امام وقته في الطب وله مؤلفات مفيدة . يحكى عنه انه كان يذهب كل يوم الى الحمام ومتى خرج ونشف عرقه تبخر بالعود والعنبر وكان يأكل الدجاج ويشرب كل يوم اربعة ارطال خمر عتيق ويأكل الفواكه والتفاح وادرك زمن الخليفة المتوكل وتوفي سنة ٢٦٠ هـ ومن مؤلفاته كتاب في الاغذية وكتاب في تدبير الناقهين وكتاب في الادوية المسهلة وكان له ولدان احدهما ابو يعقوب اسحق وكان فيلسوفاً ومترجماً وله مصنفات مفيدة في الطب نظير مصنفات ابيه والثاني يسمى داود وكان ماهراً في علم الطب مفيداً بعلاج المرضى

ومنهم ابراهيم بن ثابت بن قرة الحراني وهو من مترجمي كتب القدماء بلغ رتبة ابيه المذكور في الفضل وكان صابئ المذهب مثله ايضاً ومن حذاق الاطباء ومقدمي اهل زمانه في هذه الصناعة

وابن اخي ابراهيم المذكور ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني كان في بغداد في ايام معز الدولة بن بويه وكان طبيباً عالماً يقرأ عليهِ كتب ابقراط وجالينوس وقد سلك مسلك جده ثابت في نظره الى الطب والفلسفة والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدماء ولهُ تاريخ ايضاً

وفي ايام المقتفي امر الله العباسي كان امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن صاعد ويعرف بابن التلميذ النصراني وقد قال بعضهم انهُ لم يكن مثلهُ بعد ابقراط وجالينوس وكان ظريف المنادمة حسن المجالسة حتى ان كبراء الوقت كانوا يرغبون في منادمتهِ وكان مكرماً عند الامراء والوزراء بسبب كثرة علومهِ ولهُ كتاب في الاقرباذين وشرح على كليات ابن سينا ويحكى عنهُ انهُ كان قائماً بين يدي المقتفي المشار اليهِ ولهُ دالة الخدمة والصحبة اذ دخل ابو منصور الجواليقي البغدادي صاحب كتاب شرح ادب الكاتب والمعرب الذي لم يعمل في جنسهِ اكثر منهُ وتتمة درة الغواص تاليف الحريري سماه التكملة وكان اماماً لهذا الخليفة والف لهُ كتاباً في علم العروض فما زاد على ان قال السلام على امير المؤمنين ورحمة الله تعالى فقال لهُ هبة الله ما هكذا يسلم على امير المؤمنين فلم يلتفت ابن الجواليقي اليهِ بل قال للمقتفي «يا امير المؤمنين لو حلف حالف ان نصرانياً او يهودياً لم يصل الى قلبهِ نوع من انواع العلم على الوجه المرضي لما لزمتهُ كفارة الحنث لان الله تعالى قد ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله الا بالايمان» فقال لهُ الخليفة صدقت وكانما ألجم ابن التلميذ بحجر مع فضلهِ وغزارة علمهِ

وقال ابن خلكان في ترجمتهِ كان هبة الله هذا «ابقراط عصره وجالينوس زمانهِ ختم بهِ هذا العلم (يعني الطب) ولم يكن في الماضين من بلغ مداه فيهِ عمّر طويلاً وعاش نبيلاً جليلاً بهي المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم عالي الهمة ذكي الخاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم» الى ان قال «كان متفنناً في العلوم ذا رأي رصين وعقل متين طالت خدمتهُ للخلفاء والملوك وكانت منادمتهُ احسن من التبر المسبوك والدر في السلوك شعره رائق ونظمهُ فائق خلف جده لامهِ معتمد الملك ابي الفرج يحيى بن التلميذ النصراني فنسب اليهِ توفي ببغداد يوم عيد الفصح ولم يبق فيها من لم يحضر جنازتهُ وذلك سنة ٥٦٠»

ومنهم اوحد الزمان وهو ابو البركات هبة الله بن علي بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة وكان بينه وبين ابن التلميذ المذكور تنافر وتنافس وكان ابو البركات هذا يهودياً ثم اسلم في آخر عمره وكان ابن التلميذ كثير التواضع واوحد الزمان متكبرًا فعمل فيهما البديع الاسطرلابي هذين البيتين

ابو الحسن الطبيب ومقتفيه ابو البركات في طرفي نقيضِ
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيضِ

هؤلاء اشهر الذين دخلوا في خدمة الخلفاء واشتغلوا بالطب في صدر الاسلام من غير المسلمين اما المسلمون فقد كانوا في شاغل عن الطب بالفلسفة وغيرها من العلوم العقلية والجدلية بسبب ما قام بينهم من الاحزاب الدينية والسياسية

فلما سكنت تلك الثورة عمدوا الى الطب فاشتغلوا به وتوسعوا فيه والفوا المؤلفات الضخمة وزادوا فيه كثيرًا من الحقائق وكانت عمدتهم في ما كتبوه على مؤلفات ابقراط وجالينوس بنوع خاص وقد كانوا يعرفون اشياء كثيرة تناولوها عن غير اليونان كصناعة التقطير والتخمير وما زادوه في الطب وصف الجدري وتطعيمه ويقال ان نساءهم قديماً كنّ يعرفن التطعيم به حتى كنّ يطعمن اولادهنّ بانفسهنّ فيبضعنهم بالشوك . وهم اول من وصف الحصبة وزادوا في المواد الطبية كثيرًا على ما وضعه اليونان كالسنا والراوند والتمرهندي والكافور وجوز الطيب وكبش القرنفل وغيرها وهم اول من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد واول من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل واول من جعل الكيمياء علماً باصول واول من جعل الوصفات الطبية على قاعدة

وانشأ العرب في صدر الاسلام مدارس شهيرة للطب والصيدلة في بغداد والاندلس وفضلهم بالطب على اوربا لا ينكر فان مدرسة سالرنو الشهيرة في اوربا لم تقم لولاهم . وهم اول من وجه الفكر الى شكل الاظافر في المسلولين وقد وصفوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون ووصفوا صب الماء البارد لقطع نزف الدم وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي ووصفوا ابرة الماء الازرق في العين واشاروا الى عملية تفتيت الحصاة وطريقة الشق تحت الجلد واستعملوا التبنيج وهو تخدير المريض لاجراء العمليات

الجراحية فيه وكانوا يستعملون لذلك الشيلم وهو الزوان الذي يخالط الحنطة احياناً وقالوا ان مركز التصور في مقدم الدماغ والذكر في مؤخره والفكر في البطين الايسر

اما التشريح فقلما كان له نصيب منهم لان الدين الاسلامي يحظر تشريح جثث البشر اما الجراحة فبرعوا فيها كثيراً حتى ان نساء الاندلس كنّ يعملن العمليات الجراحية في غيرهن من الاناث · على انهم لم يقفوا عند هذا الحد من التوسع فتوغلوا في البحث عن حجر الفلاسفة وهو الكيمياء الكاذبة وما جرى مجرى ذلك مما لا طائل تحته كما فعل اليونان قبلهم

ومن دلائل شغف العرب بالطب انهم نظموا فيه القصائد والاراجيز فضلاً عن الكتب والرسائل ومن اشعارهم المتداولة في بعض العلاجات قول بعضهم

الفتحات بشيرج ملتوت فيه شفاء للرياح مميت
يغلي اراك حلبة في مائها يسقيه مصطبحاً وحين يبيت

وقول الآخر

وسعتر ذو نافع كل بلغم وذو المرة الصفراء بالراز يانق
وذو المرة السوداء ذاك علاجه تعاهد فصد العرق من كف حاذق
ذو الدم فليكثر لذاك حجامة فما غيرها شيء لـه يوافق

وقول الآخر

لا تكن عند اكل سخن وبهر ودخول الحمام تشرب ماء
فاذا ما اجتنبت ذلك منه لم تخف ما حييت في الجوف داء

وقول الآخر

لا تشرب الماء بعد النوم من ظماء ولا تبت ابداً في غير منقبض
فجوف من بات من ماء ومن ثقل ومن رياح دعا كل الى مرض

وقول الآخر

ما كان في الراس اخرجه بغرغرة فالقيء يخرج ما في الصدر من عفن
وكل ما كان في صلب فذلك لا يسيل الّا باخلاط من الحقن

وقول الآخر

على الريق في البرد احس ماء مسخناً وفي الصيف ماء بارداً حين تصبح

وذلك فيما قيل فهو مصحة وذاك على ادمانه الجسم يصلح

وقول الآخر ان راس الطب ان تد لك بالزيبق دلكا
باطن الرجلين عند النوم ينفي السقم عنكا

وقول الآخر ان السواك يستحب لسنة ولانه مما يطيب به الفم
لم تخش من خفر اذا ادمنته ويه يسيل من اللهاة البلغم

وقول الآخر السمك المالح ان لم يكن بد من الاكل له فاتم
بالطبخ واكثر زيتة ثم كل من قبل ما دوما من المطعم

وهاك اشهر اطباء الاسلام مرتبة اسماؤهم حسب سني وفاتهم

(١) يزيد بن معاوية الاموي ويكنى ابا خالد توفي سنة ٨٥ ه وكان اعلم قريش وهو اقدم من ظهر من العرب بعلم الطب والكيمياء. اخذ الصنعة عن موريانوس الراهب المتقدم ذكره والف ثلاث رسائل تتضمن احداها حكايته مع موريانس المذكور وصورة ما تعلمه منه والرموز التي اشار اليها. وقد نظم في ذلك اشعاراً كثيرة

(٢) احمد بن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك الاموي توفي في اوائل القرن الثاني للهجرة وله في الطب كتاب استخلصه من كتب ابقراط وسماه اصول الطب وله رسالة في النبات المستعمل في الطب

(٣) الشيخ ابو بكر محمد بن زكريا الرازي توفي سنة ٣٢٠ ه وكان ماهرًا في فن الطب والمنطق والهندسة والموسيقي وكان يضرب بالعود في صغره ثم توغل في العلوم الطبيعية وصار رئيس الاطباء في بيت الشفاء ببغداد بعد ان دبر مارستان الري. اخذ الطب عن الحكيم ابي الحسن بن زين الطبري صاحب كتاب فردوس الحكمة ومن مصنفاته في الطب كتاب الحاوي (منه الجزء الرابع في المكتبة الخديوية) وهو نحو ثلاثين مجلدًا جمعه من صحف متفرقة اخذها جالينوس اليوناني عن آثار دائرة من كلام ابقراط بعد ان كانت سرًا مكتومًا بين بني اقليبوس لا يبوحون بها لاحد ولذلك يقال كان الطب معدومًا فاحياه جالينوس وكان متفرقًا فجمعه الرازي وكان ناقصًا فكمله ابن سينا البخاري . ومن مؤلفات الرازي ايضًا كتاب الجامع وكتاب الاعصاب وكتاب المنصوري جمع فيه بين العلم والعمل صنفه لابي صالح منصور بن نصر الساماني ومن كلامه في الطب « مهما قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية ومهما قدرت

ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب «وحكى بعض المؤلفين ان الرازي المذكور صنف لمنصور هذا كتاباً في اثبات صناعة الكيمياء (الكاذبة) فقال له منصور كل ما احتجت اليه من الآلات احضره لك كاملاً حتى تخرج ما ضمنته كتابك الى العمل فلما عجز عن عمله قال له منصور ما اعتقدت ان حكيماً يرضى بتخليد الكذب في كتب ينسبها الى الحكمة ثم حمل السوط على رأسه وامر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى ينقطع فكان ذلك سبب نزول الماء في عينه

(٤) ابن سينا وهو الشيخ الرئيس الذي يغني اسمه عن تعريفه وقد تقدمت ترجمة حاله مع ذكر مؤلفاته في السنة الاولى من الهلال بالتطويل وفي الكلام عن الفلسفة من هذه السنة فلا حاجة بنا الى اعادة ذلك الآن توفي سنة ٤٢٨ هـ

(٥) ابو القاسم الزهراوي طبيب اندلسي ولد في الزهراء قرب قرطبة في القرن الخامس للهجرة والف في الطب تآليف مفيدة منها كتاب في امراض النساء وآخر في الجراحة طبع احدها مترجماً الى اللاتينية في اكسفورد سنة ١٧٧٨ م (سنة ١١٩٢ هـ) وكتاب في اختصار الادوية ترجم كذلك الى اللاتينية وطبع في البندقية سنة ١٥٨٩ م (سنة ٩٩٨ هـ)

(٦) ابو علي يحيى بن جزلة الطبيب صاحب كتاب المنهاج الذي رتبه على الحروف وجمع فيه اسماء الحشائش والعقاقير والادوية وغير ذلك وكتاب تقويم الابدان وهو موجود خطاً في المكتبة الخديوية بالقاهرة وكتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة ورسالة في مدح الطب وموافقته للشرع وقالوا انه كان نصرانياً واسلم وهو تلميذ ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن وكان يطبب اهل محلته ومعارفه بلا اجرة ويحمل اليهم الاشربة والادوية بغير عوض ويتفقد الفقراء ويحسن اليهم توفي سنة ٤٩٣ هـ

(٧) ابن رشد الفيلسوف الطبيب الاندلسي الشهير وقد تقدمت ترجمة حاله ايضاً مطولة في السنة الثانية من الهلال وفي باب الفلسفة من هذه السنة فنكتفي بذلك توفي سنة ٥٩٥ هـ

(٨) الامام فخر الدين الرازي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد الذي فاق اهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الاوائل وقد تقدم ذكره غير مرة وله

التصانيف المعتبرة في فنون عديدة منها في الطب شرح الكليات للقانون وشرح الاشارات لابن سينا والملخص وشرح عيون الحكمة وغيرها . توفي بمدينة هرات سنة ٦٠٦ هـ

وظهر غير هؤلاء عدد كبير من الاطباء ولكن منهم من كان مشهورًا في غير صناعة الطب فو رد ذكره هناك مثل الفارابي وغيره

اما حالة الطب بعد عصر العباسيين الى اليوم فسيأتي تفصيلها عند كلامنا على النهضة العربية الاخيرة ان شاء الله

الدفثيريا وعلاجها الجديد

(تاريخها)

الدفثيريا لفظ يوناني الاصل معناه الجلد او الغشاء لان العلة تظهر على هيئة التهاب يصيب الغشاء المخاطي الحنجري مع ارتشاح ليمفاوي يتكون على شكل غشاء . وهي من العلل الوافدة القديمة وطنها الاصلي مصر وسورية وقد ذكرها ابو الاطباء ابقراط وكلسوس ثم ذكرها اطباء العرب في صدر الاسلام وسموا قروحها القروح المصرية والسورية ودعيت بعد ذلك ايضًا القروح البولونية لتفشيها في بولونيا وكثيرًا ما ظهرت وافدة في اماكن كثيرة واشار الاطباء اليها ولكنهم لم يصفوها وصفًا جيدًا الا في اوائل هذا القرن وذلك انها جاءت وافدة على فرنسا سنة ١٨١٨ فنتكت فتكًا ذريعًا فاشتغل اطباء فرنسا في البحث عن اعراضها واسبابها فوصفها الدكتور برتينو من اهالي طور بفرنسا وصفًا دقيقًا سنة ١٨٢٠ وهي العلة التي مات بها وشنطون مؤسس جمهورية اميركا والامبراطورة جوزفين امرأة نابوليون الاول وتفشت في انكلترا سنة ١٨٥٨ واخذ الاطباء في البحث عن علاجها وتتبع اعراضها ووصفها وما زال علاجها مقصورًا على التلطيف والتسكين الموضعي والمقويات والاطباء يعترفون انهم لم يدركوا حقيقة العلاج فيها الى هذه السنين الاخيرة على اثر اكتشاف البكتيريا او المكروب كما سيأتي

(اسبابها)

تنتقل الدفثيريا على سبيل العدوى إما بالملامسة او بالمجاورة لسريان المادة السامة المعدية بالهواء وكثيرًا ما تنشأ في اول امرها من اجتماع الاقذار في الاسربة

وبيوت الخلاء وهي تصيب الناس على اختلاف اعمارهم انما اكثر اصابتها للاطفال بين السنة الثالثة والسادسة . ومن اسبابها التعب والتعرض للعدوى والوساخة فاذا دخلت بيتاً وكانت شروط الصحة كالنظافة وغيرها محفوظة فيه فقلما تؤثر في اهله اما اذا كانت تلك الشروط غير محفوظة وكان البيت قذراً فانها تفتك في اهله وتنتقل من الواحد الى الآخر وخصوصاً اذا دخل فساد على مياه الشرب من قذر الاسربة فالنظافة والابتعاد عن العدوى اوّل الوسائل الواقية من الدفتيريا

(اعراضها)

اعراض هذا المرض الاولى . انحطاط وبرد وغثيان والم في الحلق وعسر في الازدراد . واذا نظر في اوّل الامر الى الحلق لم يشاهد فيه الا حمرة اللون ثم اذا تقدم المرض يوماً او يومين شوهد بقع بيضاء صغيرة تمتد وتختلط فتصير كبيرة وربما غطت كل اللهاة واللوزتين وتنتن رائحة النفس . واذا نزعت الطبقة البيضاء المذكورة شوهد ان السطح الذي تحتها احمر مدمم . وقد يمتد هذا الغشاء الابيض الى الفم او الانف او الحنجرة والقصبة . وترم حينئذ الغدد التي بقرب الاذن وفي اعلى العنق ويظهر سعال أبح وعسر البلع وحمى . واذا امتد المرض الى الحنجرة زاد عسر التنفس وصار العليل في خطر من الاختناق من انسداد المسالك الهوائية بواسطة الاغشية الكاذبة التي تتكوّن على سطحها فاذا نشقها وجد رائحة عظيمة ولو كانت وقتية . واذا زاد عسر التنفس وازرقّ الوجه والشفتان كان ذلك منذراً بالخطر وكذلك اذا حدث نزف دموي من الفم او حمرة او بقع حمراء مكمدة في قسم من الجسد . ولكن اذا كانت اعراض المرض خفيفة فتاخذ العلة في الهبوط ولا تمتد الى الفم والمسالك الهوائية . وينفصل الغشاء الكاذب بعد يومين او ثلاثة وربما دامت العلة اسبوعين وانتهت بالشفاء

وتتميز الدفتيريا عن الذبحة بان الاغشية الكاذبة تتكوّن اولاً في الحلق واللوزتين لا في الحنجرة . ثم ان الدفتيريا معدية ناشئة عن مرض في الدم خلافاً للذبحة التي هي التهاب خاص موضعي ولا عدوى منها . وانكر البعض هذا التمييز وقالوا انهما علة واحدة

وقد قسم آخرون الدفتيريا الى ستة انواع او هي درجات تختلف العلة فيها قوة وخطراً وهي (١) الخفيف (٢) الالتهابي (٣) الكامن (٤) الانفي (٥) الحنجري (٦) الاستيني

اما النوع الاوَّل فنيو تكون الاعراض العامة والموضعية خفيفة ولا تعقبها عواقب رديئة ولا يظهر في البول زلال وعسر الازدراد قليل ولا تظهر اعراض عصبية وبالاجمال فعل السم المرضي ضعيف

اما النوع الثاني اي الالتهابي فنيو تشتد اعراض التهاب الحلقوم قبل ارتشاح اللمفا على سطح الغشاء المخاطي ويزيد ورم اللهاة والغلصمة واللوزتين ويصير الازدراد مؤلمًا جدًّا والحمى المرافقة قد تكون خفيفة وقد تكون شديدة والعليل يشكو انحطاط القوى وبعد مدة تختلف بين ١٢ و٤٨ ساعة ترتشح المادة اللمفاوية وقد يموت العليل خنقًا من امتدادها الى الحنجرة والقصبة . وربما يظهر زلال في البول وترم المفاصل وتسخن وتتألم

اما النوع الثالث اي الكامن فشديد الخطر من عدم ظهور اعراض منبهة في اوله ثم تظهر الاعراض الحلقية بغتة بشدة ويموت العليل خنقًا بعد مدة يسيرة وان لم يفحص الحلقوم ربما زعم المرض ذبحة

اما النوع الرابع اي الانفي فيختلف عن سائر الانواع بشدة فعل السم المرضي في الحفر الانفية وربما اقتصر على ذلك وربما امتد من الحفر الانفية الى الحلقوم ايضًا وترم الغدد عند زاوية الفك وتسيل من الانف ومن الخياشيم مادة صديدية حريفة

اما النوع الخامس اي الحنجري فنيو يؤثر السم المرضي بالاكثر في الحنجرة فيبتدأ بعسر الازدراد واحمرار غشاء الحلقوم المخاطي وورم اللهاة والغلصمة واللوزتين ثم يسري الالتهاب سريعًا الى الحنجرة ويقع العليل في خطر الموت من قبل انسداد المزمار

اما النوع السادس فنيو يموت العليل بشدة فعل السم المرضي العام بدون اشتداد الاعراض الموضعية فيضعف النبض ويسرع جدًّا ويزيد انحطاط القوى ويكمد الوجه وتتجمع اقذار على اللسان والاسنان . واللمفا المفرزة على الغشاء المخاطي لينة لزجة جبنية الشكل وقد يكون الازدراد سهلًا وقد يعسر جدًّا في هذا النوع ويبح الصوت واذا مات العليل يكون في الغالب نحو اليوم العاشر او الثاني عشر من قبل الضعف العام . وهذه الانواع الستة تشترك ويتصل بعضها ببعض حتى يعسر ترجيع حوادث كثيرة الى واحد منها . ومدة المرض تختلف بين ٤٨ ساعة و١٤ يومًا . واذا قتل في الاسبوع الاوَّل يكون بالخنق وقلما يحدث ذلك بعد الاسبوع الاوَّل واكثر الموت يكون بواسطة الخنق من قبل امتداد اللمفا الى الحنجرة او القصب

(علاجها القديم)

كان العلاج مقصوراً كما قدمنا على الوسائل الموضعية والنظافة فيوضع العليل في غرفة نظيفة ان كان الفصل شتاء فترفع حرارتها الى درجة معتدلة متساوية ويدخل اليها بخار الماء الغالي ويحفظ المريض من الهواء البارد ويعطى مسهلاً خفيفاً ويغذى بمرق اللحم والحليب وتوضع الوضعيات الحارة على العنق كاللبخ والاسفنج المبلول بالماء الحار ويجوز مص الثلج ويطلى المحل المتقرح في الحلق بقلم من الشعر مغموس بهذا المحلول وهو درهم حامض ساليسيليك وفنجان الكحول وفنجانان ماء . ثلاث مرات او اكثر كل يوم . ويعطى من الباطن من قمحة الى خمس قمحات كينا كل اربع ساعات وقد يضطر الطبيب الى فتح القصبة لارسال الهواء الى الرئتين من الخارج للتنفس الاصطناعي اذا ان تولد الغشاء الدفثيري يسد الحنجرة فيموت العليل خنقاً

(علاجها الجديد وتاريخه)

لا بد لنا لايضاح هذا العلاج وتاريخه من الكلام على البكتيريا بوجه عام فنقول ان من اهم الاكتشافات الطبية في هذا القرن البكتيريا او المكروب وهي احياء صغيرة جداً لا ترى الا بالنظارة المكبرة (الميكروسكوب) يعيش منها الوف في نقطة من سائل وهي انواع مستقل بعضها عن بعض لكل منها صفات خاصة تتميز بها عن الانواع الاخرى كما تتميز انواع الحيوان العليا بعضها عن بعض . اكتشفها الفيلسوف الفلمنكي الشهير ابونهوك سنة ١٦٧٥ ولكنه لم يستطع درسها لضعف الآلات البصرية فلما تحسنت تلك الآلات وقوي الميكروسكوب تمكنوا من درسها ومعرفة انواعها فقسمها الاستاذ الالماني اهرنبرج في اوائل هذا القرن الى اجناس باعتبار شكلها ووضع لكل جنس اسماً خاصاً به

غير ان ابحاثهم هذه في البكتيريا كانت محصورة في علاقتها بالتولد الذاتي وذلك ان العلماء في اواسط هذا القرن وجهوا ابحاثهم الى تولد الحياة وانقسموا الى فئتين فئة تقول بتولد الحياة من ذاتها وفئة تقول ان الحياة لا تتولد الا من الحياة وكانوا يستعينون في ادلتهم وابحاثهم بالبكتيريا فيستنبتونها ويزدرعونها ويراقبون تولدها وحياتها ومماتها مما لا محل لاستيفائه هنا

وما زالت هذه منافعها حتى قام الفيلسوف الفرنساوي الشهير العلامة باستور فوجه انتباهه بنوع خاص الى البكتيريا ويبحث فيها بحثاً دقيقاً فاكتشف سنة ١٨٦١ انها

سبب الاختمار وسائر انواع الفساد اي ان الاختمار الذي يتد من جزء صغير من المواد الآلية الى جزء اكبر مثل العجين واللبن وما شاكل والفساد الذي يحدث من السوائل النباتية والحيوانية انما هما حاصلان بواسطة هذه الحيوانات الصغيرة. وذاع اكتشافه هذا العجيب في العالم وكافأته الحكومة الفرنساوية براتب سنوي مقداره مئة وعشرون الف فرنك ثم ردفعها سنة ١٨٧٤

وواصل باستور ابحاثه هذه واخذ يناصره جماعة من علماء الانكليز مثل تندل وغيره فثبت عليه منذ سنة ١٨٧٦ ان هذه الحيوانات الصغيرة (البكتيريا) هي السبب في تولد الامراض العفنية المعدية مثل حمى البقر التيفوسية وجمرة الغنم والبثرة الخبيثة وغيرها من الامراض التي تنتقل بالعدوى وان البكتيريا هي سبب ذلك الانتقال وكان لهذا الاكتشاف اهمية عظمى في عالم الطب. ثم اكتشفوا بعد ذلك ان لكل من الامراض المعدية الاخرى كالسل والحمى التيفويدية والتيفوس والهواء الاصفر وغيرها بكتيريا خاصة به تمازها للامراض الاخرى بسائر اوصافها فاخذوا يبحثون توصلاً الى اكتشاف العلاج المميت لتلك الجراثيم البكتيرية لان في مماتها منع تلك الامراض

فاكتشف العلامة باستور علاج الكلب بواسطة التطعيم على نفس ذلك المبدأ في ١٤ دسمبر (ك ١) سنة ١٨٨٥ بعد ان جربه على القرود وغيرها من الحيوان وفي السنة التالية تأسس ممتشفى باستور في باريس للبحث في تلك الامراض وتجربة العلاجات فيها كان تأسيسه في مايو (ايار) سنة ١٨٨٦ بمال جمع بالاكتتاب من سائر الممالك مقداره اربعون الف ليرة انكليزية وتم بناؤه فافتتح رسمياً بحضور المرحوم الموسيو كارنو رئيس جمهورية فرنسا سنة ١٨٨٨

وفي سنة ١٨٩٠ ظهر الدكتور كوخ بعلاجه ضد التدرن الرئوي على نفس ذلك المبدإ فقامت له اوروبا وقعدت وتقاطر الناس الى المانيا من كل صوب ثم تبين بعد ذلك انه لم يصب المحجة تماماً

وكانت الدفتيريا في جملة الامراض المعدية التي بحثوا فيها وحاولوا اكتشاف ميكروبها واماتته ويؤخذ من خطاب القاه الدكتور كوخ سنة ١٨٩٠ انهم الى ذلك الحين لم يحققوا ميكروبها. وكانت الخطة التي ساروا عليها في تحقيق علاقة كل ميكروب بالمرض الذي ينشأ عنه انهم اذا اكتشفوا ميكروباً لمرض من هذه الامراض ثم تحققوا به

حيوانًا آخر فظهر به ذلك المرض تحققوا انه المكروب الخاص بذلك المرض وقد تحققوا بهذه الطريقة مكروب كل من التدرن والجمرة والتتانوس وكثير من امراض الحيوان الاعجم

اما الدفثيريا وعليها مدار البحث في هذه المقالة فقد توصلوا الى مكروبها وعلاجه الجديد تدريجًا كسائر الاكتشافات وقد رافق اكتشاف علاج الدفثيريا اكتشاف طريقة حديثة في المعالجة يمكن معالجة سائر الامراض المعدية بها وقد دعوها «المعالجة المصلية» لان اساسها مصل الدم كما سترى

اكتشف مكروب الدفثيريا الدكتوران الالمانيان لفلر وكلبز ودرسا تاريخ حياته ولكنهما لم يحققا فعله بالتلقيح كما قدمنا فجاء الدكتوران رو ويرسن وحققا ذلك ثم اكتشفا السم الذي يفرزه هذا المكروب وهو الاصل الفعال في توليد ذلك المرض ودعياه (تكسين) اي السم وقد استحضراه بالاستنبات او التوليد وذلك بوضع المكروب في سائل حيواني او نباتي صالح لحياته فينمو ويتوالد ويفرز سمه المشار اليه فاذا استفرد هذا السم فهو سم الدفثيريا لانه المسبب لها

ثم اشتغل بهرنج الالماني في اكتشاف ترياق لهذا السم ليعالج الدفثيريا به فاخذ يبحث عن ذلك بطريقة التطعيم فتوصل بعد التجارب العديدة الى نتيجة حسنة جدًا ليس فقط للدفثيريا بل لسائر الامراض المعدية لان الطريقة التي توصل بها الى تحضير ترياق سم الدفثيريا تصلح لاستحضار ترياق سائر سموم الامراض المسببة عن المكروب وهي تلقيح الحيوان بسم ذلك المرض تلقيحًا تدريجيًا حتى يتشبع دمه من السم فيتنوع ويصير مانعًا لذلك المرض فاذا استخرج دم ذلك الحيوان بالفصد او بالذبح ثم ترك الدم ليبرد فانه ينحل الى جلطة حمراء وسائل مصفر اما الجلطة فهي الكريات الدموية وسائر مواد الدم الجامدة واما السائل فهو المصل وفي هذا المصل الفعل الشافي من السم لانه مشبع من سم المكروب المنوّع فاذا حقن به المصاب بذلك المرض يشفى . هذا هو المبدأ الذي اكتشفه بهرنج ويعبرون عنه بالمعالجة المصلية او المعالجة بالمصل

اما ترياق الدفثيريا خاصة فيستحضر بتلقيح حصان قوي بسمها وانما اختاروا الحصان لانه يحتمل السم ويبقى حيًا ليتكرر التلقيح مرارًا حتى يتشرب دمه خواص ذلك السم ويبدأ التلقيح بكميات قليلة ثم تزداد تدريجًا حتى لا يعود الحصان يتأثر من

التلقيح وبعبارة اخرى انهم يأخذون كمية قليلة من ذلك السم المستنبت في حقنة صغيرة من حقن تحت الجلد ويحقن بها الحصان فاذا دخلت دمه يصاب بالدفثيريا وبعد قليل يحقن بكمية اكبر منها فيصاب ايضاً بمثل تلك الاعراض لكن اخف منها ثم يكرر التلقيح والاعراض تظهر كل مرة اخف من التي قبلها واخيراً لا يعود لذلك التلقيح تأثير البتة وعندئذٍ يكون الحصان قد تشبع من سم الدفثيريا فيستخرج دمه بعضه اوكله بالفصد او بالذبح ويترك حتى يبرد وتنفصل الجلطة عن المصل فيوخذ المصل ويحفظ وهو الدواء المكتشف حديثاً لمعالجة الدفثيريا

وكيفية المعالجة الحقن تحت الجلد بكميات تختلف بين عشرين سنتيمتر مكعب فاكثر تتكرر مرتين او ثلاثاً فكأن هذا المصل اذا دخل جسم المصاب وامتزج بدمه يميت سم الدفثيريا المتقدم ذكره فيحصل الشفاء باذن الله

وكانوا يحسبون هذا المصل لا يصح الا شافياً اي انه لا ينفع الا في شفاء الدفثيريا بعد حدوثها ولكنهم اخذوا يحاولون اثبات فعله مانعاً اي ان يطعم به الناس فيمنع اصابتهم بالدفثيريا واذا اصيبوا فتكون الاصابة خفيفة . حقق الله الآمال

وقد علمت مما تقدم ان المعالجة المصلية يمكن استخدامها لدفع سائر الامراض المعدية والعلماء الآن عاملون على تجربة ذلك والمنتظر ان يفلحوا

اما نجاح المعالجة المصلية في الدفثيريا فقد ظهرت من التقارير الطبية التي وضعها الدكتور رو عن مستشفيات هذا المرض في باريس ويوخذ من مقالة القاها الدكتور المشار اليه امام المجمع الطبي في بودابست ان عدد الوفيات بالدفثيريا تناقص في باريس الى نصف ما كان عليه قبلاً ثم جعل يزداد النقص يوماً عن يوم فكان معدل وفيات الدفثيريا في باريس قبل المعالجة المصلية لا يقل عن ٥٠ في المائة اما بعد استعمالها فقد قل عن ٢٤ في المائة ولم يدخل في الاحصاء الا الحوادث المقررة التي عوّل على تشخيصها بالفحص المكرسكوبي والبكتريولوجي حتى لم يبق فيها محل للريب واخرج منها حوادث الدفثيريا التي تشخصت بالظن والتخمين . فالحوادث المقررة المشار اليها كان عدد وفياتها لا يقل عن ٥٠ في المائة ولم يحصل تغيير في احوالها وطرق معالجتها الا من حيث استعمال المصل المتقدم ذكره اما المعالجة الموضعية والتمريض فبقيا كما كانا في الماضي ولم تنتق الحوادث بل عولجت كلها على السواء حتى لا يشك في صحة

النتائج ومع ذلك فقد تناقص عدد الوفيات كثيرًا وهذا راجع الى المصل وحده. وقد جربت المعالجة بالمصل من اوائل شهر فبراير (شباط) سنة ٩٤ الى ٢٤ يوليو (تموز) سنة ٩٤ ووطاة الدفثيريا تشتد في اشهر الشتاء وتخف في الصيف وبالمقابلة مع نتائج المعالجة في مستشفى آخر بالطريقة الاعتيادية بدون ادخال المصل فوجد ان معدل الوفيات من الدفثيريا في السنين الاربع الماضية كان ٥١ ر ٣١ في المائة ثم من اول فبراير سنة ٩٤ الى ٢٤ يوليو سنة ٩٤ صار المعدل ٥ ر ٢٤ في المائة وفي نفس هذه المدة كان معدل الوفيات في مستشفى آخر يعالج بغير المصل ٦٠ في المائة ثم اخذ المعدل في حوادث الدفثيريا البسيطة التي لا تحتاج الى عملية فتح القصبة فكان معدلها قبل استخدام المصل ٩٤ ر ٣٢ في المائة اما بعده فاصبح ١٢ في المائة. وفي الحوادث التي تحتاج الى فتح القصبة فالمعدل فيها ٨٦ في المائة قبل استخدام المصل اما بعده فهبط الى ٤٩ في المائة وكل ذلك مما يدل دلالة صريحة على فوائد هذه المعالجة الجديدة

ولنا امل وطيد ان يتوصلوا الى نتائج طيبة اكثر اهمية من هذه فربما توصلوا بعد قليل الى مداواة الهواء الاصفر والسل الرئوي وسائر الادواء الخبيثة بالمعالجة المصلية وليس على الله امر عسير

وبصرنا كثيرًا ان الحكومة المصرية بعثت استجلبت شيئًا من ذلك العلاج فوصلتها كمية منه وهي آخذة في استخدامه في مستشفياتها وهكذا فعلت سائر الممالك في اوربا واميركا ومما يوجب الثناء لمخترعي هذا العلاج انهم اباحوه وكشفوا طريقة استحضاره وجادوا به لمن يطلبه حبًا بالانسانية

اما الدول الاوربية فقد اقامت معامل خاصة لاستحضاره وتوزيعه على المستشفيات ولكل من يطلبه ولعل حكومتنا السنية عازمة على ذلك ايضًا رحمة بالوالدين وارباب العائلات جزى الله خدمة العلم خيرًا



باب المراسلات

العفاف سياج العمران (١)

وهو بالتربية الدينية

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

لقد فتحتم للكتاب في هلالكم المنير بابًا نعم ذلك الباب واكرم بفاتحه خدمة للانسانية والآداب فان العفاف ولا ريب سياج العمران والسعادة الحقيقية للانسان كما ان الانهماك بالشهوات والانغماس في الرذائل من دواعي الخراب وبواعث الانقلاب ولقد اجدتم في البيان والتنبيه واحسنتم فيما اوردتموه فيه من الادلة والتمستموه من الحكومة المصرية (بعد اذ دعت الضرورة لاحتمال اخف الضررين) من ابعاد محلات الفحش الى مكان قصي عن المدينة بعيد عن مساكن الناس ما دام نظام الحرية الشخصية لا يبيح لها اكثر من ذلك . والذي اراه ان كل واسطة غير وسائط التربية الدينية والتهذيب الحق لا تفيد في زمان اظلنا بسماء تلك الحرية ففسح للنفوس مجال العمل بالاهواء ورفع عنها كلفة التهيب كما مزق دونها حجاب الآداب . لذلك اتيت بهذه الجملة الموجزة راجيًا نشرها للقراء الكرام في هلالكم الاغر توطئة لكتابهم الافاضل للخوض في هذا الموضوع والاخذ بناصر الآداب العمومية بابداء ما يعن لهم من الافكار الصائبة قيامًا بحق الخدمة الوطنية وصونًا لشرف السمعة الشرقية وها انا اقول

النفس كالفرس الجموح كلما اطلق لها العنان اندفعت بصاحبها الى موارد الهلكة وحادت به عن طريق السلامة والانسان اميل بالطبع الى الشر منه الى الخير فاذا اعطى نفسه هواها وترك لها زمام شهواتها يستطيب مع التمادي مرتعها الوخيم ويستوطي

(١) (الهلال) وردت علينا هذه الرسالة الانيقة من حضرة السري الفاضل عظم زاده عزتلو افندم رفيق بك نزيل القاهرة فنوجه انظار القراء الى مطالعتها ونحث حضرات الكتاب الافاضل على الكتابة في هذا الموضوع لانهُ من الاهمية بمكان عظيم

مركبها الخشن فيمتطي غارب الاسترسال بالتمادي ويهيم من الرذائل في كل واد حيث لا زاجر يقف به عند حد ولا فضيلة تهديه الى سبيل الرشد لهذا رأى علماء الاخلاق ان التربية على الفضائل وعف النفوس عن الشهوات من حال النشأ: السليمة والفطرة الساذجة هو الطريقة المثلى لكبح جماح النفوس البشرية التي تطيب بالطيب وتخبث بالخبيث وهو وان يكن الراي الاحق لان الفطرة كالمرآة تنطبع عليها صور الاعمال فتمثل الحسن منها حسناً للعقل فياخذ به و يشب عليه الا ان الانسان قد تتولد عنده عوارض خلقية منشاها احتكاك العقل بالمدركات الحسية الممثلة للذائذ والشهوات في قالب الحسن والترغيب سيما وهي الاكثر تواردا عليه ووجودا في عالم الوجود لديه فتقصيه عن مرتبة العلم الاول وتنزع من مرآة عقله صور الاخلاق الفاضلة التي شب عليها من حال الصغر فلا بد اذا من اتخاذ واسطة اخرى اساساً للتربية تكون اشد رسوخاً واعظم انطباعاً في العقل تؤثر عليه أنّى توجه وكلما شرد تاثيراً يزداد بازدياد المدارك و ينمو مع العواطف الشريفة بنمو الجسم الانساني ولا يكبر على ابناء الفلسفة الحاضرة والناشئين من هذا الجيل المتنور المتخرجين من المدارس الحرة اذا قلنا ان تلك الواسطة هي الدين لان التربية البشرية احوج اليه من الشمال الى اليمين ولا حاجة لان نبرهن لهم على ذلك باكثر من شهادة اعظم ملك من ملوك العالم المتمدن وهو امبراطور المانيا الذي قام في مجلس نوابه خطيباً من عهد غير بعيد مبيناً مزايا الدين في ترقي الآداب طالباً جعل التعليم به اجبارياً في المدارس الالمانية وهو ولا شك المصيب فيما قال العادل فيما طلب بالنظر لما انتجته فوضى الاخلاق في انحاء المغرب وما لحق التمدن الحاضر منها من آفات الحرية المطلقة عن كل قيد . والحق يقال فماذا يضر الانسان لو علم وتيقن من حال الصغر ان له خالقاً رقيباً على النفوس في خلواتها يعاقب المسيء و يثيب المحسن كما انه ماذا ينفعه لو نشأ على العلم بانه انسان متسلسل من قرد مطلق الارادة في هذا الكون للعمل بما تدفعه اليه الاميال اطلاق اخوانه او آبائه السارحين في تلك الغابات الواسعة من اقطار اميركا الشاسعة

لا مرية ولا جدال فان العلم الاول انفع وافضل والاديان نور التهذيب ومنتهى الفضائل وداعية الخير بدليل حثها على ذلك كله وارشادها اليه فالتربية على المبادىء الدينية الحقة واجبة في كل عصر وكل مكان ولا سيما في هذا العصر الذي تمادى اهله

في الاستهانة بأمر الدين لدرجة سادت معها المقبة واستقبحت حرمة الاداب وهذا مع انتشار العلوم وسهولة تناولها للعموم والتبعة في ذلك ليست الا على المدارس التي اصبحت موئل امال الآباء الذي يأوى لظله الابناء. فاول ما يتراءى لهم في لفظة التعليم على المباديء الحرة وهي لفظة لا يفهم من مدلولها الا اطلاق الارادة للاطفال فيما تهواه النفس وتسرع اليه الفطرة . ثم قد لا تخلو مدرسة ابتدائية من المدارس الاميرية في مصر وسائر الممالك العثمانية من تعليم قليل من مبادي الدين في جملة العلوم التي يتلقاها التلميذ الا انها ليست كافية لتثقيف العقول وتهذيب الاخلاق وهي لا تخرج عن العقائد وبعض الامثال التي تمحوها من ذاكرة التلميذ المدارس الثانوية والعالية بما يتلقاه فيها من العلوم الطبيعية والرياضية القائمة على الادلة العقلية والبراهين الحسية ومن الحكمة في هذا العصر عصر المدنية والنور ان تحور قاعدة التعليم التهذيبي في المدارس الابتدائية بحيث تكون على قواعد اكثر تقريباً للافهام واشد وضوحاً في العقول وذلك بان يعمم فيها علم الاخلاق مضافاً الى درس مبادي الحكمة الدينية وتطبيق بعض القواعد الطبيعية على النصوص الدينية والتي تقبل الرسوخ والانطباع على اذهان الاولاد وذلك بطريقة سهلة التناول هينة المأخذ والا اذا دام الحال على ما هو عليه في المدارس الابتدائية من الاقتصار على التربية العقلية دون التربية التهذيبية وهي محط آمال الاوطان ومخرج المئات والالوف من الشبان قضي على البقية الباقية في الشرق من آداب اهله البازخة واخلاقهم الحميدة وانهدم ركن العفاف الذي هو سياج العمران بل السعادة الحقيقية للانسان وهناك يتفاقم داء المنكرات مع داء التاخر المعنوي المتفشي في جسم الشرقيين فينبذان بالشرق واهله مكاناً من الذل قصياً ويجعلان اسمه في صحيفة مجده القديم نسياً منسياً والعاقبة يومئذ للمتقين

(القاهرة) رفيق العظم



حل لغز الامام السيوطي المدرج في الهلال الثالث من هذه السنة

جناب الهمام المفضال صاحب جريدة الهلال الغرّاء

لغز الامام السيوطي نوّر الله ضريحهُ هو في « البومة » التي قال فيها ابن الرومي

يا بومة العتبة الخضراء قد ألفت روحي بروحك لو يستفنع اليومُ
زهدت في زخرف الدنيا فأسكنك الـ ـدهر الخراب فمن يذممك مذمومُ

ويطلق ايضاً على الهامة كما سياتي والبومة والهامة والفوقة والمصاصة واحدٌ والذكر منها يقال لهُ صَدَى جمعهُ اصداء وهذا الاسم اشتق لهُ من الصدى اي العطش لان بعض العرب يقولون انهُ يخلق من عظام القتيل فيجلس على قبره ويقول اسقوني اسقوني من دم قاتلي ويكون دائماً عطشان والعرب تتشاءم من الهامة الى يومنا هذا خصوصاً النساء اللواتي يقلن انها ما زعقت على بيت الا ومات بهِ واحد مع ان الرسول ابطل كل هذه الخرافات والاوهام بقولهِ (صلعم) لا طيرة ولا غول ولا صفر ولا هامة

اما من جهة ان اللغز في البومة فمن قول الجلال « ما قولكم في شيء يطير بغير جناح يبيض ويفرخ في البطاح رأسهُ في ذنبهِ وعينهُ بموضع قدميهِ » لانهُ صرَّح بهذه الالفاظ ان هذا الشيء هو طائر يطير بغير إثم عليهِ ولا حرج لان الجناح هو الاثم واراد بالراس الذي في الذنب الباء وبالعين التي في القدم الواو والميم والهاء لان العين نفس الشيء والحاضر من كل شيء فتكوّن من هذه الاحرف الاربعة اسم البومة . واما من جهة ان اللغز في الهامة فلان الراس الذي ذكره هو الهاء التي في ذنبهِ والهاء لا تلفظ الا ومعها الالف التي اكد وجودها واشار بانها مع الهاء بقولهِ « ولهُ قرن كالنخلة السحوق » اي النخلة الطويلة وهذه الصفة أليق بالالف من الواو التي في اسم البومة . ولان ميم الهامة وهاءها الاخيرة في القدم ولان العين هي تعيين الشيء وكيف كان الحال فالبومة والهامة واحد كما ذكرنا

وقولهُ سامحهُ الله « يسمع باذن واحدة وينظر بعين زائدة » يريد ان هذا النوع من الطير يسمع اوَّل تأذينة يلفظها المؤذن وقت السحر فيفزع لان الزؤْد هو الفزع وفزعهُ يكون خوفاً من جوارح الطيور النهارية لانها اذا رأتهُ قتلتهُ ونتفت ريشهُ

وقوله « يصلي الى الغرب بالليل » فصلاة الطير صياحه ونسبحة ايضاً فان كل ذي نسمة يسبح الله ويستغفره وهو يفعل ذلك عند غروب الشمس فرحاً وشكراً بدخول الليل الذي يصيب به رزقه فان الغرب هو الغروب . وقوله « ويجهد طول ليلهِ الى سهيل » اي يسهر خاضعاً شاكراً طول ليلهِ ما دام نجم سهيل فانه ينام نهاراً ويقوم ليلاً وقوله « تتقرب به الملوك الى الخالق وبوحدونه بقول صادق » اي انهم عند ما يسمعون صياحه ونعيبه يتنبهون من مضاجعهم فيسبحون الله ويوحدونه بقولهم لا اله الا الله ويتعجبون من خلق هذا النوع فيكونوا كانهم قد تقربوا به . وقوله « والنصارى تتقرب اليهِ واليهود والكتب المنزلة بذلك شهود » يريد انهم يأملونه بالذل والخضوع لانه من طيور الليل وطيور الليل كلها توصف بالذل لانها لا تظهر نهاراً خوفاً من طيور النهار ويشهد بذلك كتابة الذي ضرب الله به الذل والمسكنة على اليهود والجزية على النصارى بقوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) اعدم الذلة وقد كانت تؤخذ منهم ومن اليهود على هذا الشكل المهين

وقوله « ريشه كثير » فهذا من جهة الريش ومن جهة الخصب ايضاً لان هذا النوع مخصب في عيشه باكل الفار والورل والقنب وكل الحشرات وايضاً هو مخصب في نسلهِ وقوله « ووبره غزير » يريد بذلك صغار الريش لان الوبر لا يكون الا للجمل فقط وقوله « طعامه الجوز والعسل » فالجوز وسط كل شيء من الاطعمة والثمار والاوقات حتى في الليل والنهار وهو يأكل وسط كل شيء فلا يأكل اللحوم التي يأكلها البشر ولا النبات الذي تاكله البهائم والعسل المنّ الذي يسقط على ورق الشجر وقوله « يضرب به في الدنيا المثل » فلانه طائر مشوم مكروه فقد يقال لمن يأتي باخبار السوء انت مثل البوم لا تزعق الا بالخراب وقوله « شرابه اللبن والخمر » فلبن كل شجرة ماؤها وكلما اجتمع من ماء في نهر او بحيرة فهو خمر لان الخمر هو الغمر وهو يشرب منها كليهما وقوله « نقله الملح والتمر » فالملح ثمر الرمان الاصفر الرقيق الجلد والتمر البلح الناضج وهو يأكلها وقوله « يكره النسوان ويحب الغلمان » اي بعض النسوان وبعض الغلمان من اطلاق الجزء على الكل يريد انه يكره بعض اناثه ويحب بعض ذكوره لانه كالحمام يخبط بعضه بعضاً ووصفها بالنسوان والغلمان فمن نوع الاستعارة وقوله « يحمل الاثقال وهو ضعيف » فالاثقال الاحمال الثقيلة يريد بها الحشرات التي يحملها لتغذية فراخه من مكان الى مكان آخر ولقوته في

النهار الذي يسكن به او الامراض التي تعتريه لقولهم ثقل المرض اذا اشتد وقوله « يفترس الاسد وهو نحيف » يريد ان معنى الصدى الذي هو ذكر البوم هو الذي يفترس الاسد وما معنى الصدى الا العطش والعطش يقتل الاسد وغير الاسد ولا يبعد ان الصدى نفسه الذي هو ذكر البوم مع نحافة جسمه يفترس الاسد لانه يستطيع ان يسقط على وجهه ويقتلع عينيه ومتى اعماه مات جوعاً فيكون كانه افترسه وقد احسن من قال

لا تحقرنّ صغيرًا في مخاصمة ان البعوضة تدمي مقلة الاسد

والصدى اقدر على ذلك من البعوضة وقوله « يسكن بالنهار القصور » فالقصور الظلام جمع ظلمات والبيوت العالية المرتفعة المشيدة بالحجر وقوله « ويأوي بالليل القبور يبكي على الاحباب ويندب فقد الشباب » فهذا لان العرب كانت تعتقد لجهلهم يقولون انه يخلق من عظام القتيل كما ذكرنا وانه لا يزال يبكي على قبره حتى يؤخذ بثاره فالامام السيوطي يجل عن ان يعتقد بمثل هذه الخرافات انما ذكرها على ما كانت تعتقد العرب وهو يعلم ان البوم انما يأوي القبور ليلتقط الحشرات التي تدب عليها لا ليبكي ولا ليندب

وقوله « ان طلب ادرك وان طلب اهلك » فلانه من طيور الليل يدرك رزقه في الظلام والذي يطلبه يهلك اما تعباً لانه سريع الطيران واما لسقوط طالبه في المهالك لانه لا يكون في الظلام على بصيرة من امره وقوله « يقطع الارض في ساعة » فالمراد هو بعض الارض من اطلاق الجزء على الكل وقوله « بلا صناعة » اي بدون تكلف وقوله « تعرفه الملوك ولا تنكره » اي ولا تعاديه لعدم الاحتفال به وهذا ماخوذ من قولهم تناكر وا اذا تعادوا وقوله تفهمه السوقة وتخبره اي تسخط عليه لانهم يتشاءمون منه وقوله « ما ملكه بشر ولا حازه انثى ولا ذكر » فهذا لعدم الانتفاع به وقوله « تلعب به الاطفال » اي الليالي وقوله « يتلى في سورة الانفال » اي ان صلوته (مكاء وتصدية) وقوله « يصلي ويصوم ويقعد ويقوم » اي يصيح ويصمت ويمسك عن القوت لشبع او لمرض فيقعد اي يعجز فلا يعود يبيض ويفرخ وقوله يقوم اي ينتصب او يطير والحمد لله العليم الخبير الذي خلق الانسان وعلمه البيان

(القاهرة) سليمان صوله

الهلال

الجزء السابع من السنة الثالثة

(اول دسمبر سنة ١٨٩٤) (٢ جمادى الثانية سنة ١٣١٢) (٢٢ هاتور سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



كاترينة الثانية أمبراطورة روسيا

وُلدت سنة ١٧٢٩ وتولت سنة ١٧٦٢ وتوفيت سنة ١٧٩٦ م

وعدنا في الجزء الماضي ان نأتي على ذكر ترجمة حياة القيصر اسكندر الثالث المتوفي حديثاً مع رسمه ورسم القيصر نقولا الثاني الامبراطور الحالي ونظراً لتاخر ورود الرسمين عن وقت صدور الهلال رأينا ان نذكر هنا ترجمة حياة الامبراطورة كاترينة الثانية لانها من اشهر امبراطرة الروس وهي الجد الثالث للقيصر نقولا الحالي لانه ابن اسكندر الثالث بن اسكندر الثاني بن نقولا الاول بن اسكندر الاول بن بولس الاول بن بطرس الثالث زوج كاترينة الثانية المشار اليها وبطرس الثالث هذا هو ابن حنة بنت بطرس الاكبر. وموعدنا بذكر ترجمة القيصر بن الاخير بن العدد القادم ان شاء الله

ولدت كاترينة الثانية سنة ١٧٢٩ م وهي ابنة كريستيان اوغسط برنس انهالت زربست احد الاسرة الامبراطورية الالمانية واسمها الاصلي صوفيا اوغسطا فتزوجها بطرس الثالث سنة ١٨٤٥ عملاً بوصية جده بطرس الاكبر لان هذا الرجل العظيم كتب قبل وفاته وصية مؤلفة من ١٤ بنداً قال في السادس منها ما نصه

« البند السادس . يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية ان يتزوجوا دائماً من بنات العائلة الملوكية الالمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع اذ بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون ايضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصلحتنا »

وبناء على هذه الوصية تزوج بطرس الثالث بالاميرة صوفيا المشار اليها بعد ان تعمدت واعتنقت المذهب الارثوذكسي وتلقبت بكاترينة الكسيونا ثم لما تولت الحكم بعد ذلك سميت كاترينة الثانية فوضعت كاترينة ولداً بن بولس وهو الذي تولى بعدها وحنة توفيت طفلة

وكانت ازمة الامبراطورية الروسية اذ ذاك في قبضة الامبراطورة اليصابات بنت بطرس الاكبر فلما توفيت سنة ١٨٦١ خلفها بطرس الثالث زوج كاترينة ولم يكن من أوتوا حسن السياسة والمقدرة على السلطة وزد على ذلك انه اضمر حرمان ابنه بولس من الملك وطلاق كاترينة فادركت هي قصده فضمرت له السوء وجعلت تسعى في اختلاس الملك منه فاجتذبت اليها الاحزاب من الاعيان ورجال الجند حتى حملته على التنازل عن الملك كرهاً فكتب استعفاءه بيده في ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٧٦٢ ثم سيق تحت الحجر الى قصر روبشا وفي ١٧ يوليو (تموز) من تلك السنة قتله جماعة من

تلك الاحزاب بمساعدة الكمبس اورلوف احد المقربين من كاترينة واشاعوا انهُ مات بالقولنج ويظن بعضهم ان كاترينة هي التي سعت في قتلهِ على ان هذه التهمة ولو رفعت عنها فهي ملومة لانها لم تسع في نجاتهِ ولا عاقبت الذين قتلوهُ . وبعد وفاتهِ قبضت هي على ازمة الاحكام وفي سبتمبر (ايلول) من تلك السنة توّجت رسمياً في موسكو عاصمة الروسيين الى ذلك العهد

وكانت الاحكام اذ ذاك جارية على ما وضعها عليهِ بطرس الاكبر اما هي فاتخذت الحلم واللين في حكومتها رغبة منها في اجتذاب قلوب رعيتها بما تبثهُ بينهم من الحرية وامسكت عن القيام الى الحرب زمناً طويلاً ارادت بذلك توطيد قدمها في الحكومة وتنظيم داخليتها . وكانت لتعقلها وحسن درايتها عاملة بالوسائل الفعالة في ترقية شان شعبها فوجهت انتباهها بنوع خاص الى نشر العلوم والمعارف وكانت من طبعها ميالة الى احراز العلوم ونشرها فبذلت كل مرتخص وغالٍ في سبيل ذلك فجعلت تكاتب مشاهير علماء اوربا في ذلك العصر وتحبب اليهم بث علومهم بين رعاياها وسنت قانوناً لحكومتها موسساً على دعائم الحرية خالصاً من شوائب العسف ووسعت نطاق المعارف وسهلت طرق تناولها على الناس على اختلاف طبقاتهم ونشطت صناعة الطب فبعد ان كان الروسيون لا يثقون بالطب الحديث ولا يقبلون التلقيح بالجدري حملتهم على الاقبال عليهِ بان تلقحت بذلك الطعم في نفسها اولاً فسار الناس على خطواتها

وخلاصة القول انها لم تغادر وسيلة في رفع منار العلم بين رعاياها مع ما كان عليهِ الروسيون من خشونة العوائد وسذاجة المعيشة

وفي سنة ١٧٦٤ ولت احد المقربين منها واسمهُ بونيا توسكي ملكة بولاندا وسمتهُ الملك استانيسلاوس اوغسطوس وفي سنة ١٧٦٩ انتشبت الحرب بينها وبين الدولة العلية على عهد المغفور لهُ السلطان مصطفى الثالث الذي تولى عرش السلطنة العثمانية من سنة ١٧٥٧ الى ١٧٧٣ واتحد مع الروسيين عمارات بحرية وجنود برية من بعض دول اوربا العظمى وانتهت هذه الحرب بانقسام بولاندا بين كاترينة ويوسف الثاني ملك النمسا وفريدريك ملك بروسيا وذلك سنة ١٧٧٢ على ان الحرب تواصلت في اماكن اخرى كالقريم وغيرها وسعت الملكة كاترينة مساعي الدهاة فارسلت اسطولها الى البحر المتوسط وهو اول اسطول روسي اخترق هذا البحر وجعلت تحرض عمال الدولة على

العصيان فاطاعها في ذلك علي بك الكبير امير المماليك اذ ذاك على مصر اوهو حاكم مصر والشيخ ظاهر العمر حاكم عكا فاستغنما فرصة انشغال الدولة بالحروب ونبذا الطاعة بمساعدة ذلك الاسطول وترى تفصيل هذه الحوادث في رواية استبداد المماليك المنشورة تباعاً في السنة الاولى من الهلال او في كتابنا تاريخ مصر الحديث . فجند علي بك بمساعدة ظاهر العمر لافتتاح سوريا تحت قيادة محمد بك ابي الذهب على نية ان يواصلوا السير الى بر الاناضول وما وراءه فلما وصلت الجنود المصرية الى دمشق وفتحوها عاد محمد بك ابو الذهب الى رشده وانثنى عن عزمه مفضلاً البقاء تحت لواء الدولة العلية فنبذ امر علي بك حميه وقفل برجاله راجعاً الى مصر واخرج علي بك منها فعادت الى كنف الدولة ثانية وانحاز علي بك الى ظاهر العمر فسار اليهما ابو الذهب فقتل عليّاً وابن ظاهر العمر في الصالحية فانكسرت شوكة ظاهر وضعف امره

اما الحرب بين الدولة العلية والروسيين فانتهت بمعاهدة عرفت بمعاهدة قينارجه ابرمت في ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٧٧٤ هاك ملخصها نقلاً عن تاريخ صاحب الدولة والاقبال العلامة جودت باشا الجزء الاول

ملخص معاهدة قينارجه

(١) كل ما سبق وقوعه بين الدولة العلية وروسيا من عداوة او خصومة قد محي وازيل من الآن الى الابد وتكون قضية الموالاة مرعية بين الدولتين وفي املاكها وبين رعايا الطرفين سرّاً وجهراً وتكون جرائم جميع الرعايا المتهمين من الدولتين نسياً منسياً

(٢) يلافى كل ما يوجب النفور بين الدولتين فاذا حصل من احد رعاياهما ذنب او تقصير والتجأ الى احداهما فينبغي رده عند طلبه

(٣) جميع قبائل القريم وطوائف بوجاق وقوبان ويدبسان وجانبوبلق ويديجكول التترية تقبل وبعترف بحريتها بلا استثناء من الدولتين . والخانات المنتخبون من نسل جنكز المستقلون بحكوماتهم باتفاق جميع طوائف التتر يبقون على ماهم عليه يحكمون بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة لا تتداخل احدى الدولتين في شؤونهم الا من حيث كونهم من المسلمين فينظمون امورهم المذهبية من طرف جلالة السلطان الاعظم بمقتضى الشريعة الاسلامية واراضي كرش واراضي القلعة المسماة بالقلعة الجديدة

والقصبة الواقعة بجانب القريم وقوبان ما عدا ثغورها والقلاع والاماكن والاراضي التي وقع الاستيلاء عليها وجميع الاراضي الواقعة بين مياه نهري براد وسكي وديدادزي ومياه نهري آق صو وطورله حتى حدود مملكة (له) فهذه جميعها ترد للطوائف المرقومة وقلعة اوزي مع قطعتها القديمة تبقى تحت تصرف الدولة العلية كالسابق . وبعد تكميل عهدة المصالحة تتعهد دولة روسيا باخراج جميع عساكرها من الممالك التترية وتتعهد الدولة العلية ايضاً بكف يدها عن كل ما هو في جزيرة القريم وقوبان وطمان وان لا ترسل اليها محافظاً عسكرياً كما ان دولة روسيا قد جعلت الطوائف المرقومة غير تابعة لاحد ومستقلة حقيقة في حكومتها على وجه ان تكون الحرية المطلقة معمولاً بها فيها والحرية الممنوحة للطوائف المرقومة من دولة الروسيا تمنحها لها ايضاً الدولة العلية مع الاستقلال بحيث لا تكون الطوائف المذكورة تابعة لاحد

(٤) يجوز لكل دولة ان تجري في ممالكها ما تراه مناسباً في النظام كبناية القلاع والمدن والقصبات وما شاكل ذلك

(٥) لدولة روسيا ان تعين سفيراً متوسطاً او مرخصاً من الدرجة الثانية ويكون له ما لسواه من سفراء الدول من الرعاية والاعتبار

(٦) اذا وقعت جريمة ممن هم في خدمة سفير روسيا فيعاقبون على الوجه الذي يبينه السفير واذا قبل احد المسيحيين الدين الاسلامي وهو في حالة السكر فلا يعتمد اسلامه الا اذا صحا واعترف بقبوله ذلك

(٧) تتعهد الدولة العلية بصيانة حق الديانة المسيحية وكنائسها صيانة قوية

(٨) يجوز لسائر رعايا الدولة الروسية زيارة القدس الشريف وسائر الاماكن التي تستحق الزيارة بدون دفع الجزية او الخراج في اي مكان مرورهم والذين يقيمون في بلاد الدولة تصير حمايتهم بمقتضى احكام الشريعة

(٩) المترجمون القائمون بخدمة السفراء بالاستانة يعاملون بالمروءة والاعتبار

(١٠) اذا حصل خصام في اي محل كان اثناء امضاء هذه المصالحة المباركة لا يعد ذلك تعرضاً وكل ما ينتج عن ذلك يعتبر لاغياً

(١١) يصرح لسفن الدولتين وسفن تجارها المرور في جميع بحارها بغير معارضة ومثل ذلك التجارة براً وفي نهر الطونة ويعامل الروسيون في اداء الرسومات معاملة

غيرهم من الملل المتحابة ويجوز لهم الوصول الى مرافئ البحر الاسود وسائر البحار والى الاستانة العلية . وللدولة روسيا تعيين قناصل ووكلاء قناصل في كل المواقع حسب الاقتضاء ويعامل قناصلها ووكلاؤهم معاملة قناصل سائر الدول المتحابة ولهم ان يستخدموا في معيتهم تراجمة من المسلمين الحائزين على البراءة الشاهانية وقد تعهدت روسيا بالتصريح لرعايا الدولة بالاتجار في بلادها برًّا وبحرًا ومعاملتهم كرعايا سائر الدول المتحابة

(١٣) اذا ارادت روسيا عقد معاهدة تجارية مع حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فان الدولة العلية تتعهد بمساعدتها في ذلك

(١٣) تعنون المخاطبات التي تخاطب بها الدولة الروسية بهذه العبارة باللسان التركي (تمامًا روسية لولرك بادشاهي) او (تماماً روسية لولرك امبراطور يجه سي)

(١٤) يجوز لروسيا بناء كنيسة في محلة بك اوغلي بغلطة غير الكنيسة المخصوصة وتكون تحت صيانة سفيرها

(١٥) اذا حصل امر اوجب النزاع بين رعايا الطرفين عند الحدود ينظر فيها حاكم تلك الجهة ويجري حكمها بموجب المادة المختصة بها

(١٦) ترد روسيا للدولة العلية مملكة البوجاق مع قلاع اق كرمان وكلي واسماعيل وسائر القصبات والقرى بما فيها وقلعة بندر وايالتي الفلاخ والبغدان وقلاعهما ومدنها وقصباتها وقراها بما فيها . وقد قبلت الدولة العلية الممالك المذكورة على هذه الشروط (اولاً) العفو عن اهالي هاته الحكومات الجديدة جميعًا واعادتهم الى مناصبهم ورتبهم وترد اليهم املاكهم (ثانيًا) الديانة المسيحيه تكون حرة كالاوّل ولا يمانع في بناء الكنائس او ترميمها (ثالثًا) جميع الاملاك المأخوذة بغير حق المحتلة قديمًا بالاديرة او غيرها ترد الى اصحابها وهم الرعايا (رابعًا) يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز (خامسًا) من اراد من الرعايا السفر الى وطن آخر يمهل سنة لنقل امتعتو (سادسًا) لا يحصل شيء من المحاسبات القديمة (سابعًا) لا يكلفون بشيء عن مدة الحرب بتمامها وتتنازل لهم عن مدة سنتين مقابل ما تكبدوه بسبب الحرب (ثامنًا) تتعهد الدولة العلية بعد ذلك بمعاملتهم بالمروءة من حيث الجزية (تاسعًا) يرخص لامراء هذه الحكومات ان يقيم كل منهم وكيلاً لدى الدولة العلية باسم مصلحتكدار ويكونوا نصارى من ملة

الروم (عاشرًا) يجوز لسفراء روسيا المذاكرة عند الاقتضاء بما يتعلق بمساعدة الحكومتين المذكورتين

(١٧) ترد دولة روسيا الى الدولة العلية جزائر البحر الابيض وتتعهد الدولة العلية بمعاملة رعاياهم بالرعاية والعدل بغير تضييق على المسيحيين مع اعفائهم من الرسم السنوي لمدة سنتين واذا رغب احدهم المهاجرة يرخص له ويمهل سنة كاملة لنقل امتعتهِ ويسترجع الاسطول الروسي من مياه الدولة العلية بعد التصديق على هذه المعاهدة بثلاثة اشهر

(١٨) قلعة قلبرون ومقدار كاف من الاراضي الواقعة في ساحل الطرف الشمالي من النهر مع الصحراء الواقعة بين آق صو واوزي صو تبقى مستقلة تحت تصرف روسيا

(١٩) يكي قلعة بجزيرة القريم وكل ما هو داخل كرش وثغورها مع اراضيها من البحر الاسود الى حدود كرش القديمة طولاً الى بوخاجه ومن بوخاجه من الاعلى الى بحر ازاق كل هذه تبقى تحت تصرف روسيا

(٢٠) قلعة ازاق بحدودها الاولى خصصت الى دولة روسيا

(٢١) القبارطتان احيلت الى روسيا مادة تخصيصها الى خانات القريم ومشورتهم والى راي رؤساء التتر

(٢٢) جميع العهود والشروط السابقة تلغى الّا الواقعة منها سنة ١٧٠٠ بشان قلعة آجو وحدود قوبان

(٢٣) قلاع بغداد جق وكوتانسي وشهربان تكون لاصحابها الاصليين واذا تبين بعد التحقيق ان الدولة العلية كانت مالكة لها قديمًا فانها تعود اليها وتخلي العساكر الروسية هذه القلاع بعد التصديق على هذا الصك والدولة العلية تعفو عن اهلها وتترك الاراضي وسائر الاستحكامات التي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولا تضايق الاديرة او الكنائس بوجه من الوجوه ولا تتداخل روسيا في امورهم لانهم من رعايا الدولة

(٢٤) تتضمن كيفية انسحاب الجنود عن الحدود وعودها الى اماكنها وتعيين الزمان والكيفية

(٢٥) اسرى الدولة يردون الى اوطانهم الّا من اختار الاقامة. والمستعبد يعتق

(٣٦) تتضمن اتمام الاستلام والتسليم للاماكن التي نصت عليها المعاهدة

(٣٧) و(٣٨) يتضمنان كيفية السعي الى التصديق واسماء الاشخاص وكيفية التنبيه في سائر الجهات لايقاف العدوان وما شاكل ذلك ومن اراد الوقوف على هذه المعاهدة مطولاً فليراجعها في تاريخ جودت باشا فهي هناك شاغلة ١٥ صفحة بقطع الهلال

ولما انتهى الصلح بين الدولتين على هذه الصورة عادت كاترينة الى تحسين داخليتها فابرمت سنة ١٧٨٠ معاهدة مع الممالك الشمالية مؤداها حماية تجارة بحر البلتيك من الدول المحاربة وفي سنة ١٧٨٢ اسست في مملكتها اسقفية كاثوليكية وفي اثناء ذلك وضعت رتبة القديس ولديمير

وفي سنة ١٧٨٧ تجددت الحرب بينها وبين الدولة بسبب استيلاء الروسيين على القريم واتحدت جرمانيا مع روسيا واسوج مع الدولة العلية وانتهت تلك الحرب بمعاهدة صلح عقدت سنة ١٧٩٢ عرفت بمعاهدة جاسي تنازل بمقتضاها الباب العالي عن قلعة اوكزاكوف وامتدت حدود روسيا الى دنيستر

وبعد ذلك بقليل اضطرت الحال الامبراطورة كاترينة الى الاهتمام بشؤون بولاندا لان اهلها تمردوا وشقوا عصا الطاعة يريدون الخروج من طاعتها فارسلت اليها جندًا عظيماً وعولت على قطع دابر العصاة فجرت مذبحة هائلة في وارسو ارجفت قلوب البولانديين فاذعنوا وانتهت الحرب بانقسام بولاندا ثانية بين روسيا وجرمانيا وبروسيا وكان نصيب روسيا من ذلك ليثوانيا وفولهينيا وبودوليا سنة ١٧٩٢ ويدعى هذا التقسيم بالثاني تمييزًا له عن التقسيم الثالث وهو الاخير الذي حصل سنة ١٧٩٥ نالت روسيا بمقتضاه سائر مدن بولاندا الا وارسو فانها اعطيت الى بروسيا وغاليسيا الى النمسا . ثم استولت كاترينة على كورلاندا وفي سنة ١٧٩٦ توفيت ولها من العمر سبع وستون سنة

ويقال عن هذه الامبراطورة انها كانت على تعقلها وحدة ذهنها شديدة العواطف للغاية

(١) تعتبر غرة الصفحة المقابلة ٢٤٩ وليس ٢٥١ ثم تتابعها النمر هكذا الى آخر هذا الهلال

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »

العلوم الدخيلة

(٢) المنطق

ما هو المنطق

المنطق من العلوم النظرية المرافقة لاعمال العقل لانهُ من مقتضيات احكامهِ فالانسان منطقي بالطبع اي ان القوَّة المنطقية غريزية فيهِ ويكاد لا يخلو لهُ عمل عقلي من حكم منطقي مهما كان ذلك العمل بسيطاً ويعبر عن تلك القوَّة في الانسان بقوة الاستدلال او القياس او الحكم فاذا قيل لك ان تراكم الغيوم بعقبهُ المطر ثم رأيت الغيم يتراكم حكمتَ بانَّ المطر قريب واذا علمتَ ان المآكل الضخمة تنبك المعدة واكلت طعاماً ضخماً خشيت التلبك وقس عليهِ والناس يتفاوتون في قوَّتهم المنطقية وعلى نسبة ذلك التفاوت تختلف احكامهم في الامور صحةً وفساداً وبقي الانسان قروناً طوالاً يجري باحكام المنطق بالفطرة على ما تقدم حتى ظهر ارسطو الفيلسوف اليوناني في القرن الرابع ق م فبوَّبهُ وقسمهُ وجعلهُ علماً قائماً بنفسهِ كسائر العلوم وجعل لهُ قواعد وروابط على ما وصل الينا

ويقسمون المنطق بهذا الاعتبار الى قسمين طبيعي وصناعي فالطبيعي يراد بهِ النور الطبيعي المغروس في كل انسان من طبيعتهِ كما قدمنا والصناعي ويقال لهُ ايضاً المنطق

العملي هو ملكة التحديد والتقسيم والاستدلال والقياس وهي التي تعلمها رسوم المنطق ونجة اليها قوانينه وغايته عصمة الذهن عن الخطإ في الفكر ولذلك حدّه العلماء انه «آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطإ في الفكر»

وتفصيل ذلك ان الانسان يدرك ما حوله من المحسوسات بالحواس الخمس وهي النظر والشم والسمع واللمس والذوق وزاد بعضهم عليها حاسة سادسة سمّاها الحاسة العضلية وإدراك المحسوسات على هذه الصورة مشترك بين الانسان وغيره من انواع الحيوان وإنما يتميز الانسان عنها بادراك الكليّات والكليّ هو ما لا يمنع نفس تصوّره من وقوع شركة كثيرين فيه ويقابله الجزئيّ وبعبارة اخرى ان الكلي صفة تشترك بها عدة جزئيات فالحيوانية مثلاً صفة يشترك بها الانسان وسائر انواع الحيوان والجمودة صفة يشترك بها الحجر والخشب وسائر انواع الجماد والسيولة صفة تشترك بها سائر انواع السوائل من الماء والخمر والزيت وغيرها ويعبر المنطقيون عن القوة التي تدرك بها الكليّات قوة «التجريد» وبها يجرّد الانسان من المحسوسات البسيطة قضايا كلية ثم يستخرج من عدة قضايا كلية قضية تشملها وهكذا حتى يتصل الى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه او يشترك معه فيسمونه من اجل ذلك بسيطاً

مثال ذلك ان لكلّ من اصناف الانسان مميزات من اللون والشكل والملامح تميزها بعضها من بعض ولكنها تشترك كلها بصفة النطق فالنطق كلّ بالنسبة اليها ولكنّ الانسان يشارك سائر انواع الحيوان بالحسّ والحركة فالحسّ والحركة كلّ بالنسبة الى انواع الحيوان ولكنّ الحيوان يشارك النبات بالنموّ فالنموّ كلّ بالنسبة اليها ولكنهما يشاركان الجماد بالمادّة اي ان كلاً منها مادّة فالمادّة كلّ بالنسبة للعوالم الثلاث الحيوان والنبات والجماد ولكنّ المادّة تشارك القوّة او العقل بالوجود فالوجود كلّ بالنسبة الى المادّة والقوّة وقس على ذلك

على ان هذا الادراك مهما تركّب وتفرّع لا يخرج عن كونه ساذجاً اي انه ادراك بسيط لم تنتج عنه نتيجة قياسية وعليه فقد قسم المنطقيون الادراك او العلم الى قسمين عظيمين التصوّر والتصديق فالتصوّر هو ادراك المحسوسات ادراكاً ساذجاً من غير حكم عليه ويتصل اليه بواسطة الكليات الخمس وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ومقاصده «القول الشارح» وهو ما يبيّن معنى الاسم في اللغة او ذات

المسمّى في الحقيقة اوهو التعريف . والتصديق يتصل اليهِ بالقضايا والقضية قول يصح ان يقال لقائلهِ انهُ صادق فيهِ اوكاذب وهي تنقسم الى قسمين حمليّة وشرطيّة . ومقاصد القياس وهو الناتج من اجتماع القضايا والقياس يُقسم باعتبار مادّتهِ الى خمس صناعات وهي البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة وقد جمع بعضهم ابواب المنطق في بيتين وهما

بكافاتٍ وقافاتٍ ثلاثٍ وباءٍ ثمّ جيمٍ ثمّ خاءِ
وشينٍ ثمّ ميمٍ نحن جئنا لبابِ العزّ نامن في الرخاءِ

اراد بالكافات الكليّات الخمس التي هي مبادئ التصوّرات ولذلك تتقدّم في المنطق مباحث هذهِ الكليّات على مقاصدهِ

واراد بالقافات الثلاث اولاً القول الشارح الذي هو مقاصد الموصل الى التصوّر ثانياً القضايا التي هي مبادئ الموصل الى التصديق وهي ما فوق قضية واحدة ثالثاً القياس الذي هو مقاصدهُ وهو المطلب الاعلى في الاصطلاحات المنطقية لان المقاصد من العلوم المدوّنة مسائلها وهي قول مؤلَّف من اقوالٍ متى سُلّمت لزم عنها لذاتها قولٌ آخر كقولنا العالم متغيّر وكل متغيّر حادث لزم عنها لذاتها العالم حادث . واراد بالباء البرهان وبالجيم الجدل وبالخاء الخطابة وبالشين الشعر وبالميم المغالطة وهذه هي الصناعات الخمس التي هي مادّة القياس المذكور

والغاية العمليّة من علم المنطق سعي الفكر الى حقائق الاشياء بالقياس والبرهان ولكنّ هذا السعي قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقتضى لذلك تمييز الطريق الذي يسعى بهِ الفكر في تحصيل المطالب العلميّة لتمييز صحيحها من فاسدها وهذا هو غرض علم المنطق اي عصمة الذهن عن الخطإ في الفكر

تاريخ المنطق قبل الاسلام

قلنا انّ ارسطو اليوناني هو الذي بوّب هذا العلم ورتّبهُ وقسمهُ ولكنّ بعضهم سبقهُ الى التكلم بهِ كلاماً متفرّقاً لا يصح ان يسمّى علماً وعليهِ فقد اجمع العلماء على انّ ارسطو هو الذي وضعهُ وسمّوهُ المعلم الاوّل اما هو فيقول محدثاً عن نفسهِ « انهُ قد كان لنا في الصنائع المنطقية اصولٌ ماخوذة ممّن سبقنا مستعملة في جزئياتٍ برهانية مثلاً في المدرسة جدليّة وخطابيّة في السؤال والجواب اما في صورة القياس وصورة قياس القياس فامر قد كددنا في طلبهِ مدّة من العمر حتى استنبطناهُ »

وزعم آخرون ان زينون وضعهُ وارسطو كمَّلهُ وافلاطون هذَّبهُ

وقد مرَّ في ترجمة حياة ارسطو بالسنة الثانية من الهلال انهُ ألَّف في المنطق كتاباً سمَّاهُ ارغانون اي المنطق ويقول العلاَّمة ابن خلدون في مقدمتهِ ان كتاب ارسطو المخصوص في المنطق اسمهُ النص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة منها في صورة القياس واربعة في مادَّتهِ وذلك انَّ المطالب التصديقيَّة على انحاء . فمنها ما يكون المطلوب فيهِ اليقين بطبعهِ ومنها ما يكون المطلوب فيهِ الظنّ وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيدهُ وما ينبغي ان تكون مقدماتهُ بذلك الاعتبار ومن اي جنس يكون من العلم او من الظنّ وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجهِ خاصة ويقال للنظر الاوَّل انهُ من حيث المادَّة ونعني بهِ المادَّة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظنّ ويقال للنظر الثاني انهُ من حيث الصورة وانتاج القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية . الاوَّل في الاجناس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات . والثاني في القضايا التصديقيَّة واصنافها ويسمَّى كتاب العبارة . والثالث في القياس وصورة انتاجهِ على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة . ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماتهُ يقينيَّة ويختص بشروط اخرى لافادة اليقين مذكورة فيهِ مثل كونها ذاتيَّة واوَّليَّة وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرَّفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحدّ والمحدود لا تحتمل غيرها فلذلك اختصَّت عند المتقدمين بهذا الكتاب . والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وافحام الخصم وما يجب ان يستعمل فيهِ من المشهورات ويختص ايضاً من جهة افادتهِ لهذا الغرض بشروط اخرى من حيث افادتهِ لهذا الغرض وهي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسهُ وفيهِ عكوس القضايا . والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط بهِ المناظر صاحبهُ وهو فاسد وهذا انما كتب ليعرف بهِ القياس المغالطيّ فيحذر منهُ . والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات . والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل

والتشبيه خاصّة للاقبال على الشيء او النفرة عنه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التخاليّة

واشتغل الفلاسفة بعد ارسطو في تهذيب علم المنطق وتحسينه فزادوا على ابوابه هذه بابًا آخر في الكليّات الخمس فصارت الابواب تسعة كما تقدم وكانت مؤلفات ارسطو هي المعوّل عليها في المنطق دون سواها فلما كان زمن ديوقليطيانوس في القرن الثاني للميلاد ظهر عالم صوري اسمهُ فرفوريوس اشتهر اذ ذاك بالفلسفة والمنطق واتفق انّ بعض اصدقائهِ شكا اليهِ صعوبةً في فهم كلام ارسطو فقال فرفوريوس « كلام الحكيم يحتاج الى مقدّمة قصّر عن فهمها طالبة زماننا لفساد اذهانهم » وشرع في تصنيف كتاب في المنطق سهل الاسلوب يكون مدخلًا لكتب ارسطو فألّفهُ ودعاهُ « ايساغوجي » ثم أُخذ عنهُ بعدئذٍ وأُضيف الى كتاب ارسطو وجُعل اولًا له وسار مسير الشمس ولا يزال عليهِ المعوّل الى هذه الغاية

تاريخ المنطق في الاسلام

لم يكن للعرب في جاهليتهم واوّل اسلامهم من المنطق الّا ما فطروا عليهِ من النور الطبيعي كسائر الامم وما زال ذلك شأنهم حتى افتتحوا الامصار واختلطوا بالامم التي مشت امامهم في عالم الحضارة فاخذوا في استخراج العلوم الى لسانهم وكان المنطق في جملة تلك العلوم واوّل من عني في استخراجهِ ونقلهِ الخليفة المنصور ابو جعفر ثاني خلفاء بني العباس في اواسط القرن الثاني للهجرة فانهُ اوعز الى عبد الله بن المقفّع ان يترجم ما كان شائعًا من المؤلّفات في علم المنطق اذ ذاك فترجم له ثلاثة منها وابن المقفّع هذا اعتنق الاسلام في زمن الخليفة المنصور وكان كاتبًا لعيسى بن علي عمّ الخليفة المشار اليهِ وكان مشهورًا بالبلاغة ويُعدّ في الطبقة الاولى بين المنشئين ولهُ عدّة رسائل وهو الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسيّة الى العربيّة توفي سنة ١٥٨ هـ . وكان من جملة ما ترجمهُ من كتب المنطق كتاب « ايساغوجي » المتقدّم ذكره وهو عمدة اكثر مؤلّفات العرب في المنطق فانهم عكفوا على شرحهِ وتعليق الحواشي عليهِ وعلى شروحهِ الى حدٍّ ليس بعدهُ غاية

واحبّ المسلمون المنطق وعلقوا بهِ وخصوصًا بعد ان قامت بينهم المناظرات والمجادلات في العلم والدين فانهم احتاجوا في ذلك كلهِ الى قواعد تقوى بها حججهم

فعمدوا الى المنطق وتبحروا به والفوا فيه بين شرح واختصار وبسط على انهم كثيرًا ما كانوا يخلطون المنطق بالفلسفة او يجعلون كتبهم فيه مضمومة الى كتبهم في الطبيعيات او الالهيات ولولم يشع بينهم الطعن في المنطق وطلابه كقولهم «من تمنطق فقد تزندق» لما وقفوا به عند حد

ويغلب انّ الذين اشتهروا في علم المنطق عند العرب هم الذين اشتهروا في الفلسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم وقد تقدّم ذكرهم وترجمة حياتهم في كلامنا على علم الفلسفة عند العرب فلا فائدة من التكرار وانما نذكر هنا مؤلفاتهم في علم المنطق

فالفارابي لخص كتاب ارسطو في كتاب سمّاهُ الثمانية وعلّق عليهِ شروحًا ولخصها ايضًا ابن رشد وشرحها وعلق عليه الحواشي

اما ابن سينا فقد الف في المنطق كتاب القانون وجزءًا من كتابه الشفاء وكتاب المختصر الاوسط والموجز الصغير والموجز الكبير ومفاتح الخزائن والارجوزة والاشارة والمشرقيين ورسالة العروس (راجع ترجمة حياته ومؤلفاته وفلسفته في السنة الاولى من الهلال)

وممن اشتغلوا في المنطق من العرب حنين بن اسحق المسيحي المتقدم ذكرهُ في جملة المترجمين الف كتابًا فيهِ سماهُ المسائل وابنهُ اسحق بن حنين الف كتاب اختصار اقليدوس وكتاب المقولات وكتاب ايساغوجي (غير ايساغوجي فرفوريوس)

ومنهم نصير الدين الطوسي الفلكي العربي المشهور توفي سنة ٦٧٢ﻫ وقد تقدّم ذكره في تاريخ علم الفلك ومن مؤلفاته في المنطق كتاب التجويد وكشف الاسرار وكتاب شرح الاشارات والتنبيهات وقد شرح كشف الاسرار ابن البديع البندي

ومنهم ايضًا نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي من علماء القرن السابع قرأ على نصير الدين الطوسي المتقدّم ذكره وله في المنطق كتاب الشمسية في القواعد المنطقية وهو موجودٌ خطأ في المكتبة الخديويّة

ومنهم الامام فخر الدين الرازي وقد تقدّم ذكرهُ غير مرّة في تاريخ آداب اللغة العربيّة ومن مؤلفاته في المنطق كتاب المنطق الكبير والتلخيص . ومنهم شمس الدين السمرقندي وله كتاب القسطاس وشرحهُ وكلاهما موجودٌ خطأ في المكتبة الخديويّة

وممّن اشتهر من علماء المنطق عبد الرحمن الاخضري من علماء القرن العاشر للهجرة

ألف كتاباً فيهِ اسمهُ «السلّم المرونق» ثم شرحهُ هو وغيرهُ ممَّن جاء بعدهُ منهم الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ والشيخ عبد الغني السوداني من علماء القرن الثاني عشر والشيخ محمَّد بن عبد الفتاح الملّوي المتوفى سنة ١١٨١ هـ وسعيد قدورة المغربي والشيخ محمد قش المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ وقد اشتهر غير هؤلاء كثيرون لا محل لذكرهم هنا

ومن الكتب المتداولة في علم المنطق الآن حاشية الباجوري على السلم وحاشية الصبّان والحفني على ايساغوجي والقطب على الشمسية والعطّار على المقولات والفناري على ايساغوجي والكلنبوي على ايساغوجي وقره خليل على الفناري وغيرها وكلها مطبوعة ومتداولة في مصر

وممن كتب في المنطق في هذا القرن العلاّمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي ألف كتاباً سمَّاهُ قطب الصناعة في اصول المنطق طبع في بيروت سنة ١٨٥٧ م

التصوُّرات الحسية والوهمية

(بقلم حضرة الاديب موسى افندي يوسف برجميون)

التصوُّر استحضار الموضوعات الى الذهن ليصبغ منها صوراً حسية وعقلية وحينما ترتسم في الذهن صورتان يحكم العقل بصحة نسبة احدى الصورتين الى الاخرى اذا وجد بينهما مطابقة وبعدم صحة النسبة اذا وجد تنافراً

والتصوُّر نوعان (١) التصوُّر الحسي وهو ما يستحضر الى الذهن بواسطة الحواس فان كان التصوُّر الحسيُّ جلياً بحيث ينتزع من اعراض الموضوع ما يميزهُ عن غيره كانت المعارف والسنون المستنتجة من الحكم بتلك التصوُّرات مبنية على اساس متين لا تتزعزع (٢) التصوُّر الوهمي وهو استحضار صور للعقل لا رسوم لها حقيقة ككواكب الدرّ وسماء العقيق في قول الشاعر

كأن الحباب المستدير برأسها ... كواكب درّ في سماء عقيق

او اعلام من ياقوت ورماح من زبرجد في قول الآخر

وكأنَّ محمرّ الشقيق ... اذا تصوَّب او تصعد

اعلام ياقوتٍ نشرنَ ... على رماح من زبرجد

أو غير ذلك من الاوهام التي لا مصدر لها الاّ الخيال ولهذه التخيلات الوهمية علاقة

بسير العمران وحالة الاقليم فاهل الهمجية والبداوة ترى تصوُّراتهم الخيالية اغرب من تصوُّرات من هم بحال المدنية والحضارة واهل الاقاليم الشمطة التي صح فيها الماه واعتل النسيم اكثر تصوُّرًا وتخيلاً من اهل الاقاليم الضعيفة التي خبث ماؤها وفسد هواؤها ولنا في ذلك كلام نضرب عنه صفحًا الآن ونتتبع حال التصوُّرات على توالي الزمان فنقول

اجمع جماعة الادباء على ان التخيلات اكثر ما تظهر غرابتها في الكلام المنظوم اي الاشعار وهذا ما لا يختلف فيه اثنان لان التصورات الوهمية تزيد الشعر عذوبة وطلاوة وتجذب الاذان لسماعها رغماً عنها نظرًا لما فيها من الاكاذيب المبتكرة والشعر اعذبه اكذبه واكذبه اعذبه فاذا لم يتخلله شيء من هذه التخيلات فهو بارد تنفر عنه الاسماع

ومن تأمل ملياً بهذه التخيلات يرى ان نسقها الحالي قد تغير عما كان عليه في الزمن السالف فان تخيلات القدماء كانت اكثر واغرب من تخيلات ابناء هذا الزمان كما لا يخفى ومن يطالع اشعار الاقدمين كايوب وهوميروس وفرجيل واستاس وغيرهم يرَ لاول وهلة انها تفضل اشعار المتاخرين نظرًا لما هو فيها من مخترعات الاوهام ومبتكرات التخيلات وللسبب عينه ترى اشعار العرب في الجاهلية احلى من اشعار هذا الزمن وهكذا كلما توالى الزمان تضعف قوة هذه التخيلات ويتضح لك ذلك باجلى بيان من ملاحظة تصورات الانسان بحسب نموه الطبيعي فانه في طور الشبوبية تتراكم على افكاره صور الاوهام والتخيلات الغريبة ومن ثم تقل رويدًا رويدًا الى وقت الكهولة فتضعف كثيرًا ولا يبقى لها اثر في مخيلته ولهذا نرى ان الشاعر الاديب يجيد النظم طالما كان في دائرة الشبوبية واما متى بلغ الكهولة والشيخوخة فلا يتقنه وبالحري لا يقدر عليه

والتصورات الحقيقية والخيالية متعاقبتان في الانسان ففي طور الشبوبية تغلب الخيالية وتكون تلك ضعيفة واما في طور الكهولة والشيخوخة فتتغلب التصورات الحقيقية وتضعف الخيالية وقد تضمحل وقد قلنا سابقًا ان التخيلات قد ضعفت عما كانت عليه سابقًا فذلك لتغلب التصورات الحقيقية عليها وبما ان اكثر العلوم والمعارف السابقة كانت ممتزجة باوهام وخرافات لا طائل تحتها وكانت علتها على الغالب تلك التخيلات الكاذبة التي اشتهر بها الاقدمون فيكون ضعفها الآن ناتجًا عن تغلب التصورات الحسية الجلية عليها وعلى هذا فسوف يأتي زمان تندثر رسوم هذه التخيلات وتنهض

الحقائق الراهنة من غناتها ولا ترجع الى الرقاد لان كل تلك التخيلات التي توهمها البشر في كل الاجيال وهاموا بها تصبح مبتذلة لا يحاولم تكرارها وهم لا يقوون على اختراع سواها من نوعها فتضطرهم الحال للتعويل على التصورات الحسية وعوضاً عن ان يقولوا

بركات يحكي البدرَ عند تمامهِ حاشاهُ بل بدرُ السما يحكيهِ
لم تذوِ احدى زهوتيهِ وانما كملت بذاك بدائع التشبيهِ
فكانما قد رام يغمض جفنهُ ليصيبَ بالسهم الذي يرميهِ

يعرفون ماهيا من السفسطة والقياس المنكر ويقولون ما بركات الا انسان اعور وعوضاً عن ان يقولوا عن الحبيبة المشوقة انها خوط بان يقولون انها نحيلة من فرط الغرام والسلام



باب المراسلات

العفاف سياج العمران

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

اطلعت في الهلال الماضي على ما ورد فيه تحت عنوان (العفاف سياج العمران) بقلم حضرة الحسيب النسيب عظم زاده عزتلو افندم رفيق بك فاذا بالرسالة قد تضمنت من الآراء ما هو طبق الحقيقة تماماً لان التربية الدينية الصحيحة من اكبر العوامل على تجنب الفواحش ولكنني استميح من سعادته العذر اذا قلت انها وحدها لا تكفي لتعميم العفاف لان الناس صنفان صنف فيه لين فيتشكل افراده بشكل ما يشبون عليه من التعاليم فيمتثلون لموجبات التربية وصنف قد طبعوا على الرذائل والفحشاء وعبثاً يحاول آباؤهم او اوصياؤهم تربيتهم وتهذيبهم واعرف بعضاً منهم وقد ولدوا في بيت التقوى وربوا بين المدارس والكنائس او الجوامع ولهم من سيرة آبائهم ما اصح ان يكون مثالاً للفضيلة على انواعها وهم مع ذلك منغمسون في الفحشاء الى ما فوق آذانهم لا يعملون عملاً الا نظروا

بكم الامة اني ساوجه كلامي اليكم فلا تدعوا الحدة تستولي عليكم ولا الغضب ياخذ منكم ماخذاً فتزدروا باقوالي وتظنوا باني محتقر لشرفكم فما انا وايم الحق الا ناصح مخلص لكم فالتمدن الحقيقي لا يكون في محلات اللهو والطرب ومجالس الادنياء ومعاشرة اهل الخلاعة الذين هم اصل كل بلية والاسراف على اخوان السوء هذا هو التمدن الظاهري الذي انتم متمسكون باذياله الذي ولا شك هو الداهية الدهماء التي ستنقلب عليكم وتذهب باموالكم وتصبحون في حالة يرثى لها حتى ان اخوان السوء انفسهم يبتعدون عنكم فتيقظوا اذاً من غفلتكم وانهضوا عن بساط الغواية وتمسكوا بالتمدن الحقيقي الذي هو حفظ الآداب ومعاشرة اماثل القوم وتقويم الطباع والسعي وراء العلى لكي تخلدوا لكم ذكراً حسناً ذاك هو التمدن فعليكم به ودعوا آثار الجهل فتنهال عليكم مواهب عظيمة لا بد لنيلها من السعي وكل من سار على الدرب وصل

(السنبلاوين) امين لولي

لغز الامام السيوطي

حضرة الفاضل مدير جريدة الهلال الغراء

قرات في العدد السادس من هلالكم الزاهي الزاهر حل لغز الامام جلال الدين السيوطي لجناب الفاضل سليمان افندي صوله

ولما كنت قد نظرت له حلاً لجناب العلاّمة تقي الدين المقريزي مخالفاً لما تقدم به حضرته احببت ان القيه على مسامع قرائكم الكرام لنرى لمن من الاثنين بحكم باصابة المرمى

قال العلامة تقي الدين المقريزي [1] (بتصرف)

(ما قولكم في شيء يطير بغير جناح) : هو الماء . واشار بالطيران الى نزول الماء من السماء على انه قد يستعمل حقيقة فان الشمس اذا اشرقت ارتفع الندى وطار .

(١) « الهلال » . لنا في حلّ العلامة المقريزي نظرٌ لان تقي الدين المقريزي توفي سنة ٨٤٥ هـ والامام السيوطي ولد سنة ٨٤٩ هـ فحل المقريزي لذلك اللغز يقتضي ان يكون واضع اللغز غير الامام السيوطي او ان يكون ذلك الحل منسوباً الى تقي الدين المقريزي غلطاً

وقد بعث حضرة الفاضل حسن افندي رمضان الشربيني الذي اقترح حل لغز الامام السيوطي يوجه انتباه حضرة الفاضل سليمان افندي صوله الى قول السيوطي (لغز في ٣١٢) وهي جمل اللفظ الملغز به ولم ينطبق اسم من اسماء البومة عليه

والندى اجزاء صغيرة مائية . (يبيض ويفرخ في البطائح) اذا نزل الماء على الارض اخرجت عند ذلك حبها ومرعاها فاستعار البيض والفراخ لما يكون عن الماء والاستعارة تكون بادنى علاقة . (راسه في ذنبه) يشير الى وقت نزول الماء من السماء فانه يرى خطوطًا كانها حبال او عمد او خيوط بحسب غزارته فيكون راس الخط الممتد يلي الارض وهو في الحقيقة طرفه فان اصل المطر هو السحاب فاصله ما يلي السحاب وذنبه ما يلي الارض فيكون الطرف الذي يلي الارض له اعتباران باعتبار ان اصله ومبدأه في السحاب فهو ذنب وبحسب ما يرى ويشاهد لنا فهو رأس فصح قوله رأسه في ذنبه (وعينه موضع قتبه) شبه الفواقع التي حدثت في الماء عند سقوط المطر بالعيون ووجه الماء بالظهر وعبر عنه بقوله موضع قتبه لانه هو الظهر والقتب آلة توضع على ظهر البعير (يسمع باذن واحدة) اشارة للجهة . فان نزول الماء انما هو من جهة العلو المعبر عنها بالسماء والماء اصله من السماء وفي هذا التركيب استعارة لطيفة لان الناس اذا قحطوا وضجوا بالدعاء نزل الغيث غالبًا . فعبر عن نزوله وقت احتياجهم والدعاء بالسمع فكانه سمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات وتفنن العبارات فنزل من اعلى السموات (ويبصر بعين زائدة) اشارة الى الفواقع التي تشبه مقلة العين . فصار كانه يبصر بعين واحدة في الهيئة لا متعددة الكيفية يعني استدارتها ووصف العين بالزيادة لانها حادثة لا اصلية (له قرن كالنخلة السحوق) عبر عن هيئة حبال الماء بالقرون من باب الاستعارة للتعمية (يعجب من يبصره ويروق) ظاهر (يصلي الى المغرب بالليل) ملخصه ان جميع الانهار تنبع خارجة من جهة المشرق وتمر في جريانها آمّة الى المغرب ما عدا انهارًا ثلاثة نيل مصر وعاصي حماه ونهرًا باطراف بلاد الترك . فاستعار الملغز الصلاة لمرور الانهار نحو المغرب وذكر الليل لا يلزم منه الاختصاص (يسجد طول دهره لسهيل) سهيل احد الكواكب الثابتة التي تعرف باليمانية . وهو ابدًا لا يرى الا في ناحية الجنوب . ومتى تركت عراق العرب وراءك صرت لا تراه ويصير بتلك الاقطار الشمالية ابدي الخفاء كما هو في ناحية الجنوب ابدي الظهور والسحب انما تنشأ عن البخار وهي مركبة من بخارين فتصير عند انتشائها تواجه سهيلاً (تتقرب به الملوك الى الخالق) كناية عن الوضوء (ويوحدونه بقلب صادق) اي لا يتقربون في تطهيرهم بغيره (النصارى تتبرك به واليهود) قول ظاهر (والكتب المنزلة بذلك شهود) ففي القرآن والتوراة والانجيل

والزرع مواضع شاهدة بان الماء يتقرب به (ريشه كثير) اشارة الى كونه يتكون عنه ما يلبسه الانسان . والثياب يقال لها ريش ورياش وهما قراءتان في قوله تعالى « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباسُ التقوى ذلك خير » وقيل في قوله تعالى « انا انزلنا عليكم لباساً » اي انزلنا من السماء ماء فأنبتنا به لباساً (ووبره غزير) معناه ظاهر مما قبله

(طعامه الجوز والعسل) معناه من طعامه الذي يتكوّن في الارض عقيب ريها منه ما يطعمه الناس من الجوز والعسل (وبه يضرب في الدنيا المثل) فيقال هذا اعذب من الماء وهو اصفى من الماء وهو الذ من الماء عند الظمآن (شرابه اللبن والخمر) يعني يكون من شرابه اللبن فانه يتولد في الحيوان مما يتغذّاه والاغذية كلها من الماء ويفهم منه حكم الخمر والعسل (ونقله الملح والتمر) كانه يقول مما يتنقل به ما يكون عنه الملح والتمر وحقيقة الملح ما جمد في ارضه خاصة فاستحال او احالته الى طبيعتها كما قال في الطبيعي واما التمر فانه يكون عن الماء وهو مما يتنقل به (بكره النسوان ويحب الغلمان) هذا من زعم ائمة السحر ولكن ليس ذلك الا من قبيل الاوهام عند ذوي الافهام (يحمل الاثقال وهو ضعيف) فان السفن تمر به وهي موسقة بالاحمال (ويعدي الاسد وهو نحيف) فان المطر اذا نزل منه قطرة في عين الاسد صار كانما في عينه قذاة . مع انه من الطف الاشياء حاشا الهواء (ان طلب ادرك) ظاهر فانه سريع الجريان (وان طلب اهلك) من قبيل التعمية اي انه لا يغالب (يقطع الارض في ساعة بلا مال ولا بضاعة) اشارة الى سرعة نزول الماء من السماء (تعرفه الملوك ولا تنكره وتفهمه السوقة وتخبره) ذكر طرفي الناس اشارة الى معرفة الكل به (يسكن القصور) اذ ما من قصر الا وفيه الماء (ويأوي بالليل الى القبور) هذا من باب التعمية . اذا ما من قبر بارز لا يحول بينه وبين السماء شيء الا وينزل عليه الندى ليلاً فقد صدق انه من يأوي بالليل الى القبور (يبكي على الاحباب) يقال بكت السماء اذا نزل الغيث ويعد العرب نزول الغيث على حميم وديارهم التي اقفرت من سكانها بكاء وندباً (ويبكي على فقد الشباب) يفهم مما قبله (تلعب به الاطفال) ومن ذا من الصبيان لم يلعب به (ويتلى في سورة الانفال) يشير الى قوله تعالى « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » (يصلي ويصوم) صلاته دلالته على خالقه . وصومه امساكه عن الجريان . ويكون

ان يراد بالصلاة الحركة فيا بتنع (ويقعد وينوم) قيامة حال كونة مطرًا وقعوده ركوده في المستنقعات . ذلك من المجاز (خلقتة لا تحصى وصفاتة لا تستقصي) ومن ذا الذي يحيط بخلقة الماء ويستقصي صفاتو غير خالقو ويكفيك قولة تعالى « وجعلنا من الماء كلَّ شيء حي »

وقد نص الامام السيوطي في كنزه المدفون ان اللغز في (٢١٢) والماء ليس كذلك فالظاهر ان اللغز فيما يرادف الماء من الكلمات كالقطر وغيره . هذا اذا كان حلة بالماء صحيحًا . والله اعلم (بيروت) اسعد عنيش

اللغز المدرج في العدد الخامس من الهلال

ورد علينا عدة حلول لهذا اللغز وكل منها يختلف عن الآخر معنى ومبنى ورأينا فيها تكلفًا فتوقفنا عن الدرج لعلنا نعثر على حلٍ اقرب الى الحقيقة

سؤال

مر رجل في الطريق فوجد رجلًا آخر جالسًا مع ست عشرة امرأة وكلهنَّ سافرات وجوههنَّ فتعجب الرجل من هذا الامر المخالف للشرع وقال للرجل الجالس مع النساء اما تخجل من جلوسك بين النساء السافرات الوجوه فاجابة ان هؤلاء من ذوات قرابتي فاربع منهنَّ اخواتي واربع بناتي واربع عماتي واربع خالاتي وكلهنَّ من امرأتي فكيف يكون هذا النسب (الكورة) خليل نحول

اصلاح خطأ

ورد في رسالة « العفاف سياج العمران » في الهلال الماضي صفحة ٢٢٦ السطر الثالث كلمة (في) صوابها (فيو)

باب السؤال والاقتراح

مولد الفار

(القاهرة) احمد افندي مصطفى

من جملة احتفالات القاهرة السنوية احتفال يقال له «مولد الفار» نرى الناس وهم غالباً من السوقة كثيري الاحتفاء به ولا نعلم ان ولياً امر ان يحتفل بتذكار مولده مثل هذا الاحتفال فالامل الافادة عن اصل هذا المولد ومن هو (الفار) ولكم الفضل

(الهلال) هو الشيخ ابراهيم الفار كان من اصحاب الكرامات وله ضريح في زاوية التشتمري بجامع ابي بنات بشارع درب الحصر في القاهرة يعمل له محضر كل اسبوع ويحتفل بمولده كل سنة ويتفق مولده مع مولد السيدة سكينة وفي آخر يوم من مولده يركب خليفته في موكب حافل ومعه جماعة من ارباب الاشاير والطرق ويزعم العامة ان من ولد له ولد واراد ان يعيش فليحضر به كل سنة في مولد الفار وبركبة مع الخليفة اما كيفية ركوب الخليفة ان يأتي الناس باولادهم وقد البسوهم البسة مختلفة الالوان وجعلوا على رؤوسهم الطراطير المنوعة وحملوا لهم الطبول والزمور فيركبون على هيئة موكب يتقدمه الخليفة حوله جماعة من النقباء بالمباخر والقماقم وبعض الضابطة لمنع الازدحام ووراءه الاحداث وبعض الشبان بين راكب على حصان او حمار او مركبة وماش وبعضهم على راسه طرطور احمر وآخر طرطور اصفر او ازرق فيخرجون الموكب من شارع درب الحصر الى شارع الركيبة فشارع الصليبة فالمشية ثم يعودون الى شارع درب الحصر ويكررون هذه الدورة ثلاث مرات ومدة كل دورة ساعة واحدة فيبداون نحو الظهيرة وينتهون عند العصر ويرافق هذا المولد ازدحام الناس ولا سيما النساء ويقع فيه من التهتك والخلاعة ما تاباه النفوس الابية فنوجه انظار الحكومة الى ملافاة ذلك لان الاحتفال بموالد الاولياء لا يليق بان يدنس بالرذائل والفحشاء

أمم قديمة

(الروضة) بشاي افندي فام

في آخر الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين بالتوراة اسماء شعوب لم نقف

على شيء من تاريخهم لقدم عهدهم ولان الكتاب لم ينقل شيئاً عن اصلهم وهم القينيون والقنزيون والقدمونيون والحثيون والفرزيون والرفائيون والاموريون والكنعانيون والجرجاشيون واليبوسيون فهل لكم ان تنبئونا شيئاً عنهم ولكم الفضل

(الهلال) حقيقة ان اصل هذه الامم مبهم ولم يذكرهم احد من المؤرخين صريحاً وانما يؤخذ من بعض ما ورد عنهم في التوراة وما عثروا عليه من آثار بعضهم ويستنتج من بعض النصوص التاريخية انهم كانوا يقيمون في فلسطين وما جاورها في ازمنة مختلفة وهاك ما يعرف عنهم مختصراً

(١) القينيون وهم قبيلة لم يعرف منشاها تماماً انما يظن انها فرع من قبيلة مديان والدليل على ذلك ان كاهن مديان حما موسى كان ساكناً في مديان وكان قينياً فاذا صح ذلك كان اصل القينيين متصل راساً بابراهيم من امرأته قطورة راجع الاصحاح ٢٥ من سفر التكوين ويظهر ان القينيين رافقوا الاسرائيليين في تيههم وقد كانوا في جملة قبائل اليهود عند فتح ارض الميعاد وقد ذكرهم بلعام في رؤياه ويظهر من سفر القضاة الاصحاح الاول والعدد ١٦ انهم شهدوا فتح مدينة النخل ثم ذهبوا فسكنوا في برية يهوذا . وفي الاصحاح الرابع من القضاة عدد ١١ ورد ذكر حابر القيني احد رؤساء القبائل انه انفرد عن قبيلته

(٢) القنزيون . ينتسب القنزيون الى قناز بن اليفاز بن عيسو بن يعقوب راجع سفر العدد الاصحاح ٣٢ عدد ١٢ وسفر يشوع ص ١٤ عدد ٦ و١٤ وسفر القضاة ص ١ عدد ١٣ وسفر الايام ص ١ عدد ٣٦

(٣) القدمونيون . لم يرد ذكر القدمونيين في التوراة الا مرة واحدة في المكان الذي اشرتم اليه في سؤالكم واسمهم مشتق من (قدم) في العبرانية اي المشرق وقد ظن بعض علماء المشرقيات انهم من نسل قدموس الفينيقي الذي علم اليونانيين الكتابة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقال آخرون انهم والحويين شيء واحد لان الحويين يسكنون جبل حرمون في اقصى الشرق من كنعان . وقال آخرون انهم من ابناء المشرق الذين كثيراً ما يرد ذكرهم في التوراة ويراد بهم القبائل المتنقلة فيما بين شرقي فلسطين وجنوبيها

(٤) الحثيون . اما الحثيون فهم شعب قديم وكثيراً ما ورد ذكره في تاريخ مصر

القدم باسم (خيتا) ومملكة (خيتا سار) وخصوصاً بحروبه مع رعمسيس الثاني في سوريا وفلسطين (راجع تاريخ رعمسيس الثاني في السنة الاولى من الهلال) ويتصل نسب الحثيين بحيث اوخيث بن كنعان واول ما ورد ذكر هذه القبيلة في التوراة في سفر التكوين لما ابتاع منهم ابراهيم حقل الكفيلة من عفرون الحثي وكانوا يقيمون اذ ذاك في مكان عرف بعد ذلك بحبرون وصار من اشهر مدن فلسطين . ويؤخذ من مجمل اخبارهم انهم كانوا اهل تجارة وكانت لهم نقود مضروبة بلسانهم وكانوا يعرفون الاوزان بالمثقال وقد اشتهروا بالكرم وحسن الضيافة . وتزوج عيسو بامرأتين من بعض عائلاتهم

وكان للحثيين علاقات ومعاهدات مع المصريين والاشوريين كمعاهدتهم مع رعمسيس الثاني التي كتبت على الواح من الفضة وعلى الالواح صورة رعمسيس وملك الحثيين واما الاشوريون فقد دعوهم خاتي وقالوا انهم كان يحكمهم ١٢ ملكاً . وقد ذكرنا شيئاً عن كتابة الحثيين في كلامنا على «الكتابة واصل الخطوط في السنة الاولى من الهلال» ويقال بالاجمال ان الحثيين اكثر ذكراً من سائر الامم التي اشرتم اليها في سؤالكم وقد عثروا مؤخراً على كثير من آثارهم دونها العلامة سايس الانكليزي في كتاب خاص بذلك

(٥) الفرزيون . كان الفرزيون يسكنون ارض كنعان قبل ان افتتحها اليهود وبعد الافتتاح على ان منشاهم غير معلوم لانهم حيثما ذكروا انما يذكرون عرضاً في الكلام عن وصف ارض الميعاد ويؤخذ من بعض النصوص انهم كانوا يسكنون الجبال مع الاموريين والحثيين (راجع يشوع ص ١١ عدد ٣ وص ١٢ عدد ٨) ويفهم من سفر الايام الثاني ص ٨ عدد ٧ انهم كانوا في جملة القبائل التي استعبدها سليمان الحكيم اما يوسيفوس فلم يذكرها قط

(٦) الرفائيون . الرفائيون قبيلة من قبائل الجبابرة ومثلهم العنقيون والجبارون وكانوا كبار القامة شديدي البطش اشبه شيء بما يروى عن المردة والجان وكانوا يقيمون على عهد ابراهيم في مكان وراء الاردن واقدم مكان اقاموا فيه باشان وكانت تدعى ارض الرفائيين حتى ان ارض الاموريين كانت تدعى ايضاً بهذا الاسم . واما وادي الرفائيين فهو مكان واقع بين اورشليم وبيت لحم

(٧) الاموريون · وهم الامة التي كانت ارض الميعاد في حوزتها قبل ان فتحها الاسرائيليون وقد ورد ذكر الاموريين في سفر التكوين ص ١٠ بانهم من ولد كنعان الرابع · ومعنى اسمهم ساكنو القمم او الجبال وبالحقيقة انهم كانوا يقيمون في جبال ارض كنعان مع الحثيين واليبوسيين وكان الكنعانيون يسكنون السواحل ويؤيد ذلك قول الجواسيس الذين ارسلهم الاسرائيليون لتجسس ارض الميعاد واستطلاع اخبارها فرجعوا وقالوا لموسى « قد صرنا الى الارض التي بعثتنا اليها فاذا هي بالحقيقة تدر لبناً وعسلاً وهذا ثمرها · غيران الشعب الساكنين فيها اقوياء والمدن حصينة عظيمة جداً ورأينا ثم ايضاً بني عناق · والعمالقة مقيمون فيها بارض الجنوب والحثيون واليبوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الاردن »

ولكن يوخذ من سفر التكوين ص ١٤ عدد ٧ انهم كانوا يسكنون قفرًا غربي البحر الميت اسمه حصاصون تامار ومن هناك امتدوا غربا الى حبرون .

(٨) الكنعانيون · هم سكان ارض كنعان قبل الفتح الاسرائيلي وهي سواحل سوريا وفلسطين وما جاورها الآن ولكنهم كانوا ينازعون تلك الارض هم والاموريون واليبوسيون والحثيون على ان الكنعانيين كثيرًا ما ورد ذكرهم بالتوراة واريد بهم كل الامم غير الاسرائيليين وقد لقبوا احيانًا بالعمالقة وربما اختلفت اسماؤهم باختلاف الازمان وهم بالحقيقة قبيلة واحدة · اما لغة الكنعانيين فتقرب من العبرانية وشاهد ذلك ان ابراهيم ويعقوب تمكنا من فهمها ولم يقيما بين الكنعانيين الا زمنًا يسيرًا

(٩) الجرجاشيون ويسمون ايضًا الجرجسيين وهم من القبائل التي كانت تسكن ارض كنعان قبل فتحها ويوخذ من سفر التكوين ص ١٠ عدد ١٦ انهم من ولد كنعان الخامس وقد ذكر يوسيفوس هذه القبيلة ولما اشكل عليه اصلها قال اننا لا نعرف منها الا الاسم فقط ولكن يظهر مما ورد في سفر يشوع ص ٢٤ عدد ١١ ان الجرجاشيين كانوا يقيمون غربي الاردن

(١٠) اليبوسيون · واول ما ورد ذكرهم في مواليد بني نوح تك ص ١٠ فقيل هناك انهم من ولد كنعان الثالث ويستدل من اسمهم انهم ينتسبون الى بلدة يبوس على

جبل صهيون ثم كانت من الثلال التي بنيت عليها اورشليم وقد اريد بها احيانًا اورشليم نفسها (راجع سفر القضاة ص ١٩ عدد ١٠) وقد علمت مما تقدم ان اليبوسيين من الامم التي سكنت ارض كنعان قبل الفتح الاسرائيلي وكانوا امة حربية شديدة البطش فلما فتح الاسرائيليون ارض كنعان ادخلوها في طاعتهم اما اليبوسيون فما زالوا محاصرين بين سيف قلعتهم بصهيون حتى ملك داود فهاجم قلعتهم واخضعهم فتفرقوا في الانحاء الا قليلاً منهم وآخر مرة ورد فيها ذكر اليبوسيين بالتوراة في سفر صموئيل الثاني ص ٢٤ عدد ١٨ الى ٢٥ وهو كلام داود مع ارونا اليبوسي

هذا ملخص ما علمناه عن هذه الامم القديمة وربما كشف لنا الزمان شيئًا آخر عنهم لان علماء العاديات لا يفترون عن البحث في الآثار استيضاحًا لنصوص التوراة والتواريخ الاخرى القديمة

البعوض

(دمياط) محمد افندي عبد الجليل الطراوي

ما الواسطة للتخلص من البعوض المعبر عنه عند العموم بالناموس فانه كثير في جهاتنا ولا سيما في الاماكن القريبة من النيل

(الهلال) يكثر البعوض حيثما يكثر الماء والمستنقعات فاذا لم تكن ثم حيلة ولا وسيلة للتخلص من الرطوبة المجاورة فليعتن في تجفيف غرف البيت وخصوصًا المطابخ وما يجاور اوعية المياه بحيث لا يبقى في البيت او ما يجاوره ماء مكشوف ياوي اليه البعوض لان البعوض يلقي بيضه في ذلك الماء فيتحوّل الى ديدان صغيرة يعبر عنها بالشام بالبلمط وبمصر بالعلق ثم ان هذه الديدان تحوّل الى شرانق ثم الى فراش هو البعوض فاذا جف المكان لم يبق ثم مكان للتفريخ

ومما يساعد في تجنب اذى البعوض وإبعاده عن غرف النوم ان لا تضاء الغرفة الا عند ما يراد النوم فيها وتبقى نوافذها مفتوحة ثم اذا اضيئت تقفل نوافذها جيدًا فلا يكون فيها بعوض لان البعوض يطلب النور دائمًا

الهلال

الجزء الثامن من السنة الثالثة

(١٥ دسمبر سنة ١٨٩٤) (١٧ جمادى الثانية سنة ١٣١٢) (٧ كيهك سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



اسكندر الثالث قيصر روسيا السابق

وُلد سنة ١٨٤٥ وتولى سنة ١٨٨١ وتوفي سنة ١٨٩٤ م

﴿ ترجمة حياته ﴾

هو اسكندر الثالث بن اسكندر الثاني بن نقولا الاوَّل بن اسكندر الاوَّل بن بولس الاوَّل بن بطرس الثالث زوج كاترينة الثانية بن حنة بنت بطرس الاكبر المصلح الشهير . ولد في ٢٦ فبراير (شباط) حسابًا شرقيًا او ١٠ مارس (اذار) حسابًا جاريًا سنة ١٨٤٥ وهو ثاني انجال القيصر اسكندر الثاني وكانت ولاية العهد لاخيه الاكبر الغرندوق نقولا ولكنهُ توفي سنة ١٨٦٥ فانتقلت اليه وفي السنة الثانية تزوَّج بالاميرة دغمار ابنة كريستيان التاسع ملك الدنمارك وهي اصغر منهُ سنًّا بنحو سنتين ونصف. والاميرة دغمار شقيقة الملك اليونان الحالي ولزوجة البرنس اوف وِيلس ولي عهد انكلترا وفي سنة ١٨٨١ قتل جماعة النيهليست والدهُ فافضت الامبراطورية اليه فتولاها في ١٢ مايو (ايار) سنة ١٨٨٣ بمدينة موسكو

وقد كانت علاقاتهُ مع سائر الدول ودية وزار كوبنهاجن مرارًا وفي سنة ١٨٨٧ زار الامبراطور وليم في برلين فاحتفل الالمان بزيارته احتفالًا شائقًا وفي اكتوبر سنة ١٨٨٨ مرَّ عليهِ وعلى اسرتهِ خطرًا بالقطار الحديدي اثناء مروره على سواحل قزوين وفي ١٢ مايو من السنة الماضية احتفل الروسيون كافة بمرور عشر سنوات على تولّيهِ القيصرية

وما زال عاملاً في مصلحة مملكتهِ وتأييد السلم العام حتى اصيب بمرضهِ الاخير بسبب الاسف الذي تولاه على مرض ولده الغرندوق جورج كما اشرنا الى ذلك في الهلال ٥ من هذه السنة وقد تحقق الاطباء ان مرضهُ كان التهابًا مزمنًا في الكليتين وزاد المرض اشتدادًا عليهِ لقلة اكتراثهِ بهِ لانهُ كان قليل الاعتناء بتناول الادوية مع عكوفهِ على الاعمال الشاقة التي قل ان يستطيعها احد من الناس وكأنهُ لتعودهِ السلطة المطلقة ابى الرضوخ لامر تنفر منهُ نفسهُ فكان يعصى وصية الاطباء فلما اصيب بالنزلة الوافدة اوَّل الامر اشار عليهِ الاطباء بتجنب البرد فلم يكترث بوصيتهم وابى الآن يشتغل ليلاً امام النافذة وهي مفتوحة والحرارة ١٢ درجة تحت الصفر ووصف لهُ الاطباء الاقتصار على شرب اللبن فوعدهم بذلك ولكنهُ ما لبث ان عاد الى عادته في المآكل والمشرب فاصابهُ النكس واشتدت عليهِ الاعراض المصيبة وهو مع ذلك يغالط الاطباء ويقول انهم غير عالمين بشيء من امر مرضهِ ولبث ينهض باكرًا ويلبس ملابسهُ ويستمر الى ان اصاب الاستسقاء اعضاءه السفلى كل ذلك وهو مصاب ايضًا بالتهاب حاد في الجلد فلم يكن

الاطباء يستطيعون عمل عملية جراحية له

وفي ليلة اول نوفمبر الماضي اشتد عليهِ ضيق النفس فنشقوهُ غاز الاكسجين وقضى اثنان من الاطباء الليل في مخدع مجاور لمخدعهِ لانهُ لا يقبل في مخدعهِ احدًا من غير اسرتهِ والمقيمين اليو مدة الليل فلما اصبح الصباح اراد النهوض من سريره والتمشي على قدميهِ الى المقعد فلم يستطع ذلك الا بكل مشقة وفي نحو الساعة العاشرة من اول الشهر المذكور شكا من برد في اطرافهِ فجعلت القيصرة وبناتها يفركن يديهِ واراد الدكتور ليدن ان ينوب مناب القيصرة في ذلك فابى القيصر وجذب يديهِ منهُ فعادت الى فركهما فخرج الدكتور من الغرفة فقال القيصر أرى الاطباء قد تخلوا عني ولما كانت الظهيرة دخل الكاهن حنا واراد ان يضع يدهُ على جبهة القيصر فاحجم الى الوراء ولم يرد ان يمسهُ احد ثم رقد الى الساعة الواحدة ثم اسند راسهُ الى كتف القيصرة وبقي على ذلك نحو ساعة من الزمن وهو يحدق بنظره الى والدهِ وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة اخذ في النزع وما زال في حشرجة ولغلغة الى ان توفاه الله في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة من اول نوفمبر الماضي وليس الثاني منهُ كما ذكرنا سهوًا في الهلال السادس من هذه السنة وقد بقي صحيح العقل يهتم بشؤون مملكتهِ الى الساعة الاخيرة من حياتهِ ووقع على بعض الاوامر قبل وفاتهِ بساعات قليلة

وكان رحمهُ الله قبل وفاتهِ باربعة ايام قد احسَّ باقتراب الاجل فاستدعى ولي عهدهِ (الامبراطور نقولا الثاني) فلما مثل بين يديهِ سأَلهُ اذا كان قد اعد المنشور الذي سينشرهُ على الامة الروسية بعد ارتقائهِ سرير القيصرية فتردد وليُّ العهد عن الجواب منهُ ثم اجاب نعم اعددتهُ فطلب اليهِ ان يتلوهُ عليهِ فلما اتمَّ قراءتهُ استدرك عليهِ امرين لم يذكرهما في ذلك المنشور احدهما حفظ جانب السلام الذي لم يتكدر صفاؤهُ طول مدة ملكهِ ثم خاطب ابنهُ قائلاً «اعلم يا بني ان هذا هو عنوان مجدي ولا يتم منشورك الا بهِ وقد احسنت لانك لم تتعرض في هذا المنشور لذكر شيء مما تستطيع منحهُ لامتك من الحرية اذ لا ينبغي ان تعطى الحرية للامة الا شيئًا فشيئًا على قدر حاجتها اليها»

وما شاع نعي القيصر اسكندر الثالث حتى انهالت رسائل التعزية من الملوك والعظماء من سائر انحاء العالم على القيصرة وخلفهِ القيصر نقولا الثاني فبلغ عدد ما ورد منها الى والدهِ من فرنسا فقط ٢٧٩٠ رسالة واشتركت في الحداد عليهِ سائر الدول على

اختلاف الاصقاع والاديان واقيمت الصلاة عن نفسو في سائر الكنائس وصلى من اجلو الرؤساء الروحانيون من سائر الطوائف والملل وكلهم يستمطر عليو الرحمة ويتاسف على هذا الرجل العظيم الذي انما قامت عظمتهُ بحفظ السلام وحب السكينة مع اصلاح داخلية بلاده لان زماننا هذا زمان سلم واصلاح والبطل بطل السلم الذي يحقن دماء العباد وليس من يفتتح الامصار ويهرق دماء الابرياء وقد عرضت جثة القيصر ٢٠ يوماً في موسكو وغيرها من اشهر المدن الروسية مع الشعائر القيصرية وفي جملتها راية وحربة وكرة وصولجان وتاج القيصرية وبعض التيجان لبولونيا وسيبيريا واستراخان وغيرها من الولايات الروسية

واحتفل بدفنو في العشرين من نوفمبر الماضي في كنيسة القلعة على مقربة من مدفن ابيو وامو في بطرسبورج ودفن بما لاق بمقامو من التجلة والاكرام رحمة الله تعالى

وقد ذكرت بعض الجرائد الايطالية ان القيصر مات مسموماً من طعام تناولهُ وقت حادثة بوركي في ٢١ مارس من هذه السنة ولكن ذلك القول لم يتأيد

﴿ مناقبهُ ﴾

كان القيصر اسكندر الثالث تقياً ورعاً قوي الايمان لا يسمع بحادثة الا أسندها الى سر من اسرار العناية الالهية وكانت معيشتهُ في بيتو اشبه شيء بمعيشة رجال الدين وربما كان هذا هو السبب في تدين الروسيين وعكوفهم على واجباتهم الدينية

وكان نشيطاً مجتهداً ينهض الساعة السابعة صباحاً والاشراف في روسيا ينامون الى قبيل الظهر فاذا نهض بدأ بالرياضة الجسدية فيخرج الى حديقة قصره يطوف بها هنيهة ثم يعود الى المائدة فيتناول الطعام ويعود الى معاطاة بعض وسائل الرياضة لتقوية العضل كقطع الاشجار وجرف الثلوج والصيد وما شاكل ذلك وكان لشدة كلفو بذلك يامر حاشيتهُ ان يتركوا لهُ بعض الاروقة في قصر غتشينا ليجرف عنها الثلج بيده في ابان الشتاء والثلوج تتراكم هناك آكاماً فاذا انقضت الرياضة أوى الى مكتبو يطالع الاوراق او يوقع عليها وكان اذا قرأ شيئاً امعن فيو واستوعبهُ سهراً على مصلحة رعيتو وعلق ما يلوح لهُ من الملاحظات او الآراء على ما يعرض عليو من الاوراق فاذا كانت الساعة الاولى بعد الظهر ذهب لتناول الغداء ثم يخرج للنزهة في حديقة القصر بصحبة بعض اهل بيتو او كبار قواده ثم يعود لمطالعة اخبار مملكتو

فيتلون عليه خلاصة الجرائد الروسية الا جريدتين تطبعان على ورق خاص ليطالعهما هو بنفسه فاذا فرغ من المطالعة جلس اليه نديمه يقص عليه من نوادر الفكاهات وغرائب الاخبار ثم يخلو بوزرائه وقد عين لكل منهم يوماً خاصاً يواجهه فيه فيسمع ما ينهيه الى مسامعه من متفرقات المسائل والشؤون ويعود الى توقيع الاوراق ثم يتناول طعام العشاء في الساعة الثامنة ويذهب الى حيث تقيم القيصرة فاذا كان ذلك في قصر غتشينا ذهب اليها بملابس الصيد

وكان قوي البدن شديد الباس يلوي قضيباً من الحديد على ركبته ويدفع الباب بكتفه فيخلعه ويأخذ الريال بين يديه فيلويه ويجعل منه قمعاً يضع فيه زهرة ثم يقدمه الى من بمجالسه من نساء قصره ضاحكاً متهللاً كانه فعل امراً من ايسر الامور

وكان محباً للاعتزال عن فخامة الملك واثقال السلطة حتى انه لما توفي والده وابلغوه ان السلطة صارت اليه اطرق في الارض مليّاً ثم قال «ان اختياري من بين سائر الروسيين لتولي مهام القيصرية الروسية لا يخلو من الفساد» وكان ولعاً بعيشة الخلاء محباً للزراعة

ومما يروى عنه انهم عرضوا عليه يوماً ان يلقبوه بالقيصر العادل فقال «بل انني قيصر الفلاحين وهذا احسن اللقب تلقبونني به ولم يدرك كنه الاشتراكية فيما اعلم الا اثنان اولهما هنري الرابع الذي كان يهتم بشؤون الفلاحين من رعاياه وثانيهما انا فيما اظن لان غاية قصدي ان لا اغادر الفلاحين من رعيتي يموتون جوعاً»

وكان محافظاً على مواعيده فاذا وعد انجز وكان مشهوراً بالاستقامة مؤثراً لها على سائر الفضائل ومن قوله وقد وصفوا له رجلاً قالوا انه اصلح للوزارة من سواه لذكائه ومهارته «ان قليلاً من الاستقامة خير لنا واصون لمصالحنا من كل هذه المهارة وهذا الذكاء فاننا في حاجة الى المستقيمين الصادقين اكثر منا الى الاذكياء البارعين»

وكان كلفاً باهل بيته يرتاح الى ملاعبة اولاده ارتياحاً عظيماً فكان يقضي ساعات يلاعب ابنته الغراندوقة كسينيا في بعض قصوره . ومما يؤيد ذلك انه قبل وفاته ببضعة ايام كتب الى البرنسس اوف ويلس شقيقة القيصرة اشار فيه الى قرب وفاته وسألها ان تبذل كل ما في وسعها لتعزية شقيقتها وان تلازمها مدة من الزمان . ولم يكن اهل بيته اقل ولعاً به وخصوصاً القيصرة ولكنها اظهرت من الرزانة والصبر في مدة مرضه

ما يصح ان يكون مثالاً لسائر السيدات وذلك انه لما اشتد المرض عليهِ في يوم وفاته واوصى الدكتور ليدن بفرك يديهِ وذراعيهِ وقفت البرنسس اليس والغرندوقة كسينيا والغرندوقة اولغا وجعلن يفركن له ذراعيهِ ويديهِ اما القيصرة فكانت فضلاً عن مساعدتهنَّ تقف تارة او تجثو على ركبتيها امام المقعد المضطجع عليهِ زوجها وقلبها يتقد حرقة على ما اصاب القيصر فتسند خدها الى خده من وقت الى آخر وقد كان لذلك المشهد في الحاضرين تأثير شديد ولكنها كانت اقل بكاء من الجميع بل كانت كثيرًا ما تحاول التبسم في وسط تلك الاحزان وتقدم الماء الى زوجها ليشرب وهي ثابتة الجنان

وكان ساهرًا على مصلحة رعيتهِ عاملاً على اصلاح مملكتهِ فانهُ تولى المملكة وهي في حاجة الى الحكمة والدراية واول شيء باشره انهُ اوصى وزراءه بمسالمة الدول فرارًا من الاحن والخصومات السياسية ومما قالهُ لهم « لا اطمع في ارض جديدة لان ابي قد ترك لي ما يكفيني منها وجل ما ابغيهِ الاحتفاظ بما عندي واكثار مواردهِ » فبدأ في تخفيض نفقات البلاط فانقصها نحو مليون من الجنيهات في السنة ثم كبح جماح الاشراف وعلمهم الاقتصاد بان جعل نفسهُ مثالاً لهم

اولاده

(١) القيصر نقولا الثاني الذي تولى المملكة يوم وفاة ابيهِ وسنأتي على ترجمة حالهِ

(٢) الغرندوق جورج ولد في ٩ مايو (ايار) سنة ١٨٧١

(٣) الغرندوقة كسينيا ولدت في ٦ افريل (نيسان) سنة ١٨٧٥

(٤) الغرندوق ميخائيل ولد في ٤ دسمبر (ك ١) سنة ١٨٧٨

(٥) الغرندوقة اولغا ولدت في ١٣ يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٢

اخوتهُ واخواتهُ

(١) الغراندوق ولاديمير ولد في ٢٢ افريل سنة ١٨٤٧ وتزوج البرنسس ماري دي مكلنبورج شورين في ٢٨ اوغسطس (آب) سنة ١٨٧٤ ولهُ ثلاثة اولاد ذكور وانثى فالذكور هم سيريل ولد في ١٢ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٧٦ وبوريس ولد في ٢٤ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٧٧ واندريا ولد في ١٤ مايو سنة ١٨٧٩ والانثى هيلانة ولدت في ٢٩ يناير (ك ٢) سنة ١٨٨٢

(٢) الغراندوق الكسيس ولد في ١٤ يناير سنة ١٨٥٠ وهو رئيس الامبرالية البحرية

(٣) الغراندوقة مارية ولدت في ١٧ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٥٣ وتزوجت دوق اوف ايدنبرج بن ملكة الانكليز في ٢١ يناير (ك ٢) سنة ١٨٧٤

(٤) الغراندوق سرجيوس ولد في ١١ مايو (ايار) سنة ١٨٥٧ وتزوّج البرنس اليصابات دي هيس دارمستاد في ١٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٤

(٥) الغراندوق بولس ولد في ٣ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٦٠ وتزوج البرنس الكسندرا ابنة ملك اليونان في ١٧ يونيو (حزيران) سنة ١٨٨٩ وتوفيت زوجته هذه في ٢٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩١ بعد ان ولدت له مارية في ١٨ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٠ وديمتري في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩١ اي قبل وفاتها بستة ايام

﴿ اعمامهُ ﴾

لم يبق له الآن الا واحد هو الغراندوق ميخائيل قائد عموم الجنود الروسية ورئيس مجلس الامة رئيس الطبيعية ولد في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٣٢ وتزوج البرنس سيسيليا دي بادن التي توفيت في ١٢ افريل سنة ١٨٩١ وتركت له سبعة اولاد (١) نقولا المولود في ٢٦ افريل سنة ١٨٥٩ (٢) انسطاسية المولودة في ٢٦ يوليو سنة ١٨٦٠ تزوجها البرنس فريدريك فرانس دي مكلنبورج شورين في ٢٤ يناير سنة ١٨٧٦ (٣) ميخائيل المولود في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٦١ تزوج صوفيا كونتس دي مرنبرج في ٦ افريل سنة ١٨٩١ (٤) جورج ولد في ٢٣ اوغسطس سنة ١٨٦٣ (٥) اسكندر ولد في ١٣ افريل سنة ١٨٦٦ (٦) سرجيوس ولد في ١٧ اكتوبر سنة ١٨٦٩ (٧) الكسيس المولود في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٧٥

وقد توفي له عمان الغراندوق قسطنطين والغراندوق نقولا المتوفي في ٢٥ افريل سنة ١٨٩١ وقد ترك الاول خمسة اولاد والثاني ولدين

﴿ نظام الحكومة الروسية ﴾

هو من النوع الملكي المطلق وسائر الادارات من القضاء والتنفيذ ترجع الى شخص القيصر فشريعة المملكة من شفتيهِ والملك ينتقل بالارث من الاب الى اكبر ابنائهِ وهو قانون وضعهُ الامبراطور بولس سنة ١٧٩٧ مخالف فيهِ وصية بطرس الاكبر مصلح هذه

المملكة لان هذا ترك الحرية للملك ان يختار من اعضاء العائلة الملوكية من يخلفه على الملك ومن الوصايا الاساسية التي وضعها هذا المصلح ايضًا ان القيصر وامرأته واولاده يجب ان يكونوا تابعين لكنيسة الروم الارثوذكسية · ومن حقوق القيصر على عائلته انهم لا يستطيعون زواجًا الا بعد مصادقته وهو قانون وضعه اسكندر الاول

ويتالف نظام الحكومة الروسية ما عدا الامبراطور من اربعة مجالس تقوم بمهام المملكة وادارة شؤونها وهي (١) مجلس الحكومة · اسسه اسكندر الاول سنة ١٨١٠ وهو مؤلف من الرئيس وعدد غير محدود من الاعضاء ويقسم المجلس المذكور الى ٣ اقسام يتولى احدها النظر في القضاء والآخر بالمسائل المدنية والدينية والثالث بالمالية ولكل من هذه الاقسام رئيس وادارة مستقلة عن الآخرين ولكن للاقسام الثلاثة اجتماعًا عامًا (٢) مجلس الادارة او التنفيذ اسسه بطرس الاكبر سنة ١٧١١ وواجباته الادارة والتنفيذ وهو بمنزلة مجلس القضاء الاعلى للمملكة ويقسم الى تسعة اقسام لكل منها عمل مستقل من جهة ولكنه مشترك مع البقية من جهة اخرى (٣) المجلس المقدس وعليه النظر في المسائل الدينية وهو يشمل المواصم الثلاث بطرسبورج وموسكو وكيف يتناوب العضوية فيه اساقفة جورجيا وبولاندا وولاية خولم وورسو وغيرهم وكل قراراته تصدر باسم الامبراطور ولا يعمل بها الا اذا كانت مصدقًا عليها منه · (٤) مجلس الوزراء وهو مؤلف من جميع الوزراء وعددهم ١٣ يتولون ١٣ وزارة وهي (١) وزارة العائلة الملوكية واملاكها (٢) الخارجية (٣) الحربية (٤) البحرية (٥) الداخلية (٦) المعارف العمومية (٧) المالية (٨) الحقانية (٩) نظارة الزراعة (١٠) الاشغال العمومية (١١) قسم المراقبة المالية (١٢) نيابة المجلس المقدس

وللقيصر مجلسان خصوصيان احدهما يتولى اعمال المشروعات الخيرية والثاني يتولى تثقيف البنات وادارة المدارس التي اسستها الامبراطورة مارية والدة نقولا الاول

وتقسم المملكة الروسية الى ولايات ومراكز ففي اوربا منها الآن (بما فيها بولاندا وفنلاندا) ٦٨ ولاية فيها ٦٢٥ مركزًا وفي اسيا اربع مقاطعات كبيرة تحتها ١٦ ولاية و ١٣ مركزًا وتقاسيم اخرى صغيرة · ويرأس كل ولاية حاكم يقوم مقام القيصر في تنفيذ الاحكام وسائر انواع الحكومة ضمن ولايته وتحته وكلاء ونواب ومعاونون

وسناتي على رسم القيصر نقولا الثاني وترجمة حاله في العدد الآتي ان شاء الله تعالى

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

«النهضة العربية في عصر العباسيين»

العلوم الدخيلة

(٥) العلوم الرياضية

تطلق العلوم الرياضية في المشهور على ما لا يدرك الا بالعمل كالحساب والمساحة والموسيقى والهندسة وما جرى مجراها ونريد بها هنا العلوم العددية خاصة وهي الحساب والجبر والهندسة وفروعها ولنتكلم على كلٍّ منها على حدة فنقول

«الحساب»

الحساب طبيعي في الانسان ضروري له لانهُ اوَّل ما فتح عينيهِ في فضاء هذا العالم احتاج الى العدد واوَّل كتاب تعلمهُ من كتب الحساب اصابعهُ فكان اذا احتاج الى جمع واحد وآخر اشار الى ذلك باصابعهِ · واصابع اليدين معاً عشر وهذا هو السبب في ان العشرة عدد اساسي في الحساب فانهُ العقد ومنهُ تتألف سائر العقود فالعشرة يتألف من مضاعفها العشرين ثم الثلاثين وهكذا الى التسعين وبضربها تتألف عشرات العشرات وعشرات عشرات العشرات وهكذا الى ما لا نهاية له

والناس درجات من حيث مقدرة عقولهم على الحساب وفي الغالب ان اقدرهم عليهِ اقربهم الى التعقل واقدرهم على الاعمال العقلية فان بين القبائل الهمجية في اواسط اوستراليا امماً لا يستطيعون العدَّ الى ما وراء العشرة وبعضهم ليس في لغاتهم الفاظ

تدل على ما وراء الاثنين فيعبرون عن الثلاثة باضافة الواحد الى الاثنين وعن الاربعة باضافة الاثنين الى الاثنين فاذا تجاوز العدد عندهم السبعة ضاقت لغتهم وتعرقل لسانهم فعبروا عن ذلك العدد بقولهم «كثير» ومن الناس من يجمع ويطرح ويضرب ويقسم عشرة ارقام او اكثر لا يستعين في ذلك بقرطاس ولا قلم ويكون جوابه صحيحاً وبين هذين الطرفين اوساط متفاوتة

وتدرجت معارف الناس بالاعداد وتنوعت بتنوع احتياجاتهم حتى صارت علماً قائماً بنفسه هو علم الحساب ونظراً لعلاقة الاعداد بسائر اعمال الانسان اصبح علم الحساب اساس سائر العلوم الرياضية ولا يستغنى عنه في العلوم على انواعها . وقد حدَّه بعضهم بانه علم يبحث فيه عن الاعداد من حيث ما يطرأ عليها من الاعمال وحدَّه آخرون بانه علم تستخرج به المجهولات العددية من معلومات مفروضة . وهو وسيلة حسنة لتوسيع دائرة العقل وتعويده النظر في الامور نظراً صادقاً وهي صفة عامة لسائر العلوم الرياضية لان العقل يتعود بها على النتائج الصحيحة وثبوت تلك النتائج طالما كانت المقدمات واحدة حتى قيل ان من اخذ على نفسه تعليم الحساب اول امره يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقضة اللبس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً

ويقسم العدد في اصطلاحهم الى صحيح وكسر وزاد بعضهم ثالثاً سماه المشتمل على النوعين الاولين واساس علم الحساب اربعة قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة

اما واضع علم الحساب فغير معروف تماماً لانه علم قديم جداً رافق الانسان من اول عهد العمران لاحتياجه اليه في ابسط حالاته فقد كان في اشور ومصر وفينيقية والهند والصين في اقدم ازمنة التاريخ والفينيقيون اول من استخدم الدفاتر وجرائد الحساب لاحتياجهم الى ذلك في تجارتهم ولكن اليونان والرومان هم الذين اشتغلوا به ورتبوه ويقال ان طاليس الفيلسوف اليوناني هو الذي نقله من مصر الى بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد . وكان فيثاغورس بعده مغرماً بالاعداد حتى جعلها اساس فلسفته وحسب لكل واحد منها سرًّا خصوصياً على ان فلسفته هذه لم يزل سرّها غامضاً حتى الآن

واما اول من الف في علم الحساب فهو اقليدس في القرن الثالث ق م فان كتبه

السابع والثامن والتاسع ترجع الى هذا العلم ثم ظهر بطليموس الرياضي الاسكندري الشهير فوضع قاعدته المشهورة في استخراج الاحد الثاني قبل المسيح اشتهرت سنة ١٣٠ بعد الميلاد وفي القرن الرابع ظهر في الاسكندرية ايضاً ديوفنطوس فكتب شيئاً في الحساب ولكن اكثر ما كتبه في الجبر والمقابلة كما سياتي وقلّ من نظر في علم الحساب منهم نظرًا مستقلاً

وبقي هذا العلم محصورًا في اليونان ومن جاء بعدهم من الرومان الى ان ظهر الاسلام واتسعت مملكتهم فاذا كانت ايام العباسيين تناولوه الى لسانهم في جملة ما نقلوه مختلطاً بسائر العلوم الرياضية وخصوصاً الجبر والهندسة ثم انتقل الى المغرب فزها في الاندلس واخذه الافرنج بعد ذلك من مدارس الاندلس مع العلوم الرياضية الاخرى وغيرها . واشتغل الافرنج في الحساب بعد ان تناولوه من الاندلس فوسعوه ونوّعوه وزادوا عليه حتى عدنا فاقتبسناه عنهم في هذا القرن وقد كُتب في اللغة العربية اثناء هذا القرن مؤلفات كثيرة في الحساب اكثرها ماخوذ عنهم

اما الارقام من الواحد الى العشرة فقد وضعها الهنود في زمن غير معروف فتناولها العرب عنهم وسموها لذلك بالارقام الهندية ثم اخذها الافرنج عن العرب من قرطبة بالاندلس فسموها بالارقام العربية اما قبل هذه الارقام فكان العرب يستخدمون حروف الهجاء بدلاً منها ولا تزال تلك الحروف مستعملة للعدد وخصوصاً في نظم التواريخ او ما جرى مجراها وهو ما يعرف بحساب الجُمَّل اما الافرنج فكانوا يستخدمون حروفاً معلومة من هجائهم وليس كل الحروف كما فعل العرب . اما الحروف التي كانوا يستخدمونها للعدد فتعرف الآن بالارقام الرومانية وهي I وقيمتها واحد و V وقيمتها خمسة و X = ١٠ و L = ٥٠ و C = ١٠٠ و D = ٥٠٠ و M = ١٠٠٠ ومن اصطلاحهم ان وضع الحرف الدال على واحد الى اليسار ينتقص قيمة الحرف الى يليه واحداً مثال ذلك III = ٣ ولكن IV = ٤ و IX = ٩ وهكذا بالرقم الدال على عشرة فان في وضعه الى يسار الحرف الدال على خمسين او مئة يقلل قيمته عشرة مثاله XL = ٤٠ و XC = ٩٠ ولا تزال هذه الحروف مستخدمة في بعض الاحوال عندهم

واقدم من وصلت الينا كتاباتهم في علم الحساب ابو الوفاء البوزجاني الحاسب المشهور المتوفي سنة ٣٧٦ ه له كتاب يعرف بكتاب ابي الوفاء منه نسخة خطية بالمكتبة

الخديوية والبوزجاني مشهور بالاكثر بالهندسة كما سيجي٠

ومن اشهرهم او هو اشهرهم بالاجماع احمد بن ابي عبد الله محمد بن عثمان الازدي المراكشي المعروف بابن البناء المتوفى في سنة ٧٢١ ﻫ وله كتب كثيرة في هذا الفن منها كتاب الحصار الصغير وكتاب رفع الحجاب ذكرهما العلامة ابن خلدون ولم نعثر عليهما ولكننا رأينا له كتاباً خطياً في المكتبة الخديوية اسمه تلخيص اعمال الحساب

ومن علماء الحساب ايضاً ابن الهائم المتوفى في سنة ٨١٥ ﻫ وله عدة مؤلفات اكثرها موجود في المكتبة الخديوية ٠ ونبغ غير هؤلاء ايضاً ولكنهم في الغالب كانوا من علماء الهندسة او الجبر فيرد ذكرهم عند ذكرها

وزعم بعضهم ان واضع علم الحساب ابو الفرج قدامة بن جعفر وفساد هذا القول ظاهر مما تقدم

﴿ الجبر والمقابلة ﴾

الجبر ارقى من الحساب وهو اقدر على استخراج المجهولات وقد حدث بعده باجيال لان الانسان في اول عهده لا يحتاج اليه فهو يشتمل على طرق اعم من طرق الحساب واساسها المعادلات والكميات فيها احرف مرموز بها عن الارقام وللجبر علامات واشارات اكثرها للحساب والحروف التي تنوب عن الكميات في الجبر ليس لها قيمة في ذاتها ولكن تفرض لها قيمة معلومة في كل مسالة على مقتضى شروطها وقد تكون تلك القيمة معلومة او مجهولة فخصصوا بعض احرف الهجاء للدلالة على الكميات المعلومة وبعضها للدلالة على المجهولة

اما مسقط علم الجبر ففيه اقوال فاليونان يزعمون ان ديوفنطوس الرياضي الاسكندري المتقدم ذكره هو الذي اخترع علم الجبر فالف فيه ١٣ كتاباً لم يبق منها الا سبعة ثم ظهر على اثره في الاسكندرية ايضاً امرأة يقال لها هباتيا وكانت من العلم على جانب عظيم فشرحت كتب ديوفنطوس المشار اليه وكتب ابولونيوس في القطع المخروطية والشرحان مفقودان ٠ وقد نقل كتب ديوفنطوس الى العربية وفسرها ابو الوفاء البوزجاني الحاسب المتقدم ذكره

وكانت كتب ديوفنطوس مكتوبة باللغة اليونانية وقد فقدت من بين ايدي الناس زمناً طويلاً فلما كان القرن الخامس عشر للميلاد عثروا على نسخة منها في المكتبة

الفاتيكانية برومية ثم ترجموها الى اللاتينية ترجمها كسيلاندر سنة ١٥٧٥ ثم ترجمها باشت دي مازرياك ترجمة اخرى سنة ١٦٢١ . وفي سنة ١٦٧٠ شرح شيئاً منها فرمو الرياضي الفرنساوي

ولكن العرب تقول بانهم هم الذين وضعوا علم الجبر واسمه دال على ذلك لان الافرنج يسمونه Algebra وهو لفظ عربي يدل على انهم اخذوه عن العرب كما ان استعمالنا لفظ جيولوجيا اسماً لعلم الجيولوجيا يدل على اقتباسنا ذلك العلم عن الافرنج على ان الافرنج لا ينكرون علينا ذلك فان الجبر لم يصل اليهم في القرون الاخيرة الا من العرب ولا خلاف في ذلك قط واما الخلاف في هل العرب وضعوه من تلقاء انفسهم او اخذوه عن اليونان من كتب ديوفنطوس والارجح على ما نرى انهم لم ياخذوه عن اليونان بدليل ان في كتب ديوفنطوس اشارات وقواعد لاغنى عنها في حل مسائله ولا وجود لها في جبر العرب فلو كان العرب قد اخذوا الجبر عنه لما اغفلوها

ثم ان علماء البحث من الانكليز عثروا في اوائل هذا القرن على كتب هندية قديمة في علم الجبر اقدمها كتاب لاريابهتا الهندي وكان معاصراً لديوفنطوس المتقدم ذكره وكتابة ارقى من كتاب ديوفنطوس والمعادلات فيها تشبه ما حدث عند العرب واليونان وجاء بعد هذا براهميغبتا الف في السنة السادسة للهجرة (٦٢٨ م) كتاباً في الجبر وعثروا ايضاً على كتاب آخر الفه بهسكار الجبري سنة ١١٥٠ م فاذا جعلنا حق الاستنباط يرجع لاقدم كاتب فيه فالهنود اولى بذلك وخصوصاً لانهم اقدم من اشتغل بالحساب وهم الذين وضعوا الارقام الهندية كما قدمنا

ولكن العرب ينسبون استنباط علم الجبر لمحمد بن موسى بن شاكر احد ابناء موسى الثلاثة الذين تقدم ذكرهم غير مرة في الكلام على آداب اللغة العربية ومحمد هذا اكبر اخوته واوسعهم علماً وارفعهم مقاماً وفي مكتبة اكسفورد الشهيرة نسخة خطية من كتابه في هذا الفن

ويؤخذ من جملة ما قيل في منشإ هذا العلم وتاريخه ان الهنود هم الذين وضعوه والعرب اخذوا منه شيئاً عنهم اما رأساً او على يد الفرس او غيرهم بالتلقين او بالكتابة ثم اشتغلوا فيه كثيراً وعنوا في توسعه وضبط قواعده حتى يكاد ان تصح نسبة وضعه اليهم . ثم لما كان القرن الثالث عشر للميلاد خرج تاجر من اهل بزا بايطاليا

اسمهُ ليوناردو جال في بلاد المشرق فمر بمصر والشام واليونان وصقلية فتعلم من العرب الارقام والجبر وشيئاً من الهندسة والف كتاباً في الحساب سنة ١٢٠٢م ضمنهُ الجبر على ان كتابه هذا لم يشع ولا التفت اليهِ اهل اوربا فبقي في زوايا النسيان الى اواسط القرن الماضي . ولكن غيره اشتغل بالجبر فترجم شيئاً مما كتبهُ العرب ونظموهُ في لسانهم وطبعوهُ واوَّل ماطبع في اوربا بالجبر كتاب الفهُ رجل اسمهُ لوكاس باسيولوس طبع سنة ١٤٩٤م ثم جعلوا يتوسعون بهِ ويؤلفون ويطبعون حتى بلغ ما هو عليهِ الآن

أما ديوفنطس فالظاهر انهُ اقتبس هذا العلم ايضاً من الهنود لان العلاقات كانت متواصلة اذ ذاك بين الهند والاسكندرية او انهُ وضعهُ من تلقاء نفسهِ ومن قبيل التوارد ومما يدلك على ان العرب لم يأخذوا الجبر عن ديوفنطس هذا انهم لم يترجموا كتابهُ الاَّ بعد ان عرفوا علم الجبر وكتبوا فيهِ واجادوا فان محمد بن موسى الذي تنسب اليهِ استنباط الجبر توفي سنة ٢٥٩هـ واما البوزجاني الذي فسر كتاب ديوفنطس توفي سنة ٣٧٦هـ والظاهر انهم انما نقلوا كتاب ديوفنطس الى العربية من قبيل التوسع في علم الجبر وليس التعلم منهُ

واشهر من كتب في الجبر والمقابلة بعد الذين تقدم ذكرهم من العرب ابن الياسميني المتوفي سنة ٦٠٠هـ الف في الجبر ارجوزة سماها الارجوزة الياسمينية شرحها غير واحد من رياضيي العرب وشروحها موجودة خطاً في المكتبة الخديوية بالقاهرة ولهُ ايضاً ارجوزة في اعمال الجذور

ومنهم ابن الهائم الذي ذكرناه بين علماء الحساب وقد شرح الياسمينية والف كتاباً في الجبر سماه « غاية السول في الاقرار بالمجهول » منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

ومنهم ابن البناء المراكشي المتقدم ذكره الف في الجبر والمقابلة كتاباً سماه « كتاب الجبر والمقابلة » وهو موجود في المكتبة الخديوية

ومنهم محمد بن محمد سبط المارديني من علماء القرن التاسع للهجرة شرح الارجوزة الياسمينية شرحاً سماه اللمعة المارديني في شرح الياسمينية وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منها

واشهر من كتب في الجبر الحديث في هذا القرن استاذنا الخطير العلاَّمة الدكتور كرنيليوس فانديك الف كتاباً في الجبر والمقابلة طبع بمطبعة الامركان ببيروت

والمرحوم شفيق بك منصور بمصر الف مختصرًا في علم الجبر للتدريس به بالمدارس الاميرية المصرية . وقد ترجم عامر افندي سعد من ابناء هذا القرن كتابًا في الجبر عن الفرنساوية سماه المنحة الدهرية في الاعمال الجبرية طبع بمصر غير مرة . وترجم الجزء الثاني من هذا الكتاب بعد قليل السيد صالح بك مجدي طُبع طبع حجر بمطبعة المهندسخانة المصرية

تاريخ آداب اللغة العربية

لا تزال الرسائل تتوارد علينا في طلب كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » على انفراد ظناً من حضرات الطالبين ان الكتاب نجمعهُ على حدة او هو مجموع في تأليف قبل أن أخذنا نحن في كتابتهِ . وقد سبق لنا كلامٌ بهذا الشأن غير مرَّة وهانحن نعيد قولنا الآن بأنَّ كتاب تاريخ آداب اللغة العربية على مثال ما ينشره (الهلال) غير موجود لا في اللغة العربية ولا في سواها والهلال أوَّل من طرق هذا الباب . وما ننشرهُ في الهلال الواحد انما هو نتيجة بحث وتنقيب طويلين مما لا يعرف مقدارهُ الاَّ الذي يعانيهِ

واذا كان مرادهم اننا نجمع ما نطبعهُ في الهلال من هذا الباب في كتاب منفردٍ فنجيب حضراتهم أننا لم نطبع منهُ غير ما يقرأونهُ في الهلال ولكننا عازمون بحول الله تعالى ان نضع في تاريخ آداب اللغة كتاباً أكثر اسهاباً من ذلك ومتى سنحت لنا الفرصة نباشر العمل ونعلن عنهُ في الهلال والاتكال على الله في كلّ حال

باب المراسلات

العفاف سياج العمران

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغرّ

اطلعتُ على ما جاء في الجزء الماضي من هلالكم المنير ردّاً على مقالتي « التربية الدينية » بامضاء (ر . ن) فوجدت ان حضرة الكاتب الفاضل لم يأخذ بأطراف الموضوع الذي بحثتُ فيه ليستنتج منه حقيقة الغرض الذي أرمي اليه بل آتاه من الجهة المعاكسة ليؤيد اويرى رأي الهلال الأغرّ مع اني لم اكن من المعترضين على ذلك الرأي بل من المؤيدين له لولم يحل دونه نظام الحرية الشخصية فضلاً عن صعوبات اخرى كمنع المسكر الذي هو أساس الشرور وهدم اركان الحانات المتخللة احياء المدينة تخلل الشرايين في الجسم وما يتلو ذلك من التقدم بالرجاء للدول ذوات الامتيازات بالتصديق على كل حركة تأتي بها الحكومة وللأجنبي خلطة بها وعلاقة فيها

ونحن لا ننكر ان الزواجر الدينية وحدها لا تغني الفئة الشريرة عن وازع قوي يحيط بمصادر الضرر على الهيئة الاجتماعية ويأخذ على ايدي ذوي العبث بالآداب وإلاّ لما انزلت احكام القصاص والحدود التي هي سلطان قاهر للنفوس الشريرة فوق سلطان العقول ولكن ما الحيلة ونحن في عصر اصبح فيه الوازع مقيداً بقيود غلت يداه عن كل عمل سوى ما يبيحه له نظام الحرية ويرشده اليه قانون التمدن الجديد القاضي بان الانسان مطلق الارادة في نفسه ما لم يتعد شره الى سواه وبعبارة اخرى الحلل قتل النفس بالنفس هكذا الى ما شاء الله من الزمان الذي ينتهي بتلاشي الانسان وخراب المدنية والعمران وما اظن حضرة الكاتب صاحب الامضاء الآ مسلّماً لي فيما اقول اذ ما ادركه الحس لا يتردد فيه الوجدان . اذاً فلا بدّ من الالتجاء لغير سيف الحكومة القاطع لجذر الشر ولكن في غير هذا العصر وإلاّ خيف على الشرق ان يسرع به البوار قبل الغرب لما في الثاني من مضادات الفساد المعينة على بقائه طويلاً لا ينقلب في دائه عليلاً واما الشرق فانه خاوي الوفاض بادي الانفاض يشكو من داء الفقر فكيف واذا اكتنفه داء

الغر لا جرم هذا ما ينبغي النظر فيه وايجاد وسيلة لتلافيه وما ارى الّا ان الاديان التي اسست نظام مجتمعات الشرق القديم وتكفلت بتهذيب شعوبه الاولين تتكفل بذلك ايضاً الآن اذا اتبعت في التربية عليها طريقة توافق روح الزمان كما اشرت الى ذلك في رسالتي السالفة اشارة تغني عن البيان . ولا يعترض هذا ما قاله حضرة الكاتب صاحب الامضاء من انه يعرف بعضاً من ولدوا في بيت الفضيلة وربوا بين المدارس والكنائس او الجوامع وانهم القوا انفسهم نصراء للرذيلة وهم كجراثيم الامراض المعدية الى آخر ما قال فان هذا مغرز فضلاً عن انه ليس من شاننا الجدال فيه فارى ان حضرته غالى فيه كثيرًا وعلى فرض الواقع فانا اذا عددنا هؤلاء بالعشرات نعد ممن سواهم بالمئات فليس من العدل سرعة المثل

وبالاجمال فلما كان غرض كل منا خدمة الآداب العمومية وكان ذلك لا يتأتى الّا بتمحيص البحث وتجاذب اطراف الكلام توصلاً لذلك الغرض الشريف فانا اشكر حضرة الكاتب الاديب الذي جمرني على العودة الى هذا الموضوع آملاً من ذوي الغيرة على الآداب من لديه رأي موصل لدواء ناجع لذلك الداء غيرما رأيناه ان يتفضل بسطو فائدة للعموم اذ الغاية شريفة لا مراء فيها

(حلوان) محمد رفيق العظم

العفاف سياج العمران

حضرة الفاضل منشيء الهلال الزاهر

لا مشاحة في ان ما اوردتموه من الادلة الراهنة بان سياج العمران هو العفاف درءاً لشهوات اولئك الشبان المنغمسين في هذه الرذيلة لخدمةٌ من جملة الخدمات المشكورة التي توخيتموها في سبيل الانسانية . ولا ريب في ان تلك البراهين والمعاني وهاتيك الالفاظ والمباني التي بنيتم عليها وجوب صيانة حرمة الطهارة والعفاف لمترجمة عن عواطفكم وماخوذة عن تاثيرات نفوسكم

واذا تاثرت النفوس اتت بما لم يستطعه الفيلسوف الماهرُ

فلا نلام نحن قرّاء هلالكم الاغر اذا اكثرنا من اهدائكم رسائل الشكر والامتنان وقابلنا مشروعكم ولو عن بعد بضجيج الاستحسان ولا غرو اذا ابدى كل واحد منا ما

يمنّ له في هذا الموضوع الرفيع الشان لعل الذين كادت تخدرهم الهيئة الاجتماعية وتخيب آمال الوطن واماني فيهم يحيدون عن جادتهم المعوجة ويهتدون الى الصراط المستقيم فيربحون ذواتهم ويخدمون اوطانهم خدمة الصادق الامين حقق اللهم الآمال واجعل في إثر الاقوال صالح الاعمال

نعم نِعمَ الرأي الذي ارتأيتموه وحبذا الالتماس الذي التمستموه بابعاد محال الفحشاء عن اماكن الاهلين مع تعيين اطباء لفحص المومسات فحصاً طبياً بحيث ان الحكومة تكون قد اختارت اهون الشرّين وازالت الضرر بقدر الامكان والحق اولى ان يقال ان للتربية الدينية تأثيراً عظيماً في صيانة حرمة العفة كما جاء برسالة السري الفاضل صاحب العزة رفيق بك العظم نزيل القطر المصري التي يحق لها ان تسطر بماء الذهب في صدر الانسانية . اعزه الله

بقي اني ارى ان الارشادات الطبية وخصوصاً التي يتلوها رؤساء المدارس واساتذتها ونظارها على الاولاد عند بلوغهم الرشد وقد اخذوا باكتساب العوائد القبيحة التي قلّ ان ينجو منها شاب انها لارشادات ذات فائدة جلى اذ ان تلك العوائد تمهد لهم سبل الرذيلة عند خروجهم لعالم الحرية . واعرف جماعة من طلبة العلم في مدارس عديدة كانوا منهمكين بتلك العوائد المستهجنة ولما ان جاءهم رؤساؤهم واخذوا يتلون عليهم نتيجة تلك العوائد وما تؤثره من وقوف نمو الاجسام وخصوصاً المجموع العصبي والحواس والبصر بنوع خاص واطلعهم على تآليف الاطباء التي تؤيد نصيحتهم لهم ارتعدت فرائصهم وخافوا على اجسامهم من الامراض والعلل فعدلوا عن تلك العوائد الرديئة فصحت اجسامهم وراقت الوانهم وعادت اليهم قواهم . وهكذا اذا تبين لهم ان من عواقب الانهماك في الرذائل قصر الاعمار وعمى البصائر والابصار وتشويش الاعصاب واضعاف العقول والحواس فضلاً عما يلحق لمدمنيها من الشين والعار والخزي والاحتقار فمن كان منهم لا يخاف الله ولا يحسب حساباً لعقابه او ثوابه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لا شك بانه يخاف على جسمه من الانحطاط وعقله من الضعف ويخشى على عمره ان يذهب ضياعاً . فالتفت انظار الوالدين الى مستقبل اولادهم ليربوهم التربية الدينية منذ نعومة اظفارهم ويعلموهم تجنب الفضيلة والرذيلة حتى اذا شب الولد نشب بحب الصفات المرضية وهنا اوجه انظار رؤساء المدارس ونظارها واساتذتها الافاضل ان يستميلوا تلاميذهم الى الطهارة

والعذاب ويقرأوا على رؤوسهم نتيجة مثل الاعمال القبيحة وبفهموا من ايديهم تآكيف الاطباء التي تبين نتيجة الانغماس في الرذائل فهي لعمري ليست باقل فائدة من درس الجبر والهندسة والرياضيات والفلسفة وما شاكل من العلوم والفنون حتى اذا خرجوا الى عالم التمدن والحرية يسعون العمران بسواعد عقائهم ويكونون قدوة صالحة لابناء جلدتهم تنتفع بهم الوطنية وتفاخر باعاظم الهيئة الاجتماعية

فاليكم ايها المنغمسون في هذه الشهوات والرذائل اسوق هذا الحديث فان كنتم لا تؤمنون بعذاب جهنم ونعيم الجنة افلا تخافون على اجسامكم من الوهن والاوصاب وعلى بيوتكم من الدمار والخراب وعلى اسمائكم من الخزي والعار. تاملوا في نتيجة انهماككم في الرذيلة نافعة هي ام ضارة قبل ان تاخذ بكم نشوة تلك اللذة الباطلة كل مأخذ الا تحسبون حساب عواقب اعمالكم قبل مباشرتها فان كنتم عقلاء عليكم ان تتدبروا ضرر فعالكم هذه فتعدلوا عنها. وهنا يجدر بي ان اقول للذي لا يمكنه الابتعاد عن هذا العمل بالكلية بقول ذلك الفيلسوف بولس الرسول «من احتمل فليحتمل ومن لا يحتمل فليأخذ له امرأة شرعية» تشاركه في ترحه وفرحه وتحول دون خطاياه هذا في خطار الحبال. وان كنتم من ذلك ويقين في نتيجة هذه الاعمال من نفع او ضرر فعليكم بمطالعة آلف الاطباء الافاضل ككتاب «تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب» لحضرة النطاسي البارع شاكر افندي الخوري او اسألوا من وطنكم من الاطباء. هذا اذا كنتم لا ترون الوهن في اجسامكم والضعف في بصائركم وبواصركم او ما سمعتم بقول القائل

ثلاث هنّ من شرك الحِمامِ وداعية الصحيح الى السقامِ
دوام مدامةٍ ودوام وطئٍ وادخال الطعام على الطعامِ

(الحصن) طرابلس الشام عبد الله اليازجي

المدارس الليلية الارثوذكسية بحمص ونتائج

العمل في « ساعات الفراغ »

احتفلت المدارس الليلية الارثوذكسية في ٤ الشهر الماضي بامتحان تلامذتها فعقدت

قاعة الدروس الكبيرة في المطرانخانة بجماهير الزائرين من وجهاء الملة وجمعية القديس اليان لدفن الموتى ووكلاء المدارس النهارية والمعلمين والتلامذة وشرف الحفلة سيادة السيد الجليل اثاناسيوس الوقور مطران حمص وما يليها فافتتح الجلسة مبيناً قصد الجمعية ومنشطاً اعضاء الطائفة وحث الحضور على الصلاة قبل كل شيء لنيل بركات الله وبعد الصلاة تلا التلامذة عدة خطب انيقة منها خطبة في الثبات واخرى في محبة الوطن وغيرها في الدولة وفي ضرر المسكرات والتدخين وفي فضل العلم والادب وختمت الجلسة بالابتهال اليه تعالى بتأييد جلالة الذات الشاهانية وكان الحاضرون يؤمنون ويصفقون حبورًا لما شاهدوه من فصاحة الخطباء

وانتصب سيادة المطران فارتجل خطاباً انيقاً اعرب به عن سروره لنجاح هؤلاء الشبان بمدة قصيرة على ان منهم من قد تزوجوا وشغلوا بهام البيوت عن الدرس والمدارس ومنهم من لم يكونوا يعرفون القراءة البتة فشبابهم وحسن استخدامهم لساعات الفراغ تعلموا وسروا بانفسهم وامتنعوا عن الجلوس ليلاً في القهوات واماكن اللهو وصاروا يواظبون على التقوى وروح الوداعة والتعقل. ومدح سيادته عمدة جمعية مدرسة الليل التي ابتكرت هذه المدرسة في حمص لانها لا تقبل شاباً في اصغر من الثامنة عشرة واثنى على وجهاء الملة المساعدين لها واخصهم عزتلو سليمان افندي الخوري ومن ثم لهج مبتهجاً بذكر مآثر الحضرة العلية السلطانية وكثرة المدارس والتلامذة بمدة ملكها السعيد مبتهلاً بحفظها مؤبدة وكانت لفظة آمين تسمع بخشوع وحرارة من الواقفين ثم هنأ العمدة والمعلمين لانهم شاهدوا بعض ثمار اتعابهم

والحق يقال انه كان مشهداً مفرحاً لان اكثر من تسعين شاباً جاؤوا لاستماع الخطب ممن كانوا لا يعرفون الالف من الباء وما ذلك الا بهمة السيد الجليل المشار اليه الذي لا يترك فرصة الا ويغتنمها في مصلحة الطائفة حيثما كان

(حمص) احد زائري حمص

❋ سليم خورية الدمشقي ❋

(الهلال) نشكر شكرًا جزيلاً لجمعية دفن الموتى بحمص لقيامها بهذا العمل المفيد ونشكر لسيادة المفضال مطران حمص وما يليها على هذه المآثر الحسنة وليحسب في اول ما سمعناه عن سيادته وقد سرّنا من رسالة حضرة الزائر بنوع خاص ان الشبان

انما لجأ الى المدرسة الليلية التماسًا للانتفاع من «ساعات الفراغ» ولا نغالي اذا قلنا ان الجانب الاعظم من عظماء الارض انما امتازوا عن سواهم باغتنام تلك الساعات ومثل هذه المدارس الليلية من احسن الوسائل لهذه الغاية فعسى ان يسير حضرات اخواننا في سائر مدن سوريا وفي القطر المصري على مثل هذه الخطوات ولعل بعضهم هناك اكثر سعة للقيام بمثل هذه المشروعات من اخواننا في حمص وهم مع ذلك في غفلة او خمول هدانا الله واياهم الى ما فيه خيرنا

لغز الجلال السيوطي

ورد علينا حلّ ثالث للغز الجلال السيوطي من قلم حضرة الاديب البارع حنا فندي فهمي وكيل بوسطة فاقوس بانهُ «العلم» وقد اجاد في طرق التفسير والتأويل ووردت علينا حلول اخرى من ادباء آخرين وهم احدهم بانهُ «النور» وآخر بانهُ «الشمس» وآخر غير ذلك ولما كانت هذه الحلول واللذان سبق نشرهما لا تخلو من التكلف ونظرًا لضيق المقام جئنا نلتمس من حضرات مرسليها عذرًا على عدم نشرها اكتفاء بالبعض عن الكل مع الشكر لهم على ما عانوه من المشقة في استخراجها

ويلوح لنا ان الحل الحقيقي الذي ارادهُ الملغز لم يهتد اليهِ احدٌ بعد اذ لا يليق بان يكون بين اللغز وحلهِ مثل هذا التكلف ولا ينبغي التوصل الى الحل بالتأويل والتساهل الاّ اذا كان واضع اللغز قد اراد تعقيده الى هذا الحد فيكون قد اخلّ بشروط الالغاز وهو المطالب بذنبهِ وفوق كل ذي علم عليم

طريقة فعالة لازالة البعوض (الناموس) من البيوت

صب من ثلاث ليترات الى خمسة ليترات من الزيت الحجري المعروف بالكاز في نصبة المستراح وكرر هذه العملية كل شهرين او ثلاثة اشهر فينقطع الناموس من البيت بعد ثماني ساعات من وقت صب الكاز ولا يرجع الاّ بعد زوال التأثير الحاصل من تبخر الكاز اي بعد عدة اسابيع وقد جرّبتُ هذه الواسطة مرارًا وعلمتها لغيري فنفعت في كل تجربة بازالة الناموس بالكلية ما عدا النادر الذي يدخل احيانًا من الخارج عن طريق النوافذ . والناموس يتولد غالبًا في بئر المستراح اي الجرور ومتى صب البترول

الاختلاف او التناقض فان تاثيرها يختلف باختلاف الامزجة والاخلاق فمنهم من اذا سكر غلب عليه البكاء وآخرون يغلب عليهم الكرم او البخل او الشجاعة او الجبن او الفضيلة او الرذيلة وليس ذلك لاختلاف في تاثير الخمر بل لتفاوت في اخلاق الناس والسبب في ذلك على ما نرى ان المسكر منبه يؤثر على المجموع العصبي فينبهه ويسرع الدورة فتهيج العواطف ويشتد تاثيرها فتظهر اوضح مما كانت عليه في حال الصحو وكأن العقل في حال الصحو يكون متغلباً على العواطف ضاغطاً عليها فلا تظهر واضحة اما حياء واما خوفاً فلما يهيجها المسكر تخرج من سلطان العقل وتظهر للناس كما يرونها وبعبارة اخرى ان الانسان اذا كان في حال الصحو يكتم رذيلة كمنت في صدره خوفاً من رقيب او حياء من صديق فاذا سكر لا يقوى على كتمانها لانها تهيج فتغلب على عقله فتظهر وهكذا يقال في من فطروا على الفضيلة فان المسكر يهيج فيهم تلك العاطفة فيزدادون مباهاة فيها فكان المسكر كاشف عن حقيقة سرائر الناس والله اعلم

الرضاعة الصناعية

(حلوان) محمود افندي يظهر نجل عزتلو عبد الرحمن بك فائق

نرجو من حضرتكم الافادة عن كيفية الرضاعة الصناعية وكيفية استعمالها للاطفال ولكم مزيد الفضل

(الهلال) الرضاعة الصناعية استخدام البان الحيوانات الداجنة في تغذية الاطفال بواسطة الادوات وهي كثيرة الصعوبة شديدة الخطر وخصوصاً في المدن لان الهواء فيها فاسد ولبن حيواناتها غير نقي لقلة خصب مرعاها فلا يلتجأ اليها الا عند الضرورة وتعذر استخدام المراضع والحق يقال ان حال المراضع في هذه الديار لما يلجئ الآباء الى استخدام الرضاعة الصناعية على خطرها وصعوبتها

واجود الالبان الصالحة لارضاع الاطفال لبن البقر مع مراعاة الوصايا الآتية

(١) يجب ان يكون اللبن من بقرة صحيحة الجسم متوسطة السن

(٢) يستخرج اللبن (الحليب) منها امام احد الوالدين او من يقوم مقامهما والحذر من ابتياع الالبان التي يحملونها بالآنية ويطوفون بها الشوارع اذ ربما كان الوعاء وسخاً او كان اللبن ممزوجاً بالماء او قديماً في الوعاء او ما شاكل ما يضر بالطفل

(٣) لا بد من استحضار اللبن جديداً مرتين في اليوم صباحاً ومساء

(٤) اذا كان الطفل صغيرًا فلبن البقر ثقيل على معدتهِ فالاولى تخفيفهُ بالماء الصرف او ماء الشعير مع قليل من السكر ويختلف مقدار التخفيف بنسبة عمر الطفل ونوع بنيتهِ وقوة معدتهِ ومعدل ذلك ان يكون في الاسبوع الاول ٣ اجزاء من الماء في جزء من اللبن وفي الاشهر الاولى يكون اللبن والماء اجزاء متساوية ثم يخفف الماء تدريجًا حتى يصير اللبن صرفًا واشار بعضهم ان يضاف الى الحليب مرق الفراخ وعلى كل فلا ينبغي المزج الأ ساعة طعام الطفل

(٥) اعطاء اللبن للطفل يكون على نوعين اما تجريعًا بالملعقة الصغيرة او مصاً بالآلة المصنوعة لذلك وهي على انواع افضلها الحلمة المصنوعة من الكاوتشوك تحيط بفوهة القنينة ولا بد في استخدامها من ملاحظة الامور الآتية وهي (اولاً) يجب ان تكون الحلمة لينة ملساء سهلة الاخذ بالفم نظير حلمة الثدي الطبيعي وبحجمها (ثانيًا) ان تكون سهلة الامتصاص على الطفل حتى لا يبذل قوة عظيمة في المص فيتعب قبل الشبع (ثالثًا) ان تكون سهلة التنظيف وهذا اهم شيء يستدعي انتباه الامهات لان الحليب سريع الفساد للغاية اذا وضع في وعاء قذر فيجب لتسهيل تنظيفهِ ان يكون الوعاء بسيط الشكل خاليًا من الزوايا والتعرجات التي يبقى فيها من الحليب بقية لا يمكن ازالتها بالغسيل فتفسد (رابعًا) ان لا يدخل في تركيبها مادة تضر بالحليب او في جسم الغلام كالرصاص او النحاس او الكوتشوك المكبرت او ما شاكل

والحذر كل الحذر من تجريع الطفل اللبن بالفنجان او القدح شربًا لان معدة الطفل لا تقوى على هضم الكميات الكبيرة والقياس في تناولهِ ان يكون نزولهُ المعدة مثلما ينزلها لو رضع الطفل رضاعة من ثدي امهِ فيكون بذلك قد قلد اعمال الطبيعة التي هي احسن مثال يجب ان نقتدي بهِ في احوال معائشنا

(٦) يسخن اللبن اولاً ويحفظ في وعاء نظيف من خزف او زجاج ويوضع في غرفة باردة يدخلها الهواء ويغطى الوعاء بقطعة من الشاش الناعم

(٧) تتفاوت عدد الرضعات في اليوم باختلاف سن الطفل وهي كثيرة في الاشهر الاولى ثم تقلُّ كلما تقدم الطفل سناً ففي الاسبوعين الاولين يكفي ارضاعهُ مرة كل ساعتين ثم تجعل مرة كل ثلاث ساعات ثم تقلل المرار تدريجًا حتى تصير ثلاث مرات في النهار على ان ذلك يختلف باختلاف حال الطفل من الصحة والمرض وحالة الطقس من الحر والبرد

(٨) يجب تسخين اللبن كلما اريد الارضاع حتى تكون حرارته مثل حرارة اللبن الطبيعي

(٩) بعد ان ياخذ الطفل كفايته من القنينة فليطرح منها ما بقي فاضلاً وتغسل القنينة وحلمتها بماء كثير فاتر . ثم تملأ ماء وتوضع في محل مناسب بحيث لا يصيبها الغبار وعند العود الى ارضاع الطفل تغسل ثانية لازالة ما عساه ان يكون قد سقط عليها من الخارج . ثم تملأ كما مر ولذا يجب الاقتصاد في اللبن حتى لا يهرق منه كل مرة قدر يذهب ضياعاً . وعليه فلتكن القنينة مناسبة لعمر الرضيع ان كان صغيراً فصغيرة وان كان كبيراً فكبيرة ويراعى ايضاً في ذلك جانب الفترات بين كل مرة من الرضاع واخرى حتى اذا كان الطفل لم يرضع من أمد طويل ملئت له وارضع والّا فلا واذا لم يكفه وطلب تملأ له ثانية (راجع (الرضاعة) في السنة الاولى من الهلال)

دود الحرير

(حمص) سوريا لبان افندي زيتون

ارجوان تتكرموا علينا بالافادة عن بزر دود الحرير من هو الذي اكتشفه وباي عصر كان ذلك ولكم الفضل

(الهلال) نظراً لتقدم عهد اكتشاف هذا الدود لم يبقَ لمكتشفه ذكر ولكن المحقق لدى العلماء والمؤرخين انه وجد اولاً في شمالي بلاد الصين في اقدم ازمنة التاريخ ويؤخذ من بعض الروايات الصينية ان الحرير كان معروفاً عندهم منذ نحو خمسة آلاف ومئتين وخمس وثمانين سنة وان فوهي احد ملوك الصين العظام استخدم خيوط الحرير في آلة موسيقية اخترعها هو ولعل هذا هو الحرير البري . وكان الدود حينئذٍ يعيش على الاشجار من تلقاء نفسه فيجمعون شرانقه حيثما عثروا عليه ويصنعون منها الخيوط واما تربية الدود فاوّل من اكتشفها على ما يزعم الصينيون احدى ملكات الصين واسمها (سي لنغ تشي) سنة ٢٦٥٠ ق م وهي التي اخترعت طريقة حل شرانقه ونسج خيوطه وقد قدر الصينيون هذا الاكتشاف حق قدره فرفعوا تلك الملكة الى مقام الآلهة وجعلوا لها عيداً سنوياً يحتفلون بتذكاره وسموها (سي ان تشان) اي المربية الاولى لدود الحرير ومن مظاهر عبادتهم ان نساء الاشراف كنّ يربين منه شيئاً كل سنة تذكاراً لعهد تلك الملكة .

وبقي الحرير ودوده محصورين في الصين بأمر الحكومة نحو الفي سنة وهم يصنعون منه الانسجة يبيعونها باغلى الاثمان والناس يحسبونة من نسيج بعض العناكب الكبيرة او قطناً معالجاً بصناعة خفية الى سنة ١٤٠ ق م فاذاعت استعمالة اميرة من اميرات عائلة هاز من ملوك الصين وكيفية ذلك انها خُطبت الى ملك من ملوك خوطان في شرقي تركستان وعلمت ان الحرير غير موجود في تلك البلاد وشق عليها الكف عن عبادة الالهة (سي لنغ تشي) فحملت شيئاً من بزره وبزر شجر التوت الذي يقتات الدود على ورقهِ فلما وصلت حدود المملكة حيث اقيمت الارصاد والعيون لتفتيش المارين والبحث عما يحملونهُ الى البلاد الاخرى من مخبآت مصنوعات الصين خبأت البزر في شعر راسها فلم يجسر الحراس على تفتيش راسها مراعاة لمقامها الملكي . فلما وصلت خوطان غرست التوت وربت الدود او ان التوت كان في خوطان من قبل مجيئها اذ لو حملت البزرين معاً لما امكن ان يورق التوت قبل ان يفقس بزر الدود فلا يستفيد شيئاً منهُ وعلى اي حال فان تربية دود الحرير شاعت في سائر بلاد خوطان ولكنهم حظروا نقل صناعتهِ الى البلاد الاخرى كما فعل الصينيون على ان ذلك لم يمنع انتشاره ولو بطيئاً فانتقل الى بعض ممالك آسيا فاذا كانت ايام الامبراطور يوستينيانوس احد امبراطرة الروم انتقل الى اوربا وكيفية ذلك ان راهبين من رهبان دير القديس باسيليوس في اواسط آسيا اتيا ببزر الدود هدية الى هذا الامبراطور في سنة ٥٥٢ م فاثنى عليهما كل الثناء واباح تربيتهُ فشاعت في سائر بلاد اليونان وكثر غرس التوت خصوصاً في جزيرة المورة وهذا سبب تسميتها بهذا الاسم لان (مورة) في اليونانية التوت وكانت تدعى قبل ذلك بلوبونيسوس

وفي سنة ١٢٠٠ م لما تغلب روجر ملك صقلية (سيسيليا) على اليونان وفتح المورة نقل دود الحرير الى بلاده ومنها انتقل الى اواسط ايطاليا ثم الى فرنسا ولم يشع استعمالهُ في فرنسا الا في القرن الخامس عشر على عهد شارل الحادي عشر فانهُ اعطى اشجار التوت مجاناً لاهل المقاطعات الصالحة لنموهِ وتربية دود الحرير ونشط صناعة الحرير بنوع خاص وسار على خطواتهِ سائر من جاء بعده حتى شاعت تربية الدود في سائر مدن فرنسا واوَّل معمل نسج الحرير في اوربا كان بمدينة ليون بفرنسا سنة ١٤٦٦ م وهكذا فعلت سائر الممالك الاخرى في اوربا فعم استعمالهُ القارة كلها ومنها

انتقل الى اميركا وغيرها من الممالك الصالحة لتربيته حتى بلغ ١٠ هو عليه الآن

حل اللغز المدرج في العدد السابع من هلال هذه السنة صفحة ٢٦٤

ورد علينا حل هذا اللغز من غير واحد من الادباء اخترنا نشر احدها وقد ورد نظماً من حضرة المهندس البارع مصطفى افندي جودت مهندس مركز الفشن وهو

يا هماماً له بديع ابتكار — لمعان تروق عند النبيه
جئت من فكرك الوحيد بلغز — فخذ الحل في مقال وجيه
ذاك زوج لزوجة قد اتته — بثلاث من غيره تصطفيه
فاصطفى منها اثنتين ملاحاً — لابيه وجده لابيه
واو امه انتقى من تبقت — فدنا للجميع ما يبتغيه
كل شخص باربع من بنات — جاده الدهر بالذي يشتهيه
فترى الشخص من الذي قد اتاه — ما ترى بالقبيح عند النزيه
فعليك السلام مني دواماً — وتحيات مخلص لذويه

وورد حله ايضاً نثراً من حضرات عزتلو محمد بك السيد بمصر ومن حضرات الادباء محمود افندي عبد الرحمن كاتب بديوان الاوقاف بمصر ومحمود افندي عبد الجليل البطراوي الساعاتي بدمياط ومحمد افندي كامل معاون بتفتيش الفشن ووهبه افندي تادرس معاون محطة المحسمة وحضرة الشيخ ابراهيم مصطفى المطمني باسنا

التمدن الاسلامي

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

ارجو من حضرات القراء الفضلاء الاجابة على السؤال الآتي مع ترجيح احد وجهيه وهو

«هل قام التمدن الاسلامي (في صدر الاسلام) بالسيف ام بالقلم»

(القاهرة) محمد سليم

الهلال

الجزء التاسع من السنة الثالثة

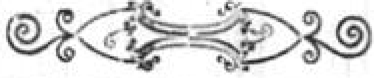
(١ يناير سنة ١٨٩٥) (٥ رجب سنة ١٣١٢) (٢٤ كيهك سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



القيصر نقولا الثاني

ولد سنة ١٨٦٨ وتولى سنة ١٨٩٤



هو ابن اسكندر الثالث الذي تقدمت ترجمة حياته في الهلال الماضي ولد في ١٨ مايو (ايار) سنة ١٨٦٨ وهو اشبه بجده منه بأبيه من حيث الملامح والشكل والبنية والخلق وليس له ما كان للمرحوم والده من القوة البدنية وطول القامة لانه اكتسب النحافة من والدته

تثقف تحت مناظرة ابيه الى العاشرة من عمره فتعلم شيئاً من اللغات وتعود الرياضة البدنية ثم تولى تثقيفه الجنرال كريكوار كريكوريفيش واستاذان فرنساوي وآخر انكليزي فلما اشتد ساعده عهد به والده الى الجندية فانتظم في سلك المشاة برتبة ملازم مدة سنتين قضى معظمها في الخيم بمعسكر كرازنوشلو ثم انتقل الى فرقة الخيالة فتدرب على الجندية احسن تدريب لان الذين تولوا تدريبه كانوا من اشهر قواد الروس وهم لير ودراكوميروف واوارونثف ولما قضى التعليم العسكري طاف اشهر مدن العالم شرقاً وغرباً يرافقه ابن خاله البرنس جورج ولي عهد اليونان فقدما الديار المصرية ونالا حظاً وافراً من الاحتفاء والاحتفال وصعدا الى الصعيد لمشاهدة الآثار المصرية ثم عادا الى اتمام السياحة ورسمه في صدر هذا الهلال مأخوذ عن رسمه يوم زيارته القاهرة

وقد اتيح لنا مشاهدة ولي عهد الروس اذ ذاك فاذا هو ربعة في الرجال مع ميل الى النحافة والقصر حاد العينين حسن الملامح رقيق الجانب وديعاً وكان اكثر تجوله بالملابس العادية لا يتميز عن سائر الناس في شيء

وفي اوائل هذا العام عقد له على البرنسس اليس دي هس على ان تعتنق المذهب الارثوذكسي مذهب الاسرة الامبراطورية الروسية وقد ادركت الثانية والعشرين من عمرها وهي شقيقة دوق هس البرنس ارنست لويس شارل البرت غليوم والبرنسس فكتوريا قرينة البرنس لويس دي باتنبرج والبرنسس اليصابات قرينة عمه الغرندوق سرجيوس والبرنسس ايرن قرينة البرنس هنري دي بروسيا شقيق الامبراطور غليوم

ولما توفي والده اسكندر الثالث في اول نوفمبر الماضي كما ذكرنا في الهلال الثامن افضت الامبراطورية اليه وبعد ذلك بقليل تم عقد زواجه على البرنسس اليس المتقدم ذكرها بعد ان اعتنقت المذهب الارثوذكسي

والامبراطور نقولا الثاني الآن في السادسة والعشرين من عمره والابصار شاخصة اليه لترى ما يكون من سياسته والظاهر الى الآن انه باق على خطة المرحوم والده

وعلى اثر توليه منصب القيصرية ارسل وزير خارجيته الموسيو دي جيرس لائحة رسمية الى الدول المفهم فيها ارتقاء القيصر الجديد وهذه ترجمتها

« ان مليكنا وولي نعمتنا قد عزم عند قبضه على القوة العليا التي وكلتها اليه العناية الالهية غير المدركة ان يسعى وراء الغاية التي سعى اليها والده المحبوب الذي لا ينسى وسيقف جلالته كل قواه لزيادة السعادة والرفاهية داخل البلاد الروسية ولا يحيد ولا يصرف عن خطة الحزم والصدق التي افضت الى تأييد الراحة العمومية واعلاء منارها وعليه فان روسيا ستبقى حريصة على تقاليدها فتهتم بالمحافظة على العلائق الودادية مع جميع الدول وتستمر على ما نشأت عليه من احترام الحقوق والنظام الشرعي واعتبارها خير ضامن لسلامة الاحكام وصيانة المملكة وقد كانت الغاية التي اتجهت المساعي اليها في بدء الحكومة التي اصبح البحث فيها الآن خاصاً بالتاريخ الوصول الى ما نصبو اليه من ابلاغ روسيا الدرجة المطلوبة من القوة والسعادة من غير ان تضر باحد او تسوء احداً اما الآن وقد اشرق علينا طالع ملك جديد فاننا نطلب هذه المبادىء نفسها بمزيد الصدق والاخلاص ونستمد البركة الالهية حتى نعمل بهذه المبادىء سنين طويلة بغير ان يطرأ عليها شيء من التغيير فارجوان تبلغوا اقوال القيصر هذه الى الحكومة التي عينتم لديها وان تطلعوا وزير الخارجية على هذه اللائحة »

وهاك اسماء الوزراء الذين كانوا قابضين على ازمة اعمال الحكومة عند وفاة والده وهم

(١) الجنرال الكونت فورونتزوف داشكوف	وزير العائلة الملوكية واملاكها
(٢) الموسيو دي جيرس	« الخارجية
(٣) الجنرال فينوفسكي	« الحربية
(٤) الفيس اميرال تشيخاكوف	« البحرية
(٥) الموسيو دورنوفو	« الداخلية
(٦) « دليانوف	« المعارف العمومية
(٧) « ويت	« المالية
(٨) « مورافيوف	« الحقانية
(٩) « يرمولوف	« الزراعة
(١٠) « كيرفوشين	الاشغال العمومية

(١١) « فيليبوف وزير المراقبة المالية
(١٢) « بوبيدونوتسف « نائب المجلس المقدس

مساحة مملكة الروس وعدد سكانها

تبلغ مساحة ارض هذه المملكة نحو سبع مساحة اليبس على سطح الكرة الارضية فهي تقدر بنحو ٨٫٦٤٤٫٠٠٠ من الاميال المربعة بما فيه سطوح البحيرات المنحصرة فيها اما عدد سكان هذه المملكة فيعسر تعيينه بالضبط التام لان الحكومة لم تجر احصاء عاماً بعد سنة ١٨٥٩ غير ان الماخوذ من احصاآت بعض جمعيات الاحصاء والمصادر الاخرى ان عدد سكان المملكة الروسية الآن يبلغ ١٢٦ مليوناً من الانفس بما فيه بولندا وقوقاسيا وسائر ما يدخل تحت حماية الروس ومعدل الزيادة في الاهالي كل سنة ١٫٥٨١٫٠٥٧ نفساً . على ان المهاجرة متواصلة منها وخصوصاً في اليهود فانهم يهاجرون بكثرة الى اميركا وانكلترا وغيرهما

مذاهب اهلها

ان مذهب الامة الروسية الرسمي هو المذهب الارثوذكسي ولهم مجمع مقدس مستقل عن سائر المجامع الارثوذكسية الاخرى ولكنه حافظ علاقات الاخوة مع البطركيات الاربع العظمى وهي بطركيات القسطنطينية واورشليم وانطاكية والاسكندرية . والامبراطور عندهم هو رأس الكنيسة وله السلطة المطلقة في سائر مصالحها فهو الذي يعزل ويولي غير ان الاساقفة لهم الحق في عرض من يظنون فيهم اللياقة لرتبة الكهنوت ولكنه لا يتعاطى قط النظر في المسائل اللاهوتية وبالحقيقة ان لمتولي مهام المجمع المقدس بالنيابة عن القيصر الكلمة النافذة لديه وفي سائر المسائل الكنائسية

وتقسم روسيا من حيث وجهها الديني الى ٦٣ اسقفية يترأس عليها ٣ ميتروبوليت و ١٢ رؤساء اساقفة و ٤٧ اسقفاً و ٣٨ نائباً . وسائر جماعة الاكليروس الروسيين من الرهبان . واما الكنائس فقد كان منها سنة ١٨٩١ نحو ٥١ الف كنيسة بين عمومية وخصوصية ومن هذا العدد نحو ١٩٠٠ كنيسة بنيت بين سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ اما الاديرة فعددها ٤٩٧ ديراً للذكور فيها ٦٨٦٥ راهباً و ٤٥١٢ طالباً و ٢٢٨ ديراً للاناث فيها ٧٢٠٠ راهبة و ٢٠٢٦٨ طالبة

وفي المجمع المقدس راس مال مقداره خمسة ملايين ليرة انكليزية وقد بلغ دخل الكنائس سنة ١٨٩١ ثلاثة عشر مليونًا من الريالات المسكوبية وبلغت النفقات سنة ١٨٩٢ نحو عشرين مليونًا انفقها المجمع المقدس لمساعدة الكنائس والمدارس من سائر الطوائف · وفي المملكة الروسية عدد غير قليل من الكاثوليك والانجيليين واليهود والاسلام وغيرهم · وهاك عدد اهالي مملكة الروس بالنسبة الى اديانهم بالتقريب

٧٥٠٠٠٠٠٠ روم ارثوذكس

٢٤٠٠٠٠٠٠ من الطوائف المسيحية الاخرى

٠٦٠٠٠٠٠ مسلمون

٠٦٠٠٠٠٠ يهود

هذا هو الاحصاء التقريبي منذ اربع سنوات ولعلهُ قد زاد الآن حتى يبلغ مجموعه مجموع عدد الاهالي

﴿ ماليتها ومعارفها ﴾

معدل دخل الحكومة الروسية الآن في السنة نحو الف مليون من الريالات ونفقاتها نحو تسعماية الف ريال تنفق منها ٤٤ مليونًا على المدارس الاميرية وعدد التلامذة نحو مليونين ونصف ويطبع في روسيا نحو عشرة الاف مؤلف في السنة وعدد جرائدها نحو ٧٥٠ جريدة منها ٥٨٩ تطبع باللغة الروسية و٦٩ بالبولندية و٤٤ بالجرمانية و١١ بالاستونية و٧ باللتية و٩ بالفرنساوية و٥ بالارمنية و٢ بالعبرانية و٢ بالجورجية والباقي بلغات مشتركة

﴿ جندها وحصونها ﴾

في روسيا كثير من الحصون المنيعة على الحدود والسواحل مما لا محل لذكره اما الجندية فكانت عندهم اختيارية الى سنة ١٨٧٤ فاصبحت الزامية لكل من بلغ الحادية والعشرين من عمره فيجمعون كل سنة ٨٧٠٠٠٠ شاب ينتقون منهم ٢٦٠٠٠٠ للجندية ويطلقون سراح الباقي اما للرديف واما للسنة القابلة وفي روسيا الآن ٨٣٥١٤٣ جنديًا و٣٣٥٢٩ ضابطًا و١٥٥٤٧٨ فرسًا و١٠٥٠٠٠ جنديًا مساعدًا ولا يخفى ان فرسان روسيا من أشهر فرسان العالم واسمهم القوزاق

ابن باجة

(ولد في اواخر القرن الخامس وتوفي سنة ٥٣٣ للهجرة)

(١) ترجمة حياته

هو ابو بكر محمد بن يحيى بن باجه التجيبي الاندلسي السرقسطي ويعرف ايضاً بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور وهو من الفلاسفة الذين ترجمت فلسفتهم الى اللغات الافرنجية وعني الافرنج في مطالعتها والتبحر فيها كما فعلوا بفلسفة ابن سينا وابن رشد وابن الطفيل والفارابي والكندي والغزالي وغيرهم وقد حرفوا اسمه بنقله الى لغتهم فسموه افمپاس (Avempace) كما سموا ابن سينا افيسنا (Avicenna) وابن رشد افيرويس (Averroes) وابا بكر بن الطفيل ابوباسر (Abubacer) وابا حامد الغزالي الغازل (Algazel) وقس عليه

ولد ابن باجه في سرقسطة بالاندلس في اواخر القرن الخامس للهجرة ونبغ بين اقرانه بالفلسفة والطب والرياضيات والفلك والف فيها كلها . ولم يذكر مؤرخو العرب تفصيل ترجمة حاله لان اول من فعل ذلك منهم الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان وكان معاصراً لابن باجة وقامت بينهما منافسة فذكره الفتح في آخر كتابه ونسبه الى الخلال المقيتة ومما قاله فيه « هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفاً وجنوناً وهجر مفروضاً ومسنوناً فما يتشرع ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع » وغير ذلك مما يدل دلالة صريحة على المبالغة في تنكيله للايقاع به

ولكن غير الفتح من المؤرخين قالوا فيه ما يناقض ذلك والفتح ابن خاقان نفسه ذكره في مكان آخر ونقله نفح الطيب وهو قوله « فيه نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع تتوجت بعصره الاعصار وتأرجت من طيب ذكره الامصار الى ان قال اذا قدح زند فهمه اورى بشرر للجهل محرق وان طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق مع نزاهة النفس وسموها وبعد الفساد من كونها والتحقيق الذي هو للايمان شقيق والجد الذي يخالق العمر وهو مستجد وله ادب يود عطارد ان يلتحفه ومذهب يتمنى المشتري ان يعرفه ونظم تعشقه اللباب والنحور وتدعيه مع منافسة جوهرها البحور » والظاهر انه كتب هذا قبل ان كانت بينهما وحشة فلما وقعت الوحشة رماه بتلك السهام

اما غير الفتح بن خاقان فقد ذكره الامير ركن الدين بيبرس في كتاب زبدة الفكر

في تاريخ الهجرة فقال «ان ابن باجة كان عالمًا فاضلاً له تصانيف في الرياضيات والمنطق وانه وزر لابي بكر الصحراوي صاحب سرقسطة ووزر ايضًا ليحيى بن يوسف ابن تاشفين عشرين سنة في المغرب وكان حسن السيرة فحسنت به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادوه فقتلوه مسمومًا»

ولا خلاف في تولي ابن باجة الوزارة المشار اليها وبقي في سرقسطة حتى تولاها الافرنج سنة ٥١٢ للهجرة فانتقل الى اشبيلية وبقي فيها بين تأليف وتصنيف وبحث وتدقيق حتى مات مسمومًا سنة ٥٣٣ وهو في اوائل الكهولة

وقد ذكره ابن ابي أصيبعة في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء وعدد مؤلفاته فاذا بعضها في الطب وبعضها في الرياضيات والفلسفة وشروح على بعض كتب ارسطو ولا سيما على كتابه في علم الطبيعة ومن تآليفه التي لم يتح له قصر العمر اتمامها رسائل في المنطق لا تزال محفوظة في مكتبة اسكوريال في اسبانيا ونحن في غفلة عنها ورسالة في النفس وكتاب في تدبير حياة المتزل وله قول في الشوق الطبيعي وماهيته وتعاليق على كتاب ابي نصر الفارابي في الصناعة الذهنية ونبذ في الهندسة والهيئة وكتاب التجربتين على ادوية ابن وافد في اتصال العقل بالانسان ورسالة سماها رسالة الوداع ترجمت الى اللغة العبرانية وترجمتها محفوظة في مكتبة الامة بفرنسا وهي تشتمل على مباحث في القوة المحركة في الانسان العاقل وفي حقيقة القصد بوجوده ووجود العلم يعني التقرب الى الله تعالى واصابة العقل العامل الصادر عنه ويستفاد من هذه الرسالة انه كان على مذهب ارسطو

(٢) فلسفته

وافضل كتب ابن باجة كتاب تدبير حياة المتزل وهو يشتمل على خلاصة فلسفته ويؤخذ من مجملها انه كان مناقضًا لما رآه الامام الغزالي في التصورات الرمزية وهي فلسفة هو الذي أحدثها في الاسلام

وخلاصة ما يستفاد من ارائه في ذلك الكتاب ان التدبير كلمة لا تكون خاصة بفعل واحد ولكنها تدل على اعمال تتجت بجملتها نحو غاية واحدة كالتدبير السياسي وتدبير الكون وهذه الاعمال لا يتفق وجودها منتظمًا الاَّ في الانسان اذ انها لا تتم الاَّ بالتبصر وتدبير حياة المتزل يجب ان تكون كالتدبير السياسي في مملكة منتظمة . واداء هذا

المقال الى البحث في التدبير السياسي في مملكة ما ومن اهم ما افترض في ذلك البحث ان لا يكون في تلك المملكة المتصورة طبيب او قاض فرأى انة لا فائدة ثم من الطبيب لان الناس لا ياكلون سوى اشد الماكول ملاءمة لهم ولا ياكلون منة ما يأتيهم بالضرر كماً او كيفاً اما الامراض الوافدة من خارج فتشفيها الطبيعة غالباً ولا فائدة من القاضي لان تالف هيئة الاجتماع هنالك يكون على صورة ودادية فلا يكون مجال للخلاف البتة واما اهل الاعتزال في مملكة ذات خلل فعليهم ان يتحولوا الى مملكة منتظمة ثم قال وقد يسمون المعتزلون نباتاً وذلك لكونهم كالنبات نامياً بالطبيعة في وسط نبات من جنسه نام بالفلاحة وتسميهم الصوفية غرباء لانهم على نوع ما غرباء في اهلهم وقومهم

ثم تقدم ابن باجة الى البحث في اعمال الانسان على انواعها مستخلصاً منها ما يؤدي الى الغاية وما تصح نسبتة الى الانسان فقال بين الانسان والحيوان نسبة كما بين الحيوان والنبات وبين النبات والجماد فما اختص من الاعمال بالانسان وكان صحيح النسبة اليه هو ما صدر عن حرية مطلقة اي عن ارادة مصدرها التبصر لا ما صدر عن مجرد الهداية الطبيعية كما في الحيوان . مثال ذلك انسان كسر حجراً لكونه صدمه فهو عمل حيواني فلو كسره كيلا يصدم غيره لكان عملاً انسانياً . وقلما فعل الانسان افعالاً حيوانية محضاً وكثيراً ما فعل افعالاً انسانية محضاً فعلى المعتزل ان يفعل ما كان من النوع الثاني ويحترز من مطاوعة النفس الحيوانية ولا يكون دليلة الا النفس المدركة ويفضل الافعال المستقيمة على النافعة حتى اذا تبارت فيه النفسان العقلية والحيوانية تسبق الاولى الثانية سبقاً مبيناً ويعتني باصلاح صفاته الادبية فتصير اعماله اقرب الى الالهية من الانسانية واذا جرى المعتزل على هذا السنن يتدرج في الوصول الى معرفة العالم الروحاني وهي غاية سعيه

ثم بحث فاطال في ما سماه الصور او المعقولات الروحانية والمراد بها المعقولات الخالصة المنتزعة عن المادة وتصورات قوى النفس الانسانية المتجردة التي تكون النفس على نوع ما مادتها وهذه المعقولات تكون انواعاً يفوق بعضها بعضاً باعتبار بعدها من الهيولى . واسهب في هذا الباب فقسم تلك المعقولات اقساماً متفلسفاً على كل منها وفي كلامه على بعضها إشكال كما ذكر ابن رشد . ولم يفصح ابن باجة عن كيفية اتصال العقل القابل بالعقل المادي او اللازم وقال انه يقتضي لذلك قوة فائقة الطبيعة

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

« النهضة العربية في عصر العباسيين »



العلوم الدخيلة

(٦) تابع العلوم الرياضية

« الهندسة »

الهندسة النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم او المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية كقولنا ان كل مثلث فزواياه معاً تساوي قائمتين وان كل خطين متوازيين لا يلتقيان ولو اخرجا الى غير نهاية وما شاكل ذلك

وللاحاطة بتاريخ هذا العلم نقسمه الى قسمين الهندسة قبل الاسلام والهندسة بعده

(الهندسة قبل الاسلام)

علم الهندسة قديم ويظن هيرودوتس الرحالة اليوناني الشهير الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ان المصريين وضعوهُ وهاك ترجمة ما قاله في ذلك بتاريخه بالفقرة ١٠٩ من كتابه الثاني « وأخبرني الكهنة ايضاً ان هذا الملك (سيزوستريس) هو الذي قسم ارض مصر قسمين لكل من اهلها قطعة مربعة يتملكها بالقرعة على ان يؤدي اليهِ كل سنة شيئاً من الخراج بنسبة ما يشتغل منها فاذا اتلف النيل شيئاً من قطعة احدهم وجاء الملك فاخبره بذلك يرسل الملك مساحين يقدرون ما تلف فلا يؤدي من الخراج الاّ بنسبة ما بقي الباقي وهذا على ما اظن اصل علم المساحة التي انتقلت من مصر الى الاغريقية »

ولكن المرجح ان طاليس الفيلسوف اليوناني (٦٠٠ ق م) هو اوّل من اشار الى هذا العلم ولعلهُ نقلهُ من مصر وقد تقدم انهُ هو الذي نقل علم الحساب ايضاً . وظهر بعدهُ نابس انكسماندر مخترع الخريطات الجغرافية والدوائر وانكسامينس مخترع المزولة (الساعة الشمسية) وكان كلاهما في القرن السادس قبل الميلاد ولا بد من ان هذين كانا على معرفة تامة بالقواعد الهندسية فضلاً عن الهيئة . ثم جاء فيثاغورس صاحب فلسفة الاعداد وقال بمذهبهِ في الجوامد القياسية وما زال مذهبهُ معتمداً ينتشر يوماً فيوماً الى ظهور تعاليم افلاطون وفي ذلك العهد قيل بقطع المخروط وبالتحليل الهندسي

اما تعاليم سقراط فقلما بحثت بالعلوم الهندسية ولكن يوديموس احد معاصري تلك التعاليم كتب في تاريخ الهندسة ستة كتب وهو اوّل من كتب في ذلك

على ان علم الهندسة لم يشرق وبتلألأ الاَّ في مدرسة الاسكندرية ولها الفضل الاكبر في ترتيب هذا العلم ونشره فقد نبغت هذه المدرسة على عهد البطالسة بعد موت الاسكندر الاكبر بقليل فذاع صيتها في الآفاق وتقاطر اليها العلماء والفلاسفة من سائر انحاء العالم وفي هذه المدرسة ظهر اوقليدس ابو الهندسة صاحب كتاب الهندسة المعروف بهندسة اوقليدس نبغ في اواخر القرن الثالث قبل الميلاد وقد مر على كتابهِ هذا دهور وهو لا يزال معوَّلاً عليهِ للتعليم وقد ترجم الى سائر اللغات المتمدنة ثم نبغ ارخميدس في اوائل القرن الثالث المذكور وهو صاحب الآلة المعروفة بلولب ارخميدس ولهُ في الهندسة اختراعات ذات شأن قال ابو الفرج الملطي ان الروم احرقت من كتبهِ ١٥ حملاً . ويتلو ارخميدس بالشهرة ابولونيوس برجيوس المولود سنة ٢٥٠ ق م ثم نبغ نيكوديموس سنة ٢٢٠ ق م واخترع طريقة قياس المنحنيات

وفي القرن الاول بعد الميلاد كسدت سوق الهندسة قليلاً لكنها عادت فراجت في القرن الثاني فظهر منيلوس وألف في الاشكال الكروية وكتابهُ في هذا العلم لم يتصل الى الافرنج الاَّ بواسطة العرب . ثم اغفلت الهندسة ولم يُعبأ بها الى القرن الثامن للميلاد حينما تناولها العرب وترجموا كتبها الى لسانهم واشتغلوا فيها ووسعوها

وقد قال ابو الفرج في كتابهِ (تاريخ مختصر الدول) ما نصهُ « وجدت في كتاب عتيق سرياني مجهول ان اوطولوقيوس المهندس اليوناني عرف في زمان بختنصر وكان مشهوراً في وقتهِ والموجود من كتبهِ الآن كتاب الكرة المتحركة اصلاح الكندي

وكتاب الطلوع والغروب ثلث مقالات واما ثاودوسيوس فلم نقف له على زمان معين وهو من حكماء اليونان المشهورين وله تصانيف حسان وله كتاب الاكر وهو اجل الكتب المتوسطات بين كتاب اوقليدس والمجسطي » فيظهر من ذلك ان اوطولوقيوس كان معاصرًا لطاليس المتقدم ذكره لان بختنصر كان حوالي سنة ٦٠٠ ق م

وفي المكتبة الخديوية كراس في تفسير مقالة اوطولوقيوس في حركة الكرة وهي اثنا عشر شكلاً . وكتاب في تحرير كتاب الكرة المتحركة لنصير الدين الطوسي واصله لاوطولوقيوس

وذكر ابو الفرج ايضًا عالمًا آخر اسمه قوطون اوقوطون قال انه كان ذا بد باسطة في نوعي العدد والمساحة وله كتاب في الحساب كتبه الى كيلو بطرا الملكة

(الهندسة في الاسلام)

الهندسة من العلوم التي تناولها العرب عن اليونان بلا خلاف واول من باشر ذلك من ملوك الاسلام الخليفة ابو جعفر المنصور فامر بترجمة كتاب اوقليدس وقد ترجمه غير واحد من المترجمين واشهر من ترجمه منهم حنين بن اسحق وثابت بن قرة ويوسف بن الحجاج والكتاب المشار اليه يشتمل على خمس عشرة مقالة اربع في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة واخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات اي الجذور وخمس في المجسمات . وقد عني العرب في صدر الاسلام باختصار هذا الكتاب وشرحه ومن اختصره منهم الشيخ الرئيس في كتاب الشفاء وابن الصلت في كتاب الاقتصار ونصير الدين الطوسي المتوفي سنة ٦٧٢ هـ وكتاب الطوسي في ذلك يسمى تحرير اصول اوقليدس منه ثلاث نسخ بالمكتبة الخديوية مطبوعة في رومية بايطالية سنة ١٥٩٤ م وللطوسي ايضًا كتاب تحرير اصول حساب وهندسة اقليدوس غير المتقدم ذكره ومنه ثلاث نسخ خطية بالمكتبة المذكورة واما شارحوه فكثيرون وهذا يدلك على مقدار ما كان له من المنزلة عندهم حتى قال العلامة ابن خلدون « انه مبدأ العلوم الهندسية باطلاق »

وبعد المنصور اهتم الرشيد والمأمون ايضًا في ترجمة سائر الكتب الهندسية عند اليونان فترجمت كتب ارخميدس وفيها كتاب الكرة والاسطوانة والمسبع في الدائرة وكتب ابولونيوس في المخروطات وهو يبحث في احوال الخطوط غير المستقيمة ولا المقوسة

بل المختبة ترجم منهُ في زمن المأمون سبع مقالات والمفهوم من مقدمتهِ انهُ ثماني مقالات

واخذوا عن منيلوس (ويسميه العرب منالاوس او ميلاوش) وثاودوسيوس الاشكال الكروية قال العلامة ابن خلدون «اما الاشكال الكروية ففيها كتابان من كتب اليونان لثاودوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينهِ عليهِ» واخذوا ايضاً عن فوطون ودوروثيوس وفنطوس وغيرهم

ويدخل في علوم الهندسة علم المساحة وعلم المناظر وهو علم المرئيات يتبين بهِ اسباب الخطأ في الادراك البصري وعلى هذه العلوم يتوقف علم الهيئة

ولم يقتصر العرب على تناول هذه العلوم عن اليونان ولكنهم تبحروا فيها وزادوا عليها ويقال انهم هم الذين وضعوا علم حساب المثلثات على ما هو عليهِ الآن فاستخدموا الجيوب بدلاً من اوتار مضاعف الاقواس ولهم الفضل في تطبيق الجبر على الهندسة وحل المعادلات التكعيبية وضبط حركة اوج الشمس وعرفوا الرقاص والاسطرلاب ٠ واكبر فضل لهم انهم حفظوا كتب اليونان في لسانهم ولولا نقلها اليهِ لانقرضت لان الافرنج لما افاقوا من غفلتهم في الاجيال الاخيرة ترجموا تلك الكتب عن العربية ومما ترجموه منها كتاب اوقليدس والاشكال الكروية تأليف ثاودوسيوس المتقدم ذكرهُ ومسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الارضية او السماوية مبسوطة على خريطة وعلم المناظر والمجسطي وقد قال مونتكلا احد كتبة الافرنج في تاريخ العلوم الرياضية ما ترجمتهُ «وقد مضى على الافرنج عدة قرون لا يقوم بينهم عالم في الرياضيات الا كان عالةً من العرب»

ومن اشتهر في الهندسة وفروعها في صدر الاسلام

(١) ثابت بن قرة الصابي ولد سنة ٢٢١ وتوفي سنة ٢٨٨ وكان في مبدأ امره صيرفياً في حران فلما نهضت الدولة العباسية في بغداد وعني الخلفاء باحراز العلوم ونقلها الى لسانهم واحتاجوا في ذلك الى اهل السريانية والفرس ممن يعرفون الالسنة قدم ثابت الى بغداد واشتغل في العلم فمهر بسائر العلوم وخصوصاً الطب والفلسفة والهندسة والف فيها كلها نحواً من عشرين مؤلفاً اما في الهندسة فانهُ تناول كتاب اوقليدس وكان قد عربهُ حنين بن اسحق العبادي فهذبهُ ونقحهُ واوضح ما كان مستعجماً

فيه ولم يذكروا له غيره ولكننا قد عثرنا له في المكتبة الخديوية على رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية واخرى في الحجة المنسوبة الى سقراط في المربع وقطره وكتاب في مساحة قطع المخروط الذي يسمى المكافئ وآخر في الشكل الملقب بالقطاع ومقالة في برهان المصادرة المشهورة من اوقليدس وكتاب الماخوذات لارخميدس وكتاب المفروضات وهو ثلاثة وثلاثون شكلاً وكتاب عمل الدائرة المقسومة سبعة اقسام واصله لارخميدس

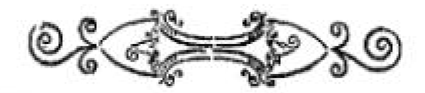
(٢) ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة وهو حفيد ثابت المتقدم ذكره ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٣٥ ه وقد سار على خطوات جده في الهندسة وغيرها وله كتاب في مساحة القطع المكافئ وآخر في طريق التحليل والتركيب والاعمال الهندسية والكتابان خطيان في المكتبة الخديوية بالقاهرة

(٣) ابو سهل ويجن بن رستم القوهي من علماء القرن الرابع للهجرة ومن مؤلفاته التي وصلت الينا في الهندسة رسالة في استخراج مساحة الجسم المكافئ ومقالة في استخراج الخطين بين الخطين حتى يتوالى الاربعة على نسبة وقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وترجم المقالتين الاولى والثانية من اوقليدس وكتاب في مساحة الجسم المكافئ ومسائل متفرقة هندسية وكل هذه خطية بالمكتبة الخديوية

(٤) نصير الدين الطوسي الفيلسوف المتوفي سنة ٦٧٢ ه وقد تقدم ذكره بين علماء الفلك ومن مؤلفاته غير الكتابين المتقدم ذكرهما كتاب الكرة المتحركة وكتاب المساكن وكتاب المناظر وكتاب مئة مسألة وخمس من اصول اوقليدس وتحرير كتاب الطلوع والغروب وتحرير كل من كتب المطالع والماخوذات والمعطيات والمفروضات وظاهرات الفلك وكتاب جرمي النيرين وبعديهما

وقد كتب في الهندسة ايضاً كثيرون غير هؤلاء ويغلب ان يكون علماء الفلك او الفروع الاخرى الرياضية متمكنين في الهندسة كمن تقدم ذكرهم في الهلال من علماء الحساب والجبر والمقابلة والفلك فاغضينا عن ذكرهم

وقد اشتغل في هذا القرن كثيرون في الهندسة بين ترجمة وتاليف ستاتي الاشارة اليهم في كلامنا على النهضة العربية الاخيرة انشاء الله تعالى



حالة الفلاح المصري

رأينا حالة الفلاح هذا العام قد شغلت ابحاث الجرائد واقلقت بال الحكومة فلم نرَ بدًّا من الخوض في هذا العباب واستطلاع حقيقة الداء ووصف الدواء فكلفنا صديقاً لنا خبيرًا باحوال الزراعة قضى اعوامًا طوالاً في معاملة الفلاحين ومعاشرتهم ومعاطاتهم فكتب الينا مقالة ضافية وافية بالمراد نشكره عليها وهاك نصها ·

قال بعد الديباجة

ان هبوط اسعار محصولات الفلاح المصري وسوء حاله هذا العام كان موضوع اهتمام الحكومة وارباب الجرائد ووكلائها ومكاتبيها وقد اتفقت الآراء جملة على سوء الحال فقامت الجرائد تلتمس من الحكومة تخفيف الضرائب رحمة بالفلاح ولكنهم مع هذا الاتفاق قد انقسموا في تشخيص الداء ووصف الدواء فجعل بعضهم تبعة ذلك على الحكومة مدعيًا ان ثقل الضرائب هو الذي اوصل الفلاح الى هذه الحالة فالدواء يقوم بتخفيف الضرائب ولو اضطرت الحكومة الى اقتصاد ذلك من نفقاتها الاعتيادية وقال آخرون ان الضرائب واجب تخفيفها وان الحكومة باذلة ما في وسعها لتوفير المال وتخفيض الضرائب من الاموال المقتصدة ومن تحويل ما لم يحوَّل للآن من ديونها ولكن بعض الدول تعارض في تحويل الدين وتغل ايديها عن استعمال المقتصد فيزعم هؤلاء انه لولا هذه المعارضة لكانت الحكومة تخفض الضرائب مليون جنيه او اكثر

وكل من الفريقين يقول ان هبوط الاسعار وثقل الضرائب هما اللذان اوصلا الفلاح الى حالته الحاضرة على اني مع اعتقادي بان نزول الاسعار وثقل الضرائب اضرَّا بمالية الفلاح وان الحكومة يجب ان تبذل ما في وسعها لتخفيض الضرائب اظن ان السببين المشار اليهما ليس هما فقط المسببين لكل هذه المضار ولا بد لسوء الحال من سبب آخر اكثر اهمية منهما وارى ان ذلك السبب انما هو سوء تصرف الفلاح ❊ وقبل ان آتي على شرح حالة الفلاح في الماضي والحاضر ارجو الفريقين من كتاب الجرائد واحزابهم ان لا يلوموا ما قد يرونه في رسالتي هذه من المخالفة لآرائهم ومشاربهم السياسية لاني لم اكتب ارضاء لحزب وانما غايتي الوحيدة اظهار الحقيقة حسب اعتقادي بكل

الخلاص فان اصبت فالى ذلك سعيت حتى اذا عرف الداء يعطى لها الدواء والا فلست اول من اخطأ

قف بنا يا من جردت نفسك عن المآرب السياسية ولنبحث عن حالة الفلاح بالماضي والحاضر لنرى على من نلقي اللوم في ما آلت اليه حالة على الحكومة لانها اثقلت كاهله بضرائب احدثتها ومظالم ابتدعتها ام على الفلاح لانه هو الجاني على نفسه تعال نقلب صفحات الايام الماضية لنرى احوال الفلاح من حيث الضرائب ونقابل ذلك بحاله الآن فيظهر لنا ولا ريب ان حكومة ذلك الزمن ضربت على الفلاح اكثر من ثلاثين ضريبة تحت اسماء مختلفة كالاموال الخراجية والعشورية والاسهم والمقابلة وحب الوطن والويركو والعشرينيات والحملة والري الى غير ذلك من الاسماء والمسميات وفي دفاتر الحكومة ضريبة الشيخ والحاكم والمامور والناظر وغيرها ما يضيق المقام عن ذكر اسمائها وزد على ذلك كله الداهية الدهماء وهي السخرة التي كان يرتعد الفلاح عند ذكرها وكيف لا يرتعد منها وهي تقضي عليه بالعمل تسعة اشهر لمصلحة غيره من اهل اليسار وارباب الاطيان وفوق ذلك كله كان يحمل ادوات الحراثة كالفاس والفتق والمونة على عاتقه ويدفع اثمانها من عرق جبينه ليخدم بها بعض رجال الحكومة وهم اصحاب الاباعد والاطيان الواسعة فكان الفلاح المسكين يشتغل ليله ونهاره متحملاً برد الشتاء وحر الصيف ولا اذكرك بما كان يكابده من رجال الحكومة على تلك الاتعاب وما كان يقاسيه من جور شيخ البلد والقواس والمامور والمدير لانها ذكرى تقشعر منها الابدان وتنقبض لها النفوس ولكني اطلب اليك ان تنظر بعين النزاهة الى حالة الفلاح وايراداته فترى ان قرى الارياف كانت مبانيها ما خلا دور العمد والمشايخ والاعيان اكواخاً صغيرة من الطوب الاخضر وليس فيها من الخشب الا الابواب وامام الكوخ رحبة صغيرة يربط فيها جاموسة او ثوره وفي الصباح تقوم زوجته او اخته او والدته وتنادي بحلب الجاموسة او البقرة ثم تجمع روث البهائم لعمل الجلة وتكنس الاتربة لعمل السباخ وتحمل ذلك على راسها في غلق من فضلات العلية (السخرة) وتذهب لوضعه على كوم السباخ ثم تدبر الى الغيط لنقل الاتربة لتوضع تحت البهائم وفي يوم السوق تذهب لتبيع ما جمعته من السمن والجبن اما ملاحظة الزراعة فكانت موكولة اليها ايضاً الا حرث الارض فيقوم به احد اقارب الرجل

ثم اننا نوجه النظر الى حالة الكساء فكان كساء الرجل وزوجته ثوبًا واحدًا فقط وطعامه قاصرًا على خبز الذرة والشعير طول ايام السنة لا يعرف اللحم والسمن طعماً واذا اشتاقت نفسه بعد عودته من العملية السخرة للطبخ فيعمد الى الخبيزة او غيرها فيدارلها بغير ادام اذ ليس لديه سمن ولا زيت لانه كان يبيع السمن والجبن ليدفع ثمنها مع ايرادات اطيانه سدًّا لضرائب الحكومة فهذه كانت معيشة الفلاحين اما العمد والاعيان فكانت معيشتهم احسن حالاً من ذلك ولكنها لم تكن كما هي عليه الآن

ثم يجب علينا ايضًا ان نبيّن ايرادات الفلاح من اطيانه اذ ذاك فلنفرض فلاحًا يملك خمسة افدنة من الارض فهو لا يستطيع ان يزرع اكثر من فدان واحد قطنًا ينتج له منه بالاكثر ثلاثة قناطير قطن ثمنها تسعة جنيهات ويزرع فدانين قمحًا وغلتهما ثمانية ارادب ثمنها ثمانية جنيهات ويزرع فدانًا فولاً ومحصوله اربعة ارادب باربعة جنيهات اما الفدان الخامس فقد تركناه لزراعة الذرة والبرسيم لمؤنة الفلاح وبهائمه فجملة الايراد واحد وعشرون جنيهًا عدا عن اثمان السمن والجبنة ومع كل ذلك فانه لم يكد يفي مال الحكومة ورجالها واذكر ان احد ماموري الحكومة في تلك الازمان اخبرني ذات يوم ان المتحصل لخزينة الحكومة من الضرائب على الاطيان كان يلحق الفدان الواحد منها في بعض السنين سبعة جنيهات واخبرني وجيه آخر ان المدير جاء بلدهم يومًا لجمع المال فاجارك الله مما اجراه سعادته فانه جلس على كرسيه في ساحة وامر فجمعت اهالي الناحية امامه وقال ان كل من يتاخر عن تادية ما يطلب منه بدون حساب يجلد فكان كل من اولئك المنكودي الحظ ينال نصيبه فمن دفع نجا من الضرب ولكنه لم ينج من الشتم والسب واما من توقف وطلب فرصة ساعة او اقل اصابته كرابيجهم حتى سال دمه

قال صديقي وكان من ضمن اولئك المنكودي الحظ رجلٌ يطلب منه مائة غرش صاغ فتوقف عن الدفع وطلب مهلة فاجيب بالجلد حتى سال الدم من اليتيه وقدميه واتفق انه اصيب بسعال بغتةً فخرج من فيه جنيه مصري وهو قيمة المطلوب منه على زعم الصراف والمدير فسأله المدير كيف تاخرت عن الدفع والدراهم في فيك فقال الفلاح كنت اذخره يا سعادة المدير لليوم الاسود فاجابه المدير وهل هناك يوم اشد سوادًا من هذا قال نعم لانني لا ادري ما تطلبه مني الحكومة في غد

فهذه حالة الفلاح بتلك الايام ومعاملة الحكومة له بالاختصار الكلي فلنتقدم لشرح حالة الفلاح في هذه الايام فهو لا يدفع من الضرائب الا الاموال الخراجية او العشورية وهذه قد تجاوزت الحكومة عن ستمائة الف جنيه منها وحددت للتسديد مواعيد ولا يمكن لاي كان ان يطالب الممول بيارة واحدة فوق المطلوب منه وابطلت السخرة فاصبح الفلاح مستقلاً لنفسه يسعى في خيره

نعم بقي من السخرة الآن سخرة خفارة النيل وهذه ستلغيها الحكومة قريباً كما وعد بذلك رجالها ولا نظنهم الا منجزين الوعد . فالفلاح حرٌ الآن ولا سلطة عليه الا للقانون فهو لا يخشى سطوة شيخ البلد ولا الحاكم ولا يخاف الكرباج . فلما سكن باله اخذ في وسائل الترف فبعد ان كان يسكن الكوخ بنى البيوت والقاعات بالطوب الاحمر وسقفها بالخشب واكثر من اقتناء البهائم وبعد ان كان يبيع كل سمنها وجبنها اصبح لا يبيع الا ما يزيد عن مؤونته وقد استخدم الحمير والجمال بدلاً من امرأته لرفع الاتربة من تحت البهائم واحضار خلافها ولا يخفى ما يأول اليه ذلك من زيادة النفقات

واما معيشة الفلاح الآن فانها بخلاف معيشته في الماضي فاكولة السمن واللحم والفراخ بعد الخبيزة بدون (تقلية) وكانت البلاد في الاعياد العمومية لا تذبح الذبائح الا في دور العمد والاعيان واما الآن فلا يخلو بيت من ذبيحة في كل عيد فضلاً عن اكل اللحوم يوماً نعم ويوماً لا وبعد ان كان كساؤه ثوباً واحداً من القطن اصبح وفوقه العمامة والطربوش والزعبوط الصوف والدفية الصوف والملفة وبعضهم الجراب وقد ينفق بعضهم في شهر رمضان الآن اكثر مما كان ينفقه في سنتين فضلاً عن شرب الخمر وما يجر اليه

فهذه حالته الآن بغاية الاختصار اما ايراده وهو صاحب خمسة افدنة فانه يزرع منها فدانين قطناً ينتج عشرة قناطير بثمانية عشر جنيهاً . ورب معترض يقول كيف ان صاحب الخمسة افدنة لم يكن يزرع قبلاً الا فداناً والفدان يعطي ثلاثة قناطير فقط والآن يزرع اثنين والفدان ينتج خمسة فالجواب ان المياه لم تكن متوفرة قبلاً وصاحب الاطيان كان يشتغل لغيره واما الآن فالمياه غزيرة وهو يشتغل لنفسه ويزرع فداناً حنطة ينتج منها خمسة ارادب بثلاثة جنيهات ويزرع فداناً فولاً ينتج منه اربعة ارادب بمائتين وثمانين غرشاً فمجموع ذلك ثلاثة وعشرون جنيهاً وثمانون غرشاً فهذا ايراده مع بخس الاثمان فانه يزيد على ايراده في الزمن الماضي مع غلاء الاسعار فما الداعي

لهذه الحالة التي وصل اليها الفلاح والضرائب الآن لا تذكر بالنسبة الى الماضي ولا شك ان الداعي انما هو سوء تصرف الفلاح بارادته وطموح نظره للتشبه بمن هم فوقه بغير حساب وهذا هو السبب الوحيد لضيق ذات يده والا كيف يمكنا ان ننسب سوء الحال الى كثرة الضرائب ولم يبق من الثلاثين ضريبة الا الاموال الخراجية والعشورية وقد انزلت الحكومة منها ستمائة الف جنيه

وملافاة لذلك كله يجب (١) على ارباب الصحف ان تنشر الفصول المطولة بفوائد الاقتصاد لعل صوتها يؤثر في الفلاح فيمسك عن الاسراف وذلك اولى لها من المنافسة بنفره (٢) على الحكومة ابطال السخرة بزمن النيل (٣) تخفيف الضرائب (٤) بيع الخمور بداخلية البلاد (٥) اعادة زراعة الدخان (٦) ان تستدين الحكومة مبلغ ثلاثة او اربعة ملايين جنيه وتوزعها على المديريات لتسليفها لصغار الفلاحين بفائدة المائة ستة او سبعة ولا يفرض هذا المال الا لصغار المزارعين لان ارباب الاطيان الكثيرة يتناولون ما يحتاجون اليه من النقود بفائدة من ٧ الى ١٢ بالسنة واما صغار المزارعين فلا تصل يد الواحد منهم الى الجنيه الافرنجي الا ويحرر على نفسه كمبيالة بماية وثلاثين او مئة وخمسة وثلاثين غرشاً فهذا الذي يجب تسليفه بفائدة قليلة وهو هو الذي يئن ويشتكي ولكي تكون الحكومة آمنة على مالها تجعل هذا المال على اقساط سنوية تسدد في نوفمبر من كل سنة مضافة الى اقساط الاموال الاميرية وتجعل املاك المديون رهناً لدينها على ان لا تكلفه نفقات الرهن

هذا ما تطلبه الاهالي من الحكومة السنية لتخفيف ويلاتها والا فان تخفيف الضرائب وحده لا يكفي لانها مهما خففت الحكومة فلا يمكنها تنزيل ضريبة الفدان الى اكثر من عشرة غروش فيصيب مالك الخمسة افدنة خمسون غرشاً وذلك لا يكفي وزد على ذلك ان فائدة الجنيه الواحد اذا استدانه من طماع قد يوازي هذا القدر ولسان حال الفلاح ينشد مخاطباً الحكومة

شفيعي اليك الله لا شيء غيره ... وليس الى رد الشفيع سبيل

(كوم حماده) ... خليل



باب المراسلات

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

اطلعت على السؤال الوارد في الجزء الماضي من هلالكم المنير في هل «التمدن الاسلامي (في صدر الاسلام) قام» بالسيف ام بالقلم فأحببت التطفل على موائد الكتاب بالاجابة على ذلك السؤال على قدر ما يؤدبني اليه فهمي القاصر الآتي استميح المعذرة باخلالي بما اشترطه الهلال الاغر من لزوم الايجاز بالجواب اذ انه بحث مهم يقتضي له قليل من الاسهاب الذي يسعه مقام الجرائد العلمية وطالما كان مزلة افهام ومجال اعتراك اقلام للمتوهمة البعض من ان التمدن الاسلامي قام مع قيام الشريعة في صدر الاسلام وان الشريعة امتدت بالسيف مع امتداد الاسلام في الارض فالتمدن الاسلامي قام معها بالسيف والحال انه توهم يخالف الواقع وليس هو من الحقيقة على شيء اذ لا الشريعة الاسلامية قامت بالسيف ولا التمدن الاسلامي قام معها في صدر الاسلام وان كان في نفسه ذا علاقة معنوية بالشريعة الا ان هذا لا يقتضي قيامه معها بل لزومه عنها . وتوصلاً لبيان ذلك والتخلص من ثم الحكم في الجواب حكماً يقبله العقل ويؤيده البرهان جئت بالجواب الآتي راجياً ان يكون اقرب للحقيقة والصواب والا فالمعذرة لمثلي قليل المام غير عزيزة على ذوي الفضل فاقول

كلما توغل الانسان في تاريخ العصور الماضية ودقق النظر في الشرائع الالهية والموضوعة يجدها تختلف باختلاف الازمنة وتتغير بترقي الشعوب ولا يرى امة او شعباً خرج من طور الهمجية وانتظم في سلك الاجتماع المدني الا مسوقاً بحكم الحاجة البشرية الاجتماعية الى شريعة ضابطة تضم ما تبعثر من شتات العصبيات والقبائل الى نظام شامل كافل بالخضوع لوازع يزع الناس ويجمعهم على كلمة التعاون الاجتماعي والاخاء الوطني حتى يتسنى لهم الخروج من وهدة الهمجية الى ذرى الحضارة والتمدن . وعلى ذلك

فالشرائع في الحقيقة هي العامل الوحيد في ترقي الشعوب وإخراج العقول من زوايا الخمول الا انها تختلف كما ذكرنا باختلاف الازمنة وتتغير بترقي الشعوب بمعنى ان ما تأخر ظهوره منها يخالف ما تقدم اما بزيادة في البيان مع زيادة الحاجة الاجتماعية واما ان يخالفه من حيث اختلاف العادة والفكر بالاضافة الى كل قوم وجنس . فاذا تقرر هذا فقد علمت ان الشرائع هي المتكفلة بحفظ نظام الانسان وترقيه في مراقي المدنية انما هو بنسبة انتظام ذلك النظام ولا حاجة بنا لان نستدل على ذلك باكثر من النظر لحالة الشعوب والقبائل الحمر ومن من كل معنى مدني ورابط اجتماعي لحرمانها من الشرائع الالهية او الوضعية حاشا القليل مما تدعو اليه الضرورة في التعامل وما لا يخرج عن مؤدى البربرية والفكر الضعيف

لهذا فالشريعة الاسلامية لما انت وافية بنظام الحاجة الاجتماعية وكانت شرعاً فاصلاً بين النفوس المتقاطعة والاهواء المتغالبة وانتشرت بانتشار الاسلام بالدعوة اليها في الارض لا بالقوة والسيف لزم عنها التمدن الاسلامي فظهر وامتد بعد ان رسخت مباديها بين الناس كما يتضح ذلك مما سيتلى عليك . وهو ان تلك الشريعة اوّل ما ظهرت ونودي بها بين اقوام كانوا يألفون من طبعهم الحرية والاطلاق ويأنفون الخضوع لأية رابطة كانت من روابط الاجتماع سوى ما تدعو اليه العصبية القومية المثيرة لنيران الشرّ الدائبة في هلاك نوع الانسان فاستقبلوها اوّلاً بما تستقبل به الشرائع عادة من المقاومة والرد حتى اذا اخذ على ايديهم واقوامهم بالحق وانصاعوا لحكم الخضوع لكلمة التعاون والاجتماع كانوا من انصار هذه الدعوة فقاموا لنشرها وتعميمها بين الشعوب بقولهم الاسلام او الجزية ومَن قبل دعوتنا كان منّا ومَن أبى ودفع الجزية فله ما لنا وعليه ما علينا ولم يكن لهم ان يُكرهوا احدًا على قبولها بعد اذ اوحي لصاحب الشريعة (صلعم) الامر الالهي « لا إِكراهَ في الدِّينِ » وعلى هذا الوجه دانت لهم الشعوب واستقرّ لهم الملك والسلطان على قسم عظيم من المعمور تخلل فيه التشويش نظام اقوامه المختلفة بقدر مـا تداخل فيه من ايدي ذوي السلطة المطلقة والملوك فأخذوا يبث انوار العدل وتشييد دعائم المجتمعات على نظام شريعتهم الوضيئة الداعية في الاصل الى الالفة والاتحاد والحرية والاخاء والمساواة وغير ذلك من الاسباب التي دعت لاطلاق الافكار من قيد الحجر الاستبدادي بين الاقوام المنضمة للراية

الاسلامية وبعثت في نفوسهم نشأة جديدة من نشآت الحياة المدنية فنمت فيهم عواطف الميل والاستعداد للكمال المدني وتنبهت العقول للخروج من وكنات الخمول حيث كشف دونها حجاب الحيرة والذهول. ذلك كله في عهد الخلفاء الراشدين ومن أتى بعدهم من الخلفاء الامويين الذين مع قيامهم بتعميم تلك الدعوة في اقطار المسكونة ونشر مباديها الصحيحة بين الشعوب وتوحيدهم للكلمة الجامعة وتوزيع الاحكام الشرعية بميزان العدل والقسط بما ربط الشعوب برابطة الاخاء والحب كانوا الى جمع علوم اللغة والدين احوج منهم الى غيرها من العلوم الدنيوية التي انما تدرجت في مهد القرن الثاني من الاسلام على عهد الخلفاء من بني العباس الذين تلقوا هذا الامر بعد ان استقرّ لغيرهم من الخلفاء وثبتت دعائمه في انحاء الشرق والغرب فرأوا ان تلك المملكة الاسلامية الواسعة قد استوفت شروط النظام الاجتماعي واخلد اهلها الى التمتع بثمرات الاخوة العمومية والالفة الاجتماعية التي بعثت فيهم الهمم الى تسنم ذروة الكمال المدني والترقي الادبي فعمدوا (اي الخلفاء) الى رفع منار التمدن وتسهيل اسباب الترقي بتنشيط اهل البراعة والعلم والاختراع. والشواهد على ذلك كثيرة مشهورة لا يساعد على استيفائها المقام وجعلوا بغداد مقر خلافتهم الزاهرة مظهراً تنبعث منه اشعة نور التمدن الاسلامي في انحاء المشرق بقوة القلم والعلم وترغيب ذوي الفضل من العلماء لا بقوة السيف والسنان اذ لا مشابهة بين عامل السيف وباعث التمدن في وجه من الوجوه وشتان بين المعلول لازهاق النفوس من الابدان والقائم بنصرة الحياة الاجتماعية ونمو العمران. وهكذا يقال ايضاً عن الخلفاء الامويين في الغرب الذين اسسوا خلافتهم هناك بعد ان قضي على دولتهم في الشرق ونشروا على تلك الارجاء علم المدنية الاسلامية فحق بفضلهم على الخافقين

نعم اذاً ان قيام التمدن الاسلامي لم يكن في صدر الاسلام وانه قام بالقلم لا بالسيف وان الشريعة هي العامل الوحيد في ذلك وهي انما تعممت بواسطة الامة العربية (في صدر الاسلام) التي أثرت على اخلاقها وعوائدها تلك الشريعة تأثيراً سريعاً يدل على مقدار العلاقة المعنوية التي بينها وبين التمدن الاسلامي حيث جعلتهم في تلك المدة القصيرة يملأون الارض لغة وديناً وعلماً وسياسة وادباً وغير ذلك من الامور الرافعة لمنار التمدن الاسلامي والمخلدة لذكر اولئك الاقوام مدى السنين والايام والله اعلم

(القاهرة) رفيق العظم

باب السؤال والاقتراح

جيوش العرب في عهد الدولتين الأموية والعباسية

(سوهاج) رفعتلو محمد افندي مصطفى معاون مديرية جرجا

ما هي كيفية جمع الجيوش وترتيبها ونظامها في عهد الدولتين الاموية والعباسية وكيف كانت رواتبهم ووظائفهم وما مقدار ما كان مرتباً لكل جندي منها شهرياً او سنوياً وكيف كانت القواد ومراتبهم ومرتباتهم ورتبهم وهل كان لهم امتياز خاص بهم بين مراتب الموظفين وما مقدار الجيوش التي كانت في كل دولة منها في حالة السلم او في حالة الحرب ارجوان تتكرموا بشرح ذلك شرحاً وافياً كما عودتم قراء جريدتكم ولحضرتكم منا جزيل الشكر

(الهلال) يشتمل اقتراحكم هذا على عدة مسائل (١) نظام جيش العرب في عهد الدولتين (٢) رواتبه ووظائفه (٣) رتبه ومناصبه (٤) مقداره في السلم او في الحرب . ولايضاح ذلك نجيب على كل من هذه المسائل على حدة مع الاشارة الى تاريخها ليجلي امرها فنقول

(١) نظام جيش العرب . نظام الجيش لم يكن معروفاً عند العرب قبل الاسلام الا في بعض العشائر المخالطة للاعاجم كملوك الحيرة عمال الفرس في العراق او ملوك غسان عمال الروم في الشام وكان نظام الجند عندهم على مثال جنود الفرس والروم فيقال ان النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة (قبيل الهجرة) كان جيشه مؤلفاً من خمس كتائب لكل كتيبة منها اسم خاص يميزها عن الكتائب الاخرى فاسم الواحدة دوسر وهي اشدها بطشاً والثانية الرهائن سميت بذلك لانها مؤلفة من خمسمئة رجل كلهم رهائن لقبائل العرب فتقيم الرهائن بباب الملك سنة ثم يأتي بدلها خمسمئة اخرى فتنصرف الاولى وكان للملك ان يغزو بها ويوجهها في اموره ففي راس كل سنة أيام الربيع يأتي وجوه العرب من اصحاب الرهائن فيقيمون عند الملك شهراً ثم يبدلون

رهائنهم ويرجعون الى احيائهم . والثالثة مؤلفة من عرب قيس وتيم اللات وهؤلاء خواص الملك لا يبرحون من بابه والرابعة اسمها الوضائع وكانت من الفرس وعدد رجالها الف رجل يقيمون بامر ملك الفرس عند عامله على الحيرة لنجدته عند الحاجة وكانوا يستبدلون كل سنة كالرهائن والخامسة الاشاهب وهم اقارب الملك واتباعهم وسموا بالاشاهب لبياض وجوههم

أما سائر القبائل الجاهلية فلم يكن عندها جيش منظم وإنما كانت حروبهم غزوًا يذهب اليه اهل القبيلة او بعضها بخيلهم ورجلهم بغير نظام واذا ساروا جماعات من قبائل مختلفة تميزت كل منها براية او رايات خاصة بها وهكذا كان الامر في اول الاسلام فان الخلفاء كانوا يبعثون السرايا وعلى كل منها لواء او الوية يعقدها الخليفة او من يقوم مقامه وأول من عقد الالوية في الاسلام حضرة صاحب الشريعة الاسلامية وأول سرية بعثها سرية عدد رجالها ثلاثون رجلاً بعث بهم في السنة الاولى للهجرة بقيادة عمه حمزة بن عبد المطلب ليتعرضوا لقافلة من قريش قادمة من الشام تحت قيادة ابي جهل فعقد لها لواء وهو اول لواء عقد في الاسلام وهي اول سرية ارسلت من المسلمين واللواء العَلَم ينصب في محل اقامة الجيش ويقال له الراية او هي لواء اسود عقد في وقعة خيبر وكانت الكتيبة من الرجال تسمى سرية حتى يبلغ عددها ٤٠٠ نفس فاذا رأسها صاحب الشريعة نفسه سميت غزوة

وجعلت الالوية تتعدد بعد ذلك في عهد الخلفاء يعقد كل منها على جماعة حسب تعداد القبائل والبطون وهي تختلف لونًا وشكلاً باختلاف القبائل بحيث تتميز بها القبائل بعضها من بعض وما زالت الحال كذلك الى عهد الخلفاء بعد تمصرهم فان راياتهم كانت تختلف لونًا وشكلاً فكان في ذلك تمييز لجند الدولة الواحدة من جند الاخرى وكان الخليفة في صدر الاسلام يعقد الالوية بيده ويسلّم الراية لقواد البعوث والكتائب ويوصيهم بالثبات والصبر وقد يشيعهم وهو يدعولهم او يصلي فيهم ومما نقله الواقدي عن الخليفة ابي بكر الصديق في اول جند ارسله لفتح الشام قوله « لقد بلغني ان ابا بكر رضي الله عنه قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء في الناس وكبروا باجمعهم فرحًا لخروجهم واجابتهم الجبال لدوي اصواتهم وعلا ابو بكر على رابية حتى

اشرف على الجيش فنظر اليهم وقد ملأوا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم انزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شيء قدير وكان اول من دعاه ابو بكر يزيد بن ابي سفيان وعقد له راية وامره على الف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلاً من بني عامر بن لؤي يقال له ربيعة بن عامر وكان فارساً مشهوراً في الحجاز فعقد له راية وامره على الف فارس ثم اقبل ابو بكر على يزيد بن ابي سفيان وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوي العلا والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وامرتك عليه فاجعله في مقدمك وشاوره في امرك ولا تخالفه فقال يزيد حباً وكرامة واسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر واقبلا بقومهما الى ابي بكر رضي الله عنه فاقبل يمشي مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله الناجي من غضب الله من رضيت عنه فانا على ظهور خيولنا وانت تمشي فاما ان تركب واما ان تنزل فقال ما انا براكب وما انتم بنازلين وسار الى ان وصل الى ثنية الوداع فوقف هناك فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله اوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على اصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على اصحابك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم (الى ان قال) وقد استودعتكم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال يا عامر اظهر شجاعتك على بني الاصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم» هكذا كان نظام الجند في اول الاسلام وهم بما كانوا فيه من السذاجة

ولم يكونوا يستخدمون الطبول او غيرها من ادوات الموسيقى كما كانت تفعل الامم المتمدنة في ذلك العهد لانهم كانوا يتجافون عنها تنزهاً عن غلظة الملك واحتقاراً للابهة ولكنهم عمدوا اليها لما اختلطوا بالاعاجم وتحضروا واتسع ملكهم فاخذوا يتمثلون بالدول التي كانت قبلهم

وكان الجند في صدر الاسلام هم الصحابة والانصار والمهاجرين القائمين بالدعوة ثم

جاء بعدهم التابعون وتابعو التابعين . فالمسلمون هم المحاربون وهم الجند هكذا كانت الحال في صدر الاسلام ولكنهم لما تحضروا في عهد الدولتين ولا سيما العباسية جعلوا يصطنعون الصنائع ويتخذون من الاعاجم موالي ينتصر بهم بعضهم على بعض ويعززون بهم ملكهم وهم المماليك ثم الفوا منهم الجيوش واكثروا من استخدامهم حتى ولوهم الامصار وعهدوا اليهم اعظم مصالح الدولة واستحدثوا ديوان الجند فصار الجيش مصلحة قائمة بنفسها تنظر في احوال الحرب واعطيات الجند وما شاكل ذلك . وقد روى العلامة ابن خلدون ان اوّل من وضع ديوان الجند في الاسلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب قال «اشار عليه الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديواناً وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك امر عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من كتّاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدءاً من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في المحرّم سنة عشرين . انتهى» ولكن المأخوذ عن البخاري وغيره من رواة الحديث ان اوّل من أسس ذلك الديوان انما هو صاحب الشريعة الاسلامية اذ قال «اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام» قال ابو حذيفة «فكتبنا له الفاً وخمسماية» وذلك يشبه ان يكون احصاء اما الديوان فالاغلب ان اوّل من وضعه بابسط احواله الامام عمر ثم اخذ يتسع شيئاً فشيئاً بما نقلوه من دول الفرس والرُّوم حتى بلغ نظاماً حسناً في عهد الدولتين فكان الجند اذ ذاك مرتباً فرقاً بعضها من العرب انصار الدولة وبعضها من الاعاجم المماليك والمصطنعين ينصرونهم على المناظرين من عصبيتهم

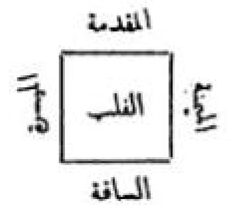
ولا بد لنا من ذكر نظام الجند في حال الحرب عندهم لمل في شرحه ايضاحاً لما نحن في صدده فنقول

كان نظام الجند في ساحة الحرب على نوعين (١) الكرّ والفرّ (٢) الزحف والاوّل قتال البدو وفيه تسير القبائل او بعض منها بنسائهم واولادهم واحمالهم تتقدمهم الرايات والالوية فاذا بلغوا عدوهم وانتشبت نار الحرب تركوا احمالهم وعيالهم وراءهم وهاجموا عدوهم بغير صف ولا ترتيب . ومن مذاهب اهل الكرّ والفرّ في الحروب ضرب

المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرّهم وفرّهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدوم للحرب وأقرب الى الغلب فكان العرب يصفون ورائهم الابل والظهور التي تحمل ظعائنهم فتكون فيئاً لهم ويسمونها المجبوذة وقد شاهدنا حرب الدراويش في السودان على عهد المتمهدي فاذا هي من هذا النوع تماماً

اما الزحف فهو نظام الجند عند الامم المتحضرة واصحاب الملك الواسع واهل المدنية ترتب فيه الرجال وتسوَّى كما تسوَّى القداح او على مثال نظام الجند الحاضر في الممالك المتمدنة فاذا ساروا الى العدوّ فانما يسيرون اليه صفوفاً قدماً الى قدم فذلك اثبت للحرب واصدق في القتال وأرهب للعدوّ وفي القرآن الكريم «إنّ الله يُحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص» وفي الحديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»

والزحف نوعان الصفّ والتعبية اما الصف فهو ان تصف الجند صفوفاً بعضها وراء بعض كما تقدم واما التعبية فتنقسم بها الجيوش اقساماً يسمونها كراديس والكردوس مؤلف من صفوف وكيفية التعبية ان يجلس الخليفة او الملك وحاشيته في وسط الجيش ويسمون ذلك (القلب) ويجعلون امامه جنداً منفرداً بصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره ويسمونه (المقدمة) وجنداً آخر من ناحية اليمين يسمونه (الميمنة) وآخر عن اليسار يسمونه (الميسرة) وآخر من الوراء يسمونه (الساقة) ويقف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربعة وقد يدعون الميمنة والميسرة معاً المجنبتين . وهاك رسم ذلك لزيادة الايضاح



فكانت حرب العرب قبل الاسلام غالباً كرّاً وفرّاً وكانت لهم فيها اساليب ونظامات ومما قرأناه عن احد ملوكهم وقد اعدّ رجاله للحرب انه اوصاهم قائلاً « اني هازّ لكم الراية فليصلح كل رجل منكم من شأنه واليشد على نفسه وفرسه ثم اني هازها لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه وموضع عدوه ومكان فرسه ثم اني هازها لكم الثالثة

وحاملٌ فاحملوا على اسم الله » فلما جاء الاسلام عدلوا الى الصفوف عملاً بالتنزيل والحديث وهو ابسط انواع الزحف وما زال هذا دابهم في اوائل الاسلام حتى اضطروا الى محاربة الفرس والروم في مواقع كبيرة وكثرت جنودهم حتى لم يعد يكفيهم الصف ولا يؤمن ان يكون الجند على بعد المسافة بين اطرافه وغير عالم بمقاصد قواده فلا يستطيع الحركة معاً فعمدوا الى التعبئة والمراد بها ان تكون كل فرقة او كردوس تحت قيادة قائد تعمل بامره ويكون القواد الاربعة تحت قيادة الخليفة او الملك في القلب وبذلك يتم النظام ويامن الاختلال

واول من اتخذ التعبئة في الاسلام مروان بن عبد الحكم من بني امية في قتال الضحاك الخارجي والخيبري بعده قال الطبري عند ذكره حرب مروان والخيبري « فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب ابا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وابطل الصف من يومئذ »

وكانت العرب في قتال الكر وقتال الزحف يحملون نساءهم واولادهم ومتاعهم معهم ويجعلونهم في مكان وراءهم كما قدمنا وذلك لان بيوتهم كانت الخيام فاذا سار الرجال للحرب لا يأمنون على عيالهم من عدو واذا اخذوا عيالهم لا يأمنون على متاعهم لان الخيام لا تدفع غائلة المهاجمين وعليه فيحملون كل شيء معهم فلما تحضروا وعظمت دولتهم وسكنوا القصور والمنازل وانغمسوا في الترف لم تعد نساؤهم يستطعن الاسفار ولم يعد ثم حاجة اليها وهنّ في مامن بالمدن فصار الجند يسير فيه الرجال فقط . وهذا ما كان عليه نظام الجند في عهد الدولتين

(٢) رواتب الجيش ووظائفه . (١) قدنا ان الذين كانوا يحاربون في صدر الاسلام انما هم الانصار القائمون بالدعوة وهم اصحاب الشان وليس لهم رواتب وهم انما قاموا للحرب في سبيل الله غير ماجورين اما معائشهم فكانت ما يقع في ايديهم من الغنائم من البلدان التي يفتحونها فاذا فتح المسلمون بلداً عنوة فاما ان يتركوه لاهله اذا ادوا الجزية او ان يقتسموه بينهم اما الغنائم من الامتعة واللباس والطعام والحلي وغيرها من المنقولات فلا تترك لاصحابها ولكنها تحمل وتوزع على الجند فياخذ الجند اربعة اخماسها واما الخمس الباقي فيقسم الى ثلاثة اجزاء تفرق على اليتامى والمساكين وابناء

(١) الوظيفة هنا المئونة وليس المنصب

السبيل عملاً بنص الآية « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة »

وكان اقتسام الغنيمة في اول الاسلام بغير حساب ولا كتاب حتى اسس الامام عمر ابن الخطاب الديوان كما تقدم فصارت توزع من ديوان الخليفة او من يقوم مقامه وتسمى اعطيات الجند واول غنيمة وزعت بعد تأسيس الديوان على عهد الامام عمر على أثر فتح الشام والقادسية فانه دعا الصحابة والانصار وفرق فيهم الاعطيات مبتدئاً من الاقرب فالاقرب الى العمود النبوي فبدأ بالعباس ففرض له مئتين وخمسين الفاً ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة آلاف اربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى أن اقلع ابو بكر عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن ابي بكر ومن ولي الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية واهل الشام اصحاب اليرموك الفين الفين وفرض لاهل البلاء النازح منهم الفين وخمسمائة الفين وخمسمائة وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة فيظهر من ذلك انه فرق الاعطيات بحسب القرابة مع الاستحقاق وكانت تفرق هذه الاعطيات على المسلمين رجالاً ونساء ولكي يضبط التفريق على الافراد جعلوا على كل عشرة رجلاً سموه عريفاً يتولى توزيع الاعطيات على اهلها

وبقيت الحال كذلك حتى اختطت البصرة والكوفة وسكنها المسلمون فتحولت تلك الاعشار الى اسباع وجعل مئة عريف على كل مئة الف درهم وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ٤٣ رجلاً و٤٣ امرأة وخمسين من العيال لهم مئة الف درهم وفي مثل ذلك في المدن الاخرى فلما مصر المسلمون الامصار وجبوا الخراج صاروا يفرقون الاعطيات على الاجناد والعمال والامراء مما يجمعونه من الخراج

وكان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الى اهله في دورهم وهكذا كانت الحال في مدة الخلفاء الراشدين وبني امية فان عمرو بن العاص كان يرسل الجزية الى الامام عمر بعد حبس ما كان يحتاج اليه من عطاء الجند وغيره

وكان جند مصر على عهد معاوية بن ابي سفيان اربعون الفاً وهم المسلمون ذكوراً واناثاً فلم يكن يبقى له من خراج مصر بعد دفع رواتب الجند الا ستمئة الف

دينار وكان لبني امية عناية باحصاء المسلمين فكانوا يعينون في كل بلد رجلاً يطوف المنازل والمجالس كل ليلة فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال له ولد لفلان غلام ولفلان جارية ويكتب اسماءهم واذا كان قد نزل بهم احد سمّوه وعياله

وعلى مثل ذلك كان تفريق الرواتب والاعطيات في اوائل بني العباس حتى اصطنعوا الاعاجم واتخذوا منهم الخدم والحاشية والجند وفيهم المماليك البيض والسود وبلغ عددهم في عهد احمد بن طولون (في القرن الثالث) ٢٤ الف مملوك ابيض و ٤٠ الف اسود و ٧ الاف حر مرتزق وجعلت جنود المماليك تتعاظم في الدولة العباسية حتى ذهبت بحياتها وقامت دولتهم

وقام في اثناء عصر العباسيين الدولة الفاطمية بمصر (سنة ٣٥٩ هـ) وقد تعددت فيها مناصب الجيش ورتبه وفيهم وزراء السيوف وغيرهم كما سيجيء فكانت الرواتب تجري على الوزراء واقاربهم وسائر حواشيهم فكان راتب الوزير في الشهر خمسة آلاف دينار ولكل من اولاده واخوته ثلثماية دينار ولحواشيهم على مقتضى عدتهم من ٥٠٠ الى ٢٠٠ دينار هذا فضلاً عن اقطاعات كانت لهم ويتضح من ذلك مقدار الفرق بينها وبين رواتب هذه الايام

ومن ضروب العطاء للجند ما حدث في عهد الدولة الايوبية فانهم كانوا يقطعون الامراء والاجناد قطعاً من الارض يستولون على ريعها ويكون ذلك بمنزلة العطاء وهو الالتزام او التعهد في عرف المتاخرين ولا نزال نسمع عن الملتزمين والمتعهدين في الديار المصرية الى اواسط ايام المغفور له محمد علي باشا

(٢) رتب الجيش ومناصبه · قد علمت مما تقدم ان جيش الاسلام ترقى في سائر احواله تدريجاً كسائر احوال الامم وهكذا في رتبه ومناصبه فقد كانت تلك المناصب قليلة في اول الامر ثم جعلت تتعدد وتتفرع كسائر احوال العمران فالانصار في صدر الاسلام لم يكن فيهم من الرتب غير الامراء والخلفاء ثم استحدث العرفاء واصحاب الالوية ثم النقباء والاسباع وما شاكل ذلك كما تقدم

ثم حدثت رتبة الوزارة فكان الوزير هو المتولي لسائر اعمال الخلافة وفي جملة ذلك الجيش واحواله وهكذا الى اوائل الدولة العباسية ثم اختلطوا بالاعاجم واصطنعوهم واتخذوا منهم القواد والجنود فحدثت الرتب وتعددت المناصب ولم يتصل الينا شيء واضح من

هذه الرتب الاّ في الدولة الفاطمية بمصر وهي معاصرة لاواسط العصر العباسي فكان فيهم وزير السيف وهو بمنزلة ناظر الجهادية والزمام (قائد الفرقة) وانواع كثيرة من الامراء وارباب السيوف كحامل سيف الخليفة والاسفهسلار والنقيب والعريف وما شاكل

واما ملابس الجيش فلا نظنها كانت تختلف عن ملابس سائر الناس الاّ كبار الامراء والوزراء فكانوا ينقشون على ثيابهم رمزًا او لفظًا او عبارة وهو ما يسمونه بالطراز على اننا قلما قرانا عن ذلك صريحًا في كتبهم ولكن القرائن تدل عليهِ

(٤) عدد الجيوش · يعسر كثيرًا تعيين عدد جيوش العرب في الحرب او في السلم تعيينًا مدققًا لانهم لم يكونوا يحصونهم ولا كانت لهم حدود وخصوصًا عند اتساع المملكة وتعدد الولايات والعمال وكثيرًا ما يعدون جند الاسلام كل رجال الاسلام وخصوصًا في اول عهد دولتهم وقد رأيت انهُ كان منهم في اول عهد بني امية اربعون الفًا في مصر قالوا انهم اربعون الف جندي وهم بالحقيقة اربعون الف نفس من المسلمين على ان هذا العدد اذا اريد بهِ احصاء المسلمين كافة فهو قليل على ما نرى

وقد ذكر المؤرخون اعدادًا متفاوتة لجند العرب في حال الحرب والسلم وهي تختلف باختلاف المواقع والاحوال مما لا يمكن الوثوق بهِ ولا الاركان اليهِ وفوق كل ذي علم عليم

لغز الجلال السيوطي

ورد علينا حلاّن آخران للغز الجلال السيوطي احدهما من حضرة الفاضل صالح افندي عبد الرحمن الفندي قاضي محكمة ابريم بانهُ « الدينار » وآخر من حضرة الاديب زكي افندي صليب بقلم ايرادات مديرية الجيزة بانهُ « اليراع » واضاف حضرتهُ بان جمّل اليراع ٣١٢ كما ذكره الملغز · ولا نزال على رأينا بان جميع ما ورد حلاّ للغز السيوطي لا يشفي غليلاً

تنبيه اذا بعث احد الينا سؤالاً ومضى عليهِ شهران ولم يصدر عنهُ جواب فلينبهنا اليهِ بوضحة جدًا فاذا لم نجب عليهِ بعد ذلك فلا بد من سبب اقتضى سكوتنا عنهُ وكل حل لغز يرد علينا بعد صدور حل ذلك اللغز في الهلال لا ينشر

ابن خلدون

ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ

هو الفقيه الكاتب الفيلسوف عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي أصلاً والاشبيلي منشأ ومقاماً وهو صاحب التاريخ المشهور بمقدمتهِ المعروفة بمقدمة ابن خلدون وكثيراً ما نورد ذكرهُ في الهلال للاستشهاد باقوالهِ ولذلك فقد رأينا ان نذكر ترجمة حالهِ في الهلال لكي يكون القراء على بينة من أمره وهو بالحقيقة من أعاظم الكتّاب البلغاء ومستنبط علم فلسفة التاريخ او هو علم العمران في العربية كما سيجيء

يتصل نسب خلدون جد صاحب الترجمة الى وائل بن حجر من عرب اليمن وينتهي نسبهم الى قحطان وكان مقامهم في حضرموت في شبه جزيرة العرب وانتقل خلدون وهو الجدّ العاشر للمترجم من المشرق الى المغرب واقام في قرمونه بالاندلس ثم انتقل الى اشبيلية ثم ما زالت هذه العائلة تنتقل في المغرب من مدينة الى اخرى على مقتضيات التغلبات السياسية حتى كانت زمن ولادة صاحب الترجمة في تونس فولد فيها في أول رمضان سنة ٧٣٢ هـ وقرأ فيها القرآن على محمد بن نزال الانصاري والعربية على المقري الزواوي وغيره من نخبة العلماء واخذ العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية عن ابي عبد الله الابلي وكان يشهد له بالتبريز في ذلك

ثم استدعاه ابو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس لكتابة العلامة عن السلطان ابي اسحق فكتبها وخرج معهم اوّل سنة ٧٥٣ وقد كان منطوياً على الرحلة من افريقية لما اصابهُ من الاستيحاش لذهاب اشياخه ووالديهِ في الطاعون الجارف فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية اعتزم على اللحاق بهم فصدهُ عن ذلك اخوه محمد ثم خرج من تونس مع العسكر ونزل ببلاد هوارة ونجا من وقعة دارت بها الدائرة عليهم الى ابة ثم تحوّل الى سبتة وسار منها الى قفصة ومن هذه الى بسكرة وارتحل منها وافداً على السلطان ابي عنان بتلمسان فاكرم وفادتهُ وعرف حقهُ فأوجب فضلهُ وكان شاباً لم يطر شاربهُ ثم استحضره لمجلسهِ سنة ٧٥٥ واستعملهُ في الكتابة والتوقيع بين يديهِ فعكف على النظر والقراءة ولقاء المشيخة

من اهل المغرب والاندلس الوافدين في غرض السنارة ثم كثر منافسوه وارتفعت عليه السعايات حتى قويت عند السلطان ثم اعتل السلطان آخر سنة ٧٥٧ وكانت قد حصلت بينه وبين الامير محمد صاحب بجاية مداخلة محكمة فبلغ السلطان ان الامير محمدًا المذكور عازم على الفرار ليسترجع بلده وان ابن خلدون داخله في ذلك فقبض عليه وامتحنه وحبسه وما زال في اعتقاله الى ان هلك السلطان وكان قد خاطبه قبل مهلكه بقصيدة مطلعها

على أي حال لليالي أعاتبُ   وأي صروف للزمان اغالبُ

وهي نحو مائتي بيت فوعد بالافراج عنه وهلك لخمس عشرة ليلة من تقديمها وبادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كان فيهم ابن خلدون فخلع عليه واعاده الى منصبه ثم اجاز السلطان ابو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة واستعان بابن خلدون على امره فحمل الكثير من اشياخ بني مرين على ذلك واظهر الحسن بن عمر دعوة السلطان ثم دخل السلطان دار ملكه فاس وابن خلدون في ركابه سنة ٧٦٠ فرعى له السابقة واستعمله في كتابة سره والترسيل عنه والانشاء لمخاطباته وكان اكثر ما يصدر عنه بالكلام المرسل فانفرد به يومئذ ثم انثالت عليه من الشعر بحور تسمو بعضها الاجادة ثم غلب ابن مرزوق على هوى السلطان فانقبض ابن خلدون وقصر الخطو مع البقاء على ما كان فيه من كتابة السر ثم ولاه السلطان في آخر الدولة خطة المظالم فوفاها حقها وزادت سعاية ابن مرزوق به غيرة ومنافسة الى ان انتقض الامر على السلطان بسببه والقت الدولة مقادها الى الوزير عمر بن عبد الله فاقره على ما كان عليه ووفر اقطاعه وزاد في جرايته ثم ساء ما بينهما بما آل الى انفصاله عن الباب المريني فطلب الرحلة وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فمنعه من ذلك فاستجار برديفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماسي وانشده قصيدة يوم عيد الفطر سنة ٧٦٣ يمدحه بها اولها

هنيئًا لصوم لا عداهُ قبولُ   وبشرى لعيد انت فيه منيل

فاعانه حتى أُذن له في الانصراف على شريطة العدول عن تلمسان فاختار الاندلس وصرف ولده واهله الى اخوالهم اولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة اول

سنة ٧٦٤ وقصد الاندلس وسلطانها يومئذ ابو عبد الله المخلوع ابن الاحمر فورد عليها في اوّل ربيع الاوّل عام ٧٦٤ فاهتز له السلطان واركب خاصته لتلقيه واكرم وفادته وخلع عليهِ واجلسهُ بمجلسهِ ولم يدخر عنهُ برًّا ومواكلة ومراكبة ومطايبة وفكاهة فاقام عنده وسفر عنهُ سنة ٧٦٥ الى ملك قشتالة لاتمام عقد الصلح ما بينهُ وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة فلقيهُ باشبيلية بما لا مزيد عليهِ من الكرامة وتقدم اليهِ في الاقامة عنده على ان يرد اليهِ تراث سلفهِ باشبيلية وكان بيد زعماء دولتهِ فتفادى من ذلك وانصرف عنهُ الى السلطان ثم استقدم اهلهُ من قسنطينة وبعث من جاء بهم الى تلمسان واقطعهُ السلطان قرية البيرة بمرج غرناطة ثم حمل اهل السعايات الوزير ابن الخطيب على التنكر له وحركوا له جواد الغيرة فانقبض وشعر بذلك ابن خلدون فاستأذن السلطان ابن الاحمر في الارتحال الى السلطان ابي عبد الله صاحب بجاية وعمّى عليهِ شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فأسعفهُ على ذلك وكتب له مرسومًا بالتشييع وكان السلطان ابو عبد الله قد كتب من قبل ذلك لابن خلدون عهدًا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانهِ ومعنى الحجابة في دول المغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان واهل دولتهِ فسار وقدم عليهِ في منتصف سنة ٧٦٦ فاحتفل لقدومهِ واركب بطانته للقائهِ ولما دخل عليهِ حيّا وفدى وخلع عليهِ واصبح من الغد وقد امر السلطان اهل الدولة بمباكرة بابهِ فاستقل بملكه وافرغ جهده في سياسة اموره وتدبير سلطانهِ ثم قدمهُ للخطابة بجامع القصبة ثم كانت بين سلطانهِ وبين ابن عمهِ السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة فتنة وحروب قتل السلطان ابو عبد الله في بعض مواقعها فخرج ابن خلدون الى السلطان ابي العباس وامكنهُ من بلده فاكرمهُ وقرّبهُ ثم كثرت به السعاية عنده وحذروه من مكانهِ فشعر بذلك واستأذنهُ في الانصراف فأذن له وخرج الى العرب ونزل على يعقوب بن علي ثم قصد بسكرة فاقام بها الى ان قدم السلطان ابو حمو تلمسان فخاطبهُ واستدعاه لحجابتهِ وعلامتهِ سنة ٧٦٩ وبعث اليهِ بكتاب سلطاني على يد سفير من وزرائهِ بعثهُ الى اشياخ الزواودة في غرض له فقام ابن خلدون بأمر السلطان وارسل اليهِ اخاهُ يحيى كالنائب عنهُ في الوظيفة متفاديًا من تجشم اهوالها بالنزوع عن غواية الرتب والاعراض عن الخوض في احوال الملوك وصرف الهمة الى المطالعة والتدريس فاستكفى السلطان بأخيهِ

ثم دخل السلطان عبد العزيز صاحب المغرب تلمسان واستولى عليها ورأى ان يقدم ابن خلدون امامهُ الى بلاد رياح ليوطيء أمره ويحملة على مناصرته فاستدعاهُ من خلوته وكان قد اخذ في تدريس العلم فاجابهُ فآنسهُ وقربهُ وكتب الى شيوخ الزواودة بامتثال أمره فانصرف في عاشوراء سنة ٧٧٢ واستمر ذاهبًا الى رياح فحملهم على طاعة السلطان عبد العزيز ثم ارتحل الى بسكرة ثم سار بامر السلطان لحصار تيطرى سنة ٧٧٤ وفي هذه السنة استدعاه السلطان اليهِ فارتحل باهلهِ وولدهِ وكان قد طرق السلطان مرض فلما وصل ابن خلدون مليانة من اعمال المغرب الاوسط لقيهُ هنالك خبر وفاتهِ وان ابنهُ ابا بكر نصب بعدهُ للامر وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون بن ابي علي الهساطي من قواد السلطان فارتحل ابن خلدون معهُ الى احياء العطاف ثم انطلق الى المغرب على طريق الصحراء وسار الى فاس ووفد على الوزير ابي بكر ابن غازي بها في جمادى من السنة وكان لهُ معهُ قديم صحبة واختصاص فلقيهُ بالبر والكرامة ووفر جرايتهُ فاقام بدولتهم اثير المحل ثابت الرتبة عظيم الجاه ثم انصرف الى الاندلس في ربيع سنة ٧٧٦ واخذ في بث العلم ثم عرض للسلطان ابي حمو راي في الزواودة وحاجة الى استئلافهم فاستدعاه وكلفهُ السفارة اليهم في هذا الغرض فاستوحش من ذلك لما آثره من التخلي والانقطاع واجابهُ الى ذلك ظاهرًا وخرج سافرًا من تلمسان حتى انتهى الى البطحاء فعدل ذات اليمين الى منداس ولحق باحياء اولاد عريف فاكرموهُ وانزلوهُ بقلعة اولاد سلامة من بلاد بني توجين فاقام بها اربعة اعوام متخليًا فشرع في تأليف تاريخهِ المشهور وهو مقيم بها واكمل المقدمة على ذلك النحو الغريب وطال مقامهُ هناك وتشوّق الى مطالعة الكتب والدواوين مما لم يكن لديهِ فمال الى مراجعة السلطان ابي العباس والرحلة الى تونس فخاطبهُ بالفيئة الى طاعتهِ والمراجعة فورد اليهِ خطابهُ وعهودهُ بالاذن والاستحثاث للقدوم فارتحل في رجب سنة ٧٨٠ وقدم قسنطينة فاكرمهُ صاحبها الامير ابراهيم بن السلطان ابي العباس ثم سار الى السلطان وهو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر الى بلاد الجريد فوافاه بظاهر سوسة فحيَّاهُ وفادتهُ وبالغ في مؤانستهِ وشاورهُ في مهمات اموره ثم ردهُ الى تونس فآوى بها الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمتهِ والقى هنالك عصا التسيار

ثم عاد السلطان الى تونس مظفرًا واقبل على ابن خلدون واستدناه لمجالستهِ

والنجاء في خلوته فغضبت بطانته من ذلك واكثروا من السعاية به عند السلطان فلم ينجحوا وانثالت طلبة العلم على ابن خلدون في تونس يطلبون الافادة والاشتغال فعظم ذلك على شيخ الفتيا بها محمد بن عرفة واشتدت غيرته واجتمعت اليه بطانة السلطان واتفقوا على شأنهم من السعاية به والسلطان معرض عنهم وكلفه هذا السلطان صرف العناية الى تأليف تاريخه فاكمل منه اخبار البربر وزناتة وشيئاً من أخبار الدولتين وما قبل ذلك واكمل من ذلك نسخة ورفعها الى خزانته

ثم كثرت سعاية البطانة به وكان السلطان على عزم السفر فاغروه باخذه معه ولقنوا النائب بتونس ان يتفادى من مقام ابن خلدون معه خشية منه على امره فامره السلطان بالسفر معه فشق عليه ذلك ولكنه اضطر ان يمتثل الامر فسار في ركابه ثم ارجعه السلطان الى تونس فاقام بضيعة الرياحين من نواحيها الى ان قفل السلطان منصوراً فصحبه الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنة ٧٨٤ عزم السلطان على الحركة الى الزاب فخشي ابن خلدون أن يعود في امره ما كان في السنة التي قبلها فتوسل اليه ان يخلي سبيله لقضاء فرض الحج فاذن له في ذلك فركب البحر منتصف شعبان من السنة ووصل الاسكندرية لاربعين ليلة من سفره ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر برقوق على مصر فاقام بالاسكندرية شهراً لتهيئة اسباب الحج ولم يتمكن من ذلك عامئذ فانتقل الى القاهرة اول ذي القعدة من السنة فانثال عليه طلبة العلم بها يلتمسون الافادة فجلس للتدريس بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان فابرّ مقامه ووفر جرايته ثم ولاه التدريس بمدرسة القمحية بمصر وبينما هو في ذلك عزل السلطان قاضي المالكية في دولته وهو رابع اربعة قضاة بعدد مذاهب الاسلام يدعى كل منهم قاضي القضاة وذلك في سنة ٧٨٦ واختص ابن خلدون بمكانه وخلع عليه بايوانه فقام بما دفع اليه من ذلك المقام ووفى جهده بما أمن عليه من الاحكام وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يرغبه عنه جاه ولا سطوة وتشدد في انفاذ الاحكام فكثر الشغب عليه واظلم الجوّ بينه وبين اهل الدولة ووافق ذلك مصاب دهاه باهله وولده . ذلك انهم قدموا من المغرب بالسفن بوساطة الملك الظاهر فاصابت سفنهم قاصف من الريح فغرقت وذهب موجوده وسكنه ومولوده فعزم على ترك المنصب

ثم خشي نكير السلطان فتوقف بين الورد والصدر الى ان ظهر الامر للسلطان

فخلى سبيله فانطلق حميد الاثر طاهر الذيل وعكف على التدريس والتدوين ثلاث سنين ثم رغب في قضاء الفريضة فخرج من القاهرة منتصف رمضان سنة ٧٨٩ ودخل مكة ثاني ذي الحجة من السنة فأدّى فريضة الحج وعاد الى مصر فدخلها في احدى الجماديين سنة ٧٩٠ فلقيه السلطان بالمبرة والاكرام واقام بالقاهرة مرعي الجانب موفور الحرمة واكبَّ على التدريس والتصنيف ومراسلة اهل العلم من اصحابه وختم فيها تاريخه المشهور عام ٧٩٧ للهجرة (سنة ١٣٩٤ للميلاد) ثم سار الى الشام في سنة ٨٠٣ في خدمة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق في خلال فتنة تيمور لنك فأُسر وعرف تيمورلنك فضله فاكرمه وقرَّبه وأعاده الى الديار المصرية وقيل انه سافر معه الى سمرقند وقال له يوماً ان لي تاريخاً كبيراً جمعت فيه الوقائع بأسرها وخانته في مصر وسيظفر به برقوق فقال له تيمورلنك هل يمكن تلافي هذا الامر واستخلاص الكتاب فقال لا سبيل الى ذلك الاّ بذهابي الى مصر واستأذنه في ذلك فأذن له فانطلق ونجا منه . وحكي ان تيمورلنك ارسله الى سمرقند واعتقله فيها فبقي معتقلاً الى ان ادركته الوفاة وهذا خبر مكذوب والصحيح انه عاد من الشام الى مصر وتوفي بها في سنة ٨٠٨ للهجرة الموافقة سنة ١٤٠٥ للميلاد

وكان ابن خلدون نابغة زمانه وهاك ما قاله لسان الدين ابن الخطيب فيه «هو رجل فاضل حسن الخلق جم الفضائل باهر الخصال رفيع القدر ظاهر الحياء اصيل المجد وقور المجلس خاصّي الزيّ عالي الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوي الجاش طامح لقنن الرئاسة خاطب للحظ متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوُّر بارع الخط مغرًى بالحلة جوّاد حسن العشرة مبذول المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الاصالة مفخر من مفاخر التخوم المغربية»

ولابن خلدون مؤلفات منها رحلته لم تطبع ولكن منها نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وقد شرح البردة شرحاً بديعاً ولخص كثيراً من كتب ابن رشد الفيلسوف الاندلسي وعلق للسلطان ايام نظره في العقليات تقييداً مفيداً في المنطق ولخص محصل الامام فخر الدين الرازي والف كتاباً في الحساب وشرح رجزاً في الفقه للسان الدين ابن الخطيب وله نظم جيد حسن رقيق

ولكنهُ اشتهر بنوع خاص بتاريخهِ المؤلف من سبعة مجلدات وأحسن ذلك التاريخ مقدمتهُ المشهورة في مجلد واحد وهي عبارة عن علم العمران الذي لم يطرقهُ الافرنج الاَّ في هذا القرن فضلاً عن سلاسة العبارة وبلاغتها مع الاسترسال مما يبهر العقول وموضوعها « العمران وما يعرض فيهِ من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما بذلك من العلل والاسباب »

وقد قسمها الى فصول

(الفصل الاوَّل) في العمران البشري على الجملة وفيهِ مقدمات

(الفصل الثاني) في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال

(الفصل الثالث) في الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كلهِ من الاحوال

(الفصل الرابع) في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال

(الفصل الخامس) في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك من الاحوال

(الفصل السادس) في العلوم واصنافها والتعليم وطرقهِ وسائر وجوههِ وما يعرض في ذلك من الاحوال

وقد ترجمت هذه المقدمة الى التركية والفرنساوية وغيرهما

أما التاريخ ففي ستة مجلدات ولكنهُ دون المقدمة درجة من حيث الانشاء والضبط حتى قد يخال للمطالع ان كاتب التاريخ غير كاتب المقدمة . وفي هذا التاريخ حسنات وسيئات اما حسناتهُ فانهُ قد استوفى في هذا التأليف تاريخ البربر وضمنهُ من انسابهم واخبار دولهم وعاداتهم ما لم يسبق اليهِ وبسط فيهِ تاريخ ملوك اسبانيا النصارى بما فاق فيهِ مؤرخي الافرنج في القرون المتوسطة ولا يخلو مع هذا من خلل في انسابهم وتواريخهم بحسن حملهُ على ما كان بحول وقتئذ دون تناقل الاخبار على وجوه صحتها من المصاعب وما كان في تواريخ الافرنج واخبارهم من المغالط والاوهام والاكاذيب

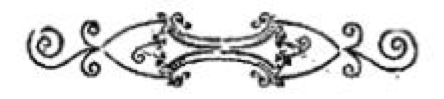
ولتاريخ ابن خلدون كبير اهمية في تاريخ القرن العاشر للميلاد لان تواريخ

النصارى في عهده ولا سيما اهل لاون لا تتضمن من اخبار ذلك القرن الاَّ القليل الذي لا يغني. اما سبعمائة فانهُ لا يخلو من تعقيد في عبارتهِ وخلل في ضبط الاعلام وترك بياض في عدَّة صفحات منهُ واهمال ذكر المئات من السنين مع تقديم وتاخير فيها بحيث يقع بعض ارتباك عند القاري في محلات كثيرة فانهُ لم يمشِ فيهِ على تتبع السنين ولعل الخلل في الاسماء من جهل النسَّاخ وترك البياض في الاصل من عدم تمكنهِ من التحقيق او من عدم تحقيق النساخ على بعض الالفاظ

وقد قال العلامة المشار اليهِ في مقدمة كتابهِ ما نصهُ

«ولم اترك شيئًا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف والحول في القرون الخالية والملل وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة وبدو وحضر وواقع ومنتظر الاَّ واستوعبت جملهُ واوضحت براهينهُ وعللهُ فجاء هذا الكتاب فذًّا بما ضمنتهُ من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة وانا من بعدها موقن بالتصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضاء في مثل هذا القضاء راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتغمد لما يعثرون عليهِ بالاصلاح والاغضاء فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة . والله اسأَل ان يجعل اعمالنا خالصة لوجههِ الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل»

وقد طبع تاريخ ابن خلدون مع المقدمة بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٤ ﻫ في سبعة مجلدات. اما المقدمة وحدها فقد طبعت مرارًا طبعًا متقنًا في المطبعة الادبية ببيروت



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

النهضة العربية في عصر العباسيين

العلوم الدخيلة

(٢) الجغرافية

الجغرافية من العلوم التي حدثت بعد الاسلام وقد اخذوها عن الاعاجم مثل غيرها من العلوم الدخيلة ولكنهم توسعوا فيها واحكموها وللاحاطة بذلك نقسم الكلام في هذا الباب الى قسمين (١) الجغرافية قبل الاسلام (٢) الجغرافية في الاسلام

(١) الجغرافية قبل الاسلام

الجغرافية علم يبحث فيه عن هيئة الارض واقسام سطحها وانواع اهلها وخواصها وكل ما يتعلق بها وهي لفظ يوناني معناه وصف الارض وذلك يدل على انها من وضع اليونان على انها في الحقيقة نتيجة بحث الانسان احقاباً طوالاً فانه منذ ظهر على وجه البسيطة همه امر البقعة التي يسكنها وعلاقتها بما يجاورها وما يحول بينها من الجبال والوديان والانهار والبحيرات فالانسان في اول عهده لم يكن يعرف من مسافات الا ما يجتازه طلباً للقنص او للغارة على جار او غزو او ما شاكل ذلك فلم يكن يعرف من وجه الارض الا ما يسكنه او ما يجاور مسكنه ثم اخذت معرفته هذه تتسع بنسبة اتساع علاقاته مع جيرانه وجعلت ترتقي بارتقاء مصالحه في اول عهد العمران واكثر الناس حاجة الى ذلك الذين يتعاطون التجارة فيحملون محصولات بلادهم الى المدن

الاخرى كالفينيقيين ومن جرى مجراهم من الامم التي تمدنت قديماً ولكن رسم الارض على الخريطات او ما جرى مجراها فاول من فعل ذلك الهنود في اقدم ازمانهم ولكن الارض عندهم كانت عبارة عن بلاد الهند وفارس والتبت وجزيرة سيلان فقط والسبب في ذلك انهم لم يكونوا يعرفون من سطح الارض غير بلادهم وما جاورها قريباً واعتبر ذلك ايضاً في الاسرائيليين وما نقلوه عن حادث الطوفان وقد اختلف الناس في هل عم الطوفان الارض قاطبة او جزءا منها فزعم بعضهم انه عمها كلها بالاستناد الى عبارة التوراة بحرفها الواحد وقد فاتهم ان الارض التي غمرها الماء انما هي ارض شنعار وما جاورها وهي التي كانت معروفة عند اهل ذلك العصر

ويظن بعضهم ان المصريين هم اول من وصف الارض ورسم لها خطوطاً ورسموا خطوط نصف النهار وان ما حملهم على ذلك هو البحث في فيضان النيل ولكن ذلك ايضاً من قبيل التخمين

اما الامر المقرّر وشاهده واضح ان اول من وصف الارض موسى صاحب الشريعة الاسرائيلية فهو اوّل من ذكر البقاع والاماكن في اسفاره الخمسة كما انه اوّل من وصف الشعوب والقبائل من اوّل عهد الانسان الى زمانه (القرن الخامس عشر قبل الميلاد)

وجاء بعد موسى هوميروس الشاعر اليوناني في القرن العاشر قبل الميلاد فوصف الارض وحدد كثيراً من الاماكن التي كانت معروفة اذ ذاك وهي محصورة في بلاد اليونان وما جاورها وكان يعتقد ان جزائر اليونان مركز الارض

وكانت الارض في عرف موسى يحدها من الشمال جبال قوقاف ومن الجنوب بحر العرب والبحر الاحمر ومن الشرق ارض شنعار ومن الغرب بحر الروم وحدود مصر الغربية

وكانت جغرافية هوميروس عبارة عن جزائر اليونان وما يحيط بحر الروم من السواحل وكان يظن ان بحر بنطس (البحر الاسود) وبحر ايجيا (بوغاز الدردنيل) والبحر المتوسط تقسم الارض الى قسمين شمالي وجنوبي وقد سماها انكسيمندرس بعد ذلك اوربا وآسيا وفصل هوميروس احوال المدن التي كانت معروفة هناك في روايتيه الالياذ والاوديسا

وجاء بعد هوميروس هيرودوطس الرحالة اليوناني الشهير (في القرن الخامس قبل الميلاد) فطاف جانباً من اوربا وإسيا وافريقيا وترى ذلك متصلاً في تاريخه المشهور وهو قدوة المؤرخين في التاريخ القديم والارض على رأيه يحدها من الشمال الهيربوريين (حدود روسيا الآن) ومن الجنوب بحر اريثرة (البحر الهندي) والاوقيانوس الاوسترالي (البحر المحيط) ومن الشرق بلاد الهند ومن الغرب حدود اوربا الغربية وكان يعتقد ان اوربا اوسع من اسيا وله اقوال في تفصيل ذلك تلذ مطالعتها فلتراجع في كتابه المعروف باسمه وهو منقول الى اللسان العربي ومطبوع

وحصل بين زمن هيرودوتس وزمن اسكندر الاكبر (في اول القرن الرابع قبل الميلاد) تغيير مهم في الجغرافيا على ما يزعمون قالوا ان قائداً قرطجنيا اسمه حانون دار براكبه حول افريقيا ومعه جماعة من الرجال وان رجلاً يونانيا اسمه اسكيلاس تبع اثر القرطجنيين وبعد ذلك بخمسين سنة ألف رجل من اهل كنديا رحلة سماها رحلة حول الدنيا وقد فقدت وظهر غيره ايضاً بمثل ما ظهر ولكن افضلهم من هذا القبيل زينفون فقد كتب خلاصة ما تقدم . وبحث في مثل ذلك ايضاً ارسطو الفيلسوف اليوناني واصحابه وكل ذلك حدث بين اول القرن الرابع واواسط القرن الخامس قبل الميلاد

ثم ظهر الاسكندر الاعظم المكدوني بغزواته الشهيرة فاكتشف كثيراً من الاماكن ما لم يعرفه احد قبله وخصوصاً بلاد الهند واعالي بلاد فارس وغيرها فاتسعت المعرفة بسعة الارض ثم جاء استرابون وكتب في وصف الارض وكانت تتسع دائرتها في عرف هؤلاء كل واحد عن الذي قبله

ثم جاء الرومانيون بدولتهم وصولتهم واتساع ملكهم فاكتشفوا اجزاء اخرى من الارض ونبغ فيهم جغرافيون فضلاء منهم بلنياس وطاقيتس وايراتستين ومارين الصوري و بطليموس الاسكندري (ظهر في القرن الثاني) للميلاد وهو افضل من كتب عن الجغرافيا القديمة و وصلت الينا كتاباته وهو الذي اخذ عنه العرب في صدر الاسلام وتمتاز جغرافيته عن جغرافية الذين جاؤوا قبله بانها مؤسسة على اسس رياضية فلكية وفيها الخطوط والدرجات

فالعالم عنده مستدير وخريطة الارض عنده يحدها من الشمال جانب

روسيا في اوروبا وآسيا ومن الجنوب الاقيانوس الهندي وجبال القمر في وسط افريقيا ومن الشرق آخر حدود الهند ومن الغرب البحر الخارجي او البحر الغربي (البحر الاتلانتيكي) اي انه لم يكن يعرف من سطح الارض الا ثلاثة ارباع اوروبا ونصف اسيا ونصف افريقيا واما ما بقي من هذه القارات الثلاث وكل اميركا واوستراليا وجزائر المحيط وغيرها من الجزائر والبلدان فلم يكن له بها علم مطلقاً. واما ما تقدم من زعمهم بالسياحة حول افريقيا فهو من الاقوال التي لم تثبت وبقيت حالة الجغرافيا على مثل ذلك الى ظهور الاسلام

(٢) الجغرافية في الاسلام

كان العرب في جاهليتهم قلما يعرفون شيئاً عن احوال الامم المعاصرة لهم ما خلا الذين كانوا يحملون التجارة بين الهند وفارس ومصر والشام فهؤلاء عرفوا شيئاً عن بلاد الهند وفارس والشام والديار المصرية والحبشة وسائر سواحل البحر الاحمر فضلاً عن جزيرة العرب فلما ظهر الاسلام وفتحوا الامصار واختلطوا بالامم من الفرس والروم والسريان واتسع نطاق ملكهم اهتم خلفاؤهم في الدولة العباسية باستخراج علوم الاوائل على ما قدمنا وكانوا منذ اول فتوحاتهم ما فتحوا بلداً الا استقصوها وخصوصاً بعد ظهور الدولة العباسية . واهم الاسباب التي حملتهم على العناية في علم الجغرافيا خاصة اربعة (١) سعة الفتوح على عهد الخلفاء الراشدين فاضطروا الى معرفة البلدان وشعوبها لان بعضها فتح صلحاً وبعضها فتح عنوة وبعضها امانا. ولكل من احوال هذه الفتوح حكم في الشريعة في قسمة الفيء واخذ الجزية وتناول الخراج واجتناء المقاطعات والمصالحات واثالة التسويغات والاقطاعات (٢) اتساع نطاق تجارتهم فانها تجاوزت حد فتوحهم وقد بلغوا في ذلك درجة لم يبلغها غيرهم فكان العرب يتجرون في جميع انحاء المعمورة واطرافها وكانت لهم طرق تجارية عديدة اشهرها اربع تبتدئ من قادس وطنجة وتنتهي الى اقاصي البلاد الآسية اولاها تمر في الاندلس والاقطار الاوربية وبلاد روسيا حتى بحر الخزر وبلخ وبلاد تترغز والثانية تخترق القسم الشرقي من افريقية ومصر والشام والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وفارس وكرمان والسند والهند واما الطريقان الاخيرتان فتعبران بحر الروم وتمر احداهما في سورية والخليج الفارسي والاخرى في الاسكندرية والبحر الاحمر وتنتهي كلتاهما في بحر الهند . وبعبارة اخرى

ان تجارة العرب امتدت شرقاً الى الصين مارة في الجزائر الآسية وشمالاً الى اراضي القبائل الرحالة في اواسط اسيا والى بلاد الصقالبة (وهي الروسية) حتى شواطىء البلطيق وجنوباً الى ساحل افريقية الشرقي الى مدكسكر وغرباً الى اراضي السودان الشاسعة حتى شواطىء الاقيانوس الاتلانتيكي (٣) فرض الحج على اهل السنة من الاسلام فكانوا يقصدون الحرمين من اقاصي الدنيا على مثل ما يفعلون الآن فيجتمعون في مواقيت معينة في بغداد والقاهرة ودمشق ويسيرون منها الى الحجاز (٤) الرحلة في طلب العلم بعد ان ذاقوا حلاوته في اوّل عهد العباسيين

هذه هي أهم الاسباب التي حملت العرب على التوسع في علم الجغرافيا لانهم يحتاجون في كل ذلك الى معرفة الاصقاع والمدن والبلدان فاخذوا في تاليف الكتب فمنهم من اقتصر فيها على ذكر المدن المعمورة ومنهم من اجاد في ذلك واقتدى بعلماء اليونان فذكر البلد ووصفها وذكر المسافة بين البلدين وغير ذلك واشهر هؤلاء ابن خرداذبه واحمد بن واضح والجيهاني وابن الفقيه وابو زيد البلخي وابو اسحق الاصطخري وابن حوقل وابو عبد الله البشاري والحسن بن محمد المهلبي وابن ابي عون البغدادي وابو عبيد البكري والقزويني وياقوت الرومي الحموي وشمس الدين المقدسي وابو الحسن علي الهروي والشريف الادريسي وابو الفداء وابو العباس احمد السرخسي وعلي بن حسين المسعودي والمراكشي وعبد الرشيد الباكوري وابو القاسم الشيرازي والشيخ ازري الاسفرائيني والشيخ تقي الدين المقريزي

ومنهم من اقتصر على ذكر البوادي والقفار واحوال العرب والمعارهم وهم من اهل الادب كالاصمعي وابي عبيد والهمذاني وغيرهم من الرواة ومنهم السياح الذين جابوا الاقطار ودونوا ما شاهدوه من سهل وجبل وبحر ونهر فذكروه مع احوال اهله وعوائدهم وكل ما يتعلق بهم منهم ابن بطوطة والعلامة ابن خلدون وغيرهما وسيأتي تفصيل ذلك

فتنح مما تقدم ان العرب وسعوا علم الجغرافيا ورعوا فيه وعنوا في درس خوافيه وزادوا عليه كثيراً على ان جل عنايتهم كانت مبذولة في درس الاقطار الاسلامية بنوع خاص لانهم كانوا يأبون الرحلة الى بلاد الافرنج وغيرها وتفقد عادات اهلها ولذلك فان ما رووه عنهم اكثره مغلوط ولا يؤاخذون عليه لجهلهم لغات أولئك

الامم وصعوبة امتزاجهم بهم

اما معرفتهم في اطوال الارض وعروضها فكانت على مثال ما تناولوه عن اليونان مع بعض الزيادة فيه فكانوا يقسمون الارض الى سبعة اقسام يسمونها اقاليم ممتدة من الشرق الى الغرب وهاك تفصيل معتقدهم فيها نقلاً عن العلامة ابن خلدون قال بعد ذكر الانقسام الى الاقاليم السبعة « فالاول منها مارٌّ من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال في وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب ثم ان ازمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقليم الاول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله اطول الليل عند منقلبها الشتوي براس الجدي ويبقى للاقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة اربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث مما يلي الشمال ايضاً ينتهيان الى اربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد واما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت رأس خط الاستواء وبمثله سواء ينخفض القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب

الشمالي عنهُ وهو ثلاثة ابعاد متساوية تسمى عرض البلد »

وقسموا كل اقليم من هذه الاقاليم في طوله من الشرق الى الغرب الى عشرة اجزاء متساوية يذكرون في كل جزء منها ما اشتمل عليهِ من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها فاذا ارادوا تعيين مكان بلد او جبل قالوا انهُ واقع في الجزء الفلاني من الاقليم الفلاني فمصر عندهم واقعة في الجزء الرابع من الاقليم الثالث والشام في الجزء الخامس منهُ والاستانة العلية في الجزء الرابع من الاقليم الخامس وقس عليهِ

وزعم ملطبرن الجغرافي ان العرب جابوا البحر الاتلنتيكي طلبًا لاكتشاف اميركا قبل زمن كريستوفورس كلمبوس بازمان طويلة وقال ان الفئة الذين ساروا في ذلك الطلب يدعون المغرورين وقد اكتشف العرب اكتشافات حسنة في بحري الهند والصين ومن رأي ملطبرن ان جغرافيي اوروبا وراسمي الخرائط فيهم انما تقلدوا الكتب العربية تقليدًا ونحوا على منوالها وهاك أشهر من اشتغل في علم الجغرافية في الاسلام

(١) ابو زيد البلخي الف كتابًا سماه تقويم البلدان في اواسط القرن الثالث للهجرة وعنهُ اخذ الاصطخري والكتاب لم يصل الينا ولكن المسعودي نقل عنهُ

(٢) ابو اسحق الاصطخري صاحب كتاب المسالك والممالك الفهُ في اول القرن الرابع للهجرة وهو مطبوع في ليدن ومنهُ نسخة بالمكتبة الخديوية والاصطخري ولد في اصطخر من بلاد فارس في اواسط القرن الثالث للهجرة ورحل في طلب العلم وجاب بعض البلدان الاسلامية ودوَّن اخباره في رحلتهِ

(٣) محمد الجهاني صاحب كتاب المسالك في معرفة الممالك توفي سنة ٣٣١ ﻫ

(٤) ابو الفرج البغدادي صاحب كتاب التذكرة توفي سنة ٣٣٧ ﻫ

(٥) ابن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك كتبهُ سنة ٣٦٧ ﻫ وقد ترجم كتابهُ هذا الى الفارسية ومنها الى الانكليزية وفيهِ تخطيطات مشبعة تتعلق بجميع بلاد الاسلام واما البلاد الاخرى فلم يتكم عنها الا بوجه الاجمال

(٦) الشريف الادريسي ويلقبهُ الافرنج بجغرافي النوبة الف كتابًا للملك روجر الاول صاحب صقلية سنة ٥٤٨ سماه نزهة المشتاق شرح بهِ كرة ارضية مصنوعة من الفضة اشار بعملها روجر هذا وذكر في كتابهِ نباتات كل قطر

(١) وقع غلط في تتابع نمر الصحائف بالملزمة السابقة (٤٧) فيجب ان تكون نمرة الصحيفة الاولى منها ٣٦٩ والاخيرة ٣٧٦

(٧) ياقوت الحموي بن عبد الله وهو رومي الاصل حموي المولد بغدادي المقام ويلقب شهاب الدين توفي سنة ٦٢٦ هـ وكان ياقوت قد أسر من بلاده صغيرًا فاشتراه تاجر بغدادي وعلمه الكتابة لينتفع به فنبغ واشتغل في الجغرافيا فالف فيها كتابًا رتبه على حروف المعجم وسماه معجم البلدان وهو كتاب جليل مطبوع في ليبسك بالمانيا في ستة اجزاء والف كتابًا آخر اسمه المشترك وضعًا والمفترق صقعًا مطبوع في جوتنجن سنة ١٨٤٦ وكتاب المبدإ والمآل وكتاب الدول والمقتضب في النسب واخبار المتنبي وغيرها

(٨) البغوي وهو من علماء القرن الثامن للهجرة الف في الجغرافيا كتابًا سماهُ عجائب المولى في ارضهِ

(٩) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفداء سلطان حماه المؤرخ توفي سنة ٧٣٢ هـ وقد تقدم ذكره بين المؤرخين وله في الجغرافيا كتاب اسمهُ تقويم البلدان وفيهِ تخطيط الارض بتمامها على وجه التفصيل وقد رتبهُ على جداول بحسب الاقاليم مع ذكر درجات جميع الاطوال والعروض لسائر الاماكن وفي مقدمته كلام على علم الهيئة وقد اسهب بنوع خاص في وصف الشام لانها موطنهُ والكتاب مطبوع في باريس سنة ١٨٤٠ م في مجلد واحد

وقد ذكرنا في كلامنا عن علم التاريخ ان العرب كثيرًا ما يخلطون بين المؤرخين والجغرافيين او ان العلمين مرتبطان احدهما بالآخر ويندر ان يشتغل احد باحدهما دون الآخر ولذلك فان كثيرين من المؤرخين الذين تقدم ذكرهم قد اشتغلوا في علم الجغرافية كالمسعودي صاحب مروج الذهب والواقدي والمقريزي وابن الوردي وغيرهم فاكتفينا بما ذكر عنهم هناك ومنهم القزويني صاحب كتاب آثار البلاد واخبار العباد وكتابهُ خطي في المكتبة الخديوية . والبيروني المتوفي سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية مطبوع في ليبسك سنة ١٨٧٨ وشمس الدين المقدسي صاحب كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم مطبوع ليدن سنة ١٨٧٦

ومما ينطوي تحت الجغرافية الرحلات وقد ظهر في الاسلام عدد غير قليل من السياح طافوا البلاد ودونوا ما شاهدوه منها . منهم ابن فضلان الذي ساح في افريقيا

في القرن الثالث للهجرة ووصفها وصفًا جيدًا · والبيروني الفلكي ساح في بلاد الهند وكتب في ذلك كتابًا حسنًا في القرن الخامس للهجرة · وابن بطوطة الرحالة الذي طاف افريقية والهند والصين وروسيا وغيرها في القرن السابع · والحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الافريقي ساح في افريقية وبعض اسيا في القرن العاشر للهجرة وغير هؤلاء وقد تقدم ذكر بعضهم في كلامنا على الفلك والبعض على التاريخ

باب المراسلات

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

رأيت في هلالكم الاغر بحثًا جليل الفائدة جديرًا بان يخوض عبابه اولو الفضل والنقد الا وهو التمدن الاسلامي وبماذا قام وقد حدثتني النفس على قصر باعي وقلة بضاعتي ان اتطفل عليه تشبهًا باهله لعلي اصيب بعض الشيء ولكل مجتهد نصيب

سأل حضرة الفاضل محمد افندي سليم « هل قام التمدن الاسلامي (في صدر الاسلام) بالسيف ام بالقلم » فاجابه سعادة السري الفاضل عظم زاده رفيق بك جوابًا يدل على سعة علم وذكاء وفطنة ملخصه (١) ان التمدن الاسلامي لم يقم في صدر الاسلام (٢) ان الشريعة الاسلامية ·او الدين الاسلامي لم ينتشر بالسيف بل بالدعوة اليه (٣) ان التمدن الاسلامي قام بالقلم وليس بالسيف (٤) ان العامل الوحيد في قيام الشريعة الاسلامية ولكنني أرى في كل ذلك تساهلاً وباوح لي وجه للرد عليه فاستميح العذر في ابداء ما عنّ لي جوابًا على هذه المسائل الاربع فاقول

(١) هل قام التمدن الاسلامي في صدر الاسلام · فالجواب عليه يختلف باختلاف تحديد صدر الاسلام فاذا اريد به زمن الخلفاء الراشدين فقط فالتمدن لم يقم فيه اما اذا اريد به المدة من ظهور الدعوة الاسلامية الى عصر العباسيين فالتمدن الاسلامي قد قام

فيه والظاهر ان هذا ما اراده حضرة المقترح الاول بسؤاله . وسواء صح تحديد هذا او لم يصح فالمراد بسؤاله ظاهر

(٢) ان الشريعة الاسلامية لم تنتشر بالسيف . وهذا لا اوافق سعادته فيه لان المشهور والمقرر انها انما انتشرت بالسيف وهذا معنى « الجهاد في سبيل الله » وفي صحيح البخاري «جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل الذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» والتاريخ يؤيد ذلك فان الفتوحات في صدر الاسلام كانت بالسيف وهي فتوحات دينية او هي الدعوة الى الاسلام فكانوا اذا جاؤوا مدينة خيروا اهلها بين الاسلام او الجزية او السيف كما هو مشهور وزد على ذلك ان الكتاب يدعو الى الجهاد والحديث النبوي يؤيده . ومما ورد في الكتاب العزيز في الجهاد قوله في سورة التوبة « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » وقوله فيها ايضاً « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقوله في سورة النساء « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرًا عظيماً » وقوله في سورة البقرة « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافرٌ فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم » وقوله في سورة الانفال « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » . وغير ذلك من الآيات الشريفة التي تدعو الى الجهاد في سبيل الله وبعبارة اخرى الى نشر الدين الاسلامي بالسيف والحديث النبوي يؤيد ذلك

وفي الحديث النبوي « اعلموا ان الجنة تحت اظلال السيوف » و « هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وفي صحيح البخاري « سأل محمد بن مسعود (رضه) النبي (صلعم) قائلاً يا رسول الله اي العمل افضل قال الصلاة على ميقاتها قال ثم ايّ قال البر بالوالدين قال ثم ايّ قال الجهاد في سبيل الله » وامثلة ذلك كثيرة لا تعد ولا تحصى ولا اظنها تخفى على سعادته

(٣) التمدن الاسلامي قام بالقلم وليس بالسيف . هذا هو الجواب الذي عليه مدار المسألة ولنا فيه نظرٌ بعد ان ثبت ان الشريعة الاسلامية امتدت بالسيف فقد قال سعادته ان الشريعة هي العامل الوحيد في قيام ذلك التمدن والشريعة قامت بالسيف فالتمدن قام بالسيف هذا ما يستنتج اذا سلمنا بقول سعادته ان الشريعة هي العامل الوحيد في قيام التمدن ولكننا نخالف حضرته بذلك كما سيجيء

(٤) ان العامل الوحيد في قيام التمدن الاسلامي الشريعة الاسلامية . وهذا امر يحتاج الى دقة نظر وحسن روية وفي الحكم فيه في المسألة التي نحن في صددها فنقول

التمدن الاسلامي عبارة عما وصلت اليه الدولتان الاموية والعباسية من العلم والحضارة واتساع التجارة وما شاكل ذلك من نتائج التمدن وقد كان معظم ذلك في عهد الدولة العباسية كما تراه مفصلاً فيما يدرجه هلالنا الزاهر في باب تاريخ آداب اللغة العربية وينحصر ذلك في الدين والعلم والسياسة . اما الدين فهو الشريعة الغراء فلنبحث اذن في هل كانت الشريعة الغراء العامل الوحيد في تقدم العلم والسياسة والجواب ان العلوم التي اشتغل بها الاسلام قسمان (١) العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والحديث وغيرها مما حدث بحدوث الاسلام وهو مبني على الكتاب والسنة . (٢) العلوم الدخيلة وهي التي تناولوها عن اليونان والفرس والسريان وغيرهم وفيها علوم الطب والهندسة والفلك والكيمياء والطبيعيات والرياضيات وغيرها

فالعلوم الاسلامية قامت بقيام الشريعة والشريعة قامت بالسيف واما العلوم الدخيلة فلم يستطع الاسلام الوصول اليها الاّ بعد ان اتسع ملكهم وتايدت دولتهم حتى كاتبوا الامبراطرة وبعثوا الوفود لاستنساخ الكتب وتعلم العلوم وترجمتها ولم يتاتَّ لهم ذلك الاّ بالفتح والجهاد كما تقدم ولولا ذلك ما توصلوا الى هذه العلوم ولا استطاعوا

التوسع فيها فهي اذا لم تكن قد قامت بالسيف فالسيف قد مهد لها السبيل وكان الوسيلة في الوصول اليها ثم ان القلم هو الذي ايدها ونشرها

أما السياسة وهي تدبير المملكة وحفظ العلاقات والنسب بين الدولة ورعاياها ومعاصريها فأساسها الكتاب والسنة ولكنها توسعت وتفرعت بما اخذه الاسلام من تمدن الدول التي افتتحوا بلادها كالفرس والروم والقبط فان ادارة المملكة في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن يستغنى فيها عن الكتبة والمترجمين وغيرهم من اهل البلاد الاصليين وهم الروم في الشام والفرس والسريان في العراق والقبط في مصر واللغة التي كانوا يدونون بها الاعمال لغة اهل البلاد لانهم لم يستعملوا اللغة العربية في الدواوين الا في اوائل الدولة الاموية على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وعليه فان اعمال الحكومة ظلت نحواً من ثمانين سنة يتولاها اهل البلاد الاصليون ولا بد من تاثير ذلك في السياسة الاصلية فيما خلا الشرع الشريف . والقاعدة في تاسيس الممالك ان اهل البلاد المفتتحة يتقلدون المفتتحين بسائر اخلاقهم وعوائدهم واحكامهم وهكذا كان الحال في البلاد التي افتتحها العرب ما خلا الامور الادارية والسياسية فانهم لسذاجة الجاهلية لم يكونوا على شيء من أمر الملك وتدبيره فاخذوا ذلك عن الممالك التي افتتحوها وتقلدوا اعمالها في ترتيب دواوينهم واعمالهم الا ما كان منها مخالفاً للشريعة الغراء وكل ذلك لم يتيسر لهم الا بعد الفتح وتاييد الملك وهذا انما كان بالسيف فالسيف ممهد للسياسة . والخلاصة ان التمدن الاسلامي تأسس ونشأ بالسيف وتوسع وتأيد بالقلم وفوق كل ذي علم عليم

(القاهرة) (ر . ن)

العفاف سياج العمران

حضرة الفاضل منشىء الهلال الساطع

لا بدع ان تاقت النفوس وتطاولت الاعناق لبزوغ هلالكم الانور منتظرين ذلك بنزوغ صبر ولا استهلال. الهلال وهذا لعمر الحق اصبح اشهر من القمر بما تدرجونه في صفحاته النيرة من المقالات التنشيطية التهذيبية العائدة على الهيئة الاجتماعية

بجليل الفوائد وجزيل العوائد ولما كانت مقالتكم الاخيرة التي هام القراء بها هياماً وتهافت على الكتابة عليها اولوا الاقلام السيالة حركني خاطري الفاتر وحرضني فكري القاصر ان اكتب بضع كلمات وان كنت لست من فرسان هذا الميدان فاقول

لا شك ولا ريب بان ادخال (علم الاخلاق) بمقدمة العلوم التي يتلقاها التلميذ في المدارس الابتدائية ومن ثمة استئناف (فلسفة علم الاخلاق) في المدارس الثانوية والعالية وتطبيقها على الامور الفلسفية والزمنية لما يكون باعثاً على رسوخ اسس العفاف في اذهان اولئك الطلبة ومن اجل ذلك تراهم قد شبوا على محاسن الاخلاق وطيب الاعراق بعيدين عن كل ما يخل بالناموس او بالحري هم انقياء وبهذه الواسطة يكونون قد احرزوا الفضيلتين الدنيوية والاخروية وابتعدوا عن الانغماس في الرذائل وجعلوا بينهم وبينها سداً منيعاً

هذا ولما كان الانهماك في الشهوات البدنية والملاذ الموقتة الدنيئة الدنيوية من الامور التي اضرارها بديهية اقلها ان تؤدي بصاحبها الى الهلاك بما ينالهُ من الامراض الوخيمة السريعة التنقل بواسطة (الميكروبات) التي لا ترى فهناك الطامة الكبرى والبلية العظمى و بالفرض انهُ عاش لكنها ساءت عيشة تخللها ضروب الامراض الاليمة وانواع الاوجاع المستديمة التي لا تنفك حتى آخر رمق من الحياة

والذي يسوقهُ سوء حظهِ (حمانا الله) الى الانهماك بالملاذ الدنيوية الدنيئة يظن في نفسه انهُ انما يفعل حسناً لكن ساء ما ظن فهو كمن يرى قصراً يناطح الغمام في ارتفاعه واتقانهِ فيبادر الى هدمه زاعماً انهُ سيبنيهِ على طرز يفوق طرزه لكنهُ لا يلبث ان يرى ذلك القصر مهدوماً لا يستطيع ان يعيد منهُ حجراً واحداً فيبكي ويندم ولات ساعة مندم او كمن يقول في نفسهِ انني وان كنت الآن اصنع ما اصنع من الامور المنافية لرضاء الله سبحانهُ وتعالى فغداً اتوب ان شاء الله والله يقبل التائبين فيعتصم بحبل التوبة ويتشبث بالاوبة وهو لا يدري في اي ساعة يكون اجلهُ المحتوم فيعلل نفسهُ بالآمال وبعض الواحد المتعال نابذاً قول ابن الوردي رحمهُ الله حيث قال

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرء الا وصل

ومن احسن الوسائل للافاة هذه الضربات ان تهتم الحكومة بما يأتي ..

(أولاً) ادخال تعليم الاخلاق في بروغرام المدارس كل بحسب درجاتها

(ثانياً) قمع جماح ارباب الرذائل والمنكرات وردع تلك الفئة الطاغية من العاهرات بان تبعدهنّ (اذا لم تقل تنفيهنّ اصالة) الى خارج المدينة حفظاً لناموس اولئك الشبان (والشابات) ايضاً

واسأله تعالى ان يوفق ولاة امورنا الى ما به الصلاح للعباد وعمران البلاد

(طرابلس الشام) حكمت شريف

ووردت علينا رسالة ضافية في هذا الباب من حضرة الفاضل الشيخ احمد محمد الالفي كلها حكم ونصائح اكتفينا بنشر جزء منها مراعاة للمقام قال

ويجب على الحكومة إقفال محلات المومسات واماكن اللهو ومحال مبيع المسكر بانواعه فان التصريح بالزنا بفتح محلات للبغايا واعطائهنّ شهادات بأنهنّ يصلحن للزنا لمن اكبر الخبثيات ومبيع المسكر جهاراً من غير منكر لمن اكبر العوامل المتلفة للاخلاق والأغراض والأموال ومن قال ان فتح هذه المحلات فيه صيانة للاحرار ورواج للتجارة التي بها تكثر الخيرات فيجاب عليه ان فتح هذه المحلات يعلم الناس الزنا والفجور والانكباب على الشهوات والملذات التي بسببها تقصر الأعمار وتخرب الأوطان وتفتح لمرتكبها ابواب النيران ويجب عليها ايضاً ان تسن قانوناً على مقتضى النواميس الالهية لاقامة الحدود على كل من ارتكب محرماً في دينه ولم يحافظ على آداب شريعته وحيث كانت الحرية هي العدل والمساواة في الحقوق والحدود والواجبات فلا نظن ان احداً يجهل ان الحرية بالمعنى المذكور لا تخرج عن حد قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وليس من العدل استحلال ما حرّم الله ورسوله والانهماك فيما يوجب الدمار ويعقبه عذاب النار واي دولة من الدول المتمدنة بالعلم والدين تبيح الزنا والسكر جهاراً وشرعها لا يبيحها والشرع مأخوذ عن الوحي الالهي والله يعلم ما هو الاصلح لعباده فكيف يستحلون الزنا بعلل واوهام ما أنزل الله بها من سلطان ومتى عمل كل انسان بواجباته من الافراد والعلماء والرؤساء وشدد النكير واقيمت الحدود على مرتكب المنكرات بعد منع اسبابها طهرت النفوس بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وظهرت نتيجة العفاف الذي هو سياج العمران واصل السعادة لكل انسان

(طوخ القراموص) احمد محمد الالفي خادم العلم الشريف

باب السؤال والاقتراح

الأسلحة النارية

(كروسكو) عابدين افندي نجل حسين باشا خليفه

نرجو الافادة عن اول من اخترع البارود والاسلحة النارية وتاريخ ذلك ولكم الفضل

(الهلال) الاسلحة النارية نوع من الآلات القاذفة تقذف بها ادوات القتل او الهدم الى مسافة والآلات القاذفة نوعان نارية وغير نارية فالنارية ما كانت القوة القاذفة فيها نارًا وهي البارود وادواتها المدفع والبندقية والفرد وما شاكل وهي حديثة وعليها مدار الجواب على سؤالكم

أما غير النارية فالقوة القاذفة فيها القوس او الوتر او مرونة بعض الاجسام او قوة الاستمرار والآتها القوس والنشاب والمقلاع والمنجنيق وما شاكل

والآلات القاذفة غير النارية قديمة لان استعمال القوس والنشاب والمقلاع قديم جدًّا وهي ابسط هذه الآلات ثم تفننوا بها فاخترعوا آلة استعملها الرومانيون سموها كتابولطة اخترعها ديونيسيوس سنة ٤٠٠ ق م كانوا يرمون بها السهام بسرعة عظيمة الى مسافات بعيدة . اما المقلاع فهو آلة ترمى بها قطع صغيرة من الحجارة بقوة الدفع عن المركز يستعملها الرعاة لرد الاغنام اذا شردت فاستخدم الرومانيون آلة تدفع قطعًا كبيرة من الحجارة لهدم الاسوار والبيوت وهي المنجنيق كانوا يقذفون به قطعًا من الحجارة او غيرها زنة القطعة منها ٣٦٠ رطلاً مصريًّا . والمنجنيق انواع منها ما كانوا يديرونهُ بالحبال ومنها بالعجلات او غير ذلك

أما مخترع المنجنيق فقد اختلفوا في حقيقته فقال بليبيسيوس ان الفينيقيين اول من اخترعهُ ولكن بلوتارخوس وديودوروس يقولان ان المنجنيق والكتابولطة اخترعا معًا في القرن الرابع قبل الميلاد في صقلية بايطاليا ثم تفننوا في اصطناعها كثيرًا وانتشر

استعمالها في سائر انحاء العالم المتمدن وكان المعوّل عليها وخصوصاً المنجنيق في سائر حروب الاسلام لهدم الاسوار وغيرها وما زال الاعتماد عليها الى القرن الرابع عشر للميلاد عند ما اخترع البارود والبنادق كما سيأتي

الآلات القاذفة النارية

وهي الاسلحة النارية حدثت بعد اختراع البارود واهم ادواتها (١) البارود (٢) المدفع وما يتفرع عنهُ من البندقية والطبنجة وغيرها (٣) القنبلة وما يتفرع عنها كالرصاصة وغيرها فلنتكلم عن كل منها على حدة

(١) البارود . اختلف المؤرخون في مخترعهِ فقال بعضهم انهُ قديم وان الصينيين والهنود عرفوهُ واستخدموهُ قبل المسيح باجيال وقال آخرون غير ذلك ولكن المتفق عليهِ انهُ من اختراع الجرمانيين اخترعهُ راهب فرنسيسكاني اسمهُ ميخائيل شوارتز في جنوبي برنسويك بالمانيا سنة ١٣٢٠ م ومن هناك انتشر استعمالهُ وتداولتهُ الايدي وأُتقن اصطناعهُ

والبارود مزيج من النطرون (ملح البارود) والكبريت ومسحوق الفحم بكميات تختلف النسبة بينها باختلاف الاماكن والغرض المقصود منها اما كيفية اصطناعهِ فانهم يسحقون هذه المواد الثلاث كل واحدة على حدة سحقاً جيداً ثم يمزجونها معاً في حوض مزجاً جيداً باليد ثم يبلون المزيج بالماء ويجعلونهُ كتلاً في مطحنة ويديرون الرحى عليهِ بلطف حتى يتم مزجهُ فيخرج كتلاً عجينية القوام سوداء اللون ولكن العمل شديد الخطار للغاية اذ كثيراً ما حمي المزيج في المطحنة فاشتعل واحرق الصانع وبيته والعياذ بالله . ثم يجعلون هذه الكتل على صفائح من نحاس في مكبس شديد الضغط ثم يجففون الكتل ويغلونها حتى يصير المزيج ناعماً او خشناً على قدر الحاجة لان البارود يختلف خشونة بين الناعم الدقيق وما قدر حبتهِ بحجم اللوزة وذلك للمدافع الكبيرة

والبارود يصطنع في سائر انحاء اوربا بكميات كبيرة فان الصادر منهُ من انكلترا وحدها نحو عشرين مليون ليبرة (رطل مصري) في السنة . واما اسمهُ فهو معرب بودر بالفرنساوية (poudre) ومعناه مسحوق اشارة الى انهُ مؤلف من مساحيق

(٢) المدفع وفروعهُ . اول من اصطنع المدفع شوارتز الراهب الالماني المتقدم ذكره بعد اختراع البارود بقليل وكان مدفعهُ عبارة عن انبوب بسيط للغاية على انهم

يقولون ان المراكشيين استخدموا المدافع قبل ذلك بمئتي سنة ولعلها مدافع غير نارية وقالوا ايضاً ان كثيراً من المواقع حصلت في الاندلس ومراكش كانوا يستخدمون المدافع فيها وذلك كله قبل زمن اختراع البارود ولكنهم يؤكدون استعمال اهل مراكش مدافع تقذف قنابل من الحديد بواسطة النار سنة ١٣٣١ وهو نحو زمن اختراع البارود

ثم اخذوا يتفننون في اصطناعه بين كبير وصغير فاخترعوا البنادق الصغيرة والمدافع الكبيرة الهائلة والفرود ذات الطلق والطلقين او الطلقات المتعددة مما لا يقع تحت حصر . وانواع المدافع والبنادق كثيرة منها مدافع كروب وارمسترونغ ولانكاستر وكاتلين وغيرها وبنادق رمينتون ومارتيني وغيرها

(٢) القنابل . المظنون ان البنادقة اخترعوا القنابل سنة ١٣٧٦ م ولكن المؤكد ان الجنود العثمانية استخدمتها في حصارها لجزيرة رودس سنة ١٥٢٢ م وهم اول من استخدمها للحرب وربما كانوا هم الذين اخترعوها ثم استعملها النمساويون والاسبانيون في حروبهم سنة ١٦٣٤ ثم استخدمها الفرنساويون سنة ١٧٩٣ احملها اليهم رجل انكليزي اسمه مالطوس

اما اشكال القنابل فكانت اولاً مستديرة كروية وهي ابسط الاشكال ثم جعلوها هرمية او مخروطية او اسطوانية او غير ذلك

انقضاء العالم

(طنطا) جرجي افندي روفائيل قربه

اطلعنا على جريدة الاهرام عدد ٥١٠٨ فاذا فيها ان الكون ينقضي سنة ١٩٠٨ ويصعد الى السماء ١٤٤ الف شخص وهم احياء وهذا امر لم يسلم به عقلنا فنرجو الافادة عن الحقيقة في الهلال الآتي ولكم الفضل

(الهلال) نقلت جريدة الاهرام ذلك الخبر على علاته وناقل الكفر ليس بكافر والواقع ان الارض لا تخلو من اهل الخرافات وتكاد لا تمضي سنة لا يظهر فيها واحد او غير واحد يقولون بمثل هذا القول والحقيقة ان زمن انقضاء العالم من الغوامض التي لم تُكشف لاحد من الناس لا بطريق العلم ولا بغيره فانبذوا كل ما تسمعونه من هذا القبيل نبذ النواة فانها اقوال مبنية على مجرد الوهم يريد بها اصحابها اكتساب

الهلال

الجزء الحادي عشر من السنة الثالثة

(اوّل فبراير (شباط) سنة ١٨٩٥ ‖ ٦ شعبان سنة ١٣١٢ ‖ ٢٥١ طوبه سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



فولتير

الفيلسوف الفرنساوي الشهير

(ولد سنة ١٦٩٤ وتوفي سنة ١٧٧٨ م)

هو المنشئ البليغ والشاعر المجيد والفيلسوف الكبير «ماري فرنسوا اروبت» وشهرتهُ فولتير وهو اسم لقطعة من الارض كانت ملكاً لوالدتهِ فلقب هو بها

ولد في شاتني بالقرب من مدينة باريس في ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٦٩٤ وكان والده فرنسوا اروبت من أعيان شاتليت وكان صرّافاً لقلم الحسابات فيها فولد صاحب الترجمة في حالٍ من الضعف لم يكن يرجى له معها البقاء ولم يستطيعوا تعميدهُ الّا في الشهر التاسع من ولادتهِ ولكنهُ ما لبث ان نشأ وترعرع فأدخلوهُ المدرسة فأظهر من النجابة والذكاء وحدّة الذهن ما حببهُ الى أساتذتهِ مع اعجابهم بهِ فتنبأوا بخطارة مستقبلهِ لما توسموهُ فيهِ من النباهة وحدّة الذهن وكان اكثر الناس اعجاباً بهِ رئيس دير شاتونوف وكان من أقربائهِ فأخذ على عاتقهِ معاضدتهُ وتربية عواطفهِ وتغذية عقلهِ فأوعز اليهِ ان يحفظ كتاباً من كتب روسو الفيلسوف على ظهر قلبهِ واسم ذلك الكتاب (مويساد) فحفظهُ وهو في الثانية عشرة من سنيهِ ثم حملهُ ذلك الرئيس الى نينون دي لانكو وهي امرأة عظيمة الشأن في فرنسا (ولدت سنة ١٦١٥ وتوفيت سنة ١٧٠٦) وكانت محبة للعلم والعلماء فعاصرت موليير وفونتيل الفرنساويين وكانت تجالسهما وتسرُّ بهما وكانت ذات ثروة ولم تتزوج فلما سار فولتير اليها كانت في آخر سنة من حياتها فتوسمت فيهِ النجابة واعجبت بهِ فوهبتهُ الفي فرنك ليبتاع بها كتباً ويقال انهُ اقام عندها زمناً كتب فيهِ روايتهُ التي سماها «المستودع»

وعني الرئيس بعد ذلك بتعريف فولتير بجماعة الأعيان والكبراء الذين اشتهروا اذ ذاك بحبّ العلم وتنشيط أهلهِ فتوصل فولتير بذلك الى مجالسة جماعة من أمراء العائلة الملكية الفرنساوية فنشأ على اللطف والأدب والرقة وأحبهُ العظماء والاعيان وامتدحوا ما كان ينظمهُ احياناً او يكتبهُ فازداد رغبة في العلم والأدب فأوجس والده خيفة من تلك المخالطة فالتمس من الموسيو شاتونوف سفير فرنسا في هولاندا اذ ذاك ان يأخذ فولتير معهُ اراد بذلك انقاذ الغلام من أخطار تلك المخالطة ولكنهُ ما لبث طويلاً حتى عاد الى والدهِ وسبب عودتهِ انهُ أحبَّ فتاة بروتستانية في لاهاي حباً شديداً فأعادهُ السفير الى والدهِ فخاف والده عليهِ لئلا يعود الى معاشرة اعيان فرنسا على صغر سنهِ مع تعلقهِ بالشعر وميلهِ الى الهجاء مما قد يكون سبباً للهلاك اذا زلّ قلمهُ فاشترط والده عليهِ أن يكفَّ عن ذلك ويدرس صناعة المحاماة فقبل فولتير لكنهُ

ما لبث ان عاد الى ما فطر عليهِ فنظم قصيدة هجا بها لويس الرابع عشر ملك فرنسا فحكم عليهِ بالسجن فسجن في الباستيل سنة نظم في اثنائها قصيدة سماها (التعاهد) ورواية سماها (اوديبوس) قالوا انها احسن ما كتبهُ من حيث شرح العواطف الحقيقية وذلك سنة ١٧١٨ ثم أُطلق سراحهُ بدعوى انهُ مريض يحتاج الى تبديل الهواء في بلومبيار فسار وقد عوَّل ان لا يعود الى فرنسا ولكنَّ قلة ثني عزمهُ فعاد الى مثل ذلك فأُعيد الى السجن مهاناً بالضرب واللكم سنة ١٧٢٦ فلبث هناك ستة اشهر ثم أُطلق سراحهُ فغادر فرنسا والتجأ الى انكلترا لعلهُ يتخلص من دسائس الفرنساويين فأعلن هناك عزمهُ على طبع روايتهِ التي سماها « هنرياد » وفتح باباً للاشتراك فأقبل السواد على اقتنائها فجمع مالاً كثيراً وكان فولتير قادراً على جمع المال خلافاً لغيره من العلماء والفلاسفة وقد قال فيهِ بعض واصفيهِ « اذا لم يكن فولتير من اعاظم الكتاب فهو ولا ريب من أمهر الماليين »

وبعد ان قضى فولتير ثلاث سنوات في لندرا عاد الى باريس يتنازعهُ عاملان قويان العلم والمال فقسم وقتهُ قسمين شغل قسماً بالتجارة لتحصيل المال وقسماً بالعمل للتأليف والتصنيف وفاز في الفريقين وفي سنة ١٧٣٠ نشر رواية سماها « بروتوس » وصف فيها مقتل قيصر وهي من احسن رواياتهِ ثم أظهر روايات أخرى منها « صارة » و« ميروبا » و« الزاير » وغيرها وكتب مقالات كثيرة فلسفية تعرض فيها للدين والسياسة فاحرقت بامر مجلس البرلمان واضطر هو الى مغادرة باريس خوفاً على حياتهِ

ثم اتيح لهُ الرجوع فعاد وتولى منصباً رفيعاً في الحكومة الفرنساوية وتعين سنة ١٧٤٦ عضواً في الاكاذيمية الفرنساوية كل ذلك بمساعي مدام دي بومبادور لتقرب زوجها الماركيس من لويس الخامس عشر ملك فرنسا

وفي سنة ١٧٥٠ دعاهُ فريدريك الاعظم ان يقيم في بوتسدم ببروسيا فاقام فيها ثلاث سنوات فوقع بينهُ وبين فريدريك نفور حملهُ على مغادرة بروسيا ومعهُ نسخة من منظومات فريدريك الاعظم فعلم هذا بذلك فبعث جماعة اوقفوه اثناء الطريق فاسترجعوا النسخة منهُ واطلقوا سراحهُ فسار الى كولمار ومنها الى جنوى واخيراً اقام في فرني وهي قرية صغيرة لم تكن معروفة قبل عهد هذا الفيلسوف فلما اقام فيها صارت مقصداً للعلماء والصناع حتى دعاها بعضهم « عاصمة العلم والفلسفة » اذ كان يحج اليها

مريدو فولتير من سائر اقطار اوربا وقد طعن في السن فكان يستقبل زائريه بكل رعاية وإكرام وينزلهم على الرحب والسعة فيقيم بعضهم عنده اليوم واليومين وبعضهم الأسبوع والأسبوعين وبعضهم الشهر والشهرين على احسن ضيافة وهم في شبه مصيف في منزل محاط بالحدائق والرياحين والجو صاف والمكان هادئ فكانت نفوس ادباء اوربا تشتاق الى مشاهدة هذا الرجل فمن لم يستطع زيارته لبعد المزار كتب اليه يستفتيه او يسترضيه

ولما مضى عليه مدة في تلك القرية الزاهرة عادت العلائق الودية بينه وبين فريدريك ولو ظاهرياً فكان يكاتبه وكذلك كاترينة امبراطورة روسيا وملوك آخرون وكثيرون من عظماء الارض وعلمائها على اختلاف الاصقاع والنحل كل هؤلاء كانوا يكاتبون فولتير وكان يجيب كلاً منهم جواباً وافياً على سؤاله وعلى مقتضى حاله

واقام فولتير في تلك القرية زمناً طويلاً فحنت نفسه الى الوطن فاغتنم فرصة زواج بعض اصدقائه وصحبه الى باريس ولا تسل عما لاقاه هناك من الاحتفاء والاحتفال حتى كان الناس يغنون في الطرق حول مركبته بمجونه او يذكرون بعض مؤلفاته المشهورة وفي جملتها رواية «ايرين» فاصطنعوا لها تمثالاً وجاؤا به اليه

وزار الاكاذيمية الفرنساوية هذه المرة وعرض عليهم انشاء قاموس للغة الفرنساوية على نسق حديث فاجابوه الى رأيه فاخذ في العمل بجد وسهر فاعياه التعب وتولى عليه الارق فوصفوا له الافيون لتسكين اعصابه فتناول منه جرعات كبيرة اضرت في صحته حتى اوردته حتفه في ٣٠ مايو (اذار) سنة ١٧٧٨ وله من العمر ٨٤ سنة وثلاثة اشهر وثمانية ايام

وكان فولتير مع كل ما تقدم من الشهرة والمنزلة العليا معطلاً لا يؤمن بوحي الكتب المقدسة فلما ثقلت عليه وطأة المرض حاول الكهنة رده عن سابق اعتقاده فقال بعضهم انه اصرّ على اعتقاده وقال آخرون انه تاب ورجع وهم في خلاف من هذا القبيل والذين يزعمون انه لم يرجع عن اعتقاده قالوا ان الكهنة لم تأذن بدفنه كجاري العادة وان احد ابناء اخيه كان رئيساً لدير فاخذ الجثة سراً الى ديره ودفنها في الكنيسة وفي سنة ١٧٩١ نقلت الجثة الى البانثيون مدفن العظماء والكبراء ولا تزال هناك الى الآن

وكان فولتير كاتباً بليغاً كثير الهجو وخطيباً مصقعاً اذا خطب أثر كلامه في سامعيهِ تأثيراً عظيماً فانتشرت مباديه في فرنسا وغيرها انتشاراً عظيماً في اواسط القرن الماضي حتى كانت على ما يقال من اقوى اسباب الثورة الفرنساوية المشهورة لما بثهُ بين الفرنساويين من مبادي الحرية وكانت تلك البلاد تئن من وطأة الاختلال

وقد بلغت مؤلفاتهُ سبعين مجلداً في مواضيع مختلفة من الادب والشعر والفلسفة وما شاكل وقراؤُها قسمان وكل منهما يقرأها باهتمام فاما ان يكون له نصيراً قوياً او عدوًّا لدوداً وهذا شأنها الى الآن



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

النهضة العربية في عصر العباسيين

العلوم الدخيلة

(٨) الكيمياء

الكيمياء علمان قديم وحديث فعلم الكيمياء القديم يراد بهِ تحويل بعض المعادن الى بعض وعلى الخصوص تحويل المعادن الدنيئة كالقصدير والرصاص والنحاس الى المعادن الثمينة كالفضة والذهب وعلم الكيمياء الحديث صناعة يبحث بها عن خواص العناصر وقواعد تركيبها وتحليلها · ومدار كلامنا في هذا الفصل على العلم القديم لان الحديث حدث بعد العصر الاسلامي الذي نحن في صددهِ ولم يكن للعرب المام فيهِ الآ ما جاء في كتبهم عرضاً كما سنرى

ونقسم الكلام في هذا العلم الى قسمين (١) علم الكيمياء قبل الاسلام (٢) علم الكيمياء في الاسلام

علم الكيمياء قبل الاسلام

يظهر من منشإ هذا العلم قديماً انهُ كان اقرب الى مبادئ الكيمياء الحديثة ثم انفصل العلمان فتحوَّل احدهما الى الاوهام والخرافات وهو علم الكيمياء القديم وصار الآخر علماً نافعاً عاد على العالم بأحسن النتائج وهو علم الكيمياء الحديث

ولما كان علم الكيمياء على حقيقتهِ يبحث في الاجسام وخصائصها وكان الانسان في حاجة الى النظر في ما يحيط بهِ من الاجسام لرجوعهِ اليها في قضاء حاجاتهِ وهي تتناول اقدم ما احتاج اليهِ في ابسط حالاتهِ كالطعام واللباس كان اشتغالهُ في علم الكيمياء قديماً مرافقاً لعهد عمرانهِ وقبل ان يوضع لهُ هذا الاسم فان الطبخ والعجن واختصار سائر الخمور وتسميد الارض وما شاكل ذلك كلها اعمال كيماوية لانها عبارة عن تحليل وتركيب

على ان ذلك لا يمكن نسبة اختراعهِ الى أُمة من الامم لقدم العهد بهِ اما اقدم ما عرف مخترعوهُ من الاعمال الكيماوية فالاصبغة واصطناع الالوان وصناعة الزجاج واستخصار بعض العقاقير الطبية وما شاكل ذلك فهذه كلها وجدت من قديم الزمان في الديار المصرية على عهد الفراعنة ولا غرو فان وادي النيل منشأ معظم عوامل الحضارة

ولا يخفى ان العلوم في عهد المصريين القدماء كانت محصورة في جماعة الكهنة لا يبيحون بها الاَّ لفئة من الناس يختارونهم ممن يرون فيهم الاهلية لاكتساب هذه العلوم وحفظها فاقاموا لذلك جمعيات سرية لا يقبلون فيها الاَّ من يتحققون كفاءتهُ كما تفعل الجمعيات الماسونية وربما كان لكل علم او صناعة جمعية خاصة فجمعية الفنون الكيماوية كانت تقسم تلك الفنون على رتب يتدرج فيها الطالب بحسب استحقاقهِ فاول ما يقبل الطالب في جمعيتهم يلقونهُ فنون الرتبة الاولى وهي استخصار بعض المركبات التي لا تحتاج الى طويل نظر فاذا تمكن من هذه ورأوا فيهِ اهلية لسواها القوا اليهِ مقاليد فنون الرتبة الثانية وفيها صناعة الزجاج والصباغة والتحنيط وبعد ذلك يكشفون لهُ الغطاء عن فنون الرتبة الثالثة وفيها بعض المستحضرات

الطبية كالعقاقير والادوية وما جرى مجراها

وبقي هذا العلم محصورًا في تلك الفئة من المصريين حتى دالت دولة الفراعنة وتداخل اليونانيون ثم الرومانيون في اعمال دولتهم فرأوا هنالك كنوزًا مخبأة من العلم والصناعة فعكفوا على اكتسابها ونقلها الى بلادهم فانتشر علم الكيمياء في العالم وانقسم اصحابه اذ ذاك الى فئتين فئة نظرت في تلك الفنون من حيث منفعتها الظاهرة الجلية وفئة جنحت الى التلبس بدعاوٍ وهمية لا اصل لها يوهمون بها على بسطاء العقول فتولد عنها علم الكيمياء القديم ونسبته الى العلم الحديث كنسبة التنجيم والسحر الى علم الهيئة

فعلم الكيمياء القديم لم يكن علمًا مستقلاً في عهد الفراعنة على ان نصراءه يزعمون ان واضعه رجل يقال له هرمس تريسميجيستوس (اي المثلث العظمة) من ابناء القرن العشرين قبل الميلاد واختلفوا في وطنه فقال بعضهم انه مصري وقال آخرون انه كلداني وسموا صناعة الكيمياء هذه الصناعة الهرمسية واصحابها الفلاسفة الهرمسيين على ان هرمس اسم لغير مسمى لكنه مذكور في خرافات الرومانيين اسماً للمريخ فالاغلب انهم لقبوا تلك الصناعة به لزيادة الابهام

قلنا ان تلك الصناعة انتشرت في اليونان والرومان ولكنها بقيت نارًا تحت رماد حتى ظهر الاسلام واخذ العرب في نقل العلوم الى لسانهم فكانت الكيمياء من جملتها فاتسع نطاقها على يدهم

الكيمياء في الاسلام

لا نعلم الزمن الذي نقل فيه العرب الكيمياء الى لسانهم ولا من نقلها ولا اسم الكتاب الذي نُقل وانما يؤخذ من مجمل ما علمناهُ عن ذلك ان هذه الصناعة اتصلت اليهم بواسطة راهب رومي اسمه موريانوس الطبيب وهو اول طبيب تولى مهنة التطبيب في الاسلام على عهد الامويين وكان عالمًا بالكيمياء فعلمها لخالد بن يزيد ابن معاوية بن ابي سفيان الاموي في اواخر القرن الاول للهجرة ثم نشأ ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي واقام في الكوفة وتمكن من التلمذة لخالد المشار اليه ويقال بل اخذ الكيمياء عن جعفر الصادق وجمع خمسمئة رسالة من رسائل جعفر في الف صفحة . والف جابر في فن الكيمياء كتبًا اشتهر امرها وترجمها الافرنج الى لسانهم حتى زعم بعضهم ان جابرًا هو الذي وضع علم الكيمياء القديم والعرب ايضًا يسمون هذا

العلم علم جابر وكتب بعد جابر الطغرائي والمجريطي وغيرها كما سيجيء

ومرجع هذا العلم عندهم الى تحويل المعادن الدنيئة الى العالية كما تقدم بواسطة مادة سموها الاكسير او الحجر الكريم او حجر الفلاسفة والصناعة الاولى انما هي سبق استحضار هذه المادة ومن طالع كتبهم في هذا الشأن وجدها أشبه شيء بالالغاز والرموز قابلة للتأويل مورثة للالتباس وهذا سبب ما عاناهُ مريدو هذه الصناعة من المشاق والنفقات على غير طائل

اما الاكسير او الحجر الكريم المتقدم ذكرهُ ففيه اقوال زعم بعضهم انهُ مادة نباتية وقال آخرون انها حيوانية وقال آخرون انها معدنية وزعم غيرهم انها تستحضر من الثلاثة معًا ولهم في تفصيل ذلك اقوال مبهمة لا طائل تحتها ولا فائدة من ذكرها ولكننا نذكر ما كانوا يصنعونهُ في كيفية معالجة المعدن بذلك الحجر ليتحوَّل الى الذهب او الفضة وهاك ما قالهُ ابن بشرون في رسالة كتبها في شرح هذه الصناعة قال :

« خذ الحجر الكريم فاودعهُ القرعة والانبيق وفصل طبائعهُ الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في انائهِ على حدة وخذ الهابط اسفل الاناء وهو الثفل فاغسلهُ بالنار الحارة حتى تذهب النار عنهُ سوادهُ ويزول غلظهُ وجفاؤهُ وبيضهُ تبييضًا محكمًا وطير عنهُ فضول الرطوبات المستجنة فيهِ فانهُ يصير عند ذلك ماء ابيض لا ظلمة فيهِ ولا وسخ ولا تضاد ثم اعمد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منهُ فطهرها ايضًا من السواد والتضاد وكرّر عليها الغسل والتصعيد حتى تلطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليهِ مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الاَّ بالتزويج والتعفين فأما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين فهو التمشية والسحق حتى يختلط بعضهُ ببعض ويصير شيئًا واحدًا لا اختلاف فيهِ ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصبر عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والدبيب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجهُ بجميع اجزائهِ ودخل بعضها في بعض لتشاكلها فصار شيئًا واحدًا ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج

وكذلك النفس اذا امتزجت بها ودخلت فيها بخدمة التدبير اختلطت اجزاؤها بجميع اجزاء الآخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيهِ بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعهُ واتفقت اجزاؤهُ فاذا لقي هذا المركب الجسد المحمول والح عليهِ النار واظهر ما فيهِ من الرطوبة على وجههِ ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منعها من الاتحاد بالنفس ممازجة الماء لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصاً وكذلك الماء من شأنهِ النفور من النار فاذا الحت عليهِ النار وارادت تطييره حبسهُ الجسد اليابس المازج لهُ في جوفهِ فمنعهُ من الطيران فكان الجسد علة لامساك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصبغ والصبغ علة لظهور الدهن واظهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم. وهكذا يكون العمل وهذه التصفية التي سألت عنها وهي التي سمتها الحكماء بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج »

فترى في اقوالهم كأنهم يلغزون في شيء منطوٍ تحت ظاهر كلامهم ويزعم العلامة ابن خلدون انهم انما يفعلون ذلك حذراً على الصناعة من انكار الشرائع على السحر وانواعهِ . وهاك ما كان يعتقد علماء الاسلام الى اواخر القرن الثامن للهجرة ممثلاً بكلام العلامة ابن خلدون قال

« والذي يجب ان يعتقد في أمر الكيمياء وهو الحق الذي يعضده الواقع انها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت النفوس شريرة فاجرة . فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحقيقهِ يقلب الاعيان المادية بقوتهِ السحرية ولا بدَّ لهُ مع ذلك عندهم من مادة يقع فعلهُ السحري فيها كتخليق بعض الحيوانات من مادة التراب او الشجر والنبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهنود في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون الجو للامطار وغير ذلك »

على ان العرب لم يقتصروا على هذا العلم الوهمي ولكنهم اشتغلوا ايضاً في ما يندرج في الكيمياء الحديثة كاستحضار بعض الادوية وتوليد بعض التراكيب وما شاكل

ذلك مما ذكرناه في كلامنا على الآداب . وكان رأيهم في العناصر ان جميع الاجسام ترجع بالتحليل الى ثلاثة وهي الزئبق والكبريت والزرنيخ وان بتركيب هذه العناصر على نسب متفاوتة تتولد سائر المعادن وهو اساس اعمالهم في تحويل المعادن الى الذهب

على انا لو تأملنا في مبدأ مذاهبهم هذا لرأينا فيه شيئاً من الحقيقة والتمسنا لهم عليه عذراً لانه مبني على ما شاهدوه من ظواهر المعادن اذا حميت الى درجة الصهر فأوّل شيء حموه التبر وهو مسحوق كالتراب اذا أحمي صار ذهباً نقياً وكذلك سائر المركبات المعدنية الموجودة بالطبيعة باحمائها تحوّل الى معادن بسيطة لامعة فظنوا ان ذلك انما يحصل بالاحماء وبجوهر آخر له خاصية تحويل المعادن الدنيئة الى العليا فكانت تجاربهم في بادئ الرأي راجعة الى ايجاد عنصر او جوهر له هذه الخاصية ولكن بعضهم توغل في ذلك واضافوا الى هذا المبدأ خرافات واوهاماً اوصلت هذا العلم الى ما تقدم

ويقال بالاجمال ان العرب اشتغلوا كثيراً في الكيمياء القديمة والفوا فيها ووسعوها فلما افاق الافرنج من غفلتهم والتمسوا العلوم ترجموا كتب العرب الى لسانهم وفي جملتها كتاب جابر بن حيان وغيره ولعلموا ذلك العلم واعتقدوا صوابه وممن اشتغل فيه منهم باراسلوس وريموندللي وغلوبر وباكون وفان هلمونت والبرتس الاعظم وباسيل فالنتين وغيرهم وما زالوا يعتقدون صحته الى ان ظهر علماء الاعصر الاخيرة بالاكتشافات الحديثة لخصائص الاجسام والعناصر الى ما نراهُ الآن وهو ليس من غرض مقالتنا

اما اشهر كيماويي العرب فهم

(١) ابو موسى جابر بن حيان الصوفي المتقدم ذكرهُ من علماء القرن الثاني للهجرة ولد في سرقسطة وربي في الكوفة وقرأ على خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الأموي وقيل على جعفر الصادق وكان عالماً في الكيمياء والتنجيم والسحر وله تآليف عديدة فيها كلها عثرنا منها على كتاب خطي بالمكتبة الخديوية اسمه « كشف الأسرار وهتك الأستار » وآخر اسمه « اخراج ما في القوّة الى الفعل » وكتاب « الصنعة الالهية والحكمة الفلسفية » وكلها خطية بالمكتبة الخديوية

(٢) ابو محمد مسلمة بن احمد المجريطي شيخ الاندلس واستاذ ابن بشرون

المتقدم ذكره وهو من علماء القرن الخامس للهجرة في الكيمياء والسيمياء والسحر والرياضة عثرنا له على كتاب خطي بالمكتبة الخديوية اسمه « رتبة الحكيم » اتم كتابته سنة ٤٤٢ هـ اقتضب فيها رسائله في العلوم العشرة الفلسفية اما الرسائل فلم نقف عليها

(٣) عز الدين علي بن ايدمر بن علي بن ايدمر الجلدكي المتوفي سنة ٧٦٢ هـ من تآليفه في الكيمياء كتاب « نتائج الفكر في الفحص عن احوال الحجر » وكتاب « نهاية الطلب في شرح المكتسب في زراعة الذهب » وكتاب « كشف الاسرار للافهام » ورسالة « في الطبائع الاربع » و « المصباح في علم المفتاح » وغيرها وكلها موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

(٤) علي جلبي الحكيم الرومي من علماء القرن التاسع للهجرة له في هذا العلم كتاب « درر الانوار في اسرار الاحجار » وكتاب « الاصول المشرق » في طرح الاكسير من كتاب درر الانوار وكتاب « فيض الرحمن » في حل مشكلات بعض كتب الشيخ الجلدكي المتقدم ذكره وكتاب « الدرة البيضاء والياقوتة الحمراء » وغير ذلك وكلها موجودة خطاً في المكتبة الخديوية بالقاهرة

وظهر غير هؤلاء ممن اشتغلوا في درس الكيمياء والتأليف فيها ومعظمهم من علماء الطب والفلك وقد تقدم ذكرهم عند كلامنا على تلك العلوم

اما الكيمياء الحديثة فقد دخلت لغتنا في هذا القرن نقلاً عن اللغات الافرنجية لانها من العلوم الحديثة التي نمت وشبت في اوربا وأول من عني في ذلك المغفور له محمد علي باشا بعد تأسيسه المدرسة الطبية المصرية فامر بترجمة غير كتاب في الكيمياء وغيرها ومن كتب الكيمياء الحديثة في اللغة العربية كتاب « اصول الكيمياء » تأليف استاذنا العلامة الدكتور فانديك طبع في بيروت وكان قاعدة تدريس هذا الفن في المدرسة الكلية الطبية الى ان صار التعليم فيها باللغة الانكليزية منذ بضع سنين وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا على النهضة الاخيرة



باب المراسلات

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشئ الهلال الاغر

اطلعت على ما جاء في الجزء الماضي من هلالكم المنير بامضاء (ر . ن) ردًّا على ما رأيتهُ في جوابي بشأن التمدن الاسلامي من ان قيامهُ بالقلم وعلاقتهُ المعنوية بالشريعة الاسلامية وعدم قيامها بالسيف فوجدت ان حضرة الفاضل صاحب الامضاء قد اتى في اعتراضه على ما رأيت بما يدل على مضاء الفكر وسعة الاطلاع الاَّ ان اعتراضهُ ذلك جاء مجردًا عن رعاية النظر الى مقدمة الموضوع الذي يدعو الى تحرّي مفهومها والتنقيب عن بواعث الحكم في النتيجة مقام الكلام لذلك فهو لا يخلو من اوجه للدفع لم ارَ بدًّا من الاتيان بها على قدر ما ادركهُ فهمي القاصر فأقول

الم حضرة المعترض الاديب في بيان اوجه الاعتراض بما تمكن معهُ من المزج بين الفتح الاسلامي وبين الدعوة الى الدين ومن ثم حكم بان الشريعة الاسلامية انما امتدت مع الفتح بالسيف وان الفتح انما هو الدعوة نفسها كما قال واستشهد على ذلك ببعض الآيات الشريفة والاحاديث المتينة التي تصرح بمشروعية الجهاد وتحث عليهِ يريد بذلك ان يؤيد ما ذهب اليهِ من قيام الشريعة بالسيف توصلاً للحكم بان التمدن الاسلامي تأسس معها بالسيف مع انهُ يخالفني في محل آخر وينكر عليَّ قولي بعلاقة التمدن الاسلامي بالشريعة الاسلامية فلا ادري كيف يوفق بين حكمهِ على قيام الشريعة بالسيف وبين انكاره لتلك العلاقة ثم قولهُ بقيام التمدن الاسلامي بالسيف ولعل حضرتهُ اراد شيئًا فشذ عنهُ بعض الشيء. وبقطع النظر عن ذلك فقد فات حضرتهُ ان مشروعية الجهاد في الشريعة الاسلامية ليست حجة على انها (اي الشريعة) قامت بالسيف يدرك ذلك كل من اطلع على سيرة النبي (صلعم) مع قومه الذين تولاهم لهُ الحسد فاخذوا يقفون لهُ ولاصحابهِ في كل مرصد وواد وينالونهم بانواع من الايذاء أوجبت

هجرة كثير من الصحابة الى الحبشة وفيهم عثمان (رضه) واخيراً تعمدوا قتل النبي (صلعم) فهاجر ومن معهُ من المسلمين الى مدينة يثرب وهناك اخذ يبث دعوتهُ بين الشعوب ومكاتبة ملوك الاقطار وكان في اثناء ذلك يتحدى المعاندين بدلائل النبوة و يقرعهم بمعجزة القرآن فلما رأت قريش وشك انتشار دعوتهِ في الارض وغلبة معجزات نبوتهِ على معارضة المعارضين اخذت تثبط العرب عن قبول دعوتهِ وتثير عليهِ القبائل وتجمع لقتالهِ الجموع من يهود قريظة ومشركي العرب كما هو المعلوم لدى كل مطالع على التاريخ حتى كان من ذلك ان اوحي اليهِ بمشروعية الجهاد فيمن ناواه وتعمد اذى المسلمين واذاه وكانت تنزل عليهِ الآيات تباعاً على مقتضى الظروف والاحوال مصرحة بالجهاد اذلالاً لنفوس اولئك الاقوام العاتية واعلاء لكلمة الحق حتى تأيد الاسلام وتداعت اركان الجهل والاوهام وما عدا ذلك فقد آمن بما جاء بهِ النبي (صلعم) كثير من الشعوب بمجرد الدعوة لا بحرب ولا قتال كالانصار و بعض قبائل اليمن والحجاز وعمت دعوتهُ غالب الاقطار ودخل الاسلام على عهده الحبشة والسند و بلاد الافغان التي دخلها الاسلام بدعوة رجل ممن اسلم من يهود العرب وبسمى خالداً استحضر معهُ الى المدينة وفداً من امراء الافغان و وافق ذلك الوفد النبي (صلعم) في واقعة مكة ثم عاد الى بلاده مصحوباً بنفر من مسلمي المدينة لاجل اعانتهِ على تعليم اهلها قواعد الشريعة الاسلامية وهكذا كان

هذا واما الفتح الاسلامي الذي حصل بعد النبي (صلعم) وذهب حضرة المعترض الى انهُ فتح ديني او هو الدعوة الى الاسلام فهذا مدفوع بانهُ لو كان كذلك لانتفت قاعدة (الاسلام او الجزية) وقام مقامها قاعدة (الاسلام او السيف) ومعاذ الله ان تكون كذلك او تمس قاعدة من قواعد الشريعة الاسلامية التي تصان في جانبها جامعة الاخاء الوطنية . والدعوة الى الدين فيما اراه و يظهر مما بسطناه هي غير الفتح السياسي كما هو مذهبي الذي اذهب اليهِ فان كنت مصيباً فيهِ فالاسلام وان امتد مع الفتح لكن ليس بالسيف بل بالدعوة اليهِ وقبوله عن طواعية واختيار دون اكراه ولا اجبار والا فمع هذا وذاك فصدر الاسلام لا يتناول عصر العباسيين الذي قام فيهِ التمدن الاسلامي بل قيل انهُ ٦٠ سنة وقيل انهُ ٤١ سنة ولعل الثاني الاصح وهو التاريخ من الهجرة الى حين تنازل الحسن (رضه) عن الخلافة الى معاوية (رضه) والعباسيون

الذين تداولوا الخلافة هينة لينة في ثلث القرن الثاني من الاسلام لم يجردوا سيفاً في سبيل التمدن الاسلامي الذي اقاموه ولم يكرهوا امبراطوراً على ارسال كتب ومترجمين ولم يكونوا كبني امية من الدول الفاتحة في الاسلام فاي فتح ديني يرتبط به تمدنهم بالسيف وهو لم يقم الاَّ بقوة القلم والاجتهاد وتشييد معالم العلم . واما قولي في رسالتي السالفة ان التمدن الاسلامي ذو علاقة بالشريعة الاسلامية فتلك العلاقة معنوية تظهر جلياً لمن تأمل بعين التبصر والانصاف فيما بسطته بشأنها في تلك الرسالة فقولي بقيام التمدن عنها لا يحمل على قيامهِ معها بالسيف كما ذهب اليهِ حضرة المعترض الفاضل اذ علاقة كل تمدن بالشرائع عموماً سواء كانت الهية او وضعية معنوية تظهر بظهور النسبة بين الاقوام المتمتعة بانوار الشرائع العادلة وبالعكس . فهذه اوربا التي عند ما قلب فيها نظام الحكومات الماضية واستنارت بانوار الشرائع الدستورية الحاضرة اخذت تترقى في اوج المعارف ترقياً اوصل التمدن الاوربي الى الدرجة التي هو عليها الآن في حين ان التمدن الاسلامي اخذ بالضعف والتلاشي منذ دب في اهلهِ امر الاستهانة بالشريعة ومزقت كلمتهم الجامعة عوامل الانقسام ولم تغن عنهم تلك العلوم الدخيلة التي اشار اليها حضرة المعترض مع استمرار تداولها بينهم الى الآن

وكأني بحضرته وقد قال انك تستشهد بالتمدن الاوربي مع انهُ هو ايضاً لم يقم الاَّ بالسيف اذ لم يقلب النظام الاوربي القديم الاَّ بعامل الثورات المتتابعة والهجوم عليهِ بقوة السيف فالجواب عن ذلك اننا نقول على فرض التسليم بما يذهب اليهِ من جواز نسبة قيام التمدن لعامل السيف فالفرق ظاهر بين من يخير في قبول الشريعة العادلة فيتلقاها وهو طائع مختار وبين من يجبر شريعة لنفسهِ بنفسهِ بقوة الصارم البتار وهذا مقام يقتضي له كثير من الاسهاب الذي لا يساعد عليهِ مقام الجرائد العلمية لذا استميح حضرة المعترض الاديب المعذرة باخذي لعنان القلم عند هذا الحد والاختصار فيهِ البلاغ والسلام (القاهرة) رفيق العظم



التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشىء الهلال المنير

لقد طالعتُ الجزء العاشر من هلالكم الزاهر فرأيتُ في باب المراسلات تحت عنوان « التمدُّن الاسلامي وبماذا قام » رسالة لحضرة الفاضل (ر . ن) ردَّ بها على رسالة سعادة الفاضل رفيق بك العظم التي اجاب بها على اقتراح حضرة محمد افندي سليم ولكون ما جاء في هذه الرسالة غير مسلَّم لمنافاتهِ للواقع فقد سنح للخاطر ان أتكلم على هذه المسألة بالحقّ الصريح المطابق للواقع بما وصل اليهِ علمي وأستميح المعذرة وغضّ الطرف من أهل الأدب فان العصمة لله وحدهُ (وفوق كل ذي علم عليم) (اولاً) صدر الاسلام على أصح الاقوال هو عصر الصحابة لا غيره والذي قام فيهِ هي الوسائل التي قام التمدن الاسلامي بعدها (ثانياً) ان من راجع تاريخ النشأة الاسلامية وأمعن النظر الصحيح فيهِ يعلم قطعياً ان الشريعة الاسلامية قامت بالقلم لا بالسيف فان سيدنا محمداً (صلعم) اوَّل ما قام بدعوى الرسالة قام فريداً بين جماهير الأُمم والعرب الذين هم قومهُ أوَّل من كذَّبهُ في دعواهُ وعاداهُ اشد المعاداة فصبر على الأذى واقبل يدعو الخلق الى الحق ويفهمهم محاسن دينهِ ويقيم لهم البراهين على صدقهِ بالحجج الساطعة والمعجزات القاطعة وكاتب الملوك حتى علم بدعوتهِ كل شريف وصعلوك امتثالاً لأمر ربهِ المنزَّل عليهِ في قولهِ تعالى « يا أيها الرَّسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغتَ رسالتهُ والله يعصمك من الناس » وقولهُ تعالى « فاصبرْ كما صبرَ أُولوا العزم من الرُّسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرَوْنَ ما يوعدون لم يلبثوا الاَّ ساعة من نهار بلاغ » ولما وضح صبح دعوته لمن اراد الله هدايتهُ اخذت العقول السليمة تقبل دينهُ وتدخل في شريعتهِ فتبعهُ الملوك والقبائل والافراد من العرب والعجم وهو لم يأمر باراقة قطرة من دم بل كان يتلو قرآنهُ الشريف المتضمن قولهُ تعالى « لا اكراهَ في الدين قد تبين الرُّشدُ من الغيّ » وقولهُ تعالى خطاباً لمن اتبعهُ « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ اذا اهتديتم » وقولهُ تعالى « ومن كفر فعليهِ كفرهُ » وغير ذلك من الآيات ولو أردنا ان نذكر من أسلم قبل مشروعية الجهاد من الملوك والقبائل والأفراد لضاق المقام

فاذا كنا نجد ان هذا الدين قد شاع وانتشر قبل هجرة سيدنا محمد (صلعم) من مكة المشرَّفة الى المدينة المنوَّرة وبعدها قبل مشروعية الجهاد وقبلته العقول السليمة ولا خوف هنالك ولا ترهيب فكيف نقول ان الشريعة الاسلامية قامت وانتشرت بالسيف لا يقول منصف بذلك لا سيما اذا كان يعلم تفاصيل ما حدث في بقية مدته (صلعم) وبعدها من دخول الناس في دين الله أفواجًا حتى الى هذا الزمان وحيث تحققنا ان الشريعة الاسلامية قامت بالقلم فلنتكلم على الجهاد فنقول : الجهاد في سبيل الله تعالى كما كان مشروعًا في الشريعة الموسوية شرع في الشريعة المحمدية بعد الهجرة على ما فيه من الحدود العادلة لدفع أذى المؤذين بما لا يبلغ حد القسوة فيكتفي ممن لم يتبع هذا الدين ان يخضع لسلطانه ويدفع ان كان موسرًا او قادرًا على الكسب شيئًا يسيرًا من ماله يكون عونًا لاهل الدين في قيام الدولة نظير حماية اداء لأولئك الدافعين الخاضعين في الدنيا لسلطان هذا الدين وأمرهم في الآخرة مفوض لرب العالمين وقد جعل الله الجهاد المذكور آخر اسباب البلاغ المبين المزيل للشكوك باليقين اذ لا يكلف الانسان بقبول ما يضاد ضميره لقوله تعالى « لا يكلف الله نفسًا الاّ وسعها » فيدعو الامام او نائبه من قام بحرم لتبليغ الدعوة الى الاسلام بالحكمة نحو قوله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » ثم بالموعظة الحسنة نحو قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الّا نعبد الاّ الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا اربابًا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ثم بالمجادلة بالتي هي أحسن نحو قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا » وقوله تعالى « وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين » وهكذا يقيم لهم البراهين النقلية والدلائل العقلية حتى تلزمهم الحجة القطعية امتثالاً لقوله تعالى « أُدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » فاذا لم يؤمنوا اصرارًا على الكفر وعنادًا في اهل الدين بعد الزامهم الحجة واقناع ضمائرهم بالبرهان يقاتلون على احدى خصلتين اما الاسلام واما الجزية لقوله تعالى « قاتلوا

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» فان تركوا القتال وأسلموا فقد صاروا مثلنا وان أدوا الجزية فقد خضعوا لسلطان الدولة ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وهم آمنون على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم احرار في عبادتهم وان لم يتركوا القتال حتى يقعوا في الأسر فصبيانهم ونساؤهم وعبيدهم يصيرون ارقاء بمجرّد الأسر اخماداً لشوكة العدوّ وعوناً للمسلمين في قضاء مصالحهم . ومعاملة الرقيق في الاسلام في ارفع مراتب العدل والاحسان والذكور البالغون الاحرار ان كانوا من مشركي العرب فحكمهم القتل كالامم السبع عند الموسويين وان كانوا من غيرهم فللامام او نائبه واحدة من اربع اما ضرب رقابهم بالسيف والمراد يقتلون لا بحرق ولا تكسير واما ضرب الرق عليهم واما الافتداء بهم بالمال او بأسرى المسلمين واما المنّ عليهم باخلاء سبيلهم او بوضع الجزية عليهم على حسب ما يرى في ذلك من المصلحة اتباعاً لقوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرّقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما منّاً بعدُ واما فداء حتى تضعَ الحرب أوزارها » وما يكسبونه في الحرب من اموال الحاربين يكون فيئاً وغنيمة للمسلمين والجريح لا يقتل والفار لا يتبع . فهذه هي احكام الجهاد الشرعية في الشريعة الاسلامية الغراء وقد بلغت العرب في فتوحاتهم على مقتضى هذه الاحكام من الشرق في الهند الى الغرب في الاندلس (اسبانيا) والاستيلاء على هذا كله في نصف قرن مما يتعذر على اعظم دولة الاستيلاء عليه في عدة قرون وهذا أوضح دليل على ان هذا الدين مبني على قواعد العدل واساس التمدن فكيف بعد اذ عرفنا ما تقدم من احكام المحارب ولم نجهل احكام الذمي والمعاهد والمؤمن وصاحب الهدنة نقول ان الشريعة الاسلامية قامت بالسيف فمن كان منصفاً صحيح النظر حر الضمير لا يقول بذلك بل يقول ان الشريعة الاسلامية المطهرة قامت وانتشرت بالقلم (ثالثاً) التمدن الاسلامي عبارة عن رفع الجهل والتوحش والاستبداد والظلم وانتشار العلم والحضارة والخصب والأمن في الارض ولا شك ان الشريعة الاسلامية الوضاءة هي العامل الوحيد في ذلك لان من تأمل فيما كانت عليه اكثر الامم من التهوّر والسذاجة وقاسها بما جاء بعدها بعد ظهور الامة الاسلامية يحقق صدق ما قلناه من ان ما جاءت به الشريعة

الاسلامية من الاصول والاحكام هو الذي نشر التمدن في اقطار العالم بما انبعث عنه من انوار الهدى والعدالة اللذين عمّا سائر الآفاق فمحيت بهما ظلمات الجهالة والاستبداد ولذلك قال (صلعم) «أتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأتِ بها نبيٌّ قبلي ولو كان أخي موسى حياً لم يسعهُ الاَّ اتباعي» وقال (صلعم) «ان الله بعثني لاتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال» وقال تعالى في الكتاب العزيز «انا ارسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا الى الله باذنهِ وسراجًا منيرًا» وقال تعالى «وما ارسلناك الاَّ رحمةً للعالمين» ولا ريب في ان الله تعالى رحم عبادهُ برسالة هذا النبيّ الكريم الذي أتى بما لم يأتِ بهِ نبيٌّ قبلهُ مظهرًا حقيقة الحق للناس كاشفاً لهم عما اشتملت عليهِ الكائنات من حقائق الحكم الدالة على وحدانية الله تعالى مبينًا لهم الطرق المؤدية لخيري الدين والدنيا ليفرّقوا بين السقيم والصحيح ويعرفوا الحسن من القبيح فانتشل بهِ هذا العالم من حضيض الحيرة والضلال الى أوج الهداية والكمال وانتشر التمدن في الاقطار وانتظم الكون واستنار وانبثت في الناس روح الحضارة والتقدم ومولانا عزّ وجل الذي ارتضى هذا الدين لسائر العالمين في قولهِ تعالى «ورضيتُ لكم الاسلام دينًا» لم يفرّط في الكتاب من شيء قال تعالى «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» وسنة رسولهِ (صلعم) هي الشارحة لهُ فالكتاب والسنة اساسان لجميع الاحكام الاسلامية وكذا الاجماع والقياس والفقه مستنبط ومأخوذ من هذه الاصول الاربعة باجتهاد علماء الامة وما يسمى عند الافرنج بعلم الحقوق الطبيعية والنواميس النظرية الذي أساسهُ التحسين والتقبيح العقليان يسمى ما يشابهُ في الشريعة الاسلامية بعلم اصول الفقه وشتان بين ما أساسهُ العقل البشري وما أساسهُ الوحي الالهي والحرّية عندهم هي في مقابلة العدل والاحسان اللذين أمر الله بهما في القرآن المجيد في قولهِ تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» وحيث اراد الله تعالى ان تكون هذه الشريعة المحمدية خاتمة لجميع الشرائع المقدسة فقد جمع لها ما بين العدالة والافضلية لتكون متكفلة بصلاح المجتمع البشري من تعميم الخيرات وتوحيد المعاملات ولكون هذه الشريعة السمحاء لا تحظر جلب المنفعة على ذويها بل تأمر بكل خير يعود على مجتمعها بالفائدة اجتهدت العرب في اختصار كتب من تقدمهم من الأمم وترجموا ما احتاجوا اليهِ منها وهذبوهُ ودوّنوهُ وطرحوا منهُ ما كان مغايرًا لاحكام شريعتهم فاتسع نطاق

المعارف وانتشرت انوار التمدن الاسلامي على ظهر البسيطة وقويت معدات الدولة واحكمت روابط السياسة وانساب العمران والحضارة وكثرت المخترعات المفيدة وراجت سوق التجارة والصناعة والزراعة حتى تعدى ذلك الى الافرنج ولولا الشريعة الاسلامية المطهرة لما تأتى ولا حصل شيء من ذلك فكيف لا يقال ان الشريعة الاسلامية هي العامل الوحيد في التمدن الاسلامي وحيث ثبت انها قامت بالقلم وانها العامل الوحيد في التمدن الاسلامي بل والافرنجي ايضاً فالتمدن الاسلامي والافرنجي حينئذٍ قد قاما بالقلم هذا وارجو قبول المعذرة فان مقاماً خطيراً كهذا لا يكن الا بقليل من الاسهاب والعذر عند خيار الناس مقبول

احمد محمد الالفي
خادم العلم الشريف
(طوخ القراموص)

اقاصيص عنتر وغيره

حضرة الفاضل مدير جريدة الهلال الاغر

اطلعت على الوارد في العدد العاشر من جريدتكم الغرا لحضرة محمود افندي صالح يسأل عن عنترة والسلطان حسن وابي زيد ودياب فحقيقاً لقول جنابكم انها لا تخلو من اساس تاريخي نقول ان الذي يؤخذ من مقدمة تاريخ ابن خلدون والجزء السادس منه والعاشر من تاريخ الكامل لابن الاثير ان قصة ابي زيد والسلطان حسن ودياب لها اصل اصيل وفرع طويل وملخص ما ذكر ان السلطان حسن وابا زيد ودياب عرب اجدبت عليهم بلادهم فخرجوا منها كالجراد المنتشر لا يمرّون بشيء الا اتوا عليه حتى وصلوا الى افريقية سنة ثلاث واربعين واربعمائة وكان من اشرفهم حسن بن سرحان واخوه وفضل ابن ناهض وسلامة بن رزق ودياب بن غانم وزيد ابن زيدان وزيد العجاج بن فاضل وزياد بن عامر رائدهم في دخول افريقية ويسمونه بذلك ابا مخبر وكلهم من هلال بن عامر وهؤلاء الهلاليين في وصولهم الى افريقية طرق في الخبر

حسن رمضان الشربيني
(شربين)

(الهلال) نشكر لحضرة المراسل الفاضل شكراً جزيلاً على شرح ما اوجزناه في الهلال الماضي ولكن لا بد لنا من الاشارة الى ان السلطان حسن الذي ذكرناه هناك هو غير السلطان حسن هذا والاثنان حقيقيان

باب السؤال والاقتراح

جيوش العرب

(سوهاج) محمد افندي مصطفى معاون مديرية جرجا

كان لما اتيتم به في الجزء التاسع من السنة الثالثة من جريدتكم الغراء جواباً على سؤالنا عن جيوش العرب حسن الوقع لدى العموم لما اشتمل عليه من الفوائد التاريخية ووصف الحالة العسكرية الاسلامية الى انقضاء الدولة العباسية غير اني لا ازال اقترح على فضلكم ان تعنوني بجواب ما يأتي وتكون لحضرتكم من الشاكرين

ما هي الطريقة التي كان يجمع بها المجاهدون في دولتي بني امية وبني العباس وما يليها من الدول العربية الاسلامية والاتراك الى اوائل الدولة العثمانية أكانوا يتداعون الى الجهاد من انفسهم او كانت تلك الدول تدعوهم اليه وتجمعهم جبراً وعلى كلتا الحالتين أكان المجاهد يستمر مجاهداً حتى الممات او يمكث مجاهداً الى اجل محدود

(الهلال) قلنا في الهلال التاسع ان الانصار والمهاجرين هم جنود الاسلام في صدر الاسلام وانهم كانوا يسيرون الى الحرب رايات على كل راية اميرهم اذ ذاك قائمون بالدعوة بقلب واحد وهم الانصار وهم الجند وهم القضاة وهم كل شيء. فهم اذ ذاك كانوا يتداعون الى الجهاد من انفسهم رغبة في الشهادة او تلذذاً بالنصر

ولكن الانصار او الصحابة عدد قليل لا يتألف منهم جند فكان الجند ممن يقوم بنصرة هؤلاء من اقاربهم واعوانهم او قبائلهم ويؤخذ من وصية الخليفة عمر بن الخطاب قبل موته ما يؤيد ذلك فانه لما احتضر دعا الصحابة وهم علي وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن وقال لهم « انتظروا اخاكم طلحة ثلاثاً فان جاء والا فاقضوا امركم انشدك الله يا علي ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس انشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس انشدك الله يا سعد ان وليت من امور الناس شيئاً ان تحمل اقاربك على رقاب

الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا امركم وليصلّ بالناس صهيب »

وعلى مثل ذلك كان قيام الجند في عصر الخلفاء الراشدين والامويين واوائل العباسيين لان اهل الاسلام المنتخبين هم الحكام ومنهم الجند

فاقدم جنود الاسلام المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون وتابعو التابعين وهكذا كانوا يتوارثون ذلك بينهم جيلاً بعد جيل حتى اختلطوا بالروم والفرس وتمثلوا بشيء من احوالهم وفي اوائل عصر العباسيين اخذوا يصطنعون الموالي ويقتنون المماليك من البلاد التي افتتحوها وجعلوا يكثرون من ذلك الاصطناع حتى تألف من المماليك على اختلاف اجناسهم جند رؤساؤه وعمدته من قرابة الخلفاء وابناء عصبيتهم

ثم جعل ذلك يتحول من اهل العصبية العربية الى كبار الجند واخذ نظام الجند من ذلك الحين يميل الى الاستقلال عن العصبية ويصير قائماً بنفسه بنظامه ورؤسائه ومرتباته ورواتبه وهم اذ ذاك لا يتداعون الى الجهاد من تلقاء انفسهم وانما تحملهم عليه المصلحة الخصوصية واختيار الخليفة او السلطان على ان كل دولة عند اول قيامها انما تقوم بالعصبية اعني ان جندها يكون من ابناء عصبيتها وتزيد بالجند رؤساءه وقواده فالعباسيون قاموا بامر الخلافة بعصبيتهم اول الامر ثم جعلوا يجندون من المماليك والموالي كما قدمنا ثم لما مالت عصبيتهم نحو المغرب قامت الدولة الفاطمية في المغرب بعصبيتها فلما جاءت الى مصر كانت قد استخدمت الدخلاء وقائد حملتها على مصر القائد جوهر كان عبداً اسود

وفي عهد الدولة الفاطمية كان الجند برواتب معينة تدفع من مال الحكومة او تعطى اقطاعات من الاراضي كما ذكرنا في الهلال التاسع

وفي عهد الدولة الايوبية وما بعدها كانت جنود مصر مؤلفة من فئتين فئة تقيم بحضرة السلطان وفئة تقيم في اقطار المملكة وكان الجند اخلاطاً من الجراكسة والاروام والاكراد والتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات يختلفون رتبة باختلاف درجاتهم على مثال جنود هذه الايام فقد كان فيهم امراء المئات وامراء الالوف وهم بمنزلة ضباط هذه الايام ويلي اولئك امراء يقال لهم امراء الطبلخاناه ومعظمهم من تكون له امرة اربعين فارساً او اكثر من ذلك الى السبعين ثم امراء العشرات وهم يقابلون صف ضابطان الآن

ويلي هؤلاء جند يقال له جند الحلقة وربما أشبه الحرس الخاص او المعية السنية وقد سمي بالحلقة لانه لا يبرح محدقًا بالملك وهم يمتازون عن الجند الآخر بملابسهم وسائر عوائدهم ولا يعينون الا بمنشورات تصدر بأسمائهم رأسًا من السلطان مثل امراء الجند الآخر . اما اجناد هؤلاء الامراء فيعينون بمنشورات تصدر من أمرائهم .

فكانت علاقة السلطنة بالامراء وهم يدبرون امر اجنادهم تحت امرتهم فالسلطان يصدر منشورًا مثلاً الى امير بتعيينه على كذا وكذا من الجند ويذكر في ذلك المنشور الراتب اما نقدًا واما عقارًا على سبيل الاقطاع فيفرض له من هذا الراتب الثلث ولاجناده الثلثين ولا يمكن للامراء ولا مباشريهم ان يشاركوا الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم ولم يكن للامراء ان يخرجوا احدًا من اجنادهم حتى يثبتوا لنائب الدولة او الوزير انه استوجب ذلك فيخرجه النائب ويقيم له واحدًا مكانه وكان لكل اربعين جنديًا من جند الحلقة مقدم عليهم ليس له عليهم حكم الا اذا خرجوا للقتال

وكانت للامراء على السلطان في كل سنة ملابس ينعم بها عليهم ولهم في ذلك حظ وافر وينعم على امراء المئين بخيول مسرجة ملجمة ومن عداهم بخيول عرى ويميز خاصتهم على عامتهم وكان لجميع الامراء من المئين والطبلخاناه والعشرات على السلطان الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز والشعير لعليق الخيل والزيت ولبعضهم الشمع والسكر والكسوة في كل سنة وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوي الوظائف من الجند وكانت العادة اذا نشأ لاحد الامراء ولد اطلق له دنانير ولحم وخبز وعليق حتى يتأهل للاقطاع في جملة الحلقة . فيؤخذ من ذلك ان مدة الخدمة العسكرية كانت طول الحياة وتتوارث من الأب الى الولد

وجملة القول ان الجنود كانوا في صدر الاسلام يقومون الى الجهاد رغبة في الشهادة ونصرة للدين يدعوهم الى ذلك امراؤهم ورؤساؤهم باسم الجهاد في سبيل الله ومعاشهم مما يكسبونه من الغنائم كما ذكرنا هناك وفي عهد بني أمية واوَّل العباسيين كانوا يخفون الى الجهاد في سبيل الله ايضًا ولكنهم مالوا الى التنظيم وصارت رواتبهم تدفع لهم من مال الحكومة دراهم او اقطاعًا مقادير محدودة بأزمنة معينة وبعد ذلك الزمن الى اوائل الدولة العلية العثمانية صار الجند رتبًا وفرقًا اخلاطًا من الروم

والفرس والترك وغيرهم يدعوهم الى الانضمام في سلك الجديدة غالبًا مصلحتهم الخصوصية هذا ما استطعنا الوصول اليه وربما عدنا الى البحث في ذلك مرة اخرى لان الموضوع ذو شأن ولم يطرقه احد بعد على ما نعلم

اختلاف الترجمات

(الروضة) بشاي افندي فام

نظرًا لثقتنا باتساع خبرتكم في لغات الكتاب المقدس نرجو ان تفيدونا عما ورد في سفر الخروج الاصحاح السادس والعدد العشرين حيث قيل ان عمرام ابا موسى النبي تزوج يوكابد عمته هذا ما ورد في الطبعة البيروتية واما في طبعة رومية فقيل ان عمرام المشار اليه تزوج يوكابد ابنة عمه فأي منهما حسب النص الأصلي

(الهلال) ان في ترجمات التوراة المختلفة اختلاف في يوكابد والدة موسى هل هي عمة ابيه عمرام ام ابنة عمه فالنسخة العبرانية وما نقل عنها من الترجمات الفرنساوية والانكليزية والعربية الاميركانية واليسوعية كلها تقول ان يوكابد عمة عمرام وهاك اللفظة العبرانية المترجمة بعمة (דדתו) (دُدتهُ) اي عمته واما الترجمة السبعينية والسريانية البسيطة وما نقل عنهما كالترجمة التي اشرتم اليها فتقول ان يوكابد ابنة عم عمرام وهاك لفظها الحرفي عن الترجمة السريانية (ܒܪܬ ܕܕܗ) (برت دده) اي ابنة عمه واما الحقيقة فان يوكابد هي عمة عمرام وليست ابنة عمه والدليل على ذلك ان عمرام ابن قهات (سفر العدد ص ٣ ع ٩) وقهات ابن لاوي (سفر الخروج ص ٦ ع ١١) ويوكابد ابنة لاوي (خروج ص ٢ ع ١ وعدد ص ٢٦ ع ٥٩) فتكون يوكابد اخت قهات وعمة عمرام وهذا ما قلناه

اما ما حملهم على تحريفها فرغبتهم في اجلال موسى عن ان يكون ابنًا لابوين تزوجا زيجة غير مطابقة للشريعة كتزوج الرجل عمته وربما كان لذلك سبب آخر والله اعلم



الهلال

الجزء الثاني عشر من السنة الثالثة

(١٥ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٥) (٢١ شعبان سنة ١٣١٢) (٩ امشير سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



رفاعة بك رافع الطهطاوي

ولد سنة ١٢١٦ ه وتوفي سنة ١٢٩٠ ه

هو العالم العلامة السيد رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع ويتصل نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء

وُلد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر ويؤخذ مما كتبهُ عن نفسهِ في رحلتهِ التي سيأتي ذكرها ان اجداده كانوا من ذوي اليسار واخنى الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنهُ في بني الزمان فلما ولد المترجم كانت عائلتهُ في عسر فسار بهِ والدهُ الى منشاة النيدة بالقرب من مدينة جرجا واقام بين قوم كرام يقال لهم بيت ابي قطنة من اهل اليسار والجد فاقاما هناك مدة ثم نزحا الى قنا ولبثا بها حتى ترعرع الغلام فاخذ يقرأ القرآن ثم نقل الى فرشوط واخيرًا عاد الى طهطا وكان قد حفظ القرآن وقرأ كثيرًا من المتون المتداولة على اخوالهِ وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبد الصمد الانصاري والشيخ ابي الحسن الانصاري والشيخ فراج الانصاري وغيرهم

ثم توفي والدهُ فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٢٣ هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهادًا حسنًا حتى نال من العلم شيئًا كثيرًا ولم تمض عليهِ بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام في النحو واللغة والحديث وسائر علوم المعقول والمنقول وكان في جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الافاضل الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فاحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر اقرانهِ التلامذة وخصهُ بالتقرب منهُ لما آنس فيهِ من الذكاء والاجتهاد فكان يتردَّدُ الى منزل الشيخ يأخذ عنهُ بعض العلوم او يستشيرهُ في امر او ما شاكل ذلك

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثماني سنوات وكان كما قدمنا في عسر وكانت والدتهُ تنفق عليهِ مما تبيعهُ من ثنايا حليها ومصاغها فلما اتمَّ دروسهُ تعين سنة ١٢٤٠ هـ اماماً في بعض الآيات الجند براتب يساعدهُ على القيام باود حياتهِ

وكان ذلك العصر زاهيًا بالمغفور لهُ محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الكريمة وكان رحمهُ الله آخذًا في نشر وعائهِ تعزيزًا لشأن هذا القطر السعيد وفي جملتها نشر العلوم فاحب ارسال لجنة من شبان هذا القطر الى اوربا لتلقي العلوم الحديثة ليكونوا لهُ اعوانًا في فتح المدارس وبث تلك العلوم في ابناء البلاد فأمر رحمهُ الله بتعيين صاحب الترجمة امامًا لهم للوعظ والصلاة فسارت الارسالية المشار

اليها من مصر سنة ١٢٤١ وهي اول ارسالية مصرية الى فرنسا فتاقت نفس المترجم الى علوم المغرب فعكف على درس اللغة الفرنساوية من تلقاء نفسه رغبة منه في تحصيل العلوم بها او نقلها منها الى العربية لعله يتخلص من مهنة الامامة وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فهماً جيداً واخذ يطالع العلوم الحديثة فاتقن التاريخ والجغرافيا وعلوماً اخرى وكان ميالاً الى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتاباً سماه «قلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر» وغيره. فبلغ المغفور له محمد علي باشا ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسرّ به سروراً عظيماً واستبشر بطالعه

وفي سنة ١٢٤٧ﻫ عاد رحمه الله الى الديار المصرية بعد ان نال الشهادات الناطقة بدرجته من العلم والفضل فولاه محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان انشأها سنة ١٢٤٣ في قرية ابي زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير وكان متولياً رئاسة الترجمة بها قبله المرحوم يوحنا عنحوري من ابناء سوريا وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق فولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد ولا سيما ان عارفي اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع. ومما يعد له فضلاً جزيلاً انه اول من باشر انشاء جريدة عربية في سائر المشرق وهي الوقائع المصرية فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٠ ولا تزال الى الآن

وفي سنة ١٢٤٩ انتقل من مدرسة ابي زعبل الى مدرسة الطوبجية في طرا لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية وفي سنة ١٢٥١ افتتح المغفور له عزيز مصر مدرسة للالسن الاجنبية وعهد بادارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة من مدارس الارياف بسائر جهات القطر فبلغ عدد تلامذتها في اول الامر خمسين تلميذ ثم زاد حتى صار ١٥٠ وكان في ابي زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية فعهدت ادارتها اليه فضلاً عن مدرسة الالسن ومدارس اخرى فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة واخرى للمحاسبة واخرى للادارة والاحكام الافرنجية

وفي سنة ١٢٥٠ تشكل قلم الترجمة من اول فرقة خرجت من مدرسة الالسن

وبعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريجًا في اوقات متتابعة وفي سنة ١٢٦٢ نال رتبة امير الاي فصار يدعى رفاعة بك بدلًا من الشيخ رفاعة

وما زال رفاعة بك ناظرًا لمدرسة الالسن حتى اقفلت في عهد المغفور له عباس باشا الاول فامر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هناك حتى توفي عباس باشا المشار اليه سنة ١٢٧٠ ه وتولى المرحوم سعيد باشا فعاد يشكر الله على نجاته من تلك الاقطار فمثل بين يدي سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٧١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليبة تحت رئاسة المرحوم سليمان باشا الفرنساوي وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلعة فاحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعارجية وعند ذلك نال الرتبة المتمايزة

وفي سنة ١٢٧٧ الغيت كل هذه المدارس فبقي رفاعة بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فاعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضوًا من قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة «روضة المدارس» مع مثابرته على التأليف وما زال قائمًا بهذا المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ ه بداء النزلة المثانية وله من العمر ٧٣ سنة وقد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه وقد اطلعنا على كتاب خطي اسمه «حلية الزمن بمناقب خادم الوطن» تأليف عزتلو صالح بك مجدي عدد فيه مناقب صاحب الترجمة وعنه اخذنا معظم ما ذكرناه هنا وقد ذكر فيه ايضًا عددًا كبيرًا من الذين اخذوا العلم عنه ونبغوا واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم واعمالهم مما لا محل لذكره هنا

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء اسمر اللون حازمًا مقدامًا على ذكاء وحدة وهذا ما نهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى اصبح ممن يشار اليهم بالبنان ويقتدي باعمالهم بنو الانسان

وكان في اوائل حياته الى ان عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربي الخاص من الجبة والعمامة والقفطان كما ترى رسمه في صدر هذه المقالة ثم بدله باللباس الافرنجي المشهور

ونختم ترجمة حاله بذكر مؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الامكان

(١) خلاصة الابريز والديوان النفيس . وهو رحلته الى فرنسا ذكر فيه ما شاهدهُ من العوائد والاخلاق والازياء وآثار التمدن الحديث وكل ما يتعلق بذلك وقد حازت من القبول لدى المغفور له محمد علي باشا حتى امر ان تتلى في قصوره ثم امر بطبعها وتفريقها في الدواوين وبين الوجهاء والاعيان

(٢) التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . وهو مجلد ضخم ترجمة من الفرنساوية الى العربية لتدريس الجغرافية في المدارس المصرية وقد طبع غير مرة في مجلد كبير

(٣) جغرافية ملطبرن . وهو كتاب مؤلف من عدة مجلدات كبيرة يبحث في الجغرافية بحثًا تاريخياً مطولاً ترجم منهُ المؤلف اربعة مجلدات كبيرة طبعت في مطبعة بولاق ويظهر من مطالعتها انهُ ترجمها على عجل والواقع يؤيد ذلك لاننا علمنا انهُ ترجم مجلدًا منها في ستين يومًا سنة ١٢٦٥

(٤) كتاب قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر . ترجمهُ في باريس وقد تقدم ذكره

(٥) كتاب المرشد الامين في تربية البنات والبنين . وهو مجلد واحد الفهُ للتعليم في مدرسة البنات في مجلد واحد

(٦) كتاب التحفة المكتبية في النحو الفهُ لتعليم قواعد النحو في المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر

(٧) مواقع الافلاك في اخبار تلماك . وهو تعريب وقائع تلماك الفرنساوية ترجمهُ يوم كان في الخرطوم مع بعض التصرف وهو مطبوع في بيروت

(٨) مناهج الالباب المصرية في مناهج الالباب العصرية . وهو بحث عن اداب العصر وسياستهِ وصنائعهِ وعلومهِ وفنونهِ ومطبوع بمطبعة بولاق الاميرية

(٩) مختصر معاهد التنصيص . وهو اختصار المعاهد مع بعض الزيادات الى الاصل ولم يطبع

(١٠) المذاهب الاربعة وهو بحث في المذاهب الاربعة الفهُ اثناء رئاسته لمدرسة الالسن

(١١) شرح لامية العرب

(١٢) القانون المدني الافرنجي . مطبوع

(١٣) كتاب توفيق الجليل وتوثيق بني اسماعيل . وهو تاريخ لمصر طبع ونشر

(١٤) كتاب هندسة ساسير ترجمة من الفرنساوية الى العربية وقد طبع ببولاق

(١٥) رسالة في الطب لم تطبع

(١٦) جمال الاجرومية وهو منظومة سهلة في الاجرومية (مطبوعة)

(١٧) نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز . وهو آخر مؤلفاته طبع في روضة المدارس بمطبعة المدارس الملكية

وله رحمه الله غير ما تقدم ذكره من المآثر العلمية بين منظومات ورسائل ومقالات شيء كثير لم يطبع وقد وقفنا على بعضه واما خدماته في التعليم والتهذيب فغنية عن البيان ويقال بالاجمال ان رفاعة بك رافع خدم خدمة كبرى في نشر العلوم الحديثة بنقلها الى اللغة العربية وتسهيل تناول اللغات الاجنبية بمدرسة الالسن وقلم الترجمة وغيرها

تاريخ آداب اللغة العربية

تكاثرت مواد هذا الهلال حتى رأينا اغفال باب اداب اللغة العربية فيه على امل ان نعود اليه في الاعداد التالية ان شاء الله تعالى



باب المقالات

تحليل الألفاظ العربية

لا يقع نظرنا على شيء من موجودات هذه البسيطة جماداً كان او نباتاً او حيواناً الأ خطر لنا بشأنه خواطر تختلف بنسبة اختلاف حالهِ وتباين اغراضنا منهُ فاذا مرَّ احدنا بهرم من اهرام الجيزة مثلاً وتأمل ذلك البناء الهائل فاذا كان جيولوجياً بحث عن نوع حجارته وتركيبها وقارن بينها و بين ما يعلمهُ من احوال صخور طبقات الارض وتدبر ذلك بما يعلمهُ عنها حتى يدرك نوعها والعصر الجيولوجي الذي تكونت فيهِ ومحل وجودها وما مرّ عليها من اعمال البراكين والجوارف وغيرها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن . واذا كان مهندساً التفت الى شكل ذلك البناء وهندسة احجاره ونسب زواياها بعضها الى بعض وكيف توصل المصريون الى بنائهِ على هذا الشكل معما في ذلك من الدقة وحسن الصنعة الى غير ذلك مما تدلهُ عليهِ الاصول الهندسية . واذا كان فلكياً يتأمل وضع ذلك الهرم واتجاه سطوحه بالنسبة الى مواقع المناطق والاجرام وشروق الشمس وغيابها والقصد الفلكي الذي بني من اجلهِ والفائدة العائدة عليهِ من ذلك . واذا كان مؤرخاً رجع في تصوراتهِ الى الزمن الذي بني فيهِ ذلك الهرم وحال بانيهِ وما اقتضى من القوة والنفقة لبنائهِ وما كانت عليهِ حال العلم والصناعة في تلك الاعصر ومَن هم الاقوام الذين شادوهُ وكيف تمكنوا من تشييده . واذا كان من علماء الجغرافية الطبيعية نظر الى ما اثرتهُ الفواعل الطبيعية في سطح ذلك البناء وما كان للحر والبرد والمطر والندى من التأثير على احجاره وكيف فتتت بعض سطوحهِ فحولتهُ الى تراب او غيرت شيئاً من لونهِ . واذا كان كيماوياً بحث في تركيب الأحجار بين ان تكون مؤلفة من سلكات الحديد او كربونات الكلس او منها معاً او من سواهما وكيف أنَّ تفتت الكلسية منها ناتج عن افلات الحامض الكربونيك وبقاء هيدرات الكلس بفاعل الماء وتوالي الحر والبرد . واذا كان فيلسوفاً امعن فكرتهُ في حال الانسان وما يبنيهِ وكيف انهُ على تكبره واعتداده بقوتهِ

لا يلبث ان يعود ترابًا وآثاره الصماء تبقى احقابًا بعدهُ يمرُّ عليها اجيال والناس يرون ضعف جبلتهم ولا يعتبرون . واذا كان لاهوتيًّا فكر في قدرة الخالق جل وعلا لما وضعهُ من الحكمة السامية في مخلوقاتهِ وكيف انهُ سبحانهُ يخلق الخلق ثم يعيدهم بقدرة عجيبة وكيف انهُ سمح لدول كالفراعنة ان يعيثوا في الارض مع ما كانوا عليهِ من الوثنية والاستبداد . واذا كان صانعًا ميكانيكيًّا نظر الى عظم احجار ذلك البناء وكيف استطاع المصريون القدماء رفعها الى ذلك المكان على قلة الوسائل الصناعية يوم لم يكن لهم علم بالبخار ولا الكهربائية ولا نواميس الميكانيكيات . واذا كان لغويًّا قرأ ما كتب على جدران ذلك البناء نقشًا او كتابة وتأمل تلك الرسوم الهروغليفية وكيف توصل المصريون القدماء الى تلك النقوش التي هي من ابسط انواع الكتابة . وقس على ذلك من الخواطر التي تمرّ بذهن صاحبنا وتختلف باختلاف معارفهِ وحالهِ

على ان ذلك لا يقتصر على الابنية الهائلة كالاهرام والهياكل ولكنهُ يتناول ادنى الموجودات حتى الحجارة الصغيرة والتراب الذي ندوسهُ باقدامنا فان لكل ذرة منهُ حكاية طويلة يتعلق البحث فيها بغير علم من العلوم ويرى الباحث فيها لذة تختلف باختلاف مقدار علمهِ

وما يقال عن الاشياء الحسية المتقدم ذكرها يقال عن الاشياء المعنوية كالعوائد مثلاً فان لكل عادة من عوائد الناس في اعراسهم ومآتمهم ومعاملاتهم وازيائهم تاريخًا مطولاً يرتاح الباحث الى النظر فيهِ وتدبرهِ . والناظر في قوانين الدول وشرائعها وفي اديان الناس واختلاف معتقداتهم يعجب لاختلاطها وتباينها ويرتاح الى النظر في منشإها وتقلبها حتى بلغت ما هي عليهِ الآن . وهكذا يقال في العلوم والمعارف وكيفية تدرجها وما مرَّ عليها من الادوار الخرافية وغير الخرافية حتى وصلت الى حالتها الحاضرة . وقس على ذلك كل ما على وجه الارض من الامور النظرية التي لا تقع تحت قياس لاتساعها وتشعبها واختلاطها مما ليس من غرض مقالتنا هذه النظر فيهِ

واما غرضنا فهو تدبر امر واحد منها وهو (اللغة) والبحث في الفاظها بحثًا تحليليًّا يشبهُ تحليل الكيماوي لمركب من المركبات الطبيعية او نظر الجيولوجي في نقض من انقاض الارض يستطلع ما مرَّ بهِ من الدهور او طرأ عليهِ من العوامل

الطبيعية كالبراكين وجرف الانهار والبحور وتأثير الحر والبرد حتى بلغَ ما هو عليهِ الآن لان كل لفظة من الفاظ اللغة قاست من تأثير العوامل عليها ما يربو على ما قاستهُ الانقاض والاحافير او غيرها بمرور الدهور

ولا ريب عندنا ان موضوعنا هذا دقيق وعر المسلك وخصوصاً لانهُ حديث لم يطرقهُ احد قبلنا على ما نعلم مع انهُ اقرب سائر المواضيع الى اذهاننا اذ هو يتعلق باللغة التي هي اقرب الاشياء الينا لا تنفك مالئة أفواهنا وآذاننا ما حيينا

وليس من غرضنا الخوض في هذا العباب ملياً لان المقام لا يأذن بذلك وانما غرضنا ان نأتي بشذرة او شذرات على سبيل المثال ومن اراد التوسع في ذلك فليطالع كتابنا في «الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية»

ولا بد لنا توطئة لما سيلي من ان نشير الى بعض النواميس اللغوية المقررة واشهرها ثلاثة القلب والابدال والنحت

﴿ فالقلب ﴾ تقديم احد حروف اللفظ الواحد او تاخيرهُ مع بقاء معناهُ او تغيره تغيراً طفيفاً ومن امثلته قولهم بمعنى واحد · لطمَ ولطأ · وذبح وبذح · وبعزق وزعبقَ · والبهلق والبلهق «المرأة الحمراء جدًّا» وجذب وجبذ · ورفأ ورأفَ · وتبرعص وتبعرص · بمعنى اضطرب · وعلط وعلنط «خلط» · ولمج ولحم · وبرشق اللحم وشبرقهُ بمعنى قطعهُ · وسكب وسبك · ويقال بشعت الارض وبغشت اي امطرت قليلاً · وفقاهُ يفقوهُ بمعنى قفاهُ يقفوهُ وضبَّ وبضَّ بمعنى سال وكذلك صبَّ وبصَّ · وبضع وعضب وبعض جميعها بمعنى قطعَ · ويقال بضع او بعض ايام والفرق بالمقدار فقط · والقبط والقطب الجمع باليد · وقطَّب الوجهَ وقبطهُ بمعنى واحد · وبكعَ وكبعَ بمعنى قطع · ويقال نضب الماء ونبض غار · ولعس ولسعَ تدلأن على نوع واحد من المعنى وهكذا فيما بقي · هذا ولا يخفى ان كثيراً من الالفاظ المقلوبة تخسر معناها الاصليَّ بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بانها مقلوبة

اما سبب القلب فهو الميل الى تخفيف اللفظ او التفنن فيهِ ويحدث في الغالب عن غير قصد · وذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون رعبون في عربون · وبعض ابناء اللغة يقولون أطعى بدلاً من أعطى · والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون «إجا» في «جاء» وكثيرون منهم لا يميّزون بين «قعدَ»

بمعنى جلس و « عقد » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قلَّ منهم من يلفظ كلمة « زوج » على حقها فان معظمهم يقول فيها « جوز » وهم يقولون « زقف » بمعنى « صفق » فوقع في هذه اللفظة القلب والابدال معًا كما ترى والمصريون يقولون « إصبرايه » بدلاً من ابصرايه و يقولون « اقبى » بدلاً من ابقى وقس عليه

أما ﴿ الابدال ﴾ في الفاظ اللغة فاعظم اهمية لانه اوسع دائرة واشد تأثيرًا . وهو عبارة عن ابدال حرف او اكثر من كلمة بحرف او اكثر يقرب منه لفظًا . ويحصل الابدال غالبًا بين الحروف التي هي من مخرج واحد او مخارج متقاربة

وتقسم الحروف باعتبار مخارجها الى حلقية ولسانية حلقية ولسانية سنانية وسنانية « او صفيرية » وشفوية والابدال يحصل بين احرف كل مخرج و بين مخارج مختلفة الاقرب فالاقرب وهاك ترتيب الحروف باعتبار قابليتها للابدال ع ء ه ي ح خ غ ق ك . ل ر ن . ض ط د ت . ج ش ث س ص ز ظ ذ . ف ب و م

وقد يقع الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية اصواتها ولو كانت من مخارج متباعدة كالتبادل الحاصل كثيرًا بين الميم والنون لان السامع قد يخلط بينهما والعامة قد أبدلت ميم الجمع نونًا وهذه أبدلت ميمًا في اماكن كثيرة ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية اصوات الثاء والخاء والفاء كقولهم ثلغ وفلغ بمعنى شدخ وصوتي الكاف والتاء كقول بعض العامة « تان » في « كان »

أما الادلة على قابلية الحروف للابدال فكثيرة منها ما قد طرأ على اللغات الشرقية بعد تفرقها لانه من المقررات ان العربية والعبرانية والسريانية كانت يومًا لغة واحدة تتكلم بها امة واحدة وانها بعد ان قُدِّر للناطقين بها بالفراق اخذت تتنوّع تبعًا لمقتضيات احوال كل فريق منهم فوصلت الينا على ما نشاهدها لكن هذا الاختلاف الذي جرى على ناموس الابدال يكاد يكون قياسيًا بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة لان ما كان من الالفاظ من أصل واحد فيها جميعها نرى انه اذا كان احد مقاطع اللفظة العربية « ثاء » مثلاً يكون في مكانها في العبرانية شين وبالسريانية تاء نحو « وَثب » العربية فانها في العبرانية « يشب » وفي السريانية « يتب » . واذا كان ذالاً في العربية كان زايًا في العبرانية ودالاً في السريانية كذكر و « زكر » و « دكر » والالف في العربية والسريانية هاء في

العبرانية مطلقاً نحو « ما » الموصولة في الاوليين فهي « مهْ » في الاخيرة والسين العربية شين في اختيها نحو « سأل » فانها فيهما « شال » والغين العربية عين في اختيها فالعرب يقولون « غرب » والعبرانيون والسريانيون يقولون « عرَب » بالعين . والخاء العربية حاء فيهما فنحن نقول « خرب » وهم يقولون « حرب » وامثال هذا التبادل كثيرة عادية وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم باحداها يفهم الفاظ الاخريين فهماً تاماً ولا يكون على شيء من امرها بشرط اطلاعهِ على ناموس هذا التغيير

ومن الادلة على وقوع الابدال ايضاً ما نشاهدهُ في العربية من الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى وهي كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ليقاس عليها منها قولهم بَتك وبشلك بمعنى قطع ولنا نتأ ونشأ بمعنى واحد وَبرْتكَ وَبرشلكَ بمعنى بتك ويقال ابعرَّت الخيل وابذأرَّت وابذعرَّت اي ركضت تبادر شيئاً تطلبهُ . والجبيس والضبيس بمعنى الجامد الثقيل الروح . وبذَّ وبزَّ نهب وبثَّ وبسَّ فرَّق ويقال لج الماء بمعنى برَجَ . ونجَّ الكلب ونجَّ ويقولون بمعنى السير الشديد أخَّ وعمجَ وهجَّ وهبش اي ضرب وكذلك خبق وحبق والحبقر والعبقر بمعنى البرد « حب الغمام » ولا يخفى ان الاولى هي الاصل لانها مركبة من حب وقر اي برد وكان يقصد بها « حب البرد » ثم أُبدلت الحاء عيناً بالاستعمال فصارت « عبقر » . ولحس ولهس ولعس بمعنى واحد ومثلهُ كسر وقصر . وبرق وبلق بمعنى شق . ونحزَ ومحزَ ووكزَ بمعنى واحد . ويقال خب الرجل وغب منعَ ما عندهُ وقد أتى بهذا المعنى ايضاً هنت وخنص وَهبط وغمط وغمص . وضبعَ في المكان او قبعَ او قمعَ اقام ويقال غبنَ الثوب وخبنهُ وكبنهُ اذا عطفهُ وخاطهُ . وبخس عينهُ وبخزها . والبصط كالبسط في جميع معانيهِ . وبصعٌ من الليل بمعنى بضْع . ويقال برَق وَبسق وبصق بمعنى واحد . وأفلط على لغة تميم كأفلت . وَفلغَ رأْسهُ أو ثلغهُ بمعنى شدخهُ وهكذا أيد وأكد وقصمَ وقطمَ وَقضمَ وقثمَ . وتسربل وتسغبل سواء في المعنى وكذلك الراية والغاية والبلاغة والبراعة وغنى وقنى وفي العربية من هذه الامثال ما لا يكاد يقع تحت الحصر

فقد ثبت مما تقدم ان الابدال واقع أما أسبابهُ فبسيطة هي في الغالب نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق في أوَّل الأمر ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا

كل تنوّع لفظيّ بتنوّع من المعنى الاصلي ويساعدُ على حفظ هذهِ اللغات افتقار اللغة للالفاظ اذ ذاك ولانها لم تكن محدودة مدوّنة · والابدال جارٍ في كل آن وزمان فكم من الامم الذين لا يستطيعون لفظ الراء راءً كما نلفظها نحن فيلفظونها قريبة جداً من الغين منهم القسم الأعظم من الفرنسويين والانكليز وجميع قاطني الموصل وجوارها ومن عامتنا من يلفظها لاماً وهم في الغالب من الاحداث وكثيرون يستثقل عليهم التلفظ بالثاء او الظاء او الذال فيلفظونها تاءً او سيناً وضاداً او طاءً ودالاً أو زاياً فعامة السوريين يقولون «كتير» بالتاء والمصريون يلفظونها «كسير» بالسين والاصل فيها «كثير» بالثاء فالثاء يلفظها السوريون تاءً والمصريون سيناً ويقول السوريون في «ظل» ضل ويقول المصريون في «الظل» الضل بلفظ الظاء ضاداً وبالعكس في ضبط فانهم يقولون فيها «ظبط» وقد أبدل السوريون ميم الجمع نوناً فهم يقولون «لهن وعليهن» في لهم وعليهم «وبينهن» في بينهم واهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف الا همزة مفخمة والمصريون أعرق في ذلك فيقولون «آل» في قال و«أميص» في قميص واغرب من ذلك استبدال بعض عامتنا الخاء بالتاء فيقولون «صفت» في صخ او الكاف همزة فيقولون «أآل» في اكل و«آسة» في كاسة وبعضهم يعكس الامر فيلفظ الهمزة كافاً كقولهم «سكل» في سأل · وطالما قيل لنا ان بعض سكان البادية يلفظون الكاف شيناً فيقولون «بيتش» في بيتك وهذا ما يدعى لغوياً بالكشكشة وبعضهم يقول «انطى» في اعطى اي بابدال العين نوناً والبعض لا يستطيعون لفظ الكاف الا تاءً فيقولون «تان» في كان كما تقدم

و﴿ النحت ﴾ ناموسٌ فاعل على الالفاظ وغايته ما يتعلق فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلاً للفظها واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان · وهذا الناموس لم تنجُ من فتكهِ لغة من لغات البشر ادناها واسماها بل قد جرى فيها على السواء من أوّل نشأتها ولم يزل حتى الآن ولن يزال الى ما شاء الله · ولا يخفى انهُ مهما كان من عظيم امره وكيف تنوّعت طرق عمله جارٍ في الالفاظ اعتباطاً عن غير قصد من الناطقين

وفي لغة عامتنا أمثلة كثيرة للنحت ربما افادت الاشارة اليها اذ بها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من التأثير في الفاظ اللغة

يستعمل الدمشقيون لفظة (شلون) بامالة الشين نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام ·

فلو فرضنا ان لغة عامتنا جُمعت في هذه الايام لحفظها لغةً كتابيةً وان احد علماء اللغة في الجيل القادم او ما بعدهُ قصد البحث في الفاظ اللغة بحثًا تحليليًا فوصل الى هذه اللفظة ماذا ترى يكون رأيهُ فيها . لا نظن الا انهُ يُرجح كونها مركبة من اكثر من اصل واحد وربما اهتدى بعد اجهاد الفكرة الى انها مركبة من (لوْن) والشين ومن تحليل معناها يتبين لهُ ان هذه الشين تتضمن معنى الاستفهام اذ ان المراد باستعمالها مع (لوْن) الاستفهام عن الكيفية . لكنهُ عند ذلك لا يكون قد فعل شيئًا اذ لم يزل جاهلاً معنى هذه الشين الاصلي فاذا كان ممن يذهبون الى ان الالفاظ كذا أُنزلت لا يرى بدًّا من التسليم ان هذا الحرف انما أُنزل للاستفهام . لانهُ يراهُ قد ورد كثيرًا في لغات بيروت ولبنان كقولهم (شِسمك) بمعنى ما هو اسمك وما شاكل . وان كان ممن يعتقدون الخلاف ويعلمون ان جميع الادوات الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها يأخذ في البحث عن الفاظ تتضمن هذا المعنى وهذا الحرف وربما عثر بعض العلماء العظايم على لفظة (شو) التي يستعملها البيروتيون بمعنى ماذا فيحكم ان تلك الشين مخونة منها وهناك تنقطع سلسلة بحثهِ فيقف متحيرًا آسفًا على ما خسرتهُ اللغة من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء اصل مثل هذه الكلمات فيتوقف عن البحث وهو على يقين ان ثمَّ حلقات قُدّر فقدانها ولولا ذلك لتيسر لهُ الاستقراء كما يشاء . اما نحن الآن نظرًا لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولدينا منها لغات متعددة يسهل علينا تتبع هذه اللفظة الى اصلها تمامًا فان اللبنانيين يعبّرون عن (شو) البيروتية بقولهم (أيش) وبعضهم يلفظها (أيشو) وبعض البيروتيين تصرَّفوا بها على طريقة غريبة فقالوا (شُونُوه) والسودانيون يقولون (شُونُو) فمن المقابلة يتضح جليًا ان الاصل فيها جميعها عبارة مؤلفة من ثلاثة الفاظ مستقلّ احدها عن الآخر لفظًا ومعنى وهي (أي شيء هو) وعند ذلك يعرض لنا سؤال آخر وهو هل يمكنا استقراء احد هذه الالفاظ الى اكثر من اصل واحد والجواب اننا حسب معرفتنا الحاضرة يصعب علينا ذلك ويلوح لنا ان بعضها قابل

والخلاصة أفلا يستغرب ذلك اللغوي اذا قيل لهُ ان هذه الشين مخونة أصلاً من ثلاثة الفاظ مستقل احدها عن الآخر لفظًا ومعنى

وهكذا لو سألنا عن (ليش) المستعملة بمعنى لماذا فاننا نراها مؤلفة من لام الاضافة

و (أيش) المتقدمة الذكر فكأن الأصل فيها (لاي شيء هو) والبيروتيون يقولون (بَدّي) بمعنى أُريد وهي منحوتة من (بودّي) و بعضهم يقول (ماش) اي لا شيء وهي منحوتة من (ماشيء) وهم يستعملون (شُعو) للتنبيه بمنزلة (ما هو) والاصل فيها (اقشعة) وما كنا لنعلم ذلك لولا أن بعض الذين يلفظونها يقرّبونها من الاصل نوعاً فيقولون (شقْعو) والمصريون يعبرون عن نفي الحال بقولهم (مُش) و بعضهم يلفظها (ما هوش) تقرباً من الاصل الذي هو (ما هو شيء) واللبنانيون يعبرون عن قولنا الآن بقولهم (إسَّا) و يلفظها بعضهم (هسّع) و يقول فيها السودانيون (حسّع) والاصل فيها (الساعة) اي هذه الساعة . ومن هذا النوع قولهم (لسَّا) واصلها (للساعة) والبيروتيون يقولون (هلاّ) بمعنى الآن و بعضهم يلفظها (هلق) والدمشقيون يلفظونها (ها لقيت) بلفظ القاف همزة مفخمة واللبنانيون يلفظونها اقرب الى الاصل من الجميع فيقولون (هالوقت) والاصل فيها هذا الوقت او (ها الوقت) و يستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم (قدّيش) ولا يقصدون بها الاّ (كم) على ان الاصل فيها (قدر أي شيء) وهكذا الحال في (كمان) المستعملة بمعنى ايضاً والاصل فيها (كما ان)

و يستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم (حاشْرَب) اي (سأشرب قريباً) و يصرّفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال فيقولون (حاشْرَب) (حنشْرَب) (حيشْرب) (حتشرب) الخ

اما الحاء فتتبعها صعب لا سيما لمن كان بالنسبة الى لغة عامتنا مثلنا بالنسبة للُّغة الفصحى وربما جذم باستحالته غير متردد . لكننا من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يتيسر لنا معرفة اصلها بسهولة فان البيروتيين يقولون بمعنى الاستقبال القريب (رحاشرب) أي سأشرب واللبنانيون يقولون (رايح اشرب) بالمعنى عينه فمن مقابلة هذه السلسلة (ح) ثم (رَح) ثم (رايح) يتضح جلياً ان الاصل في هذه الحاء انما هو صيغة اسم الفاعل من فعل ذي معنى بنفسه هو (راح) اي مضى

وقبل الشروع في ما نحن فيه نذكّر القارئ ان الفاظ اللغة تنقسم الى قسمين عظيمين (١) الفاظ دالة على معنى في نفسها (٢) الفاظ دالة على معنى في غيرها

فالالفاظ الدالة على معنى في نفسها الاسماء والافعال وما جرى مجراها مما يدل على معنى في نفسه فلفظ البيت يدل على البيت المعلوم و (ضربَ) يدل على حدوث

الضرب. واما الدالة على معنى في غيرها فهي التي لا معنى لها بنفسها كأحرف الجرّ وأحرف العطف وسائر الحروف والادوات فان (من) مثلاً لا معنى لها بنفسها ولكنها تدل على معنى في غيرها وهو الاسم الذي يجرّ بها كقولنا من البيت او من السوق والتاء في افتعل لا معنى لها بنفسها ولكنها باندراجها في الفعل تدل على المطاوعة وقس على ذلك

وباستقراء اللغات المختلفة نرى كثيراً منها خالياً من الحروف والأدوات الدالة على معنى في غيرها وبقوم مقامها بعض الالفاظ الدالة على معنى في نفسها . فالصينيون في غنىً عن هذه الادوات ويستعيضون عنها بالافعال والاسماء فيعبرون عن حرف الجرّ « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كُوشُنغ » ومعناها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شَاجِن اِي تِنغ » ومعناها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل نعرف بقبائل « مندنغو » اذا ارادوا تأدية معنى « على » قالوا « كُنغ » اي عنق او « في » قالوا « كُونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او أسماء ذات معانٍ مستقلة ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص او ما شاكل والمشهور من هذا النوع البولينية

وكان المصريون القدماء يعبرون عن « من » في قولنا « ساعة من ذهب » بلفظة « نسو » ومعناها الاصلي « لسان » ولا ندري اي علاقة بين هذين المعنيين حتى استعملت لهما لفظة واحدة ولعلهم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرج من » اي « تكوّن من » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » وعندهم « خم » ومعناها حرفياً « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »

وقد وجد علماء اللغة ان كثيراً من الاحرف والادوات في لغات اوربا يردّ الى اسماء او افعال نحتت بالاستعمال فصارت لا معنى لها الاّ في غيرها فان such مثلاً بالانكليزية « كذا » منحوتة من اصلين يقربان من so-like ولولا وجود اللغة

الانجلوسكسونية أم الانكليزية لتعذر استقراؤها · نهي في تلك اللغة swylc وفي اختها الجرمانية solch وجميعها بمعنى واحد · وهكذا في which مفادها « اي » ويمكن تتبعها على الطريقة عينها الى ما يماثل who-like وهي في الانجلوسكسونية hwylc وهكذا الحال في if حرف شرط فانها تُرد الى Gif في الانجلوسكسونية و Give في الانكليزية اي (اعطي) فكأنهم يقصدون بقولهم "if you come" ما هو في الاصل "Give that you come" ولكثرة الاستعمال نحتت الى if واستغني عن that فبطل استعمالها فبقيت if حرفاً لا يعرف عنه الأكونه يستعمل للشرط · وهكذا لو بحثنا عن ly الاداة التي تلحق اواخر الاسماء فتحولها الى نعوت والنعوت فتجعلها ظروفاً (نحو God اله Godly الهيّ و Generous كريم Generously كرماً) فقد استطيع تتبعها الى lic الانجلوسكسونية وهي في الانكليزية like اي « مثل » وفي الجرمانية lich وفي السويدية lig وفي النمساوية lijk وجميعها بمعنى واحد فعلوا ان Generously كرماً اصلها Generous-like « مثل كريم » وهكذا فيما بقي

ويستعمل العبرانيون « عِم » والسريانيون « عَم » كما هو في لغتنا « مَع » حرف جر واللفظة عينها في العبرانية وما يقاربها في السريانية تستعمل بمعنى الشعب والعم الشرعي فيستدل من كل ذلك ان الاصل في معناها الاجماع والاتحاد فاستعملوها اسماً واداة جر كما رأيت · ولا يخفى ان « مع » مقلوبة عن « عم » وعند العبرانيين « مَدُوع » بمعنى لماذا مركبة في الاصل من « مه » الموصولة و « يَدُوَع » علم · وهم يعبرون عن قولنا « حسب » بقولهم « لِفي » مركبة من حرف الجر « ل » وفي (فم) وعندهم بالمعنى عينه « كفي » من كاف التشبيه و « في » المتقدم ذكرها وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح « أشرا ٠٠٠ » مركبة من « أشر » الذي ولام الاضافة بمعنى خاصة أو ملك وبعد ذلك باجيال اختصروا لفظها حتى صارت تلفظ وتكتب « شل » بالمعنى عينه فلو لم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك الجيل لما تيسر لنا تتبع « شل » الى « أشرا ٠٠٠ »

والسريانيون يستعملون « مكيل » بمعنى إذن وهي تحل الى « من » حرف جر و « كيل » مفادها « قياس الزمن » · ولديهم « هشا » بمعنى الآن مركبة من « ها » للتنبيه والاشارة و « شعا » ساعة · و « أيكنا » كيف مركبة من « أي » الاستفهامية

و « كَنَا » واصلها « كَهنَا » من كاف التشبيه و « هَنَا » هذا وهذه تحل الى « ها » التنبيه و « نا » الاشارية بمعنى « ذا » فكأن الاصل في « أ بْكَنَا » « اي كهانا » واغرب من ذلك انهم ركَّبوا من « هَنَا » المتقدم ذكرها و « عَدْ » حتى و « ما » الموصولة ما مفادهُ « حتى الآن » لكنهم اختصروا في لفظها حتى صارت « عَدْيش » على ان الاصل فيها « عَدْ مَا مَا شَعَا » فتأمل

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة « قلب » لما هو في لغتنا « وسط » وكثيرًا مانسمع بعض العامة يقولون « في قلب البيت » ويقصدون في وسط البيت ويستعمل المالطيون « تَغْ » للاضافة كما يستعمل الفرنساويون de والانكليز of وعند البحث عن اصلها نرى انها بقية « مَتَاع » التي لا تزال تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة · والمصريون اكثر استعمالاً لها وقد تصرَّفوا في لفظها فقالوا فيها « بتاع »

وفي لغتنا كثير من الاحرف يمكن ردها الى اصولها الفعلية او الاسمية بسهولة وخصوصًا الظروف وما جرى مجراها ولكن الجانب الاعظم منها يعسر ردهُ وقلَّ من حاول ذلك من علماء لغتنا · وعندنا ان الاحرف والادوات المشار اليها في لغتنا كانت في الاصل الفاظًا ذات معنى في نفسها وقد صارت حروفًا وأدوات بعامل القلب والابدال والنحت وان معظم ما في لغتنا من الافعال والاسماء يردُّ الى اصول قليلة بسيطة تولدت عنها كل هذه الالفاظ بواسطة هذه النواميس الثلاثة وهذا ما نتوخى اثباتهُ في مقالتنا هذه وعلى الله الاتكال

فلنأخذ عبارة عربية أية كانت ولنبحث فيها بحثًا تحليلياً مثال ذلك

المستقتلُ في الحرْبَة لا يعبأُ باهانةٍ من رقيقٍ

(المُستقتِلُ) مؤلفة من أل التعريف ومستقتل فأل التعريف يظهر لنا أنها وضعت في الاصل للاشارة والاشارة التعريف في أبسط معانيهِ اذ ليس أسهل علينا في تعريف شيء من ان نشير اليهِ وابسط ادوات الاشارة (ها) اما تحوُّلها الى (أل) فيظهر من مقابلتها بأداة التعريف في اللغة العبرانية فهي فيها الهاء وحدها فاذا اراد العبرانيون تعريف اسم اضافوا الهاء الى اوَّلهِ وشدَّدوا اوَّل حرف منهُ فيقولون في تعريف (بَيْت) (هبَّيْت) ويذكرنا ذلك بسقوط لام التعريف في العربية عند اتصالها بالاحرف الشمسية فكأن الاصل في التعريف عندنا كما هو عند العبرانيين

تماماً واما اللام فقد حدثت بالاستعمال حيثما يستثقل التشديد وذلك في الاحرف التي يسمونها القمرية

اما دخول هذه اللام عفواً فهو عاديٌّ في العربية وذلك ان اللام والميم والنون والراء احرف نسميها مائعة لسهولة اندراجها في الالفاظ بغير ان تغير شيئاً من معناها فهي تندرج في اوَّل الالفاظ مثل قولهم نبذرَ بمعنى بذرَ وهذمَ كهَدَمَ بمعنى القطع او في وسطها كسلطحَ من سطحَ اي اتسع وسلحفَ من زحفَ او تحفَ وبرعط من بعط وخرمشَ من خمشَ وشربكَ وشنبكَ من شبك وشمرقَ من شرقَ ويقال فنَّعَ اصابعهُ وفرقعها . او في آخرها كقولهم النعل الملآن من فعمَ وبحثرَ بمعنى بحثَ وبعثرَ بمعنى بعثَ وسحنرَ اي مضى مسرعاً من سحف التي حنفظت في زحف وقطمنَ وقطعرَ من قطع وقس عليهِ

أما تحوُّل الألف في (ها) الى التشديد فهو من قبيل تخفيف اللفظ رغبة في سرعة التلفظ ويتضح ذلك بأقل تأمل . أما ابدال الهاء همزة فقد تقدم سببهُ في كلامنا على الابدال وعليهِ فقد اتضح ان أل التعريف مبدلة او منحوتة من اسم الاشارة (ها) ويؤيد ذلك ان ادوات التعريف في كثير من اللغات اوربا ترجع بالاصل الى اسماء الاشارة او الموصول او الضمير على ان اسم الاشارة والموصول والضمير ترجع الى اصل واحد عند المقابلة والتحليل

و (مُستقتلُ) مركبة من الميم و (إستقتل) اما الميم هنا فتكسب الفعل معنى الفاعلية وبها يصاغ اسم الفاعل والمفعول في العربية من غير الثلاثيّ والظاهر من دلالة هذه الميم انها تعمل عملَ (مَن) الموصولة فبقولنا (مستقتِل) نريد (من يستقتِل) او الذي يستقتل وفي (مُستقتَل) نريد (من يُستقتَل) او الذي يستقتل فربما كانت هذه الميم منحوتة من (مَن) الموصولة والدليل على ذلك انها كثيراً ما وردت في العبرانية مجردة من النون موصولة بالفعل الذي يليها وترد الميم ايضاً في صيغة اسم الآلة فهي هناك منحوتة من (ما) الموصولة فان (مِلقط) وما يلقط اي الذي يلقط بمعنى واحد. فالميم في مستقتل منحوتة من مَن الموصولة على الارجح

و (استقتل) مركبة من (است) وقتل وهي تكسب الفعل غالباً معنى الميل او الرغبة فان معنى استقتل مال الى القتل او رغب في القتل وقد نرى في تتبع اصلها

صعوبة لاندثار الحلقات الموصلة بينها ولعل اصلها في العربية فعل او اسم بمعنى (سطا) في السريانية فانها تدل فيها على الميل وابدال الطاء تاء سهل كما رأيت وبما لا بأس من ذكره ان (است) في التركية تفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبة

و (قتل) فعل ماض يظهر لنا لاول وهلة انه بسيط لا يمكن حله ولكننا باستقراء الفاظ اللغة واعتبار نواميس القلب والابدال والنحت المتقدم ذكرها نرى انه من تنوعات اصل بسيط هو حكاية صوت القطع وهو (قط) فانك اذا قطعت حجراً او خشبة تسمع لذلك القطع صوتاً يحاكي (قط) و يؤيد ذلك ان هذا المقطع او ما يماثله يدل على القطع في سائر اللغات فهو في التركية (كمك) وفي الانكليزية « CUT » وفي الفرنساوية « COUPER » ومثل ذلك في اللغات الشرقية . وفي المصرية « خت » وقد شقوا منها نعتاً فقالوا « كت » صغير وربما كان قصدهم في اول الأمر قطعة صغيرة ثم اطلقوها على صغير اما كونها اصلاً لآلاف من المشتقات فيتضح مما يأتي

ان تنوعات (قط) هي قطَّ وقطع وقطب وقطف وهذان الاخيران يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطم وقطل و يجانس قط (قت) ومنها قتل و يجانس قط (قص) ومنها قصَّ وقصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن معنى النقص وقصف وقصا جميعها تفيد القطع و يجانسها (قش) ومنها قشَّ وقاش وقشم وقشب وقشع و يجانس قص ايضاً (كس) ومنها كسَّ وكسر وكسع وكسح وكسم و يجانس قش (جذ) ومنها جذَّ وجذب وجذر وجذف وجذم وجميعها من باب القطع و يجانس جذ (جز) ومنها جزَّ وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم و يجانس كس (خز) ومنها خزَّ اي طعن وخزع قطع وخزق وخزل وخزم ثقب فترى في جميع هذه التنوعات ان معنى القطع واضح تماماً و يجانس قص (قس) ومنها قسم وقسط فان هذه الاخيرة وسائر الافعال المتعلقة بالاحكام العقلية ترد الى معنى القطع منها قولنا قضى وعدل وفصل وحكم وقسم وقسط .

اما كيفية تحوّل قت الى قتل فاما بالنحت وهو ان يتحد قت مع فعل فيه لام تبقى وحدها و يندثر سواها بالاستعمال كما حصل في قطف فان اصلها على ما يظن اقط لف اي قطع وجمع وهو معنى القطف تماماً ثم التحم اللفظان وسقطت اللام فبقيت

فطفَ او ان تدخل اللام عنوًا لانها من الاحرف المائعة كما تقدم

وتنتهي لفظة المستقبل بالضم كسائر حالات الرفع ولنا فيها رأيٌ لا يخلو ذكرهُ من فائدة وذلك ان في سائر اللغات الآرية ولا سيما لغات اوربا يستعملون فعل الكون بين المبتدا والخبر فيقول الانكليز مثلاً في قولنا (العلم نافع) scienc euis seful اي العلم يكون نافعًا او هو نافع ومثل ذلك في سائر لغات اوربا اي انهم يجعلون بين المبتدأ والخبر فعل الكون ولمثل هذا الاستعمال أثر في اللغة السريانية ايضًا فهم يضيفون ضمير الغائب احيانًا في مثل هذه الحال وهو يشبه بلفظهِ فعل الكون (هو) ويريدون به الزخرفة في الكلام ويقولون ما يشبه قولنا (حسن هو البرُّ) او (البرُّ هو حسنٌ) فربما كان مثل هذا الاستعمال في العربية كأن يقولوا (العلم هو نافع) ثم سقطت الهاء في الاستعمال فبقيت الواو وقامت الضمة مقامها فقالوا (العلمُ نافع) وكل ذلك قبل ان تدون اللغة بازمان فلما دونوها اعتبروا لفظها فقط والله اعلم

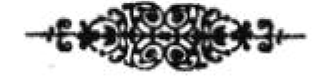
ويرى المطالع ان الكلام قد طال بنا ونحن لم نحلل الاَّ لفظًا واحدًا فخوفًا من الملل نقتصر فيما يلي على تحليل لفظة أخرى فقط وهي (بلطمة)

(بلطمة) مؤلفة من الباء ولطمة فالباء حرف جر يستعمل لافضاء معاني الافعال الى الاسماء وهي تأتي لاربعة عشر معنى الالصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبعيض والقسم والغاية والتوكيد ومعلوم انهُ لا يمكن ان تكون جميع هذه المعاني اصلية فيها واظن ان لا سبيل لنا لمعرفة ما وضعت للدلالة عليهِ في الاصل الاَّ بمقابلتها بالباء المستعملة في اخوات العربية واذ ذاك نرى ان الباء لا تستعمل في سائر تلك اللغات الاَّ للظرفية فيرجح ان هذا هو الاصل في دلالتها عندنا وما بقي من المعاني ليس الا تفننًا عربياً ويعلمنا الاستقراء ان هذه الباء هي بقية كلمة ذات معنى مستقل هي (بَيت) بدليل ان هذه الاخيرة مستعملة في السريانية بمعنى في أو بين فيقولون (بيت قبورا) اي في او بين القبور ثم تأتي (بيْ) وهي حلقة موصلة بين (بيت) والباء وقد وردت في التلمود والترجوم بمعنى في البيت وهي في السريانية مجزوم (بيت) وتفيد الظرفية فيكون لنا اذًا سلسلة تامة الحلقات وهي (بيت) ثم (بيْ) ثم (ب) فيرجح ان الباء هي بقية (بيت)

و (لطمة) اسم مرة من لطم وهذا فعلٌ ماضٍ وهي على ما نرى حادثة عن (لط) المبدلة من (لت) وهي حكاية صوت اللطم فانك اذا لطمت سطحًا احدث لطمك لهُ صوتًا يشبه قولنا (لَتْ) ويقاربها في اللاتينية (laedo) بمعنى اضرُّ او جرح ومن لَتْ سلسلة لتّ ولتب ولتح ولتخ ولتد ولتذ ولتف والم ويجانس (لت) (لط) ومنها لطّ ولطأ ولطث ولطح ولطخ ولطس ولطش ولطعَ ولطم ولطأة وجميعها تتضمن معنى الدق والشد ومنها سلسلة اخرى اولها لبط وهكذا في تحليل كل لفظ من الفاظ اللغة العربية او غيرها من اللغات

فاللغة في اوّل نشأتها قليلة الألفاظ بسيطة التركيب ليس فيها شيء من الادوات والحروف ولم تصل الينا او هي لم تدوَّن الاّ بعد ان مرّت عليها تقلبات شتى بين قلب وابدال ونحت على طرق مختلفة فتولدت الحروف والادوات وصارت الى ما هي عليهِ من انواع التعبير

والبحث في اللغة على هذا النحو دقيق للغاية وفيهِ من اللذة ما لا يقل شيئًا عن سائر الابحاث الفلسفية العقلية ولا بد لمن يطرقهُ من درس اخوات اللغة العربية وهي السريانية والعبرانية والاشورية وغيرها وقد تأتى لنا ذلك منذ عشر سنوات على أثر مطالعتنا اللغات المشار اليها فكتبنا فيهِ كتابنا « الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية » ونظننا أوّل من فعل ذلك وقد استلفتنا انتباه علماء اللغة اذ ذاك وتقدمنا اليهم ان يخوضوا عباب هذا البحر لاستخراج جواهره فلم نُسمع الاّ قليلاً فنعيد الكرة الآن ونرغب اليهم ان يزيدونا في هذا الموضوع زادهم الحق علمًا وخيرًا



باب المراسلات

أصل الخط العربي

حضرة الفاضل صاحب الهلال المنير

اطلعت في مجلتكم الغرّاء التي اشرق نورها في ١٥ يناير سنة ٩٥ فرأيت في صفحة ٢٩٩ نبذة ذكرتم فيها بعض ما تضمنهُ كتابنا «الأثر الجليل لقدماء وادي النيل» فاعترفت بتقصيري عند أداء الشكر على هذا التقريظ الذي وسمتم بهِ هذا الكتاب مع انهُ كالدجور لدى سناء هلالكم الزاهر او كالنالك الضالّ في بحر علمكم الزاخر وشتان بين الخرز والجواهر

وقد ذكرتم حفظكم الله في باب الانتقاد انكم لا ترون رأينا فيما ذكرناهُ بصحيفة ٢٣٠ من كتابنا عن اصل الخط العربي حيث قلنا فيها (اما الخط العربي و بالاخص الكوفي فقد اشتق من القلم البرباني نحو بدون واسطة الكنعانيين او الفينيقيين) وانهُ في رأي حضرتكم مشتق من الخط السطرنجيلي او النبطي من الخطوط التي كان يستخدمها الكلدانيون ومن تفرّع منهم وهي بالاصل من الخط الفينيقي المأخوذ عن المصري القديم الى آخر ما ذكرتم . ومن هنا يظهر اننا اتفقنا معكم في ان المصري هو الاصل وان الفينيقي مشتق منهُ وانحصر الخلاف بيننا في وجه واحد ضعيف وهو هل العربي مشتق من الفينيقي وهو رأي حضرتكم او من المصري وهو رأينا يعني هل هو ابن الفينيقي ام اخيه وفصل الحكم في ذلك هو المقارنة بين العربي والمصري ثم بينهُ اي العربي والفينيقي فما كان العربي يشبههُ فهو ابنهُ وذاك أبوهُ بلا مشاحة ولنضع جدول هذه الاحرف الذي بالكتاب اي الاثر الجليل امامنا ونقارن بين كل حرف من العربي بمثلهِ ونبتدئ بالنفخة فنجدها في البرباني على شكل طائر قد ضمّ جناحيهِ وفي الايراتيكي المصري على شكل حبل متعرّج و بالكنعانية اي الفينيقية على شكل مثلث طالت اضلاعهُ وخرجت عنهُ فاذا عرفنا ذلك سلمنا لحضرتكم في الحكم على نبرة النفخة المعروفة بالهمزة ومن اي الاقلام اشتقت ثم ننتقل الى الباء فنجدها في العربية

قريبة جداً من البربائية التي فيها على هيئة ساق انسان بقدمه فاذا قطعنا الساق بقي القدم وهو حرف الباء العربي وقريبة جداً منها في الايراتيكية المصرية اما في الكنعانية فعلى شكل مثلث له ذيل قد التوى تحته اما الجيم فقد اتفق شكلها في العربية والمصرية والكنعانية وفي هذه الحالة لا يمكننا الحكم بشيء في اشتقاقها ثم ننتقل الى الدال وهي في الكوفية والمصرية سواء وتختلف في الكنعانية جداً ثم الهاء وشكلها على هيئة حصير الجبن المطوية نصف طية وهي قريبة من الهاء في قلم الثلث مع انها في الحجازية والايراتيكية المصرية واحد وانظر الى الواو وشكلها في البربائية حيث تراها على هيئة ثعبان له راس مرفوع وهو يزحف على بطنه واين هذا من شكل هذا الحرف بالكنعانية وانظر الى الزاي واختصارها من الايراتيكية وهل لها ادنى شبه بالحرف الكنعاني ثم الكاف وهي بعينها في الكوفية والحجازية والايراتيكية المصرية وهل فيها ادنى شبه بها في الكنعانية ايضاً ثم الميم الكوفية وهي عين الميم البربائية التي على شكل بومة فاذا قطعنا رجليها صارت ميماً كوفية اما العين فبعيدة جداً في الكنعانية لانها فيها على شكل دائرة خلافاً للبربائية فانها فيها على شكل ذراع انسان مبسوطة الراحة فاذا قطعنا ذلك الذراع صارت العين ناطقة أما الفاء فنجد رأسها في البربائية موجودة ولم نجد لها أدنى اشارة في الكنعانية وانظر الى الصاد واختصارها من الايراتيكي المصري أما القاف فموجودة برمتها في الايراتيكي المصري وفي البربائي ايضاً وهي اقرب اليها من الكنعاني أما الراء فانظرها في الحجازية والايراتيكية المصرية تجدها واحدة وانظر الى الشين في الحجازية والبربائية والايراتيكية وهل بين التاء الحجازية والايراتيكية فرق وأين هي من صورة الصليب المتخذ علماً في الكنعانية على هذا الحرف

وبالجملة قد شابه القلم العربي أباه في كثير من اصوله ومن يشابه ابه فما ظلم نعم يوجد بعض أحرف قليلة في العربية تقرب من الكنعانية نوعاً لكن قربها الى المصرية اقوى بكثير ولا غرو اذا شابه الأخ اخاه في بعض أحواله لان اباهما واحد وانظر رعاك الله الى اليونانية التي تولدت من الكنعانية تجدها تابعة لها في جميع اشكالها الا القليل خلافاً للعربية

أما القلم النبطي الذي قام عنه انه اصل للعربي واتفقتم مع باقي المؤرخين في ذلك فهو شيء لا اتكلم فيه لعدم وجوده في جدول الاحرف بالكتاب ولا يمكنني ان احكم

على غائب وبالجملة ان صحَّ هذا القول الحقناهُ بابيهِ وهو المصري لا الكنعاني والى هنا رددنا جماح القلم عن الجولان في هذا الميدان

ثم ارجو درج هذه النبذة الوجيزة في اول مجلة تصدر من هلالكم المنير

(القاهرة) احمد نجيب

مفتش عموم الآثار المصرية

(الهلال) نشكر لحضرة المراسل الفاضل على حسن ظنهِ بنا وثني على رغبتهِ في تمحيص الحقيقة ونستميح العذر في رد ما قالهُ وتأييد ما قلناهُ عن تخلف الخط العربي عن السطرنجيلي او النبطي وعدم اشتقاقهِ رأساً من المصري

يؤخذ من مجمل رد حضرتهِ انهُ استند قولهُ في اشتقاق الخط العربي من المصري الى مقارنة اشكال الحروف فقط فلما رأى مشابهة بين الحرفين حكم باشتقاق احدهما من الآخر بقطع النظر عن سائر الاحوال الأُخرى على ان ذلك لا يكفي لاثبات قول او تأييد حقيقة لانهُ قد يعرض اعتباطاً بين خطين لا يمكن ان يقال بتخلف الواحد عن الآخر او اشتقاقهِ منهُ اذ كثيراً ما نرى تشابهاً بين بعض الحروف العربية وبعض الحروف الهندية او الصينية ولا يجوز لنا اشتقاقها بعضها عن بعض لبعد العلائق بين الامتين فلا بدَّ لاثبات اخذ العرب الخط عن المصريين رأساً من تأييدهِ بالادلة التاريخية والعقلية وتعيين الزمان والاحوال التي اقتضت ذلك ولا نظن هذا مستطاعاً لدى حضرتهِ

أما اشتقاقهُ او تخلفهُ عن الخط السطرنجيلي او النبطي فمؤيد بالادلة التاريخية والعقلية وتمهيداً لذلك نقول ان الفينيقيين أخذوا حروفهم عن المصريين نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهذا امرٌ قد سلم بهِ حضرتهُ وتفصيلهُ ان الفينيقيين اهل تجارة من اقدم ازمان التاريخ فكانوا يطوفون البحار وينزلون المدن يبيعون ويشترون فكانوا يحتاجون في ذلك الى تدوين حساباتهم او مخابرة عملائهم او ما شاكل ذلك فاحتاجوا الى الكتابة ولعلهم وضعوا في اوَّل الامر احرفاً صوَرية كما فعل المصريون القدماء. لان في آثار الحثيين كتابة صوَرية كالكتابة المصرية ولكن المعروف انهم استعملوا الكتابة الهجائية في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد والدليل على ذلك ان في أحاديث اليونان القديمة « ان قدموس بن اجنور ملك فينيقية امرهُ والدهُ

أن يسير للتفتيش عن أخته أوروبا التي اختطفها جوبيتر وأمره ان لا يعود الى فينيقية الا بها فجاء بوتيا ولم يعثر على ضالته فأسس هناك مدينة طيبة وعلّم اليونانيين الحروف الهجائية التي حملها اليهم من فينيقية » والمظنون ان قدموس كان في القرن الخامس عشر ق م فالفينيقيون استخدموا الحروف الهجائية نحو ذلك الزمن او قبله

أما اشتقاق هذه الحروف من المصرية فدليله ان الفينيقيين كانوا يترددون كثيراً الى مصر للتجارة . والكتابة الصوَّرية عند المصريين قديمة جداً فاختار الفينيقيون من تلك الحروف اشكالاً يعبرون بها عن مقاطع الصوت في لغتهم فبلغ عددها ٢٢ شكلاً او صورة ويشبه ذلك لو اراد احد البرابرة الآن كتابة اللغة البربرية فيختار من الحروف العربية ما يحتاج اليه من المقاطع وقد يكون في العربية مقاطع لا وجود لها في تلك وبالعكس فاتخذ الفينيقيون هذه الصور حروفاً وسموا كل واحد منها باسم فينيقي يدل على شكله فكان رسم الثور مثلاً عند المصريين مستعملاً للدلالة على الثور وهو في لغتهم (آو) فرسموا شكلاً يشبه رأسه وجعلوه للدلالة على مقطع الألف وسموه « ألف » ومعناها في الفينيقية (ثور) واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت وبدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيت » اي بيت . واتخذوا رسماً آخر يشبه رأس الجمل واستخدموه لحرف الجيم وسموه (جيمل) اي جمل وهكذا في الشين المسننة فان في الهيروغليف يقابلها هذه الصورة وهي رسم اشجار مغروسة وهكذا في سائر الحروف حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم وتكوّنت الابجدية الفينيقية وكل ذلك قبل القرن الخامس عشر ق م . واذا تأملت اشكال الحروف الفينيقية في الجدول فترى ان اشكالها تشبه ما تدل عليه وربما ظهر لك اختلاف في بعضها ولكنك عند التأمل تراها تعود الى الاصل فان الدالت مثلاً يظهر لك انها لا تشبه باب البيت ولكنها تشبه باب الخيمة والبود تشبه اليد بالاصابع فكأن اصلها والطاء فانها تشبه الحية اذا التفت وهذه صورتها في الهيروغليف والميم تشبه تموّج المياه المتكاثرة والنون تشبه السمكة المستطيلة اذا تلوّت والعين كثيرة الشبه بالعين الحقيقية والفاء كانت تشبه فماً مفتوحاً والصاد تشبه السنارة التي يصطادون بها السمك والقاف لا يظهر انها تشبه الاذن ولكن اصلها هكذا والشين اسنانها

واضحة والتاء علامة تدمغ بها الخيول في كثير من بلاد المشرق الى الآن

هكذا تولدت الحروف الفينيقية على الأرجح والفينيقيون نشروها في العالم لانهم كانوا كثيري الاختلاط بالأمم المتمدنة في ذلك العهد بسبب اسفارهم للاتجار وقد تقدم كيف علموا اليونان الكتابة وقد علموها ايضاً للاشوريين او الكلدانيين في العراق وكان هؤلاء يكتبون قبل ذلك بالحروف الاسفينية او المسمارية ونظراً لسهولة استعمال الحروف الفينيقية بالنسبة المسمارية استخدموها باسمائها الفينيقية واهملوا تلك ثم اخذت الحروف الفينيقية تتنوع بالاستعمال شأن كل ما هو حي او شبه حي في هذا الكون فسميت الآرامية ثم تفرعت عنها خطوط كثيرة استخدمتها أمم تفرعت من الكلدانيين كالنبطيين الذين كانوا يقيمون في شمالي بلاد العرب فيما يسمونه العربية الصخرية والتدمريين الذين كانوا يسكنون تدمر وغيرها وتخلف عن الخط الارامي بالعراق خط يقال له السطرنجيلي وهو السرياني القديم كل ذلك قبل ان فكر العرب في تدوين لغتهم وهاك امثلة من الخط الارامي وفروعه (الخط الارامي)

ميتبيا زي قرب معنن بر عمرن

لصلم الها لحيي نفشه

اي « العرش الذي قدمه معنان ابن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه »

وقد عثروا من الخط النبطي على نوعين احدها اقرب الى الكتابة الارامية وهو

نفشه دي حمرت دي بنه له ادينة بعله

اي « تمثال حمرت الذي بناه له سيده ادينة »

والثاني اقرب الى الخط العربي لتلاحم اجزائه وارتباط حروفه بعضها ببعض وهو

دنه قبرا دي عبد عبدو بن كهيلو بن

اي « هذا هو القبر الذي صنعهُ عبدو بن كهيلو بن الخ »

والخط العربي نوعان الكوفي والنسخي ويغلب على الظن ان الاول متفرع عن السطرنجيلي والثاني عن النبطي ومما يزيل كل ريب من ذهن القارئ ان جميع الأُمم التي استخدمت الحروف الفينيقية او فروعها حافظت على اسمائها الفينيقية الاصلية مع بعض التحريف الذي لا بدَّ منهُ في سائر اعمال الحياة

فالألف مثلاً اسمها بالفينيقيه (ألف) اي ثور فبقيت بالعربية والعبرانية والسريانية كما هي (الف) اما في اليونانية والقبطية فصارت الفا · والباء اسمها بالفينيقية (بيث) اي بيت فبقيت في العبرانية والسريانية بيث اما في العربية فسقطت الثاء منها فصارت باء وفي اليونانية ابدلت الباء فاء فصارت فيتا وفي القبطية ويضا وهكذا ايضاً في الجيم فاسمها في الفينيقية (جيمل) اي جمل فبقيت في العبرانية والسريانية واليونانية كما هي في الفينيقية تقريباً اما في العربية فسقطت اللام فبقيت جيم وقس عليهِ سائر الحروف وبمراجعة الجدولين الآتيين يتضح لك ذلك جيداً واذا اردت زيادة الايضاح راجع مقالة (تاريخ الكتابة واصل الخطوط) في السنة الاولى من الهلال

والخلاصة ان الادلة على تفرع الخط العربي من بعض الخطوط الارامية ستة (١) الروابط اللغوية بين العرب وهذه الأُمم لان العربية وسائر اللغات الارامية اخوات وهو حامل لهم على الاختلاط (٢) العلاقة التاريخية لان العرب كثيراً ما اختلطوا بالكلدانيين والنبطيين وغيرهم في نحو الزمن الذي بدأ فيهِ العرب بالكتابة (٣) العلاقة الجغرافية فان هذه الامم متجاورة فيسهل اختلاطها (٤) تقارب الشكل بين الخط العربي وخطوط تلك الأُمم (٥) وحدة اسماء الحروف الهجائية فيها كلها وهو امر جوهري ذو شأن (٦) ترتيب تلك الحروف على النسق الابجدي فان فيها كلها تقريباً الالف اولاً ثم الباء ثم الجيم ثم الدال وهكذا مما لا يمكن ان يحدث اتفاقاً

ونظن فيما تقدم كفاية لتأييد قولنا ان الخط العربي لم يشتق من القلم البرباني (المصري القديم) رأساً ولكنهُ اشتق من السطرنجيلي او النبطي من الخطوط التي تفرعت عن الارامي المتفرع عن الفينيقي المأخوذ عن المصري القديم وفوق كل ذي علم عليم

(تنبيه) لدينا ردٌّ من حضرة الفاضل (ر . ن) في « التمدن الاسلامي وبماذا قام » ارجأنا درجها الى الهلال القادم ان شاء الله تعالى

جدول اسماء الحروف

معانيها	اسماء الحروف بالفينيقية	اسماؤها بالعربية	اسماؤها باليونانية	اسماؤها بالقبطية	اسماؤها بالسريانية	اسماؤها بالحبشية
ثور	الف	الف	الفا	ألفا	آلف	الف
بيت	بيث	باء	فيتا	ويضا	بيث	بث
جمل	جيمل	جيم	جملا	غاما	جامل	جَمَل
باب	دالث	دال	دلتا	دلضا	دالث	دنت
?	ه	هاء	اي	ايي	ها	هوي
دبوس	واو	واو	أو	أو	واو	واوي
سلاح	زين	زاي	?	?	زين	زاي
حبط	حيث	حاء	ايطا	ايضا	حيث	حَوْت
حية	طيط	طاء	ثيطا	ثيضا	طيث	طيت
يد	يود	ياء	يوطا	يوضا	يوذ	يمن
كف	كاف	كاف	كبا	كابا	كاف	كاف
مساس	لامذ	لام	لامذا	لولا	لامذ	لاوي
مياه	ميم	ميم	مي	مي	ميم	ماي
سمك	نون	نون	ني	ني	نون	نحاس
دعامة	سامك	سين	سغما	سيما	سمكت	سبّة
عين	عين	عين	?	?	عين	عين
فم	فا	فاء	بي	بي	فا	فا
سناره	صادي	صاد	زيتا	زيضا	صادي	صاداي
اذن	قوف	قاف	———	———	قوف	قاف
رأس	ريش	راء	رو	رو	ريش	ريس
سن	شين	شين	———	شاي	شين	شات
علامة	تاو	تاء	تاو	ضاو	تاو	تاوي

﴿ جدول اشكال الحروف ﴾

الحروف الرومانية	الحروف اليونانية الحديثة	الحروف اليونانية القديمة	الحروف الفينيقية	الحروف السامرية	الحروف العبرانية	الحروف السريانية	الحروف العربية
A	Α	Α	𐤀	ࠀ	א	ܐ	ا
B	Β	Β	𐤁	ࠁ	ב	ܒ	ب ﺑ
G	Γ	Λ	𐤂	ࠂ	ג	ܓ	ج ﺟ
D	Δ	Δ	𐤃	ࠃ	ד	ܕ	د
E	Ε	Ε	𐤄	ࠄ	ה	ܗ	ه ﻫ ﻪ
O	Ω	Υ	𐤅	ࠅ	ו	ܘ	و
?	?	Ι	𐤆	ࠆ	ז	ܙ	ز
H	Η	Η	𐤇	ࠇ	ח	ܚ	ح ﺣ
?	Θ	⊕	𐤈	ࠈ	ט	ܛ	ط
I	Ι	ϛ	𐤉	ࠉ	י	ܝ	ي ﻳ
K	Κ	Κ	𐤊	ࠊ	כ	ܟ	ك ﻛ
L	Λ	Λ	𐤋	ࠋ	ל	ܠ	ل ﻟ
M	Μ	Μ	𐤌	ࠌ	מ	ܡ	م ﻣ
N	Ν	Ν	𐤍	ࠍ	נ	ܢ	ن ﻧ
S	Σ	Ξ	𐤎	ࠎ	ס	ܣ	س ﺳ
?	?	⊙	𐤏	ࠏ	ע	ܥ	ع ﻋ
F	Φ	ϛ	𐤐	ࠐ	פ	ܦ	ف ﻓ
Z	Ζ	Ϻ	𐤑	ࠑ	צ	ܨ	ص ﺻ
Q	?	Ϙ	𐤒	ࠒ	ק	ܩ	ق ﻗ
R	Ρ	Ρ	𐤓	ࠓ	ר	ܪ	ر
?	?	Ϻ	𐤔	ࠔ	ש	ܫ	ش ﺷ
T	Τ	Τ	𐤕	ࠕ	ת	ܬ	ت ﺗ

الهلال

الجزء الثالث عشر من السنة الثالثة

(اول مارث (اذار) سنة ١٨٩٥) (٥ رمضان سنة ١٣١٢) (٢٤ امشير سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



لامارتين

الشاعر الفرنساوي الشهير

« ولد سنة ١٧٩٣ وتوفي سنة ١٨٦٩ »

هو الفونس لامارتين الشاعر البليغ والفيلسوف الكبير والسياسي المحنك ولد في ماسون بفرنسا سنة ١٧٩٢ واسم عائلة والده دوبرات اما هو فسمّي لامارتين نسبة الى عائلة والدته كما سترى. تلقى العلوم اولاً في بيلي ثم سافر الى ليون ومنها الى ايطاليا ثم عاد الى باريس وكانت اعجب بمشاهد ايطاليا الطبيعية فأثرت في مخيلته حتى هاجت فيه موهبة الشعر فلما عاد الى باريس عكف على النظم والانشاء ولما نفي نابوليون بونابرت الى البا سنة ١٨١٤ تعين لامارتين في منصب عسكري ولكنه ما لبث ان اعتزل الاعمال العسكرية وعاد الى الدرس والمطالعة والنظم

وفي سنة ١٨١٨ زار ايطاليا مرة ثانية فلما عاد منها الف كتاباً سماه « تأملات شعرية » لم يستطع نشره الا بكل صعوبة لانه لم يكن معروفاً لدى القراء ولا ناشري الكتب على ان كتابه هذا لم يكد ينشر حتى تكاتف القراء على اقتنائه ولهجت باريس وسائر فرنسا بذكره فبيع منه في اربع سنوات ٤٥ الف نسخة وشاع ذكره في سائر الاقطار وتحدث الناس في امر هذا الشاعر ونبوغه وتنبأوا بعظائم مستقبله على انه ما لبث ان انشغل عن العلم بالسياسة فتقلد منصباً في سفارة فرنسا بفلورنسا ثم سكرتيرية سفارة نابولي ثم في لندرا وتزوج هناك بفتاة انكليزية ذات ثروة طائلة وفي اثناء ذلك توفي خال له من عائلة لامارتين واوصى بان يكون صاحب الترجمة وريثه على شرط ان يدعى (لامارتين) احياء لاسم العائلة وهذا هو السبب في تسميته لامارتين كما تقدم

ثم تعين قنصلاً في توسكانا ونظم هناك قصيدة ضمنها طعناً في الامة الايطالية فطلبه احد كبار رجالها الكولونيل بيبه للبراز فتبارزا وانجلت الواقعة عن اصابة لامارتين بجرح بليغة شفي منها بعد قليل. وفي اثناء اقامته في ايطاليا نظم عدة قصائد منها « تأملات جديدة » نشرت سنة ١٨٢٣ و« وفاة سقراط » و« الانغام الشعرية الدينية »

وكان لامارتين بكل اعماله واقواله نصيراً لحزب البوربونية الملكية كارهاً للثورة وزعمائها حسن العقيدة تقياً

وفي سنة ١٨٢٩ استقدم الى فرنسا وتعين عضواً في الاكادمية الفرنساوية وفي سنة ١٨٣٠ صدر الامر بتعيينه مندوباً عالياً لفرنسا في اليونان ولكنه لم يكد يهم

بالذهاب حتى ظهرت الثورة وأزل شارلس العاشر وتولى لويس فيليب فاراد هذا تثبيتهُ في منصبهِ فلم يقبل ولكنهُ عوَّل على قضاء باقي حياتهِ في معاناة النظم والسياسة فحاول الحصول على منصب في مجلس النواب فلم يفز فاقتنع بالانقطاع الى التأملات العقلية والسياحة في البلاد المقدسة

ففي سنة ١٨٣٢ سافر من فرنسا بطريق مرسيليا قاصداً المشرق ومعهُ امرأتهُ وابنتهُ جوليا وكان يحبها حباً مفرطاً وقلبهُ يتعطف لها بنوع خاص لنحافتها وربما احب السياحة في المشرق مراعاة لصحتها فمرَّ بمالطا ومنها الى اليونان فوصل اثينا في ١٨ اوغسطس سنة ١٨٣٢ فزار آثارها وشاهد ابنيتها ودوَّن ما يهمهُ عنها ثم اقلع منها الى جزيرة رودس ومنها الى قبرس وفي اثناء الطريق مرضت جوليا فقلق لامارتين عليها قلقاً شديداً حتى لم يكن يستطيع طعاماً ولا مناماً وكان يقضي معظم نهاره ومعظم ليلهِ جالساً الى سريرها يرعاها بنظره فاذا نامت ذهب الى غرفتهِ وتوسد سريرهُ لحينهِ وبين سريرهِ وسرير ابنتهِ جدار من الخشب فيهِ شقوق كان يختلس بها النظر الى جوليا ويصيخ باذنيهِ اليها ليسمع غطيطها كأنهُ يرعاها بسمعهِ

وفي ٥ سبتمبر سنة ١٨٣٢ وصل مدينة بيروت وقد تحسنت صحة جوليا فاقام في المدينة زمناً يستطلع مشاهدها واحوالها ثم قصد زيارة الليدي استير ستانهوب وهي من اشراف انكلترا قدمت سوريا واقامت فيها لاسباب غير معلومة تماماً واتبعت في معيشتها واحوالها خطة غريبة فابتنت لها منزلاً كبيراً على تل بجوار صيدا محاطاً بالحدائق والرياحين واكثرت من الخدم والمصطنعين وتزيت بزي المشارقة وربما فاقتهم في اتقان أزيائهم ولها حكايات واحوال ربما جئنا على تفصيلها في فرصة اخرى على حدة . فكانت استير ستانهوب هذه ذائعة الصيت في سائر اوربا لشرف اصلها وغرابة احوالها وكثيراً ما ود الناس زيارتها بمنزلها ومشاهدة اطوارها واحوالها وقلَّ من كان يفوز بتلك البغية لانها انما اقامت هناك رغبة في الاعتزال اما لامارتين فكتب اليها يستأذنها فاذنت لهُ فزارها وشاهد احوالها وكتب كل ما عرفهُ عنها في « رحلتهِ الى المشرق »

ثم زار الامير بشير الشهابي الكبير في بيت الدين وكتب عنهُ في رحلتهِ هذه كلاماً مسهباً على انهُ لم يترك شيئاً مما شاهدهُ او عرفهُ عن سوريا وفلسطين ولبنان واحوالها

الا كتبه واوضحه بلغته المشهورة بالبلاغة والطلاقة فكتب فصولاً مطولة عن الدروز والموارنة ووصف حكومة المغفور له ابراهيم باشا وهو اذذاك في اول افتتاحه سوريا واشار الى ما شاهده من الآثار في بعلبك وغيرها وكل ذلك على اسلوب بليغ تخللهُ ملاحظات فلسفية تروق مطالعتها

على ان الزمن لم يصف له فاصيب بوفاة ابنته جوليا بعد ان اعيا مرضها ونفدت حيلة الاطباء فيها فعظم خطبها عليهِ فبكاها كثيرًا ورثاها طويلاً وفي جملة ذلك قصيدة سماها « جماني او وفاة جوليا » يتأثر لها الصخر الاصم لانها صادرة عن عواطف ابوية صادقة ثم قضى في لبنان وبعلبك ودمشق وارز لبنان بضعة اشهر مع امرأتهِ يتأسيان عن فقد ابنتهما · وفي اواخر سنة ١٨٣٣ برحا سوريا قاصدين الاستانة ومنها الى فرنسا

فعين لامارتين في منصب سياسي ولم تمضِ مدة حتى تولى رئاسة حزب سياسي كبير من احزاب المحافظين على انهُ ظهر سنة ١٨٤٥ بمظهر جديد فصرح بكرهه لحكومة لويس فيليب ولم تمضِ مدة حتى صار من زعماء الاحزاب المقاومة له وفي سنة ١٨٣٥ نشر رحلته المتقدم ذكرها فحازت اقبالاً عظيمًا وترجمت الى اكثر لغات اوربا ثم ألف كتابًا في « تاريخ الجيروندينيين » آل الى سقوط وزارة جيزو وقيام ثورة سنة ١٨٤٨ فنال لامارتين على اثر ذلك شهرة عظيمة وصار اليه الرأي وعليهِ المعوَّل في الاجراآت السياسية وكثيرًا ما هاج الاحزاب وادار الآراء واستنهض الهمم بخطبه لبلاغتها وفصاحتها حتى كانت الآراء تقوم بقيامه وتقعد بقعوده وما زالت هذه منزلته بضعة اشهر اثناء الثورة المشار اليها فلما خمدت نيرانها انحطت منزلته عن ذي قبل حتى انهُ لم ينتخب في مجلس النواب الا بكل صعوبة

وفي آخر سنة ١٨٥١ اعتزل السياسة وانقطع الى الكتابة وعمل بها عملاً حسنًا فعينت له الحكومة الفرنساوية سنة ١٨٦٧ راتبًا معينًا مكافأة لخدماته وسنة ١٨٦٩ توفي الى رحمة الله وقد ترك ذكرًا حسنًا وخدم العلم خدمة جليلة وفي جملة مؤلفاته « تاريخ ثورة سنة ١٨٤٨ » و « روفائيل » و « اسرار » و « اسرار جديدة » وكلها تتعلق بترجمة حياته وكتاب « تاريخ الاصلاح » و « تاريخ تركيا » و « تاريخ روسيا » و « سياحات فرنساوية في المشرق » وقد ترجم معظم هذه المؤلفات الى اللغات

الافرنجية أما الى العربية فلم ينقل منها شيء

وتولى لامارتين ادارة جريدتين سياسيتين احداها اسمها « بيان بيبليك » كانت تصدر في (ماسون) مسقط رأسه والأخرى اسمها « بابي » تصدر في باريس . وتولى كثيراً من الاعمال السياسية والعلمية والادارية وقام بها احسن قيام فخدم بلاده احسن خدمة

باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أقدم أزمانها الى الآن

النهضة العربية في عصر العباسيين

العلوم الدخيلة

٩) علوم السحر

السحر أنواع عديدة مرجعها الى استطلاع الغيب وكشف الخبآت بالكتابة او غيرها وهو من العلوم القديمة ولنا من نصوص التوراة والانجيل والقرآن اقوى دليل على قدمها وأوّل من استخدم السحر البابليون او الكلدانيون وعنهم اخذت سائر الممالك القديمة والحديثة ولكنه اضمحل الآن وكاد يندثر ذكرهُ لاعتماد الناس على الحقائق الطبيعية الراهنة المبنية على الحوادث والمشاهدات المؤيدة بالبرهان

ولم تخل امة في أوّل ادوارها من اعتقاد السحر والتعويل عليه ولكنها تفاوتت في التوسع فيه واتقانه وكان البابليون والمصريون والفرس اكثر الأمم اتقاناً له

أما العرب قبل الاسلام فقد كان عندهم منه أنواع الكهانة وما جرى مجراها أما

بعد الاسلام فتناولوهُ عن الفرس وترجموا شيئًا من كتبهِ والتوا فيهِ وقد تقدم في كلامنا عن أهل التنجيم والكيمياء القديمة شيء عنهُ

ولو أردنا الافاضة في حقيقة علوم السحر وفروعها وكيفيتها لضاق بنا المقام ولكننا نذكر بعض ما علمناهُ عن كل علم منها بالاختصار نقلاً عن كتاب الاسلام و بعض القائلين بصحتها

(١) السحر والطلسمات

زعموا ان هذه العلوم مبنية على آثار في النفوس البشرية تقتدر بها على التأثير في عالم العناصر واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بأن لها آثارًا في بدنها على غير المجرى الطبيعيّ وأسبابهِ الجسمانية بل آثار عارضة من كيفيات الارواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصوُّرات النفسانية أخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط او على حبل منتصب اذا قوي عندهُ توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرًا من الناس يعوّدون أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط فقالوا ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصوُّرها للسقوط من أجل الوهم واذا كان ذلك أثرًا للنفس في بدنها من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فجائز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيهِ فثبت انها مؤثرة في سائر الاجسام . وفرَّقوا بين السحر والطلسمات فقالوا ان السحر لا يحتاج الساحر فيهِ الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الاعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقولهُ المنجمون و يقولون السحر اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبهُ في غالب الأمر بالنجامة والساحر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مفطور عندهم على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من التأثير . والفرق عندهم بين المعجزة والسحر أن المعجزة قوَّة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوَّتهِ النفسانية و بامداد الشياطين في

بعض الاحوال فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الأمر

وقال العلاّمة ابن خلدون « ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عند ما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات او الاحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ انه يروم معهُ سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فسادهُ وهو جبلة فطرية أعني هذه الاصابة بالعين والفرق بينها وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب ان صدورها راجع الى اختيار فاعلها والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك الّا لأنهُ ليس مما يريدهُ ويقصدهُ او يتركهُ وإنما هو مجبور في صدوره عنهُ »

(٣) السيمياء او اسرار الحروف

وهو عندهم تصرف النفوس الربّانية في عالم الطبيعة بالاسماء الحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الاكوان ثم اختلفوا في سرّ التصرّف الذي في الحروف بما هو فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحرف بقسمة الطبائع الى أربعة أصناف كما للعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرّف في طبيعتها فعلاً وانفعالاً بذلك الصنف فتنوّعت الحروف بقانون صناعيّ يسمونهُ التكسير الى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوّع العناصر فالألف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفد فتعين لعنصر النار حروف سبعة ا ه ط م ف س ذ وتعين لعنصر الهواء سبعة ايضاً ب و ي ن ض ت ظ وتعين لعنصر الماء ايضاً سبعة ج ز ك ص ق ث غ وتعين لعنصر التراب ايضاً سبعة د ح ل ع ر خ ش والحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حساً أو حكماً كما في تضعيف قوى المريخ في الحروب والقتل والفتك والمائية ايضاً لدفع الأمراض الحارة من حميات وغيرها ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حساً او حكماً كتضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سرّ التصرف الذي في الحروف للنسبة العددية فان حروف أبجد دالة على اعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً فبينها من أجل تناسب الأعداد تناسب في نفسها ايضاً كما بين الباء والكاف والراء لدلالتها

كلها على الاثنين كل في مرتبتهِ فالباء على اثنين في مرتبة الآحاد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم والتاء لدلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء اوفاق كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوفاق الذي يناسبهُ من حيث عدد الشكل او عدد الحروف وامتزج التصرّف من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي بينهما فاما سرّ التناسب الذي بين هذه الحروف وامزجة الطبائع او بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهُ فيهِ الذوق والكشف .

(٣) استخراج الاجوبة من الاسئلة

وهو فرع من السيمياء ويقال لهُ الزايرجة وهو مبني عندهم على ارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمهُ من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاياة والمسائل السيالة ولهم في ذلك كلام كثير افاض في ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمتهِ ولا نرى محلاً لهُ هنا

ويتفرع عنهُ مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وخبء وتعشق وغير ذلك ومنهُ الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية

(٤) خط الرمل

وقد سميت هذه الصناعة بخط الرمل نسبة الى المادة التي يستخدمونها لاستطلاع الغيب وخلاصة ذلك انهم صيروا من النقط اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيها فكانت ستة عشر بيتاً طبيعية بزعمهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاوتاد الاربعة وجعلوا لكل شكل منها بيتاً وحظوظاً ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص بهِ واستنبطوا من ذلك فناً حازوا بهِ فنّ النجامة ونوع قضائهِ الاّ أن احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندها اوضاعٌ تحكميةٌ واهواءٌ اتفاقية ولا دليل يقوم على شيءٍ منها ويزعمون ان اصل ذلك من النبوّة القديمة وربما نسبوها الى دانيال او ادريس

(٥) حساب النيم

وهو من العلوم التي ذكرها ارسطو الفيلسوف اليوناني في كتاب السياسة وبهِ

يعرف الغالب من المغلوب من الملوك وهو ليس من مدارك النفس الروحانية عندهم ولا من الحدث المبني على تأثيرات النجوم ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها لأهل العقول المستضعفة وكيفية العمل به ان تؤخذ اسماء الملوك المتغالبين وتجعل المقابلة بين اسمين منهما وتحسب الحروف التي في احدهما بحساب الجمل وتنظر مجموع المتحصل ثم تحسب اسم الآخر كذلك ثم يطرح كل واحد منها تسعة تسعة وينظرُ بين العددين الباقيين بعد ذلك من حساب الاسمين فاذا كان العددان مختلفين في الكمية وكانا معًا زوجين او فردين فصاحب الاقل منهما هو الغالب وان كان احدهما زوجًا والآخر فردًا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معًا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معًا فردين فالطالب هو الغالب وقد اجتمع ذلك في هذين البيتين

أرى الزوج والافراد يسمو اقلها   واكثرها عند التخالف غالبُ
ويغلبُ مطلوبٌ اذا الزوج يستوي   وعند استواء الفرد يغلبُ طالبُ

ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونًا معروفًا عندهم في طرح تسعة حتى اذا أرادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف في اي كلمةٍ هو من تلك الكلمات وأخذوا عددها مكانه وهي «ايقش بكر جلس دمت هنث وضخ زعذ حفظ طضغ» ولكن بعض الشيوخ يرى ان الصحيح فيها كلمات اخرى غير هذه المتداولة بين الناس منذ القديم وهي «ارب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش ضغ ثمظ»

ومن أنواع السحر التنجيم وقد تقدمت الاشارة اليه في كلامنا عن علم الفلك القديم ومنها علم الاوفاق وغيرها

أما الذين اشتهروا بالسحر من العرب فكثيرون ومنهم من كان قبل الاسلام وهؤلاء ادعوا النبوّة وسميت أعمالهم بالكهانة منهم الافعى الكاهن الذي حكم بين ولد نزار بن معد لما تنافروا اليه بعد موت نزار وعمرو بن ماء السماء الحيري وجذيمة الابرش وابن الصياد وسواد بن قارب والاسود العنسي من قبيلة مذحج واسمه عيهلة بن كعب وعامر بن عبد الله بن سعد بن ابي سرح ومسيلمة الكذاب وسجاح وهي امرأة تميمية من بني يربوع وطلحة الاسدي احد شجعان الجاهلية والاسلام وغيرهم

أما في الاسلام فأشهر علماء السحر جابر بن حيان كبير السحرة وقد تقدم ذكره بين

علماء الكيمياء القديمة ومسلمة بن احمد المجريطي امام اهل الاندلس وتقدم ذكرهُ ايضاً والبوني وابن العربي وقد تقدم ذكرهُ غير مرة واحمد بن علي بن يوسف القرشي المتوفي سنة ٦٢٢ ه وابو معشر الفلكي المتوفي سنة ٢٧٢ ه وابو العباس الغمري الواسطي المتوفي سنة ٩٠٥ ه والصلاح الصفدي المتوفي سنة ٧٦٤ ه والبسطامي المتوفي سنة ٨٥٨ ه والجوبري من علماء القرن السابع للهجرة

ومن كتب السحر وانواعه الباقية الى هذا العهد شيء كثير في المكتبة الخديوية بالقاهرة اكثرهُ خطي

القمار أو الميسر

القمار وما أدراك ما القمار انهُ القائد الى الدمار والهادم للديار والذاهب بأهلهِ الى البوار. ونحن على يقين اننا لن نأتي القرَّاء وصفاً له لم يعرفوه ولا نرجو ان نعظهم بشأنهِ عظة لم يفقهوها لان قباحتهُ أشهر من أن تذكر وعواقبهُ معلومة لدى الاكبر والأصغر. كيف لا وهو الآفة التي لم تنجُ أمة من غوائلها ولا سلمت مدينة من عواقبها ولكننا رأينا من تفشيها في هذه الاثناء ما حدا بنا الى الاشارة اليها تبصرةً وذكرى لقوم يعقلون

كتبنا في بعض اعداد الهلال مقالات متوالية في «ساعات الفراغ» أبنَّا فيها ما ينجم عن استخدام تلك الساعات من الحسنات والسيئات وفاتنا ان نشبع القول في آفة الميسر وهو من اقبح ما تأول اليهِ ساعات الفراغ اذا أسيء استعمالها بل هو افحشها كلها لانهُ مجلبة لكل رذيلة ناهيك عما يأول اليهِ من اليأس ومرض الجسد وصغر النفس وشغل الفكر وضياع الوقت وفساد الآداب

ومما يقضي بالعجب العجاب ان اكثر مرتكبيهِ أعلم الناس برذائلهِ وأدركهم لسوء عواقبهِ وهب انهم نسوا ما عرفوهُ عنهُ أليس لهم كل يوم مما يقاسونهُ من مرارة النفس وضياع التعب وخسارة المال ما يقوم لديهم مقام الدليل الواضح على قبحهِ وسوء مآلهِ ولكنهُ قبحهُ الله داءٌ خبيث يلج العقول ممزوجاً بحلاوة يظهر في الفم دسماً وهو في الجوف سمٌّ زعاف

على ان العاقل من لا تأخذه الاهواء ولا يغتر بظواهر الاشياء . والحكيم من كبح جماح نفسو وقادها الى مراتع الفضيلة ونزهها عن الرذيلة

ولما كنا نكتب للجمهور ومعظمهم غني عن هذه العظة لبعدهم عن تلك الشراك الوخيمة رأينا ان نتكلم في القمار من وجهٍ تاريخي ليكون لهم في مقالتنا هذه فائدة فنقول

« أصل القمار وتاريخه »

من المعلوم ان عادة المقامرة تستولي على عقول الناس خلسةً وهم لا يشعرون فتبتدئ بمظاهر اللعب واللهو فيأخذ الشاب اولاً في قضاء ساعات الفراغ ببعض الالعاب كالنرد والورق والشطرنج وهو لا يرى في ذلك حوبةً لمقامهِ ولا خسارةً في مالهِ فترتاح الى تلك الملاهي نفسهُ فيعكف عليها غير مبالٍ بعواقبها فينتقل من طور اللهو البسيط الى المراهنة فيشترط على صاحبهِ مثلاً انهُ اذا غلبهُ غلبًا يلزمهُ لهُ وليمة او بركبة عربة الى بعض المنتزهات او ما شاكل ذلك مما لا يخرج عن حد اللهو ثم يتدرج في نوع ذلك الرهن حتى يصير نقدًا قليلاً يدفعهُ المغلوب الغالب ثم لا يشعر الا وقد صار مقامرًا يقضي معظم نهارهِ او طول ليلهِ لاهيًا بالقمار عن اهلهِ واولادهِ

وهكذا كانت نشأة القمار في العالم فانهُ كان في اقدم ازمانهِ في عصر اليونان والرومان والمصريين القدماء على هيئة العاب يتعاطاها الملوك والعظماء معظمها مبني على نواميس صحية يريد بها اللاعبون الرياضة الجسدية او العقلية فكان لليونان والرومان مواقيت معينة يقيمون فيها الاحتفالات العمومية او الخصوصية للالعاب الجسدية كالسبق اما بالخف او بالحافر اي اما مشيًا على الاقدام او سبقًا على ظهور الخيل وكانوا يجعلون للسابق جعلاً يختلف نوعًا ومقدارًا باختلاف الزمان والمكان وكان في اول الامر اكليلاً من أغصان الزيتون او غيره ثم تدرجوا في ذلك حتى صاروا يقيمون تلك الالعاب على رهن معلوم من النقود او ما يقوم مقامها واخيرًا انتقل من اللعب واللهو والرياضة الجسدية الى المراهنة على مثال ألعاب اليانصيب ومنها الى المقامرة على نحو ما هو جارٍ الآن

وقد جرى العرب على مثل ذلك ايضًا قبل الاسلام بالسباق وكانوا يسمون ذلك اللعب السبق بالخف او بالحافر ثم انتقل عندهم الى ما سموه الميسر وهو على قول بعضهم مشتق من اليسر لانهُ أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة بغير كد ولا نصب

لان « يسر الرجل لانَ وانقادَ » او من اليسار لانهُ سبب يسار و اذا ربح . وقال ابن قتيبة الميسر من التجزئة والاقتسام و يقال يسروا الشيء اي اقتسموهُ وأصل ذلك أنهم كانوا يذبحون الناقة و يقتسمونها فالناقة المذبوحة يسمونها ميسرًا وهم ياسرون .

وكان العرب في الجاهلية يلعبون الميسر وذلك انهم كانت لهم عشرة قداح يسمونها الازلام او الاقلام او المغالق وهي السهام قبل ان تُراش وتنصل واسم واحدها قِدح وقد كانت هذه القداح في الكعبة قبل الاسلام يجعلونها عند الصنم الاكبر المسمى هبل وكان هذا الصنم قائمًا في جوف الكعبة على البئر التي كانوا يخرون فيها النوق او غيرها من الذبائح التي كانوا يقدمونها للاصنام وكان لكل قدح من تلك القداح اسم خاص به وهي الفذ والتوأم والرقيب والنافس والحِلِس والمُسبَل والمعلّى والسفيح والمنيح والوغد و يفرضون لسبعة منها اسهمة مقدرة فيجعلون للفذ منها نصيبًا واحدًا وللتوأم نصيبين وللرقيب ثلاثة وهكذا الى المعلّى فان له سبعة أنصبة واختلف في ترتيب النافس بينها فقيل هو الرابع وقيل بل الخامس واما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها وكانوا يكتبون على كل قدح اسمهُ فكان اهل الثروة في الجاهلية يشترون جزورًا فينحرونهُ و يقسمونهُ ثمانية وعشرين قسمًا يتساهمون عليها بتلك القداح و يجمعون القداح في خريطة وهي وعاء من جلد اوطن غيره يشرج على ما فيه و يجعلون تلك الخريطة في يد رجل عدل يسمونهُ المجيل او المفيض فيمد يده الى الخريطة فيخرج منها قدحًا للرجل فمن خرج له قدح من ذوات الانصبة اخذ نصيبهُ ومن خرج له منهم قدح لا نصيب له غرم ثمن الجزور وكانوا يتعاطون هذه الالعاب خاصة ايام الشتاء لتقاعدهم اذ ذاك عن الغزو والتجارة

وهم يزعمون ان لقمان بن عاد اضرب الناس بهذه القداح ولذلك قالوا في أمثالهم « أيسر من لقمان » وكان له ايسار يضربون معهُ ايضًا وهم ثمانية واسماؤهم بياض وحممة وطفيل وزفافة ومالك وفرعة وثميل وعمار فضربت العرب بهم الامثال فيقولون للأيسار اذا شرفوهم كأيسار لقمان قال طرفة بن العبد

وهم أيسارُ لقمانٍ اذا أغلت الشتوة ابداء الجزر

و يضرب المثل ايضًا بقدح ابن مقبل وهو قِدحٌ اشتهر بالاصابة وعدم الخطاء كان صاحبهُ يقدح النار قبل خروجهِ ثقة بفوزه . وقال بعضهم ان هذا القدح فاز

سبعين مرة لم يخب منها مرة واحدة

ومن انواع الميسر نوع آخر يقال له القِيَال وهو ان يجمع التراب فيدفن فيه شيء ثم يجعل التراب نصفين ويسأل عن الدفين في أيها هو فمن اصاب قَمَرَ ومن أخطأ قُمِرَ ومنه قولهم قابل الرجل اذا لعب بهذا اللعب قال طرفة بن العبد البكري

يشق عبابَ الماء حيزومها بها كما قسم التربَ المفايلُ باليدِ

ومنها المخارجة وهي المناهدة بالاصابع فيخرج الرجل من اصابعهِ ما شاء والآخر مثل ذلك على سبيل المساهمة

ومنها المخزق وهو عويد في طرفهِ مسمار محدد يكون عند بياع البُلَح بالنوى بطريق المبادلة وله مخازق كثيرة يأتيه الصبي بالنوى فيأخذه منه ويشرط له كذا وكذا ضربة بالمخزق فما انتظم من البسر فيهِ فهو له قلَّ او كثر . واما ان أخطأ فلا شيء له وذهب نواهُ

وما زال الميسر شائعاً في الجاهلية حتى جاء الاسلام فحرَّم وما ورد من الآيات في تحريمهِ قوله في سورة البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون) وفي سورة المائدة قوله (انما يريدُ الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) ولما انتشر الاسلام اتخذ العرب بعض الالعاب عن الفرس وغيرهم كالنرد والشطرنج فاعتبرتها الشريعة في حكم الميسر ويروى عن الامام علي قوله « النرد والشطرنج من الميسر » وقال الامام الشافعي « اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حرامًا »

فالشريعة الاسلامية تنهى عن القمار نهياً صريحاً اما التوراة والانجيل فلم يتعرضا له لعدم شيوعه في زمانيهما ولان اليهود من اقل الأمم انغماساً في الملاهي على ان الشرائع المدنية وغيرها مما هو قائم بالتوراة والانجيل فانها تعتبر القمار امرًا محرَّمًا وليس ثمَّ دولة من دول اوربا لم تضمّن قوانينها النهي عنه نهياً صارماً ومن منشوراتهم في ذلك منشور اصدرتهُ حكومة انكلترا سنة ١٨٤٥ مآلهُ ان كل مكان يجري فيهِ اي نوع من انواع القمار سواء كان الدليل على ذلك صريحاً او غير صريح يقع تحت طائلة الحكم ولا يشترط لصدور ذلك الحكم ان يشاهد اللعب جاريًا فيهِ وان لرجال الشرطة الحق

المطلق بان يدخلوا اي منزل من محال القمار العمومية و يسوقوا كل من يجدونهُ فيهِ الى السجن و يضبطوا ما يجدونهُ فيهِ من ادوات القمار حتى تتم المحاكمة . وان كل ما يجريهِ المقامرون من الوفاقات بشأن المقامرة سواء كانت خطية او شفاهية تعتبر لغوًا ولا يعمل بها وكل دعوى مبنية على كسب او خسارة في المقامرة ترفض . وفرضت عقابات مختلفة على كل من يلعب او يسهل وسائل اللعب او يبيح ملاعب

أما فرنسا فكانت حكومتها الى اوائل هذا القرن تمنح بعض الشركات امتيازات فتح اماكن عمومية للقمار وكانت تكسب بذلك اموالاً طائلة وقد باعت تلك الرخصة مرة لشركة على ان تدفع لها ستة ملايين من الفرنكات كل سنة ولكنها ابطلت هذا الاحتكار سنة ١٨٣٨ وشددت في منع هذه العادة القبيحة وهكذا في المانيا وغيرها من الممالك الا ان تلك الوسائل لم تبطل القمار فهو لا يزال شائعًا في سائر اقطار المسكونة واشهر مكان لهُ في العالم الآن مونت كارلو في امارة موناكو بشمالي ايطاليا يدفع اصحاب الملاعب فيهِ جعلاً سنويًا للامير

أما مصر فلا تخرج في ذلك عن حكم البلاد الأخرى على ان القمار لم ينتشر فيها بصفة عمومية الا في هذا القرن على أثر تزاحم الأقدام فيها من جالية اوربا وغيرها ولكن في قانونها نصًا صريحًا يمنع اماكن القمار منعًا قطعيًا وهاك نص المادة ٣٣٧ من قانون العقوبات حرفيًا « كل من فتح محلاً لالعاب القمار والنصيب واعدهُ لدخول الناس فيهِ يعاقب هو وصيارف المحل المذكور بالحبس من شهر الى ستة اشهر ويدفع غرامة من مائة غرش ديواني وغرش الى خمسة آلاف غرش وتضبط ايضًا لجانب الميري جميع النقود والامتعة التي توجد في المحلات الجاري فيها الألعاب المذكورة »

ولم تنفك الحكومة المصرية عن اصدار الاوامر والمنشورات بتشديد ذلك المنع وآخر ما اصدرتهُ بهذا الشأن منشور صدر في عهد الوزارة الرياضية قالت فيهِ بتنفيذ مفعول المادة المشار اليها ولكنهُ ما لبثت ان تونسي هو وامثالهُ واخذت اماكن المقامرة في الازدياد فعلى الحكومة العمل بقوانينها ومراقبة مفعول منشوراتها وعلى الناس المحافظة على اموالهم واتباع سبيل الفضيلة والتماس الكسب من طرقهِ الشريفة

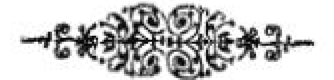
ومما يوجب الاسف الشديد ان القمار اللعين قد لبس في هذه الايام لباسًا تمدنيًا وظهر للناس مظهرًا مبهرجًا فخدع جماعة من نخبة شباننا وهمة رجالنا جماعة كنا نجل

والمرحوم شفيق بك منصور بمصر الف مختصرًا في علم الجبر للتدريس به بالمدارس الاميرية المصرية . وقد ترجم عامر افندي سعد من ابناء هذا القرن كتابًا في الجبر عن الفرنساوية سماه المنحة الدهرية في الاعمال الجبرية طبع بمصر غير مرة . وترجم الجزء الثاني من هذا الكتاب بعد قليل السيد صالح بك مجدي طبع طبع حجر بمطبعة المهندسخانة المصرية

تاريخ آداب اللغة العربية

لا تزال الرسائل تتوارد علينا في طلب كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » على انفراد ظنًّا من حضرات الطالبين ان الكتاب نجمعهُ على حدة او هو مجموع في تأليف قبل أن أخذنا نحن في كتابتهِ . وقد سبق لنا كلامٌ بهذا الشأن غير مرَّة وها نحن نعيد قولنا الآن بأنَّ كتاب تاريخ آداب اللغة العربية على مثال ما ينشره (الهلال) غير موجود لا في اللغة العربية ولا في سواها والهلال أوَّل من طرق هذا الباب . وما ننشره في الهلال الواحد انما هو نتيجة بحث وتنقيب طويلين مما لا يعرف مقدارهُ الاَّ الذي يعانيهِ

واذا كان مرادهم اننا نجمع ما نطبعهُ في الهلال من هذا الباب في كتاب منفردٍ فنجيب حضراتهم أننا لم نطبع منهُ غير ما يقرأُونهُ في الهلال ولكننا عازمون بحول اللهِ تعالى ان نضع في تاريخ آداب اللغة كتابًا أكثر اسهابًا من ذلك ومتى سنحت لنا الفرصة نباشر العمل ونعلن عنهُ في الهلال والاتكال على اللهِ في كلّ حال



معجب بجليسهِ وقد بهرهُ منهُ كرمهُ واطلاق كفهِ فازداد ميلاً الى تلك الصناعة فقال « ألا نلعب هنيهة » فقال الرجل « غداً ان شاء الله »

فلما كان الغد جاء الغلام الى الموعد فلم يرَ صاحبهُ وما عتم ان جاءه رجل رث الثياب يعلوهُ الذل والكآبة وألقى اليهِ التحية فتأملهُ فاذا هو رجل الامس فعجب لامرهِ وسألهُ عن حالهِ فقال قد اضطرَّني الورق البارحة حتى بعت ثيابي وهذه حال هذه الصناعة يا بنيّ فقال الغلام بئست الصناعة ولا راجت لها بضاعة وترك الشيخ واقسم ان لا يقرب المقامرين

ولو كانت العاقبة خسارة المال فقط لهانت المصيبة ولكنها تتناول العقول والابدان وتحط من قدر الانسان فان المقامر اذا خسر مالهُ حبط املهُ فساء خلقهُ وصغرت نفسهُ فربما استحل المحرمات وارتكب المنكرات اذ يعظم المال في عينيهِ وتقلّ قيمة الحياة لديهِ فاذا ضاقت دونهُ سبل الاحتيال عمد الى الانتحار انتقاماً لنفسهِ من نفسهِ بنفسهِ نعوذ بالله من شر الغواية ونطلب اليهِ تعالى ان يرشدنا سبل الهداية انهُ سميع مجيب

باب المراسلات

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغر

اطلعت على ما ورد في الهلال الحادي عشر من قلم حضرة السري الفاضل عزتلو رفيق بك العظم وحضرة الفاضل الشيخ احمد محمد الاني رداً على ما جاء في رسالتي بالهلال العاشر بشأن التمدن الاسلامي وبماذا قام وأسف لانهما على مكانتهما من العلم والفضل قد أخطأا فهم المراد من قولي بشأن انتشار الشريعة الاسلامية بالسيف وقيام التمدن الاسلامي بالسيف والقلم معاً ومن يتدبر مقالي هناك لا يرى فيهِ ما يستوجب المؤاخذة فالقول بانتشار الشريعة الاسلامية بالسيف لا دخل له بما

تضمنته الشريعة من احكام الذمي والمعاهد والمؤمن وصاحب المدنة وقيام التمدن الاسلامي بالسيف والقلم معاً لا ينفي تأثير الشريعة الغراء على قيامه

وللاحاطة باطراف البحث الذي نحن فيه نقسم الكلام الى قسمين احدهما فرعي وهو انتشار الشريعة الاسلامية والآخر اصلي وهو قيام التمدن الاسلامي

(١) انتشار الشريعة الاسلامية . قال المناظران الفاضلان ان الشريعة الاسلامية لم تنتشر بالسيف على ان اولهما عزتلو رفيق بك قال ما يؤخذ منه انها قامت اولاً بالدعوة اليها ثم « نزلت الآيات تباعاً على مقتضى الأحوال مصرحة بالجهاد اذلالاً لنفوس الاقوام العاتية واعلاء لكلمة الحق حتى تأيد الاسلام » ولا ارى في قوله هذا الاّ ما يؤيد قولي لاننا اذا سلمنا بانتشارها بالدعوة اولاً فلا نرى ذلك الانتشار الاّ يسيراً جداً بالنسبة الى ما كان من انتشارها بالسيف بعد ذلك فقولنا بانتشارها بالسيف يحمل على اتباع الاكثرية

ولا ننكر ان حضرة صاحب الشريعة دعا الناس في اول ظهور الدعوة بالموعظة الحسنة والحكمة والمجادلة بالتي هي احسن ولكنه ما لبث ان قال بالجهاد بعد بيعة العقبة الثانية وهاك ما رواه ابن هشام في السيرة النبوية عن محمد بن اسحق المطلبي قال « وكان رسول الله (صلعم) قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم و بين هارب في البلاد فراراً منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه فلما عتت قريش على الله عزّ وجل وردوا عليه ما ارادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه (صلعم) وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عزّ وجل لرسوله (صلعم) في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم »

على ان بعض الصحابة قد استعملوا القوة في ردع بعض المقاومين للدعوة قبل ذلك الحين كما يؤخذ من واقعة حمزة بن عبد المطلب مع ابي جهل في المسجد وبتأيد الاسلام بحمزة وعمر بن الخطاب لانهما كانا ذوي بطش وسطوة في قريش

وبعد بيعة العقبة كانت الهجرة الى المدينة وجاءت بعدها الغزوات والسرايا

والبعوث لدعوة الناس الى الاسلام وكلها حروب متتابعة اما الغزوات فكان صاحب الشريعة نفسه يسير فيها وبلغ عدد الغزوات التي سار بها سبعًا وعشرين غزوة قاتل في تسع منها بنفسه . اما السرايا والبعوث فبلغت جملتها ثمانية وثلاثين بين بعث وسرية وكل ذلك حدث في عهد صاحب الشريعة الغراء نفسه . ألم يكن ذلك دعوة الى الاسلام بالسيف ثم لما كانت خلافة ابي بكر اشتغل الانصار والمجاهدون في حرب المرتدين عن الاسلام في جهات جزيرة العرب شرقًا وجنوبًا وردهم الى الاسلام واستغرق ذلك بقية السنة الحادية عشرة للهجرة التي توفي فيها صاحب الشريعة واخذوا من السنة الثانية عشرة بفتح المدن فبدأوا بالعراق والشام فمصر وهكذا الى آخر الفتوحات وقد ذكرنا في ردنا الماضي الآيات والاحاديث القائلة بالجهاد في سبيل الله وها قد اشرنا الآن الى التاريخ

وقال عزتلو رفيق بك ان القاعدة في الجهاد (الاسلام او الجزية) وانه لو كان انتشاره بالسيف لقام مقامها «الاسلام او السيف» ولكن القاعدة على ما اعلم «الاسلام أو الجزية او السيف» على انها كثيرًا ما كانت «الاسلام او السيف» فقط مثال ذلك ما قيل في وفد نجران فقد جاء في تاريخ الكامل لابن الاثير ما نصه «وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني الحرث بن كعب بنجران وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثًا فان أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الاسلام وان لم يفعلوا قاتلهم» ولا أراني في كل ما تقدم الاَّ محصلاً حاصلاً اذ لا يكاد يختلف اثنان في مآل قولي هذا على ان ذلك لايمنع انتشار الاسلام في بعض الاماكن بالدعوة فقط وانما قولنا على الاكثر والاسلام لم يأخذ في الانتشار الواسع الاَّ بعد الهجرة وكان ذلك اولاً بالغزوات والسرايا والبعوث ثم بالفتح كما تقدم

(٢) قيام التمدن الاسلامي . قال حضرة المناظر الثاني الشيخ احمد الالفي ان التمدن الاسلامي قام بالشريعة الاسلامية وحدها وقال حضرة المناظر الاوَّل ان علاقة الشريعة بالتمدن معنوية ولكننا قدمنا في ردنا الاوَّل ان التمدن قام بعضه بالشريعة وبعضه نقل عن علوم الاعاجم بالقلم وكلاهما يدخلان في حكم القلم ولكن نظرًا لقيام الدولة الاسلامية بالسيف ولولا قيام الدولة ما توصل المسلمون الى استخراج العلوم الأعجمية ولا توسيع نطاق العلوم الاسلامية فقلنا ان التمدن الاسلامي

تأسس ونشأ بالسيف وتوسع وتأيد بالقلم وهذا ما نراه الآن أيضاً وفوق كل ذي علم عليم (القاهرة)

(الهلال) ورد علينا بعد طبع العدد الحادي عشر رد من حضرة الفاضل محمد افندي احمد التارزي باسكندرية فلم يمكن درجه هناك ونظراً لانه يقول فيه قول حضرة الفاضل الشيخ الألفي تقريباً مع وروده متأخراً فاكتفينا بالاشارة اليه مع الشكر لحضرة المراسل الفاضل · ونتقدم الى حضرات المراسلين الافاضل ان يعدلوا عن الاسهاب لئلا تضيق صفحات الهلال عن رسائلهم فيخسر القرّاء فوائدها

امرؤ القيس وطرفة بن العبد

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

قلتم في السطر العاشر صحيفة ٣٦٩ من السنة الثانية للهلال الأغر وكانوا (شعراء الجاهلية) اذا ارادوا تشبيهاً انما يشبهون بما حولهم من الانعام والفلي فمن ذلك قول امرء القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة ... وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وله مشبهاً بالوشم لانه كان من عوائدهم

لخولة اطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فقولكم و (له) يعلم منه ان البيت لامرء القيس مع انه مطلع معلقة طرفة بن العبد البكري فكيف نسبتموهُ لغيره ارجو الافادة ولكم الفضل

(الاسكندرية) احمد عثمان الورداني المصري

(الهلال) ان نسبة هذا البيت الى امرء القيس سهوٌ لا نعلم كيف تطرّق الى مقالتنا هناك فنشكر لحضرتكم على هذا التنبيه كما اننا نشكر لكل من ينبهنا على خطانا فان العصمة لله وحده سبحانه وتعالى ·

فائدة للتنوير بالكاز

حضرة الفاضل منشيء الهلال الأغر

جرَبتُ تجربةً بشأن التنوير بزيت الكاز أرجو نشرها في هلالكم المنير افادة

(الهلال) الكذب في اوّل افريل من العوائد القديمة وقد نقلت الينا عن الافرنج فربما كانت عادة افرنجية الأصل على ان الهنود يجرون مثل هذه الاكاذيب في آخر يوم من أيام شهر مارث (اذار) اي قبل اوّل افريل بيوم واحد ويسمون ذلك اليوم « عيد المولي » أما الانكليز فيسمونه « جنون افريل » او « يوم المجانين كافة » والفرنساويون يسمونه « سمكة افريل » اما اصل هذه العادة وسببها ففيها آراء كلها تخمينية مبنية على مجرد الحدس لا فائدة من ذكرها

الزار أو العفاريت

(السنطة) عبد الفتاح افندي رفعت ملاحظ البوليس

لا يخفى على حضرتكم ان بعض السيدات من الخاصة او العامة يدّعين بأنهنّ ملبوسات بعفاريت ويعبرنَ عن ذلك بما يسمونه « الزار » فالملبوسة بو تحمّل زوجها المسكين (ولا سيما اذا كان فقيرًا) أحمالاً من النفقات الطائلة لاحضار الملبوسات القصبية والادوات المزركشة الفضية والذهبية بدعوى أنها مأمورة بذلك ممن هو لابسها . وطالما افتكرت في هذه البدعة فلم أجد رجلاً عاقلاً او حكيماً ماهرًا او اميرًا حازمًا يرى مثل ما يرينَ أو يدّعي مثل ما يدّعين فهل أقسم أولئك العفاريت ان لا يصاحبن أحدًا غير النساء . وهل تلك البدعة قديمة أو حديثة . وهل هي عادة مقتبسة من سكان الممالك المتمدنة الاجنبية ام هي خاصة بالسيدات المصريات او هل هو مرضٌ حقيقي او ادعاء . فان قلتم انه مرضٌ جادلنا حضرتكم في أمرين (اوّلا) ان بين المدّعيات بالالتباس كثيرات بحالة صحية تامة حتى اذا شعرت حاسة شمها برائحة البخور تدّعي الالتباس في الحال (ثانيًا) انها بمجرّد ما تسمع الطبل المختص بذلك فانها تلتبس أيضًا . فلو كان هذا مرضًا لما كانت هذه حالة

وقد حرّرنا هذا لحضرتكم آملين الوقوف على حقيقة ذلك ولكم مزيد الفضل

(الهلال) الزار والعفاريت وما جرى مجراها أسماء لأشياء لا وجود لها الاّ في مخائل القائلين بها ولا نرى ان كل من تقول بالزار كاذبة او هي تختلق ما تقوله اختلاقًا فان بعضهنّ يصبنَ بنوع من الامراض العصبية يسبب مثل هذه التصوّرات ولكن الجانب الاكبر من صاحبات الزار يدعين تلك الحالة استجلابًا لتنعم او تخلصًا

من ضرٍّ على ان صدق دعوى المصابات بالداء العصبي فيما يدعين رؤيته لا يؤيد وجود تلك الخيالات حقيقة لانهنَّ انما يقلنَ ما تصوّره لهنَّ حالتهنَّ المرضية فهنَّ يعتقدن صدق تلك الخيالات ولكنها لا وجود لها في الخارج . ومن يراقب حال المصابات بالامراض العصبية لا يستغرب شيئاً مما يقال عنهنَّ فانهنَّ يرين بعين الخيال ما لا تراهُ عين الناقد البصير وهذا أمر مشهور لدى اهل العلم كافة ويؤيد ذلك قولكم ان ليس بين اهل الدنيا على اختلاف طبقاتهم من العلماء والحكماء من رأى عفريتاً او ادعى رؤيته وليس ذلك لان العفاريت لا تصاحب الاَّ النساء بل لان تلك الصور الوهمية لا تألف الاَّ مخائل اصحاب الامزجة العصبية

أما منشأ هذا الاعتقاد فالغالب انه المشرق والدليل على ذلك ان العفاريت كثيرة في حكاياتهم القديمة كألف ليلة وليلة وما جرى مجراها . اما اهل اوربا فلا تخلو بلادهم من مثل هذه الاوهام وربما كان بين اوهامهم ما يربو على الزار والعفاريت ويكون ذلك في الغالب بين جهالهم وفي القرى البعيدة وقلما يكون في المدن الكبيرة ولا يتوهمنَّ أحد ان الخرافات من مخترعات المشرق فان في المغرب خرافات وخزعبلات اكثر غرابة وأولى بذوي الجهالة من خرافاتنا ولكن انتشار العلوم الحديثة في تلك الانحاء خفف كثيراً من وطأتها وقشع جانباً كبيراً من دبجورها وهكذا الحال ايضاً في بلادنا بعد انتشار التعليم والتهذيب وخصوصاً تعليم البنات فان تلك الاعتقادات الوهمية قد اخذت في الزوال

والخلاصة ان قول بعض النساء في الزار والعفاريت ناتج احياناً عن صدق في الرواية ولكنه مبني على خداع في المخيلة وسبب هذا الخداع حالة مرضية في المجموع العصبي تصوّر للعقل صوراً وهمية لا وجود لها في الخارج وكثيراً ما تكون تلك الصور اعراضاً مرضية فتلازم المرأة التي تشكو من آلام في الرأس او في البطن او الصدر ويعبر عن ذلك عندهم بأنها (راكبها عفريت) فيشيرون عليها باستعمال الزار وفيه ما فيه من احراق البخور وضرب الطبول وما شاكل وكثيراً ما ينتهي هذا الاحتفال بالشفاء . وسببه ان الأمراض العصبية يتسلط على اصحابها الوهم حتى قد يقال انها اوهام محضة وعملية الزار مبنية على مجرد الوهم ايضاً فكأنهم يزيلون الوهم بالوهم كما حصل لصاحب الجرَّة وذلك ان رجلاً اصيب بحالة عصبية خيلت له ان على رأسه جرَّة من

خزف فكان يقضي نهاره لا يحرك رأسه لئلاَّ تقع الجرة فتنكسر فنالهُ بسبب ذلك عناء شديد وكثيرًا ما حاول اهلهُ وأصدقاؤهُ وأطباؤهُ اقناعهُ ان الجرة لا وجود لها الاَّ في وهمهِ وان ذلك ناتج عن حالة مرضية عصبية وهو لا يزداد الاَّ تمسكًا بوهمهِ واستخفافًا بأقوالهم فشاع أمرهُ بين الناس فسمع به بعض الاطباء الظرفاء فجاء اهل المريض وقال انهُ قادر على شفائهِ واشترط عليهم ان لا يعترضوهُ في امر يجريه سواء طابق اعتقادهم او لم يطابقهُ فاجابوهُ فجاء بجرة من خزف واخفاها وراء السرير والمريض غائب ثم طلب ان يشاهدهُ فجيء به اليهِ فابتدرهُ الطبيب قائلاً « لا غرو اذا شكوت التعب وانت حامل لمثل هذه الجرَّة على رأسك فقد شاهدت كثيرين يحملون جرارًا ولكني لم ارَ بينها جرة كبيرة بهذا المقدار » فصاح صاحب الجرة اذ ذاك « هذا هو الطبيب العالم بتشخيص الأمراض المستطلع لخفايا العلل وكم قلت لكم ان على رأسي جرة وانتم تنكرون ذلك عليَّ » فقال الطبيب « توسد هذا السرير واحذر ان تقع الجرة فتنكسر فان كسرها يؤلمك ولكني سأفصلها عن رأسك بعملية جراحية حتى لا يضرَّبك فصلها » فتوسد المريض واستخرج الطبيب ادواته الجراحية واستدعى طبيبين آخرين اساعداه في زيادة الايهام والمريض يظن انهم يفصلون الجرة وأخيرًا صاح الطبيب (الحمد لله قد فصلت) واستخرج الجرة المخبأة وراء السرير وسلمها الى المريض فرمى بها الأرض انتقامًا منها واعتقد بزوالها فزال ذلك الوهم من رأسهِ ولم يعد يشعر بالجرة مطلقًا فتصوُّر تلك الجرة وهمٌ وعملية فصلها وهمٌ فزال الوهم بالوهم ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

أما اعتراضاكم على كونهِ مرضًا فالرد عليها واضح فيما تقدَّم ونزيد على ذلك ان بعض الأمراض العصبية قلما تظهر آثارها في البنية ولكنها تظهر غالبًا في الأوهام والتصوُّرات فاذا أحسَّت المصابة بألم فهو ألم وهمي على انهُ قد يكون مؤلمًا جدًّا ويغلب في تلك الأمراض ان تكون دورية تظهر حينًا وتختفي احيانًا اما قولكم انها حالما تسمع ضرب الطبل او تشم رائحة البخور تظهر فيها اعراض العفاريت فالجواب عليهِ ان ذلك اذا لم يكن تظاهرًا فهو لا يحدث الاَّ فيمن تعودن المعالجة بالزار فاذا شممن رائحة البخور أو سمعن ضرب الطبول ثارت فيهنَّ تلك الأوهام كما تهيج عاطفة الحزن فيمن يسمع نغمًا سمعهُ قبلاً وهو في حالة الحزن الشديد اوكما تهيج شهوة الطعام في من يشمُّ رائحة طعام اكلهُ مرة على جوع والتذَّ بهِ كثيرًا وقس عليهِ

لغزٌ

ألا يا من حوى حسنَ الطويّة وفي علم سَما بين البريّة
ترى ما اسمٌ رباعيُّ المباني وجملة له دول سنيّة
منافعهُ غدت للناس عظمى لطيفُ الذوق محمودُ المزيّة
ولكن ان ازلنا الرأس عنهُ تراهُ قد بدت منهُ الأذيّة
وأما نصفهُ حقاً فشيءٌ يبيتُ ونصفهُ الثاني رزيّة
لهُ اسمان في طردٍ وعكسٍ وتعريفٍ وتصحيفٍ سويّة
كذلك نصفهُ فعلانِ ماضٍ وأمرٌ واسمُ فاكهةٍ شهيّة
فجدْ بالحل يا ذا الفضل واكشفْ غوامضَ سرّهِ ولك التحيّة

(المنصوره) انطون داود البستاني



استعمال الصابون في الحلاقة من القواعد المشهورة المعوَّل عليها عند معظم الأمم بلُّ الشعر بماء الصابون المرغى قبل حلقهِ وكثيرًا ما تحدثوا في سبب ذلك وكان المرجح لدى الجمهور انهم انما يبلونهُ لتليينهِ حتى يسهل على الموسى حلقهُ ولكنهم رأوا مؤخرًا ان بلَّ الشعر اقرب ان يكون لتقسيتهِ مما لتليينهِ ودليلهم على ذلك ان الشعر تغشاه مادة زيتية يفرزها الجلد فتكسبهُ ليونة فهو اذ ذاك يزلق الموسى عنهُ للينهِ واكتسائهِ بالزيت المشار اليهِ فاذا غسلوهُ بالصابون يذهب عنهُ الزيت فيقسو ويكسو الصابون الجلد فيسهل سير الموسى عليهِ فيحلق الشعر بسهولة

الكلوروفورم والايثير كل من هذين العنصرين يستخدم تنشيقًا لتخدير العليل اذا اريد اجراء عملية جراحية لهُ والخطر على الحياة بهما قليل ولكن الدكتور مرشال في لوندرا برهن بالأدلة والتجارب ان الكلوروفورم مضر ولا بد من اغفالهِ عما قليل واستبداله بمزيج منهُ ومن الايثير

الهلال

الجزء الرابع عشر من السنة الثالثة

(١٥ مارث (اذار) سنة ١٨٩٥) (١٩ رمضان سنة ١٣١٢) (٢٤ امشير سنة ١٦١١)

أشهر الحوادث وأعظم الرجال

اسماعيل باشا

RUSSIER

اسماعيل باشا

الخديوي الأسبق

وُلد سنة ١٨٣٠ وتولى سنة ١٨٦٣ وخلع سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٩٥

(١) ترجمة حاله

هو اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير وكان لوالده ثلاثة اولاد ذكور اكبرهم البرنس احمد (ولد سنة ١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل (ولد سنة ١٨٣٠) ثم البرنس مصطفى (ولد سنة ١٨٣٢) وكان البرنس احمد نابغة من نوابغ الزمان ذكاء وفطنة كثير الشبه بوالده شكلاً واخلاقاً ولكنه توفي في اثنى سني حياته بين الشباب والكهولة فاصبح صاحب الترجمة كبير ابناء ابراهيم

وربي اسماعيل باشا في حجر والده وتعلم وتثقف بعناية جده لان جده رحمة الله كان قد أنشأ لأولاده الصغار واولاد اولاده الكبار مدرسة خصوصية في القصر العالي فيها نخبة من مهرة الاساتذة فتلقى صاحب الترجمة فيها مبادي العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية ونذرًا يسيرًا من الرياضيات والطبيعيات فلما بلغ السادسة عشرة من عمره بعث به جده مع ولديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك والمرحوم البرنس احمد باشا مع ارسالية فيها نخبة من شبان مصر الاذكياء الى مدرسة باريس يتولى رئاستهم وجيه ارمني اسمه اصطفان بك فقضوا في تلك المدرسة بضع سنوات تلقوا بها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر الا حسين بك فان المنية ادركته هناك . ومن العلوم التي تلقاها اسماعيل اللغة الفرنساوية والطبيعيات والرياضيات خصوصاً الهندسة وعلى الاخص فن التخطيط والرسم وهذا هو سبب شغفه بعد ذلك بتنظيم الشوارع و زخرفة البناء

ولما عادت الارسالية كان عباس باشا الاول واليًا على مصر فكث اسماعيل معه على صفاء ومودة حتى وقع بين عباس باشا وسعيد باشا نفور مبني على اختلاف في اقتسام التركة وانحاز سائر افراد العائلة الخديوية الى سعيد وفي جملتهم اسماعيل فساروا كافة الى الاستانة و رفعوا دعواهم الى جلالة السلطان الاعظم فصدرت الارادة الشاهانية بانفاذ المرحوم فؤاد باشا الصدر الاعظم وكان يومئذ فؤاد افندي وجودت

افندي وهو الآن دولتلو جودت باشا الوزير العظيم والمؤلف الشهير الى مصر فأتيا وسوّيا الخلاف ونصالح افراد هذه العائلة الكريمة فعادوا الى مصر الا اسماعيل فانه بقي في الاستانة وتعين عضوًا في مجلس احكام الدولة العلية

وفي سنة ١٨٥٤ توفي عباس باشا الاوّل وتولى عمه سعيد باشا فعاد صاحب الترجمة الى مصر فولاه عمه المشار اليه رئاسة مجلس الاحكام فاهتم بتأسيسه واعاد نظامه ونظمه على مثال مجلس احكام الدولة العلية

وفي سنة ١٨٦٣ توفي المغفور له سعيد باشا فافضت ولاية مصر الى اسماعيل باشا وهو خامس ولاة مصر من السلالة المحمدية العلوية فاخذ منذ تبوئه الاحكام في رفع شأن هذه الديار واعادة رونقها الذي كان لها في عهد محمد علي باشا فاطلق يده في النفقة لتنظيم الشوارع وتشييد الابنية وانشاء المشروعات النافعة على انواعها مما سيأتي تفصيله غير مبال بما قد يجر اليه ذلك من الضيق

وكانت ولاية مصر تنتقل في العائلة الخديوية الى من يختاره جلالة السلطان الاعظم بقطع النظر عن علاقته بالوالي السابق وكان ولاة مصر يلقبون بالعزيز او الوالي او الباشا واذا لقبوا احيانًا بالخديوي فانما يكون ذلك على سبيل التجمل والتفخيم اما اسماعيل باشا فهو اوّل من نال رتبة الخديوية ولقب الخديوي فاصبحت ولاية مصر ارثًا صريحًا في نسله ينتقل منه الى اكبر اولاده ومنه الى اكبر اولاده وهكذا على التعاقب وهاك اهم نصوص الفرمان المؤذن بذلك الصادر في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ ه الموافق ٨ يوليو سنة ١٨٧٣

« ان كيفية وراثة الحكومة المصرية المقرّرة في فرماننا الصادر ثاني ربيع الآخر سنة ١٢٧٥ ه قد غيرت على وجه ان تنتقل الخديوية من متبوئي كرسيها الى بكر ابنائه ومن هذا الى بكر ابنائه ايضا وهلمّ جرًا علمًا بان ذلك ادعى الى المنفعة واشد ملاءمة لاحوال البلاد المصرية . واختصاصًا لك بانعطافي الذي صرت له اهلا بحسن سعيك واستقامتك واجتهادك واماتتك واثباتًا لذلك اجعل قانون الوراثة لخديوية مصر ومتعلقاتها وما يتبعها من البلاد وقائمقامية سواكن ومصوّع وتوابعهما كما تقدم بيانه بحيث تكون الولاية لبكر ابنائك ثم لبكر ابنائه من بعده . فاذا لم يرزق من ولي الخديوية ولدًا ذكرًا كانت الولاية من بعده لاكبر اخوته او لاكبر بني اخيه الاكبر كما

تقرَّر ولا تكون هذه الوراثة لابناء البنات . ولاجل تأييد هذه الاحكام ينبغي ان تكون الوصاية في حال كون الوارث قاصرًا على الصورة الآتية وهي

« اذا توفي الخديوي وكان كبير ولده قاصرًا اي غير بالغ من العمر ثماني عشرة سنة يكون هذا القاصر بالحقيقة خديويًا بحق الوراثة فيصدر اليهِ فرماننا بوجه السرعة واذا كان الخديوي المتوفى قد نظم قبل وفاتهِ اسلوبًا للوصاية وعين كيفيتها وذوي ادارتها بصك مثبت بشهادة اثنين من رؤساء حكومتهِ فاولئك الاوصياء يقبضون اذذاك على ازمة الاعمال عقب وفاة الخديوي . ثم ينهون بذلك الى الباب ينبتهم في مناصبهم ولكن اذا توفي الخديوي بغير وصية وكان ابنهُ قاصرًا فمجلس الوصاية عند ذلك يؤلف من متولي ادارة الداخلية والحربية والمالية والخارجية والحقانية وقائد العسكر ومفتش المديريات فيجتمع هؤلاء الذوات وينتخبون للخديوي وصيًا باجماع الرأي او باغلبيتهِ فاذا تساوت الآراء لاثنين من المنتخبين كانت الوصاية لارفعهما رتبة باعتبار الترتيب السابق من الداخلية فما بعدها ويشكل مجلس الوصاية من الباقين فيباشرون جميعًا امور الخديوية ويعرضون ذلك لسلطنتنا السنية ليصدق عليهِ بالفرمان الشريف . وكما انهُ لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيئة الوصاية قبل انتهاء مدتها في الصورة الأولى اي فيما اذا كان تنظيمها بحكم وصية الخديوي المتوفى فكذلك لا تغير في الصورة الثانية واما اذا توفي الوصي او احد اعضاء مجلس الوصاية في خلال تلك المدة فينتخب بدل الأول احد اعضاء المجلس وبدل الثاني احد ذوات المملكة وبمجرد بلوغ الخديوي القاصر ثماني عشرة سنة يكون راشدًا فيباشر ادارة امور الخديوية وذلك مما تقرَّر لدينا واقتضتهُ ارادتنا السلطانية

« ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها ورفاهة سكانها من أهم الأمور لدينا وكانت ادارة المملكة المالية ومنافعها المادية المتوقف عليها تكامل وسائل الراحة وتوفر اسباب السعادة عائدة على الحكومة المصرية رأينا ان نذكر كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها على شرط بقاء جميع الامتيازات الممنوحة سابقًا للحكومة المصرية . وذلك انهُ لما كانت ادارة المملكة الملكية والمالية بجميع فروعها واحوالها ومنافعها عائدة بالحصر على الحكومة ومتعلقة بها وكان من المعلوم ان ادارة اي مملكة وحسن انتظامها وتزايد عمرانها وسعادة سكانها مما لا يتم الا بالتوفيق والتطبيق بين الادارة

العمومية والاحوال والموقع وامزجة السكان وطبائعهم فقد منحناكم الرخصة المطلقة في وضع القوانين والنظامات الداخلية حسب الحاجة واللزوم . ولاجل تسهيل تسوية المعاملات سواء كانت من قبل الرعية او من قبل الحكومة مع الاجانب ولتوسيع نطاق الصنائع والحرف وتوفير اسباب التجارة منحناكم ايضاً الرخصة التامة في عقد المشاركات وتجديد المقاولات مع مأموري الدول الاجنبية في امور الجمارك والتجارة وسائر المعاملات الجارية مع الاجانب في امور المملكة الداخلية وغيرها على شرط ان لا يكون ذلك موجباً للاخلال بمعاهدات الدولة السياسية

« ولكون خديوي مصر حائزاً لحق التصرف المطلق في الأمور المالية قد اعطيت له الرخصة في عقد القروض من الخارج بغير استئذان عند ما يجد لذلك لزوماً على شرط ان يكون القرض باسم الحكومة المصرية . وبما ان امر المحافظة على المملكة وصيانتها من الطوارق (وهو اهم الامور واحوجها الى العناية) من اقدم الوظائف المختصة بخديوي مصر قد منحناه الاذن المطلق بتدارك اسباب المحافظة وتنسيبها على مقتضى ضرورات الزمان والحال وبتكثير او تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية على حسب اللزوم بغير تقييد ولا تحديد . واعطينا كذلك لخديوي مصر امتيازه القديم بمنح الرتب العسكرية الى رتبة ميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية على شرط ان تكون المسكوكات المضروبة في مصر باسمنا الشاهاني وتكون اعلام العساكر البرية والبحرية في القطر المصري كاعلام عساكرنا السلطانية بلا فرق او تمييز ولا يجوز لخديوي مصر ان ينشىء البوارج المدرعة بغير استئذان اما سائر السفن والبوارج ففي استطاعته ان ينشئها متى شاء »

وقد امتاز اسماعيل باشا عن سائر ولاة مصر قبلة انه حبب سكنى الديار المصرية الى الاجانب من جالية اوربا واميركا وغيرها بما مهد من وسائل الراحة والطمأنينة مع الاخذ بناصرهم وتأييد مشروعاتهم وتنشيطهم وتوسيع نطاق التجارة فتقاطروا اليها افواجاً واقاموا فيها على الرحب والسعة لما آنسوهُ من الكسب الحسن والعيش السهل

وفي سنة ١٨٦٩ احتفل اسماعيل باشا بافتتاح ترعة السويس وكان قد بوشر بحفرها على عهد سعيد باشا فحضر ذلك الاحتفال جميع ملوك اوربا او من يقوم مقامهم وكان له رنة بلغ صداها اربع اقطار المسكونة لما اعده فيه اسماعيل من وسائل الزينة

ما قد تقصر عنه همم الملوك العظام وفي جملة ذلك انه بنى الاوبرا الخديوية بالقاهرة لتكون مرسحًا يشاهد فيه ضيوفه صنوف التمثيل وكانت المدة غير كافية لتشييد ذلك البناء فبذل الدرهم والدينار فلم تمض خمسة اشهر حتى تمّ البناء وسائر معدات التمثيل على ما نشاهده الآن وهو من المراسح التي لا مثيل لها الا في عواصم اوربا العظمى

ومما اختص به صاحب الترجمة من الشرف العظيم دون سواه من الولاة ان جلالة ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان شرف القطر المصري بحلول ركابه في السنة الاولى من ولاية اسماعيل فلاقى ترحابًا جديرًا بجلالته

وفي سنة ١٨٧٢ تعدى الحبشة على حدود مصر مما يلي بلادهم واسروا بعضًا من رعايا مصر فبعثت الحكومة المصرية تطالب ردهم فجرت المخابرات فآل ذلك الى حرب جرد فيها اسماعيل حملة لم تنل غرضًا فانتهت الحرب بالصلح . وفي سنة ١٨٧٣ شخص رحمه الله الى دار السعادة فاحتفل بقدومه فعاد وقد حاز رضى الحضرة الشاهانية ورجال المابين الهمايوني وفي تلك السنة احتفل بزواج انجاله الثلاثة وهم المغفور لها توفيق باشا الخديوي السابق والبرنس حسن باشا ودولتلو البرنس حسين باشا احتفالاً واحدًا تحدث به الناس زمنًا طويلاً ومما زاد ذلك الاحتفال بهجة انهم نالوا عندئذ رتبة الوزارة الرفيعة معًا

ولنأت الآن الى امر هو اهم الامور المتعلقة بصاحب الترجمة وعليها مدار ما آل اليه امره نريد به امر الديون التي تعاظمت على مصر في ايامه وايضاحًا لذلك نذكر ملخص تاريخ الدين المصري . فاول من وضع جرثومة الدين المصري المغفور له سعيد باشا سنة ١٨٦٢ وقدره الاسمي ٣٢٩٢٨٠٠ جنيه بفائدة ٧ بالمائة وفي السنة التالية تولى صاحب الترجمة تخت الحكومة المصرية فاخذ في البذل والنفقات في التشييد والبناء وغير ذلك حتى زادت النفقات على الدخل فكان اذا اراد عملاً جنح الى الاستقراض لا يبالي بعاقبة ذلك حتى بلغت ديون مصر نحو مئة مليون جنيه واصبحت حملاً ثقيلاً على الخزينة المصرية وعلى اهالي البلاد لانه كان يضرب الضرائب الفادحة لوفي منها فائدة تلك الديون ويستخدم العنف في تحصيلها من الاهالي حتى آل الامر الى مداخلة الدول الاجنبية للمحافظة على اموال رعاياها اصحاب الديون

فتخابرت الدول وتشاورت في احسن الوسائل لضمان تلك الاموال واستهلاكها

فالّفت لجنة دولية مشتركة سموها لجنة صندوق الدين العمومي صدر الأمر العالي بتشكيلو في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ وورد في ذلك الامر ان هذا الصندوق قد انشئ لتأمين ارباب الديون على ديونهم واستلام ما يستحق لهم من الفوائد وغيرها وان الحكومة لا يجوز لها تجديد قرض الاّ بالاتفاق مع صندوق الدين وان الدعاوي التي يتراءى لصندوق الدين رفعها على الحكومة تنظر في المجالس المختلطة

وكانت الديون المصرية قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضموها في ٧ مايو من تلك السنة الى دين واحد فبلغ قدره ٩١ مليون جنيه وسموه الدين الموحد بفائدة ٧ بالمائة ويتم استهلاكه في ٦٥ سنة . ثم رأى اسماعيل باشا ان توحيد الدين على هذه الصورة لا يتيسر له اتمامه فاصدر في ١٨ نوفمبر منها امرًا يقول فيه ان تصدر الحكومة المصرية عليها سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه تكون ممتازة برهن خصوصي هو السكة الحديدية وميناء الاسكندرية وفائدتة ٥ بالمائة وسماه الدين الممتاز

على ان كل هذه الوسائل لم تكن كافية لاقناع الدول لان الحكومة لم تكن تقوم باستهلاك الديون حسب الشروط فعينت الدول سنة ١٨٧٨ لجنة مالية مختلطة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فرأت فيها عجزًا مقداره مليون ومائتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن املاكه الخاصة واملاك عائلته للحكومة وهي التي تعرف باملاك الدومين . وتقرّر في تلك السنة استقراض ثمانية ملايين جنيه ونصف مليون وجعلوا املاك الدومين رهنًا لها وهذا هو الدين المعروف بدين روشيلد

وكانت اعمال الحكومة المصرية تجري بمقتضى ارادة الخديوي رأسًا اما بعد تداخل الاجانب باحوال المالية فلم ير اسماعيل بدًّا من جعل حكومته شورية فشكل مجلس النظار على ما هو عليه الآن برئاسة نوبار باشا وصادق على تعيين ناظرين احدهما انكليزي وهو المستر ولسن للمالية والآخر فرنساوي وهو الموسيو بلينير للاشغال العمومية فرأى مجلس النظار ان يقتصد شيئًا من نفقات الجند فرفت جانبًا منهم فثار المرفوتون وجاء جماعة منهم وفيهم ٤٠٠ ضابط الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمستر ولسن وطلبوا اليهما دفع ما تأخر لهم من رواتبهم وخاطبوهما بعنف وشدة حتى علت الضوضاء وكادت تأول الى ثورة لولا ان اقبل اسماعيل باشا وخاطب الجند ووعدهم وأمر بانصرافهم اما هم فحالما رأوه ٥٠ رجل وكانة جاءهم برقية او سحر فانكفأوا راجعين

ثم استقال الوزيران نوبار و رياض تخلصاً من عبء التبعة لما آنسوه في اعمال الخديوي من الخطر فشكل مجلساً آخر برئاسة ابنه توفيق باشا (الخديوي السابق) على ان ذلك لم يقلل شيئاً من القلاقل لان الداء لم يكن في المجلس ولكنه كان في مقاصد اسماعيل لانه استعظم اغلال يديه بمجلس فيه ناظران اجنبيان فقلب هيئة ذلك المجلس في ٧ افريل سنة ١٨٧٩ واخرج الناظرين الاجنبيين وعهد برئاسة المجلس الى المرحوم شريف باشا فعظم ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا تلك المعاملة اهانة لها فعمدتا الى الانتقام فسعتا في ذلك لدى الباب العالي سراً وجهراً و في ٢٥ يونيو سنة ١٨٧٩ صدر الامر الشاهاني باقالته وتولية المذكور له توفيق باشا وفي ٣٠ منه وقيل في ٢٦ سافر اسماعيل باشا من القاهرة الى الاسكندرية ومنها الى اوربا و يقال انه خاطب ابنه توفيق باشا عند سفره قائلاً

« لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم ان تكون يا اعز البنين خديوي مصر فاوصيك باخوتك وسائر الآل براً واعلم اني مسافر وبودي لو استطعت قبل ذلك ان ازيل بعض المصاعب التي اخاف ان توجب لك الارتباك على اني واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأي ذوي شوراك وكن اسعد حالاً من ابيك »

وما زال بعد سفره مقيماً في ايطاليا حتى اقتضت الحال الى الاقامة في الاستانة العلية فاقام فيها الى ان توفاه الله في ٢ مارس الجاري وله من العمر ٦٥ سنة فحملت جثته الى مصر ودفنت فيها

(٣) اعماله وآثاره

قلنا ان اسماعيل باشا كان شغفاً بتنظيم المدن حتى قيل انه يريد ان يجعل القاهرة تضاهي باريس بالنظام والترتيب فنظم طرقها و وسعها واكثر من فتح الشوارع الجديدة و بناء الابنية الفاخرة كالاوبرا الخديوية والقصور الشامخة في القاهرة والاسكندرية واعظم تلك الابنية سراي الجيزة وهي مما تقصر عنه همم الملوك حتى ضربت بها الامثال وانشأ المتحف المصري في بولاق والمكتبة الخديوية وهما من اجل الآثار وانفعها اما المتحف فقد نقل على عهد الخديوي السابق الى سراي الجيزة المشار اليها اما المكتبة فلا تزال في درب الجماميز تفتخر بها مصر على سائر الامصار الشرقية لما حوته من الآثار العلمية و بينها جانب كبير من الكتب الخطية التي يعز وجودها

ومن أعماله انه جرّ الماء بالانابيب الى بيوت العاصمة وكان الناس يستقون قبلاً بالقرب والصهاريج وعمم زرع الأشجار في المدن وضواحيها وأنار القاهرة بالغاز وتدارك ما ينجم عن الحريق باستجلاب آلات الاطفاء

وهو الذي نظم معظم فروع الادارة على ما في عليه الآن فقسم القطر المصري الى ١٤ مديرية وعين لها المراكز وأسس مجلس النواب ونظمه ونظم مجالس القضاء الاهلي والقضاء الشرعي وجعل لكلٍ روابط وحدوداً ووضع نظام المجالس الحسبية وأنشأ مجلس حسبي القاهرة · وعلى عهده انشئت المجالس المختلطة بمساعي دولتلو نوبار باشا وقد اراد بها تقليل نفوذ القناصل وحصر التداخل الأجنبي ولكنها كانت سبباً لزيادة النفوذ واتساع دائرة التداخل · وكانت مصلحة البريد قبلاً شركات اجنبية فأنشأ مصلحة البوسطة المصرية وجعلها من المصالح الاميرية كما في الآن

وحسن مطبعة بولاق وزاد فيها وأمر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها وأسس معملاً للورق ونشط المطبوعات فلم يكن في القاهرة قبلاً الا جريدة الوقائع المصرية ولم تكن تصدر على نظام فجعل لها ادارة خاصة بها · وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد العربية كجريدة التجارة ومصر والوطن والاهرام والكوكب الاسكندري وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليعسوب ونزهة الأفكار وحديقة الأبصار وغيرها وبالجملة فقد كانت للعلم في ايامه نهضة مرجع الفضل فيها اليه لانه كان يعضد العلماء ويجيز المجيدين منهم ويأخذ بناصرهم مادياً وادبياً وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلامذة بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقيها بيده وقد يقف عند تقديمها تنشيطاً لهم

ولم يكن في القطر المصري يوم توليه الا خط حديدي ممتد بين القاهرة والاسكندرية فانشأ كثيراً من الخطوط الاخرى الممتدة الى سائر انحاء القطر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ومد اسلاك التلغراف حتى اوصلها الى السودان وقد بلغت نفقات الخطوط الحديدية والآلات البخارية والعربات والآلات التلغرافية التي احدثها بين سنة ١٢٨١ و ١٢٩٠ ه ٩٦٥٨٢٣٧ جنيهاً على تقدير المرحوم صالح مجدي بك

ومن آثاره مدينة الاسماعيلية بناها على قنال السويس وسماها باسمه وجعل فيها الحدائق والقصور وأنشأ المنارات في البحرين الأبيض والأحمر وزين حديقة الازبكية بغرس اشجارها وتسويرها ورتب فيها الموسيقى وبنى بنايات كثيرة بالقرب من طرفه على

طريق حلوان لمعامل البارود والاسلحة الصغيرة انفق على بنائها مبالغ كبيرة ولكنه لم يستعملها و بنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية في حلوان ولولاها لم تعمر حلوان وبنى المرصد بالعباسية وكثيرًا من معامل السكر في سائر انحاء القطر هذا فضلاً عن الترع الكثيرة والجسور الهائلة ومن اشهر تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس ومن اعظم الجسور كبري قصر النيل الموصل بين القاهرة والجزيرة و بنى حوضًا لترميم السفن في السويس

ومما تمَّ على يده من الاعمال العظيمة ابطال تجارة الرقيق واتمام فتح السودان واخضاعه فافتتح مملكة دارفور سنة ١٢٩١ هـ وما بعدها حتى بلغت جنوده الدرجة الرابعة من العرض وراء خط الاستواء وعني في تحسين احوال السودان فمهد شلال عبكة وفتح سدًّا كبيرًا جنوبي مديرية فشوده طوله ستون ميلاً كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فتسهلت طرق التجارة كثيرًا . ومن مآثره تسهيل اكتشاف ما غمض من قارة افريقيا بيد اصحاب الخبرة

وكانت المدارس التي انشأها جده رحمة الله قد اخذت في الاضمحلال لاغفال امرها بعده فاعاد رونقها واحدث غيرها فمن المدارس التي اسسها او حسنها مدارس المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والمساحة والالسن والعمليات والادارة واللسان القديم والتجارة ومدرسة البنات في السيوفية وغير ذلك من المدارس في القاهرة والاسكندرية والارياف . وفي عهده تأسست المحافل الماسونية الوطنية وبحمايته تعزز شأن الجمعية الماسونية في مصر وانتشرت مبادئها حتى انتظم في سلكها نجله المغفور له الخديوي السابق وجماعة كبيرة من امراء البلاد ووجهائها

وخلاصة القول ان مصر كانت في ايامه زاهية زاهرة والناس في رغد ورخاء وخصوصًا بعد ارتفاع اثمان الاقطان اثناء حرب اميركا فان ثمن القنطار الواحد بلغ ١٦ جنيهًا فكان سكان هذا القطر السعيد وفيهم الكاتب والشاعر والتاجر والصانع يتحدثون بمآثره وانعامه وتنشيطه على ان العقّال منهم كانوا لا يغفلون عن ذكر ما كان من اسرافه فوق ما تحتمله حال البلاد وتنبأ بعضهم بمنقلب تلك الحال ووقوع مصر في هوة الدين وتعريضها لمطامع الدول الاجنبية والواقع انه لم يترك هذه الديار الاَّ وقد بلغت ديونها زهاء مئة مليون جنيه كما رأيت وهي لا تزال تئن من وطأتها الى الآن

وكان ذلك من اعظم الاسباب لمداخلة الأجانب في ادارة البلاد ومراقبة اعمالها

على انا لا ننكر ان الاصلاحات التي اجراها ببعض تلك الاموال قد عادت على البلاد بالنفع الجزيل ولكننا لا نرى انها تعوض الخسارة كلها وزد على ذلك انه لو احسن التصرف في النفقات وسار بها سيرًا قانونياً لكانت العواقب احسن كثيرًا ولاصبحت مصر في غنى عن كل هذه التقلبات . ويقال ان مقدار الاموال التي دُفعت من خزينة الحكومة المصرية بأمره بغير تسمية المدفوع اليه بمعنى انه كان يرسل الى المالية تذكرة بامضائه يقول فيها ادفعوا الى رافعه المبلغ الفلاني فيدفعونه وهم لا يعلمون مصيره فقد جمعت هذه المبالغ فبلغت ٨٤ مليونًا من الجنيهات فاذا صحت هذه الرواية كان هذا المبلغ وحده كافياً لوفاء دين مصر

(٣) صفاته

كان اسماعيل باشا ربعة ممتلئ الجسم قوي البنية عريض الجبهة كثيث اللحية مع ميل الى الشقرة اما عيناه فكانتا تتقدان حدة وذكاء مع ميل قليل نحو الحول او أن احداهما اكبر من الاخرى

وكان جريئاً مقداماً ذا قوة غريبة على اقامة المشروعات كثير العمل لا يعرف التعب ولا الملل ولا مستحيل عنده وكان ساهرًا على ما جريات حكومته لا تفوته فائتة واما اعمال الدائرة السنية فقد كان يطلع على جزئيات اعمالها وكلياتها فلا يباع قنطار من الفحم الاَّ بمصادقته

وكان عظيم الهيبة جليل المقام لا يستطيع مخاطبه الاَّ الانقياد الى رأيه حتى قيل على سبيل المبالغة ان الذين يخاطبونه يندفعون الى طاعته بالاستهواء او النوم المغنطيسي

وكان حسن الفراسة قلَّ ان ينظر في امر الاَّ استطلع كنهه فاذا نظر الى رجل عرف نواياهُ او تنبأ بمستقبل امره ومما يتناقلونه عنه انه ادرك مستقبل احمد عرابي وهو لا يزال ضابطًا صغيرًا فاوصى المغفور له الخديوي السابق ان لا يرقيه لئلاَّ يتمكن من بث نواياه الثورية فتقود الى ما لا تحمد عقباه

وكان يتكلم الفرنساوية جيدًا وهي اللغة التي يخاطب بها الاجانب ويحسن العربية والتركية والفارسية ويحب الفخر والبذخ والابهة وكان منغمساً في الترف مكثرًا من السراري والحظايا

ولكنه مع ذلك كان كثير الميل الى تنشيط المعارف ورفع منار العلم والاخذ بناصر المظلومين ومما يؤيد ذلك ان مصر ابليت سنة ١٨٧٤ بطغيان النيل فاصابها جهد عظيم فوجه التفاته الى حال المزارعين والتجار فاراد جماعة من تجار الاسكندرية ان يقيموا له تمثالاً تذكاراً لتفضله فأبى وامر ان يقام بدل ذلك التمثال مدرسة للتعليم فرفع اليه اوروبيو الاسكندرية عريضة هاك ترجمتها

سموّ الخديوي المعظم اسماعيل

(ايها المولى) لم ننس طغيان النيل غير الاعتيادي عام ١٨٧٤ الذي هدد القطر المصري بخطر جسيم وانذره بالضرر العام ولم نجهل انكم قمتم اذ ذاك بما لم يقم به سواكم فوجهتم التفاتكم السامي وبه نجيتم البلاد من مصيبة عظيمة وداهية دهياء. فاظهاراً لما ابديتموه سموكم من كرم الاخلاق والافعال العظيمة رام سكان الاسكندرية الاوربيون ان يقيموا لحضرتكم تمثالا تذكاراً لبديع فعلكم فشاءت ارادتكم اقامة مدرسة بدلا من التمثال فلبوا وقد تمّ بعنايتكم بناء المدرسة في يوم جلوس سموكم المانوس على اريكة الخديوية والآن نقدم لاعتابكم مفاتيح هذه المدرسة ملتمسين ان تتنازلوا لقبولها كمثال لسواكم يريهم ما تقدر عليه ارادة رئيس المملكة وكعلامة لحضرتكم تشير الى امتنان اوربي الاسكندرية الذين يفتخرون بان يكونوا لسموكم العبيد الخاضعين

(الامضاوات)

فاجابهم بما يأتي

اني لاشكر صنيعكم واقتبل علامة امتنانكم باسم اوربي الاسكندرية مبتغياً ان تنوبوا عني باظهار تشكراتي للجميع

أما ما ابديته في ذاك الحين فكان من بعض واجباتي نحو البلاد وقد سرّني عملكم هذا واعتده مكافأة عظيمة لانه يؤكد لي ان مصر امست اليوم عائلة واحدة وانني مستعد مطلقاً للقيام بواجباتي نحو هذه العائلة وأؤمل ان جميع المشاكل والصعوبات الحالية تزول بعونه تعالى فتعود مصر الى نجاح جديد وسلام تام ١٠ هـ

(٩) تركته ووصيته

يعسر تقدير تركة صاحب الترجمة تقديراً مدققاً لكثرة فروعها واختلاف جزئياتها وتفرقها في البلاد ولكن المعروف من تركته انه استبدل معاشه قبل مماته بمائتين

وعشرين الف فدان من الاطيان باع الفين منها للاوقاف العمومية و ١٥٠٠ للجناب العالي فبقي له ١٨٥٠٠ فدان منها ١٢ الف فدان في تفتيش ابتاي البارود وقفها على زوجاته الثلاث في حياتهن ثم يرثها ورثته بعدهن والباقي وقدره ٦٥٠٠ فدان يقسم على الورثة وترك غير ذلك ما ورثه عن والدته وهو ٥٠٠٠ فدان وهبها لها المرحوم عباس باشا الاول وهي مرهونة و ٩٠٠ فدان وقصراً في حلوان وسراي القصر العالي و٢٤ فداناً تابعة لها . وما ورثه عن ابنه المرحوم البرنس علي باشا جمالي الذي توفي في السنة الماضية وهو ٦٠٠ فدان . وترك في العباسية قصر الزعفران وفي الاستانة قصر ميركون وهو يحتوي على قصرين كبيرين وقصرين صغيرين . وترك فيها ايضاً فناق بايزيد وتقدر قيمة ارضه بثلاثين الف جنيه واصلة للمرحوم البرنس حليم باشا ورثه عن اخته زينب هانم فاخذه جلالة السلطان منه ووهبه للفقيد . فهذه التركة كلها ما عدا سراي الزعفران تقسم على الورثة بعد ايفاء ديونه التي تقدر بنحو ١٨٠ الف جنيه

أما وصيته فانه كان قد اضاف ٤٧٠٠ او ٤٨٠٠ فدان من اطيانه في ايام ولايته الى الاطيان الموقوفة على اهل قواله وقدرها ١٠ آلاف فدان في كفر الشيخ وجعل لنفسه الشروط العشرة في هذا الوقف بما فيها من حق التغيير والابدال . ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه فنصل ٤٧٠٠ فدان التي اضافها اليه عملاً بحقه ووقفها على حاشيته كلها ولم يستثن احداً منهم فرنسوياً كان مثل سكرتيره او انكليزياً مثل طبيبه او غيرهما من الاتباع والجواري اللواتي يبلغ عددهن ٤٥٠ جارية عدا ٤٠٠ بيضاء كان قد زوجهن باعيان مصر قبل مفارقته هذه البلاد

وقد اقام صديقه الحميم دولتلو راتب باشا وكيلاً لحرمه واوصى ان يعطى ١٥٠ جنيهاً شهرياً وان تعطى حرمه ٥٠ جنيهاً شهرياً وان يضاف راتبها الى راتبه اذا توفيت في حياته ويؤخذ راتبهما كليهما من تفتيش ابتاي البارود

وتأول نظارة وقف قواله بعده الى حضرة دولتلو عصمتلو البرنس زينب هانم بنت محمد علي باشا الصغير ابن محمد علي باشا الكبير . وتأول نظارة وقف القصر العالي الى حضرة دولتلو البرنس عثمان باشا فاضل ولهذا الوقف بيوت ونحو ١٣٠٠ فدان من الاطيان ويبلغ دخله نحو ٥ آلاف جنيه سنوياً . وقد ترك سراي الزعفران لحرمه الثلاث . وكذلك كل منقولاته وقيمتها غير معلومة

باب المقالات

تاريخ العرب قبل الاسلام

وما فيه من الاشكال والابهام

وعدنا في الهلال الماضي اثناء جوابنا على اقتراح بعض المقترحين ان نأتي على ذكر ما يحول دون ضبط تاريخ العرب قبل الاسلام من الاشكال والابهام وها اننا نجز الوعد وغرضنا من ذلك تمهيد العذر لما نحن آخذون فيه بمعونة الله من التاليف في هذا الموضوع اجابة لطلب جماعة من الفضلاء نرى الجواب على اقتراحهم فرضاً واجباً

يظهر لنا من مطالعة ما كتبهُ المسلمون في تاريخ العرب قبل الاسلام ان العرب لم يدونوا شيئاً من اخبارهم قبل عهد الاسلام او لعلهم كتبوا ولم يصلنا شيء مما كتبوهُ على ان غيرهم من الامم الاخرى كالمصريين والبابليين اذا لم يدونوا اخبارهم فقد تركوا من الآثار المنقوشة ما يستدل منهُ على تمدنهم ويهتدى به الى تواريخهم أما العرب فاول كتاب ذكر اخبارهم القرآن الكريم ولكنهُ ذكر ذلك عرضاً موجزاً اختلف فيه المفسرون وتضاربت فيه آراؤهم على ان بعض اخبار العرب كانت متناقلة على السنة الصحابة وغيرهم من المعاصرين فتناقلها التابعون وتابعو التابعين حتى وصلت الى المؤرخين في صدر الاسلام فالتقطوها عن السنتهم ودونوها في تواريخهم على علاتها وفسروا شيئاً منها بما وصل اليهم من اشعار العرب وامثالهم فجاءت معرقلة متناقضة مقتضبة لا تنطبق على احكام العقل الا قليلاً منها

أما غير المسلمين ممن عاصروا العرب الجاهلية فقلما عنوا في امرهم فلم يدونوا من اخبارهم الا ما جاء عرضاً وهو نذرٌ يسير قد لا يزيد الباحث الا اشكالاً واقدم تلك المصادر التوراة وهي لم تذكر الا بعض اسماء المدن والاشخاص في اقدم ازمان الانسان مما لا ينطبق على اسمائها الآن الا بالحدس والتخمين واقدم مؤرخي اليونان هيرودوتس الرحالة وغرضهُ من تاريخهِ بيان حروب الفرس مع اليونان والمصريين فلم يذكر العرب

الا عرضاً وهكذا الحال في من كتب بعده من مؤرخي اليونان والرومان على ان بعض جغرافييهم كاسترابون الذي عاصر المسيح وبطليموس القلوذي الاسكندري الذي جاء بعده بقرنين قد ذكرا عن جزيرة العرب شيئاً لا يخلو من الالتباس لاختلاف اسماء المدن والقبائل اذ ذاك عما رواه مؤرخو المسلمين . وبالجملة فان كل ما وصل الينا من تاريخ العرب قبل الاسلام يرجع معظمه الى ما كتبه مؤرخو المسلمين وهو هناك متناقض مخالف لما يتخلله من المبالغة والتخمين والنقص فيعسر تجريد الحقيقة منه الا بالاجتهاد والتساهل والتطبيق على احكام العقل وهذا هو السبب في اشتهار تاريخ العرب قبل الاسلام بالتعقيد والضعف حتى تقاعد المؤرخون عن خوض عبابه والاسهاب فيه وذلك ما حمل ملك اسوج اوسكار الثاني منذ بضع سنين على استحثاث العلماء للكتابة فيه وفرض لمن يجيد فيه جائزة سماها وبلغنا ان بعضهم نال تلك الجائزة ولكننا لم نر الكتاب ولا عرفنا مؤلفه

على ان جماعة من الاصدقاء لحسن ظنهم بنا دعونا الى خوض هذا العباب فنكتب كتاباً جامعاً لشتات هذا التاريخ بعد تمحيص حقائقه فلبينا الدعوة مع اقرارنا بالعجز عن القيام به حق القيام وعذرنا في ذلك ما قدمناه من ضعف ما لدينا من المصادر التاريخية على اختلاطها وتناقضها مما سنبسطه فيما يلي

قلنا ان مرجع ما لدينا من المصادر التاريخية عن العرب قبل الاسلام اقدم ما كتبه المسلمون كابن اسحق وابن هشام والطبري والمسعودي والاصبهاني وابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء وغيرهم وبمراجعة كتبهم ورواياتهم ومقابلتها بعضها ببعض رأينا فيها اختلافاً وتناقضاً وضعفاً مما يثبط العزم ويثني العزيمة وهاك بعضه على سبيل المثال

(١) تعيين ازمنة المواليد والوفيات والحوادث

من اكبر دواعي الابهام في تحقيق تاريخ العرب قبل الاسلام انهم لا يذكرون سني الولادة او الوفاة او الحكم ولكنهم يوردون اسماء الملوك او الامراء الواحد بعد الآخر ولا يعينون لذلك زمناً او عصراً فيقولون مثلاً ان جد ملوك اليمن قحطان وهو يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح اي ان بينه وبين نوح خمسة اجداد فيقتضي ان يكون يقطان من اهل القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد

على الاقل وهذا ما يسلم به مؤرخو العرب انفسهم فان المسعودي مثلاً بعد ان ذكر اسماء ملوك اليمن من نسل قحطان وعددهم سبعة وثلاثون ملكاً قال انهم حكموا ثلاثة الاف ومئة وتسعين سنة فتقدير المسافة بين قحطان وآخر ملك من نسله قريب من الصواب لان آخر ملك منهم حكم قبيل الهجرة ولكن ذلك يقتضي ان يكون معدل حكم الواحد ٨٦ سنة و بعض السنة وهذا بعيد عما نعلمه من معدل اعمار الناس فضلاً عن مدد حكمهم الأ اذا كان ذلك بمعجزة الهية اما متوسط اعمار الناس عادةً فلا يتجاوز ما بين ٣٠ و ٣٣ سنة وكأني بهم قد ادركوا هذا الامر فاضطروا الى تطبيق تلك السنين على عدد ملوك حمير المشار اليهم فزادوا في اعمار اولئك الملوك فقالوا مثلاً ان ابرهة ذا المنار احد ملوكهم حكم ١٨٠ سنة وان ابنه افريقش حكم ١٦٠ سنة وان تبان اسعد ابا كرب حكم ٣٢٠ سنة وهكذا فيما بقي بين الاكثر والاقل مما قد يعدلوا به عن القياس المعروف . على ان ابا الفداء يقول ان مدة ملوك حمير كانت الفين وعشرين سنة وهذا مع مخالفته لقول المسعودي لا ينطبق على الحقيقة لان المعدل لا يزال بعيداً عن الواقع وزد على ذلك ان ابا الفداء يوافق سائر مؤرخي الاسلام في شأن الملكة بلقيس وهي من ملوك حمير ايضاً فانه يقول انها كانت معاصرة للملك سليمان بن داود يريدون انها ملكة سبا المذكورة في التوراة ولكن بينها وبين يقطان او قحطان المتقدم ذكره ١٢ عقباً اما سليمان فكان في القرن العاشر قبل الميلاد وبينه بين يقطان ١٤ قرناً فيقتضي ان يكون بين مولد احد هؤلاء الاعقاب ومولد ابنه مئة سنة و بضع سنين وهو اغرب مما تقدم

وقال الطبري ان تبان اسعد ابا كرب المتقدم ذكره كان معاصراً لازدشير بهمن من ملوك الفرس ويقول ابو الفدا ان ازدشير بهمن هو كورش المشهور في التوراة وكورش هذا حكم سنة ٥٢٨ ق م فيكون بين تبان اسعد المشار اليه و يقطان ١٨ قرناً ولكن بينهما ١٧ عقباً غير ما في انساب هؤلاء من الاختلاف والتناقض

وقد اتفق النسابون ان بني عدنان ومنهم قريش ينتهي نسبهم الى اسماعيل بن ابراهيم الخليل ولكنهم لم يتفقوا على عدد الاعقاب واسمائهم الا ما بعد عدنان وعندهم ان من عدنان الى عبد الله والد صاحب الشريعة الاسلامية ٢١ عقباً وهم مجمعون على ذلك اما ما بين عدنان واسماعيل فانهم في اختلاف بين ان يكون سبعة اعقاب او

اربعين عقباً ومن المقرَّر ان اسماعيل كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فبينهُ وبين عبد الله والد النبي ٢٥٠٠ قرناً والاعقاب المجمع عليها بين عدنان وعبد الله ٢١ عقباً فلو جمعنا معدل مسافة العقب بين ولادة الوالد و ولادة ولده (٣٣ سنة) لكان بين ولادة عدنان وولادة صاحب الشريعة ٦٩٢ سنة فتكون ولادة عدنان سنة ٢٢ ق م ولكن مؤرخي الاسلام متفقون في رواية يؤخذ منها ان معد بن عدنان كان معاصراً لبختنصر ملك بابل ويذكرون له حروباً معهُ و بختنصر هذا من اهل القرن السابع قبل الميلاد فتأمل

اما المسافة بين عدنان واسماعيل فقد بقي لها بمقتضى حسابنا ١٨ قرناً فينتضي ان يكون عدد الاعقاب بينهما ٥٤ عقباً على الاقل واكثرهم يقول انها سبعة وبعضهم يجعلها اربعين

وأغرب من كل ذلك ما ذكرهُ المسعودي وغيرهُ عن نسب جذيمة الابرش الذي قتلتهُ الزبَّاء فقد قال انهُ جذيمة بن مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن الغوث ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اي ان بينهُ وبين قحطان ١٢ عقباً وجذيمة هذا لا شك في انهُ كان بعد الميلاد بما يزيد على القرنين على ان ابن خلدون يقول انهُ كان قبل الميلاد بثلاثين سنة فلو سلمنا بقوله لكان بين جذيمة وقحطان ٣٢ قرناً على الاقل وقد رأينا ان بينهما على رأي المسعودي ١٢ جيلاً فيجب ان يكون بين الوالد وولده ٣٠٠ سنة !!

(٣) اسماء الأشخاص والاماكن

ومن الأمور التي تستحق الاعتبار في تاريخ العرب قبل الاسلام اختلاف الاسماء من حيث اللفظ وهو كثير في كلامهم وسببهُ في الغالب خلو الكتابة العربية في اوَّل امرها من النقط والحركات لان الحروف العربية كانت عاطلة ولم يكن عندهم مميز بين الباء والتاء والثاء وبين الجيم والحاء والخاء وبين السين والشين فيكتبون (بلعس) مثلاً حروفاً بلا نقط فتقرأ بلقيس او يلقيس او تلقيس او تلقيس او بلنيس او يلقيس او تلقيس او بلقيش او تلقيش وقس عليهِ ما تختلف قراءتها به بنقل النقط واختلاف مواضعها فوقع بسبب ذلك التباس في قراءة الاسماء وظهر اثره في اختلاف المؤرخين والنسابين في اسماء الاشخاص والقبائل والاماكن من امثلة ذلك ان ابن

خلدون يسمي احد ملوك حمير افريقش والمسعودي وابو الفداء يسميانه افريقس وابن خلدون يقول المنطاط والمسعودي الملطاط وابن خلدون يقول ناشر النعم والطبري يسميه ياسر انعم او ياسر ينعم والمسعودي ناقس النعم ويسميه ابن الأثير ياسر بن عمرو وانعم الانعامة. وابن خلدون يقول كليكرب والطبري وابن الأثير يسميانه ملكيكرب والمسعودي وابو الفداء يسميانه كليكرب. وابن خلدون يسمي والد بلقيس اليشرح والطبري يسميه ايليشرح وابن الأثير ايلشرح وبلقيس يسميها بعضهم بلقمة. وبعضهم يدعو احد ابناء حمير وائل وغيره يدعوه وائل وقس عليه. اما الاسماء الاعجمية فالاختلاف فيها كثير لا يقع تحت الحصر

ولا يخفى ان ذلك الخلل قد يتطرق الى الافعال والاسماء المشتقة فيغير المعاني ويبدلها والظاهر ان تاريخ الطبري المطبوع في اوربا منقول عن نسخة خطية غير منقطة كلها او بعضها لان الناشر ملأ الكتاب بالحواشي لايضاح ذلك الاختلاف في القراءة

(٣) الاختلاف في توالي الملوك

لا يكاد يتفق مؤرخان على توالي الملوك اي تعاقبهم في الملك الواحد بعد الآخر وذلك كثير على الخصوص في ملوك حمير وغيرهم من الدول القديمة . وهاك جدولاً لبيان ذلك الاختلاف بين ثلاثة من المؤرخين في ملوك اليمن من حمير الى ذي الاذعار فقط خوفاً من التطويل (انظر الجدول المقابل)

فيظهر من هذا الجدول ما عدا الاختلاف في الاسماء والاشخاص انهم كانوا يختلفون عدداً فجعلهم المسعودي سبعة وابن خلدون عشرة وابو الفداء خمسة عشر وهو اختلاف جوهري عظيم

ولو قابلنا تعاقب ملوك الحيرة وغسان وكندة لرأينا مثل هذا الاختلاف ايضاً

ابو الفداء	ابن خلدون	المسعودي
حمير	حمير	حمير
وائل	وائل	كهلان
السكسك	السكسك	ابو مالك
يعفر	يعفر	جبار بن غالب
ذو رياش	المعافر	الرائش بن شداد
النعمان	ذو رياش	ذو المنار
اشمخ	الرائش	ذو الاذعار
شداد	ذو المنار	
لقمان	افريقش	
ذو سدد	ذو الازعار	
الحارث		
الصعب		
ذو المنار		
افريقش		
ذو الازعار		

(٤) اختلافهم في الانساب

وهذا ايضاً كثير في كتبهم حتى ان النسابين لا يكادون يتفقون الاَّ في القليل من انساب الملوك او الامراء او انهم لا يتفقون غالبًا الاَّ في انساب قريش اما في انساب الملوك الآخرين فيختلفون كثيرًا فان ابن خلدون وابن اسحق يقولان في نسب تبع اسعد ابي كرب انهُ اسعد بن عدي بن صيفي والطبري وابن الكلبي وابن حزم وابن الأثير يقولون انهُ اسعد بن كليكرب بن زيد الأقرن بن عمرو بن ذي الأذعار بن ابرهة ذي المنار الرائش بن قيس بن صيفي وبين هذين القولين بون عظيم . وهم في اختلاف في نسب زيد بين ان يكون ابن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة او ابن منبه بن صعب بن سعد او ابن صعب بن سعد . وابن خلدون وغيره يقولون ان يشجب ابن يعرب ويقول ابن اسحق ان يعرب هو ابن يشجب .

ونسابة اليهود يقولون ان عرب اليمن من نسل حام والعرب يقولون انهم من نسل سام واغرب من ذلك انهم مختلفون في نسل قحطان فمنهم من جعله ابن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام وبعضهم جعله ابن يمن بن قيدار وآخرون زعموا ان قحطان من نسل اسماعيل والاكثر على انه كان قبل اسماعيل باجيال . وقد صرح ابن خلدون ان العرب تتصرف في الاسماء الاعجمية بتبديل حروفها وتغييرها وهو مما يؤيد المراد من هذه المقالة . ومن امثلة ذلك اختلافهم في ذي القرنين بين ان يكون الصعب بن مدائر من ملوك اليمن او اسكندر المكدوني بن فيليب او غيرهما

واختلفوا في نسب الحرث الرائش اول ملوك التبابعة فقال ابن اسحق انه ابن عدي بن صيفي وابن الكلبي يقول ابن قيس بن صيفي والسهيلي يقول انه ابن همال بن ذي سدد بن الملطاط بن عمرو بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل والمسعودي يقول انه بن شداد بن الملطاط بن عمرو واغرب من ذلك ان الواحد منهم قد يقول في نسب الواحد قولين مختلفين فالطبري يقول في موضع ان الحرث الرائش من نسل سبا الاصغر ويقول في موضع آخر ما يؤخذ منه غير ذلك واختلفوا في نسب افريقش احد ملوك التبابعة فقال ابن خلدون انه ابن ابرهة بن الحرث الرائش وقال ابن حزم انه اخو الحرث الرائش وقد ذكروا ان الرائش حكم ١٢٥ سنة وابرهة حكم ١٨٠ سنة فتكون بداية حكم افريقش بعد بداية حكم اخيه بثلاثمائة وخمس سنين ناهيك عن مدة حكمه هو فربما عاش على حسابهم نصف قرن او اكثر وقس على ذلك اختلافهم في نسبة القبائل بعضها الى بعض فيزعم بعضهم ان قبيلة انمار من بني قحطان وبعضهم يقول انها من عدنان وقس عليه ما لو اردنا ايراده لضاق بنا المقام

(٥) اختلافهم في مشيدي المباني

وهم يخلطون في اسماء مشيدي المدن او غيرها من المباني فبعضهم يقول ان سد مأرب مثلاً بناه لقمان بن عاد وغيرهم ينسب بناءه الى الملكة بلقيس ويقول آخرون ان بانيه حمير وآخرون ان بانيه سبا بن يشجب وانه مات ولم يتمه فأتمه ملوك حمير من بعده وهو قول ابن خلدون ولو كانت بناياتهم عديدة لكان الاختلاف على مشيديها اكثر كثيرًا من ذلك ولكنهم قلما اقاموا بناء او شادوا صرحًا وهم يزعمون ان عبد شمس بن يعرب بن يشجب بن سبا بن قحطان بنى مدينة عين شمس (المطرية)

بمصر وولى ابنة بابليون عليها والمشهور انها من بناء المصريين القدماء وامرها معلوم

(٦) خلطهم بين القبائل والافراد

وهذا كثير الوقوع في اخبارهم ولكنه قلما يظهر صريحاً في اقوالهم على انه يتضح من مجمل ما يروونه عن ملوكهم وعظمائهم وخصوصاً فيما يتعلق باعمارهم فان قولهم ان فلاناً حكم ثلثمائة سنة مثلاً لا يمكن تفسيره الا بان يكون المراد بذلك الاسم قبيلة او عشيرة عرفت بذلك الاسم وتوالى الحكم فيها باسم كبيرها او مؤسسها ثم اختلط ذلك عليهم

ومما يؤيد ذلك قول المسعودي ان سائلاً سأل صاحب الشريعة الاسلامية عن سبأ أرجلاً كان او امرأة او وادياً او جبلاً فقال له «كان رجلاً ولد له عشرة فتشاءم اربعة وتيامن ستة» ومن هذا القبيل خلطهم بين الأفراد بعضهم ببعض فقد زعم بعضهم ان جرهم هو قحطان وقال آخرون بل هو ابنه وقال غيرهم غير ذلك وهناك أمثلة كثيرة لا تقع تحت الحصر

(الخلاصة)

هذه هي حال المصادر التاريخية التي لا مندوحة لنا عن استخراج الحقيقة منها على اننا نرجو ان لا نعدم وسيلة في تمحيصها وتجريد صحيحها من فاسدها بالمقابلة والاستقراء لان القول ولو كان خرافة لا يخلو من الحقيقة ولا بد لنا في ذلك من استخدام القياس العقلي وتطبيق النقل عليه والله نسأل ان يلهمنا السداد ويهدينا سبل الرشاد

باب المراسلات

القمار أو الميسر

سيدي الفاضل صاحب الهلال الاغر

اطلعت في العدد الاخير من هلالكم المنير على مقالة في القمار فسررت بنوع خاص لاجادتكم في التعبير عن نتائجه المضرة وتحذيركم البعض من عواقبه الوخيمة وقد

كان لهذه المقالة الرنانة تأثير حسن للغاية لدى السواد الاعظم من حضرات القراء فكلفني جماعة منهم ان اتقدم اليكم بمواصلة الكتابة في هذا الموضوع عساه ان يأتي بالفائدة المقصودة لان الاقتصار على مقالة واحدة انما هو كالكتابة على صفحات الماء وطالما كتبت الجرائد العلمية والسياسية في هذا الشأن ولكني لا أرى انها وفت الموضوع حقه فجئت ملتمساً اجابة سؤالنا شأنكم في سائر معاملاتكم فتكسبون الثناء من القراء وتنالون اجراً حسناً ولا سيما اذا ترتب على عطفكم هذا نجاة احد من ابتلاهم الله بهذا الداء الخبيث

والذي دعاني الى التطفل على الكتابة بهذا الموضوع مع علمي بعجزي انما هو ما اراه يومياً رأي العين من تفاقم هذه العلة وازدياد الشرور الناتجة عنها والشواهد على ذلك عديدة ولا يكاد يمر يوم بل ساعة لا نسمع فيها من خطوبه ما يفتت الجماد فكم من دور كانت عامرة زاهية فخربت واندكت وكم من عائلات كانت رافلة في أعلى ذرى العز والمجد فسقطت الى الحضيض وكم من نسوة ابتلاهنّ القضاء برجال لا ذمة لهم واولاد بحالة يرقّ لها الجلمود لا ذنب لهم الا كونهم ابناء بعض المقامرين الذين لا شفقة عندهم ولا رادع يردعهم عن سوء تصرفهم فالعياذ بالله من هذا الداء العياء الذي اذا تمكن من صاحبه صعب عليه التخلص منه حتى تقد يستهلك في سبيله فيبذل كل مرتخص وغال لا يحسب حساباً ولا يخاف عقاباً ولكن كيف يتأتى له ذلك وقد فقد الهمة وعزة النفس واستولى عليه الكسل والضعف ولا ارى حاجة الى ايراد الشواهد الكثيرة لتأييد ما اقول ولكني اورد مثالاً واحداً قريب العهد بيننا جرى لاحد الشبان من ذوي البيوتات الشهيرة لعل في ايراده تبصرة وذكرى لقوم يعقلون

كان لهذا الشاب والد توفي عن ثروة طائلة تركها له ولأخيه فاقتسما الميراث وكان هذا الشاب لسوء طالعه ولشقاوة عائلته قد اعتاد المقامرة ولعله فرح بوفاة والده لانه تمتع بعده بحرية العمل فاخذ يلعب بدون حساب كأنما هو في سكرة فلم تمض السنة حتى خسر جميع ما ورثه وهو يعد بالآلاف الآلاف فعمد الى الاملاك ثم الى حلي امرأته فباعها كلها واخيراً باع أمتعة البيت ولم يبق ولم يذر وهو مع كل ذلك لا يزداد الا تعلقاً بالمقامرة فضاقت به طرق الحيل وسدت في وجهه ابواب الفرج وقد اخذ حب المقامرة بمجامع قلبه فخطر له ان يكاشف بحاله صاحب محل القمار الذي

انفق فيهِ كل امواله فذهب وشكا اليهِ أمره لعلهُ يرقّ لهُ فلم يؤّاس منهُ الاّ اعراضًا ولما ألحّ عليهِ متذللاً انتهرهُ وطردهُ فأظلمت الدنيا في عيني الشاب وحملهُ اليأس على فعل تقشعرُ منهُ الابدان وذلك انهُ تواطأ وجماعة على قتل اخيهِ ليخلو لهُ الجوّ ويستولي على أمواله لانهُ هو الوارث الوحيد لهُ ولكن الاقدار ساعدت اخاهُ فنجا من شراكهِ ووقع الجاني في شرّ أعمالهِ يعاني عذاب السجن مغضوبًا عليهِ من آلهِ مرذولاً من الهيئة الاجتماعية التي تبرأت منهُ

وأمثال هذه الحوادث كثيرة لا محل لاستيفائها ونرى بكل أسف ان هذا الداء اللعين اخذ في الانتشار فلا نجد بلدة خالية منهُ والجائل في قرى الريف وكفوره يعجب لتفشيهِ بين سائر طبقات الناس حتى أصبح شغلاً شاغلاً لبعضهم اتخذوه مهنة لهم وبئست المهنة اما المدن الكبيرة كالاسكندرية والقاهرة وبيروت مثلاً فالقمار قد مدّ فيها رواقًا واقام فيها دولة وقد تكاثرت المقامر السرّية في الاسكندرية وخصوصًا بعد ان شددت الحكومة في منعهِ . ولا نعلم ما الحكمة في التقاعد عن اقفال هذه الاماكن التي هي أشبه شيء بالبراكين تبتلع اموال جماعة كبيرة من فقرائنا الذين يكدّون طول نهارهم لتحصيل بعض الدريهمات فينفقونها في هذا السبيل ويحرمون اهلهم الذين يتضوَّرون جوعًا واذا عذرنا هؤلاء لجهلهم وعدم تبصرهم وطمعهم الناتج عن الفقر فما عذر البعض من اصحاب الوجاهة والشأن من النزلاء الذين اباحوا القمار جهارًا في منازلهم بين نسائهم وأطفالهم حتى ان بعضهم يلهون بهِ عن كل شغل فتراهم يتألبون في بيت أحدهم ويكبون على المقامرة من الصباح الى الظهر فيأكلون ما تيسر مما اعدّهُ الخدم ثم يعودون الى اللعب وربما تناولوا الطعام وهم يلعبون ولا يزالون على مثل ذلك الى نصف الليل او ما بعده

والخلاصة ان اضرار القمار لا تعد ولا تحصى ولا نظن المقامرين انفسهم يجهلونها ونزيد على ذلك ان الادمان على المسكر وتعاطي سائر الامور المحرّمة اذا وضعت في احدى كفتي ميزان ربما رجحت كفة المقامرة عليها نعوذ بالله من هذه الآفة الوخيمة

اما الطريقة للتخلص منهُ او بالحري لتقليل الشرور الناتجة عنهُ فلا اظن العلم وحده كافيًا لها اذ اننا نرى شبانًا غير قليلين ممن تتفاخر بآدابهم وفضلهم غير خالين من التلطخ بهِ يتعاطونهُ جهارًا لا يخشون حرجًا وخصوصًا في بعض بنادر الريف

المهمة فقد اصبح القمار شغلاً شاغلاً للبعض منهم على انهم يجب ان يكونوا قدوة حسنة لمن قدمنا من عامة الناس وفقرائهم عوضاً عن ان يكونوا قدوة سيئة لهم

فاذا قد وضح لدينا استحالة منعه بطريق التعليم فلم يبق امامنا الا طرق ابواب حكومتنا الساهرة على راحة الاهالي فانها تنفق الاموال الطائلة في حفظ الامن وتبذل النفس والنفيس في سبيله فما احراها بان توجه التفاتها الى كبح جماح هذا العدو الحقيقي الذي يتهددنا وينذر بالخراب وقد عودتنا الحكومة الثلية في كل ما تراه موافقاً للمصلحة العامة فما على الجرائد الا التكاتف والالتماس من الحكومة بصوت واحد ان تسعى في تنفيذ القوانين التي وضعت على عهد الوزارة الرياضية فان فعلت ذلك وهي لا شك فاعلة باذن الله يتقلص ظل هذا الوباء اذا لم يزل تماماً اما اذا ترك لحاله ساءت العاقبة اجارنا الله منها ووفق حكومتنا السنية الى ما به راحتها وراحة رعاياها والسلام

وكيلكم بالاسكندرية

نقولا دباب

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشئ الهلال الاغر

اطلعت على ما جاء في الجزء الماضي من هلالكم المنير بامضاء الفاضل (ر . ن) اعتراضاً على ردي وبرد الفاضل الشيخ الالفي على حضرته بشان التمدن الاسلامي وبماذا قام فوجدت انه لم يحسن بنا الظن لاشارته الى اننا اخطأنا في فهم المراد مما كتبه رداً عليّ بشأن التمدن الاسلامي مما لا يستوجب المؤاخذة كما يقول مع انه ليس في كلامنا ما يشتمّ منه رائحة المؤاخذة اذ ليس ثمت من داعٍ الى ذلك فهي الحقائق لا تتكاشف الا بالبحث والاستقراء وبحثنا على ما نعلم بحث يتنفر لاطراح التشيع والنظر اليه بعين الانصاف المجرّدة عن كل عارض من عوارض الغرض سوى ما تدعو اليه الرغبة بتحرّي حوادث السلسلة الاجتماعية توصلاً الوقوف على حقائقها المبتغاة كيف كانت صفتها وأنّى كان مصدرها والا عزّت دونها المطالب وانسدلت عليها حجب الغموض والخفاء . لهذا ارجو ان لا تضيق صفحات الهلال الاغر عن ابداء كلٍّ منا هذا الموضوع حقه من البيان فانه من المباحث الجليلة التي تحوج الى الاسهاب القليل

الذي لا بدَّ منهُ في جانب الوصول الى كشف حقيقة تهم كل مطلع على هذه المجلة الزاهرة فان حضرة المعترض الفاضل (ر · ن) ما زال غير مقتنع بما بسطناهُ في الرسائل السالفة متشبثاً برأيهِ القائل بقيام الشريعة الاسلامية بالسيف وان عدَّل من رأيهِ بشأن التمدن الاسلامي بقولهِ انهُ قام بالسيف والقلم معاً ولا حاجة لتفنيد ما أوردهُ من الادلة كل منها على حدة بعد ان أيد بما نقلهُ عن السيرة النبوية لابن هشام ما ذكرتهُ انا في رد الاعتراض من ان الجهاد في الشريعة الاسلامية لم يشرع الاَّ في حوادث مخصوصة اي بعد ان رأى النبي (صلعم) من مقاوميهِ ما يدعو الى دفع اذاهم عنهُ وعن المسلمين حيث اذن لهُ في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم وبعد ان اعترف ايضاً ان القاعدة في الجهاد « الاسلام او الجزية او السيف » الاَّ ما اورده نقلاً عن الكامل لابن الأثير من انها كانت مع بني الحرث بن كعب بنجران « الاسلام او السيف » هذا اذا صحت الرواية فيكون حكماً خاصاً لا يبنى عليهِ حكم عام والاَّ فان الاسلام قد امتدَّ في الصدر الأوَّل وما يليهِ الى عصر العباسيين عصر التمدن الاسلامي الذي نحن بصدد الكلام عليهِ من حدود الهند الى افغانستان وما يليها من بلاد الترك شمالاً وفارس مما يلي افغانستان غرباً والعراقين والجزيرة وسورية وبلاد الروم (الاناضول) وافريقيا بما فيها مصر وتونس وطرابلس والمغرب الاقصى ثم اسبانيا في اوربا وغير ذلك من الجزر والبلاد الأخرى وصارت هذه المملكة العظيمة الشاسعة آهلة بالاسلام خاضعة لسلطانهِ وسكانها ما يزيد عن مائة مليون من البشر ثلاثة ارباعهم اعتنقوا الاسلام فهل يمكن لحضرة الفاضل (ر · ن) ان يأتينا ببرهان يؤيد انتفاء قاعدة « الاسلام او الجزية » في اسلام هؤلاء الأمم وانهم انما قبلوا الاسلام بقوة « الاسلام او السيف » او ان فاتحاً من فاتحي الاسلام في ذلك العصر دعا فريقاً من اولئك الملايين الى الدخول في الاسلام كرهاً بقوة السيف · وما اخال حضرتهُ اذا لم يتيسر لهُ البرهان ان يعتقد ذلك لمجرد وجود القاعدة في الجهاد « الاسلام او الجزية او السيف » اذ الشرط الاخير بينهُ وبين الاسلام شرط الجزية الذي يندفع بهِ القول بالاكراه على الاسلام او قيام الاسلام بالسيف وهو هنا « اي شرط السيف » زائد بالوضع لوجود القوة بازاء حق الغالب لدى امتناع المغلوب عن دفع الجزية بالطبع واختيار الجزية بعد الخ عند من لا يقبل الاسلام امرٌ ليس فيهِ شيء من الحيف بازاء

مشقة التغلب فمن ذا الذي لا يقبلهُ بحكم الانصاف اذا امتنع عن قبول الاسلام وهو ما جرت عليهِ شعوب الممالك المفتتحة في صدر الاسلام ومنها مصر التي عمل اهلها برأي ملكهم المقوقس واختاروا دفع الجزية الى عمرو بن العاص وخضعوا لسلطان المسلمين ودخلوا في عهدهم دون ان يكره احد منهم على الدخول في الاسلام ومع ذلك اصبح جل المصريين بعد ذلك مسلمين ولم يزالوا الى الآن وعليها تقاس بقية الممالك التي انتشر فيها الاسلام فأي مسوغ بعد هذا للقول بأن الاسلام انما امتدَّ وانتشر بين اولئك الملايين بقوة الاكراه وبعبارة أخرى بالسيف

وفي هذا كفاية لتقنع حضرة المعترض الفاضل (اذا انصف) بعدم قيام الشريعة او انتشار الاسلام بالسيف وتنفي ما ذهب اليهِ من ان الفتح الذي قامت بهِ المملكة الاسلامية بما تقوم بهِ الممالك عادة في كل زمان فتح ديني اذ قد تبين ان ليس ثم من علاقة مادية بينهُ وبين انتشار الاسلام بمعنى ان الاسلام لم يمتد بين اولئك الملايين بقوة الترهيب والاكراه لامتناع ذلك في اصل الشريعة ولأن الممالك المفتتحة لم يسر في اهلها الاسلام بالقوة بل بعد قبول عنوهم لما جاءت بهِ الشريعة الاسلامية فصيرورتهم من سنين قلائل شيئاً فشيئاً من اهل الاسلام ثم اخذهم باسباب الترقي والعلم بعد اتحاد الكلمة والتئام النظام الاجتماعي التي اوضحت سبله تلك الشريعة الغراء

ولعل عدم تفرقة حضرة المعترض بين الفتح الاسلامي وقيام الدولة الاسلامية وبين الدعوة الى الدين وانتشار الاسلام هو الذي اوجبهُ الحكم على قيام التمدن الاسلامي بالسيف اذ ذهب الى ان قيام الدولة الاسلامية بالسيف اوجب قيام التمدن عنها كذلك كما يتضح هذا مما قالهُ في آخر اعتراضهِ الثاني الوارد في الهلال الماضي مع ان مدار كلامي الأوَّل على ان التمدن الاسلامي قام بالقلم بقيام الشريعة لا بقيام الدولة وانهُ امتدَّ بامتداد الاسلام في الارض وان الاسلام لم يقم بالسيف فكان ينبغي لحضرتهِ ان يلاحظ معنى قولي هذا فلا يمزج بين الفتح والجهاد وبين قيام الاسلام لأن قيامهُ غير قيام دولة الاسلام اذ الثانية اذا قامت بالسيف فالشريعة لم تقم بالسيف حيث نعود ونكرر لحضرته القول ان الشريعة الاسلامية تحظر الاكراه في الدين وان الممالك التي بسط عليها جناح الدولة الاسلامية وانتشر بين اهلها الاسلام لم يكره احد منهم على الدخول فيهِ ومشروعية الجهاد في الشريعة الاسلامية لا تكون حجة على قيامها بالسيف

فالتمدن الاسلامي بالاضافة الى علاقتهِ بالشريعة الاسلامية لم يقم بالسيف واما بالاضافة الى قيام الدولة فقد ابنا لحضرته في الرسالة السالفة ان دولة العباسيين التي قام على عهدها التمدن الاسلامي لم تكن من الدول الفاتحة في الاسلام وقيامها كان بدعوة ابي مسلم الخراساني واشياعهِ لا بقوة السيف

واراني هنا قد تجاوزت حد الايجاز الذي طلبهُ الهلال الأغر مراعاة لضيق المقام الآ انني اراني مع ذلك في حاجة لزيادة البيان ولهذا ارجو ان لا يبخل عليَّ بقبول التنبيه الآتي لمكانهِ من الفائدة ولعلاقتهِ القاصرة فيما نحن بصددهِ من الكلام وهو ان حضرة الفاضل صاحب الامضاء قد ذكر في عرض كلامهِ ما يشير الى ان اصحاب النبي (صلعم) من عشيرته وذوي قرباه استعملوا القوة في ردع المقاومين في بدء ظهور الاسلام كأن حضرته ادرك ان استدلالهُ بمشروعية الجهاد لا يفيد في اثبات مذهبهِ فأورد هذه الحكاية استئناساً باسم القوة فقط اذ ليس استدلالهُ بها الأ كاستدلالهِ بمشروعية الجهاد فان ابا طالب ايضاً عم النبي (صلعم) كثيراً ما استعمل القوة مع اولئك المقاومين في الذب عنهُ (صلعم) وكان يحميهِ ويحرسهُ بقوة السيف وهو قائم في الملأ يدعو الناس الى الاسلام وهو يومئذ مع دفاعهِ عنهُ لم يكن من أهل الاسلام ·

ولقد فات حضرته ان يستدل باسم الشريعة ايضاً اذ الشرائع نفسها قوة بالاضافة الى كونها الوازع الفعال والرادع القاهر للنفوس والأ لما كنا نرى الشعب العريق في المدنية العارف بمزية الشرائع العائش في كنفها عيشة الراحة والامان لا تتكفل الشريعة سواء كانت الهية او وضعية بفصل المشاكل والخصومات القائمة بين افراده ما لم تناط بالقوانين الحاكمة والاجرائية (التنفيذية) افهل يكون ذلك من دواعي دعوى قيامها بالسيف هذا ما نطلب الانصاف بالحكم فيهِ والسلام

(القاهرة) رفيق العظم

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل صاحب الهلال المنير

قد اطلعت على رد حضرة الفاضل (ر · ن) الاخير في الهلال المنير واليك الجواب · مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الله تعالى غير منكرة

فاستطراد حضرة المناظر في الاستدلال عليها بالكتاب والسنة والتاريخ يعد من قبيل تحصيل الحاصل كما اعترف به حضرته والقصد من مشروعيته في الاسلام الدفاع عن الجمعية الاسلامية التي تحمل دعوة تعميم الخيرات وتوحيد المعاملات في الارض وحفظها وتعزيز كلمتها حتى تكون مكفولة الدوام مقتدرة على اداء وظيفتها التي هي الخير المحض في الحياتين ومقابلة موانع خيرها بطالب نقضه ودفع غوائل الفرقة وتعميم السلم على البسيطة ولما كان التكليف بما لا يستطاع ممتنع لقوله تعالى «لا يكلف اللهُ نفساً الاّ وسعها» والذي لم يبلغ من الشرع مجهول والمجهول لا يستطاع الاّ بعد العلم به والبلاغ ضروري لاقامة الحجة على الضمير حتى يطمئن تمام الاطمئنان أمر الله تعالى بالدعوة الى الاسلام على مقتضى هذه الآية «أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» فاذا زالت الشكوك تمّ اليقين فان خضع المدعوون للاسلام فأمرهم معلوم وان لم يخضعوا فيدعون الى الصلح بقبول الجزية والطاعة للدولة فان قبلوا يعطون الحرية التامة في عباداتهم ومعاملاتهم ما لم يكن إثماً ويأمنون على ارواحهم وأعراضهم واموالهم كما ستعرفه مما سيأتي وان لم يقبلوا الجزية ولم ينقادوا للدولة يحاربون على ما مرّ ذكره في رسالتنا الاولى فمرتبة الجهاد آخر أسباب البلاغ المبين وطريقة الدفع بالتي في احسن كما قال تعالى «ادفع بالتي هي أحسن» واحكام الذمي والمعاهد والمؤمن وصاحب الهدنة شرعت للامان ومنع الاكراه واليك البيان. قال الله تعالى «وان جنحوا للسلم فاجنح لها» وقال تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون» وقال (صلعم) «من ظلم معاهداً او انتقصهُ او كلفهُ فوق طاقتهِ او أخذ منهُ شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجهُ يوم القيامة» وكتب (صلعم) كتاب عهد طويل لعمرو بن حزم من بني النجار (رضه) وأتبعهُ وفد نجران بعد انصرافهم من عنده (صلعم) يعلمهم شرائع الاسلام قال في ذيله ما نصهُ «وانّ من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ اسلاماً خالصاً من نفسهِ ودان بدين الاسلام فانهُ من المؤمنين لهُ مثل ما لهم وعليهِ ما عليهم ومن كان على نصرانيتهِ او يهوديتهِ فانهُ لا يرد عنها وعليهِ الجزية على كل حالم ذكر او أنثى حرّ او عبد دينار وافٍ او عوضهُ ثياباً ومن أدّى ذلك فان

له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا»
وكتب خالد بن الوليد (رضه) لرئيس عسكر فارس ما نصه بعد البسملة والحمدلة
«أما بعد فانّا ندعوكم الى الاسلام فان أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون
(يعني طائعون) فان أبيتم فان معي قومًا يحبون القتل في سبيل الله كما يحب فارس
الخمر» الخ وكان عمر بن الخطاب (رضه) معروفًا بالشدة في الاسلام وجهاد الشام
من أعظم جهاداته وجاء بنفسه عند محاصرة ايلياء ولما فتحها وقبل اهلها الجزية ما
قتل احدًا منهم ولا أكرهه على قبول الاسلام واعطاهم شروطًا حسنة واليك كتاب
الأمان الذي اعطاه لهم قال بعد البسملة «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين
أهل ايلياء من الأمان أمانًا لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم» الى ان قال «ولا
يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم» الى ان قال «وعلى اهل ايلياء
ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن» الى ان قال «ومن كان فيها من اهل
الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ومن
شاء رجع الى ارضه وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا
الكتاب عهد الله وذمة رسوله (صلعم) وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي
عليهم من الجزية شهد على ذلك من الصحابة خالد بن الوليد (رضه) وعمرو بن
العاص (رضه) وعبد الرحمن بن عوف (رضه) ومعاوية بن ابي سفيان (رضه)».
وباقي الاحكام تطلب من الفقه فهذه الاحكام الشريفة شرعت بعد البلاغ المبين
المزيل للشكوك باليقين لنشر الشريعة الاسلامية في الارض والنصوص المجملة التي
ظاهرها اما الاسلام او الحرب تفسرها النصوص المذكورة لان الكتاب والسنة يفسر
بعضهما بعضًا بل سائر الكتب الهية او وضعية كذلك وامره الذي صدر لخالد (رضه) هو
من هذا القبيل فاذا علمت ما تقدم ظهر لك منه سقوط ما استشهد به حضرة المناظر
في رسالته ويذهب بي العجب الى اقصاه من نسبتنا لعدم فهم كلامه مسندًا ذلك الى
ان احكام الذمي والمعاهد والمؤمن وصاحب الهدنة لا دخل لها في القول بانتشار
الشريعة بالسيف فاذا كان معترفًا بمشروعية هذه الاحكام فقد لزمته الحجة لانه ان
كانت الشريعة نشرت بالسيف لا الدعوة اليها فقد سلبت مشروعية البلاغ واحكام
الامان المذكورة لان الانتشار بالسيف الزام واكراه وهي قد شرعت للامان وعدم

الاكراه والاكراه والامان ضدان لا يجتمعان فحضرته اما ان يقول بعدم انتشار الشريعة بالسيف او يقول بعدم مشروعية هذه الاحكام والقاعدة اما الاسلام او الجزية اما السيف فلا دخل له فيها لانه لم يشرع مع هذه الاحكام حتى يعتبر قاعدة بل شرع فرعياً للحكم التي مر بيانها ولو كان قاعدة لما بقي لاحكام الامان مزية وترتب عليه اما عدم انتشار الشريعة لخلل أساسها واما اكراه العالم أجمع على الدين الاسلامي حتى لم يبقَ غير المسلمين وكلا الامرين لا وجود له اذا أحطت خبراً بجميع ماقدمناه وفهمت رموزه وخباياه تعلم صحة ما ذكرناه من ان الشريعة الاسلامية المطهرة قامت وانتشرت بالقلم وقد حصر حضرة المناظر التمدن الاسلامي في الدين والعلم والسياسة ونحن نوافقه على ذلك كما وافقنا على قيام الشريعة وانتشارها في بعض الاماكن بالقلم اما الدين فهو الشريعة وقد اثبتنا انها انتشرت في الارض بالقلم واما العلم فمأخوذ عن الكتاب والسنة اما بالاستنباط كالعلوم الشرعية او بالطلب كالعلوم الآلية والعلوم العقلية المنقولة عن الاعاجم وقد جمع الله في القرآن الشريف علم الاولين والآخرين بدليل قوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقوله تعالى « ولا رطبٌ ولا يابسٌ الا في كتاب مبين » وامر بالاستنباء والسؤال من الغير عن ما جهلناه في قوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وهو اصل نافع يجري في جميع الاشياء وكما أمر الكتاب بطلب العلم أمرت السنة ايضاً قال (صلعم) « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقال (صلعم) « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث يجدها » واما السياسة فلا قوام لها الا بالكتاب والسنة والعلم نعم ان الشريعة هي العامل الوحيد في التمدن الاسلامي وهي قد قامت وانتشرت بالقلم فالتمدن الاسلامي والافرنجي الذي نتج عنه قد قاما بالقلم ولولا خوف التطويل والملل لجئتك في هذا المقام الخطير بالعجب لكن الاختصار أبلغ فعسى ان يجد حضرة المناظر ما يقنعه في ما قدمناه واصابة الرأي حسنة والاعتراف بالحق أحسن واني لمعترف بالتقصير والله ولي التوفيق (طوخ القراموص) احمد محمد الالفي

لغز الجلال السيوطي

ورد علينا من حضرة الاديب الشيخ مرعي الصعران مأذون الشرع الشريف بالدرادية بأبي حمص حلٌّ للغز السيوطي يقول فيه انه (ماء النيل) وان مراد الملغز بقوله (و يتلى في سورة الانفال) قوله (و يترل عليكم من السماء ماء) وعندنا ان في هذا الحل من التساهل ما في غيره من الحلول السابقة .

الهلال

الجزء الخامس عشر من السنة الثالثة

(١ ابريل (اذار) سنة ١٨٩٥) (٦ شوال سنة ١٣١٢) (٢٤ برمهات سنة ١٦١١)



أغناطيوس دي لويولا

أغناطيوس دي لويولا

مؤسس الرهبانية اليسوعية

ولد سنة ١٤٩١ وتوفي سنة ١٥٥٦ م

هو أغناطيوس دي لويولا بن برتران دي لويولا وآل لويولا من اشراف أسبانيا . ولد في اسبتشية من اقليم كويبوزة في شمالي اسبانيا سنة ١٤٩١ وربي في قصر عمته دونا ماريا في اربفالو بمملكة كاستيلية فلما ترعرع اقام في بلاط الملك فرديناندو دي كاستيلية حتى كان النزاع بين فرديناندو ويوحنا الثالث ملك نافارة على حق الملك فكان اغناطيوس في جملة رجال فرديناندو وحضر مواقع الحرب وأظهر فيها بسالة عظمى وخصوصاً في محاصرة مدينة ناجرة فأعجب به قائد الحملة فامتدحه وكان اغناطيوس ميالاً من فطرته الى الفخر والمجد فازداد رغبة في خوض المعامع فعهد اليه الدفاع عن مدينة بامبلونة وكانت تحت خطر الحصار

وفي سنة ١٥٢١ حمي وطيس الحرب بين فرنسا واسبانيا وتغلب الاسبان فدخلوا حدود فرنسا وحاصروا مدينة مزيار ولكن الفرنساويين دخلوا اسبانيا من مكان آخر وحاصروا بامبلونة التي كان يدافع عنها اغناطيوس وشددوا عليها الحصار حتى يئس اهلها وجندها من النجاة وارادوا التسليم فأبى اغناطيوس الا الثبات فوافقه بعض جنده واما الاهالي ففتحوا أبواب المدينة فدخلها الفرنساويون فالتجأ اغناطيوس ورجاله الى القلعة وتهيأوا للدفاع فأطلق الفرنساويون قنابلهم عليها يريدون فتح ثغرة يدخلون بها القلعة فأصابت احدى قنابلهم رجلي اغناطيوس فكسرت الواحدة وجرحت الاخرى فسقط وقد أغمي عليه فدخل الفرنساويون القلعة واستلموها ولكنهم أحسنوا معاملة اغناطيوس فضمدوا جراحه وأرسلوه الى قصر لاخيه على مقربة من بامبلونة وطال زمن المعالجة واشتدت عليه وطأة الألم وأصيب بالحمى واضطر الى جروح رجليه غير مرة وقاسى العذاب الوانا ولكنه لم يفز بالشفاء التام لان احدى رجليه ما زالت أقصر من الاخرى

وكانت تلك الجروح صدمة قوية احبطت آمال اغناطيوس بما كان يرجوه من المجد والفخر في مواقع الحرب فصغرت نفسه وأيقن بضعف الجبلة البشرية وتوجهت

افكاره الى ما تعلمهُ في صغره من المبادىء الدينية فكان أثناء مكثهِ في الفراش يقضي أوقاتهُ بالمطالعة ولم يكن لديهِ من الكتب الا سيرة المسيح وتراجم القديسين فجعل يطالعهما لمجرّد التسلية ونظرًا لما كان فيهِ من القنوط وصغر النفس رأى فيهما تعزية كبرى فكرّر مطالعتهما حتى مال الى التدين وأراد التشبه بمن طالع تراجمهم من القديسين فأحب العزلة والتقشف وتمكن ذلك الميل فيهِ حتى انقطع اليهِ بكليتهِ

فلما شفيت جراحه سار ماشيًا الى دير في جبل سارّات على اسم مريم العذراء فاعترف بخطاياه وأودع سيفهُ وخنجرهُ هناك وصمم على الانقطاع العبادة فجعل يجول من مكان الى آخر طالبًا المسير الى القدس الشريف لزيارة القبر المقدس وكان يعيش بالتسوُّل ويكثر من الصلاة والعبادة ويقهر نفسهُ بانواع العذاب لا يتناول من الخبز الا الكسر اليابسة فاذا عرضوا عليهِ مالاً او متاعًا يغنيه عن التسوُّل أبى الا الاستعطاء زاعمًا ان ذلك مما يقرّبهُ الى الله وكان لا يخطو خطوة او يأتي عملاً الا شاور معلّم اعترافهِ فيهِ وجملة القول ان خطتهُ في معيشتهِ عند اوّل اهتدائهِ كانت مثالاً في التقشف وقهر النفس واحتقار حطام الدنيا والانقطاع الى العالم الاعلى والانقياد الى مشورات الكهنة بواسطة الاعتراف اما التسوُّل فقد بالغ كثيرًا فيهِ كثيرًا ولم نفهم الحكمة التي اقتضت ذلك

وقضى اغناطيوس عشرة اشهر معتزلاً في مغارة مانرز في اسبانيا فكتب هناك كتابًا سماهُ الرياضات الروحية كان أساس كل تعاليمهِ بعد ذلك ونظرًا لانقطاعهِ الى الاقتداء بالسيد المسيح والقديسين ومقاومة أعمال الشيطان وشدة تعلقهِ في ذلك كان ما يتراءى لهُ احدهم بما سبق الى ذهنهِ من صورتهِ واوصافهِ وأعمالهِ

وفي اوّل سنة ١٥٢٣ سافر الى برشلونة ومنها ركب البحر قاصدًا بيت المقدس عن طريق ايطاليا فقاسى في سفرتهِ هذه مشقات جسيمة لكنها لم تثنهِ عن عزمهِ فمكث في بيت المقدس بضعة أسابيع وكان في عزمهِ الاقامة هناك للتبشير فلم يؤذن لهُ فعاد الى اسبانيا وكان في أسفاره هذه يذوق انواع الاهانة والاحتقار من الرعاع وغيرهم لان منظره ونوع معيشتهِ كانا يدلان على فقر وحقارة

وكان اغناطيوس الى ذلك الحين لا يعلم شيئًا من العلوم الفلسفية واللاهوت فلما عاد من بيت المقدس اقام في برشلونة وأخذ في دراسة مبادئ اللغة اللاتينية اذ

كان لا يُتصل الى تلك العلوم الّا بها وسنهُ اذ ذاك ٣٣ سنة فتمكن من قواعدها وآدابها ثم انتقل الى كلية الكالا لدراسة الفلسفة واللاهوت فيها

وكان اثناء اقامتهِ في برشلونة قد التف حولهُ جماعة من الاصدقاء واقتدوا بهِ بالتقشف والتسوُّل لانهُ كان لمبالغتهِ في ذلك قدوة للذين حولهُ . وخصوصاً ان أشياع لوثيروس (موَّسس الطائفة الانجيلية) كانوا قد كثروا وانتشروا في المانيا وغيرها وأصبح العالم الكاثوليكي ساهرًا لمقاومة تعاليمهِ ومنع انتشارها فازدادوا تمسكاً بطقوسهم وذلك طبيعي في العمران فان الانسان يزداد تمسكاً برأيهِ بنسبة ما يلاقي من المقاومين وكلما ازداد المقاوم عنتاً ازداد الآخر تمسكاً واعتبر ذلك في سائر احوال الناس على اختلاف اغراضهم فأصبح جماعة الكاثوليك شديدي الغيرة على مباديهم وحماية تعاليمهم ومالوا الى التعاضد والتكاتف رغبة في تأييدها

وأصاب اغناطيوس في الكالا جهدًا وسوء معاملة فغادرها وسار الى سلامنكة لاتمام درسهِ في كليتها وسار اصحابهُ معهُ واقاموا هناك لا يفترون عن نشر مباديهم وتعاليمهم وتعليم الناس قانون الرياضات المتقدم ذكره حتى اتهموهم غيرةً انهم يبثون تعاليم لوثيروس بين جماعة الكاثوليك فلما رأيهم ذلك عمدوا الى الكتاب فتفحصوه فاذا هو مطابق لتعاليمهم وكثيرًا ما أُودع اغناطيوس السجن بتلك التهمة ثم أُطلق بريئاً وكل ذلك مما اوجب تركهُ سلامنكة ومسيره الى باريس لاتمام دروسهِ في كليتها فلم يستطع اصحابهُ مرافقتهُ فبقوا في سلامنكة وانحل عقد اجتماعهم . وكانت كل اسفار اغناطيوس مشياً على الاقدام الّا في البحار فسافر الى باريس واقام في كليتها وكان اثناء دراستهِ في المدارس الاخرى يستعطي رزقهُ ولكنهم رأوا ان ذلك يشغلهُ عن الدرس فأجبروهُ ان يقبل عطاياهم ليتفرغ الى الدرس وفي ٤ مارس (اذار) سنة ١٥٣٤ نال الدبلوما في اللاهوت والفلسفة وخرج للتعليم والوعظ فاجتمع حولهُ ثلاثة شغفوا بتعاليمهِ فباعوا ما يملكونهُ وفرَّقوهُ في الفقراء وساروا يتسوَّلون في شوارع المدينة وهم يوحنا دي كاسترو و بيرالتا و بسكايا ثم اجتمع حولهُ جماعة آخرون وكان اكثرهم انتصارًا لهُ وعملاً بتعاليمهِ واشدهم رغبة في نشرها بطرس فابر وفرنسيس كسفاريوس و يعقوب لاينس والفونسو سالمرن ونقولاوس البونس وسمعان رودريكوس وهم من اقدم تلامذة اغناطيوس ولكن الغريب في ذلك انهم لم

يكونوا يعرفون بعضهم بعضاً اما هو فكان اذا اجتمع بأحدهم قال له ستری لك رفقاء آخرين فاثبت على عزمك في خدمة الكنيسة

ففي يوم من شهر يوليو (تموز) سنة ١٥٣٤ جمعهم في مكان وعرفهم بعضهم ببعض وصرّح لهم بمقاصده قائلاً « ان في عزمي الذهاب الى بيت المقدس للتعليم والوعظ فمن كان منكم راغباً في ذلك فليتبعني وليعاهد نفسهُ على الفقر والعفة » فاجابوهُ راضين وتعاهدوا على انهم عند وصولهم اورشليم يتداولون في الاقامة هناك فاذا لم يقرّ رأيهم عليها عادوا الى رومية وعملوا بمشورة البابا وانهم في طريقهم الى بيت المقدس يذهبون الى البندقية ويقيمون هناك سنة فاذا لم يتيسّر لهم السفر اليها يحلّون من عهدهم وعينوا يوماً يجتمعون به في البندقية . ثم طرأ على اغناطيوس ما أوجب سفره الى اسبانيا فسافر على ان يلاقيهم في البندقية في الوقت المعين فقضى مدة في اسبانيا يعلم ويبشر وشاع اذ ذاك ان في عزمه ان يؤسس رهبانية جديدة . وفي سنة ١٥٣٧ التقى اغناطيوس برفاقهِ في البندقية واتفقوا على استشارة البابا في أمر سفرهم الى بيت المقدس والاقامة فيها فبعث اغناطيوس رفاقه الى رومية لانضاء تلك المهمة وبقي هو في البندقية لعلمهِ ان له في رومية اعداء يعرقلون مساعيه فسار الرفاق واستأذنوا البابا فاذن لهم ومد يده لمساعدتهم فعادوا الى البندقية ولبسوا أثواب الكهنوت وانبثوا في انحاء البندقية يعلمون ويعظون وهم في حالة من التقشف والفقر ينتظرون فرصة للسفر الى اورشليم فانقضت السنة ولم يستطيعوا السفر لقلة معداتهم في تلك الايام فاجتمعوا للنظر في سفرهم الى رومية عملاً بعهدهم فاقروا على ان يسافر اغناطيوس وفابر ولاينس فقط ليستطلعوا نية البابا اولاً وقبل سفرهم اجتمعوا جميعاً وتعاهدوا وتواثقوا على الاتحاد ووضعوا قواعد يسيرون عليها وتفاوضوا في تسمية جمعيتهم هذه فاقروا على تسميتها جماعة المسيح او جمعية يسوع وهذا أوّل اساس وضع لهذه الرهبانية وأوّل مرة سميت بهذا الاسم

ثم سار اغناطيوس ورفيقاه الى رومية في عهد البابا بولس الثالث فلاقوا مقاومات كبيرة واخيراً تفاوضوا فيما جاؤوا من اجله وهل يسألون البابا ان يثبتهم في جمعيتهم واذا اراد البابا ان يرسلهم في مهمات الى اماكن مختلفة هل يبقون جمعية واحدة فاجمعوا على الاتحاد واضافوا الى نذري الفقر والعفة نذر الطاعة وتعاهدوا على

ذلك خطأ . ثم وضعوا لجمعيتهم هذه قانوناً رفعوا به عريضة الى البابا يطلبون التصديق عليها وتثبيت الجمعية فصدر الأمر البابوي بتثبيتها في ٢٧ سبتمبر (ايلول سنة ١٥٤٠ م باسم جمعية يسوع واهم شروطها الاساسية الفقر والعفة والطاعة وان الجمعية برمتها تخضع خضوعاً تاماً لرئيسها العام وان هذا الرئيس يخضع خضوعاً تاماً للبابا فالبابا عندهم أوّل رأس للجمعية واليه المرجع في حلها وعقدها وانهم ينذرون الطاعة للبابا وخلفائه نذرًا خصوصياً بان يتوجهوا الى حيثما يوجهونهم . وفي رأينا ان انقياد الجماعات الى رأي رجل واحد انقياداً اعمى من اكبر العوامل في اجتماع كلمتهم وقيام دعوتهم وتأييد مشروعاتهم والرهبانية اليسوعية لم تتأيد وتنتشر الا لان الطاعة التامة أوّل شروطها واعتبر ذلك ايضاً في قيام الدول من اقدم ازمنة التاريخ فان اسرعها انتشارًا واكثرها فتحاً التي تستسلم الى رجل واحد استسلاماً اعمى وهؤلاء في الغالب يعتقدون في قائدهم الكمال او اختصاصه بروح الهية لاسبيل لهم اليها او على الاقل بانهُ ارقى منهم عقلاً واعظم قوة خلافاً للدول القائمة بالجماعات او الجمهوريات فانها اقرب الى الانقسام والسقوط واذا امنت ذلك فلا يرجى لها امتداد او اتساع

فلما تألفت الجمعية اليسوعية على هذه الصورة اقترعوا على من يقيمونهُ رئيساً عليها فوقع الانتخاب بالاجماع على صاحب الترجمة فتعين رئيساً للجمعية وهو يود ان لا يتولى الرئاسة رغبة في التواضع واخذت الجمعية اليسوعية من ذلك الحين في الانتشار وبناء المدارس وبث مباديها وتعاليمها وقد اشتهرت بنوع خاص بمقاومة تعاليم الانجيليين (البروتستانت) اتباع لوثيروس الشهير وقد قضت من تأسيسها الى الآن ٣٥٥ سنة مرّ عليها اثناءها ايام بؤس ونعيم مما لا محل لذكره هنا اذ الغرض من هذه المقالة ذكر ترجمة مؤسسها فقط

وبذل اغناطيوس جهد طاقتهِ في تأييد جمعيتهِ وكان في جملة قوانينها ان عدد اعضائها لا يتجاوز الستين راهباً فرأى من انتشاره ما اوجب عدم تقييدها بعدد فكان ذلك داعياً الى اقبال الناس على الانتظام في سلكها

ويذكرون ان صاحب الترجمة وجه فكره اثناء اقامتهِ في رومية الى دعوة اليهود فارتد منهم جماعة كبيرة وسعى سعياً حسناً في اقامة المستشفيات والمدارس وغيرها وفي سنة ١٥٥٤ وجه اهتمامهُ لنشر جمعيتهِ في المشرق وفي السنة التالية اصبح

برض جعلهُ طريح الفراش واقعدهُ عن القيام بخدمة الكنيسة حتى القيام فجمع النواب وسائر الأعضاء واقترح عليهم انتخاب نائب يتعاطى اعمال الجمعية اثناء مرضهِ فوقع انتخابهم على الأب لاينز وفي ٣١ يوليو (تموز) سنة ١٥٥٦ توفي اغناطيوس في رومية ودفن فيها ولهُ من العمر ٦٥ سنة . وقد قال قبل موتهِ انهُ اشتهى ثلاثة امور وقد تمت لهُ وهاك كلامهُ « اشتهيت ثلاثة اشياء وكم انا مسرور لاني نظرتها قد تمت اولها : ان الجمعية قد ثبتها الحبر الاعظم ؛ والثاني ان الكرسي الرسولي ثبت كتاب الرياضات الروحية ؛ والثالثة ان القوانين قد كملت وحُفظت في الجمعية بأسرها »

وقد شاهد ايضًا اثمار غرسهِ فانهُ عاش بعد تأسيس جمعيتهِ ١٦ سنة انتشرت اثناءها في البرتوغال وكاستيلية والاندلس واراغون وايطاليا ونابولي وصقلية والمانيا العليا والمانيا السفلى والبرازيل والهند الشرقية والحبشة وبلغ عدد منازلها مئة منزل للمدارس والاديرة

وكان اغناطيوس دي لو يولا قصير القامة عريض الجبهة حاد العينين مكسر الجفون اقنى الانف ابيض اللون اصلع الرأس وكان في مشيهِ عرج على اثر ما اصابهُ في حصار بامبلونة وكان من اظهر اخلاقهِ الطاعة وقد بالغ فيها كثيرًا حتى قال مرة انهُ اذا امرهُ البابا بالذهاب الى مينا اوستيا بقرب رومية وان يركب قاربًا هناك بلا سارية ولا مجاذيف ولا دفة ولا شراع ولا شيء من الذخيرة ولا المؤونة ويسافر فانهُ يخوض البحر وهو مطمئن القلب . ولهُ اقوال في الطاعة نطق بها قبل وفاتهِ بسنة واحدة جعلها في عشرة بنود تدل على مقدار شغفهِ بها دلالة صريحة لا محل لذكرها هنا وانما يؤخذ منها انهُ يريد بها الطاعة العمياء كأن يكون المرؤوس آلة صماء لرئيسهِ وهذا سبب تأييد جمعيتهِ كما قدمنا



باب المقالات

تاريخ آداب اللغة العربية

من أول أزمانها الى الآن

سادساً . عصر الانحطاط

(يبتدئ سنة ٦٥٦ هـ الى سنة ١٢١٥ هـ (اول القرن التاسع عشر للميلاد)

قسمنا تاريخ آداب اللغة الى سبعة أقسام فرغنا من الكلام على خمسة منها وهذا هو القسم السادس وهو يبدأ بخروج بغداد من حوزة الخلفاء العباسيين وينتهي بدخول القرن التاسع عشر او دخول الفرنساويين مصر

ومعلوم ان اللغة تتبع أهلها في العسر واليسر والتقدم والتقهقر ففي العصور العربية كانت اللغة زاهية والعلوم فيها زاهرة فلما دارت تلك العصور دارت شؤون اللغة حتى سقطت او تقهقرت على انها كانت قد اخذت بالتقهقر قبل دخول التتر بغداد وذلك منذ انغمس الخلفاء العباسيون بالترف وأكثروا من المصطنعين وانشغلوا عن العلوم والآداب باللهو والبذخ كما تقدم الكلام عليه في مكان آخر من الهلال ومما زاد آداب اللغة العربية تقهقراً ظهور تيمورلنك القائد المغولي الذي اغار على سوريا ومصر في اواخر القرن الثامن للهجرة فانه لم يبق على العلم ولم يذر فاحرق المكاتب وثبط عزائم العلماء فتقهقرت الآداب العربية في سوريا وما بين النهرين أيما تقهقر ولكن دولته لم تثبت وتلك نعمة من الله

وتولى مصر وسوريا اثناء هذا العصر دولتان كبيرتان وهما دولة المماليك والدولة العلية العثمانية . اما المماليك فكانت مقر حكومتهم مصر ولم تكتسب اللغة العربية في ايامهم الا بعض الالفاظ الاعجمية واكثرها من اسماء المناصب والاسلحة والثياب والاطعمة وما شاكل

أما عصر الدولة العلية العثمانية فيبتدئ سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وهي السنة التي فتح بها المغفور له السلطان سليم خان مصر ويمتاز عن سائر العصور بدخول فنّ الطباعة بلاد الشام وهي خطوة ذات شأن لما ترتب على انتشار هذا الفنّ بعد ذلك من المنافع الجزيلة وبمناسبة ذلك نذكر تاريخ طباعة الكتب العربية باختصار

لا يخفى ان الطباعة من اختراعات القرن الخامس عشر للبلاد اخترعها رجل الماني اسمه يوحنا غوتنبرج سنة ١٤٣٦ م ولم يكد يظهر اختراعهُ حتى انتشر في سائر انحاء اوربا واوّل كتاب طبع به التوراة اما في العربية فاوّل كتاب طبع على ما نعلم مزامير داود طبع باللغات العربية والعبرانية والكلدانية واليونانية في مدينة جنوى سنة ١٥١٦ م باهتمام اوغسطينوس يوستنياني

ثم طبع المزامير بالعربية طبعة اخرى بالاحرف السريانية المعروفة بالكرشوني في دير قزحيا بلبنان سنة ١٥٨٥ وهاك ما ذكرهُ السمعاني بهذا الشأن قال «ان ترجمة الزبور هذه الكرشونية طبعت مع السريانية في مطبعة دير القديس انطونيوس الانبا في قزحيا بجبل لبنان سنة ١٥٨٥ باهتمام سركيس الرزي بطريرك الموارنة الرابع والاربعين ويوسف خاطر من عائلة الساعة حاكم جبل لبنان» وذكر ذلك غيرهُ ايضاً

ثم طبع المزامير مرة اخرى في رومية باعتناء جبرائيل الصهيوني ومنصور شلاق العاقوري المارونيين سنة ١٦١٩

اما التوراة فأقدم طبعة منها طبعها اليهود في القسطنطينية سنة ١٥٥١ وهي نادرة الوجود اما الاناجيل فقد طبعت بالعربية برومية سنة ١٥٩١

واما الاسفار المقدسة كلها معًا فأوّل طبعة منها على ما نعلم طبعت مع ترجمتها اللاتينية في رومية سنة ١٦٧١ م وهي بالاصل نسخة جمعها المطران سركيس الرزي الماروني مطران دمشق من نسخ عربية جمعت من انحاء المشرق وقابلها على النسخة اللاتينية وهذبها بمساعدة بعض الافاضل

وتأسست مطابع كثيرة للغة العربية في القرنين الماضيين في البندقية وسويسرا وفرنسا والمانيا والهند وغيرها طبعت كتبًا كثيرة عربية مما يطول شرحه

فقد رأيت ان اقدم مطبعة تأسست بالمشرق مطبعة دير قزحيا بلبنان وكانت

حروفها في أوّل الامر كرشونية ثم صارت عربية وهي لا تزال قائمة الى الآن تحت ادارة الرهبانية اللبنانية . وتتلوها مطبعة دير ماريوحنا الشوير للروم الكاثوليك أُنشئت سنة ١٧٨٠ بهمة المرحوم زاخر الحلبي ولم ينشأ بعد هاتين المطبعتين مطابع تستحق الذكر في سوريا الاَّ بعد دخول القرن التاسع عشر . اما مصر فأوّل مطبعة نقلت اليها في عهد الحملة الفرنساوية حملها اليها نابليون بونابرت مع اللجنة العلمية سنة ١٧٩٨ وسيأتي تفصيل ذلك في كلامنا على النهضة العربية الاخيرة

اما حال العلوم اجمالاً في عصر انحطاط اللغة العربية فتابع لحال اللغة على ان بعضها لم يعدم حظاً من الالتفات وخصوصاً علوم اللغة والتاريخ والفقه والشعر وقد تقدم ذكر كثير من علماء ذلك العصر في كلامنا على العلوم مفصلاً في النهضة العربية بعصر العباسيين وهاك اشهرهم باختصار مرتبة حسب سني وفاتهم

(التاريخ)

(١) ابو الفرج الملطي المعروف بابن العبري احد مؤرخي النصارى توفي سنة ٦٨٥ ه وهو صاحب كتاب تاريخ مختصر الدول طبع مؤخراً طبعاً متقناً في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت

(٢) الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه المشهور بأبي الفداء المتوفي سنة ٧٣٢ ه صاحب التاريخ الكبير المعروف باسمه طبع في القسطنطينية سنة ١٢٨٦ ه وكتاب تقويم البلدان مطبوع في باريس وكتاب التبر المسبوك في تاريخ الملوك وغيرها

(٣) شهاب الدين البكري التيمي المعروف بالنويري الكندي المتوفي سنة ٧٣٢ ه صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ألفه في ثلاثين مجلداً وهو نادر الوجود ولكن منه شذرات خطية صغيرة مجموعة في مجلد بالمكتبة الخديوية

(٤) شهاب الدين العدوي العمري المتوفي سنة ٧٤٩ ه صاحب كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار في عدة مجلدات لم تطبع ولكنها موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

(٥) صلاح الدين الكتبي الداراني ثم الدمشقي المتوفي سنة ٧٦٤ ه صاحب كتاب فوات الوفيات جعله ذيلاً لكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان في مجلدين كبيرين وقد طبع غير مرة

(٦) العلامة ابن خلدون المغربي الشهير المتوفي سنة ٨٠٨ ه وقد تقدمت ترجمة حاله مطولاً في الهلال

(٧) ابن الشحنة الحلبي المتوفي سنة ٨١٥ ه صاحب كتاب روض المناظر في علم الأوائل والاواخر (مطبوع)

(٨) ابن عنبسة المتوفي سنة ٨٢٨ ه صاحب كتاب بحر الانساب لم يطبع

(٩) تقي الدين المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ تقدمت ترجمة حياته بالهلال

(١٠) شهاب الدين بن حجر الكناني النسب العسقلاني الاصل المصري المولد والمنشا توفي سنة ٨٥٢ ه صاحب كتاب الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة وكتاب رفع الأصر عن قضاة مصر والكتابان غير مطبوعين ولكنهما موجودان خطاً بالمكتبة الخديوية

(١١) بدر الدين ابو محمد المعروف بالعيني المتوفي سنة ٨٥٥ ه صاحب كتاب عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان المعروف بتاريخ العيني

(١٢) جمال الدين تغري بردي الاتابكي المعروف بابي المحاسن المتوفي سنة ٨٧٤ ه صاحب كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي في ثلاثة مجلدات غير مطبوعة ولكنها موجودة خطاً بالمكتبة الخديوية وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة مطبوع بليدن في مجلدين

(١٣) الامام جلال الدين السيوطي المؤرخ اللغوي الشهير ولد سنة ٨٤٩ ه باسيوط بصعيد مصر وكان والده من الفقهاء الشافعية فرغب جلال الدين في العلم من صغره وعكف عليه بكليته فالف في معظم العلوم التي كانت معروفة في عصره حتى بلغت مؤلفاته ثلاثمائة مؤلف وقد ذكرها كلها في ترجمة حياته بكتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر القاهرة وتقدم لنا ذكر كثير منها في ما سبق من تاريخ آداب اللغة العربية اما في التاريخ فله كتاب حسن المحاضرة المشار اليه وقد طبع بمصر وتاريخ الخلفاء وطبقات شعراء العرب وتاريخ اسيوط وله الرحلة الفيومية والرحلة المكية وغير ذلك . توفي سنة ٩١١ ه

(١٤) محمد بن احمد بن اياس الحنفي المصري المتوفي سنة ٩٢٠ ه صاحب كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور في ثلاثة مجلدات كبيرة طبع آخر العام الماضي ببولاق

(١٥) زين الدين بن الوردي المتوفي سنة ٩٤٩ هـ صاحب التاريخ المشهور باسمه وقد طبع بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٥ هـ

(١٦) ابو الضياء البدري الملقب بالبوريني المتوفي سنة ٩٦٢ هـ صاحب كتاب تراجم الاعيان في ابناء الزمان لم يطبع ولكنه موجود خطا في المكتبة الخديوية

(١٧) ابو العباس المقري المغربي المتوفي سنة ١٠٤١ هـ صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب مطبوع غير مرة في اربعة مجلدات

(١٨) الحاج مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة المتوفي بالقسطنطينية سنة ١٠٦٧ هـ صاحب كتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون وهو كتاب ضخم مطبوع ببولاق سنة ١٢٧٤ هـ في مجلدين كبيرين وطبع ايضاً في ليبسك سنة ١٨٤٥ م في سبعة مجلدات

(١٩) ابن العماد الحنبلي المتوفي في مكة سنة ١٠٨٩ هـ صاحب كتاب شذرات الذهب في اخبار من ذهب مرتب على حروف المعجم في اربعة مجلدات ضخام وهو كتاب نفيس لم يطبع بعد ولكن منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

(٢٠) محمد المحبي المتوفي سنة ١١١١ هـ صاحب كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر مطبوع بمصر في اربعة اجزاء

(٢١) محمد المرادي المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ صاحب كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر مطبوع بمصر في جزئين

(متن اللغة)

(١) جمال الدين محمد بن جلال الدين بن منظور الانصاري الافريقي المصري المتوفي سنة ٧١١ هـ صاحب معجم لسان العرب وقد طبع ببولاق سنة ١٣٠٠ هـ في اربعة عشر مجلداً ضخماً مضبوطة بالشكل

(٢) مجد الدين محمد الفيروزابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧ هـ صاحب كتاب القاموس المحيط المشهور بقاموس الفيروزابادي مطبوع ببولاق سنة ١٢٧٢ هـ في مجلدين وفي كلكتة سنة ١٢٣٠ هـ

(٣) السيد المرتضى الحسيني الزبيدي المتوفي بمصر سنة ١٢٠٥ هـ صاحب كتاب تاج العروس من شرح جوهر القاموس مطبوع غير مرة في عشرة مجلدات

(النحو)

(١) ابن عقيل المصري المتوفي سنة ٧٦٩ هـ صاحب الارجوزة المشهورة بأرجوزة ابن عقيل وهي من نخبة كتب النحاة وقد شرحها غير واحد من علماء النحو

(٢) ابن مالك المتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ هـ صاحب الارجوزة المعروفة بألفية ابن مالك وقد شرحها غير واحد من النحاة وهي مشهورة ومعتمدة الى اليوم

(٣) الشيخ محمد بن علي ابو العرفان الصبان المتوفي سنة ١٢٠٦ هـ صاحب الحاشية على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك

وهناك كثيرٌ من الشراح في النحو مما لا يفي بذكرهم هذا المختصر كالحفني المتوفي سنة ١١٨١ هـ والدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ والسجاعي المتوفي سنة ١١٩٧ هـ والعدوي المتوفي سنة ١١٩٣ هـ والشيخ عطية المتوفي سنة ١١٩٤ هـ والقليوبي المتوفي سنة ١٠٦٩ هـ والكفراوي شارح الاجرومية المتوفي سنة ١٢٠٢ هـ والرملي المتوفي سنة ٩٥٧ هـ والشاغوري المتوفي سنة ٩١٦ هـ وغيرهم

ومن علماء النحو ايضاً عبد القادر البغدادي المتوفي سنة ١٠٩٣ هـ صاحب كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب مطبوع ببولاق سنة ١٢٩٩ هـ

(الشعر)

وقد ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون نذكر منهم اشهرهم

الشاب الظريف	توفي	سنة	٠٦٨٨	هجرية
شهاب الدين العزازي	«	«	٠٧١٠	«
صفي الدين الحلي	«	«	٠٧٥٠	«
ابن نباتة	«	«	٠٧٦٨	«
الانجشاري	«	«	٠٩٤٠	«
ابن النحاس	«	«	١٠٥٢	«
شهاب الدين الموسوي	«	«	١٠٨٧	«
الدلنجاوي	«	«	١١٢٣	«

(الفقه)

اما الفقهاء فعديدون لا يكاد يحصيهم عدٌّ وهم في الغالب سائرون على

خطوات السلف تكاد تكون مؤلفاتهم محصورة في الشروح وتعليق الحواشي واكثر تلك المؤلفات مشهورة ومتداولة وقد تقدم ذكر اشهرها اثناء كلامنا على علم الفقه في عصر العباسيين في السنة الماضية من الهلال فلا حاجة الى التكرار

ومن مميزات هذا العصر انه فيه ظهر العلامة ابن خلدون الشهير وألف مقدمته الذائعة الصيت وموضوعها علم العمران وهو اوّل من كتب في هذا الفنّ بالعربية فيصح ان يقال ان علم العمران ظهر في عصر انحطاط اللغة العربية

ومن علماء ذلك العصر ايضاً الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفي بدمشق سنة ١١٤٣ هـ وكان نابغة عصره في سائر العلوم الاسلامية وكان شاعراً مجيداً ومنشئاً بليغاً ألف مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة أشهرها شرحهُ لديوان الامام ابن الفارض مطبوع . ورحلاته في سوريا وغيرها لم تطبع وغير ذلك من المؤلفات في الحديث والتنوى والفقه والادب



باب المراسلات

عار التمدن الغربي

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغر

من يتأمل في الرسم المدرج بالعدد السادس من الهلال للسنة الثالثة الممثل لصورة مبارزة الاسرى والاسود ايام الدولة الرومانية يقشعر جسمه وتشمئز نفسه من هذا العقاب الفظيع و يعجب لتلك القلوب القاسية التي كانت تسر برأى هذه المبارزة ولا يسعهُ الاّ رمي تلك الدولة العظيمة بسهام الملام لارتكابها امراً يسود صفحات تمدنها ثم يشكر الله لوجوده في زمن رفع التمدن فيهِ اعلامهُ و بسط العدل احكامهُ

ولكنهُ اذا قرأ صحف الاخبار الآن ونحن قرب انقضاء القرن التاسع عشر عصر التمدن والحضارة والحرية والعدالة الذي يتفاخر بهِ الغرب على الشرق فيرى ان اثنين من نخبة وزراء اوربا العظام او امرائها او اعيان اهاليها تبارزا بالسلاح فقتل

احدهما الآخر او قتلا معاً وذهبا ضحية الحمق والطيش والاغرب من ذلك ان البراز يحصل بتصريح من حكومتهم المتمدنة . ألا يرتعد الجسم وتنفر النفس من فعل وحشي فظيع كهذا وخصوصاً اذا نظره بعينه في عصر التمدن الحاضر ولبس المتوحش الغابر فان قتل المسيو برشيه الفرنساوي في مبارزة مع خصمه اثر في نفسي تأثيراً سيئاً اجبرني مع اقراري بضعفي ان اشير الى بعض الافعال الوحشية التي تقام علناً في عواصم الممالك الاوروبية وقد ألبست تمدنها العار وجعلت الشرق يجرّ ذيل الافتخار بعد ان رمته اوروبا بالتوحش محتجة عليه بعادة أخذ الثار فاقول وبالله استعين

المبارزة تحصل في فرنسا بين أكابر اهلها فلا لوم على مملكة الرومان القديمة اذا كانت تامر الأسرى بمبارزة الاسود حتى يقتلوا ولا لوم على اهل السودان الذين يضربون بعضهم بعضاً بالاسواط امام الفتيات الابكار تسابقاً الى رضاهنّ واكتساب لقب (اخو البنات) فان بلادهم لم تسمع باسم التمدن على ان المبارزة عادة مليحة بالنسبة الى عادة الانتحار القبيحة التي يجريها اهل اوروبا اذا عشقوا او جاعوا ويجلّ عادة العرب الكرام في اخذ الثار عن عادة المبارزة في بلاد التمدن . وفي بلاد الانكليز العظيمة المتمدنة عادة المبارزة باليد مقبوضة فيخرج الخصمان ويتلاكمان حتى تسيل الدماء وتشوه الخلقة وكل ذلك بعلم تلك الحكومة المتمدنة فتعم المدنية . وفي مملكة ايطاليا القمار كالوباء والعياذ بالله يسري منها لبقية البلاد وهو من المحرمات ويكفينا في ذمه ما جاء بمقالة منشىء هذه المجلة الزاهرة في العدد الثالث عشر من هذه السنة

وفي ممالك اوروبا الباقية عوائد ادهى وامرّ مما تقدم ففي اسبانيا نوع من المبارزة لا تقل غرابة عن مبارزة الرومان وهي مبارزة الثيران بعضها بعضاً وقد يبارزها الاهالي الفقراء طمعاً بجائزة يسدون بها فقرهم وهذه الثيران تربى بمنازل الوجهاء واواسط الاهالي وبعد ان صارت داجنة تألف الانسان اخذوا يعلمونها خصال التوحش وضروب المبارزة فهل نلوم رعاع المصريين لمعاطاتهم مبارزة الديوك والخرفان بجهة بركة الفيل بالقاهرة

كل هذه الافعال الوحشية الشنعاء تجري بممالك اوروبا التي تفتخر على الشرق بالتمدن الحديث فعلى كل محب لنشر الآداب الشرقية أن يتذكر ما تقدم خصوصاً في قطرنا المصري لان أغلب شبانه ميالون بكليتهم لتقليد العوائد الافرنجية ونشرها بيننا

ولو آل بهم ذلك الى الخراب فهم كالفراش يعشو على المصباح حتى يحترق ألا ترام وقد وصلت بهم الجمة الى ان يشربوا الخمر على قارعة الطريق لا يكترثون بمخالفة ذلك للشرائع والآداب ومن انواع الخمر البيرة وتعرف عندهم بانها من الحنطة لا تسكر ولا ضرر فيها و يزعمون ان في تعاطيها للصحة والمساعدة على الهضم (هكذا قال لي احد اصحابي يرغبني في تعاطيها) وقد وصلت الشراهة ببعضهم ان يشربها بالدلو وهم لا يعلمون انها مضرة بالكليتين والقلب كما علمنا حديثاً من اخبار الهلال العلمية نسأل الله ان ينقذ بلادنا من كل شر انه البر الرحيم (السويس) محمد حسني

طبقات الشعراء او شعراء الجاهلية

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغر

ذكرتم بصحيفة ٢٩٦ من السنة الثانية من الهلال المضيء اسماء اصحاب المعلقات الذين هم من شعراء الطبقة الاولى ثم ذكرتم بعدهم شعراء آخرين من الطبقة المذكورة ولم تذكروا بشر بن ابي خازم مع انه من فحول شعراء الطبقة الاولى وقد توفي سنة ٥٤٠ للمسيح

ثم تطرقتم لذكر شعراء الطبقة الثانية ولم تذكروا شعراء معروفين انهم من هذه الطبقة . وهاك اسماءهم

المتلمس	توفي	سنة	٥٥٠	للمسيح
عمر بن قمئة	«	«	٥٢٨	«
خفاف بن ندبة	«	«	٥٩٥	«
الربيع بن زياد	«	«	٥٩٠	«
المرقش الاصغر	«	«	٥٠٠	«
ابو كبير	«	«	٥٠٠	«
احيحة بن الجلاح	«	«	٥٦١	«
ربيعة بن مقروم	«	«	٠٢٨	هجرية
عبد الله بن رواحة	«	«	٠٠٨	«
عمرو بن الاهتم	«	«	٠٥٧	«

الشماخ بن ضرار	توفي سنة ٠١٨ هجرية
معن بن أوس	» » ٠٢٩
تميم بن ابي مقبل	الذي عاش عمرًا طويلاً وأدرك الاسلام في آخر عمره
الحطيئة	» توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ابو قيس بن الاسلت	» » قبل الاسلام بستين عامًا
قيس بن الحطيم	» » » الهجرة بقليل
المتخل بن عويمر	» » » الاسلام بستين عامًا
المخبل	» » في خلافة احد الخلفاء الاربعة الراشدين
المتخل بن الحارث	لم نقف على التاريخ الحقيقي بسبب اختلاف الرّوايات
متم بن نويرة	لم نقف على التاريخ الحقيقي وفي الغالب انه توفي في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه

ولم تذكروا من شعراء الطبقة الثالثة الا لقيط بن زرارة المتوفي قبل الاسلام بأربعين عامًا مع ان شعراء الطبقة الثالثة كثيرون . وهاك ما امكننا الوقوف عليهم

اياس بن قبيصة	توفي سنة ٦١٠ للمسيح
حاجز بن عوف	» » ٥٩٠ »
الحارث بن ظالم	» » ٦٠٠ »
زهير بن جناب	» » ٥٦٠ »
سليك بن السلكة	» » ٦٠٥ »
الممزق العبدي	» » ٤٩٠ »
الفند الزماني	» » ٥٢٠ »
المستوغر بن ربيعة	» » ٥٨٠ »
يزيد بن ورقا	» » ٠١٧ هجرية
زيد الخيل	» » ٠٠٩ »
عامر بن الطفيل	» » ٠١١ »
عبد الله بن عجلان	» قبل عام الفيل باربعة اعوام
قيس بن زهير	» بعمان ولم نقف على تاريخ وفاته

فنرجو من حضرتكم ايضاح الاسباب التي قضت بعدم تدوين اسماء من ذكرناهم من الشعراء خلاف المدوَّن بمجلتكم لنكون لحضرتكم من الشاكرين

(الاسكندرية) محمود ابراهيم

بمجلس بلدي اسكندرية

(الهلال) لم نقتصر على ذكر اولئك الشعراء الاَّ اكتفاء بالاشهر منهم وفراراً من التطويل لاننا صرحنا غير مرة ان ما نكتبهُ في الهلال من آداب اللغة العربية فذلكة وموعدنا في التطويل كتاب مستقل ان شاء الله تعالى فاغفالنا اسماء بعض اولئك الشعراء لاسبب له الاَّ حب الاختصار والا فشعراء الجاهلية اكثر مما ذكرنا هناك وفوق ما ذكرتم في رسالتكم هذه فان من شعراء الطبقة الثانية غير ما اوردنا هناك واوردتموه هنا حسان بن ثابت وابا ذؤيب وخويلد بن خالد والنابغة الجعدي وعمر ابن احمر وكعب بن زهير والمسيب بن علس والنمر بن تولب ومن شعراء الطبقة الثالثة غير ما ذكرناه وذكرتموه امية بن الاسكر وعباس بن مرداس وعمرو بن معدي كرب ومالك بن نويرة ولو دققنا البحث لعثرنا على غير هؤلاء ايضاً فضلاً عن شعراء الجاهلية الذين لم يدخلوا تحت طبقة من هذه الطبقات الثلاث فنشكر لحضرة المراسل ونثني على كل من يسعى وراء الحقيقة لمجرد البحث عنها ورغبة في الفائدة العامة

﴿ حل اللغز الوارد في الهلال الثالث عشر من هذه السنة ﴾

ورد علينا حلول كثيرة لهذا اللغز فدرجنا الذي ورد منها اوَّلاً وهو

ألا يا ملغزاً لغزاً بديعاً معانيهِ زهت دررٌ بهيه
يُرى في الارض من ازهى نبات تبدَّت في قرونٍ عسجديه
فان صحفته مع قطع ذيلٍ تجلى في السموات العليه
له خبرٌ فلا تلقاه الاَّ بعصار وآلات قويه
كثير النفع لكن ان حذفنا له رأساً سم للبريه
محبوب ان تصحفها بعكس غدت في الحال فاكهة شهيه
وان رمت ازدياد الشرح فيهِ لكي تبدو معانيهِ جليه
فأوَّلهُ كثالثهِ برسم وثانيهِ كرابعهِ سويه

وما عجب نراه منك الاّ لكونك صاحب الهمم السنيه
وجئت اليوم في هذا المعمى تحاجينا بسمسمة دنيه
فهاك الحل من عبد شكور به وافاك مع ازكى التحية

(مصر) عبد الله فريج

وورد علينا حلهُ ايضًا نظمًا من حضرات الادباء احمد افندي الورداني المصري في اسكندرية وحسن افندي رمضان الشريني في شربين والسيد افندي محمد الطوخي في طنطا وعبد الرحمن افندي الجة في رشيد وعلي افندي توفيق ملازم اول بالطوبجية في بور سعيد وامين افندي غانم بالمنصورة وميشال افندي لياس سماحة في كفر الزيات وعزتلو محمد بك شاكر اباظه بالزقازيق ونثرًا من حضرة نقولا افندي لياس بمصر

تنبيه ❊ نرجو من يرسل الينا لغزًا ان يرفقهُ بحلهِ والاّ فلا يدرج ونتقدم الى من يرسل حلاً ان يذكر اسمهُ في ذيلهِ واضحًا



❊ الرَّمل والتنجيم والمندل ❊

(المنصورة) عبده افندي سكاكيني

بلغني من اثق بمقالهِ ان بمصر بجهة الامام الشافعي ثم الخليفة شيخًا لم يتجاوز الاربعين من سنهِ سمح الوجه لطيف الخلقة يظهر اشارات خفية وينبيء الناس بحقائق مطالب بانهم وهو بتمام الصحة عاقل ثابت الجاش يشرح لهم ما يلاقونهُ في حياتهم من المصاعب ويهديهم السبل المؤدية الى ما فيهِ نفعهم فنرجو ان تفيدونا عن حقيقة هذا الرجل وعن السبب الذي يمهد لهُ هذه الطريقة كي نقف منكم على الحقيقة ولكم الفضل

(الهلال) في مصر غير واحد من هؤلاء المشايخ والعجائز يتحدث بحكايانهم اهل

العاصمة كبارًا وصغارًا ولا سيما النساء والأولاد ومن تلك الحكايات ما يشوق طور التصديق لما فيه من الغرابة وقد عُنينا بتحري هذا الأمر واستطلاع صحيحه وفاسده فاستدعينا بعض أولئك المنجمين او الرّماليين او المبينين او غير ذلك من الاسماء التي تدل على مسمى واحد هو فئة من الناس يدعون استطلاع الماضي والتنبؤ عن المستقبل بقوة فوق الطبيعة فاستدعينا بعضهم وامتحناهم من وجوه كثيرة وذهبنا الى البعض الآخر وفعلنا مثل ذلك ايضًا وفتشنا الكتب واطلعنا على اراء العلماء بشأنهم فلم نجد بابًا للتسليم بصحة دعواهم واما سبب شيوع ذلك عنهم واعتقاد الناس صحته فنتضح تمثيلة كما يلي

(١) ان هؤلاء المنجمين اكثرما تكون معاطاتهم هذه الصناعة مع النساء والاولاد وبسطاء الناس وقد تقدم في مكان آخر ان النساء لتسلط الاحوال العصبية عليهن يسهل خداعهن بالتأثير على العواطف او غيرها . ولا يذهب الى المنجمين غالبًا الا الذي يعتقد صدقهم فهو يبدي لهم فهم افكاره وحاله ونواياه بغيران يشعر واذا رأى في كلامهم ما يخالف الواقع ظن النقص فيه فيؤول الكلام حتى ينطبق على نواياه كأنه يخاف ان يشوه اعتقاده بصدق المنجم وذلك شبيه بحال من يعتقد كرامة بعض الاولياء فلو التمس منهم امرًا ولم ينله نسب ذلك الى عدم استحقاقه فيه او عدم مناسبة ذلك له

(٢) ان هؤلاء المنجمين اذا استنبأتهم نبأ اجابوك بكلام مختصر مبهم يحتمل التأويل والتعليل ويصحبوه باشارات وامارات اكثر ابهامًا واشكالاً فاذا كنت ممن يعتقد صدق دعواهم اولت الكلام لما يطابق حالك وزدت اعتقادًا في صدقهم فربما قلت كلمة او اظهرت اشارة تفتح لهم بها بابًا آخر يستطلعون به طلع امرك خلسة . فقد تأتي امرأة الى المنجم وفي ضميرها ان تستنبئه نبأ زوج لها مسافر فلما يراها المنجم يأخذ كتابة ويقرأ وربما يبخر او صلى ثم ينظر اليها فاذا رآها مكتئبة حزينة علم انها جاءته لضائع او مريض او مسروق او مسافر او ما شاكل فيقول لها مثلاً (مسكينة) ويرفق ذلك باشارات توافق المقام فيختلج قلب المرأة وتحسب ان سوءا اصاب زوجها فتقول للحال (جرى له ايه مسكين) فيفهم صاحبنا اذ ذاك انها تفتش عن رجل يهمها امره فيقول لها (ما جرالوش حاجه ولكن هو ماله !) يريد بذلك ان تقول

المرأة كلمة اخرى ليئهم منها اذا كان الرجل مسافرًا او هو مريض فتقول في (إمَّال ايه مو حدّ قال له روح للمخطوطه دي ؟) تريد انه سار الى ذلك المكان من تلقاء نفسه فيفهم المنجم انه مسافر و يبني على ذلك العلالي والتصور فتعود تلك المرأة معجبة بنبوته وتخبر جارتها باضعاف اضعاف ماسمعت على انك لو تأملت الكلام الذي نطق به المنجم وحللته لما رأيت فيه شيئًا يدل على ما فهمته منه المرأة فاعتبر ذلك واضف اليه تفاوت المنجمين بالذكاء واستطلاع الأفكار وتفاوت المستنبئين والمستنبئات بالسذاجة وسلامة القلب

(٣) وعلى تسليم ان المنجمين يقولون ما يقولونه جزافًا فلا يخلو ان يتفق لاحدهم الاصابة مرة في كل مئة او مئتي مرة فهذه المرة هي التي تشيع وتتعاظم بالتناقل والمئتان تُنسيان جملة وذلك واقعي يتجلي لاقل تأمل . فان الناس لا يتحدثون بما لم يُصب المنجم به اذ لم يترتب على اقواله فيه شيء جديد ولكنهم يتحدثون بما اصاب به اذ يترتب على تلك الاصابة غالبًا تغيير او تبديل في حال المستنبئ فيقص قصته لاصدقائه واقربائه ولو قصها على حقيقتها لتعل حسنًا ولكنه لتأثره من مهارة المنجم يتوسع بالحكاية وكأنه يلتزم جانبه في المدح فيبالغ فيها وليس ذلك آخر تغيير يطرا عليها ولكنها لا تزال تنمو وتتفرع بتناقلها على السنة الناس حتى تصير البيضة فيها جبلاً والبعوضة جملاً . وميل الناس الى المبالغة في مثل هذه الاقاصيص عامٌ يشعر به كل واحد منا فاذا سمع احدنا حكاية واعجب بها لحماستها او غرابتها او ما شاكل ثم نقلها فلا بدَّ من ان يبالغ فيها و يتوسع في روايتها وهو لا يشعر بذلك وكل مطالع لهذه المقالة اذا انتبه لما يمرُّ به من مثل هذا يتحقق صدق قولنا وهي حقيقة ذات شأن متمكنة من بني الانسان كافة وقلما وصلتنا حكاية متناقلة على الالسنة الا كان اكثر من نصفها من مولدات المبالغة و ربما لم يكن في بعض القصص الا جرثومة صغيرة من الصدق او شبه الصدق فوصلت الينا مكبرة مصقولة وكلما كان موضوع تلك القصة مثيرًا للعواطف كلما ازداد الميل الى المبالغة فيها

(٤) يجري المنجمون في معاطاتهم هذه المهنة احيانًا مجرى الخداع او الحيلة فاذا جاءهم مستنبئ ساذج بالغوا في اظهار مقدرتهم على كشف الاسرار واستطلاع الخفايا حتى يبهروه فيعود وكله السنة ناطقة بما لاقاه من العجائب والغرائب عدا عما يقبضه هو من

انواع المبالغة والتفخيم واذا كان المستنبئ ناقدًا بصيرًا وهو لا يأتيهم الا لاستطلاع كنه شعوذتهم فان المنجم يقلل من الكلام معهُ ما استطاع ويحتج بعدم مناسبة الاحوال لكشف السرائر فيقول ان الطقس مغيم او الشمس مائلة او ان برج السائل لا يوافق اليوم او ما شاكل ذلك تخلصًا من افتضاح امره وذلك غالب في اصحاب الرمل الذين يعالجون الرمل باصابعهم ليستخرجوا منهُ الخبايا فهؤلاء اذا ضاقوا الخناق عليهم تعللوا عللاً لا طائل تحتها فكأنهم يقولون قول عنترة وقد سئل عن كيفية ارهابهِ الالوف في مواقع القتال فقال اني اذا رأيت فارساً مستضعفاً هجمت عليهِ وقتلته وابدعت فيهِ فيخافني الضعيف ويرهبني

ومما لا يخلو ذكره من فائدة ان جماعة كبيرة من السياح الانكليز اجتمعوا العام الماضي في فندق كونتيننتال بالقاهرة واجمعوا على ان يختبروا امر المنجمين والرمالين فانتهم فاستقدموا امهر اهل هذه الصناعة في القاهرة الى الفندق وطلبوا اليهم ان يكشفوا لهم ضمائرهم او يبينوا لهم شيئاً مما يدعونهُ لانتهم على ان يدفعوا اليهم مالاً كثيرًا وقضوا في معالجة الرمل واحراق البخور والتمتمة اياماً وكلما احتجوا بنقص سدُّوهُ لهم حتى لا يدعوا لهم بابًا للاعتذار عن قصورهم فاذا احتجوا مثلاً ان حامل الفنجان او الناظر الى نقطة الحبر هو فوق السن المطلوب جاؤهم باصغر منهُ او قالوا انهُ انثى جاؤهم بذكر ومع ذلك فقد ذهبت كل اتعابهم سدى وعادوا بخفي حنين

(٥) يستخدم بعض المنجمين الحيلة ببث العيون واستطلاع اخبار الناس ممن قد يجيئون الى المنجم يلتمسون منهُ اظهارها ولهذه الطريقة تأثير كبير ربما فاق سائر انواع الحيل لان الذين ينخدعون بها هم غالبًا من اهل الوجاهة واصحاب النفوذ فانتقال احاديث هؤلاء المشعوذين على يدهم يجعلها دائمًا مما يدعو الى تصديقها والوثوق بها ومن امثلة ذلك حكايتان حدثت احداهما على يد ماجد من اهل بيروت نثق بروايته وثوقًا تاماً قال

"كنت مقيماً في منزل ببعض انحاء المدينة فجاء في بعض الايام رجلٌ مغربي يدعي التنجيم واستأجر منزلاً بجوار منزلي جعل فيهِ ادوات التنجيم من الورق والكتب والرمل وما شاكل وكان ذلك اول عهدي ببيروت فجعلت اتردد اليهِ رغبة في استطلاع اعمال المنجمين فاتفق ان بعض اصحاب الوجاهة افتقد ادوات مائدتهِ وكان من

الفضة فاذا بها قد سرقت فاتهم صاحب مطبخهِ وكان ربيًّا فخاف ان تثبت عليهِ السرقة فجاء الى منجمنا واستدعاه الى المنزل ليستشير الرمل ويكشف السارق فذهب معهُ وجعل يعزّم ويبخّر ويستغيث بالعفاريت والشياطين لكشف السارق على مشهد من سائر الخدمة واخيرًا قال لصاحب المنزل سأذهب الليلة وأُتم العمل وفي الغد اريكم السارق رأي العين ان شاء الله. قال ذلك وهو لا يأمل انهُ يستطيعهُ ثم عاد الى منزلهِ وهو يفكر في حيلة يكشف بها السارق او يتخلص من ظهور خداعهِ وفيما هو يفكر في الأمر جاءهُ رجل عرفناه بعدئذ انهُ من خدمة ذلك الوجيه وتضرّع اليهِ ان يتلطف في سترهِ ويترفق بحالهِ لانهُ هو السارق لهذه الادوات وان الشيطان اغراهُ على سرقتها ووعدهُ انهُ اذا اغضى عن ذكر اسمهِ اظهر السرقة له على شرط ان لا يطلع على ذلك احدًا ووعدهُ بمال يدفعهُ اليهِ جزاء لاغضائهِ فاتفقا على ان يأتيهُ بالادوات المسروقة الى منزلهِ وان يدفع اليهِ المال وفي الصباح التالي ذهب المنجم بالادوات الى مكان بالقرب من منزل ذلك الوجيه بغير ان يشعر بهِ احد ثم سار الى الوجيه وقال لهُ قد حضرني الروح البارحة وحذرني من ان اضر بالسارق لانهُ انما فعل ذلك باغراء من الشيطان ولكنني ابلغكم بمكان الادوات فتبعثون من يأتي بها وانبأهم بالمكان فجاؤوا بالادوات واجازوا المنجم وهم يشكرون حسن صنيعهِ ويمتدحون مهارته في فن التنجيم حتى شاع أمره في بيروت ولا يزال اهلها الى الآن يظنون انهُ اكتشف تلك السرقة بقوة فيهِ خارقة للعادة»

والحكاية الثانية وقعت للعلامة لين الذي اشتهر بكتابهِ في عوائد المصريين واخلاقهم وهو من أشهر الكتبة تمسكًا بالحقيقة وكتابه المشار اليهِ اكبر شاهد على ذلك وكان في جملة ابحاثهِ عن عوائد المصريين التنجيم وضرب الرمل وما شاكلها فقال انهُ ذهب الى منجم او رمّال اسمهُ عبد القادر وطلب اليهِ ان يريهُ ضرب الرمل وكيفية استطلاع الخفايا بهِ فبسط عبد القادر الرمل وعزّم وبخّر ثم جاء بغلام دون البلوغ قال لين انهُ هو بنفسهِ اختاره من عدة اولاد كانوا يلعبون في الشارع وبعد حكاية طويلة قصها عما شاهدهُ من مهارة ذلك الرمّال قال انهُ سألهُ ان يريهُ صديقهُ اللورد نلسون فسأل الغلام ان يصفهُ لهُ فوصفهُ وصفًا تامًا وهو ينظر الى نقطة الحبر في كفهِ ويرى كل ذلك فيها ثم سألهُ ان يصف له شخصًا آخر ايضًا فوصفهُ

له فعاد لين من عند الرمال مصدقاً بتلك الصناعة لان الشخصين اللذين طلب اوصافهما لا يعرفهما احد في القاهرة سواه فلما كتب كتابه عن مصر ذكر هذه الحكاية وصرّح بصحة علم الرمل وامكان استطلاع الخفايا به وكان لقوله هذا رنة ودويّ في سائر انحاء اوربا نظراً لمنزلة لين في اعتبار العلماء واعتقادهم رويّتة وحسن نظره وخاضت الجرائد فيه بين مدافع ومكذب ومنتقد ثم عاد لين بنفسه الى مصر واعاد نظره على ما مرّ به عند الرمال وتحرى الأمر بكل دقة فعلم انها خديعة تواطأ فيها مترجمه والرمال عليه وكان لين يثق بمترجمه كل الثقة ولم يخطر له انه يخدعه على هذه الصورة وهو الذي كان واسطة بينه وبين الغلام عند وصفه الاشخاص المطلوبة اوصافهم فكان يساعد الغلام في الوصف ويعلمه خاصة على ما يقوله لين عن الشخص المطلوب وثوقاً منه بمترجمه وزد على ذلك انه كان يترجم كلام الغلام كما يريد فيزيد او ينقص تقريباً للوصف من الموصوف وقد تحقق لين ذلك من الرمال نفسه باقراره على هذه الصورة وكان المترجم قد توفي فعاد لين وكتب مقالات ضافية نقض بها ما قاله قبلاً وبيّن وجه انخداعه واقر بتسرعه في الحكم وصرّح بذلك جهاراً على رؤوس الاشهاد ومن اراد تفصيل ذلك فليطالعه في كتابه عن عوائد المصريين واخلاقهم بالانكليزية

(٦) فبعد ان بيّنا ما في اعمال المنجمين من اساليب الحيلة نذكر ما في صناعتهم هذه من جرائم الحقيقة لكي لا نبخسهم اشياءهم

في بعض الناس خاصية يقدرون بها على استطلاع افكار الآخرين يقال لها قوة «قراءة الأفكار» وهي موهبة من الخالق سبحانه وتعالى يخص بها بعض الناس دون بعض لا يمكن اكتسابها بالاجتهاد او المزاولة وهي تختلف قوة ومقداراً باختلاف الأشخاص وتنمو وتتقوى بالاستعمال مثل سائر المواهب ولا يبعد ان يكون بعض قرائنا الكرام حائزين على هذه العطية وهم لا يعلمون لانهم لم يمارسوها ولكن بعضاً من اصدقائنا قد شعروا باقتدارهم على قراءة الافكار منذ نعومة اظفارهم فمارسوها حتى صاروا يقرأون افكار الناس بسهولة ونذكر منهم شاباً كان يقرأ الافكار وهو في الثانية عشرة من عمره فاذا خبأت شيئاً في مكان وجئت اليه فغمضت عينيه بمنديل فانه يمسك بيدك ولا يكلفك الاّ ان تظل مفكراً في ما خبأته ولا يزال بك من غرفة الى أخرى

حتى يصل الى المخباء فيستخرجهُ ولو كان في صندوق او خزنة وهو مغمض العينين وقد جربنا ذلك مرارًا بو وبسواه من قرأة الأفكار ويشترط في كل ذلك ان يمسك القارئ بد المقروء فكره فكأن تأثير ذلك الفكر يسير سيرًا كهربائياً فينتقل من دماغ الواحد الى الآخر فيدركهُ العقل

وجاء القاهرة منذ بضع سنين رجل افرنجي اسمهُ كمبرلند اظهر في قراءة الافكار براعة غريبة وحضر تجاربهُ اكثر اهل العاصمة وعجبوا لها فكان يفتكر احد الحضور فكرًا في باطن سرّهِ فيكتبهُ القارىء بيده على لوح بمشهد من الناس ولو كان الفكر في لغة غير لغتهِ

وقد تبلغ هذه القوة اغرب من ذلك كثيرًا ولكن اصحابها لم يدَّعوا معرفة المستقبل ولا كشف السرقات والسارقون غياب على انهم قد يكشفون السرقة لو قرأوا افكار السارق وهو يفكر في سرقتهِ لان الشرط الاوَّل ان يكون الفكر موجهًا الى الشيء توجهًا تاماً والاَّ فلا يقرأ

والخلاصة ان استطلاع شيخ ثن الخليفة او غيره من المشايخ مستقبل الناس وانباءهم بما سيلاقونهُ في مستقبل حياتهم من الحسنات والسيئات من الأمور التي لا دليل على صحتها الاَّ ان يكون ذلك بموهبة من الله تعالى وهو من خصائص الانبياء والاولياء وانما نريد في ما قلناهُ عامة الناس باعتبار دخولهم في ما نعلمهُ من احكام الطبيعة ونواميسها

تعليل الأحلام

(الاسكندرية) مصطفى افندي طاهر بالقباري

بعد نهوض النائم من النوم يروي عبارات رآها في منامهِ وبما ان التصور لا يتأتى الاَّ في حالة اليقظة فكيف يروي شيئًا تصوَّره في حالة النوم مع عدم تيقظهِ فالرجا تعليل ذلك ولكم الفضل

(الهلال) قد بنيتم استغرابكم وقوع الاحلام على قولكم «ان التصور لا يحصل الاَّ في حال اليقظة» والواقع ان التصوُّر يحصل في الحالين ولكنهُ يتفاوت درجة وقوة ولايضاح ذلك وتعليلهِ نقول بالاختصار

العقل قوة مستقرة في الدماغ ويقسمونهُ او يقسمون اعمالهُ الى اقسام تبعًا لنوع العمل فيقولون ان من القوى العقلية المخيلة اوهو التصوُّر وبهِ تتمثل صور الاشياء للعقل . والذاكرة او الحافظة وهي التي تحفظ تلك الصور وعلاقاتها الى زمن طويل او قصير

والاستدلال وهو يتصرف بتلك الصور بما بينها من النسب فيستدل على صور اخرى مرتبة عليها . والحاكمة او قوة الحكم التي تحكم بوجود تلك الصور وبنسبتها بعضها الى بعض ويسمونها القياس وهناك قوة اخرى يدعونها الارادة تتصرف بسائر قوى العقل وتحصرها في موضوع دون آخر فهي الضابطة لاعمالهِ المنظمة لاحكامهِ ومن قوى العقل الوجدان وبهِ يشعر الانسان بوجود نفسهِ ويدرك انهُ يفتكر او يعقل وبدونهِ يكون الانسان في حال يعبر عنها بالغيبوبة ويذكرون للعقل قوى اخرى يسمونها باسماء تدل على وظائفها لا يهمنا ذكرها وقد يجعلون الوجدان والارادة قوة واحدة وكذلك الاستدلال والحكم مما لا يهمنا فيما نحن في صدده . ثم ان القوى العقلية على اختلاف وظائفها لا تعمل عملاً الاَّ بواسطة الحواس فالحواس او المشاعر الظاهرة هي التي توصل صور الموجودات اوصفاتها الى العقل وبغير الحواس لا يعلم العقل شيئًا عن موجودات هذا الكون

فبحاسة النظر مثلاً نرى رجلاً ماشيًا وبالمخيلة او التصوُّر ندرك شكلهُ وحالهُ وبالاستدلال والحكم نحكم بالقياس على ما نعلمهُ من احوال غيره من الرجال انهُ رجل ذو شكل معين وبالذاكرة نتذكر اننا رأيناهُ قبلاً اولم نرهِ او سمعنا عنهُ شيئًا اولم نسمع وبالارادة نوجه احدى قوى العقل الى البحث عن حالهِ واغراضهِ وبالوجدان ندرك حالنا منهُ ونسبتنا اليهِ ونعلم اننا نفتكر فيهِ

قلنا ان القوى العقلية لا تعمل عملاً الاَّ بواسطة الحواس اي ان الحواس تنقل اليها الصور الخارجية وهي تنظر فيها كما تقدم ولكن العقل كثيرًا ما يعمل اعمالاً لا علاقة لها بالاحوال الخارجية فهذه الاعمال اما ان ينتبه لها العقل بواسطة الذاكرة فان الذاكرة تحضر للمخيلة صورًا كانت قد نقلت اليها بواسطة الحواس وحكمها اذ ذاك حكم انتقال تلك الصور بواسطة الحواس رأسًا . او ان يكون ذلك من قبيل ائتلاف الأفكار

وائتلاف الأفكار حالة ينتقل بها العقل من صورة الى اخرى لعلاقة بينهما بقطع النظر عن علاقتها بالخارج فالناظر الى كتاب على مائدة قد ينتقل فكرهُ الى الذي وضعهُ على المائدة ثم يتذكر أحوالاً بينهُ وبين واضعهِ كأن يكون قد رآهُ مرة في الاسكندرية مثلاً فينتقل فكرهُ الى الاسكندرية وربما تطرق بذلك الى تذكر احوال مرَّت بهِ هناك فيتذكر اناساً رآهم فيها او يتوجه فكره الى مدينة الاسكندرية ومن بناها فينتقل الى عالم التاريخ وما كان من فتوحات الاسكندر وموتهِ وربما جرَّهُ ذلك الى الافتكار في حال الدنيا وزوالها ولا يزال ينتقل من فكر الى آخر حتى يطرأ عليهِ ما يوقف افكاره او يحولها الى سلسلة أُخرى فربما سمع صوت مرور عربة فتنتقل افكاره بغتة الى العربة ومنها الى السكك الحديدية لما بينهما من العلاقة ثم الى حال القرن التاسع عشر وما حدث فيهِ من الاختراعات المفيدة ثم الى الأجيال الماضية حينما لم يكن لهم علم بالبخار وكيف كانت أسفارهم على الدواب ثم الى حال الدواب وكيف سخرها الله لخدمة الانسان ثم الى الحكمة في الخليقة وهكذا مما لا ضابط لهُ واذا تأملت انتقال العقل في هذه التصورات بائتلاف الافكار رأيتها خارجة عن سلطة الارادة او الوجدان وربما مرَّ على العقل ساعات في هذه التنقلات والانسان في غفلة وقد ينتبه بغتة فيعجب لافتكاره في امور لا علاقة لها بحالهِ او بما هو فيه

وقد يكون احدنا جالساً في غرفتهِ يفكر في امرٍ فلا يشعر الاَّ وقد انتقل فكرهُ بغتة الى حادث حدث لهُ في صباه او الى صديق لم يرهُ منذ اعوام وقد يعجب لانتقال فكره على هذه الصورة وربما تفاءل بهذا الانتقال أو تشاءم وقد يبني عليهِ العلالي والقصور فاذا انتقل فكره الى صديق لهُ بعيد خاف ان يكون ذلك دليلاً على سوء اصابهُ او انهُ يفكر فيهِ او قد دنا يوم مجيئهِ الى غير ذلك مما يصوّره لهُ الوهم

على انهُ لو تأمل قليلاً لكفى نفسهُ مؤونة هذه الاوهام واتضح لهُ ان ذلك الفكر او تلك الصورة لم تنتقل الى ذهنهِ الاَّ بائتلاف الافكار فقد تقدم ان ائتلاف الافكار انتقال العقل من فكر الى آخر لعلاقة بينهما وقد يقع ذلك الانتقال ولا ينتبه الانسان الى الفكر الاوَّل الذي كان وسيلة لذلك الانتقال كانتقال العقل من صورة الى صورة رافقتها في حال تأثرت لها النفس كثيرًا فاذا حضر احدنا مأتماً محزناً أُوقدوا فيهِ بخورًا ولا سيما اذا كان لم يستنشق البخور قبلاً فكلما شمَّ رائحة البخور بعد ذلك

تذكر ذلك المأتم فيشعر بالحزن او تمثل له صورة الميت الذي رآه هناك وقد يشعر بالحزن ولا يتذكر المأتم وقد يتذكر المأتم او يتصوّر الميت امامهُ ولا يدري انهُ شمّ بخوراً لانشغال وجدانهِ بهام اخرى كأن يكون مثلاً جالساً في غرفتهِ يشتغل في حل مسألة او يباحث صديقاً له فيمر رجل على الطريق بمجمرة وهو لا يراه فتتأثر حاسة الشم وتستحضر الذاكرة الصورة التي رافقت رائحة البخور والرجل لا يشعر لانشغال ارادتهِ او وجدانهِ بشاغل آخر فيحسب ان تلك الصورة المحزنة طرقت ذهنهُ بغتة بلا سبب وقس على ذلك ما يماثلهُ من احوال الحزن والفرح والخوف والرعب وما شاكل مما ينتقل تأثره بالشم او السمع او اللمس او الذوق او غيره

والنائم تنام كل حواسهِ ولا تنام قواه العاقلة او اذا نامت فانها تستيقظ كلها او بعضها (الاَّ الارادة) لاقل سبب ويبقى هو نائماً

واسباب الاحلام اما تأثيرات نفسانية او طوارىء خارجية تؤثر على المخيلة او الذاكرة فتحدث فيها تصورات تتسلسل بائتلاف الافكار والتأثير النفساني يتسبب غالباً عن حال النائم الصحية فاذا نام ومعدتهُ مثقلة من ثقل الطعام حلم احلاماً مزعجة مخيفة او محزنة لان بين ثقل المعدة والانزعاج او الخوف علاقة ذكرنا تفصيلها في مقالة «المعدة بيت الداء» في العدد الاول من هلال هذه السنة · واذا جرّ الغطاء وهو نائم حتى غطى فمهُ وانفهُ فيضيق تنفسهُ فيحلم ان احداً يخنقهُ او انهُ محصور في صندوق او ما يماثل ذلك واذا انكشف الغطاء عن رجليهِ فبردتا قد يحلم انهُ ماش في الماء او على الجليد وربما اعتقلت عضلات ساقه من البرد فحلم ان احداً يقيدهُ او غير ذلك تبعاً لآمال ذلك النائم ومخاوفهِ وحالهِ · ومما لا يخلو ذكره من فائدة ان بعض مؤلفي الروايات التمثيلية اذا ارادوا تمثيل فصل مزعج او مخيف تناولوا طعاماً ضخماً وناموا فيحلمون صوراً غريبةً وحوادث مريعة تساعدهم في تأليف رواياتهم · ولا تنحصر الاحلام الحادثة عن التأثيرات النفسانية في الاشياء المزعجة بل كثيراً ما تكون مفرحة تبعاً لنوع التأثير

اما حدوث الاحلام بواسطة الطوارىء الخارجية فيكون بواسطة الحواس فاذا طرق اذن النائم صوت صديق له فقد يؤثر في ذهنهِ تأثير الحلم فتستحضر الذاكرة صورة صاحب الصوت او صورة حادثة رافقتهُ وتجر وراءها صوراً يتركب

منها حلم طويل عريض ولكن الغالب في تلك الصور ان تكون غريبة بعيدة الوقوع في حال اليقظة والنائم لا يستغربها في حال نومهِ فاذا استيقظ رأى انها لا تنطبق على احكام العقل والسبب في ذلك ان الارادة التي من اعمالها ضبط احكام العقل لا تستيقظ فيطلق العنان للمخيلة والذاكرة فتتيهان في عالم المتصورات بلا ضابط ولكن انتقالها يجري بائتلاف الافكار وفي ما تقدم من الامثلة كناية فان المقام لا يسع التفصيل

وخلاصة الجواب على سؤالكم ان النائم لا تنام مخيلته وذاكرته او اذا نامتا فانهما تستيقظان لاقل محرك وتعملان عملهما في المنام كاليقظة ولكن بلا ضابط فاذا استيقظ النائم تذكر الحلم تذكرًا ضعيفًا وقد لا يتذكره او يتذكر بعضهُ فقط

الالومينيوم

(المنيا) بريسوم افندي حنا

نظرت في الجزء الحادي عشر من جريدتكم الغرّاء في باب الاخبار العلمية مسألة مزيج الذهب والالومينيوم (الخ) فاود ان اعرف معنى لفظة (الالومينيوم) باللغة العربية فأرجو التكرّم بايضاح ذلك واين هو محل وجوده وما صفاته وما ثمنه وما هو مقدار الجزء من الذهب الذي يمزج مع الالومينيوم حتى يخرج مثلما أوضحتم ونكون لكم من الشاكرين

(الهلال) الالومينيوم معدن بسيط اكتشفه عالم الماني اسمهُ وُهلر سنة ١٨٢٧ ولا يوجد في الطبيعة الاَّ مركبًا مع مواد اخرى على شكل سلكات الالومينيوم في الحجر المعروف بحجر فلسبار الذي يتفتت بالعوامل الطبيعية فيتحوّل الى الدلغان المشهور ويوجد في الشب الابيض ومنهُ أُخذ اسمهُ فان الشب في اللغة اللاتينية Alumen (الومين)

ويستحضرونهُ على طرق مختلفة لا محل لذكرها اما الالومينيوم الاعتيادي المعروف بالتجاري فيستحضر باحراق الالومينا (اوكسيد الالومينيوم) مع الفحم والزيت ثم يبرد الباقي ويكسر قطعًا ويحمى الى درجة الحمرة معرضًا الى غاز الكلور فيتولد كلوريد الالومينيوم فيبرّد ويمزج بنصف وزنهِ من ملح الطعام وفلوريد الكلسيوم ويوضع المزيج في بوتقة مع نحو ثمنهِ من الصوديوم المعدني ويحمى حتى يذوب فيتركب الكلور

مع الصوديوم وتنفلت المركبات الاخرى وينفرد الالومينيوم بسيطًا وهو معدن ابيض كثير الشبه بالفضة الخالصة مع ميل قليل نحو الزرقة ولكنهُ يمتاز عن الفضة برخص ثمنهِ وخفة وزنهِ لان ثقله النوعي ٦ ر٢ اي نحو ربع ثقل الفضة وهو رنان قابل للصقل والطرق وذلك ما حدا الى استخدامهِ في اصطناع الحلي والمصاغ وأدوات الزخرفة الدقيقة · ويمزجه بالنحاس يتولد مزيج كثير الشبه بالذهب ويوجد هذا المزيج بالطبيعة على هيئة معدن يسمونهُ برونز الالومينيوم يصطنعون منهُ علب الساعات وغيرها وقد تفننوا بمزجه بالمعادن الاخرى فمزجوه بالحديد بنسبة جزء الى اربعة فتولد مزيج لا يصدأُ اذا تعرض للهواء الرطب · وآخر ما قرأناه من هذا القبيل مزجه بالذهب كما ذكرناهُ في الهلال الحادي عشر · اما نسبة الذهب الى الالومينيوم في المزيج فتختلف باختلاف درجة المزيج المطلوبة ومقدار ما يراد بذلهُ من النفقة فان الذهب اذا زادت كميته زاد المزيج اصفرارًا وزهوًا وجمالاً وتزداد قيمتهُ بنسبة ذلك ايضًا اما المزيج الذي يصطنعون منهُ الادوات للبيع عادة فكمية الذهب فيهِ قليلة ولا يراد بها الا ان يكون لون ذلك المزيج قريبًا من لون الذهب اما اذا زادوا كمية الذهب فيصير المزيج اقرب الى الامزجة المعروفة بالذهب المختلف العيار وهي ممزوجة من الذهب والفضة على نسب متفاوتة فمنها عيار ٢٢ وعيار ٣٢ الى عيار ١٤ و١٢ او اقل من ذلك تبعًا لمقدار الفضة بالنسبة الى الذهب فيستخدم اذ ذاك في اصطناع الحلي بدلاً من الذهب الممزوج بالفضة ولكنهُ يمتاز عنهُ من حيث الوزن النوعي اي لو جيء بقطعتين من الذهب من عيار ١٤ متساويتين حجمًا وكانت احداهما مزيج من الذهب والفضة والاخرى من الذهب والالومينيوم فالثانية تكون اخف وزنًا ويجب ان تكون اقل ثمنًا بنسبة الفرق بين ثمن الفضة والالومينيوم

اما وجود الالومينيوم فاذا اردتم اصل وجوده في الطبيعة فهو يوجد مركبًا في الاتربة التي اشرنا اليها في معظم اقطار الارض واما اذا اردتم المعدن البسيط الذي نحن في صدده فيوجد في المعامل التي تستحضره او لتجار الذين يتجرون بهِ في اوربا واميركا · وقد كان استحضاره قليلاً ومقداره محدودًا حتى استخدموا الانون الكهربائي في استحضاره فكثر وجوده وهبطت اثمانهُ فقد كان ثمن الاوقية (١٢ درهمًا) سنة ١٨٥٦ ثلاث ليرات انكليزية فاصبح سنة ١٨٥٧ احد عشر او ١٢ شلينًا وجعلت

هبط اثمانه كل سنة عما قبلها حتى اصبح ثمن الرطل المصري (١٤٤ درهماً) ليرة انكليزية او اقل قليلاً ومن أشهر اماكن اصطناع الالومنيوم في انكلترا الآن محل مستر . ي كاستنر في اولدري بالقرب من برمنهام

وقد عكف اهل الصناعة في هذا الاثناء على استخدامه في كثير من المصنوعات كما ذكرنا غير مرة في الهلال وعثروا على كميات كبيرة منه في بعض المناجم في الهند وغيرها ويكاد لا يمرُّ يوم لا يستحدثون فيه شيئاً جديداً حتى اصبح له شان كبير في الصناعة

باب الاخبار العلمية

الأمراض في الأسربة — ظهر في ناحية من بلاد الانكليز اثناء الشهر الماضي نوع من الحمى التيفودية شديد الوطأة سريع الخطر وبعد البحث والتحري وجدوا ان ذلك المرض قد تفشى في الناحية بواسطة اللبن الذي يتناولونه وقد وجدوا فيه مواد عفنية سامة فتتبعوا الاسباب الى نهاياتها فوجدوا في معمل اللبن الذي يتناول اهل تلك الناحية اللبن منه قناة تحت الارض تنبعث منها غازات فاسدة وكانت تلك القناة سراً ثم اهمل وبقي مغطى بالتراب لا يعلم به احد ولكن الغازات العفنية ما زالت تتولد فيه من بقايا القاذورات القديمة فيمتصها اللبن او تتنفسها البقر فتتصل الى لبنها . ولما ذهب الطبيب الى المعمل للبحث عن اصل تلك الحمى رأى غلاماً يستدرُّ بقرة وهو ينتفض انتفاضاً شديداً من الحمى فلما علموا مصدر المرض اتخذوا كل الاحتياطات الممكنة لابقائه بالتطهير والتنظيف وما جرى مجراها

وفي ذلك عبرة لاهل العاصمة وتذكرة لمصلحة الصحة للتشديد في نزح الاسربة والصهاريج في الاوقات اللازمة وليست هذه أوّل مرة تحقق لديها انتشار الحميات وغيرها بواسطة الاسربة .

قوس قزح أبيض — قلما يظهر هذا القوس في الديار المصرية لقلة أمطارها

الهلال

الجزء السادس عشر من السنة الثالثة

(١٥ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٥) (٢٠ شوّال سنة ١٣١٢) (٨ برموده ١٦١١)

أشهر الحوادث وأعظم الرّجال



« رسم محمد علي باشا الحكيم مستعاراً من سعادة الدكتور درّي بك »

محمد علي باشا الحكيم

رئيس المدرسة الطبيّة المصريّة وكبير جرّاحيها

(وُلد سنة ١٢٢٨ وتوفي سنة ١٢٩٣ هـ)

هو السيد محمد علي بن السيد علي الفقيه البقلي بن السيد محمد الفقيه البقلي وُلد في زاوية البقلي التابعة لمديرية المنوفية سنة ١٢٢٨ هـ ونشأ فيها حتى ترعرع فأدخله أهله مكتبًا في تلك البلدة فتعلم مبادي الكتابة وقرأ القرآن فلما بلغ التاسعة من سنه جاء به احمد افندي البقلي الى القاهرة وأدخله مدرسة أبي زعبل التي كان قد بناها المغفور له محمد علي باشا الكبير في قرية أبي زعبل وفيها مكتب ديواني فمكث فيه ثلاث سنين أتمّ فيها قراءة القرآن وتلقى بعض مبادي العلوم اللغوية فنقله الى المدرسة التجهيزية هناك فمكث فيها أيضًا ثلاث سنين فأظهر من الذكاء والاجتهاد ما حبب به أساتذته لانه كان ممتازًا عن سائر أبناء صنوه راغبًا في العلم فنقلوهُ الى مدرسة الطب وكانت تحت ادارة المرحوم كلوت بك محيي العلوم الطبية في الديار المصرية ففاق أقرانه وظهرت فيه مخائل النجابة وحدة الذهن حتى اذا صدر أمر محمد علي باشا بارسال نخبة من تلامذة تلك المدرسة الى باريس للتبحر في العلوم الطبية فكان صاحب الترجمة في جملة المنتخبين وعددهم اثنا عشر شابا وقد أتموا دراسة الفنون الطبية وفيهم من قد نال رتبة البوزباشية

وكان راتب السيد محمد علي عند سفرته منه مئة وخمسين غرشًا فأوصى بخمسين منها لوالدته وأبقى لنفسه مئة . فدخل مدرسة باريس الطبية وبذل غاية جهده في تحصيل علومها فنال حظًا وافرًا من سائر علوم الطب والجراحة وشهد له أساتذته بالامتياز عن سائر رفاقه مع انه كان أصغرهم سنًا وما زالوا في تلك المدرسة حتى أتموا دروسهم وقدموا امتحاناتهم الشفاهية ولم يبقَ عليهم الاّ الامتحان الخطي وهو عبارة عن تأليف رسالة في الطب يقترحها عليهم الاساتذة فوردت لهم الاوامر بالعود الى مصر فعادوا فاذا ذلك الامر قد صدر لهم سهوًا بغير علم العزيز فأمر بعودتهم الى باريس لاتمام الامتحان ونيل الشهادة الطبية فعادوا اليها فامتحنوهم خطاً فألف المترجم رسالة طبية في الرمد الصديدي المصري وقعت موقعًا حسنًا لدى أساتذته فمنحوهُ

الشهادة وعاد الى مصر سنة ١٢٥٢ هـ وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها فتعين حين وصوله باش جراح واستاذاً للعمليات الجراحية الكبرى والصغرى والتشريح الجراحي وانعم عليهِ محمد علي باشا اذ ذاك برتبة صاغقول آغاسي ولم تمضِ مدة حتى نال رتبة بكباشي

فلما كانت ولاية المغفور لهُ عباس باشا الاوَّل حصلت بينهُ وبين بعض اطباء المستشفى الاوربي منافسة فأمر بنقلهِ الى ثمن قوصون من أثمان القاهرة ليتولى التطبيب فيهِ على نفقة الحكومة وكان قد ذاع صيتهُ بين الناس فتحوَّل المرضى من اسبتالية قصر العيني الى ثمن قوصون وزاد اشتهارهُ بالفنون الطبية وخصوصاً الجراحة وما زال يطبب في ذلك الثمن خمس سنين متوالية فأنعم عليهِ برتبة قائمقام وتعين رئيساً لاطباء الالايات السعيدية ولكنهُ لم يمكث في ذلك المنصب الاَّ قليلاً فاعتزل المناصب ولزم منزلهُ سنة ثم تعين رئيساً جرَّاحي قصر العيني واستاذاً للجراحة ووكيلاً للمستشفى والمدرسة الطبية فقام بمهام أعمالهِ حق القيام فأنعم عليهِ برتبة اميرالاي وكان ذلك في عهد المغفور لهُ سعيد باشا فقرَّبهُ منهُ وجعلهُ حكيمهُ الخاص وأدخلهُ في معيتهِ مع بقائهِ في مناصبهِ المشار اليها ثم أحسن اليهِ برتبة المتمايز فلما سافر سعيد باشا الى اوربا سار صاحب الترجمة في معيتهِ

ولما توفي سعيد باشا وتولى المغفور لهُ اسمعيل باشا الخديوي الاسبق تعين المترجم رئيساً للمستشفى والمدرسة الطبية وفي سنة ١٢٩٠ هـ نال الرتبة الاولى من الصنف الثاني وفي آخر سنة ١٢٩٢ هـ لزم بيتهُ وانقطع عن الاعمال ولم يعلم سبب ذلك فلما كانت الحرب بين مصر والحبشة سار رحمهُ الله في الحملة المصرية التي سافرت الى الحبشة برفقة المرحوم البرنس حسن باشا عم الجناب الخديوي فخدم الجنود المصرية هناك خدماً يذكرها لهُ العارفون ولكنَّ أجلهُ عاجلهُ في الحبشة فتوفي هناك سنة ١٢٩٢ هـ ولم يعلم احد مكان ضريحهِ على ان لهم في ذلك أقوالاً مختلفة نذكر منها رواية كتب بها الينا حضرة حميتلو مصدق افندي صبري قومندان حملة طوكر في ذيل كتاب اقترح فيهِ نشر ترجمة صاحب الترجمة وهاك نصها قال :

« ومما يهمني ذكرهُ ليطلع عليهِ أبناء وطني انهُ بلغني من بعض الاحباش ان الفقيد تغمدهُ الله تعالى برحمتهِ ورضوانهِ قد أُقيم لهُ قبر بالحبشة ببلدة تسمى شمس جراع ما بين عدوى وأسمرة الاَّ أنها أقرب الى هذهِ من تلك وقد شيدوا فوق القبر قبة

عظيمة يزورهُ اليها الاحباش على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ويقيمون لهُ الدعوات وليس ذلك الاّ تعظيماً له وتخليداً لذكرهِ مع علمهم بأنهُ كان في مدة حياتهِ سفّاكاً لدمائهم راغباً في سلب أملاكهم وإن يكن في ذلك مأموراً لا آمراً . وهي خدمة يستحق عليها أهل الحبشة الشكر والثناء لقيامهم بواجبٍ قصَّر عنهُ أبناء جنسهِ وخصوصاً الذين ارتشفوا من بحر علومهِ فعليهِ من الله الرحمة وعليهم مني السلام »

وكان رحمهُ الله حائزاً للنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة نالهُ مكافأةً لما بذلهُ من الجهد وأظهرهُ من الشهامة في حوادث الهواء الاصفر سنة ١٨٦٥ م ولهُ في الطب مؤلفات حسنة منها كتاب في العمليات الجراحية الكبرى وضعهُ في اللغة العربية في مجلدين وسماهُ « غاية الفلاح في أعمال الجرّاح » وكتاب في الجراحة ايضاً في ثلاثة أجزاء وباشر تأليف قانون في الطب وقانون في الالفاظ الشرعية والاصطلاحات السياسية ولم يمهلهُ الاجل لاتمامها

وكان محباً لوطنهِ راغباً في ترقية شأنهِ عاملاً على بث العلوم والمعارف بين أبنائهِ غيوراً على الفقراء طويل الاناة في معالجتهم لا يأخذ على ذلك أجراً ومما يذكرهُ لهُ العارفون ان معظم أساتذة الطب ومن تولى رئاسة المدرسة الطبية بعدهُ هم من تلامذتهِ وقد سمعنا الثناء عليهِ من جماعة كبيرة من الاطباء المصريين وغيرهم وامتدحوا مهارتهُ بنوع خاص في الفنون الجراحية . وقد أعقب اولاداً نجباء عرفنا منهم حضرة النطاسي الفاضل سعادة احمد بك حمدي مفتش عموم الصحة بمصر



باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

او خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين

العلوم الطبيعية تشمل كل علم يبحث في موجودات هذا الكون من جماد ونبات وحيوان او في خصائصها وطبائعها وتحليلها وتركيبها ونموها ودثورها كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والجغرافيا الطبيعية وسائر فروع الطبيعيات والطب وعلم الفلك والظواهر الجوية وغيرها . ولكل علم من هذه العلوم نواميس وقوانين مفصَّلة في كتب مطولة ليس من غرضنا الخوض فيها ولكننا نريد بسط الكلام في اركان هذه العلوم او دعائمها القائمة هي عليها وبعبارة اخرى نريد ذكر خلاصة ما وصل اليهِ علماء الطبيعة بابحاثهم الطويلة اثناء اجيال عديدة مما يأول الى تسبيح الخالق جل وعلا لما اودعهُ في مخلوقاتهِ من الحكمة الباهرة فان المستوعب للبحث لا يزيد الاَّ اعجاباً بحكمة الخالق والراسخ في العلم لا يزيد الاَّ رسوخاً في الدين والعلم الحقيقي يجب ان يطابق الدين الحقيقي ولا عبرة فيما يظهر احياناً بينهما من التخالف فانهُ سحابة صيف لا يلبث نور البحث ان يبددها

والاركان المشار اليها خمسة وهي المكان والزمان والمادة والقوة والحياة وقد دعوناها بالاركان لقيام تلك العلوم بها ولان الباحث في اي علم من العلوم الطبيعية لا غنى لهُ في بحثهِ عن النظر فيها والرجوع اليها كما سترى مما سنبسطهُ لديك وعلى الله الاتكال

(١) المكان

نريد بالمكان الحيّز الذي تشغلهُ المادة وبعبارة اخرى الاماكن التي تحل بها موجودات هذا الكون على اختلاف احوالها من الجمودة والسيولة والغازية من الممالك الطبيعية الثلاث الجماد والنبات والحيوان وبعبارة ابسط من ذلك نريد بهِ الابعاد او المسافات الموصلة بين الموجودات من الدقائق التي تتركب منها الاجسام الارضية

الى الاجرام التي تتكوّن منها الأفلاك السماوية فيشمل الابعاد ما لا يدرك بالبصر لقصره كالابعاد بين دقائق المادة الى ما لا يدرك بالعقل لطوله كالمسافات الطويلة بين الاجرام السماوية وما وراءها مما لا حدّ له ولا نهاية ومما لا بدّ من تقريره في الاذهان ان لا فراغ في الكون اي ليس في الكون مكان لا تشغله المادة فما يظهر لنا لاوّل وهلة انهُ فراغ ليس بالحقيقة فراغاً ولكنهُ مشغول بمادة لطيفة غازية هي الهواء. فاذا نقلنا جسماً من مكان كان شاغلهُ تسارع الهواء اليهِ فملأهُ ويتضح ذلك اذا صببت ماء في انبوب ضيق فان الماء لا ينزل فيهِ الا بقدر ما يخرج من هوائهِ وقد يظهر الهواء خارجاً على شكل فقاعات كروية

والبحث الذي نحن في صدده يتناول النظر في ما وصل اليهِ العلم من كشف الابعاد التي لا يدركها النظر ولا يحيط بها العقل اما لصغرها او لكبرها مما لا يقع تحت الحواس ولا خطر في اذهان الناس قبل اكتشاف الآلات المقربة (التلسكوب) والمكبرة (الميكروسكوب) واختراع الوسائل الهندسية التي تقاس بها الابعاد واتقان القواعد الرياضية التي تتأيد بها دقة تلك الآلات

كان الانسان في اقدم ازمانهِ وابسط حالاتهِ لا يعرف من ابعاد هذا الكون الا ما يحدهُ بصرهُ او تدركهُ حواسهُ وكان يقيس تلك الابعاد ببعض اعضاء جسمهِ كالقدم واليد والاصبع والذراع ومن آثار ذلك في لغتنا الاصبع وتساوي بالمساحة عرض ست شعيرات مضمومة بطون بعضها الى بطون بعض والاصل فيها ما يساوي عرض الاصبع . والذراع وتساوي اربعاً وعشرين اصبعاً مضمومة سوى الابهام وهي في الاصل قياس ذراع الانسان . والشبر ما بين طرف الابهام وطرف الخنصر وهو من اصل يدل على البسط . والفتر ما بين طرف الابهام وطرف السبابة . والعتب ما بين السبابة والوسطى او بين الوسطى والبنصر . والقدم ما بين طرف ابهام الرجل وطرف الكعب . والقامة قدّ الانسان ويستعملها المولدون لقياس يساوي قدّ الرجل وغير ذلك من الاقيسة المأخوذة عن اعضاء الانسان او غيره كالشعرة التي يتألف من ست منها قياس الشعيرة المتقدم ذكرها ومثل ذلك الخطوة . وقد ركبوا من الذراع الفرسخ وهو ١٢ الف ذراع او عشرة آلاف . ومثلهُ الباع وركبوا من الف منهُ الميل وقس عليهِ اقيسة اخرى مبنية على مسافات يقطعها الماشي او غيره في مدة معلومة كالغلوة

فانها رمية سهم ابعد ما يقدر عليهِ والمرحلة وهي ما يقطعهُ المسافر في اليوم وغير ذلك

وكان يظن الانسان قديمًا ان الارض تنتهي حدودها عند خط الافق الذي ينتهي بهِ بصره اذا نظر الى بحر او سهل واسع وان السماء قبة لا تبعد اكثر مما يظهر للعين المجردة وان الاجرام السماوية ثابتة فيها كالمصابيح تدور معها حول الارض ثم لما سافر من مكانهِ ورأى الارض اوسع مما كان يظن ولكنها مازالت محدودة بالافق وقبة الفلك . ويظهر مما كتبهُ هوميروس الشاعر اليوناني في القرن العاشر قبل الميلاد وما ذكرهُ فلاسفة اليونان القدماء ان الارض عندهم لا تزيد مساحتها عن خمسة آلاف الى عشرة آلاف ميل . وما زالت معرفة الانسان عن سعة هذا الكون محدودة حتى تقدم علم الفلك وأُتقنت آلات الهندسة فاخذت تلك المسافات القصيرة تتسع لديهم حتى صارت تعد بمئات الملايين من الاميال . وكانوا يظنون ان تخن الشعرة من اصغر الاقيسة فوجدوا انها تعد جسماً غليظًا جدًا بالنسبة الى الاجسام الصغيرة الميكروسكوبية ودقائقها وصاروا يقيسون ابعاد الاجرام السماوية من الارض وابعادها بعضها من بعض بكل دقة وهم لا يبرحون مكانهم ولا يتكلفون مشقة الاسفار كل ذلك بقواعد هندسية لا يخامر الحكم في دقة قياسها ريبٌ

والقاعدة الاساسية التي يبنون عليها تلك الاقيسة بسيطة للغاية يشاهدها كل واحد منا ولكن الذين ينتبهون لها قليلون فالقادم بالقطار الحديدي من الاسكندرية الى القاهرة اذا أطلَّ من نافذة القطار الى احد جانبي الطريق وأشرف بنظره الى سهل واسع والقطار يسير سريعًا يظهر لهُ السهل كأنهُ يدور دورانًا لولبياً حول المكان الواقف هو فيهِ وذلك عادي يشاهده المسافرون في اي قطار حديدي وكذلك المسافرون في البواخر البحرية فانهم يشاهدون البر يدور مثل ذلك الدوران ويشاهد مثلهُ ايضًا المسافرون على ظهور الخيل او النوق في السهول الواسعة واذا نظر المسافر بالقطار جسم بعيد جدًا او كان الوقت ليلاً ونظر الى الكوكب فانهُ يراها مسرعة كأنها تسابقهُ واذا نظر الى الاشباح القائمة في ذلك السهل متسابقة الواحد بعد الآخر بالنسبة الى موقفهِ لرأى ابعدها عنهُ اكثرها سرعة في مسابقتهِ والمسافرون بالقطار ليلاً لا يميزون بين ما يتراءى لهم من الانوار البعيدة والاجرام السماوية الاَّ بما بينها من الفرق العظيم في السرعة . وقلَّ ان ينكر احد في سبب هذه المظاهر او اذا

فكر فقلّ ان يهتدي الى قاعدة يعلل بها كل ما يظهر له من هذا القبيل على انه لو امعن النظر قليلاً لتبين له من وراء ذلك قاعدة هي اساس لمعظم الآلات التي تقاس بها ابعد المسافات بين الأجرام السماوية

ولايضاح ذلك وتعليلهِ اغرس ثلاث عصي في سهل منبسط على خط واحد من الشرق الى الغرب واجعل بين الأولى والثانية مئة خطوة وبين الثانية والثالثة ١٠٠٠ وقف انت عند العصا الأولى الغربية بحيث تظهر لك العصي الثلاث على خط واحد الى شرقيك ثم اخطُ مئة خطوة نحو الجنوب تماماً فتظهر لك العصي وقد تغيرت جهاتها بالنسبة اليك فتصير الأولى نحو الشمال تماماً والثانية نحو الشرق الشمالي واما الثالثة فتراها قد مالت نحو الشمال ولكن قليلاً ولو قست ذلك الميل بالزاوية المقسمة الى درجات تساوي الدرجة منها $\frac{1}{360}$ من الدائرة بان تجعل احدى ضلعي الزاوية موازية للخط التي سرت فيهِ وتصوّب الضلع الاخرى الى كل من العصي على حدة لرأيت العصا الوسطى قد مالت ٤٥ درجة نحو الشمال واما الثالثة فلم تمل الا خمس درجات تقريباً وفي حساب المثلثات قواعد في غاية البساطة تستخرج بها الابعاد متى علم مقدار ذلك الميل

فقد تبين لك مما تقدم تعليل ما يظهر من دوران السبل وانت سائر في القطار الحديدي فان ما عليهِ من البيوت والاشجار وسائر الاشباح لا تبقى كلها الى جهة واحدة من نظرك لاختلافها في البعد منك بل ترى اقربها اليك اكثرها ميلاً عن جهة اتجاهك ويتدرج ذلك لديك حتى يظهر كالدوران

وعلى هذه القاعدة يبنون قياسهم أبعاد الاجرام السماوية ويشترط في كل ذلك ان تكون المسافة بين مكان الرصد الاوّل ومكان الرصد الثاني معلومة مثال ذلك لو اردنا قياس بعد الشمس من الارض فاننا نعين موقعها او ميلها في وقت واحد من مكانين بينهما مسافة معلومة كأن يتواطأ فلكيّان الواحد في القاهرة والآخر في لندرا على تعيين موقعها في زمن معين فاذا عرفوا الفرق بين الموقعين مع علمهم بالمسافة بين القاهرة ولندرا استخرجوا بعدها على انهم يحتاجون للدقة في ذلك الى رصدها عند توسط جرم آخر بينها وبين الارض كتوسط الزهرة احياناً بينهما فيكون الرصد اكثر دقة

فقد علموا بهذه القواعد ان البعد بين الشمس والارض ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٩٢ ميل تقريباً واذا عرفنا بعد الشمس هان علينا معرفة حجمها بمقتضى ناموس مشهور ومعلوم وذلك ان الاجسام تظهر للعين اصغرما في بنسبة بعدها عنها وعندهم قواعد مدققة لبيان تلك النسبة فوجدوا بناء على ذلك ان قطر الشمس يساوي ٠٠٠ ر ٨٨٠ ميل وان نسبة حجم الشمس الى حجم الارض كنسبة ٠٠٠ ر ٣٨٤ ر ١ الى واحد . وبمعرفتهم جرمها ومقدار بعدها استخرجوا وزنها بناء على ما يعلمونه من نواميس الجاذبية ومقدار تأثير ذلك الجرم على تلك المسافة فوجدوا ان نسبة وزن الشمس الى وزن الارض كنسبة ٣٥٤٩٣٦ الى واحد . وبهذه القواعد نستطيع استخراج ابعاد السيارات الاخرى وأجرامها وأوزانها

ومعلوم ان الارض تدور حول الشمس مرة في السنة فيكون بين موقعها في منتصف الشتاء وموقعها في منتصف الصيف مضاعف بعدها عن الشمس أي ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٨٦ ميل وهي مسافة طويلة لكنها لا تعدُّ شيئاً بالنسبة الى ابعاد الثوابت ويتضح ذلك مما يلي

عرفنا بعد الشمس الشاسع بتعيين موقعها من نقطتين على سطح الارض لا تزيد المسافة بينهما عن بضعة آلاف من الاميال ولكن هذه المسافة لا تفيدنا شيئاً لو أردنا تعيين موقع نجم من النجوم الثوابت لعظم بعدها عنا لان الفرق بين الموقعين يقل ظهوره كلما بعد الجرم المراد قياس بعده على انهم قد جعلوا المسافة بين نقطتي الرصد في تعيين موقع بعض الثوابت ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٨٦ ميل وهي المسافة بين موقع الارض في منتصف الصيف وموقعها في منتصف الشتاء اي انهم رصدوا الثوابت والارض في احدى هاتين النقطتين ثم رصدوها وهي في النقطة الاخرى فلم يظهر في موقع الثوابت فرق يذكر ولكنهم استخدموا آلات حديثة في غاية الدقة يظهر بها الفرق ولو كان ثانية واحدة اي جزءا من ٣٦٠٠ جزء من الدرجة فاستطاعوا بعد الجهد الكلي ان يعرفوا بعد نجم هو من اقرب النجوم الثوابت اسمه (الفا) فوجدوا فرقاً في موقعه لا يبلغ الثانية وعلموا بذلك انه يبعد عن الارض ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ ميل اي عشرين مليون مليون ميل وقد حسبوا المدة اللازمة لوصول النور منه الينا فبلغت ثلاث سنين و ٨٣ يوماً باعتبار مسير النور ٠٠٠ر١٩٠ ميل في الثانية . هذه في

حال اقرب الثوابت فما قولك بأبعدها

على ان في القبة الزرقاء كثيرًا من الاجرام الثوابت لا تدركها الابصار لبعدها ولو ارادوا التعبير عن ابعادها بالاميال وآلاف الاميال لضاقت الارقام ذرعًا فاصطلحوا على تقدير تلك الابعاد بالسنين التي يستغرقها النور في مسيره منها الينا فعلموا بذلك ان بعض الثوابت من القدر الثامن عشر لا يصل نوره الينا بأقل من ألفي سنة اي لو كان ذلك النجم محجوبًا عن ابصارنا وكشف لنا الآن لما استطعنا رؤيته الا بعد مضي ألفي سنة

على ان ذلك ليس منتهى العجب فان وراء الاجرام الثوابت المتناهية في البعد مجاميع من الثوابت تظهر للرائي على شكل ضباب منير أشبه شيء بالسديم وناهيك عن السدام الكثيرة على اختلاف اقدارها وأشكالها المتبعثرة في انحاء السماء وهي تظهر بالنظارة المكبرة كالعناقيد وحبوبها نجوم لا يحصيها عدّ ويظنون انها عوالم اخرى او اكوان مثل كوننا هذا بسياراته واقماره وثوابته . وهناك سدام اخرى لا تميز بالنظارات المقربة ولكنهم حللوا نورها بالسبكترسكوب فوجدوها غازات متقدة او هي مادة في ابسط حالاتها لم تبلغ رتبة الاكوان بعد

ها قد تدرجنا في بسط الابعاد من الشعرة فالاصبع فالذراع فالميل لفرسخ الى ملايين الملايين من الاميال مع شعورنا بالعجز عن ادراك ما وراء ذلك

هذا ما وصلنا اليه بالتلسكوب (الآلة المقربة) مما لا يدركه الوهم من الابعاد الشاسعة والخلاء الواسع في الافلاك وما وراءها فلننظرنّ الى عوالم الميكروسكوب ونتأمل اصاغر الابعاد فان في ذلك من الغرابة ما يربو على ما تقدم

الميكروسكوب آلة تكبّر الاشباح فتريها للناظر اضعاف حجمها الاصلي وقد بالغوا في اتقانها حتى صاروا يرون الجسم بها اكبر من حجمه الاصلي بعشرة آلاف ضعف فلو وضعت تحت زجاجة هذه الآلة سائلاً فرأيت فيه شبحًا طوله عشر القيراط اعلم ان حجم هذا الشبح الاصلي جزء من مئة الف من القيراط ($\frac{1}{100000}$ من القيراط) وقد كشفوا بالميكرسكوب عوالم عديدة لم يكن اسلافنا يعلمون عنها شيئًا . فهل خطر ببال احد منهم ان في كاس من الماء الوف الالوف من الكائنات الحية تنمو وتتغذى وتتناسل وتتطوف في اقطار ذلك الاناء الصغير كما تسبح الاسماك والديدان البحرية في البحور العظمى او

هل دار في خلدهم ان في الهواء الذي نتنسمهُ الوفًا وملايين من جراثيم الاحياء سابحة تلتمس مكانًا تفرخ فيهِ وتتغذى منهُ . ويعبر العلماء عن الاحياء الصغيرة الميكروسكوبية بالميكروب او البكتيريا او الاموبيا او غير ذلك وقد وجدوا انها سبب لكثير من الامراض المعدية كالهواء الاصفر والطاعون والسلّ والجدري والدفتيريا وغيرها مما قد تقدم الكلام عليهِ في كلامنا على تاريخ علاج الدفتيريا في الهلال السادس من هذه السنة . وقد شاهدوا بالميكروسكوب مادة الحياة الاصلية (البروتوبلاسم) وهي حويصلات جلاتينية صغيرة شاهدوا فيها مبدأ الحياة على ابسط احوالهِ فاذا هو عبارة عن نبضات خفيفة تمرّ بتلك المادة على التوالي وراقبوا اعمار تلك الحويصلات فاذا هي تنمو ثم ينفجر غلافها فتخرج منهُ عدة حويصلات تستقل كل منها وتنمو وتنفجر وهكذا على التعاقب وان من هذه الحويصلات الدقيقة تتألف سائر الاجسام الحية

وليس الغرابة في صغر تلك الكائنات فقط ولكن الغرابة في ان كلاًّ منها ينمو ويتغذى فكم يكون صغر اعضائها المؤلفة هي منها بل ما هو مقدار الحويصلات التي تتألف منها تلك الاعضاء. بل ما هو مقدار المادة الغذائية التي تمتصها الحويصلة وتتغذى بها وما قولك بالمواد التي تتركب منها تلك المادة . ففي نقطة من الماء تعلق على رأس دبوس الوف من تلك الكائنات الدقيقة وكل واحد منها مؤلف من اعضاء. وكل عضو مؤلف من حويصلات والحويصلات تمتص غذاءها من السائل والغذاء مركب من عدة مواد وكل جزء من تلك المواد مؤلف من دقائق والدقيقة مؤلفة من جواهر

ويقول اصحاب الرأي الجوهري ان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة جدًّا هي اصغر اجزائها ويسمونها الجواهر الفردة وان هذه الجواهر سابحة في غاز اخف من الهواء سموه اثيرًا كما تسبح الاجرام السماوية في الافلاك وان تلك الجواهر تتحرك حركات مختلفة تظهر في الخارج بمظاهر القوى الطبيعية (الحرارة والنور والكهربائية) يريدون ان هذه القوى مصدرها الحركة ولكن مظاهرها تختلف باختلاف نوع تلك الحركة بين ان تكون اهتزازية او دورية او خطرانية او ما شاكل ذلك . وان هذه الجواهر تتركب بعضها مع بعض على هيئة مجاميع يقال لها الدقائق فالجسم مؤلف من دقائق والدقيقة مؤلفة من جواهر وقد ذكرنا في الهلال الحادي عشر من هذه السنة انهم

استخرجوا وزن الدقيقة الواحدة من الهيدروجين فاذا هي اربعة اجزاء من مئة الف مليون مليون مليون جزء من الغرام وهذه صورة ذلك بالارقام

$$\frac{٤}{١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$$

ويمكن استخراج حجمها متى عرفنا نسبة الهيدروجين الى وزنه وعليه فالدقيقة تشغل حيزاً لا يدركه تصوّرنا وهي مؤلفة من بضعة جواهر وشيء من الاثير المتقدم ذكره وهناك امر اغرب مما تقدم وذلك ان الجواهر تتحرك في الاثير وهذا الاثير لم يخرج عن كونه مادة فهو مؤلف من دقائق او جواهر وربما كانت هذه الجواهر تتحرك في غاز آخر اخف منه لان الفراغ مستحيل في الطبيعة وهذا الغاز اذا صح فرضه يجب ان يكون مؤلفاً من جواهر اصغر من تلك تتحرك في غاز آخر وهكذا مما يحار به العقل وينقطع عنده الوهم

واذا قيل ان رأي الجواهر الفردة والاثير فرض تصوّري لا يصح البناء عليه نقول نعم اننا لم نشاهد الجواهر الفردة ولا شعرنا بها ولكنها تكاد تكون في حكم المرئيات نظراً لما يبنون عليها من الاحكام وما يعللون بها من الحوادث على اننا نكتفي في بيان ما نحن في صدده بالامور الحسية المحضة ويكفي لك ذلك بالتأمل في الكائنات الميكروبية التي تقدم الكلام عليها ومما يدل على صغر اجزاء المادة ايضاً ان قطعة من المسك تنشر رائحتها اعواماً ولا ينقص وزنها نقصاً يشعر به مع ان الرائحة اجزاء صغيرة تنبعث من الجسم فتلامس أعضاء الشم فيشعر بها فكم يجب ان تكون تلك الاجزاء صغيرة وهي مع ذلك مركبة من جواهر. ومما يشبه ذلك ايضاً ان ذرّة صغيرة من الملح اذا ذوّبت في ملء زبر من الماء المقطر تخلل الملح اجزاء الماء اي ان كل قطرة من ذلك الماء ذاب فيها جزء من ذلك الملح والقطرة اذا قسمت الى اجزاء صغيرة كان الملح في كل جزء منها فاعتبر عدد القطرات في الزبر وعدد اجزاء القطرات فتعلم عدد الاجزاء التي انقسمت ذرّة الملح اليها. وهكذا لو اذبت ذرّة صغيرة من البقم الاحمر المعروف بالدودة في زبر من الماء لرأيت اللون الاحمر يتخلل كل دقيقة من دقائق الماء والذوبان تداخل اجزاء المادة الذائبة في اجزاء السائل

وخلاصة ما تقدم اننا بكل ما لدينا من الوسائل حتى الآن لم نستطع ادراك اعظم ابعاد هذا الكون ولا اصغرها فقد استخدمنا التلسكوب في ادراك حدود هذا

الفضاء. فرجعنا بصفقة المغبون واستخدمنا الميكروسكوب لادراك العوالم الصغيرة فعرفنا شيئًا وغابت عنا أشياء . والظاهر من نتيجة كل هذه الابحاث ان المكان لا حدَّ له ولا نهاية لا في الصغر ولا في الكبر لاننا كلما عظمنا التلسكوب انكشف لنا من الاجرام السماوية غير ما عرفناه وكلما اتقنا الميكروسكوب انكشف لنا من العوالم الصغيرة ما لم يخطر لنا في بال وما شأننا في ذلك الا شأن رجل كفيف يخوض الاوقيانوس الاعظم بالمس الشاطىء وكلما مسّ صخرًا ظنه برًّا ثم لا يلبث ان تقذفهُ الامواج عنهُ فيموت ولا يعرف لذلك البحر حدًّا ولا يدرك له غورًا

وقد قال بعضهم ان الجواهر الفردة تشبه ان تكون اجرامًا يدور بعضها حول بعض كما تدور الاجرام السماوية في افلاكها وربما كانت هذه الاجرام بسياراتها وثوابتها جواهر فردة لعالم آخر نسبته الينا كنسبة عالمنا هذا الى عالم الجواهر الفردة وهو قول لا دليل على صحتهِ ولكنهُ يبين عجز حواسنا وعقلنا وسائر ما لدينا من الوسائل عن ادراك حدود هذا الكون فتأمل سعة هذا الفضاء واعجب لتباعد اطرافهِ وغور اعماقهِ وسبح الخالق العظيم ستأتي البقية



التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

كنت اظن ان في ما كتبتهُ في ردَّيَّ الماضيين كفاية لاقناع مناظريَّ الفاضلين لاني جئت في الرّد الاوّل على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية القائلة بالجهاد ونشر الاسلام بالسيف وقيام التمدن الاسلامي بالسيف وتأييده بالقلم وذكرت في الرّد الثاني الادلة التاريخية الواقعية التي تبين كيفية ذلك وقسمت الكلام الى قسمين قسم يختص بانتشار الاسلام وقسم بقيام التمدن الاسلامي أيدت بهما قولي « ان الاسلام انتشر بالسيف (على الاكثرية) وان التمدن الاسلامي تأسس ونشأ

بالسيف وتوسع وتأيد بالقلم » فاذا بهما لا يزالان يحاولان دفع اقوالي وخلاصة ما جاء في رد سعادة الفاضل رفيق بك انهُ فرّق بين الشريعة الاسلامية او الاسلام وبين الدولة الاسلامية او الفتح الاسلامي كأنهُ يقول ان المسلمين فتحوا المدن والامصار بالسيف ولكنهم نشروا الدين الاسلامي بالدعوة اليهِ بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . واما حضرة الشيخ الالفي فيقول ان الشريعة الاسلامية والدولة الاسلامية قامتا معًا بالموعظة الحسنة وقولهُ مردود بمجرد ذكر السيف في قاعدة الجهاد لان الدعوة بالموعظة الحسنة لا حاجة معها الى ذكر السيف وهو التهديد بالقتل ولا يعترض عليهِ بانهُ « آخر شروط الجهاد » ويشبهُ ذلك ان تصدر الحكومة المصرية امرًا بمنع المقامرة وتفرض على المقامرين اما ان يكفوا عن المقامرة بالموعظة الحسنة او ان يدفعوا جزاء نقديًا والاَّ فانهم يزجون في السجون فهل يحسب هذا المنع منعًا بالموعظة الحسنة او هو منع اجباري لان المرجع في تنفيذهِ الى القوة . اما منع المقامرة بالموعظة الحسنة فلا يسوغ التهديد فيهِ بل يقتصر الناصح على بيان أوجه الضرر الناتجة عن هذا الداء الخبيث والمنافع الناجمة عن ابطالهِ والناس مخيرون في قبول تلك النصيحة او رفضها . ولا نعلم كيف يقول بقيام الاسلام والدولة الاسلامية بالموعظة الحسنة ومعظم الفتوح الاسلامية قامت بالسيف . واما قولهُ ان قاعدة « اما الاسلام او الجزية او السيف » شرعت فرعيًا فلا يدفع القول بتنوذ مفعولها لاننا لا نبحث في مشروعية الجهاد من حيث احكام الذمي والمعاهد والمومن وما تضمنتهُ الشريعة الاسلامية الغراء من احكام البلاغ والامان وانما نبحث في ما وقع فعلاً وهو الاسلام والدولة الاسلامية هل قاما بالسيف والجواب نعم وقد صرّح بهِ الكتاب والسنة وأيدهُ التاريخ

واما تفريق سعادة رفيق بك بين الشريعة الاسلامية والدولة الاسلامية ففيهِ تفصيل وإيضاح ولكننا لا نراه الاَّ مؤيدًا لقولنا فقد سلم سعادتهُ ان الدولة الاسلامية امتدت بالسيف ولكنهُ انكر انتشار الشريعة بالسيف فعندهُ ان فتح المسلمين العراق والشام ومصر حصل بالسيف ولكنهُ يقول انهُ فتح سياسي لا علاقة لهُ بانتشار الدين الاسلامي وان الدين الاسلامي لم ينتشر في تلك الامصار الاَّ بعد قبول عقول اهلها لما جاءت بهِ الشريعة من التعاليم والاحكام بغير اكراه ولا ترهيب . فنقول إما ان

يكون الفتح الاسلامي في صدر الاسلام فتحاً سياسياً لا يراد به الاَّ توسيع نطاق المملكة الاسلامية توسيعاً اداريّاً لا علاقة له بالدين او ان يكون فتحاً دينيا يراد به نشر الدين الاسلامي فاذا كان الاوَّل امتنع ذكر « الاسلام » في شروط الفتح فبدلاً من ان يقال « الاسلام او الجزية او السيف » يقال « الجزية او السيف » وقد جرى على مثل ذلك معظم الدول المتفتحة مثل هذا الفتح من اوَّل عهد الدول الى الآن . فذكر الاسلام مع السيف في شروط الجهاد دليل على ان الفتح دينيّ وان المراد به نشر الشريعة الاسلامية بالسيف

على ان ذلك لا يقتضي دخول الناس في دين الاسلام عند الفتح بالترهيب اذ قد يقبلون الجزية ويمكثون على دينهم اجيالاً ثم يدخلون في الاسلام اختيارًا وانما كلامنا في طبيعة الفتح الاسلامي أسياسية كانت ام دينية وقد اتضح انها دينية وعليه فالشريعة الاسلامية انتشرت بالسيف (على الاكثرية)

ودعوة الناس الى الدين بالموعظة الحسنة لا حاجة فيها الى ذكر الجزية او السيف لان في ذكر احدهما خروجاً من الموعظة والنصيحة الى التهديد والترهيب وفي ذلك جواب على قول المناظر الاوَّل في رده الاخير « فهل يمكن لحضرة (ر . ن) ان يأتينا ببرهان يؤيد اتخاذ قاعدة (الاسلام او الجزية) في اسلام هؤلاء الامم (يريد اهل البلاد التي فتحها المسلمون في صدر الاسلام) وانهم انما قبلوا الاسلام بقوة (الاسلام او السيف) او ان فاتحاً من فاتحي الاسلام في ذلك العصر دعا فريقاً من اولئك الملايين الى الدخول في الاسلام كرهاً بقوة السيف » انتهى

فالجواب على ذلك اننا لا نتكلف المشقة في بيان الوقائع التي كانت لها قاعدة الدعوة « الاسلام او السيف » لانه قد اتفقنا على ان القاعدة « الاسلام او الجزية او السيف » وقد تقدم الكلام عليها على اننا لو فرضنا انها « الاسلام او الجزية » فقط لخرجت ايضاً عن الدعوة بالموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن لان في تخيير المدعوّ بين الاسلام او الجزية تكليفه ثمناً ربما لا يستطيع القيام باداته فلا يزال مهدداً بالسيف الذي جعله سعادته « زائداً بالوضع لوجود القوة بازاء حق الغالب لدى امتناع المغلوب عن دفع الجزية بالطبع » ولا ندري كيف جاز لحضرته ان يسمّي المدعوّ الى الدين مغلوباً وما وجه الغلبة بين داع الى عبادة الله بالموعظة الحسنة

ومتنع عن قبولها اختياراً الا ان يكون في نية الداعي حمل المدعوّ على قبول الدعوة جبراً وهي اذ ذاك دعوة بالسيف

اما التمدن الاسلامي فقد بنيا حكمها فيه على الحكم في انتشار الشريعة الاسلامية فاذ قد ثبت الآن انتشارها بالسيف وكان ذلك مهيداً لقيام دولة العباسيين بالعراق والامويين في الاندلس وغيرها من اركان التمدن الاسلامي وكان العلم لا يتأيد الا بالقلم فالتمدن الاسلامي تأسس ونشأ بالسيف وتأيد واتسع بالقلم وهذا هو رأينا ولم نتحوّل عنه من بدء المناظرة ولا عدلنا فيه شيئاً كما زعم حضرة المناظر الاوّل بل قد أيدناهُ في ردّنا الاوّل بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية واسندناهُ في ردّنا الثاني الى النصوص التاريخية وها قد بسطناهُ الآن بالادلة العقلية والاحكام المنطقية فعسى ان يكون ذلك على اختصاره كافياً لايضاح رأينا واقناع حضرة المناظرين الفاضلين والا فان الموضوع حرج من بعض وجوهه فلا نأمن اذا اطلقنا عنان القلم فيه من ان يحمل بعض كلامنا على غير المراد منه ونحن اكثر الناس اخلاصاً في البحث واوّلهم اقراراً بالحقيقة واكثرهم حرصاً على كرامة المناظرين واحترام آرائهم ولكن حضرات القراء يتفاوتون مشرباً ويتباينون ظناً في الكتّاب وزد على ذلك ان الهلال الاغر واقف لنا بالمرصاد فاذا خاف اختلاف الظنون في بعض ما نكتبهُ سدل عليهِ حجاب الاغفال فلا فائدة في كتابة ما لا يدرج او اذا دُرج حُمل على غير المراد فنسأل الله ان يلهمنا الصواب في كل حال (القاهرة) «ر . ن .»

(الهلال) لا يسوء حضرة الفاضل (ر . ن) اغفال بعض ما جاء في رسائله فاننا كثيراً ما أغفلنا رسائل برمّتها وردت علينا دفاعاً عن احد وجهي هذه المناظرة لاحتوائها ما تشم منهُ رائحة التعريض فان ذلك من مقتضيات الاعتدال وهي الخطة التي يتوخاها الهلال في سائر مندرجاته



باب السؤال والاقتراح

سكان أميركا الاصليون

(القاهرة) قسطاكي افندي عبد صباغ

لا يخفى على من طالع التاريخ ان البلاد الواسعة المدعوة قارة اميركا وهي من اكبر اقسام الكرة الارضية حديثة الذكر اكتشفها الرحالة كريستوف كولمبوس الشهير وهو اوّل من داس هذه البلاد برحلتهِ الشهيرة سنة ١٤٩٢ ميلادية ومعلوم انهُ حينما نزل البر بالمحل المعروف باسمهِ الآن (كولومبيا) وجد الناس هناك بحالة وحشية أشبه بالحيوان لا تماثل شيئاً من العوائد التي ذكرها التاريخ في القارات الاخرى فمن أين أتى الانسان وسكن هذه البلاد الواسعة الارجاء الشاسعة الاطراف ولا مواصلة بين هذه القارة وبين العالم القديم (القارات الاخرى) فمن أيّ شعب من شعوب الدنيا اقتبس الاميركانيون الاصليون تلك الاخلاق التي تسلسلت فيهم الى نسلهم قبل اكتشاف كولمبوس فلو فرضنا ان هذه البلاد كانت معروفة قبل الطوفان مع ان تاريخ العهد القديم لا يذكر عنهُ شيئاً فبالطبع كان نصيبها بعد الطوفان نصيب بقية أقطار العالم . واولاد نوح ثلاثة كما يذكر العهد القديم تفرّقوا في آسيا وأفريقيا واوربا ولا ذكر لاميركا على الاطلاق فالرجا ان تفيدونا عما تعرفونهُ بشأن ذلك والى اي نسل ينسب الاميركانيون الاصليون ولكم الفضل

(الهلال) اهل اميركا الآن قسمان كبيران الاصليون الذين عمروها منذ القدم والنازحون الذين نزحوا اليها بعد اكتشافها اما النازحون فاكثرهم من أهل اوربا واصلهم معروف واما الاصليون فقد بحث العلماء في اصلهم بحثاً طويلاً فنظروا نظرًا دقيقاً في لغاتهم وعوائدهم واشكال جماجمهم وادبانهم وحاولوا ردهم الى أصل واحد فلم يستطيعوا على انهم توصلوا بعد التمحيص والتبويب الى رأي ينسب الى الدكتور مورتون وخلاصتهُ ان شعوب اميركا تقسم الى أصناف منها صنف

الأبالاشيان وهو يشمل سكان اميركا الشمالية الاّ المكسيك · وصنف البرازيليين ومنهم سكان البرازيل وباراغاي · وصنف الباتاغونيين ومنهم سكان جبال شيلي وصنف الفوجيين وهم سكان بلاد الفوجو في اقصى الجنوب وكل من هذه الاصناف ينقسم الى قبائل وبطون وقد حسبوا لغات الاميركان الاصليين فبلغ عددها ٤٥٠ لغة ترجع الى بضعة أصول

اما نسبة هذه الشعوب الى عالم التوراة فلم يتصلوا الى حكم قطعي فيه ولكنهم رأوا مشابهة بين بعض الاصناف المتقدم ذكرها وبعض اصناف المغول سكان اواسط آسيا وهم ينتسبون الى يافث على ان الحكم في ذلك يتردد بين الشك واليقين

اما كيفية وصول تلك الشعوب الى تلك القارة فالغالب انهم نزحوا اليها من آسيا عن طريق بوغاز بيرين لان اميركا منفصلة بالمياه عن سائر القارات الأُخر الاّ ان في أقصى الشمال الغربي منها بوغازاً يقال له بوغاز بيرين فاصلاً بينها وبين سيبريا في اقصى الشمال الشرقي وقد ذكرنا في الهلال التاسع من هذه السنة انهم يمدون الآن خطاً حديدياً في سيبريا يريدون ايصاله الى بوغاز بيرين لكي يسافر اهل القارات الثلاث الى اميركا برّاً ويتخلصوا من اخطار البحر الاتلانتيكي فالمظنون ان فئة من اهل اواسط آسيا نزحوا شمالاً قبل زمن التاريخ يطلبون الكلأ والمرعى وينتمسون مكاناً خصباً يقيمون فيه فساقتهم الاقدار الى جهة بوغاز بيرين فقطعوهُ او ربما كان البرّان اذ ذاك متصلين ثم انفصلا بعد مرورهم فعمرت اميركا بهم

اما تأثير الطوفان على الاميركانيين الاصليين ففيه نظر لاننا اذا سلمنا انهم من نسل يافث فهم من اهل ما بعد الطوفان ولا خوف عليهم منهُ اما اذا قيل انهم ممن عمروا الارض قبل الطوفان فلا نعدم وجهاً نؤيد به ذلك القول لان العلماء في اختلاف من جهة الطوفان هل عمَّ كل الارض او بعضها ويرجحون انهُ لم يعمّها كلها ولهم على ذلك أدلة ليس هنا محل ايرادها فاذا صح قولهم كانت اميركا في جملة الاجزاء التي لم تغمرها مياه الطوفان

ومما لا يحسن تجاوزه ان كولمبوس ليس اوّل من وطئ قارة اميركا كما ذكرنا والمعوّل عليه الآن ان جماعة من اهل اسكندينافيا باوربا نزلوا اميركا الشمالية في القرن العاشر للميلاد وأوغلوا فيها حتى وصلوا ولاية ماساشوست وان اميراً من

اهل ويلس بانكلترا وصل بأسفاره غرباً في القرن الثاني عشر الى برٍّ يجب ان يكون برَّ اميركا اما اكتشاف اميركا التام الذي فتح للعالم كنوزاً ثمينة وجلب عليه خيرات جزيلة انما كان على يد كريستوف كولمبوس الشهير

سؤَالٌ طبي وعادةٌ مضرَّةٌ

(المنصورة) مخائيل افندي ابراهيم بدخولية المنصورة

عندنا شاب في الثامنة والعشرين من عمره ولما كان في الخامسة عشرة ظهرت عليه علامات النباهة والفطنة حتى اتقن الخط العربي والتحريرات كما ينبغي وما زال على هذه الحال حتى بلغ الثالثة والعشرين فظهرت عليه علامات الضعف والخمول وما زال الى الخامسة والعشرين وفي اثناء ذلك عرض عليه الزواج مراراً فلم يقبل واخيراً اعتزل المعاشرة وقطع مخالطة الناس وامتنع عن التكلم مطلقاً ومكث على ذلك نحو سنة ثم انفرد في غرفة لا يخرج منها الا اذا احتاج الى التبغ فيتناول نقوداً من ولي أمره ويتوجه الى اقرب محل يباع فيه التبغ فيشتري ويعود وهو لا يتكلم . ومن عوائده انه لا يدخن التبغ الا بعد ان يتناول شيئاً من الخبز وهو يتناول طعامه في الغذاء والعشاء بقابلية جيدة ولا عمل له اثناء النهار غير التدخين والنوم واذا وعظه احد اقاربه او أصدقائه او نبهه على حالته نفر منه وخلط في كلامه وقد سألنا عن علاج له فالبعض قالوا انه ريح طبيعية ووصف له بعضهم حراقات وأشار آخرون بالكي فجربنا له كل هذه الوصفات فلم تحصل نتيجة فاحترنا في امره فنرجو التكرم بالافادة عن حقيقة هذا المرض وما هو العلاج النافع ولكم مزيد الفضل

(الهلال) يؤْخذ من مجمل شرحكم ان الرجل مصاب بنوع من المالنخوليا المعروفة بين العامة بالسوداء او بنوع من انواع البله على ان الحكم القطعي في تشخيص تلك العلة لا يتأتى الا بعد فحص المريض جسماً وعقلاً وملاحظة حركاته وسكناته واطواره واستطلاع تاريخ حياته فالحكم فيها عن بعد لا يعتمد عليه

ولكننا نغتنم هذه الفرصة للاشارة الى عادة طالما حدثتنا النفس ان ننبه على سوء مصيرها لانها على دناءتها وعظم خطرها فهي مالئة المدارس والاسواق والبيوت آخذة بمجامع قلوب الشبان ولا سيما الادباء الذين يصونون انفسهم عن الفحشاء وينقطعون

عن اماكن الرذيلة ذلك لانهم يرون في استخدامها سهولة ويظنون انهم ينالون بها على اهون سبيل ما لا ينالهُ الآخرون الاّ بارتكاب المحرمات وتعريض اعراضهم للطعن والثلب ولكنهم لو امعنوا النظر قليلاً لعلموا انها اشد رذيلة من الرذيلة واعظم فحشاً من الفحشاء واقبح عاقبة من سائر الشرور

وقد ذكرناها تلميحاً لعلمنا ان القارىء اذا كان ممن وقع في شراكها علا الاحمرار وجههُ وربما كلّل العرق جبينهُ وهو لا يحتاج لفهم المراد بقولنا الاّ الى اشارة ضعيفة اما اذا كان ممن نجا من حبائلها فربما التبس عليهِ فهم المراد وهو في غنى عن مآل نصيحتنا لاننا انما نريد النصح لشبان (او شابات) عرضوا انفسهم لخطر المرض والجنون لاستسلامهم الى يدٍ قطعها اولى لهم وابقى ⋅كيف لا ومن عواقب تلك العادة القبيحة الجنون على انواعهِ كالماليخوليا والبله والمانيا والاختلال والغيبوبة والصرع (والهستيريا) ومن عواقبها ايضاً اشد الامراض خطرًا على الحياة كالسل والفالج والشلل وسائر الأمراض الكبدية والصدرية والعصبية ومن تلك العواقب ايضاً الانتحار نعوذ بالله منهُ

ومنشأ هذه العادة المعاشرة الرديئة في الحداثة ويغلب ان يكون ذلك في المدارس لاختلاط الاولاد من اجناس مختلفة وعوائد متنوعة فينتقل الفساد من العليل الى الصحيح وربما ظنّ اصحاب هذه العادة انها تمتاز عن اخواتها بالسهولة وقلة النفقة وقد فاتهم انهم انما ينفقون في سبيلها صحتهم وعقولهم وادابهم وقد يظنون انهم يفعلون ذلك سرًّا فلا يخافون تعبيرًا ولكن خاب ظنهم لان الذي يصنعونهُ تحت الاغطية ووراء الستور يرتسم على وجوههم ويقرأهُ الناس على صفحات اخلاقهم وسائر مظاهر احوالهم فان لصاحب تلك اليد الطويلة اوصافاً مطبوعة على عينيهِ ووجنتيهِ وكتفيهِ وكفيهِ تميّزهُ عن سائر الناس ولهُ في مجاري اعمالهِ ومظاهر اخلاقهِ ما يشير اليهِ اشارة صريحة كأنما يُدلُّ عليهِ بالبنان

وأغرب من ذلك ان هذه العادة بكل ما تقدم من قبائحها وشرورها واخطارها لها على بعض الشبان سلطان نافذ يعميهم عما يرونهُ او يقرأونهُ او يسمعونهُ عنها فهم بالحقيقة باحثون عن حتفهم بكفهم ونكتفي الآن بهذه الاشارة وربما عدنا الى هذا الموضوع مرة أخرى

أما علاجكم فاذا كانت حالتهُ هذه من عواقب تلك العادة فاحسن وسيلة لشفائهِ

تبديل الهواء والسفر الى بلاد جديدة للانشغال بمناظر جديدة مع ترويض الجسم بالحركات الجسدية ولا يجب تركهُ في الغرفة منفرداً قط لان الانفراد من اكبر ممكنات تلك العادة . وان كان مصاباً بمرض آخر فيرجع في معالجتهِ الى مشورة الطبيب ولكن تبديل الهواء والاسفار من احسن الوسائل المفيدة في الحالين

الكريّات والدقائق

(الاسكندرية) احمد افندي عثمان الورداني المصري

من المعلوم ان كلاً من اللبن والماء مركب من كرات صغيرة جداً ويمكننا مشاهدة كرات اللبن اذا وضعنا نقطة منهُ تحت النظارة المكبرة ولا يمكننا مشاهدة كرات الماء بهذه الطريقة ارجو الافادة عن الاسباب

(الهلال) الظاهر انكم تريدون بالكرات الدقائق التي تتألف منها كل الاجسام من جامد وسائل وغاز فهي غير الكرات التي تشاهدونها في اللبن تحت الميكروسكوب لان هذه ليست دقائق بل هي جسيمات صغيرة لها خواص مستقلة عن سائر اجزاء اللبن الاخرى وبعضها مؤلف من عدة كريات لكل منها خواص مستقلة . والكريات لا تكون الاَّ في الانسجة الحية الحيوانية او النباتية اما المواد الجمادية فلا وجود لهذه الكريات في بنائها . اما الدقائق فيراد بها اصغر اجزاء المادة مطلقاً وهي لا تشاهد بالميكروسكوب ولا بغيره ولا توصل الناس الى معرفة حجمها الاَّ بالتقدير الوهمي كما تقدم لنا الكلام على ذلك في هذا الهلال فربما كانت الكرية الواحدة من كريات اللبن مؤلفة من الوف الالوف من الدقائق . ويشترط في الدقيقة ان تكون لها كل خصائص الجسم التي هي منهُ فدقيقة الماء لها كل خصائص الماء من السيولة والشفافة ويجب ان تكون مركبة من جوهرين من الهيدروجين وجوهر من الاوكسيجين . والدقيقة من أي مادة من المواد الحيوانية او النباتية لها خصائص المادة المأخوذة هي منها وتركيبها وقس على ذلك

ولكي يتجلى لكم ما قدمناهُ نقول ان العلماء عملوا الفكرة في موجودات هذا الكون وما لها من الطبائع والصفات وعمدوا الى تعليل ذلك تعليلاً يقبلهُ العقل ففرضوا تجزئة المادة الى اصغر ما يمكن الوصول اليهِ بالوسائل الميكانيكية بعد حلها الى العناصر

يتبادلون انواعها من سائر الممالك وصارت لها أثمان معينة . ولا نعلم ان احداً تمكن حتى الآن من جمع مجموعة كاملة منها وسنعود الى تفصيل ما تقدم في فرصة اخرى

ترجمات التوراة

(المنصورة) لشيخ محمود نجم الدين

أوضحتم في الجزء الحادي عشر من الهلال الصادر في اوّل فبراير الماضي ان يوكابد ام موسى النبي هي عمة أبيه عمرام (عمران) كما في نسخة التوراة العبرية وليست ابنة عمه كما في الترجمة السبعينية والسريانية وان هذا محرف لان عمرام هو ابن قهات ابن لاوي ويوكابد هي ابنة لاوي فتكون اخت قهات وعمة عمرام وقلتم ان سبب التحريف هو رغبتهم (أي السبعين حبراً الذين ترجموا التوراة الى اليونانية في ايام بطليموس ملك مصر) في اجلال موسى عن ان يكون ابناً لابوين تزوجا زيجة غير مطابقة للشريعة وربما كان لذلك سبب آخر

فلجنابكم الشكر لانكم فحصتم ومحصتم حتى أوضحتم الحقيقة وأقمتم الدليل على صحة النسخة العبرية ولكن لم تقيموا دليلاً على ان سبب تحريف السبعينية والسريانية هو ما ذكرتموه من رغبتهم في اجلال موسى عن ان يكون الخ . وقلتم وربما كان لذلك سبب آخر مع ان مقام النبوّة لا يليق بصاحبه ان يكون ابناً غير شرعي

فاذاً أسأل جنابكم كيف ان السبعين حبراً يتفقون على التحريف ولِمَ لم تكن ترجمتهم صحيحة فيكون التحريف واقعاً في النسخة العبرية اذ ما المانع من ان يوكابد ام موسى كانت ابنة جرشون او مراري أخوي قهات فهي ابنة عم عمرام وليست ابنة لاوي مباشرة حتى تكون عمته

وان أقمتم الدليل على ان الترجمة السبعينية هي المحرّفة فأوضحوا من أين أخذتم أن زيجة الرجل بعمته كانت غير مطابقة للشريعة التي قبل شريعة موسى حتى قلتم ما قلتم ارجو ان يكون الجواب مقروناً بالدليل الذي ليس عليه للاحتمال سبيل

(الهلال) ثم ان السبعين حبراً الذين يقال انهم ترجموا التوراة لم يتفقوا على تحريف هذه اللفظة عند ترجمتها ولكن اليهود كانوا يفسرون لفظة (ددته) ابنة عمه قبل ان أمروا بترجمة التوراة السبعينية لانهم استعظموا ان يكون موسى ابناً

غير شرعي بالنسبة لشريعتهم ولكن هذه الشريعة التي تمنع زواج العمات لم تنزل الا بعد موسى في سفر اللاويين (الأحبار) الاصحاح الثامن عشر والعدد ١٢ وهاك نص الآية « عورة اخت ابيك لا تكشف لانها قريبة ابيك » ويؤيد ذلك ان ابراهيم الخليل تزوَّج اخته من ابيه وهاك نص كلامه عند ما سأله ابيمالك بشأن ذلك في سفر التكوين ص ٢٠ ع ١١ و ١٢ « فقال ابراهيم اني قلت انه ليس في هذا الموضع خوف الله فيقتلونني بسبب امرأتي وعلى الحقيقة هي اختي ابنة ابي غير انها ليست ابنة امي فصارت امرأة لي » وفي التوراة كثير من امثلة ذلك لا يسعنا المقام لا يرادها وعليه فالتزوُّج بالعمات وسائر الاقارب لم يكن ممنوعاً قبل نزول الشريعة والشريعة نزلت بعد ولادة موسى فكل ما وقع قبلها مما يخالفها لا يعد خرقاً لها فتزوُّج عمرام بعمته لا يحط شيئاً من مقام ولدها موسى ولا يكون بحقيقة الواقع ابناً غير شرعي

أما سؤالكم عن سبب نسبة التحريف الى الترجمة السبعينية وليس الى النسخة العبرانية التي هي بين ايدينا فالجواب عليه اننا لم نطعن بمقاصد الاحبار الذين ترجموا التوراة الترجمة السبعينية ولا اردنا تفضيل نسخة على اخرى ولكننا رأينا ان مجمل ما ذكر عن نسب موسى في سائر نسخ التوراة من السبعينية وغيرها يؤيد كون يوكابد عمة عمرام وليس ثمَّ اختلاف الا في الاصحاح السادس والعدد العشرين حيث اختلفوا في ترجمة لفظ (دده) فترجمها الاحبار في الترجمة السبعينية (ابنة عمه) وترجمها المتأخرون (عمته) وقد صوبنا هذه الترجمة لانها تطابق سائر ما ورد في التوراة بشأن نسب والدي موسى وقد أشرنا الى ذلك في الهلال الحادي عشر وهاك شرحهُ

ورد في سفر العدد ص ٣ ع ١٩ قوله « وبنو قهات بحسب عشائرهم عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل » فعمرام بن قهات . وفي سفر التكوين ص ٤٦ ع ١١ قوله « وبنو لاوي جرشون وقهات ومراري » فقهات ابنة لاوي . وفي سفر الخروج ص ٢ ع ١ في الكلام على تزوُّج عمرام قوله « ومضى رجل من آل لاوي فتزوَّج بابنة لاوي فحملت المرأة وولدت ابناً ولما رأته حسناً أخفته ثلاثة أشهر » وفي سفر العدد ص ٢٦ ع ٥٩ « وكان اسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي » فيوكابد ابنة لاوي فهي اخت قهات وعمة عمرام فكيف تكون ابنة عمهِ والنسب المتقدم ذكرهُ متفق على نصهِ في سائر نسخ التوراة السبعينية وغيرها فهو أولى بالاعتماد عليه من مراعاة العادة

أو التحذر من خرق شريعة نزلت بعد ولادة موسى أما التماسكم الادلة على ان زيجة الرجل بعمته غير مطابقة للشريعة قبل موسى فلم نر له وجهاً لاننا لم نقل ان الشريعة قبل موسى كانت تحظر ذلك ولكننا قلنا ان الشريعة الموسوية هي التي حظرته واليهود حسبوا ولادة موسى من عمة ابيه ولادة غير شرعية قياساً على الشريعة التي نزلت على يد موسى كما قدمنا وليس على ما قبله

أما ان تكون يوكابد ابنة جرشون او مراري اخوي قهات فلا سبيل اليه اذ ليس ثمَّ نصٌّ يدلنا على ذلك وقد ذكرنا النص الصريح القائل بانها ابنة لاوي رأساً فاذا رأيتم نصاً يساعد على القول بأنها ابنة احد اعمام عمرام تكرموا بالاشارة اليه ولكم الفضل

﴿ الشهور الشمسية ﴾

(الاسكندرية) جبرائيل افندي بولاد بالرمل

الرجا ايضاح أسماء الشهور الشمسية التي وضعها لها منشئوها وبأي لغة كانت وبيان لفظها الصحيح في اللغة العربية ولكم الفضل

و(حمص سوريا) سابا افندي ميض

بأي زمان تسمت الاشهر الشمسية ونسبة لمن وما وجه تسميتها بهذه الاسماء

(الهلال) من غريب الاتفاق ورود هذين السؤالين بمعنى واحد في وقت واحد من مدينتين بينهما الوف من الاميال والجواب عليهما :

للشهور الشمسية المتداولة بيننا الآن نوعان من الاسماء النوع الاوَّل اسماء شرقية الاصل وهي المعوَّل عليها في بلاد الشام والنوع الثاني أسماء افرنجية وهي المستعملة في مصر ولكل من هذين النوعين اصل مستقل عن الآخر فأصل الاسماء المستعملة في الشام شرقي بعضها كلداني وبعضها عبراني وبعضها فارسي ويقال لها الشهور الرُّومية وأما الاسماء المستعملة في مصر فأصلها روماني وقد اخذها المصريون وغيرهم من الايطاليانية ولكنها كذلك في سائر اللغات الافرنجية

وهاك جدولاً يتضمن اسماء هذين النوعين وأصلها ثم نأتي على اسباب تسميتها

أسماؤها المستعملة بالشام	وبالعبرانية	اسماؤها المستعملة بمصر	وبالانكليزية
كانون الثاني	طيبت	يناير	January
شباط	شباط	فبراير	February
اذار	ادار	مارس	March
نيسان	نيسان	ابريل	April
ايار	ايار	مايو	May
حزيران	سيوان	يونيو	June
تموز	تموز	يوليو	July
آب	اب	اوغسطس	August
ايلول	ايلول	سبتمبر	September
تشرين الاول	تشري	اكتوبر	October
تشرين الثاني	مارحشوان	نوفمبر	November
كانون الاول	كسلو	ديسمبر	December

ولبيان اصل هذه الاسماء فلنأخذ كلاًّ من الاسماء العبرانية والرومانية ونردّها الى اصلها وبذلك تتضح اصول تلك الاسماء في مصر والشام. فيظهر من مقابلة الشهور الرومية او الشامية بالشهور العبرية ان بعضها مطابق كل المطابقة وبعضها مخالف كل المخالفة. فالاشهر المطابقة اسماؤها في اللغتين ثمانية وهي شباط وادار ونيسان وايار وتموز وآب وايلول وتشرين فلنبحث اولاً في اصلها ثم نعود الى الاربعة الباقية. ومما لا بد من التنبيه عليه ان الشهور عند العبرانيين كانت متناسقة احدها وراء الآخر مثلما هي عندنا الآن ولكن السنة كانت تبدأ عندهم بنيسان (ابريل) وتنتهي بأذار (مارس)

(١) شباط. هو الشهر الحادي عشر من الشهور العبرانية ولم يرد ذكرهُ في التوراة الا مرة واحدة في سفر زكريا ص ١ ع ٧ واصل لفظهِ في العبرانية والسريانية يفيد السوط او الضرب بالسوط ولا نعلم العلاقة بين هذا المعنى واسم الشهر

(٢) اذار. وهو الشهر الثاني عشر من السنة العبرية الدينية واصل معناهُ في

اللغات الشرقية الحصاد او البدر والظاهر انهم ارادوا بهِ في الاصل الشهر الذي يحصل فيهِ الحصاد

(٣) نيسان . هو اوّل الشهور العبرية ويمكن ردهُ (نِص) في العبرانية ومعناها زهرة وهو بالحقيقة شهر الزهور ولكن هذا الاسم حادث في العبرانية بعد السبي البابلي وكان يسمى ذاك الشهر قبلاً «ابيب» ومعناها سنبلة من القمح خضراء والمراد بهِ شهر السنابل الخضراء . وبالحقيقة ان في افريل تكثر الحقول الخضراء من القمح والشعير في مصر وفلسطين ويظهر من دخول لفظ نيسان في اللسان العبراني بعد السبي انها ليست عبرانية الاصل وقد نسبها بعضهم الى اصل فارسي قديم مركب من لفظين (نَوْ) جديد و (اسان) يوم اي اليوم الجديد وهو في لغة الزند (نواساب) اليوم الجديد ويراد بهِ اوّل يوم من السنة الجديدة لان نيسان اوّل شهور السنة عندهم كما تقدم

(٤) ايار . هو الشهر الثاني من السنة عندهم وهو اما مشتق من (اور) في العبرانية ومعناها أشرق فهو شهر الاشراق واما من اصل فارسي معناهُ الربيع . ولم يرد اسم ايار في العهد القديم ولكنهم كانوا يسمونهُ (زيو) وهو لفظ عبراني مشتق من (زهو) اشرق اوزها ومنها (زهيو) في العبرانية مشرق او زاهٍ فهو شهر الزهور . وهو بالحقيقة اكثر اشهر الربيع زهوراً

(٥) تموز . هو بالاصل اسم لاله سوري يماثل الاله ادون في فينيقية وكانوا يحتفلون بهِ احتفالهم بادون ويظن بعضهم ان عبادة هذا الاله مقتبسة من المصريين القدماء وعندهم ان تموز هو الاله المصري (اوزيريس) المشهور لاتفاقهما في معظم طرق الاحتفال والعبادة وكانوا يحتفلون بعيد تموز في الهلال الذي يظهر في شهر يوليو فسموا ذلك الشهر تموز ولا يزال

(٦) آب . هو اسم كلداني الاصل ولم يستعملهُ العبرانيون الا بعد السبي وكانوا يسمون ذاك الشهر قبلاً الخامس لانهُ الشهر الخامس من سنتهم الدينية . واما وجه تسميتهِ آب فان هذه اللفظة مقتطفة من (ابيب) المتقدم ذكرها ويريدون بها الاثمار عند نضجها وفي القاموس «الأَبُّ الخضر والكلأُ او المرعى او ما انبتت الارض» والواقع ان في هذا الشهر تنضج الأثمار تمام نضجها

(٧) ايلول · اختلف العلماء في تحليل هذه اللفظة فقال بعضهم انها كلدانية وقال آخرون انها فارسية وكلاهما لم يأْتيا بالادلة القاطعة على اصلها

(٨) تشري او تسري · وهو مشتق من اصل كلداني او اشوري معناه الابتداء ووجه تسميته بو انهُ اوَّل السنة المدنية عندهم كما انهُ الشهر السابع من السنة الدينية · وقد وجدوا اسم هذا الشهر محفورًا على آثار مدينة تدمر مع اسماء خمسة اشهر اخرى هذه هي الأشهر الثمانية المشتركة بين العربية والعبرانية وهاك الأربعة الباقية

(٩) تشرين الثاني · هذا يحمل على تشري المتقدم ذكره فانهما تشرينان الأوَّل والثاني · ويقابل تشرين الثاني في العبرانية مرحشوان وكان يسمى في العهد القديم (بول) وهو مشتق من لفظ (يبل) ومعناه المطر وهو شهر كثير المطر · أما مرحشوان فيظنون انها مركبة من لفظين فارسيين (مار) و (حشوان) وهي من أصل فارسي معناه الخريف

(١٠ و ١١) كانون الأوَّل والثاني · يرجع هذان الاسمان الى لفظ كانون وهما كذلك في السريانية وقد تناولناهما عنها والاصل في معنى كانون في السريانية فصل الشتاء على ما رواه القاموس فسموا اكثر أشهر الشتاء مطرًا به وهما الكانونان (دسمبر ويناير)

أما في العبرانية فاسم كانون الأوَّل (كسلو) وهو لفظ فارسي تناولهُ اليهود اثناء سبيهم في بابل وقد ذكروا لهُ اشتقاقات مختلفة من الفارسية والكلدانية ولكنها لا تخلو من التكلف واسم كانون الثاني عندهم (طبت) وهو يقابل شهر طوبه القبطي وربما كان منحوتًا منهُ

(١٢) حزيران · لم نقف لهُ على اشتقاق صريح ويغلب على الظن انهُ سرياني واسمهُ بين الأشهر العبرانية (سيوان) وقد تتبعوا اصلهُ الى الفارسية لانهُ مقتبس بعد السبي فوجدوا انهُ منحوت من اسم ذلك الشهر في الفارسية وهو (سيفاندرمد)

هذا ما اردنا ذكره مختصرًا من تحليل اسماء الشهور الرومية فلنشرع في تحليل الشهور الرُّومانية أو اللاتينية بحسب ترتيبها المعروف

(١) يناير · سمي كذلك نسبة الى يانوس وهو اله روماني ذو وجهين يريدون بذلك ان هذا الشهر ذو وجهين يودع السنة الماضية بوجه ويقابل القادمة بآخر

(٣) فبراير . سموه بذلك لانهم كانوا يقيمون فيه احتفالاً سنوياً يدعونهُ (فبروإليا)

(٣) مارس . سموه بهذا الاسم نسبة الى مارس والد رومولس باني رومية ولهم على ذلك حكاية لا محل لها هنا وكان هذا الشهر أوّل شهور السنة عند الرّومانيين قديماً

(٤) أبريل . هو لفظ مشتق من اصل لاتيني يفيد الفتح وقد سموا هذا الشهر به لزعمهم ان الارض تفتح فيه صدرها لاستقبال الاثمار الجديدة

(٥) مايو . سماه بذلك رومولس حفظاً لذكر كبراء دولته وكانوا يسمون (مايورس)

(٦) يونيو . وهذا ايضاً سماه رومولس بهذا الاسم حفظاً لذكر رجالهِ لانهم كانوا لهُ عوناً في الحروب وهم من اواسط الناس وكان يسميهم (يونيورس)

(٧) يوليو . سمي بذلك نسبة الى يوليوس قيصر الشهير لانهُ ولد فيهِ وكان يسمى قبلاً كوينتيليس اي الخامس

(٨) اوغسطس . سماه بذلك اوغسطس قيصر الامبراطور الرّوماني نسبة اليهِ لانهُ كان شهر نعيم عليهِ وعلى جنوده اذ قد تمت لهُ فيهِ فتوحات كبيرة وكان يسمى قبلاً سكستس اي السادس . ولكي لا يقال ان شهرهُ أحطُّ مقاماً من شهر يوليوس قيصر فحط ذلك من مقامهِ تناول يوماً من فبراير فاضافهُ الى شهرهِ فصار اوغسطس ٣١ يوماً مثل يوليو واصبح فبراير ٢٨

(٩ و١٠ و١١ و١٢) سبتمبر واكتوبر ونوفمبر ودسمبر . وهذه الاشهر الاربعة تدل اسماؤُها على ترتيبها في السنة القديمة التي وضعها رومولس فان اوّل تلك السنة مارس كما تقدّم فيكون سبتمبر السابع واكتوبر الثامن ونوفمبر التاسع ودسمبر العاشر ومعاني الفاظها تؤيد ذلك فانها تدل على هذه الاعداد دلالة صريحة في اللغة اللاتينية

هذا ملخص ما امكن درجه جواباً على اقتراحكم واما زمن تسمية هذه الشهور فقد تقدمت الاشارة الى شيء منها فليقس عليهِ ولكن يقال بالاجمال ان لكل شهر تقريباً تسمية مقرونة بظروف معلومة من الزمان والمكان وسائر الاحوال مما لا يقوم باستيفائهِ الاّ المطوّلات

الهلال

الجزء السابع عشر من السنة الثالثة

(١ مايو (أيار) سنة ١٨٩٥) (٦ القعدة سنة ١٣١٢) (٢٤ برموده سنة ١٦١١)





اوليفر كرومويل

أحد المصلحين العظام

ولد سنة ١٥٩٩ وتوفي سنة ١٦٥٨ م

اوليفر كرومويل

في باب السؤال والاقتراح من هذا الهلال اقتراح من عزتلو عبد الكريم بك مورو يطلب به ترجمة حال اوليفر كرومويل المصلح الانكليزي العظيم . واجابة لاقتراحه نقول :

هو ابن السير هنري كرومويل من بلدة هنشنبروك من مقاطعة هرتفوردشير ببلاد الانكليز كريم النسب من الوالدين ولد في هنتدون من مقاطعة هرتفوردشير سنة ١٥٩٩ ولما ترعرع أدخلوهُ مدرسة كمبردج لتلقي مبادي العلوم فلم يلبث فيها الاَّ سنة ثم نقلوهُ الى نزل لنكولن ليتابع دروسهُ فيهِ وقد قال بعض المؤرخين انهُ كان في شبابهِ مغامرًا غارقًا في الشهوات الدنيئة ولكن قرائن الاحوال تبرئهُ من هذه التهمة وفي جملة ذلك انهُ لما بلغ الحادية والعشرين من عمره تزوَّج بابنة السير جون بورشير وذاع صيتهُ بين رجال الدين بانهُ امام في الدينيات ولعل الذين ألبسوه ذلك العار انما حملهم عليهِ الحسد او الضغينة

وفي سنة ١٦٢٨ انتخب عضوًا في البرلمان بالنيابة عن هنتدون مسقط راسهِ وذلك في عهد شارلس الاوَّل ملك انكلترا وكان هذا الملك في حرب مع اسبانيا فاحتاج الى مدد فطلب اقرار البرلمان على ذلك فأقرُّوا على قدرٍ لا يكفي مطالبهُ فغضب شارلس وأمر بحل البرلمان فعاد كرومويل الى بلده واشتغل في الزراعة

وفي سنة ١٦٣٦ توفي خالهُ السير توماس ستيوارت عن ثروة ريعها خمسمئة جنيه في السنة فورثها كرومويل وانتقل بعائلتهِ الى أملاكهِ الجديدة في جزيرة ايلي بانكلترا وأقام هناك ناعم البال ولكن تصرُّف الحكومة وسوء ادارة عمالها بغَّضوا اليهِ سكناها فعوَّل على المهاجرة الى أميركا فاستأجر مكانًا له ولعائلتهِ في مركب مسافر الى نيوانجلند وهمَّ بالمسير واذا بأمر من شارلس بايقاف ذلك المركب وضمهِ الى المراكب والمعدات الاخرى في خدمة الحكومة فلم يعد كرومويل يستطيع السفر لقلة معداتهِ اذ ذاك وخصوصًا الى أميركا فعاد الى بلده ولكن عودته هذه كانت وبالاً على الملك شارلس لانهُ كان كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ كما سترى

وفي سنة ١٦٤٠ انتخب كرومويل عضوًا في البرلمان عن كمبردج ومن هذا

التاريخ تبتدئ أعمال هذا الرجل العظيم فانه بلغ الأربعين من عمره وهو لم يات عملاً يستحق الشهرة فلما تقلد عضوية البرلمان هذه المرة اكتسب شهرة عظيمة وعرف بزعيم الفينيين لأنه دافع عن حقوق بعض أهل الفين

وكان الخصام قائماً بين الملك والبرلمان حتى انقسم الشعب الانكليزي اذ ذاك الى قسمين عظيمين لا يزالان باقيان الى الآن ويعرفان بحزبي المحافظين والأحرار وأصل انقسامهم على هذه الصورة ان البرلمان لم ينفك مقاوماً لمشروعات شارلس لأنه كان يسوم البلاد أثقالاً ونفقات كبيرة فلم يكن الشعب راضياً عن اجرآته فكان اذا طلب قراراً عارضوه فيه وكثيراً ما آل ذلك الى حروب اهلية فانحاز الى الملك جماعة الأشراف وأهل الثروة والاكليروس وبقي جماعات المزارعين والتجار وسائر الباعة وأهل الصناعة مع بعض الأشراف حزباً آخر ودعي حزب الملك كافالير (أي خيالة) لأنهم كانوا يحبون الفروسية ويتفاخرون بركب الخيل وسمي الحزب الآخر الرؤوس المستديرة لأن معظمهم كان من حزب البوريتان وهم جماعة من البروتستانت كانوا يجاهدون في تنقية طقوس العبادة فسموا بوريتان وهي لفظة مشتقة من (pure) نقي أو طاهر وكان البوريتان يلبسون على رؤوسهم شعوراً كثيفة مستديرة . ثم سمي الحزب الأول (توري) والحزب الآخر (هويج) وهما الآن المحافظون والأحرار ولا تزال أغراض كل من الحزبين كما كانت حتى الآن

وكان حزب الملك أحسن الشعب الانكليزي تهذيباً وأمهرهم في ركوب الخيل واستخدام السلاح ولكن لم يكن عندهم من المدافع زخر كاف وكانت جامعتهم المال أما احزاب البرلمان فجامعتهم حب الوطن وطلب الاصلاح ولكن سوادهم كانوا من أهل الزراعة والباعة الذين لا يحسنون استخدام السلاح ولا يعرفون ضروب القتال فلما قامت الحرب بين الحزبين سنة ١٦٤٢ انتصر أولاً حزب الملك ثم انتصر حزب البرلمان

وكان كرومويل ضابطاً في جيش البرلمان وأظهر من البسالة والأقدام ما جعل فرقته ممتازة عن سائر فرقهم ثم عوّل ان يجعل لحزب المصلحين شأناً وكان قد نال رتبة اميرالاي فجعل فرقته نخبة من الرجال الاشداء الأتقياء القادرين على فهم المراد من قومتهم هذه وأخذ يدربهم ويعلمهم ويجمع كلمتهم حتى صاروا مثلاً في الشدة والبسالة والنصرة وعرفوا بالأنصار الحديديين

وفي سنة ١٦٤٤ حصلت مواقع أخرى بين الحزبين كانت سجالاً بينهما واما فرقة كرومويل فكان النصر حليفها كيفما توجهت · وكان بين البوريتان جماعة قد بثوا في الشعب الانكليزي روحاً دينية وسياسية معاً مرجعها الى الاستقلال فاجتمع على هذه الدعوة عصابة عرفت بحزب الاستقلال (independents) رئيسه كرومويل وغرضهم السياسي قلب الملكية واقامة الجمهورية وغرضهم الديني استقلال كل جماعة دينية بنفسها حتى لا يكون على الجماعات الدينية مجمع عام وهم الذين قرروا سنة ١٦٤٥ اعفاء اعضاء البرلمان من قيادة الجند اما كرومويل فلم يعفوهُ من تلك القيادة لاركانهم اليه اذا حمي وطيس الحرب فانتخب في تلك السنة نائباً للقيادة العامة مع لقب جنرال ولكنهُ كان في الحقيقة القائد الأول واليه المرجع بكل الشؤون فلقبوهُ بمخلص الأمة لقاء ما شاهدوا من انتصاره لمصالحها وخصوصاً بعد واقعة ناسبي التي كانت فصل الخطاب بين الحزبين فتأيد حزب كرومويل وهو حزب البرلمان أو الحزب الحر

ولكن حزب البرلمان هذا انقسم بعد ذلك الى فئتين فئة البريسبتيريان وهي تقول ببقاء الحكم الملكي وتقييده وفئة المستقلين او الاحرار وهم لا يقبلون الاَّ بقلب الملكية واقامة الجمهورية وزعيمهم كرومويل وقد تقلد الرئاسة العامة للجند وذاع صيتهُ في الآفاق فاستأنس شارلس بحزب البريسبتيريان لانهم يقولون ببقائهِ ولكنهم لم يغنوا عنهُ شيئاً لان كرومويل ما انفك يبث الارصاد ويبعث البعوث ويبصب الشراك حتى قبض على شارلس في نورثنتونشير ولكنهُ تمكن اثناء نقلهِ من قلعة الى اخرى ان يفرّ الى جزيرة ويت بقصد العبور الى اوربا وكان حزب المنتصرين للملك لا يزال قوياً لانهُ عبارة عن حزبهِ الاصلي وحزب البريسبتيريان المتقدم ذكرهُ فكان كرومويل يقاوم تلك الاحزاب بقوة السيف وحسن السياسة ثم قبضوا على شارلس وسجنوهُ في سجن منيع الى سنة ١٦٤٨ ثم حاكموه وحكموا عليهِ انهُ خائن الامة ويستوجب الاعدام

وفي ٣٠ يناير سنة ١٦٤٩ حملوهُ الى مكان معد لاعدامهِ وقتلوه وهو الملك الوحيد الذي قتل من ملوك انكلترا على هذه الصورة وهي نقطة سوداء في تاريخهم وقد جعل بعض كتبة الانكليز تبعة قتل ذلك الملك على كرومويل ولكن

الجمهور على « انهُ لم يكن في وسعهِ الاَّ مجاراة الجند في مطالبهِ فضحى رايهُ وعواطفهُ في سبيل ذلك لان قيادة الالوف من الرجال الاشداء تقتضي ان لا يأخذهم بالعنف اذا رأى منهم الاصرار على امرٍ لئلا ينبذوا طاعتهُ »

فأصبحت انكلترا جمهورية يحكمها مجلس مؤلف من ٤١ عضوًا وتولى كرومويل قيادة الجند لانها هي القوَّة الفعالة وكان الحكم كلهُ حقيقة بيده هو . ولكنهُ لم يكد يفرح بنجاحهِ حتى اعترضتهُ عراقيل ذات بال منها ان فئة من جنده تمردت عليهِ فتمكن بحسن سياستهِ وسطوتهِ من ارجاعهم الى الطاعة ثم ثارت الاحزاب الملكية في ايرلاندا وسكوتلاندا فدافعهم كرومويل وفرّق جموعهم فازدادت شهرتهُ وأصبح الناس في انكلترا يضربون بسطوتهِ الامثال ولا يزال بعض اهالي ايرلاندا حتى الآن اذا ارادوا دعوة السوء على احد قالوا لهُ « عليك لعنة كرومويل »

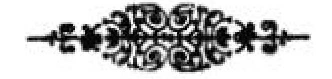
فلما عاد من حروبهِ هذه الى لوندرا لاقاه الشعب باحتفال عظيم ولكنهُ ما لبث ان اضطرَّ الى الحرب لان اهل اسكوتلاندا نصبوا شارلس الثاني ملكًا وقالوا بسقوط الجمهورية فحاربهم كرومويل وتغلب عليهم فأصبحت حكومة انكلترا في قبضة يده . وفي ١٦ دسمبر سنة ١٦٥٤ جعلوه رئيسًا لجمهورية انكلترا وسكوتلاندا وايرلاندا وبعبارة أقرب الى الاصل الانكليزي « حامي ذمار جمهورية انكلترا وسكوتلاندا وايرلاندا » فارتفع شأن العلم الانكليزي في أيامهِ

ولكنَّ الدهر لا يبقي على احد فان كرومويل بعد ان بلغ رتبة الملوك انقلب نجم سعده اذ اخذ امر الملكية في الاستفحال فوقعت الشكوك في مقاصده ثم الف احدهم سنة ١٦٥٨ كتابًا يحرض فيهِ الانكليز على قتل كرومويل بعبارات مرجعها الى ان قتل الظالم من واجبات الأمة وإن كرومويل ارتكب جريمة فادحة بقتل شارلس الأوَّل وأصيب كرومويل اذ ذاك ايضًا بوفاة ابنة لهُ كان يحبها كثيرًا فأثر ذلك في صحتهِ فأصيب بحمى شديدة ذهبت بحياتهِ في ٣ سبتمبر سنة ١٦٥٨ ودفنت جثتهُ بعد ذلك في مقبرة هنري السابع ثم اخرجت من هناك وعرضت عند رجوع الملكية ثمَّ دفنوها في مدفن المشنوقين في تيبورن . فنصبوا بعدهُ ابنهُ ريتشارد ولكنهُ لم يلبث الاَّ قليلاً فعادت انكلترا الى الحكم الملكي فتولى تختها شارلس الثاني سنة ١٦٦٠ ولم تدم الجمهورية الانكليزية الاَّ احدى عشرة سنة

وقد مرّ على وفاة كروميل حتى الآن نحو ٢٣٥ سنة والكتّاب في اختلاف في أوصافهِ ومقاصدهِ وأطوارهِ ومنزلتهِ فمنهم من اتهمهُ بمحبة الذات ونسب كل أعمالهِ وحروبهِ الى التماس الفخر الذاتي والتمتع بالحكم والسلطة وقال آخرون بل كان مخلصاً في كل أعمالهِ ولم يخط خطوة الاَّ رغبة في مصلحة وطنهِ وأصحاب هذا الرأي يزيدون بنسبة بعد العهد من زمن وفاتهِ فكانوا يطعنون بهِ أوَّلاً تزلفاً من الحكومة الملكية وأما بعد تغلب روح الحرية في هذا العصر فصار الناس ينطقون بما يشعرون ولا يراعون جانباً

والذي نراهُ ان لا مشاحة في عظمة اوليفر كروميل وربما لم يقم في انكلترا كلها رجل اعظم منهُ والأعمال التي قام بها تؤيد ذلك ولا نظنهُ عمل ما عملهُ لمجرد الرغبة في الشهرة لانهُ كان على جانب من التقوى وحسن العقيدة وقد رأيت انهُ اختار رجالهُ ايضاً من أهل التقوى فمن كان كذلك لا يسفك دماء الناس رغبة في مصلحتهِ ولكن الحال اقتضت تحكيم السيف في كثير من أعمالهِ على اننا لو نظرنا الى مدة حكمهِ بعين الناقد البصير لما رأينا فيها مزية عن حكم الملكية لانهُ انما حكم انكلترا حكماً مطلقاً ولا عبرة في المجالس وغيرها من القيود لأن سطوتهُ كانت غالبة في سائر احكامهم

أما من حيث مشروعهِ ونسبتهِ الى حال بلادهِ فلنا فيهِ نظرٌ والجمهوريات في رأينا لا تصلح لقيام الدول او توسيع نطاقها او الدفاع عنها ولا هي ثابتة على اساس والدول لا تقوم الاَّ بالحكم الملكي ولا تتأيد الاَّ بالشورى ولا نرى محاولة اقامة الجمهوريات الاَّ ضرباً من العبث الاَّ في بعض الأحوال



باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

أو خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين

(٢) الزمان

بيّنا في الهلال الماضي ما وصل اليهِ العلماء بابحاثهم في «المكان» مما تشغلهُ الجواهر الفردة الى ما لا حدّ له ولا نهاية من الابعاد الشاسعة في انحاء الفضاء مما ينقطع عندهُ الوهم ويقعد عنهُ التصوُّر وسنشرح في هذه المقالة ما وصلوا اليهِ في ابحاثهم عن «الزمان» وهو لا يقل غرابة وعظماً عن ذاك كما سترى

أقدم قاعدة عوّل عليها الانسان في تقسيم الزمان اليومُ لانهُ مبني على توالي الليل والنهار فسمى المدة بين شروق الشمس وغروبها نهاراً وبين غروبها وشروقها ليلاً ودعى المسافة بين شروق وشروق او بين غروب وغروب يوماً ثم لاحظ حال القمر من مولدهِ الى محاقهِ فاذا هو يولد هلالاً ثم ينمو يوماً بعد يوم حتى يصير بدراً كاملاً ثم يعود فينقص حتى يصير محاقاً ثم يعود فيولد ثانية وينمو ثم يتناقص وهكذا على التوالي فسمى المدة بين مولد القمر ومحاقهِ شهراً وهي تستغرق نحو ثلاثين يوماً فالشهر وضع اولاً لدورة القمر ثم اطلق على جزء من ١٢ جزءا من السنة الشمسية اصطلاحاً ويؤيد ذلك ان لفظ الشهر في معظم اللغات يدل في اصل معناهُ على القمر ومن آثار ذلك في العربية «الشهر الهلال والقمر او هو اذا ظهر وقارب الكمال» ولفظ الشهر في سائر اللغات السامية يدل على الشهر والقمر سواء.

ثمَّ لاحظوا حال الجو من البرد والحر والمطر والصحو وتفاوت حال الزرع من النبت والنضج وما شاكل ذلك فرأوا تلك الحالات ترجع الى اربع تتوالى ثمَّ تعود فتتوالى فسموها الفصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء وسموا المدة التي تمرُّ فيها هذه الفصول حتى تعود الى حيث بدأت سنة فرأوا انها تستغرق ١٢ شهراً فجعلوا

السنة ١٢ شهرًا فاليوم والشهر والسنة ابسط اقسام الزمن واقربها الى علم الانسان ولا ريب انها اقدم التقاسيم بخلاف الأسبوع والساعة والدقيقة فانها وضعت اصطلاحًا لاسباب لا محل لذكرها هنا

ومن هذه الأقسام الأولية ركبوا سائر أقسام الزمن قصيرها وطويلها فقسموا اليوم الى ساعات والساعة الى دقائق والدقيقة الى ثوانٍ والثانية الى ثوالث والفوا من مجموع السنين أعمارًا كأعمار النسور أو عمر الانسان او قرونًا. واختلفت العرب في طول القرن فقالوا أربعين سنة وقالوا أكثر وقالوا أقل ولكنهم أجمعوا اخيرًا على انه مئة سنة ثم الدهر وهو الف سنة وليس عندهم بعده الا الأزل وهو ما لا نهاية له في أوله والأبد وهو ما لا نهاية له في آخره والأزل والأبد ليسا من قياس الزمن في شيء.

فأكبر قياس للزمن عندهم الدهر وهو الف سنة وأصغر قياس له الثالثة وهي جزء من ٣٦٠٠ جزء من الدقيقة وهو آخر ما وصلوا اليه من أقسام الزمن

هذا ما وصل اليه الانسان بحواسه الظاهرة واختباراته اليومية وهو يدل على حدود تصوره للزمن. أما العلوم الحديثة فقد كشفت القناع عن كثير من الحقائق التي دلت على ان الزمن اوسع كثيرًا مما كانوا يتوهمون ولبيان ذلك نقول

الأرض جسم كروي قطره ثمانية آلاف ميل وهي مؤلفة من مواد بعضها جامد وبعضها سائل وبعضها غاز وذلك ظاهر عيانًا على سطحها ونظرًا لتصور الناس عن الوصول الى باطن الأرض بسبب تعاظم الحرارة هناك اكتفوا بالبحث في القسم الظاهري منها وسموه قشرة الأرض وهي تشمل ما يستطيع الانسان الوصول اليه من مادة الارض

فاذا تأملت هذه القشرة رأيتها مؤلفة من طبقات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيب أوراق الكتاب وإذا بحثت في تلك الطبقات لرأيتها تختلف بعضها عن بعض مادة وكثافة فقد يكون بينها طبقة لا تزيد كثافتها عن كثافة الورق الثخين وطبقة أخرى تزيد كثافتها على بضع أذرع فأول ما يخطر في ذهن الباحث «كيف تكونت هذه الطبقات»

ولبيان ذلك تأمل مجرى النيل المبارك فانه يجري من اقاصي السودان فيجرف في مسيره اتربة وأجسامًا أخرى خشنة وخصوصًا في أيام الفيضان ويلقيها في البحر

المتوسط وقد مرَّ عليهِ في هذهِ الحال قرون متطاولة ومعلوم ان أصل ماء النيل وسائر الأنهار من الأمطار والأمطار نتج عن تكاثف الأبخرة المتصاعدة عن سطوح البحار وهي نقية صافية لا شيء فيها من الاتربة او الاملاح فكأن مياه الامطار جارف يجرف الأتربة من البرّ ويلقيها في البحر دائمًا ليلاً ونهارًا صيفًا وشتاء. فاذا كان مجرى النهر بطيئًا كالنيل مثلاً رسب بعض مجروفاته في اثناء جريهِ والنيل يفيض كل سنة على ما يجاورهُ من الأرض ثمَّ يجف الماء عنها فتبقى الأتربة هناك راسبة على شكل طبقة رقيقة تتألف منها على توالي السنين طبقات تدلُّ على عدد السنين التي استغرقتها في رسوبها فهم يحسبون عمر وادي النيل بتعداد طبقاتهِ

ولكن النيل لبطء جريهِ لا يحمل من المجروفات الاَّ ما كان دقيقًا خفيفًا ولكن من الأنهر ما يحمل حصى وأحجارًا وأخشابًا بنسبة سرعتهِ وكثرة مائهِ وهي تستقرُّ أخيرًا في مصب تلك الانهر والانهر تصبُّ غالبًا في البحار فتترتب تلك الرواسب في قاع البحر طبقات متعددة بعضها فوق بعض فلو فرضنا انكشاف قاع البحر يومًا لامكننا معرفة عمر تلك الرواسب من تعداد طبقاتها

ثمَّ أنَّ البحار نفسها تلاطم امواجها الشاطئ على الدوام فتنفت صخوره وتحولها الى حصى دقيقة أو رمال ترسب في قاع البحر طبقات تخللها بقايا الحيوانات أو النباتات البحرية التي عاشت وماتت اثناء ذلك الرسوب

هذا ما نشاهدهُ الآن من تفاعل الأمطار والأتربة والبحار وقد كان جاريا على مثل هذا النمط ايضًا في سائر أدوار الأرض فالطبقات الأرضية التي نشاهدها على هيئة جبال او تلال أو سهول الآن انما هي رواسب تولدت بجرف أتربة البر الى البحر بالسيول والأنهار كما تقدَّم الاَّ النذر اليسير مما بسبب تكوّنهُ الى عمل البراكين

ويعترض على ذلك انَّ جرف الأتربة من البرّ الى البحر على التوالي يقتضي الوصول الى زمن يتساوى فيهِ البر والبحر اذ تنقل كل أتربة البر الى قاع البحر فترتفع مياه البحر وتغطي اليبس ويبطل الجرف. والجواب على ذلك ان هناك فاعلاً آخر يمنع هذهِ النتيجة وذلك ان البر لا ينفك عن الارتفاع والانخفاض بتأثير الزلازل والبراكين وتفاعل حرارة باطن الأرض فالجبال الشامخة والسهول المرتفعة الآن ربما كانت في بعض الأزمنة الخالية بحورًا تتلاطم فوقها الأمواج وتصبُّ فيها الأنهار. وربما

كانت البحور العميقة الآن جبالاً وسهولاً تجرف أتربتها الأنهار الى قاع تلك البحور

أما ارتفاع قشرة الأرض وانخفاضها بتوالي الأزمان فهما من الحقائق الراهنة التي لا سبيل الى نقضها ويؤيد ذلك ما يتوالى فيها من الزلازل والبراكين التي كثيرًا ما خسفت بالجبال الى قاع البحار أو رفعت بعض أجزاء البحر فجعلتها جبالاً عالية ولكن الارتفاع والانخفاض يسيران غالبًا سيرًا بطيئًا لا يشعر به الا بمرور الأجيال والدهور وقد بحث العلماء في ذلك بحثًا دقيقًا وأيدوه بالأدلة القاطعة مما لا سبيل الى نقضه ولا محل لتفصيله هنا

وزد على ذلك اننا نرى في طبقات الجبال الشامخة أحافير حيوانات بحرية لا يمكن أن تعيش في اليبس ونرى تنضيد تلك الطبقات تنضيدًا لا يمكن ان يتولد عن غير الرسوب بالماء رسوبًا تدريجيًا كما قدمنا

ويترتب على تكوّن طبقات الأرض بالترسيب أن تكون افقية الوضع أو قريبة من ذلك لاننا نشاهد رواسب المياه الآن مرتبة بعضها فوق بعض على وضع أفقي كترتيب خراشف البصل ولكننا نرى كثيرًا من الطبقات القديمة المؤلفة منها الجبال مثلاً مائلة على الأفق ونرى بعضها عاموديًا أي بدلاً من أن تكون تلك الطبقات موازية لسطح البحر نراها قائمة عليه ولولا ذلك ما استطعنا أن نشاهد من تلك الطبقات الا أعلاها أو ما ينكشف لنا منها بحفر الآبار أو نحت الجبال. ويترتب على ما تقدم أيضًا أن تكون تلك الطبقات مرتبة من الأسفل الى الأعلى بنسبة قدمها بأن يكون أقدمها أسفلها وأحدثها أعلاها والواقع خلاف ذلك اذ قد نرى أقدم طبقات الارض على قمم الجبال وأحدثها في قاع البحر والسبب في ذلك تفرتك قشرة الأرض بعمل البراكين والزلازل وتفاعل حرارة باطن الأرض كما قدمنا فان تلك الحرارة كثيرًا ما مزقت قشرة الأرض وفركتها فجعلت أسفلها أعلاها وبالعكس قبل عهد التاريخ بقرون على أنها لا تزال تفعل مثل ذلك الآن ولكنه عمل بطيء لا يشعر به الا بمرور الأجيال

ولا يؤخذ مما تقدم ان طبقات الارض تولدت مرتبة بعضها فوق بعض كخراشف البصل بأن تكون كل طبقة تكوّنت في دور واحد مؤلفة من مادة واحدة تكسو الارض غلافًا متساوي الكثافة ممتدًا على سطحها كله كما تغلف البصلة قشرتها

فان ذلك يقتضي رسوب تلك الطبقة في وقت واحد ومن مادة واحدة وسطح الارض تام الكروية وقد علمت ان الرسوب لا يحصل الا بجرف الأتربة وغيرها من الجبال والسهول الى البحار وذلك لا يكون الاَّ اذا كان سطح الارض غير منتظم بل يجب ان تكون فيه الجبال والوديان والسهول والبحار · فيعترض اذ ذاك « كيف استطاع العلماء تعيين تعاقب الطبقات في الزمن وكيف عرفوا ان الطبقة الفلانية تكوَّنت قبل الطبقة الفلانية اذا لم تكن لكل طبقة مادة واحدة وتركيب واحد يميزها عن سواها »

وفي الجواب على ذلك لنفرض اننا بينما كنا نحفر في بعض جهات الاسكندرية وصلنا الى طبقة رملية وجدنا في خلالها نقودًا ضربت في عهد الاسكندر الاكبر وان آخرين عثروا على طبقة دلغانية في جهات العراق فيها مثل هذه النقود ألا نحكم لاوّل وهلة ان هاتين الطبقتين تكوّنتا في القرن الرّابع قبل الميلاد وان تكن احداهما رملية والاخرى دلغانية .

ويماثل هذه النقود في طبقات الارض بقايا الحيوانات التي عاشت في زمن كل طبقة فان لكل دور من ادوار الارض نوعًا من تلك الحيوانات يتدرج من أدنى أنواع النبات الى أعلى انواع الحيوان فاذا عثرنا بطبقات عديدة في اماكن مختلفة فيها بقايا نوع واحد من هذه الانواع نعلم انها تكوّنت في زمن واحد ونستدل من مقابلة منزلة هذه الحيوانات في سلّم الحيوان على نسبتها الى الطبقات الاخرى

وقد بحث علماء الجيولوجيا في طبقات الارض فوجدوا ان كثافة كل ما وصلوا اليه من قشرة الارض المؤلفة بالرسوب المتقدم ذكرهُ ٠٠٠ ر ٢٠٠ قدم وذلك يساوي ٣٥ ميلاً أي جزءا من مئة جزء من كثافة الارض بين مركزها وسطحها · وقد قسموا الطبقات المؤلفة منها تلك القشرة الى مجاميع يشمل كلاً منها زمن فكان عدد تلك الازمان اربعة تعد من الاسفل الى الاعلى اي من الأقدم الى الأحدث فسموا الطبقات التي تكوّنت في الزمن الاوّل طبقات الزمن الاوّل وهي تقسم الى دورين ويقسم الدور الاوّل الى مجاميع يعرف اقدمها بالطبقات اللورنتية وتبلغ كثافتها ٠٠٠ ر ٣٠ قدم والطبقات الكمبرية وكثافتها ٠٠٠ ر ١٨ قدم والطبقات السيلورية وكثافتها ٠٠٠ ر ٢٢ قدم ويقسم الدور الثاني الى ثلاثة مجاميع أقدمها الطبقات

الديفونية او الحجر الرملي القديم ثم الطبقات الفحمية وفيها الفحم الحجري ثم الطبقات البرمية او الحجر الرملي الحديث وكثافة هذه المجاميع الثلاثة نحو ٠٠٠ ر٤٢ قدم

وطبقات الزمن الثاني تتضمن الطبقات الترياسية والطبقات الجورية والطبقات الكلسية وكثافتها كلها ٠٠٠ ر١٥ قدم

ويلي ذلك طبقات الزمن الثالث وكثافتها ٠٠٠ ر٣ قدم ثم طبقات الزمن الرابع وهو الاخير ولا يزال آخذاً في التكوُّن والظاهر انهم لم يضيفوا كثافتهُ الى مقدار كثافة القشرة

وأما ما يتخلل هذه الطبقات من احافير الحيوان فتتدرّج فيهِ الانواع الى الكمال من أقدمها الى أحدثها ففي الطبقات اللورنتية آثار أدنى انواع الحياة مما لا تتميز فيها اشكال الحيوان لدقتها ولما توالى عليها من الزمان تحت الضغط والحرارة فهي أقرب الى الصخور المتبلورة منها الى الرّواسب المائية ولكنهم يؤكدون انها في الاصل رواسب او مفرزات حيوان بحري في غاية البساطة والدقة. وفي الطبقات الكمبرية متحجرات الاعشاب البحرية وبعض ذوات الاصداف وهكذا تتدرج انواع النبات والحيوان حتى تظهر في طبقات الزمن الثالث احافير الحيوانات ذوات الثفرات وفي الزمن الرابع تظهر احافير الانسان وحيوانات اخرى لا تزال عائشة على سطح الارض

ولادراك مقدار الزمن اللازم لتكوُّن كل هذه الطبقات فلنبحث في تكوُّن جزء منها لا تزال الاقيسة على تكونهِ ظاهرة في اعمال الطبيعة الآن وهي الطبقات الفحمية فان الفحم الحجري عبارة عن مخلفات غابات او احراج كثيفة من النبات غطتها مجروفات الماء في زمن من الازمان وبقيت تحت الضغط أدواراً مستطيلة حتى تحولت بتأثير حرارة باطن الأرض الى فحم كما يحوّلون الخشب الآن الى فحم باحراقهِ تحت التراب

وبالبحث في هذا الفحم نرى انهُ مؤلف من طبقات تتخللها طبقات أُخرى من الدلغان يغشى كلاً منها طبقة رقيقة من الحجر الرّملي وقد تتوالى هذه الرّواسب الثلاثة مرّات عديدة جدًّا ففي مناجم الفحم في سوث ويلس ببلاد الانكليز تتكرّر طبقات الفحم ثمانين مرة وبين الطبقة والأُخرى طبقتان احداهما دلغانية والأُخرى رملية وقد تبلغ كثافة الطبقة الواحدة من الفحم على حدة ثلاثين قدماً وحسبوا جملة كثافة الطبقات الفحمية فبلغت ٠٠٠ ر١٤ قدم

ويستنتج من ترتيب الطبقات الفحمية على هذه الصورة ان كل طبقة من الفحم كانت في زمن من الأزمان غابة من النبات غضة نمت وتغذت على الطبقة الدلغانية التي تحتها ويؤيد ذلك انهم وجدوا بفحص الطبقة الدلغانية انها تخللها اثار جذور والياف نباتية . وبفحص الطبقة الفحمية أيضاً وجدوا معظمها أشجاراً كبيرة من السرخس وأنواع من الطحلب والسرو وما شاكل ولكنهم علموا ان معظم مادة الفحم مؤلفة من الياف تلك الأشجار وبذورها فكأن تلك النباتات كانت تنمو وتتساقط أوراقها وأثمارها كل سنة وتتراكم تلك المتساقطات سنة بعد سنة أجيالاً متطاولة ثم تغشاها الرمال أو الاتربة المحمولة اليها بالأمطار أو السيول ثم تنمو غابة أخرى على تلك الأتربة وتتساقط أوراقها وأثمارها ثم تغشاها أتربة أخرى وهكذا على التوالي

فكم يقتضي من الزمن لتكون مثل هذه الطبقات الفحمية من متساقطات هذه النباتات على هذه الكيفية فاحسب أولاً الزمن اللازم لنمو تلك الغابة وكم يقتضي لها من السنين حتى يتألف من متساقطاتها مثل هذه الكثافة من الفحم الصلب ثم كم يقتضي من الزمن لغمر تلك الغابة بالرمال والاتربة حتى تتكون طبقات ترسيبية فان الأتربة انما حملت اليها بالسيول حتى صارت تلك الغابات مستنقعات تغمرها المياه وترسب في قعرها الأتربة ثم كم يقتضي من الزمن لجفاف تلك المستنقعات وتكون غابة أخرى على رواسبها وهكذا على التوالي وقد قدر الدكتور دوسن معدل ما اقتضى لتكوين الطبقات الحجرية فقال ان كل قدم من الفحم الحجري يقتضي أن يكون مؤلفاً من خمسين جيلاً من أجيال النبات وفي بعض مناجم الفحم ما كثافته ١٢٫٠٠٠ قدم من الفحم فقدّر الاستاذ هكسلي الفيلسوف الانكليزي الشهير ان الطبقات الفحمية وحدها تكونت في مدة لا تقل عن ستة ملايين من السنين

والطبقات الفحمية جزء صغير من طبقات الأرض فاعتبر ذلك في كثافة قشرة الأرض البالغة ٢٠٫٠٠٠ قدم مع تقدير ان كثيراً من الطبقات الأخرى تستغرق زمناً أطول كثيراً مما استغرقته الطبقة الفحمية واعلم أيضاً ان بين تكون الطبقة وتكون الأخرى أزماناً طويلة مرت ولم يتكون بها شيء

وزد على ذلك اننا انما نبني أحكامنا على ما اكتشفناه من طبقات الارض ولكن هناك طبقات أخرى لم تصل اليها معرفتنا وخصوصاً ما تغشاه البحار من الأرض

فاننا انما كشفنا ما كشفناهُ من طبقات الأرض في جزء من اليبس ولكن البحار تغمر من الأرض اكثر من ضعفي اليبس فما الذي بينا حكمنا عليهِ الاَّ بمنزلة شذرات صغيرة أو نتف متفرقة من كتاب كبير ضخم وقد قدَّر السير شارلس ليل الجيولوجي الشهير الأدوار الجيولوجية التي تكوَّنت الطبقات الأرضية فيها فبلغت ٢٠٠ مليون سنة على الأقل

هذا ما وصلنا اليهِ من الزمن بالنظر الى تكوُّن طبقات الأرض ولكن الارض برمتها فقرة من كتاب هذا الكون فاذا كانت طبقات الأرض قد تكوَّنت في هذا المقدار من السنين فبكم من الدهور تكوَّنت الأرض وبكم من الدهور تكوَّن النظام الشمسي بتحوله من السدام الى السيارات والثوابت والأقمار ناهيك عن النظامات الأخرى والعوالم الكثيرة مما قد أشرنا اليهِ في كلامنا على المكان

لا يخفى ان الرأي المعوَّل عليهِ في أصل الأرض وسائر الأجرام انها كانت سداماً أي موادَّ في حالة الغازية من شدة الحرارة وان هذه السدام ما زالت تشعُّ من حرارتها في الفضاء على توالي الأزمان حتى بردت فصارت سائلة ثم جامدة ثم ما زالت تبرد شيئاً فشيئاً حتى صارت صالحة لحياة النبات والحيوان فيها ولا ريب ان الزمن الذي استغرقتهُ في تحولها من الحالة السديمية حتى صارت صالحة لحياة الحيوان أطول من الزمن الذي تكوَّنت فيهِ الطبقات بما لا يقدَّر واذا كانت مدة تكوُّن طبقات الأرض تقدَّر بمئات الملايين من السنين فتكوُّن الأجرام السماوية وتحوُّل السدام الى نظامات وعوالم يُقدَّر بألوف الملايين أو بملايين الملايين وفي ذلك من الحكمة الباهرة والموعظة الدالة على قدرة الخالق جلَّ وعلا ما يقصر عن ايضاحهِ وعظ الواعظين ولا تستطيع التعبير عنهُ كتب الدنيا والدين

سنأتي البقية



باب المراسلات

التمدن الاسلامي وبماذا قام

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغر

لا جرم ان تمسك حضرة مناظرنا الفاضل (ر . ن) برأيهِ القائل بقيام الشريعة الاسلامية بالسيف ومحاولتهِ لاثبات زعمهِ باستخراجهِ من قاعدة الجهاد « الاسلام أو الجزية أو السيف » لما يقضي بالاستغراب بعد ان أثبتنا له بصريح العبارة ان مشروعية الجهاد لا تكون حجة على قيام الاسلام بالسيف اذ معنى قيامهِ بالسيف هو الاكراه على قبول الاسلام وقد علم حضرتهُ مما سبق بيانهُ ان الاكراه لم يحصل ولا يحصل في وجه من الوجوه لامتناعهِ في أصل الشريعة ولأن لقاعدة الجهاد أحكاماً تنفي وجود الاكراه كما أوضح ذلك بالنصوص الشرعية حضرة الفاضل الشيخ الالفي مما لا حاجة للعودة اليهِ غاية الامر ان حضرة مناظرنا الفاضل تمسك بظاهر القاعدة في الجهاد الذي اعتبره دعوة الى الدين مع قطع النظر عن الحدود والاحكام المقرَّرة في مشروعية الجهاد والتي تلزمهُ الحجة وتنفي ما توهمهُ وذهب اليهِ ولعلهُ يريد الاشارة من طرف خفي الى استنكار مشروعية الجهاد في الشريعة الاسلامية شأن الباحثين الذين يجبون التنقيب عن كل أمر حتى يصلوا الى حقيقتهِ ومغزاه دفعاً لشبهة الضمير واطمئناناً للخاطر لهذا نقول لحضرتهِ ان مشروعية الجهاد لم تختص بها الشريعة الاسلامية فقط بل سبق ان شرع الجهاد في كلٍّ من شريعة ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولم ينكر عليها ذلك لما انهُ لا يخلو من حكمة أصلية وضرورة داعية وبما ان اثبات ذلك يحتاج الى ايراد النصوص الكتابية والأدلة التاريخية مشفوعة ببيان ما هي الحكمة من مشروعية الجهاد في الشرائع الالهية وهل تمسُّ بجوهرها الحقيقي ام لا وكيف انتشرت الشرائع بين الأمم أليس على الصفة التي انتشرت بها الشريعة الاسلامية وما هي علاقة كل تمدن بالشرائع الى غير ذلك من التحقيقات المزيلة للشكوك المفتقرة للشرح الوافي والايضاح الكافي الذي تضيق عن مثلهِ صفحات

الهلال الأغرّ فقد عزمتُ اجابةَ لداعي الحق ودفعًا لما يخالج الضمائر من هذا القبيل على وضع رسالة خاصة التزم بها جانب الحقيقة في البحث وعدم التحامل في القول توصلاً لبيان حقائق لا يتأتى بيانها بغير التوسع في هذا البحث الجليل والله الموفق

لهذا ارجو من حضرة مناظرنا الفاضل اعتبار جملتي هذه الآن ختام مناظرتنا التي لا يساعد على الافاضة فيها باكثر ما مرّ في الهلال الأغرّ وكل آتٍ قريب

(القاهرة) رفيق العظم

(الهلال) وقد ورد علينا ردّ آخر من حضرة الفاضل الشيخ الالفي كجاري العادة كنا نود درجهُ لولم يختم سعادة رفيق بك المناظرة كما يؤخذ من رسالته فنلتمس من حضرة الفاضلين الشيخ الالفي و (ر . ن) عذرًا على ايقاف المناظرة ريثما تصدر رسالة رفيق بك لعلها تكون وافية بالغرض المطلوب فاصلة لكل خطاب

عار التمدن الغربي . وعدواهُ في الشرق

حضرة الفاضل منشئ الهلال الأغرّ

بينما كنت أُسرّح الطرف في سماء الجزء الخامس عشر من هلالكم الساطع عثرتُ على رسالة رقيقة المباني دقيقة المعاني بعنوان " عار التمدن الغربي " لجناب الشاعر الباتر محمد افندي حسني فرأيت الموضوع عظيم الفائدة سعيد العائدة لمن يتفرنجون من شبان هذا العصر وسيداته فيحذون حذو الافرنج بأزيائهم وملابسهم وبعض عوائدهم التي يمجها ذوق الناقد البصير والعارف بلية الغني وسوء المصير فأُوجهُ خطابي لحضرات الكتّاب الافاضل ان يثابروا على الكتابة في هذا الموضوع الجليل الشأن لانهُ من الأهمية في مكان وجدير. واضعو الشكر والامتنان لعل الذين يجرُّون ذيل المترفة بهذه العوائد والازياء يعلمون انها وان كانت مما يشار اليهِ بالبنان ويفتخر به الزمان لمستهجنة وشنعاء لا تفيد مستعمليها الا الخراب والدمار ولا يزيد بها اهل البداوة الا وقوف نموّ الاجسام وقصر الاعمار

لا أقصد ولا يقصد الكاتب الفاضل أيضًا ان كل عوائد الافرنج مستهجنة وقبيحة لكني أقول بما أنّ الافرنج هم الذين اشتهروا بالسعي وراء الفضيلة وتأييد العمران وامتازوا عن سواهم باكتشافاتهم الجديدة واختراعاتهم المفيدة حتى طار صيتهم في الآفاق

وتعوّد مدلحهم اللسان فأخذت تتنفي آثارهم البلدان وتتزيا بأزيائهم البنات والشبان وزد على ذلك ان كثيرين ما يدخلون لغاتهم في الحديث كأن اللغة العربية ضيقة لا تكفي للتعبير عن الافكار مع كونها واسعة الاطراف تضرب بسعتها الأمثال واذا كان للغربيين عادات ممدوحة فلا يبعد ان يكون لهم عوائد مذمومة ايضاً وان كانوا قد نالوا الشهرة في التمدن والحرّية فلا يستحيل على الشرقيين ان يكون لهم عوائد يمتازون بها عنهم والأحسن لا ينفي الحسن

لم ترُق الأزياء العربية بنظر السيدات الشرقيات فتشبّهن بنساء الغرب ولبسن أزياءهنّ وجهلنَ او تجاهلنَ ما ينجم عن تلك الملابس من الاضرار في أجسامهنّ ونضارتهنّ. علمنَ ان دقة الخصر صفة من أوصاف الجمال فدمجن خصورهنّ بالمشد دمجاً

وضيقنَ المشدّ على خصورٍ فصاح القلب قلّت وارداتي

جعلنَ حذاءهنّ ضيقاً ضنكاً لتصغير أرجلهنّ ورفعنَ كعبهُ عن الارض فوق عادتهِ القانونية لتبلغ قاماتهنّ حد الطول وجعلنَ نعلهُ رقيقاً ليقال هذا النعل خفيف الحمل غالي الثمن ملبوس المترفات ونسينَ رعاهنّ الله ان دمج الخصور والتضييق على الاعضاء يورثان امراضاً عديدة تفضي الى حلول الموت قبل أوانه وقد أعيى هذا اللباس بعض السيدات السوريات فقالت

فليتي متّ في زمني قديماً وليتي لم أرَ المتفرنجات

وتصغير الحذاء ورفع كعبهِ فوق عادتهِ وترقيق نعلهِ يتأتى منهُ مضار جسيمة لا ينبغي السكوت عنها. هذا عدا عن الخسائر الباهظة التي تلحق الانسان بهذه الملبوسات والقيفرى التي تحصل بها. فلولا الغربيون لما ترتبت هذه الخسائر والاضرار على الشرقيين لانهم تشبهوا بهم

ما مهدت مصر وسوريا سبل الرذيلة للمومسات وأباحت الفحشاء الا بعد ان رأتا فرنسا وغيرها من الممالك المتمدنة في اوربا تطلق سراحهنّ وعاينتا شبانها وأكثرهم من أهل السؤدد واليسار قد انغمسوا في الرذيلة وعكفوا على المنكرات بدل ان يسجّلوا العمران بسياج عفافهم ويكونوا مثالاً بالطهارة للمقتفين آثارهم

فهل يجهل الغربيون المتمدنون او يجهل المتشبهون بهم ايضاً انهُ سوف تأتي ساعة يصيبهم ما أصاب دولة الرومان من السقوط والانحطاط يوم عكف اهلها على

الخشاء والرذيلة فذهبت فريسة التهتك والابتذال . وقد استوفى الكلام صاحب الهلال في هذا الموضوع في مقالتهِ المندرجة في العدد الرابع بعنوان «العفاف سياج العمران» وقابلناهُ نحن قرّاء الهلال الساطع بضجيج الاستحسان . هدى الله المنغمسين في الرذيلة للصراط المستقيم ونجانا وإياهم من هذا الوباء الوخيم

ما جرت عادة الشبان الشرقيين في طلب «الدوطة» عند عكوفهم على سرّ الزّواج المقدّس ولا حرّكوا بذكرها بنت شفة الاّ بعد أن رأوها من سنن التمدن الغربي وشرائعهِ فترى شابنا الشرقي عند انتقائهِ ابنة يأتي أهلها ويطلبها رسمياً على شريطة أن تدفع لهُ نقدًا يختلف مقدارًا باختلاف درجة يسار أبيها واقتدارهِ مدعياً ان التمدن الغربي خولهُ هذه الشروط وبئس التمدن ان كان من سننهِ توقيف تناسل النوع الانساني اذ أنهُ أصبح من جراء ذلك زواج الفقيرات أو المتوسطات الحال في كساد ولو كنّ متصفات بالصفات المرضية وزواج المثريات في رواج ولو لم تكنّ حائزات صفات الفقيرات أو المتوسطات . وبات أوّل همّ بحملة الرّجل على عاتقهِ في هذا العصر المتمدن انما هو زواج بناته حتى أن الفقير أو المتوسط الحال في دنياه اذا وضعت امرأتهُ بنتًا يحسب انها وضعت مصيبة تلازمهُ كل حياتهِ اذ انهُ لكي يصون عرضهُ يضطرّ أن تذهب كل مساعيهِ أو معظمها على نفقة زواجها ولو أمسى بعد ذلك أسير الفاقة اذ لا مناص لهُ من اختيار أهون الشرين

فلنمت اهواء النفس للمال في مثل هذه الحال فان الرجال رجال الأعمال وليسوا رجال الآمال ولننظر لما بهِ خير الوطن والهيئة الاجتماعية ولننتخب لمساعدتنا في هذه الحياة النساء الصالحات المتحليات بحلى العلم والآداب العارفات حقوق النساء والرجال الماهرات في تدبير المنزل وتربية الأطفال فان هذه الحلى وتلك المناقب لأعظم جهاز وأحسن دوطة ترتاح اليها النفوس وتروق بها كاس الحياة فالغاية الوحيدة من الامرأة لا الجهاز ولا الدوطة بل أن تلد «اذا رزقها الله» ابناء صالحين يعبدون الخالق ويخدمون السلطان والملة والوطن خدمة الصادق الأمين وأن تشارك رجلها في اتراحهِ وأفراحهِ فيكونا كأنهما جسد واحد كما قال الباري في كتابهِ المقدس وهنيئًا لأهل البادية الذين لم يتقلدوا الافرنج بعد في هذه العادة فانهم ما زالوا على عادتهم القديمة العهد يعطون نقد الابنة ومهرها ولا يكلفون أهلها بشيء مما ألمعت

اليه آنفاً لكن لا يبعد أن تسري جراثيم هذا الداء العياء في البركما هي سارية الآن في اكثر المدن والقصبات

وللغربيين عوائد أُخرى غيرتلك يمجها الذوق السليم ولا يسلّم بها التمدن الحقيقي يتقلدها الشرقيون الآن ولم أتعرّض لذكرها تخلصاً من الاسهاب والاطالة على ان حضرة صاحب الرسالة الفاضل استوفى الشرح وأجاد حق الاجادة

ولا يتنج مما ألمعت اليه اني أذم الغربيين وأمدح الشرقيين اذ لا يختلف اثنان في أن الغربيين ما زالوا مشمرين عن ساعد الكد والجد لتعزيز شأن العلم وهدم أركان الجهل فلا يمرّ بنا يوم لا نطلع على اختراعاتهم واكتشافاتهم في الأخبار العلمية من الهلال الأغر وغيره من الجرائد والمجلات العلمية والأدبية وليس من موضوعنا تعداد مآثرهم المفيدة وأياديهم البيضاء في سبل الانسانية لكنهم وإن كانوا حائزين قصب السبق على غيرهم من الأمم فانّ لهم عوائد مخلة بعيدة عن التمدن الحقيقي لا ينبغي أن يقتفي الشرقيون آثارهم بها

(الحصن) بطرابلس الشام عبد الله سليم بازجي

ميزان للهواء قليل النفقة

حضرة الفاضل منشىء الهلال الأغر

طالما ودّ أهل المزارع والفلاحون معرفة أوقات الزوابع والأمطار قبل حدوثها فجئت بايضاحي هذا لتركيب ميزان هوائي وجيز الثمن لمزارعي وفلاحي الوطن العزيز

وذلك بأن يؤخذ خمسون سنتيغراماً من الكافور ومثل ذلك من ملح البارود وملح النشادر ثم يحل كلّ من هذه المواد على حدة والكافور يحل بوضع زجاجته في الماء الحارّ ثم يعمد الى زجاجة مستطيلة الشكل تُصب فيها هذه المواد وتسدُّ سدّاً محكماً وتختم بالشمع الأحمر وتعلق في موضع متجه للشمال فان ظهر المزيج صافياً دلّ ذلك على الصحو واذا تعكر دلّ على الشتاء وان ظهر في الزجاجة ما يشبه ضباب دلّ على العاصفة واذا ظهر ما يشبه الخيوط من الغيوم فذلك دليل على قرب هبوب الريح . ويدل الضباب الظاهر في الزجاجة على الرطوبة وتغير الحالة الجوّية فاذا ارتفع الضباب الى أعلى الزجاجة دلّ على أن الرياح مرتفعة بطبقات الجوّ

الهلال

الجزء الثامن عشر من السنة الثالثة

(١٥ مايو (أيار) سنة ١٨٩٥) (٢٠ القعدة سنة ١٣١٢) (٨ بشنس سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



عبد الله باشا فكري

ناظر المعارف العمومية سابقاً

(وُلد سنة ١٢٥٠ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ)

هو عبد الله باشا فكري بن محمد افندي بليغ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد وكان الشيخ عبد الله من العلماء المدرسين في الجامع الازهر وكان مالكيّ المذهب أخذ العلم عن الشيخ عبد العليم الفيومي وغيره . وما زال الشيخ عبد الله مقيماً في مصر حتى قدمت الجنود الفرنساوية في أواخر القرن الماضي وأساؤا معاملة العلماء فرحل الى منية خصيب (المنيا) فأقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة وعكف على الاشتغال في العلم حتى توفي فنشأ ابنه محمد افندي بليغ على مثال أبيه جداً في طلب العلم وكانت مصر قد ازدهت بالعائلة المحمدية العلوية وأُنشئت مدارس العلوم الرياضية والمدرسة الحربية فدخلها وخاض عباب علومها حتى تمكن منها فانتظم في خدمة الجيش فترقى الى رتبة صاغقول اغاسي وحضر عدة مواقع حربية أهمها حرب المورة فعقد في المورة على والدة المترجم وعاد بها الى الحجاز فوضعت بمكة المشرفة غلاماً سماهُ باسم أبيه عبد الله وهو عبد الله باشا فكري صاحب الترجمة

ومن غريب الاتفاق ان سنة ولادته وافقت مجموع جمَل الآية « قال اني عبد الله آتاني الكتابَ » وذلك ١٢٥٠ ه وقد وافق ذلك نبوغهُ بالعلم والفضل واشتهاره بسائر فنون الكتابة نثراً ونظماً . وقد أعجب هو أيضاً بهذا الاتفاق فلما شبّ وتعلمّ نقش هذه الآية على خاتم له كان يختم به كتبه ثم عاد محمد افندي بليغ والده الى القاهرة وما زال في خدمة الحكومة حتى نال منصب باشمهندس الشرقية ثم مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وتوفي سنة ١٢٦١ ه

أما صاحب الترجمة فكان عند وفاة والده لم يتجاوز الحادية عشرة فنشأ في حجر بعض أقارب أبيه وكان قد بدأ بتعلم القرآن فأتمه وجوّدهُ ثم اشتغل في طلب العلم في الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة فيه كاللغة والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق على الشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم وكان مع ذلك يشتغل في تعلم اللغة التركية حتى أتقنها وتعين في القلم التركي في الديوان الكتخداني (سنة ١٢٦٧ ه) وهو لا يزال مكباً على طلب العلم في الازهر يغتنم ساعات الفراغ قبل ذهابه الى الديوان وبعد رجوعه منه ثم انتقل من الديوان المذكور الى ديوان المحافظة ثم الى الداخلية بصفة مترجم ثم أُلحق بالمعية السنية على عهد المغفور له سعيد باشا وبقي فيها الى ولاية المغفور له الخديوي الاسبق اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩

ما أبقاهُ في معيتهِ فسافر معهُ الى الاستانة عند ما أمها لاتمام الرسوم في تقليد الولاية وأداء الشكر للحضرة السلطانية وما زال في خدمتهِ يرافقهُ في أكثر رحلاته فسافر الى الاستانة مراراً بهمة الكتابة تارة مع الخديوي الاسبق وطوراً مع الحرم الخديوي وبمهات اخرى فنال الرتبة الثانية مع لقب بك سنة ١٢٨٢ ه

وفي سنة ١٢٨٤ قلدهُ الخديوي الاسبق ملاحظة الدروس الشرقية وهي العربية والتركية والفارسية بمعية أنجالهِ وهم المغفور لهُ محمد توفيق باشا الخديوي السابق والبرنس حسن باشا ودولتلو افندم البرنس حسين باشا عم الجناب الخديوي وغيرهم من امراء العائلة الخديوية

فأقام يباشر أمرهم في التعليم والتعلم والتدرج في الفضل والتقدم فكان أحياناً يباشر التعليم بنفسهِ وأحياناً يقوم بمراقبة غيره من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقويم طريقة التعليم فلم يزل على ذلك الى ان ترقى الخديوي السابق الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة العظمى لأداء رسوم الشكر على ذلك لجلالة السلطان الاعظم فصحبهُ المترجم الى دار السعادة وبقي معهُ الى ان عاد

وفي سنة ١٢٨٦ نقل الى ديوان المالية فأقام أياماً بغير عمل ثم عهد اليهِ النظر في أمر الكتب التي كانت في ديوان المحافظة على ذمة الحكومة وإبداء رأيهِ فيها فلبث مدة يتردد الى ذلك الديوان وينظر في الكتب ثم رفع تقريراً مفصلاً ضمنهُ بيانها وما رآهُ في حالها وذكر فيهِ ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يحفظها ولا يمكن من الانتفاع بها وقال بلزوم جمعها على هيئة ينتفع بها الناس اما بانشاء محل خاص تنقل اليهِ ويجعل فيهِ ما فيهِ الكفاية لها من الخزائن وتوضع بهِ على الوضع الموافق واما باحالتها على المدارس لتودع في المكتبة الجاري انشاؤها بمساعي المرحوم علي باشا مبارك ناظرها اذ ذاك على سعة لا تضيق بهذه الكتب وأمثالها وأوضح ان الوجه الثاني أولى وقد حصل ذلك على وجه ما قررهُ وبذلك استنقذت تلك الكتب النفيسة من زوايا الخمول والاهمال ورتبت ترتيباً حسناً في المكتبة المذكورة وهي الكتبخانة الخديوية الشهيرة في سراي درب الجماميز

وكان المجلس الخصوصي اذ ذاك وقد خلفهُ الآن مجلس النظار مشتغلاً في جمع اللوائح والقوانين وتنقيحها وتعديلها فعهد الى صاحب الترجمة المساعدة في ذلك فاستلم

القوانين واللوائح التركية وأخذ في العمل الى سنة ١٢٨٧

وفي سنة ١٢٨٨ تعين وكيلاً لديوان المكاتب الاهلية والرئيس اذ ذاك المرحوم علي باشا مبارك وفي سنة ١٢٩٤ نال صاحب الترجمة رتبة المتمايز وبعد سنتين تعين وكيلاً لنظارة المعارف العمومية ونال رتبة ميرميران الرفيعة ثم عهد اليه منصب الكتابة الاولى بمجلس النواب مع المنصب السابق وفي سنة ١٢٩٩ تعين ناظراً للمعارف العمومية وفي رجب من تلك السنة أُقيل من منصبه مع سائر زملائه النظار لاحوال اقتضتها الثورة العسكرية اذ ذاك وأمرها مشهور

ثم كانت الثورة العرابية المشار اليها فلما انقضت وأخذت الحكومة في محاكمة زعمائها والقائمين بها كان صاحب الترجمة من جملة المقبوض عليهم وبعد استجوابه لدى لجنة التحقيق ظهرت براءته فأُطلق سراحهُ ولكنهم قطعوا عنه معاشه فشق ذلك عليه فالتمس المثول بين يدي المغفور له الخديوي السابق ليدرأ عنه ما بقي من آثار الشبهة عليه فلم يؤذن له فعاد يلتمس ذلك من وجهة اخرى فنظم قصيدة شائقة يمدح بها الحضرة الخديوية وقد أبان فيها براءة ساحته نحا بها منحى النابغة في اعتذاره وهاك بعضها قال

كتابي توجه وجهة الساحة الكبرى ... وكبّر اذا وافيت واجتنب الكبرا
وقف خاضعاً واستوهب الاذن والتمس ... قبولاً وقبّل سدة الباب لي عشرا
وبلّغ لدى الباب الخديويّ حاجة ... لذي أمل يرجو له البشرَ والبشرى
لدى باب سمح الراحتين مؤمل ... صفوح عن الزلات يلتمس العذرا
تنوء الجبال الراسيات لحلمه ... اذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا
يراقب رحمن السموات قلبه ... فيرحم من في الارض رفقاً بهم طرا
مليكي ومولاي العزيز ويدبه ... ومن أرتجي آلاءه معروفه العمرا
لئن كان أقوام عليّ تقوّلوا ... بأمر فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا

﴿ ومنها ﴾

حلفت بما بين الحطيم وزمزم ... وبالباب والميذب والكعبة الغرا

﴿ ومنها ﴾

لما كان لي في الشر باع ولا يد ... ولا كنت من يبغي مدى عمره الشرا

ولكن محتوم المقادير قد جرى بما الله في أمّ الكتاب له أجرى

ومنها

أتذكر يا مولاي حين تقول لي واني لارجو ان ستنفعني الذكرى
أراك تروم النفع للناس فطرة لديك ولا ترجو لذي نسمة ضرا

ومنها

فعفوًا أبا العباس لا زلت قادرًا على الامر ان العفو من قادر أحرى

ومنها

وحسبيَ ما قد مرّ من ضنك أشهرٍ تجرّعت فيها الصبر اطعمة مرا
يعادل منها الشهر في الطول حقبة ويعدل منها اليوم في طوله شهرا
أيجمل في دين المروءة انني أكابد في أيامك البؤس والعسرا

وكلها درر تشهد بفضل سعادته

ولما عرضت على سموّه أجلها وأحلها محلها وسمح له بالمثول بين يديه وأعاد له معاشهُ دلالة على رضائه عنه . فنظم قصيدة يشكره بها نذكر منها الابيات الآتية وهي :

ألا ان شكر الصنع حق لمنعم فشكرًا لآلاء الخديوي المعظم
مليكٌ له في الجود فخرٌ ومفخرٌ على كل منهل من السحب مرزم
سأشكرهُ النعماء ما عانقت يدي يراعي أو استولى على منطقي فمي

وفي سنة ١٣٠٢ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فلقي من علماء مكة والمدينة وادبائها ما يليق بمقامه من الاكرام والاعظام وكتب في ذلك كتابًا سماهُ الرحلة المكية . وفي السنة التالية شخص لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه سعادة نجله الفاضل امين باشا فكري محافظ الاسكندرية الآن فلقي من العلماء والعظماء هناك ما يجدر بفضله ثمّ سارا الى مدينة بيروت الزاهرة لتبديل الهواء وأقاما فيها شهرًا كان مقامهما فيها منتدى الفضلاء ومشرع الأدباء والعلماء ثم ارتحل الى دمشق فلاقى فيها ما لاقاه في بيروت من الاحتفاء وحسن الوفادة ثمّ عرج الى بعلبك فزار آثارها وسار منها بطريق لبنان الى بيروت فأقام فيها شهرين وعاد الى مصر

وفي سنة ١٣٠٦ انتدبتهُ الحكومة المصرية لرئاسة الوفد العلمي المصري في المؤتمر الذي انعقد في مدينة استوكهلم عاصمة أسوج ونروج وصحبهُ في هذه الرحلة أيضًا

سعادة نجلهِ المتقدّم ذكره عضوًا في هذا الوفد وقبل سفره من اسكندرية احدن اليهِ الجناب الخديوي بالنيشان المجيدي من الدرجة الثانية وقد مرَّ في وفادتهِ المذكورة على تريستا من أعمال النمسا وفينسيا (البندقية) وميلانو من اعمال ايطاليا ولوسرن من اعمال سويسرة وباريس فاقام بها اكثر من عشرين يومًا تفرّج فيها على المدينة وضواحيها وكان اذ ذاك المعرض فشاهد فيهِ من عجائب الصنائع وغرائب الفنون ثمَّ بارحها الى لوندره ومنها الى روتردام ولاهي من اعمال هولاندا وليدن من اعمالها ايضًا وزار مكتبتها الشهيرة وتفرّج على مطبعتها المعروفة بالمطبوعات المشرقية ثمَّ توجه منها الى كوبنهاجن عاصمة الدنيمارك ومنها الى استوكهلم محل مأموريتهِ فنال من العلماء المجتمعين لهذا المؤتمر باستوكهلم وخرستيانيا مزيد الرعاية والتجيل واهداهُ اسكار الثاني ملك أسوج ونروج عند اتمام هذه المأمورية نيشان (وازه) من الدرجة الأولى ومرَّ في العودة من مأموريتهِ على برلين عاصمة بلاد ألمانيا وفيانا عاصمة النمسا فلقي بهما ما لقيهُ في العواصم الأخرى من الاحتفاء . وقد اخذ بعد عودتهِ الى مصر بجمع المواد ويعد المعدات لتحرير رحلتهِ التي وعد بها عن المأمورية وعما رآه في العواصم التي مرَّ بها ولكن منعهُ من استمرار السير في ذلك مرض السكتة الذي اعتراه في شهر رجب سنة ١٣٠٧ فأبقى اتمامها الى ما بعد تمام صحتهِ ولكن عاودهُ بعد ظهر الخميس في ٧ ذي الحجة من السنة المذكورة وهو عائد من ابعاديتهِ بشخوين وتزايد عليهِ رغمًا عما اتخذ لايقاف سيرهِ من الحيطة الصحية حتى وافاه الاجل المحتوم في الساعة الثانية عربية من صباح يوم الاحد عاشر الشهر وهو يوم النحر وشيع محمولاً على هامات الوقار والتجيل تودعهُ المحاجر والقلوب ونظرًا لما كان لهُ من المقام الرفيع لدى المغفور لهُ الخديوي السابق تعطف رحمهُ الله بتعزية أهلهِ وأولادهِ برسالة رقيقة

وكان رحمهُ الله شاعرًا مطبوعًا وكاتبًا فصيحًا وقد نبغ بين الكتبة والشعراء ومصر قليلة الوسائل التعليمية وكان يذهب في انشائهِ مذهب القرون الوسطى من أبناء اللسان مع ميل الى التسجيع

أما رحلتهُ الى المؤتمر فقد عني سعادة نجلهِ الهمام الفاضل بنشرها في كتاب سماهُ «ارشاد الألبا الى محاسن أوربا» في مجلد ضخم طبع بمطبعة المقتطف سنة ١٨٩٢ م وهو جدير بالمطالعة حقيقٌ بالاعتبار لما حواهُ من أوصاف المدن الأوربية وعوائد

أهلها وأخلاقهم وفيهِ شيءٌ كثيرٌ من نظم المؤلف ونثرهِ مما لم ينشر في سواه وابحاث علمية ولغوية وأدبية تدلُّ على سعة العلم وطول الباع

ومن مؤلفاتهِ أيضاً المقامة الفكرية في المملكة الباطنية طبعت في مصر غير مرة ورسالة مطوَّلة الى المرحوم سلطان باشا يحثهُ فيها على نشر العلوم في انحاء الصعيد ونبذة في محاسن آثار المغفور لهُ محمد علي باشا الكبير ولهُ غير ذلك من المقالات والخطب ولهُ في رواية الحديث طرق عديدة وأسانيد سديدة فضلاً عن قصائدهِ الرنانة وقد ذكرنا مثالاً منها



باب المقالات

الرجالُ بالأعمال

بقلم حضرة الاديب جرجس افندي ميخائيل نحاس

وكلُّ من لا خيرَ منهُ يرتجى　　ان عاش أو مات على حدٍّ سوى

جليٌّ لدى كل عارف ان اختلاط الأفراد من لوازم الاجتماع الانساني والعمران فقد خلق كل فرد مفتقراً الى مخالطة ومعاونة بني نوعهِ . ومهما كانت قوة المرء أو ثروتهُ أو معارفهُ لا يسعهُ الاعتزال عن الهيئة ولا يمكنهُ القيام بشؤون نفسهِ ما لم يأخذ من هذا أو يعطي ذاك

ما للقوي عن ضعيفٍ غنى　　لا بدَّ للسهم من الريش

فالناس انما يشتغلون لمعاونة بعضهم بعضاً ولو أتينا على كافة الوسائل التي بها يحصل المرء على قوام المعيشة في هذه الحياة لما وجدنا فيها ما يمكن صاحبهُ من بلوغ غايتهِ بدون معاونة ومعاطاة غيرهِ ولا ما تقتصر فوائدها على منفعة شخصهِ فقط . فالفلاح يشتغل لاستحضار الحاصل للتاجر والتاجر بدون معاملة غيرهِ لا تباع بضاعتهُ والصانع لولا وجود الطالبين ما دارت صناعتهُ والمستخدم انما يحصل على راتبهِ بخدمة

غيره ولا نرى أقرب للدليل على تعبب المشتغل من عمله بالنظر الى عامل يشتغل باجرة يومية فهو انما يتناولها ليعطيها لبائع الطعام واللباس وقس عليه

وكفى بقول الخالق جلّ وعلا دليلاً على حاجة الانسان لمثله اذ جاء في سفر التكوين « ليس جيدًا ان يكون آدم وحده فاصنع له معينًا نظيره »

ولما كان التفاهم من ضروريات هذا الاختلاط وكان كل شيء لا يقوم بلا نظام خص الباري المرء بمزيتي العقل والنطق فبالنطق سهل التفاهم وبالعقل انتظمت امور العالم وبكلتا المزيتين ترفع النوع الانساني عن باقي أنواع مملكته وأصبح بهما حاكماً عليها بأسرها يقود اكبر أفرادها جثة وأشدها قوة قود الأسير الذليل

وبهذه الحالة أصبحت قيمة الحيوان الأعجم عندنا على نسبة هيئته أو منفعته أو ما اختص به من المزايا التي تقربه من جنسنا فالطاووس مثلاً لا قيمة له الاَّ بالنسبة الى حسن رونقه والببغاء قيمتها من درجة نطقها والكلب قيمته من درجة ذكائه أو أمانته أو حرصه على متاع سيده وهكذا لو تتبعنا سائر الأجناس لرأينا ان لكل منها قيمة خصوصية تزيد وتنقص بنسبة الفوائد الناتجة عنه لنا

ومجرّد وجود العقل والنطق في الانسان لا يكفي لجعله في مرتبة اعلى من الحيوان ولو قلنا بذلك للزمنا القول بتفضيل أصحاب الطبقة المتوحشة من سكان المعمورة الذين يأكل بعضهم بعضاً كالاسماك وهمهم ملء بطونهم بالطعام والشرب فيقضون اليوم في السعي الى القوت والتلذذ بالنوم والكسل على انهم يعتبرون عندنا على حالتهم هذه كزيد وعمرو وبالنسبة الينا كالاصفار التي على يسار العدد اذ انهم في درجة يستوون فيها مع الحيوانات بل هذه تفضلهم بما لها من الفضل على نظام الهيئة ولكنهم يتميزون عنها بقبولهم الترقي بواسطة العقل النظري واللسان

اذًا بماذا يفضل الانسان عن الحيوان · الجواب ان الانسان لا يترفع عن الحيوان الاَّ باعمال النفس العاقلة · وتزيد قيمته بزيادة اعماله النافعة التي يظهر تأثيرها في الهيئة التي هو فرد منها كما قال الشاعر

قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه أم أقل

قلنا أوّلاً ان اصحاب الطبقة الهمجية لا قيمة لهم لانهم عديمو الفضل على المجتمع الانساني على اننا لو تروينا في الأمر قليلاً لالتمسنا لهم بعض العذر لان عقولهم لم تترقَّ

بمخالطة من هم اعلى منهم فهماً وهم يسيرون على ارشادهم فيأتون الاعمال الحيوانية عن طيب خاطر وراحة ضمير لسوء الفهم . ولما كانوا جاهلين ان للمرء العاقل افعالاً انسانية لا يتأتى للحيوان اجراؤها ولم يكونوا في حاجة الى غير قضاء مطالب الطبيعة الحيوانية التي يشعرون بها كانت كل اعمالهم انما تجري الى تلك الغاية

فلو راعينا جانب الانصاف وقابلنا بين اولئك و بين كثيرين منا نحن المولودين في مهد النور لرفعنا عنهم اللوم جملة و وضعناه على اعناق هؤلاء اذ نرى كثيرين بيننا نحن القائمين في وسط الشرائع الالهية والقوانين النظامية والمتربين بين طنات الخطب ورنات المواعظ من هم وقرٌ على عاتق الهيئة الاجتماعية وسواء وجدوا او فقدوا لا يهمها أمرهم

فمنهم أرباب الأموال الوافرة والاملاك الواسعة الذين يتصرون فوائدها على نفع ذاتهم ويخصصون كسبها اما لتوسيع دوائرهم أو لملء خزائنهم لا يبالون عاش غيرهم نكداً أو مات جوعاً وهمهم تبجيل الناس لهم بألفاظ الفخفخة والتمليق واعدادهم في مصاف الأغنياء . فهؤلاء لا قيمة لهم ولا لأموالهم وانما هم كعجل الذهب الذي كان يعبده بنو اسرائيل وما فائدة الهيئة الاجتماعية كثرت أموالهم او قلّت

والمال في الكيس لا يمتاز عن حجر كالسيف في الغمد لا يمتاز عن خشب

ومنهم اهل الاسراف والتبذير الذين نبذوا العفاف و باعوا الشرف وانفصلوا عن الانسانية وتلبسوا بالبهيمية وفقدت منهم القوة الحاكمة فاسترسلوا خلف شهواتهم وانساقوا وراء أميالهم وطاب لهم انفاق الصحة والمال والوقت في السكر والفحشاء والمقامرة وأصبحوا لا وازع يزعهم ولا رادع يردعهم

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فهؤلاء لا خير بوجودهم وانما هم كالعضو المضروب بالداء لا يكسب الجسم الاَّ تشوهاً وعفونة فمماتهم أفضل من حياتهم وقطعهم ابقى لرونق الهيئة واوقى لباقيها

ومنهم اصحاب المعارف والفنون الذين يضنون على الناس بها ويعتقدون انهم انما حفظوها لفائدة ذواتهم ولا يلزمهم نشرها وإفادة الجمهور بها فاذا صنف احد الناس كتاباً أو أنشأ مقالة كان محصلها ضمن دائرة فهمهم قابلوها بالتهكم والازدراء قائلين ان هذا أمرٌ مفهوم وان الكاتب لم يأت بشيء جديد كأن الناس كافة على درجتهم

من المعرفة فلام يأتون بشيء من عندهم ولا يكفون عن التنديد بأعمال الغير وبخس الناس أشياءهم وفاتهم انه لو جرى من قلبهم على خطتهم وعدل كل عالم عن التأليف والتصنيف لما وصلت المعرفة اليهم ولا كان للعلم اسم فهؤلاء لا قيمة لهم ولا لعلومهم وانما هم عثرة في سبيل التقدم لانّ العلم بالعمل

انظر الى الطبقة الأولى الملقبة بالمتنورة التي منها أهل المغرب ترَ انها في تاج المجتمع الانساني وعنوانه وأعظمه جاهًا وثروة وعلمًا ورفاهة وتمدنًا وذلك لأنها كلها أعضاء عاملة على احياء مواته دائبة في ترقيته جادة في اصلاحه ولها العناية الشديدة بذلك فترى ذا المال لا يبخل بماله على تعضيد المشروعات الأدبية كعقد الجمعيات وتأسيس المدارس لنشر مبادي الدين والاداب والعلوم بين أبناء الطبقات الأخر وتنشيط الاختراعات المفيدة والصنائع النافعة لنوع الانسان حباً بالانسانية

وترى ذا العلم لا يألو جهدًا عن العمل به رغبة في افادة العموم وتراهم دائمًا يحترمون أهل العلم والاختراع ويقرظون أعمالهم ويقدرونها حقّ قدرها . فهم متأهبون كل حين للافادة والاستفادة ويعتقدون انه بترقي الهيئة العمومية ترقي مصالحهم الخصوصية فرأس مالهم ما لديهم من الأموال والعلوم وتجارتهم العمل بها وربحهم فوائدها والفضل فوق كل ذلك وعليه فلا غرو اذا رأينا أهل الفضل الذين أصبح العالم مديونًا لهم ومقيدًا بفضل أعمالهم واختراعاتهم لم يخرجوا الا من هذه الطبقة ولا عجب اذا عرفنا ان اصحاب الشركات التجارية العظمى والبيوتات المالية الكبرى هم ايضًا ضمن دائرتها

فلو عرف اولئك ان الاقتصار على المنفعة الذاتية أنفع لهم وأربى لأموالهم لما رأيناهم يتهافتون على دخول البلاد المجهولة وغير المجهولة لأعداد المراكز التجارية ولما عندوا الشركات التي تمتد معاملتها مع اناس ما رأوهم ولا عرفوهم ولما نصبوا للعلم منازل كالمكاتب وقاعات الخطب وغيرها ولو قصدنا ذكر الجهات التي دخلتها الأمم الغربية وخالطت اصحابها فعاد ذلك بالنفع على كليهما لطال بنا المقام ولكننا نكتفي بالالماع والاشارة

فاتضح مما تقدّم ان قيمة الانسان بأعماله ولولا ذلك لانطمس اسم الفضل واستوى المفسد والمصلح والعالم والجاهل وأصبح الناس كلهم سواء في الاعتبار واذا كان ذلك

فاين نذهب بفضل كونفوشيوس الفيلسوف الصيني الذي ولد في الأعصر المظلمة بين اناس جهلاء . فاستظهر على الجهول بتعاليمه الباهرة واثرت حياتة في اصلاح بلاده ورفع شأنها على فولتير الفيلسوف الفرنساوي الذي ولد في عصر النور بين اناس علماء . فهيج حب الثورة في قلب أمته وعجل سقوطها بقدحه في الأديان والملوك وكتاباته الثوروية التي كان ينشرها روبسبير على اسماع الجمهور وكانت نتيجتها تقهقر الأمة وسفك دماء كثيرين

وكيف يستوي الخليفة المأمون الذي رفع منار العلم وبرّ أهله وبالغ في اكرامهم وعني بنقل العلم والفلسفة الى اللغة العربية فازهرت شجرة المعارف في عصره واشتغلت العرب من بعده بالعلوم النظرية والطبيعية فخلد له الذكر العطار في صفحات التاريخ بهولاكو ملك التتر الذي أخرب مدارس بغداد وأحرق مكتباتها ورمى بالكتب في الفرات أو بين يتي سيهوانكتي ملك الصين الذي أحرق سائر الكتب والتواريخ ونحو اربعمئة من علماء بلاده بالنار وهم أحياء

وأين نذهب بفضل المشاهير الذين اخترعوا الطباعة واستنبطوا التلغراف والسكك الحديدية والسفن البخارية والاختراعات العلمية التي لم تزل تتواتر الى الآن على أمثالنا نحن المصريين الذين لم يبق معنا الآ الافتخار باسلافنا او التنديد باخواننا

وقد عرفنا كثيرين من اخواننا الوطنيين يعتقدون انهم انما خلقوا للذة ذواتهم فيسعى كل منهم لاحراز العلم في المدارس ليتخذه حرفة للتعيش واذا خرج من دائرة التعليم بذل كل مساعيه للحصول على خدمة ولا يضع امام عينيه الاّ الراتب العظيم الذي به يصبح من اهل اليسار فينفقة على لذته ويقضي حياته بين نعم بالخيرات وجدّ وراء اللذات ولا يرد على بال انه مطالب بافادة الهيئة ولو بقضاء ساعات الفراغ في عمل ينفعها . وكثيرون ايضاً يعتبرون ان قيمة الانسان لاتكون بالمال فقط بل بكرم الاصل ايضاً معتقدين ان هذين هما مجلبة المجد وداعية الفخار في هذا العالم

على ان العاقل من لا يعتمد على الاصل والمال في الحصول على احترام الناس له ويعرف ان كرم الاصل لا تكفل بدوام الكرامة ما دامت المقادير

يوماً تربها خسيس الاصل ترفعه الى العلاء ويوماً تخفض العالي

وانه اذا كان المال يد في الاعتبار وهو عارية تجيء وتذهب فاعتباره يكون

موقوفًا على وجوده و بزول بزواله كما قال الشاعر

المرء في زمن الاقبال كالشجرة والناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا ماتناهى حملها انصرفوا وخلفوها تقاسي الحر والغبره

وخلاصة القول ان قيمة الانسان أعماله وما يحويه شخصه من العلم والادب والفضائل وحسن الأخلاق. فيجب على العاقل ان لا يعيش لياكل بل يأكل ليعيش ويعيش ليفيد ويستفيد



باب المراسلات

عادة مضرة

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

ما أحسن ما كتبتموهُ في الهلال السادس عشر عن تلك العادة المضرة فهي وإن لم تصرّحوا بها أشهر من نار على علم وقلّ من نجا من حبائلها ولكن اضرارها لا تظهر للناس الاّ متى تعاظمت وصارت مرضًا عضالا يعز شفاؤهُ فكم من ادباء قصف غصن شبابهم قصفًا وكم من أصحاء ساقوا المرض اليهم بأنفسهم سوقًا وأعرف شبانًا أصيبوا من آثار تلك العادة بأمراض ذكرتموها في كلامكم هناك وأعرف شاباً أصابه اختلال الشعور حتى أُرسل الى مستشفى المجاذيب وقد حاول أهله وأطباؤهُ منعهُ عن تلك العادة فأغلوا يديه فقطع الاغلال وهو لا يدري فأوقفوا عليهِ الارصاد لا يبرحون مقامهُ وعيونهم ساهرة عليهِ تراقب حركاتهِ وسكناتهِ فلم تمضِ مدة حتى أخذ في الهدوء ورجع صوابهُ اليهِ رويدًا رويدًا ونظنهُ يشفى تمامًا

ومصدر انتشار هذه العادة القبيحة المدارس أو ما جرى مجراها من أماكن اجتماع الاحداث أو الشبان فينتقل الفساد بالعدوى أو بالقدوة فعلى أساتذة المدارس ملاحظة هذا الامر وخصوصًا المدارس الداخلية التي ينام فيها التلامذة اذ هناك يتعاظم

انتشار هذه العادة · وأفضل وسيلة لمنعها ان لا يترك احد التلامذة منفردًا في غرفة ولا يسمح له بالكف عن اللعب في أوان اللعب واذا نام فليجعل يديه خارج الغطاء واذا استيقظ فلينهض حالاً من الفراش وبالجملة يجب ان لا تترك له فرصة للافتكار في أمر. ورؤساء المدارس العارفون بهذا الداء يجعلون اللعب في أوانه فرضًا على التلامذة لا مناص لهم منه كما ان الدرس فرض في أوانه ولا يتركون فرصة لاحد منهم للاختلاء بنفسه وهناك وسائل اخرى يعرفها الاساتذة لا تساعد الحال على التصريح بها هنا

أما خارج المدارس فينتشر هذا الداء بين الشبان المتسودي الاخلاق الذين اذا اجتمعوا لا حديث عندهم الاَّ التغزل والتشبب بذكر الحسان وأقاصيص الغرام ومن أكبر المؤثرات في ارتكاب هذه الرذيلة الخلوة والفراغ من العمل وخلو الذهن من المهام وفي ذلك ما يذكرنا بمقالتكم «ساعات الفراغ» فان تلك العادة من جملة عواقب سوء استعمالها ايضًا وكأني بكم قد أردتم التصريح بذلك وأوقفكم الحياء ولكن الموضوع ذو خطر بهم أمر كل انسان فلا بأس اذا أعدتم الكرة عليه واشبعتموه

فالفراغ من العمل يسوق الى كل الرذائل وخصوصًا هذه فما قولكم في شاب يعود من عمله في دواوين الحكومة بعيد الظهر فيتناول الغداء ولا شغل عنده بعد ذلك الى الصباح التالي فاذا لم يشغل نفسه بالمطالعة او الكتابة او معاطاة صناعة من الصنائع الجميلة او اذا لم يخرج لرياضة جسمه او زيارة اصدقائه بل بقي في غرفته منفردًا فماذا ينقذه من حبائل ذلك الداء · ولا ريب عندي ان هذه العادة المضرة متمكنة في معظم الذين هذا هو نوع معيشتهم

واحسن وسيلة للتخلص من هذه الشراك ان لا يترك الشاب مكانًا للفراغ في عقله او في منزله فان الرأس الفارغ معمل ابليس فاذا عاد من عمله في الديوان او غيره فليعمل عملاً يروّض به عقله اما بالعلم او بالصناعة والصناعة أفضل واذا لم يكن فيه ميل الى ذلك فعليه بالرياضة الجسدية بالالعاب الجمنازية فانها أحسن فاعل في صرف الاميال الشهوانية وتعديل الصحة تعديلاً قانونياً فالرياضة والاعمال الجسدية أحسن وسيلة لمنع هذا الداء وخصوصًا للذين يشتغلون الاشغال العقلية

وخلاصة القول اننا نثني على خطتكم في انتقاء المواضيع المفيدة أدبياً ومادياً وعندي ان كلامكم في «العادة المضرة» على اختصاره سيعود بفائدة لا يأتي بها مجلد

نحن فنلتمس من حضرات الادباء وخصوصاً الاطباء ان لا يحرمونا من نصائحهم في هذا الموضوع فانهُ من الاهمية بمكان وهم أدرى منا بذلك والسلام

(القاهرة) « ر . ن »

اللحوم والأطعمة البسيطة

حضرة الفاضل منشىء الهلال المنير

عثرت على مقالة انكليزية بجريدة الباسفيك بهاث الاميركية بقلم لورا . س . بي فعربتها التماساً للفائدة راجياً ادراجها بجريدتكم ولكم الفضل وهي

لو طالعنا صحف التاريخ القديم والحديث المتعلقة بتناول اللحوم لوجدنا ان السواد الأعظم من الجنس البشري لم يستعملوها ولا عوّلوا عليها الاَّ قليلاً . فالماديون والفرس واليونان والرومان كانوا يغتذون أيام عزهم ورفاهيتهم ببعض الاطعمة البسيطة كالحبوب والفواكه والخضروات ولم تشتهر جنود الفرس بعصر الملك كورش بالشهامة وعلو الهمة الاَّ لتعودهم منذ نعومة اظفارهم بساطة المعيشة اذ لم يكن شرابهم سوى الماء القراح ولا طعامهم الاَّ الخبز والنباتات المألوفة كما يتضح لمن وقف على تاريخ رولين القديم المجلد الاوَّل صحيفة ١٥١ ويظهر من سياق كلام هذا المؤلف الخبير عن السكيثيين انهم اتخذوا الحليب دون سائر اللحوم طعاماً خاصاً لاغنمهم

واليونان كانوا يقضون أغلب حياتهم على محصولات تربتهم البسيطة الاَّ قبيلة منهم اتخذت اللحوم مدة من الزمن فخصوا بين القبائل الاخرى ببلادهم واطلق عليهم لقب أكلة اللحوم وهم البوتيون أما الاثينيون الذين اشتهروا بالعلم والحكمة والفلسفة والاسبارطيون الذين طار صيتهم في الآفاق بالشجاعة وعلو الهمة فلما كانوا يتزودون اللحوم واكثرهم لم يستعملها مطلقاً . واهل اسبارطة في عصر ليكورغوس وبعدهُ ايضاً بمئات من السنين لم يعتادوا سوى ابسط الأطعمة واعمها فكان كلٌّ يعدّ شهرياً ما يتسنى لهُ من الدقيق والتين والخمر والجبن وقدراً صغيراً من النقود لاعداد تلك الاطعمة وطهيها وفي كل ذلك لا نقف على ذكر الغذاء باللحوم . وعلى هذا الاسلوب نشأ الأثينيون بدليل ما نصهُ ايد المؤرخ فقال ان مآدبهم ولباسهم وأثاثهم وابنيتهم وعيشتهم كانت على وجه الاجمال لا تجاوز حد البساطة والدعة ولكنهم أكبوا على

اكتساب الفخر والشهرة العامة ورفع شأن الأمة وبذلوا النفس والنفيس فيما يأول الى شرف ملكهم واستتباب سلطانهم · وليس لنا خبر عن فرسان السباق في الالعاب الاولمبية وعن أشهر المصارعين ايضاً سوى انهم كانوا يقتاتون بيابس التين والجوز والجبن والخبز ممنوعين عن معاطاة الخمر والظاهر ان الغالب في استعمالهم اللحوم كان في زمن الاعياد والولائم التي تعقد حباً بالآلهة والذبائح التي تقرّب على مذابحها لا غير مع ان كثيرين من مشاهير اليونان اتباع فيثاغورس منعوا تناول اللحوم كلية

واستمر اليونان على مثل هذه الحال لا يتناولون الاطعمة الفاخرة حتى اشتهروا في عصر السلطنة الرومانية بحكمتهم وعلومهم فكانوا يحوزون اشرف المراتب ويرقون أرفع المناصب لان الاغذية الخشنة تدعو الى نمو القوى العقلية اما اللحوم وانما كل الدسمة فمن شأنها ضخامة الجسم وامتلاؤه مما يدعو الى ضعف قوى العقل واخمادها كما لا يخفى على كل ذي بصيرة لان ثقل الجسم غالباً مقرون بعدم امتلاك تمام العافية والصحة الطبيعية وقوّة البدن يتوقف عليهما توسيع مجال القوى العقلية

وعوّل الرومان في بدء ايامهم على المعيشة الساذجة لان طعام جنودهم مذ يخرجون الى الحرب حتى يعودوا منها كان حباً مسحوقاً يعرف الآن بالجوز بل وبعد دخولهم عصر الترف مالما نرى أن كثيراً من مشاهيرهم التصدق على استعمال ذلك بالكلية · قال الحكيم سينيكا وهو ... ... يعظم عليكم امر المعيشة بدون الاطعمة اللذيذة المرتبة في اطباق مزخرفة بل يغشاني العجب اذ أراك تزدري لبس بالخبز فقط بل تحاول اقناع النفس بأن نبات الارض انما خلق غذاء للحيوانات مع ان نصيب الانسان منه وافر جداً عدا عما يستخرج منه من الادوية الناجعة التامة الفائدة « فاذا كنت لا تقر بكفاءة الاطعمة البسيطة المناسبة للمعدة لكونها المصححة لما يخلل المعدة من الاطعمة الاخرى فهاك ما قاله هذا الحكيم « وكم من طعام لذيذ دسم دسّ فيه السم في الدسم » واذا احصيت الطهاة النيت أغلبهم مصاباً بعلل مختلفة وادواء متنوعة لاطلاق عنان شهيتهم الى ما تتوق اليه من لذيذ الاطعمة ودسمها

وكم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر ان السم في الدسم

ولو اردت اللحظ الى ما دوّن بالمجلد الاوّل صحيفة ٢٧٤ من الكتاب المدعو « المملكة الوسطى » لوجدت فيه مقابلة بين أغذية أغلب ممالك العالم وعلمت أن

ابسطها طعاماً اشدها بأساً وأ كثرها بسالة وأذكاها فطانة . وخلاصة القول ان ما تقدم وغيره مما نرجئهُ الى فرصة اخرى يدعونا الى نبذ المبدإ القائل بالاكثار من اللحوم لكي تتقوّى ابداننا لما في ذلك من الخطاء الجسيم

(المحلة الكبرى) لطف الله لطفي

ناظر مدرسة الاميركان بالمحلة الكبرى

ملحق بعار التمدن الغربي

جناب الفاضل منشيء الهلال الزاهر

وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ فان رأيت لساناً قائلاً فقلِ

أجل لا مجال أوسع من هذا المجال ولا مقام أولى من هذا المقال فبينما كنت أُسرّح الطرف في منتزهات هلالكم الزاهي وأتملى بحسن ما جاء فيهِ من الزهور اذ قد عثرت في الجزء الخامس عشر على رسالة لحضرة الاديب محمد افندي حسني بالسويس تحت عنوان «عار التمدن الغربي» ولقد أجاد حضرتهُ في رسالتهِ الوجيزة التي قد جمعت فأوعت من مضار التمدن الغربي وسوء نتيجتهِ وقد نبهتني رسالتهُ الى بعض امور مخلة بآداب الغربيين وشططهِ بشأنهم كثيراً وأحب ان أُلحقها برسالتهِ اتماماً للفائدة فأقول :

لا ريب في أن المبارزة والانتحار هما اكبر شاهدٍ على عار التمدن الغربي وأمثلة ذلك عندهم بآلات الحرب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها وانما أذكر مبارزة حدثت في اميركا بغير آلات الحرب لكنها عجيبة وغريبة وموقعها محط الغرائب ومنتهى العجائب وهي ما قيل ان رجلين عشقا فتاة فتنافرا وتشاتما وتقاضيا الى غير السيوف وتحاكما عند غير الرصاص فعينا سلاحها الضرب على آلة البيانو بحيث يستمران كلاهما على نسق واحد وجلسة واحدة وعملٍ واحد بدون ان ياخذا فترة أو راحة الى أن يعجز او يكل أحدهما فيلحقهُ العار ويسمة العجز ثم أخذا بمباشرة ما قد اتفقا عليهِ من ضرب الألحان المحزنة واستمرّا على ذلك مدة ثمانٍ وأربعين ساعة بلا طعام ولا شراب فكان ما ضرب أحدهما مكرّراً مائة وخمسين مرة لحناً واحداً محزناً ثم سقط أحدهما ميتاً شهيد العناد الذي أوجبهُ التمدن عندهم اما الآخر فحمل الى البيت بحالة النزع . أما شهود الواقعة

فقد اعتراهم من الدهشة ما أوصلهم الى درجة الجنون هذا بشأن المبارزة وشر عاقبتها عند متمدني الغرب

ويوجد عند الغربيين من الامور التي تشين بتمدنهم ما لا تقل سوء عاقبته عن سوء عاقبة المبارزة فمن ذلك عادة تقبيل كلٍ من النساء والرجال بعضهم بعضاً في أشهر عواصم اوربا وأميركا وذلك انهُ في عيد القديس فالانتين يتخذ الانكليز وغيرهم نوعاً من النبات المتعرش يسمى عندهم ميسلتو فيقطعون غصناً منهُ يعلقونهُ في مكان بغرفة الاستقبال او غيرها ثم يبتدئون بمبادلة الزيارات فيجتمع أهل البيت منتظرين اصحابهم وزائريهم فيدخل الزائرون شباناً وشابات وكل فتاة تمرُّ من تحت ذلك الغصن يحق لأيٍ كان من الحاضرين من الرجال ان يقوم اليها ويقبّلها ويأخذ يدها بكل حريّة ولو على غير سابق معرفة بينهما وكذا يحق لأية شابة أو امرأة ان تقبّل من تريد من الشبان الذين يمرُّون من تحت الغصن وهم لا يمتنعون من ذلك لانها عادة مباحة عندهم للجميع في يوم ذلك العيد وكثيرون من الشبان ينتظرون مجيء ذلك اليوم بفروغ صبر فيضعون الغصن عمداً في مدخل باب البيت حتى لا تسلم الفتيات من المرور تحت الغصن فيحظون بقبلات وافرة عديدة ممن أرادوا وللشاب حق ان يقبل أية فتاة تمر ولو كانت ابنة الملكة نفسها ولذلك فالشبان يستغنمون تلك الفرصة لقضاء أوطارهم

وكثيرون من المحبين يجتمعون بحبيباتهم في ذلك الوقت وكلٌ يقبّل حبيبتهُ مثنى وثلاث ورباع ما دامت تحت الغصن غير خاشٍ لومة لائم ومن عاداتهم ايضاً في ذلك اليوم ان يكتب الشاب الى من اراد من الفتيات سوآء عرفها ام لم يعرفها عبارات ودية يشوّقها ويستديم عهدها وغير ذلك من العبارات والفتاة أيضاً تكتب لمن أرادت من الشبان عبارات الوداد وأحب كأن تخبرهُ بأنها جميلة ومحمرة الوجنتين وعيونها كالنرجس و . و . و . . . الخ ثم تختم جوابها بامضائها هكذا « لا تنسني » (وهو اسم زهر) وغير ذلك من الكلام الذي يتبرأ منهُ التمدن والآداب والانسانية وقد جرى فعلاً مع مكاتب جريدة لسان الحال في لندن أثناء سياحتهِ هناك حيث قد وصلهُ مكتوب بالصورة المتقدمة من فتاة لا يعرفها

ومن عاداتهم القبيحة التي تلحق العار بتمدنهم عادة الرقص و (البالو) وهي بلا

شك فخ من فخاخ الهوى وشركٌ من أشراكه ينصب لوقوع الشبان فيه اذ من المعلوم أن مجرد وجود السيدات في محافل الرقص بملابسهن الخفيفة وما يظهرنه من سواعدهنّ ومعاصمهنّ لمن أكبر الامور المخلة بالآداب الشرقية فكيف بالرقص معهنّ ومخاصرتهنّ والاخذ بأيديهنّ ثم معاقرة بنت الحان وما يتلو ذلك مما هو مشهور أمرهُ ولا أحب أن أسوّد به صفحات الهلال البيضاء وهذه باريس اكبر عواصم الغرب بل أمّ العالم المتمدن الغربي ومحط رحاله أجل طرفك فيها ملياً فلا ترى الاّ مراسح الرقص والسيدات متهتكات وقد أبيح لمنّ الدخول في كل المراسح اجتذاباً للرجال واتماماً لعار التمدن الغربي وكثيرًا ما نسمع فيها (أي في باريس) أقاصيص العشق وروايات الغرام وأسباب الفساد حتى يخال لك ان ليس بباريس امرأة خالية . هذه نتيجة تمدن الغربيين فتأملوا واذا دام هذا التمدن على هذه الحالة فلا بد من انقلابه كما شهد به في هذه الايام اكبر علماء الغربيين انفسهم وحسبنا شاهداً على انقلابه ما قد حدث في هذه الاثناء من ان كثيرين من الفرنساويين القاطنين بجوار باريس ممن يعدون بالالوف قد سئموا عيشة التمدن الحالي فرجعوا متقلبين الى ما كانوا عليه من قبل التمدن اي عيشة البساطة وفلاحة الارض وزراعتها تخلصاً مما يقاسونه من آلام التمدن كالانتحار والموت جوعاً وغير ذلك مما يمر على مسامعنا كل يوم على اننا لم نسمع والحمد لله ان شرقياً مات جوعاً مهما كانت حالته

ومن عادات الغربيين المتمدنين ايضاً شرب المسكرات التي قد اشتهر أمرهم فيها وشاع حتى سد الاقطار وملأ الاسماع وهذه لندن قاعدة المملكة البريطانية العظمى أينما جلت في شوارعها ليلاً تعثر رجلاك بالسكارى وفيهم النساء والبنات اللائي قد أخذت الخمرة بألبابهنّ فتوسدن الشوارع ومفارق الطرق عثرة لابناء السبيل وعاراً على التمدن والانسانية ولم تحصر اضرار المسكرات في الغرب فقط بل قد سرت الى الشرق ايضاً وذلك لما هو معلوم من ان تمدن أية امة انما ينتشر بانتشار لغتها ورجالها في البلاد الاجنبية ولا يطأ بلاد الشرقيين من الغربيين في بادىء الامر الاّ التجار والبحرية والبحرية أكثر الناس ادماناً على المسكرات وهم لسوء الحظ اوّل من طرق بلادنا فنشروا فيها مبادىء التمدن الفاسد ولو لم يكن للغربيين غير عادة المسكرات هذه لكفى بها دليلاً على فساد تمدنهم ومضاره وليس من شأني الآن البحث عن اضرار

المسكرات لان هذا موضوع قائم بذاته · ومن عوائدهم المذمومة ايضاً التي اقتضاها تمدنهم عادة الكذب في شهر ابريل وهي عادة مباحة عندهم في أوائل الشهر المذكور · اما اضرارها فلا تسل عنها فكم أفقرت عائلات وكم أخربت شركات وخسرتها الملايين من الفرنكات · وعندي ايضاً ان اثارة الحروب لاقل الاسباب او لتنفيذ كلمة في صدر احد القواد او غيره من مجلبات العار على التمدن الغربي لما في الحروب من سفك دماء العباد و بذل الاموال الطائلة لغير سبب داع لذلك فكلما مالت الامة الى حفظ السلام كلما قربت من التمدن الحقيقي

ولعل في هذا القدر من مضار التمدن الغربي كفاية يقتنع بها حضرات القراء دليلاً على عار التمدن الغربي اذ لو شئت بسط الكلام عليه تفصيلاً لضاق بي المقام

على انه يجدر بي قبل ختام الكلام في هذا الموضوع ان اذكر حضراتهم أن ليس كل الغربيين يسلكون بما تقدم فان الطبقات المهذبة منهم واهل التقوى يتجنبون ذلك بالكلية ويجاهرون بمضار تمدنهم و يتمنون لبقية جنسهم الاصلاح وهم يبذلون ما في وسعهم لاقتلاع تلك العوائد الذميمة المحطة بشأن تمدنهم وليعلم كل شرقي ان عند الغربيين من آثار التمدن المحمودة ما يليق بأن يكون حلية له كالاستقامة والامانة والصدق والجد في الاعمال والمحافظة على الوقت وحسن المعاشرة والنظافة وغير ذلك من الصفات التي لا نعد لكثرتها ولا يسعني في هذا المقام الاَّ ان اشدد النكير على الشرقيين لعدم اتخاذهم تلك الصفات المحمودة عن الغربيين فاننا نحن معاشر المصريين خصوصاً قد أخذنا في تقليد عوائد الغربيين فعمينا عن حسناتهم ولم نقلد منها واحدة ولكننا قد أحطنا بكل سيئاتهم ولم نترك منها شاردة فلم نأخذ من عوائد تمدنهم الاَّ ما عاد علينا بالدمار والخراب كالتأنق في لبس البنتالون وتوابعه والجلوس في القهوات وشرب المسكرات والاسترسال في الهوى و · و · و ··· الخ فعاد علينا الامر بالاَّ وبئس المعاد فما ضرَّ لو كنا قد نبذنا القبيح من عوائدهم وتمسكنا بالمليح منها فحبذا لو التفتنا الى هذا الامر الخطير وتلافينا الخطر قبل تلافنا وليس هذا ببعيد علينا وعلَّ الله سبحانه وتعالى ان يأخذ بيدنا و ينظر الينا و يصلح ما اعتلَّ من أحوالنا انه تعالى على كل شيء قدير

« عطاالله اثناسيوس » (مصر العتيقة)

باهة الحيوان

حضرة مدير جريدة الهلال الغرّاء

نرجو درج هذه الرّسالة تفكهة للقرّاء ولكم الفضل

وهي ان رجلاً رأى سلة ملآنة جزرًا في بستانهِ فلما افتقدها ثانية وجد الجزر قد قلّ فقال للبستاني من أخذ من هذا الجزر قال لا أعلم وجلس يراقبها ليعرف السارق وإذا بكلب قد أخذ الجزر من السلة الى فرس في الاصطبل وأطعمهُ اياه فهمَّ بضربهِ فقال سيدهُ لا تفعل لنرى ماذا تكون النهاية · فاستمرَّ الكلب على جلب الجزر الى الفرس حتى فرغت السلة · وكان في الاصطبل فرس آخر ولكن الكلب لم يلتفت اليهِ

(طوخ) « أحد القراء »



السويداء

(السنبلاوين) محمد افندي صادق سليمان

يصيب الانسان أحيانًا ضيق في الصدر فلا يلذ لهُ كلام ولا يرضيهِ حديث مسرًّا كان أو مفرحًا لا يستقر في مكان واحد ساعة واحدة بل لا ينفك ينتقل من مكان الى آخر يصعد الزفرات كأنهُ مصاب بنكبة وهو مع ذلك يعجب لحالهِ لعلمهِ انهُ في حال لا تستوجب هذا الانقباض أو القلق فما سبب ذلك وما علاجهُ

(الهلال) يعبر عن هذه الأعراض في عرف الأطباء بالماليخوليا أو السوداء وقد تزيد أو تقل عما ذكرتم ولكنها ترجع الى وصف واحد وأما أسبابها فكثيرة أشهرها وأبسطها الدسبيسيا او عسر الهضم فان تلبك المعدة يلبك العقل ويضيق الصدر لعلاقة بين الدماغ والمعدة كما أشرنا الى ذلك في مقالة « المعدة بيت الداء » في العدد الاول

من هذه السنة فعلاجها علاج الدسبيسيا بتقليل الطعام وتنظيم أوقاته والكف عن المآكل النشوية كالخبز والبطاطس والرز وما شاكل والاكثار من اكل الخضراوات على أنواعها وخصوصاً في فصل الصيف فان الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء حسناً في أوانه ففي الصيف تكثر الخضراوات فيجب الاكثار منها وهي بالحقيقة افضل مآكل الصيف وفي الشتاء تؤكل حاصلات الشتاء وهكذا في الخريف أو الربيع وبالجملة لا بدَّ من تقليل الطعام وتناول العقاقير المساعدة على الهضم

وقد يكون سبب هذه السوداء تكاثر الهموم وتراكم المشاغل والانهماك بالمصائب وزد على ذلك ان بعضهم اكثر تعرضاً لهذا الداء من الآخرين بحسب الامزجة وانواع المعيشة وطبيعة البلاد وغير ذلك مما لا محل لذكره هنا . وعندنا ان سبب هذه العلة في الاكثر حالة المعدة . وفي التخفيف عنها تخفيف عن الصدر

عمود السواري

(الاسكندرية) غالب افندي محمد طلبات

يوجد خارج مدينة الاسكندرية بالقرب من مقابر أموات الاسلام (بجهة باب سدرة) على تل عال عمود من الحجر ضخم جداً علوه تقريباً ثلاثون متراً يسمونه عمود السواري ويزعمون ان داخله طريقاً الى اهرام الجيزة فنرجو الافادة هل يوجد هذا الطريق حقيقة ومن أقام هذا العمود وما السبب لقيامه ولماذا سموه عمود السواري

وبالقرب من هذا العمود بعض التماثيل ملقاة على الارض من حجر مزرق اللون وهي نحو اثنين وثلاثين تمثالاً نرجو ان تفيدونا عنها ايضاً ومن عهد من هي

(الهلال) عمود السواري قائم جهة باب سدره كما ذكرتم ويسميه الافرنج ومن جاراهم عمود بومبي نسبة الى بومبيوس القائد الروماني الشهير زعماً منهم انه نصب على اسمه ولكن الجمهور على انه نصب على عهد ديوقليطيانوس الامبراطور الروماني في أواخر القرن الثالث للميلاد حفظاً لذكره . والعمود مؤلف من قمة واسطوانة وقاعدة وكلها من حجر الغرانيت والاسطوانة أجود سائر الاجزاء صنعاً حسنة الصقل واما القاعدة والقمة فهي من نوع حجر الاسطوانة ولكنها أقل صقلاً والقاعدة قائمة على دكة يظهر انها مؤلفة من أحجار أقدم عهداً في البناء من أحجار العمود فهي بقايا هيكل قديم

على واحدة منها اسم بسامتيك الأول أحد فراعنة مصر

أما سبب اقامة هذا العمود فالظاهر انهم لم يأتوا به الى ذلك المكان لمجرد تصبيته على اسم ديوقليطيانوس ولكنه كان هناك مع أعمدة كثيرة من نوعه يتألف منها بناء هائل مثل هيكل أو مدرسة أو ما شاكل ذلك وقد زار هذه الديار من علماء العرب في أواخر القرن السادس للهجرة الرحالة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي فوصفه وصفاً يقرب من الصواب وهاك نص مقاله

ورأيت بالاسكندرية عمود السواري وهو عمود أحمر منقط من الحجر الماتع الصوان عظيم الغلظ جداً شاهق الطول لا يبعد أن يكون طوله سبعين ذراعاً وقطره خمس أذرع وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة اخرى عظيمة وارتفاعها عليه يهندم يفتقر الى قوة في العلم برفع الاثقال وتمهر في الهندسة العملية وأخبرني بعض الثقات انه قاس دوره فكان خمسة وسبعين شبراً بالشبر التام

« ثم اني رأيت بشاطىء البحر مما يلي سور المدينة اكثر من أربع مائة عمود مكسرة انصافاً وأثلاثاً حجرها من جنس حجر عمود السواري على الثلث منه أو الربع وزعم أهل الاسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السواري وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان والياً عن يوسف بن أيوب فرأى هدم هذه السواري وتكسيرها والقاها بشاطىء البحر زعم ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة أو ان يمنع مراكب العدو ان تسند اليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة

« ورأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها وأرى انه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده وانه دار العلم الذي بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه » (انتهى)

وجاء بعده الامام تقي الدين المقريزي صاحب الخطط المشهورة فوصفه مثل وصف البغدادي وربما أخذ عنه أيضاً

أما الطريق من العمود الى اهرام الجيزة تحت الارض فلا دليل على وجوده ولعل

سبب شيوع ذلك عنه ما يشاهد حوالي العمود من السراديب والمجاري وهي في الاصل مصارف وصهاريج للمياه في الاسكندرية القديمة بنيت من عهد البطالسة ولا تزال آثارها باقية في جهات كثيرة من الاسكندرية وتحت قاعدة العمود واحدٌ ربما حسبوهُ نفقاً مؤدياً الى مكان بعيد فحملهم الوهم على الظن انهُ بين العمود والاهرام ولا نعلم سبب تسميتهِ عمود السواري

أما التماثيل التي قلتم انها ملقاة على الارض حوالي العمود فلا وجود لها ولكننا شاهدنا حول العمود قطعاً كبيرة من الغرانيت متبعثرة على غير نظام وهي بقايا أعمدة أو رواقات كانت قائمة هناك وتساقطت لسبب من الاسباب

البلهارسيا

(ميت غمر) الشيخ احمد الجوهري بكفر الشيخ

عندنا شاب في الثالثة والعشرين من سني عمره مصاب بمرض منذ عشر سنوات فاكثر وذلك انهُ اذا بال عقب البول بعض قطرات من الدم وفي بعض الأحيان يعقب البول قطعة دم جامدة فلهذا جئنا نسأل حضرتكم ما اسم ذلك الداء وما هو سببه لا زلتم ملجأً لكل طالب

(الهلال) يغلب على الظن ان الشاب المشار اليهِ مصاب بداء يعرف بداء البلهارسيا وهو داء مصريٌّ ينتج من شرب ماء النيل بلا ترشيح واعراضهُ تشبه ما ذكرتم عن عليلكم . والبلهارسيا اسم لديدان دقيقة ذات فمين تلتصق بالسطح الباطن من المثانة فتسبب نزول الدم وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى الدكتور بلهارز مكتشفها ويظن ان وطنها الاصلي بلاد العرب وقد قرأنا رسالة للدكتور الفاضل أسعد افندي الحداد نزيل الاسكندرية نشرت في المقتطف سنة ١٨٨٥ قال فيها انهُ عثر مع الدكتورين ماكي وموريسون على بويضات البلهارسيا في الرئتين ولعلها كانت منتشرة في سائر اجزاء الجسد كالقلب والامعاء والطحال والاوعية الدموية . وللاطباء كلام طويل في البلهارسيا لا محل له هنا وانما يهمنا من أمره ان الاعراض التي ذكرتموها يغلب ان تكون ناتجة عن هذا الداء ، ولا بدَّ لتحققهِ من فحص البول بالميكروسكوب فلا غنى في ذلك عن مشورة الطبيب

(الهلال) لا شيء ينسينا فضل البستاني ونحن لا نزال نجني ثمار غرسهِ واما تأخرنا عن درج ترجمة حالهِ فسببهُ عدم عثورنا على رسم له لائق ولا تمت لدينا مواد ترجمة حالهِ مع اننا سعينا في ذلك جهدنا والتمسناه من مصادره ولا ندري وجه الظن بهِ ونحن انما نريد نشر مآثر هذا الفاضل اقرارًا بفضلهِ وقدوة لغيره فعسى ان لا يحرمنا حضرات الجالهِ الكرام من الحصول على رسمهِ وترجمة حالهِ ونحن نطلب ذلك باسم حضراتِ القراء فان حضرة المقترح ليس أوَّل من أوعز الينا بنشر مآثر هذا الفاضل

فيكتور عمانويل

(بيروت) سليم افندي دياب

نرجو درج تاريخ حياة الملك فيكتور عمانويل الايطالياني وذكر غاريبالدي معهُ في مجلتكم الغرَّاء لانهما من مشاهير الرجال

(الهلال) نجيب على اقتراحكم في هلال آخر

الدراويش أو الفقراء

(القاهرة) محمد افندي سليم

كثيرًا ما نشاهد أُناسًا بلباس الفقراء مختلفي الزيّ واللغة والوطن يسمون أنفسهم دراويش وبعضهم يسمون أنفسهم فقراء ونرى منهم جماعات على خلاف ذلك يقيمون الصلاة ويحيون الليالي بالأذكار ودينهم الاسلام منهم جماعة الدراويش الذين يقضون بضعة أشهر في مكان معروف بهم بالقرب من القصر العيني بالقاهرة يذكرون على طريقة خاصة بهم ومنهم جماعات أُخر تعرف كل منها باسم خاص بها فما أصل هذه الطرائق وكم هي وما هو منشأُها

(الهلال) الدراويش او الفقراء اسمان مترادفان فان دَرْوِيش لفظة فارسية مشتقة من دار بالفارسية (باب) ويراد بها من يجوّل من باب الى باب للسؤَال ويراد بذلك افتقارهم الى رحمة الله والتماس النعمة منهُ فهم فقراء من هذه الحيثية لا من حيث الفقر المالي

وينقسم الفقراء أو الدراويش الى قسمين عظيمين الفقراء حسب الشريعة ويسمون باشرع (بالشريعة) وفقراء بلا شريعة ويسمون (بي شرع) أي بدون شريعة والقسم الاوّل يسيرون حسب الشريعة الاسلامية وأما الثاني فلا يسيرون على شريعة ولكنهم مع ذلك يدعون أنفسهم مسلمين ويسمى أصحاب القسم الأوّل أيضاً السالكين يريدون انهم سالكون في الطريق الى السماء وهذا أصل تسمية تقاليدهم واعمالهم طرائق كما سترى . وأصحاب القسم الثاني فئتان فئة تعرف بالازادية أي الاحرار من (ازاد) بالفارسية أي حروفئة تعرف باسم المجاذيب

فالسالكون هم أهل الطرايق المعروفة الذين يقيمون الأذكار ويقولون انهم تناولوا تلك الطرايق بالتسلسل (أو السلسلة) من الخليفة أبي بكر والامام علي . أما عدد الطرايق وانواعها فلا يستطاع حصرها بالتدقيق لكثرتها وتشعبها وكتمان تعاليمها فهي من هذا القبيل مثل جماعة الماسون لا يبحون بتعاليمهم أو تقاليدهم الاّ للمقبولين في جمعيتهم رسمياً ولكن المعلوم عن التعاليم الدرويشية انها من تعاليم أهل التصوف يظهرونها للناس بكيفية تعرف بالذكر وهو ما نشاهده من أساليب الذكر المشهورة

وقد بحث العلماء في أصل الطرايق الباقية منها وتاريخ نشوئها فوصلوا بالاستقراء والبحث الى أن أقدمها الطريقة العلوانية التي تأسست في جدة سنة ١٤٩ هـ نسبة الى الشيخ علوان مؤسسها أما قبلها فلا يخلو ان تكون قد نشأت طرايق اخرى واندثرت وبعد العلوانية ظهرت الطريقة الادهمية في دمشق سنة ١٦١ هـ نسبة الى ابراهيم ابن أدهم ثم ظهرت طرائق اخرى عرفت كل منها باسم زعيمها وآخرها الطريقة الجمالية تأسست في الاستانة العلية سنة ١١٦٤ هـ نسبة الى مؤسسها جمال الدين

وهاك جدولاً يتضمن أشهر الطرائق المعروفة وعددها ٣٢ طريقة مرتبة حسب سني ظهورها مع ذكر اسم مؤسسها ومكان تأسيسها والسنة التي تأسست فيها

(أنظر الجدول في الصفحة التالية)

اسم الطريقة	اسم مؤسسها	مكان التأسيس	سنة التأسيس هجرية
العلوانية	الشيخ علوان	جدة	٠١٤٩
الادهمية	ابراهيم بن ادهم	دمشق	٠١٦١
البسطامية	بازيد بسطامي	جبل بسطام	٠٢٦١
السقاطية	سري السقاطي	بغداد	٠٢٩٥
القادرية	عبد القادر الجيلاني	بغداد	٠٥٦١
الرفاعية	السيد احمد الرفاعي	بغداد	٠٥٧٦
السهروردية	شهاب الدين	بغداد	٠٦٠٢
الكبراوية	نجم الدين	خوارزم	٠٦١٧
الشاذلية	ابو الحسن	مكة	٠٦٥٦
المولوية	جلال الدين الرومي	قونيه	٠٦٧٢
البدوية	السيد احمد البدوي	طنطا	٠٦٧٥
النقشبندية	بير محمد	قصر عارفان	٠٧١٩
السعدية	سعد الدين	دمشق	٠٧٣٦
البكتاشية	حاجي بكتاش	كيرشهر	٠٧٥٦
الخلوتية	عمر الخلوتي	قيصرية	٠٨٠٠
الزينية	زين الدين	الكوفة	٠٨٣٨
البابية	عبد الغني	ادرنة	٠٨٧٠
البهرامية	حاجي بهرام	انكورة	٠٨٧٦
الاشرفية	الاشرف الرومي	شين ازنك	٠٨٩٩
البكرية	ابو بكر وفى	حلب	٠٩٠٢
السنبلية	سنبل يوسف بلوي	الاستانة العلية	٠٩٣٦
الجلشانية	ابراهيم جلشاني	القاهرة	٩٤٠
الاغت باشية	شمس الدين	مغنيسيا	٠٩٥١
الام سنانية	شيخ ام سنان	الاستانة العلية	٠٩٥٩
الجلوتية	بيرافندي	بورصة	٠٩٨٨

اسم الطريقة	اسم مؤسسها	مكان التأسيس	سنة التأسيس هجرية
الاشاكية	حسن الدين	الاستانة العلية	١٠٠١
الشمسية	شمس الدين	المدينة	١٠١٠
السنان امية	عالم سنان امي	الوبلي	١٠٧٩
النيازية	محمد نياز	لمنوس	١١٠٠
المرادية	مراد الشامي	الاستانة العلية	١١٣٢
نور الدينية	نور الدين	الاستانة العلية	١١٤٦
الجمالية	جمال الدين	الاستانة العلية	١١٦٤

والمعوّل عليهِ عند أصحاب هذه الطرق ان ثلاثة منها وهي البسطامية والنقشبندية والبكتاشية قد تناولت تعاليمها وطرقها عن الخليفة أبي بكر وسائر الطرق الاخرى تناولتها عن الامام علي

ولا يسعنا المقام لتفصيل حال كل من هذه الطرائق مع ذكر شيء عن مؤسسيها وربما عدنا الى ذلك في فرصة اخرى

لغز

ما اسمٌ رباعيُّ الحروفِ ثلاثة ... أسماؤُهُ تزدان في أشكالهِ
ينبيك عن بعض الحقائق وهو لم ... ينطق ببعض اللفظ في أقوالهِ
ومن العجائب وهو أوّل ناقص ... كل الورى شهدت لهُ بكمالهِ
للناس طرًّا والأجانب كلهُ ... فاذا عبثت بوضعهِ فلآلهِ
يدعو الى الأعداء وهو مشوشٌ ... اللهُ اكبر مثل صبٍّ والهِ
النصفُ منهُ سل بهِ تلق المنى ... وبعكسهِ المجرور في أذيالهِ
وبنصفهِ الثاني أبن وبقلبهِ ... يا ذا الحجى انني منتهى أمالهِ
ذو أوّلٍ معناهُ أربع أحرُف ... فاعجب لهذا الاسم في أحوالهِ
وبفعل ثانيهِ ألا يا طالما ... عند الوشاة لقيتَ من أهوالهِ
وبثالثٍ منهُ ترى إلفَ الهوى ... يهديك بالتحريك عن تمثالهِ
أو رُمتَ رابعهُ ليبدو ظاهرًا ... فاليكَ في ثانيهِ لاح بحالهِ

الهلال

الجزء التاسع عشر من السنة الثالثة

(١ يونيه (حزيران) سنة ١٨٩٥) (٨ الحجة سنة ١٣١٢) (٢٥ بشنس سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



السيد اقليميس يوسف داود

رئيس اساقفة دمشق على السريان

(ولد سنة ١٨٢٩ وتوفي سنة ١٨٩٠ م)

هو يوسف بن داود بن بهنام من عائلة زبوني ولد في العمادية من بلاد كردستان على مسافة ثلاث مراحل من الموصل وأصل عائلته من الموصل فلما بلغ الخامسة من عمره عاد به أبوهُ اليها فتلقى مبادئ العلوم في بعض المدارس الابتدائية فأظهر من النجابة والذكاء ما جعله في مقدمة رفقائهِ التلامذة ثم اتفق بعض ذوي الفضل وفي مقدمتهم الاب يوسف والركا (الذي صار بعد ذلك بطريركًا اورشليميًا على اللاتين) على ارسالهِ الى المدرسة الاربانية برومية للتبحر في العلوم اللاهوتية ونيل رتبة الكهنوت فبرح الموصل سنة ١٨٤٥ ولهُ من العمر ١٦ سنة فمر ببيروت وقضى بمدرسة غزير بضعة اشهر ثم سار الى رومية وهناك اكبَّ بكليتهِ على اكتساب العلوم على انواعها وفيها العلوم النحوية والبيانية والبديعية والمنطق والطبيعيات والكيمياء والرياضيات والجبر والهندسة والمساحة والجغرافية والفلك والفلسفة العقلية والأدبية واللاهوت الأدبي والنظري والفقه الكنسي والتاريخ البيعي والموسيقى وعلم الكتاب المقدس وتعلم من اللغات اللاتينية والايطاليانية والعبرانية واليونانية والافرنسية والانكليزية والالمانية واكمل اللغة السريانية والعربية والكلدانية وذاع خبر نجاحهِ وذكائهِ وامتيازهِ على اقرانهِ فوقع نزاع بين الطائفتين الكلدانية والسريانية من أجلهِ فادعت كل منها انهُ من ابنائها رغبة في اكتساب خدماتهِ ولما طال النزاع خيروهُ في الانحياز الى احداها فاختار الطقس السرياني وفي سنة ١٨٥٥ سيم قسيسًا للسريان

وفي منتصف سنة ١٨٥٥ غادر رومية قاصدًا الموصل فوصلها في اواخر تلك السنة واستلم الاعمال الكهنوتية وجعل يعظ ويعلم ووجَّه انباهة بنوع خاص الى المدارس لعلمهِ ان التعليم اساس كل فضيلة فاسس بالموصل سنة ١٨٥٦ مدرسة بالاتفاق مع الآباء المرسلين الدومنكيين كان يعلم فيها النحو والصرف بالعربي ومبادئ اللغتين الايطالية والفرنساوية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والموسيقى ثم انشأ المرسلون الدمنكيون مدرسة عالية كان هو استاذها الأول فاتت بفوائد يذكرها العارفون ويقال بالاجمال ان جميع كهنة الموصل ونواحيها كانوا من تلامذتهِ او تلامذة تلامذتهِ. ونظرًا لقلة المؤلفات التدريسية اذ ذاك اضطر الى تأليف الكتب اللازمة للتدريس وقد طبعت بعد ذلك وسنذكر بين مؤلفاتهِ وكان مع كل ذلك لا يغفل لحظة عن رعاية رعيتهِ والقيام بواجباتهِ نحوهم دينيًا وأدبيًا

وفي سنة ١٨٦٢ ترقى الى رتبة الخورفسقفس وعهدت اليهِ النيابة العامة على الابرشية

وفي سنة ١٨٦٧ اوعز اليهِ بأمر البابا بيوس التاسع ان يكون مستشارًا في اللجنة المعينة لاعداد الامور المتعلقة بقوانين الكنائس الشرقية وتواريخهن وهي احدى اللجنات الخمس التي اقامها البابا استعدادًا للمجمع الفاتيكاني المسكوني الذي كان في النية التامه وان يستنسخ ما يقع في يدهِ من الكتب الخطية السريانية والعربية فقام بمهمته حق القيام حتى استدعي سنة ١٨٦٩ الى المجمع الفاتيكاني فسار وحمل معهُ ما كان قد استنسخهُ من الكتب النفيسة الى مكتبة مدرسة البروبغندا وكان رحمهُ الله في جملة اللاهوتيين العظام في ذلك المجمع وهو العضو الشرقي الوحيد هناك وقد سمي ترجمانًا فيهِ فنال على اثر اعمالهِ هذه شهرة عظيمة جدًّا وكان لا يضيع فرصة لا يؤلف فيها او يطالع

وفي سنة ١٨٧٠ عاد الى الموصل وعمل على تصحيح ترجمة التوراة العربية بمقابلتها على الترجمات السريانية واليونانية واللاتينية والعبرانية وعلق الحواشي على بعض الآيات الغامضة وقد طبعت هذه الترجمة في مطبعة المرسلين الدومنكيين بالموصل مرتين وراجع ايضًا الترجمة السريانية البسيطة وطبعها بالمطبعة المذكورة باحرف كلدانية ولولا هذه الطبعة لفسدت الترجمة البسيطة

وفي سنة ١٨٧٦ توفي المطران يعقوب حلياني اسقف دمشق على السريان وبقيت طائفة السريان هناك بلا اسقف سنتين وفي سنة ١٨٧٨ انتخب صاحب الترجمة اسقفًا لها باجماع الطائفة وتحريض البطريرك ولكنهُ كان ميالاً الى الابتعاد عن مهام الاسقفية لعلمهِ بما يترتب على قبولها من التبعة وكثيرًا ما عرضت عليهِ قبل ذلك ولم يقبلها اما هذه المرة فاعتذر وتردد مدة حتى ملّ المكاتبة وورد عليهِ كتاب من البطريرك يقول فيهِ «ان الحضرة البابوية تريد منك ان تذعن لصوت الجمهور وتسلّم للارادة الالهية التي تدعوك لتلك الوظيفة السامية وان تقبل الانتخاب» فلم ير بدًّا اذ ذاك من القبول فسار في اوائل سنة ١٨٧٩ من الموصل الى دمشق لتولي مهام منصبهِ الجديد وقد غادر الاهل والخلان والرفاق والجمعيات والمدارس والاخويات والكنائس والمطابع وأكثرها من غرس يدهِ وهو لم يكد يجني ثمار اتعابهِ فمرَّ

بحلب وهناك رقي الى رتبة الاسقفية ولقب اقليميس فصار من ذلك الحين يدعى السيد اقليميس يوسف داود وسار من حلب الى دمشق ولا تسل على فرح الدمشقيين بنيل تلك الامنية التي لم يكونوا يرجون الحصول عليها لعلمهم باباءه قبلاً عن قبول الأسقفية

أما هو فاخذ يدبر شؤون الطائفة بهمة ونشاط فأنشأ الاخويات ومجلساً طائفياً للنظر في امور الابرشية وشيد بعض الكنائس ورمم البعض الآخر وانشأ كثيرًا من المدارس الصغيرة للقرى ووجه التفاته الى جمع الكتب فجمع مكتبة يعز وجود مثلها لما حوته من الكتب الخطية المتعلقة بالمشرق التي يندر وجودها واخذ في التأليف والتصنيف واصلح الكتب الطقسية فعانى في اصلاحها مشقات جسيمة

ومما لا تنساه الطائفة السريانية سعيه في انشاء مجمع السريان اللبناني فانه هو الذي هيأ مواده والمجمع المذكور انعقد في الشرفة بلبنان سنة ١٨٨٨ ونظر في أحوال الطائفة السريانية وضبط امورها الطقسية وقوانينها الشرعية وكانت الطائفة قد حاولت عقد هذا المجمع غير مرة ولم تفز بالأمر على يد هذا المناضل

وفي اوائل سنة ١٨٨٩ اصيب رحمة الله بداء القلب فقاسى فيه أهوالاً جسيمة وفي ٤ اوغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ توفي الى رحمة الله وله من العمر ٦١ سنة وبضعة اشهر فشيعت جنازته باحتفال عظيم جدير بمقامه حضره اساقفة سائر الطوائف وكهنتها والاعيان والوجهاء واصحاب المناصب ودفن بجوار سلفه المطران يعقوب في الخورس السرياني بدمشق

(مؤلفاته)

لصاحب الترجمة مؤلفات كثيرة بين مطبوع وغير مطبوع في لغات مختلفة وهاك أسماء مؤلفاته التي طبعت مع اسم اللغة التي الّفها فيها

(١) كتاب التمرنة في الأصول النحوية مع مقدّمتين في اصول الكتابة والقراءة (مجلدين) عربية

(٢) التمرين في التمرنة (مجلدين) «

(٣) غراماطيق افرنسي مع الشرح العربي فرنسية عربية

(٤) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية مع الشرح العربي (بطريقة جديدة

اي بالمقابلة مع اللغة العربية واللغة العبرانية خاصة وافتتحه بمقدمة في تاريخ اللغة السريانية وكتابتها وفضلها وقد راجعه وزاد عليه ليطبع طبعة ثانية) سريانية عربية

(٥) نحو اللغة السريانية مع الشرح اللاتيني لاتينية

(٦) نبذتان في العروض والشعر (الحقهما بكتاب التمرنة) عربية

(٧) مدخل الطلاب في علم الحساب (مختصر) «

(٨) تروض الطلاب في علم الحساب (مطوّل) «

(٩) علم الجغرافيا «

(١٠) التواريخ البيعية «

(١١) مختصر التواريخ البيعية «

(١٢) تاريخ مجمع السريان اللبناني المعقود سنة ١٨٨٨ في الشرفة افرنسية

(١٣) بيان رئاسة بطرس زعيم الرسل وخلفائه الاحبار الرومانيين من تقليد البيعة السريانية (طبع رومة) لاتينية

(١٤) مقالة في تعليم البيعة السريانية في انبثاق روح القدس سريانية

(١٥) خطبة تاريخية في رئاسة بطرس الرسول مع تأييدها بنصوص من آباء الكنيسة السريانية عربية

(١٦) التصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وماجاورها (وفيه شرح طويل عن الطقوس المسيحية وقد اضاف اليها زيادات شتى مفيدة ليطبع ثانية) عربية

(١٧) بيان طقس البيعة الانطاكية السريانية ونافورتها افرنسية

(١٨) المقابلة بين نافورة القديس يعقوب المستعملة عند السريان ونافورة القديس يوحنا فم الذهب المستعملة عند اليونان (ويخللها شرح طويل عن الطقوس اللاتينية والكلدانية والارمنية والمارونية والحبشية والقبطية) افرنسية

(١٩) مقالات شتى طقسية وتهذيبية ألفها وطبعها في رومية في اثناء المجمع الفاتيكاني لاتينية ايطالية

(٢٠) بيان لغة اهل دمشق العربية في ايامنا افرنسية

(٢١) بيان اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح على الارض. «

(۲۲) بحث عن لغة أهل سوريا وفلسطين حين ظهور اللغة العربية فيها وبيان انها كانت اللغة السريانية افرنسية
(۲۳) مواد مجمع السريان اللبناني المعقود في الشرفة عربية لاتينية
(۲٤) طقوس جديدة بموجب الطقس السرياني لجملة اعياد مستحدثة في البيعة الكاثوليكية سريانية
(۲٥) كلندار عام للبيعة السريانية على مدار السنة عربية
(۲٦) كلندار عام لجميع الطقوس غربية وشرقية (الحقة بكتاب تحفة الزهور) عربية
(۲۷) نبذة من القوانين البيعية لكهنة ابرشية الموصل »
(۲۸) المقدمة والنتيجة في الخطبة والزيجة »
(۲۹) الكنارة الصهيونية (تراتيل للعزة الالهية والقديسين وقد راجعة ونقحة لطبع طبعة ثانية عربية وسريانية
(۳۰) خدمة القداس الالهي » »
(۳۱) فهرست القراآت من العهدين القديم والجديد التي تقال على مدار السنة بحسب الطقس السرياني عربية
(۳۲) تروّض في آلام المسيح لكل يوم جمعة من الصوم الكبير »
(۳۳) الرسالتان الأولى والثانية »
(۳٤) انشاء الرسائل »
(۳٥) التعليم المسيحي »
(۳٦) التصاريف العربية »
(۳۷) تصاريف الافعال الكلدانية كلدانية
(۳۸) كرّاسة الاشتقاقات عربية
(۳۹) تعليم القراءة السريانية »

وهذه أسماء مؤلفاته التي لم تطبع

(٤٠) جامع الحجج الراهنة عربية
(٤١) تاريخ السريان »

(٤٢) علم الهندسة عربية

(٤٣) علم الجبر »

(٤٤) بيان أغلاط ترجمة العهد الجديد العربية التي انشأها البروتستنت في بيروت عربية

(٤٥) رياضة درب الصليب (وهي مؤثرة للغاية) »

(٤٦) مجموع خطبه أو مواعظه الدينية (هي كثيرة جدًّا وشائقة ببلاغتها وبديع معانيها عربية

(٤٧) مقالات في حقيقة سرّ الافخارستيّا عربية وافرنسية

(٤٨) قداس حبري سرياني على أصول الموسيقى الاوربية » سريانية

(٤٩) تصانيف موسيقية شتى » »

(٥٠) مجموع المناشير أو الرسائل الراعوية التي انفذها من حين اسقفيته (فانها تبلغ نيفاً و ٣٥ منشوراً وتحتوي على نصائح ابوية وارشادات حكمية وامور تعليمية مفيدة) عربية

(٥١) الوطنة الى الاحتجاج والتبرئة (فوائد تاريخية مهمة) »

وله فضلاً عن ذلك خدمات جزيلة خدم بها العلم كتنقيح بعض الكتب أو ترجمتها أو ضبطها ومنها ما قد طبع كالكتاب المقدس وكتاب الصلوات السريانية وغيرها وبعضها لم يطبع وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها او نقحها أو ضبطها ٣١ كتاباً بعضها يزيد على عدة مجلدات فيكون عدد كتبه بين تأليف وتصنيف وترجمة وضبط ٨٢ كتاباً في لغات مختلفة اكثرها في مواضيع وعرة المسلك

(نعوته)

كان رحمه الله ربع القامة بشوش الوجه سريع الخاطر رقيق الجانب واسع العلم في سائر العلوم التاريخية واللغوية والدينية وكان يعرف من اللغات ١٥ لغة ولكنه كان مغرماً بنوع خاص باللغات الشرقية وتحليلها بما يحق علم الفيلولوجيا او الفلسفة اللغوية وكان عمدة هذا العلم ومورد قصاده فلما طبعنا كتابنا « الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية » سنة ١٨٨٦ أرسلنا اليه نسخة منه على سبيل الهدية فكتب الينا كتاباً يدل على حسن ظنه بنا و رغبته في تنشيطنا وهاك نص الكتاب بعد الديباجة

نشرهُ اقرارًا بفضلهِ ودليلاً على رقتهِ ودعتهِ قال

«أما بعد فأقول اني قرأت كتابك النفيس الذي عنوانهُ الالفاظ العربية الخ في النسخة الذي تفضلت باهدائها اليَّ فوجدتهُ مؤلفًا كاملاً في فنهِ وافيًا بكل الشروط على أتم وجه ودالاً على طول باع مؤلفهِ في هذا الفن الجديد من العلوم اللغوية الذي لم ينتبه اليهِ قبل اليوم أهل وطننا . فللهِ درّك كم تبحرت في هذا العباب الصافي وكم استخرجت منهُ من الدر الثمين . فحقك ان اهنئك وأشكرك باسمي وباسم الجمهور كلهِ ولا سيما أهل وطننا اذ انك على ما اعهد اوّل من فتح لهم هذا الباب الجليل . والسلام المحب الشاكر

عن دمشق الشام في ٤ شباط سنة ۱۸۸۸ اقليميس يوسف داود

مطران دمشق على السريان»

وقد دارت بيننا وبينهُ بعد ذلك مكاتبات بشؤون مختلفة مرجعها الى مبحث اللغات وفلسفتها لا محل لها هنا وكم تمنينا ان نلقاه وجهًا لوجه وقد عولنا على ذلك وقصدنا زيارة دمشق سنة ۱۸۹۰ لهذه الغاية فأُنبئنا بوفاتهِ ونحن في منتصف الطريق في بلدة زحلة فعدنا ولم ننل وطرًا

أما في التاريخ فكانت لهُ باع طولى ولا سيما في تواريخ الدول القديمة كالفارسية والأشورية والبابلية والمصرية والاونية واليونانية والرومانية

وكان ورعًا تقيًا سليم القلب مخلصًا غيورًا متواضعًا محافظًا على الفروض الدينية كارهًا لنعيم الدنيا راغبًا عنها

وكانت لهُ شهرة ذائعة في سائر ممالك اوربا وبينهُ وبين علمائها مكاتبات ومباحثات ولا سيما في المسائل اللغوية الشرقية فلما توفي تواردت رسائل الرثاء والتأبين من سائر اقطار العالم فعني حضرة الاديب فيليب افندي نصر الله طرزي بجمعها ونشرها في كتاب سماه «القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة» صدره برسم الفقيد وترجمة حالهِ وقد بلغ عدد اللغات التي كتبت فيها تلك الرسائل عشرين لغة وذلك دليل على شهرة هذا الفاضل وعلو منزلتهِ

باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

أو خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين

(٣) المادة

تكلمنا في المقالتين الماضيتين عن المكان وهو مستقر المادة والزمان وهو عمرها وسنتكلم في هذه المقالة عن ماهية المادة ونريد بها موجودات هذا الكون من الجماد والنبات والحيوان على اختلاف أحوالها

فالمادة تشمل كل ما ندركهُ بحواسنا سواء كان جامدًا أو سائلاً أو غازًا جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا وبعبارة أخرى ان كل ما نراهُ أو نشمهُ أو نذوقهُ أو نسمع صوتهُ أو نلمسهُ فهو مادة. ويندر أن نشعر بمادة بكل حواسنا معًا فالاجرام السماوية نراها بأعيننا ولكننا لا نلمسها ولا نشمها ولا نذوقها ولا نسمع صوتها والاحجار والتراب نراها ونلمسها ولكننا لا نذوقها ولا نشمها ولا نسمع صوتها الاّ في أحوال مخصوصة والهواء الجوي نشعر بهِ بحاسة اللمس وقد نسمع صوتهُ اذا كان ريحًا عاصفة ولكننا لا نراهُ ولا نشمهُ ولا نذوقهُ . ودقائق المسك المنتشرة في الهواء نشمها ولكننا لا نشعر بها بحاسة من الحواس الأخرى وقس عليهِ سائر المواد مما لا نشعر بهِ الاّ ببعض حواسنا

فكل ما نراهُ على وجه هذه البسيطة من الجبال والأتربة والمياه والنبات والحيوان وما تدركهُ أبصارنا في غور الفضاء من الأجرام السماوية وكل ما يقع تحت حواسنا الأخرى من الكائنات انما هو مادة

وما فتىء الانسان من أوّل عهده يبحث عن حقيقة هذه المادة وأصلها ولهم في شأنها أقوال شتى تختلف باختلاف حالهم من العلم بها واقدم ما قيل فيها رأي الفيلسوف طاليس اليوناني الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد فعندهُ ان أصل كل ما في الكون من أنواع المادة الماء فالماء عندهُ أصل كل شيء ثم قالوا ان كل موجودات الكون مركبة من العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب على نسب متفاوتة ولهم

في ذلك أقوال وشروح لا محل لها هنا وكل ذلك من أقوال أهل الكيمياء القديمة وقد تقدّم لنا كلام بشأنها في بعض فصول آداب اللغة العربية

وآخر ما وصل اليه العلماء الآن بشأن المادة وبعبارة أخرى بشأن ما يقع تحت حواسنا من موجودات هذا الكون ان الأرض وما عليها وكل ما تتصل اليه أبصارنا وبصائرنا من الاجرام مؤلفة من مواد بعضها بسيط وبعضها مركب والمركب ينحل الى مواد بسيطة لا تقبل الانحلال فالحديد مثلاً معدن بسيط لا يقبل الحل وهكذا أيضاً الذهب والفضة وكثير من المعادن ولكن الماء مركب من عنصرين هما الاوكسجين والهيدروجين والملح مركب من عنصرين هما الكلور والصوديوم والخشب مركب من عدة عناصر منها الكربون (الفحم) والهيدروجين والاوكسجين وغيرها والحجر الكلسي مركب من كربون واوكسجين وكلسيوم وقس عليه كثيراً من المواد التي نظنها بسيطة وهي مركبة من عدة مواد والمواد البسيطة تسمى باصطلاح العلماء الطبيعيين عناصر

وقد أحصى العلماء العناصر البسيطة التي تتألف من تركبها بعضها مع بعض سائر مظاهر المادة فاذا هي نحو سبعين عنصراً معظمها جامد وبعضها غاز أو سائل

ومن هذه العناصر ما هو كثير الوجود في الطبيعة وبعضها قليل وأكثرها نادر الوجود وأشهر العناصر وأكثرها وجوداً في الطبيعة ٢٩ عنصراً بعضها غاز وبعضها سائل وأكثرها جامد فالغازات خمسة وهي الاكسجين والهيدروجين والنتروجين والكلور والفلور والسوائل اثنان البروم والزئبق والباقية جوامد وهي الحديد والنحاس والفضة والذهب والرصاص والقصدير والتوتيا (الزنك) والنيكل والالومينيوم والكلسيوم والكربون واليود والمغنيسيوم والمنغنيس والفصفور والبلاتين والبوتاسيوم والصوديوم والكبريت والسليكون والانتيمون والزرنيخ والبزموث ومن هذه العناصر ما يتألف منه معظم أجزاء الارض كالاوكسجين مثلاً فانه يؤلف نحو ثمانية اتساع مياه الارض وربع هوائها ونصف رمالها وصخورها الطباشيرية والكلسية والدلغانية فضلاً عن دخوله في سائر المواد الحيوانية والنباتية فلو حللنا مواد الارض لوجدنا فيها ٥٠ في المئة من الاوكسجين فقط و ٢٥ من السليكون و ١٥ من الالومينيوم والمغنيسيوم والكلسيوم و ٥ من الكربون والحديد والصوديوم والبوتاسيوم و ٥ من العناصر الباقية

وقد تقدّم ان القسم الأعظم من العناصر لا يوجد في الطبيعة الا مركباً فالجبال

والرمال والأتربة والبحور وسائر أنواع النبات والحيوان كلها مركبات فالصخور التي تتألف منها الجبال يختلف تركيبها باختلاف نوعها فالكلسية منها مركبة من الكلسيوم والاكسجين والكربون أو الكبريت . والصخور الدلغانية فيها كمية كبيرة من الالومينيوم . والرمال مركبة من السليكون والاكسجين والمياه قد تقدم انها مركبة من الاكسجين والهيدروجين والمواد النباتية والحيوانية اكثر العناصر الداخلة في تركيبها الكربون والاكسجين والهيدروجين والنتروجين وشيء من الكبريت والفصفور وغيره

وللمادة خواص منها ان العناصر عند تركيبها بعضها مع بعض تفقد خواصها الاصلية وتكتسب خواص اخرى قد لا يكون بينها وبين الخواص الاصلية علاقة ولا نسبة فقد يتركب من غازين سائل أو جامد كتركيب الماء من غازين وقد يتولد من عنصرين جامدين مركب غازي او غير ذلك وقد يتولد من عنصرين سامين مركب مصلح فان ملح الطعام مركب من كلور وهو غاز سام والصوديوم وهو مادة جامدة سريعة الاشتعال بالماء فاذا القيت قطعة من الصوديوم في ماء ساخن اشتعل حالاً بنور شديد وفرقعة هائلة وأغرب من ذلك ان أسهل طريقة لاحضار الملح مزج الحامض الهيدروكلوريك (روح الملح) بالصودا الكاوية وكلاهما سام للغاية كما لا يخفى ولكن بمزجها واتحادها يتولد منهما مركبان لا غنى للانسان عنهما لدوام حياته وهما الماء والملح

ولا بدَّ من التمييز بين التركيب والمزج اذ قد يلتبس احدهما بالآخر على غير العارف بالخصائص الكيماوية فاذا امتزجت مادتان أو اكثر كان للمزيج خاصية كل المواد الممزوجة ويمكن تفريق تلك المواد بعضها عن بعض بوسائط ميكانيكية أو طبيعية بغير تحليل ولا تركيب أما اذا تركبت تلك المواد تركباً كيماوياً فيكتسب المركب الناتج عنها خصائص غير التي كانت لكل من المواد الاصلية ولا يمكن تفريق تلك المواد الى ما كانت عليه الا بالتحليل والتركيب . فاذا أذبنا ملحاً في الماء فالمذوب مزيج لان خصائصه مشتركة بين الماء والملح ويمكننا التفريق بينهما بالتجفيف فيتبخر الماء ويبقى الملح منفرداً أما اذا أذبنا قطعة من الفضة في الحامض النتريك (ماء الفضة) فالمذوب مركب لان خصائصه تختلف عن خصائص المادتين الاصليتين ولو جففنا السائل لبقي معنا مادة ملحية الشكل هي مركب من الفضة والحامض

الكبريك بحمض نترات الفضة المعروف بحجر جهنم وخصائصه تختلف كثيرًا عن الحامض الكبريك وعن الفضة

قلنا ان الأرض وما عليها وما هو محيط بها ترجع في أصل تركيبها الى نحو سبعين عنصرًا او مادة بسيطة وانه بتركب هذه العناصر بعضها مع بعض على نسب مختلفة تألفت ظواهر هذا الكون ولكل من هذه العناصر خصائص تميزها بعضها من بعض كاللون والكثافة والقوام والوزن وما شاكل ذلك ويقال لها خصائص طبيعية ولكن لهذه العناصر أيضًا خصائص في غاية الأهمية يقال لها الخصائص الكياوية أهمها الأوزان الجوهرية أو المتكافئات وذلك ان لكل عنصر وزنًا خصوصيًا يتركب به مع العناصر الاخرى ولا يتركب الاّ به فملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم فلو حللنا الملح الى عنصريه لرأينا نسبة الكلور الى الصوديوم كنسبة ½ ٣٥ الى ٢٣ ولو أتينا بمركب آخر فيه كلور ومركب آخر فيه صوديوم لرأينا تلك النسبة باقية كما هي فان بروميد الصوديوم مركب من البروم والصوديوم ونسبة التركيب فيه كنسبة ٨٠ الى ٢٣ فالثمانون وزن البروم الجوهري و ٢٣ وزن الصوديوم كما كان وهكذا الحال في كلوريد الحديد مثلاً فان نسبة الكلور فيه الى الحديد كنسبة ½ ٣٥ الى ٥٦ وهو وزن الحديد الجوهري ولو تركب كل من هذه العناصر مع أي عنصر من العناصر الاخرى لبقيت تلك الأوزان ملازمة له · فلكل من العناصر وزن خاص كما رأيت هو الوزن الجوهري أو المتكافىء فلو فرضنا ان الكلور يتركب مع الصوديوم وهما عنصران بسيطان فأتينا بأربعين غرامًا من الكلور و ٢٣ من الصوديوم وركبناها لتركب العنصران على النسبة المعلومة و بقي ٤ غرامات ونصف من الكلور سائبة لم تتركب وهكذا لو كان الصوديوم زائدًا عن وزنه الجوهري لبقي ما يزيد منه على النسبة المعلومة منفردًا بغير تركيب وقس على ذلك سائر العناصر. واساس نسبة الاوزان الجوهرية الهيدروجين فانه يتركب مع العناصر الاخرى بنسبة أقل من سائر العناصر فجعلوه واحدًا وضاعفوا الأوزان الاخرى بالنسبة اليه فقولنا ان الوزن الجوهري للكلور ½ ٣٥ يدل على ان الكلور لو تركب مع الهيدروجين لكانت النسبة بينهما كنسبة ½ ٣٥ الى واحد أي ان ½ ٣٥ غرام من الكلور تتركب مع غرام من الهيدروجين وهكذا في الصوديوم فالمراد بأن وزنه الجوهري ٢٣ انه يتركب مع

الهيدروجين بنسبة ٣٢ الى واحد وقس عليهِ

ومن الخصائص الكيماوية للعناصر أيضاً الجرم الجوهري وذلك ان للعناصر نسبة معلومة في جرمها لا تتركب الأ بها فجرم معلوم من هذا العنصر يتركب مع جرم مثلهِ من عنصر آخر فالعناصر تتركب بعضها مع بعض باجرام متساوية ولكن حدود الأجرام العنصرية غير واضحة تماماً لاختلاف العناصر بالكثافة بين الجامد والسائل والغازوهم انما يريدون بالجرم الجرم الغازي ولذلك تفاصيل لا محل لتفصيلها انما يهمنا الآن ان العناصر تتركب بعضها مع بعض باجرام متساوية

ومن خصائص المادة انها لا تقبل الملاشاة او التوليد اي انها لا تتلاشى ولا تزيد كميتها عما هي عليهِ فان كمية المادة المؤلفة منها هذه الكائنات هي منذ الخليقة الى الآن وستبقى كذلك الى الابد ولا عبرة فيما يظهر لنا من اختفاء بعض المواد بالاحتراق فان ذلك تلاش ظاهري فقط واما في الحقيقة فلا تلاشي فاذا احرقنا رطلاً من الفحم لا يبقى في الموقد الأ قليل من الرماد فيخال لنا ان ما بقي من الرطل قد تلاشى والحقيقة انهُ لم يتلاشَ ولكنهُ تحوَّل بالاحتراق الى مادة غازية هي الحامض الكربونيك مركبة من الفحم الذي وضعناه في الموقد وغاز الاوكسجين الموجود في الهواء ولو جمعنا الغاز المتولد بذلك الاحتراق لزاد وزنهُ عما نقص من الرطل بنسبة ما اتحد معهُ من الاوكسجين وهذا امر حقيقي مؤيد بالبراهين العلمية الحسية مما لا سبيل الى الشك فيهِ

وهكذا يقال في كل ما يظهر لنا من تلاشي المادة وهو ليس من التلاشي في شيء وانما هو تحوُّل من حالة الى اخرى . ومثل ذلك ايضاً ما يظهر لنا من تولد المادة اي زيادتها او نموّها كأن نغرس حبة من الحنطة في التراب فلا تلبث ان تنمو و يزداد وزنها يوماً عن يوم حتى تصير سنبلة تبلغ اضعاف وزنها الاصلي فقد يخال لنا انها ازدادت وزناً بمجرَّد النمو ولكننا لو دققنا البحث لرأينا تلك الزيادة انما هي عبارة عما اكتسبتهُ البزرة من التراب الذي غرست فيهِ وما أضفنا اليهِ من الماء وما امتصتهُ من الهواء من غاز الحامض الكربونيك والغازات الاخرى وقد حوَّلتها من مواد جامدة الى مواد حية نامية بمبدإ حيوي جعلهُ الله فيها . ثم لو تناول هذه السنبلة عصفور فانهُ يحوّلها بما فيهِ من القوَّة الحيوية الى جزء من جسمهِ فتصير تلك السنبلة

جزءا من جسم حيواني ولو تناول الانسان ذلك العصفور طعاماً لحوّلهُ الى جزء من جسمهِ فالمواد الترابية التي غرسنا تلك السنبلة فيها تصير بالتحوّل جزءا من جسم الانسان فربما كان بعض ما نطأهُ من تراب القاهرة جزءا من دماغ رعمسيس الثاني او قلبه

وقد يعترض على ذلك ان الانسان يتناول كل يوم ثلاثة او اربعة ارطال من الغذاء بين طعام وشراب فاذا سلمنا بتحوّلها كلها او بعضها الى أجزاء من جسمهِ لاقتضى ان يزداد وزنهُ يوماً عن يوم حتى يضخم كثيرًا والواقع ان البالغ قد يقضي اعواماً عديدة لا يزداد وزنهُ ما يستحق الذكر بل قد ينقص كثيرًا وهو مع ذلك يتناول غذاءهُ العادي كل يوم . والجواب على ذلك ان للاجسام الحية خاصة الدثور والتغذية اي تجديد الانسجة دائماً والانسان اذا لم يتناول طعاماً نقص وزنهُ كل يوم بما يدثر من المواد المالكة بسبب الاعمال الحيوية على اختلاف أنواعها فان كل عمل نعملهُ عقلياً كان او جسدياً نهلك بهِ شيئاً من الانسجة فضلاً عن الاعمال الحيوية القائمة فينا من تلقاء نفسها كالدورة والتنفس والعرق وسائر المفرزات ونحن انما نتناول الطعام للتعويض عن ذلك الدثور وقد نستطيع جمع المواد الدائرة فينا وتقديرها وتعيين مقدار ما نخسرهُ كل يوم من كل نسيج بل من كل عنصر من العناصر التي تتألف الانسجة منها وعند ذلك نرى ان الطعام انما هو للتعويض عما فقدناهُ . والمواد التي نفقدها بالاعمال الحيوية لا تذهب هدرًا ولكنها تتحوّل الى مواد بعضها غاز وهو الحامض الكربونيك واكثره يخرج عن طريق التنفس وبعضهُ سائل ومعظمهُ يفرز عرقاً عن طريق الجلد او بولاً عن طريق الكليتين وبعضها جامد وهو ما يخرج عن طريق الامعاء من المبرزات فهذه المواد كلها تعود الى الهواء والتراب فيتغذى بها النبات ويحوّلها الى انسجة نباتية كما تقدم ثم يتناول الحيوان النبات فيحولهُ الى أنسجة حيوانية واذا تناولهُ الانسان حوّلهُ بالهضم والتمثيل الى جزء من انسجتهِ ثم يعود فيفرزه على هيئة مواد دائرة يغتذي بها النبات وهكذا على التوالي . وبقايا الانسان والحيوان والنبات تعود كلها اخيرًا بالموت والانحلال الى التراب وهذا تفسير قولهِ تعالى « انك تراب والى التراب تعود »

وخلاصة القول ان المادة لا تقبل الملاشاة ولا التولد ولكنها تتحوّل من حال الى حال بالنموّ النباتي والحيواني والدثور والانحلال أو بالتحليل والتركيب

ومن خصائص العناصر أيضًا الأوزان النوعية أو الثقل النوعي وذلك ان لكل عنصر وزنًا يدل على مقدار كثافتهِ أو مقدار ما يحتويهِ من المادة وأساس الأوزان النوعية الماء المقطر فقد جعلوا وزن الماء النوعي واحدًا وقاسوا الأوزان الاخرى عليهِ فوجدوا ان الوزن النوعي للحديد مثلاً ٨ ومعنى ذلك ان جرمًا واحدًا من الحديد يساوي وزن ثمانية أجرام من الماء وبعبارة اخرى ان الحديد أثقل من الماء ثماني مرات وهكذا اذا قيل ان الوزن النوعي للصوديوم مثلاً تسعة أعشار ونصف فالمراد ان الصوديوم أخف من الماء بنصف عشر أي ان نسبة وزن الماء الى الصوديوم كنسبة ١٠٠ الى ٩٥ وقس على ذلك

ولزيادة الايضاح نذكر كلاً من العناصر المشهورة المتقدم ذكرها ونذكر بازائهِ وزنهُ الجوهري ثم وزنهُ النوعي في جدول مرتب بحسب الأوزان الجوهرية مبتدئين بالأقل حتى نأتي الى الاكثر

اسم العنصر	وزنهُ الجوهري	وزنهُ النوعي
الهيدروجين	٠١ر٠٠	٠٠ر٠٧
الكربون	١٢ر٠٠	٠٢ر٠٣
النتروجين	١٤ر٠٠	٠٠ر٩٧
الاوكسجين	١٦ر٠٠	٠١ر٠١
الفلور	١٩ر٠٠	٠٠ر٠٠
الصوديوم	٢٣ر٠٠	٠٠ر٩٧
المغنيسيوم	٢٤ر٠٠	٠١ر٧٤
الالومينيوم	٢٧ر٤	٠٢ر٠٦
السليكون	٢٨ر٠٠	٠٢ر٤٩
الفصفور	٣١ر٠٠	٠٢ر٠١
الكبريت	٣٢ر٠٠	٠١ر٩٨
الكلور	٣٥ر٥٠	٠٢ر٤٧
البوتاسيوم	٣٩ر١٠	٠٠ر٨٦
الكلسيوم	٤٠ر٠٠	٠١ر٥٧

اسم العنصر	وزنهُ الجوهري	وزنهُ النوعي
المنغنيس	٠٠ر٥٥	١٣ر٠٧
الحديد	٠٠ر٥٦	٨٠ر٠٧
النيكل	٨٠ر٥٨	٨٠ر٠٨
النحاس	٤٠ر٦٣	٩٦ر٠٨
الزنك أو الخوتيا	٢٠ر٦٥	٠٠ر٠٧
الزرنيخ	٠٠ر٧٥	٩٠ر٠٥
البروم	٠٠ر٨٠	٩٧ر٠٢
الفضة	٠٠ر١٠٨	٥٠ر١٠
القصدير	٠٠ر١١٨	٣٠ر٠٧
الانتيمون	٠٠ر١٢٢	٨٠ر٠٦
اليود	٠٠ر١٢٧	٩٤ر٠٤
الذهب	٠٠ر١٩٧	٥٠ر١٩
البلاتين	٤٠ر١٩٧	٥٠ر٢١
الزئبق	[illegible]ر٢٠٠	[illegible]ر١٤
الرصاص	٠٠ر٢٠٧	٤٥ر١١
البزموث	٠٠ر٢١٠	٩٠ر٠٩

ولو تأملت هذا الجدول لرأيت بين الأوزان الجوهرية والأوزان النوعية نسبة تقريبية وذلك ان الوزن النوعي يزداد بازدياد الوزن الجوهري . فما معنى هذه النسبة وما معنى الوزن الجوهري وكيف نعلل تركب العناصر بنسب محدودة لا يتعداها وإنما تعدها فبالنسبة عينها مثال ذلك ان الزئبق يتركب مع الكلور بنسبة ٢٠٠ الى ٣٥ ½ فيتولد مركب يقال لهُ كلومل أو كلوريد الزئبق الأوَّل ولكنهُ يتركب أيضاً على نسبة مزدوجة أي ٢٠٠ الى ٧١ فيتولد مركب يقال لهُ كلوريد الزئبق الثاني وهو السليماني المشهور فالكلور وإن زاد فالنسبة محفوظة ولكنها تضاعفت وذلك كثير في العناصر ومركباتها فما معنى ذلك كلهِ وما تعليلهُ

هذا ما حدا بعلماء الطبيعة والكيمياء الى القول بالرأي الجوهري وقد أشرنا

اليهِ في مقالتيَ المكان والزمان وهاك ايضاحهُ

ان العناصر التي نعني بها المادة مؤلفة من أجزاء صغيرة جدًّا لا تدرك الاَّ بالوهم تسمى الجواهر الفردة وعلى خواص هذه الجواهر تتوقف خواص العناصر المؤلفة هي منها ولهذه الجواهر صفات عامة تشمل كل جوهر من جواهر المادة وصفات خاصة تختص بجواهر كل عنصر على حدة فصفاتها العامة هي انها (١) غير قابلة للانقسام او التجزئ (٢) انها متساوية حجماً (٣) انها سابحة في مادة لطيفة جدًّا يقال لها اثير (٤) انها لا تتماس · والصفات الخاصة ان لجواهر كل عنصر وزناً خاصاً بها هو وزنهُ الجوهري الذي يتركب بهِ مع العناصر الاخرى فوزن الجوهر الفرد من الهيدروجين واحد ووزن الجوهر الفرد من الكلور ٣٥ $\frac{1}{2}$ ووزن الجوهر الفرد من الصوديوم ٢٣ وهكذا في سائر العناصر فاذا تقرَّر ذلك اتضح لنا معنى تركب العناصر بعضها مع بعض بأجرام محدودة وأوزان محدودة فتركب ٣٥ وزناً ونصف وزن من الكلور مع ٢٣ وزناً من الصوديوم عبارة على تركب جوهر واحد من الكلور مع جوهر من الصوديوم او ١٠٠ جوهر من الاوَّل مع ١٠٠ من الثاني او ١٠٠٠ مع ١٠٠٠ او اكثر من ذلك او أقل على نسبة واحدة · ويتضح لنا ايضاً معنى تركب ٢٠٠ وزن من الزئبق مع ٣٥ $\frac{1}{2}$ من الكلور ومع ٧١ وزناً ايضاً منهُ وذلك انهُ في الحالة الاولى تركب كل جوهر من الزئبق مع جوهر من الكلور وفي الحالة الثانية تركب الجوهر من الزئبق مع جوهرين من الكلور ومن العناصر ما يتركب الجوهر الواحد منهُ مع ثلاثة جواهر او اربعة او خمسة او اكثر من عنصر آخر ويظهر ذلك في تضاعف الوزن الجوهري لهذا العنصر بدون كسر البتة

فبالرأي الجوهري يتعلل سائر ما يظهر لنا من خصائص العناصر كعدم تلاشي المادة وقابليتها للانضغاط وتمددها بالحرارة وما شاكل ذلك

ومما يحسن ذكرهُ ذيلاً لهذه المقالة ان العلماء لم يقفوا عند هذا الحد في ابحاثهم ولكنهم توغلوا في أمر هذه الجواهر الفردة وراقبوا خصائص المواد وتركيبها وتحليلها ونظرًا لميل العقل الى التوحيد المطلق قالوا ان العناصر التي ندعوها الآن بسيطة ونظنها غير قابلة الحل الى ما تتألف هي منهُ لا يبعد ان تكون مركبة من عناصر أبسط منها وربما رجعت كل هذه العناصر الى عنصر بسيط في غاية اللطافة هو المادة

الاصلية ومن تركب جواهره بعضها مع بعض على نسب مختلفة تكونت العناصر العديدة ومركباتها المختلفة فيكون مرجع سائر مظاهر المادة في هذا الكون الى مادة واحدة اصلية وهو قول يقبله العقل لانطباقه على مبدإ الطبيعي ولكنه لا يزال في عالم الوهم وسيكشف لنا المستقبل صحته او فساده وفوق كل ذي علم عليم

باب المراسلات

النساء وساعات الفراغ

حضرة منشىء الهلال الفاضل

يقضي بعض السيدات عندنا ساعات الفراغ بأحاديث الناس والتنديد بعنائهم ولا يخفى ما لهذه العادة المستقبحة من المضار وما تجلبه على أهلها من الفضيحة والعار فضلاً عما ينتاب المتصف بها من الامتهان والاحتقار ومع ذلك فاننا نرى « وليتنا لا نرى » هذا الداء العياء يزداد انتشاراً بيننا نحن السوريات ونسرى عدواه بين النساء اللواتي يصرفن أثمن أوقاتهن في استطلاع أحوال غيرهن قصد الوصول الى معرفة حقيقة حالهن وإذا بدا لهن فرصة للاجتماع برفيقاتهن افرغن من جعب تطفلهن ما جمعنه بالتعب والنصب ايام انفرادهن فتتلقاه اولئك مسرورات ويصغين الى أخبارهن ولسان حالهن يقول : هذا ربح بلا تعب وكسب بلا رأس مال ؛ ولا يدرين بأن مثلهن مثل من يحمي جوهرة له في كمية من الدقيق يرغب بيعها قصد ان يجعلها أثقل وزناً ولا يدري ان تجارته خسرت وانه من الجاهلين

فهذه لعمري حالة السواد الاعظم من نساء بلادنا السوريات اللواتي انما يخرجن من كنائن عقولهن تجارة يرمين بها غيرهن ولا يدرين بأنهن لو تدبرن تلك التجارة وأحسن استعمالها لاستخرجن منها درراً تزدان بها أجياد معارفهن وتتلألأ بزهاء نورها قلائد علومهن

فلمَ يا رفيقاتي نحن غافلات عما وصلت اليهِ المرأة في الشرق من التأخير والانحطاط وما لنا راتعات في بحبوحة التواني والكسل جاهلات ما كسبته المرأة الغربية من المجد والتقدم في مدارج هذه الحياة ولمَ ننظر الى القذى التي في عين أخينا ولا نرى جسر عيب فينا ونتوهم اننا قد أتينا بذلك أمرًا جليلاً

ولا يخال القارئ اللبيب انني اخصص بهذا الكلام قومًا دون سواهم أو فئة دون غيرها ولست أتوهم من نفسي الترفعُ عن بنات جلدتي والتنزه عن هذه الشائبة بل أقر بأني قد تعودت الاصغاء «اذا لم أقل على الاشتراك» لما يتواتر على سمعي من التنديد كما لو كان حديثًا ذات شأن بل صرت أتوقع من جليستي دائمًا الخوض في هذا الموضوع علمًا بأن لا همَّ لها سواه واذا خاب ظني وذلك أندر من النادر وشعرت منها بنسمة حديث مفيد هبت منها على ذاكرتي النبتها نسمة حياة تنعش فؤادي ووددت لو أن وقت الحادثة لا ينقضي

ولما عاينت في صفحات الهلال نورًا يستضاء بهِ في ساعات الفراغ ابصرت ما لم اكن منتبهة اليهِ في ظلام الصغر وعند ذلك وجدت من نفسي دافعًا يدفعني الى الولوج في هذا الموضوع المهم ولو حجبهُ عنا طول الزمان آملة ان بالتكرار افادة فأقول

ما من أحدٍ يرى من خلال أوقات الفراغ نورًا يستضيء بهِ و ينير القلوب التي نسج عليها الكسل عناكب التقهقر والاهمال اكثر من المرأة الشرقية لانها بعد ان تتدرج في المعارف الأولية والعلوم الابتدائية تعود الى حجرتها لا تلوي على شيء ولا يلهيها شاغل عن المطالعة والدرس بعد انجاز أعمالها البيتية التي لا تتعدى على الغالب الى اكثر من بضع سويعات لقضائها ومع ذلك فلا نرى الاَّ ان ساعات الفراغ أضرَّت فيها ضررًا وذلك بأن دفعها الميل الطبيعي الى المباراة في الازياء والتيه في فيافي الضلالة والترف فتميل الى الأغضاء عما تلقنهُ من العلوم في المدارس بل جعلتهُ أساسًا لمعرفة الطريقة التي بها تمتاز ظاهرًا عن غيرها ولا تعلم انَّ

ليس الجمال جمال الوجهِ والحلل   وانما الحسن حسن القول والعملِ

وتجهل أيضًا ان في ساعات الفراغ كنوزًا لو بحثت عنها بحث الراغبات في حب التقدم والنجاح وفتشت عنها بعين لا تعرف الى الملل سبيلاً وقلب لا يهاب اقتحام اسود الكسل من ان تمنعهُ كي يأتي أمرًا جليلاً لرفعت المرأة الى درجة تدفع عنها ما الحق

الدهر بها من الامتهان والاحتقار وتزيل ما سطره الاهمال عنها في صفحات التاريخ وانني لا أتوخى الخطة التي وصلت اليها النساء الاوروبيات لأنهن لم يحرزنها الا بالثبات والسعي الدائم ولذلك اشتركن مع الرجل في جميع الحقوق المدنية وهذا ما لا تصل اليه نساء الشرق وذلك لا يحتاج الى دليل انما الغاية من ذلك ان ادفع من كمنت في صدرها روح الاقدام الى ما تحمد عقباه ويفتخر به زمانها فتكاتفنا على أحياء ما بقي فينا من الأمل شاغلات أوقات الفراغ بالجد لا بالكسل لاهيات باكتساب الفوائد والمعارف عن القدح والتنديد بالغير عارضات عن هذه الخلة التي لا تعود علينا الا بالخراب والدمار

ولقد وجهت ما سبق من الكلام الى المرأة دون الرجل ليس لأني اعتقد تنصله مما اتصفت به المرأة وانما تصديت الى ذلك لعلمي ان التهذيب أهم للمرأة من الرجل اذ هي العضو الرئيسي في الهيئة الاجتماعية وعليها تتوقف ترقية الكون ونجاح العمران ولذا فان من ابتدبتها الطبيعة الى هذا المركز الحرج ومن انيط بها تربية الاطفال وارضاع عقولهم لبان الفضل والأدب ومن قيل فيها « ان من تهز السرير بيمينها تهز الارض بيسارها » وجب ان تكون مثال الآداب والفضائل وعنوان الظرف والكمال منزهة عن الشوائب والرذائل فتسحب ابنها على ما هي عليه من استقامة المبدإ نابذة وراء ظهرها مثل هذه العادات البذية لاهية بما اقتبسته عن والدتها رافعة لواء الجد والاجتهاد علامة التنوز على الخمول والكسل وهكذا تسري هذه العادة الى قلوب جميع السيدات فتعم الشرق قاطبة وتخلص مما لحق بها في سالف الازمان

فانهضن يا رفيقاتي وشمرن عن ساعد الحمية وابرزن درر يراعكن لنجول في هذا الموضوع الجليل وساعدنني علنا نحصل على الغاية المطلوبة وعسى اذا سطرنا ما نتكلم به على صفحات الهلال يعكسه علينا نوره الساطع فيظهر ما كان في الصدور كامناً . واليك يا حضرة مدبر هذه المجلة الغراء اقدم اسطري هذه مع الشكر لقبولها راجية ان تدرجها على صفحات هلالك الساطع عسى أن يتأثر من هذا المقال من اتصف بهذه الخلة القبيحة فينقطع عنها و يأبى الانشغال بها و بالله استعين

(بيروت) « لبيبه ماضي »



الهلال

الجزء العشرون من السنة الثالثة

(١٥ يونيه (حزيران) سنة ١٨٩٥) (٢٢ الحجة سنة ١٣١٢) (٩ بؤونه سنة ١٦١١)





الشيخ يوسف الأسير

(وُلد سنة ١٢٢٠ ه وتوفي سنة ١٣٠٧ ه)

هو الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الحسيني الاسير ولد في مدينة صيدا من أعمال سوريا سنة ١٢٢٠ ه وربي في حجر والده وتلقى مبادئ العلوم فختم القرآن وهو في السابعة من عمره وكان أبوهُ تاجرًا فلم يمل هو الى التجارة بل عكف على العلم فدرس شيئًا منهُ على الشيخ احمد الشرمباني وكان ميالاً منذ نعومة أظفاره الى العلم فلما بلغ السابعة عشرة شخص الى دمشق ومكث في مدرستها المرادية نحو سنة فأخذ شيئًا من العلم عن علمائها ثم بلغهُ خبر وفاة والده فعاد الى صيدا ودبر أحوال اخوته ومهد لهم سبل المعيشة ونظرًا لتعلقه بالعلم لم تطب لهُ الاقامة في صيدا فشخص الى الديار المصرية وأقام في الجامع الازهر سبع سنين بحجر في العلوم وفيه اذ ذاك جماعة من فطاحل العلماء كالشيخ حسن القويسني والشيخ محمد الدمنهوري والشيخ محمد الطندتاوي والشيخ محمد الشيني وغيرهم فنبغ في جميع العلوم العقلية والنقلية كاللغة والفقه والحديث والتفسير وصار اماماً يرجع بها اليه حتى اعجب به أساتذته فكتب اليه الشيخ محمد الطندتاوي (وكان اذ ذاك في بطرسبورج) قصيدة يمدحهُ فيها ويثني على علمه وفضله . وكان أثناء اقامته في مصر يجالس أكابر علمائها وكثيرًا ما كان يحضر الامتحانات العمومية التي كانت تجري بحضور عزيز مصر اذ ذاك في المدارس العمومية فيقترح كثير المسائل على التلامذة باشارة مشائخه

ثم اعتراهُ مرض الكبد فعاد الى صيدا ولكنهُ لم يرغب في الاقامة فيها اذ لم يجد فيها مجالاً لنشر فضله فسافر الى طرابلس الشام فلاقى من علمائها ووجهائها حسن الوفادة والرعاية فقضى بينهم ثلاث سنوات لم يخلُ مقامهُ يومًا من جماعة منهم وأخذ عنهُ العلم كثير من افاضلهم وأخيرًا اختار الاقامة في بيروت لجودة هوائها فهرعت اليه الطلبة وكثر مريدوه وتولى أثناء ذلك رئاسة كتابة محكمة بيروت الشرعية في ايام قاضيها فضيلتلو مصطفى عاشر افندي ثم تولى الفتوى في مدينة عكا ثم تعين مدعيًا عموميًا في جبل لبنان على عهد متصرفه داود باشا ثم انتقل الى الاستانة العلية وتولى رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف وتعين في الوقت نفسه استاذًا للغة العربية في دار المعلمين الكبرى ونال اثناء اقامته في الاستانة مقامًا رفيعًا بين رجال الاستانة وعرضوا عليه منصبًا من المناصب الرفيعة براتب جزيل على وعد الترقي فأبى رغبة منهُ في مواصلة خطته العلمية ثم ثقلت عليه وطأة البرد في الاستانة

وهمَّ بالرجوع الى بيروت فأسف وزير المعارف اذ ذاك على خسارته وماطله في قبول استعفائه على أمل استبقائه لما آنس من سعة علمه وعاين من رواج الكتب التي صححها ولكنهُ أصرَّ على النزوح الى ربوع الشام فعاد اليها واقام في بيروت وأخذ يبث العلم بين طلبتها وأكب على التأليف والتصنيف وكان اشتغالهُ غالبًا في الفقه واللغة فألف كتابًا في الفقه سماهُ رائض الفرائض قد تقدم ذكرهُ في باب الفقه من آداب اللغة العربية وشرح كتاب اطواق الذهب تأليف العلاَّمة الزمخشري ونظم كثيرًا من القصائد الرنانة طبع منها جانب كبير في ديوان يعرف باسمهِ

وكان على جانب عظيم من الرّقة والدعة ولين الجانب وحسن المعاشرة يحب العلم والعلماء ويأخذ بناصرهم وكان شافعي المذهب سالكًا مسلك الافاضل الاقدمين في حب العلم والرغبة في نشرهِ ابتغاء الفائدة العامة وكان لحسن عقيدتهِ راغبًا عن الدنيا زاهدًا فيها ثابتًا في اتباع فروض الدين لا يستنكف من حمل حاجيات بيتهِ الضرورية بنفسهِ وكان كثير الشغف بتلاوة القرآن الكريم او سماعه كل يوم

وكان ربع القامة معتدل الجسم اسمر اللون اسود الشعر كث اللحية صادق الوعد قوي الذاكرة اذا سئل اجاب في اي موضوع كان مع تقريب الموضوع من ذهن السامع ببسيط العبارة

وقد توفي سنة ١٣٠٧ ولهُ من العمر سبع وسبعون سنة ودفن في مقبرة الباشورة ببيروت وترك خمسة ذكور وبنتين ولم يترك لهم شيئًا سوى الذكر الحسن نعرف أحدهم الدكتور الفاضل حسن افندي الاسير نزيل بيروت الآن . وقد أسف اهل بيروت وسائر أهل الشام على فقدهِ لأن جماعة كبيرة منهم أخذوا العلم عنهُ وما برح مرجعا للفائدة علمًا وعملاً حتى توفاه الله

وقد أبنهُ العلماء والأدباء والشعراء ورثتهُ الجرائد والمجلات فعني المغفور لهُ الشيخ ابراهيم افندي الأحدب بجمع المراثي نظماً في مجموعة صدرها بترجمة حال الفقيد من قلم حضرة الفاضل قاسم افندي ابي حسن الكستي البيروتي وعنها أخذنا معظم ما ذكرناهُ عنهُ



باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

أو خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين

(٤) القوة

هي الركن الرابع من أركان العلوم الطبيعيه ونريد بها كل ما يفعل على المادة فيحركها ويغير اوضاعها واشكالها أو يؤثر على خصائصها في التحليل والتركيب او ماشا كل ذلك · والمادة اذا جردناها من القوة لم تكن شيئاً مذكوراً ولا استطعنا ادراكها بحاسة من حواسنا لاننا انما ندرك الموجودات بما ينقل الينا من تأثيرها على حواسنا والتأثير المشار اليه قوة تنتقل بالاعصاب الى الدماغ فيدرك بها الموجودات وخصائصها · فالمرئيات مثلاً لا ندركها الاّ بواسطة النور والنور حركة في الاثير والحركة قوة فلولا تلك القوة ما علمنا شيئاً عن كل ما نراه من ظواهر المادة والمشمومات ندركها بتأثير حركة دقائق الاجسام المشمومة على العصب الشمي والملموسات لا ندركها الاّ بانتقال حركة دقائقها الى اعصاب اللمس وقس عليه سائر المحسوسات فالمادة لا تدرك بغير القوة ولا يمكن تصوّر المادة مجردة منها

وكما ان المادة تظهر لدينا بمظاهر مختلفة على هيئة عناصر ومركبات هكذا أيضاً القوة فانها تظهر على هيئات شتى كالحرارة والنور والكهربائية والمغنطيس والجذب بسائر انواعه

ومرجع سائر القوى الطبيعية الى قوتي الجذب والدفع وهما من خصائص الجواهر الفردة التي تقدم الكلام عليها في كلامنا عن المادة اي ان لكل جوهر من هذه الجواهر خاصية يجذب بها الجواهر الاخرى يقال لها قوة الجذب وخاصية يدفع بها تلك الجواهر وهي قوة الدفع

والجذب ناموس عام يتناول أيضاً الدقائق والاجسام والاجرام وكل ظواهر

المادة فبقوة الجذب تتلاصق اجزاء المادة وتتألف منها الاجسام وما يتركب منها وبها تتألف النظامات السماوية وتسير الاجرام في افلاكها

فبالجذب تتلاصق اجزاء الحديد والخشب والماء والهواء وسائر الاجسام بعضها ببعض · فلو حاولت قطع خشبة الى قسمين لشعرت بمقاومة تحتاج الى قوة للتغلب عليها فتلك هي قوة الجذب بين دقائق الخشب وهي موجودة بين دقائق سائر انواع المادة ولكنها تتفاوت مقدارًا باختلاف الاجسام فالجاذبية بين اجزاء الخشب اقل مما بين اجزاء الحديد واكثر مما بين اجزاء الماء وقس عليه · وبالجذب تطلب الاجسام النزول الى سطح الارض لو رفعناها عنها وبالجذب تحفظ الارض وسائر الاجرام السماوية حركاتها في افلاكها ولا تتعداها فالجذب شامل كل انواع المادة من الجوهر الفرد الى الاجرام والنظامات وهو ناموس عام جعله الخالق جل وعلا في المادة لحفظ نظامها ولولاهُ لتبعثرت اجزاؤها في انحاء الفضاء وعدم الوجود

ويتضح تسلط هذا الناموس على المادة بتجربة بسيطة للغاية وذلك ان تأتي بقدح فيهِ ماء وتجعل على الماء قطعًا من الفلين او الخشب فانها تسبح على سطحهِ فاذا تركتها وشأنها رأيتها تتجاذب بعضها نحو بعض حتى تتلاصق ولا محرك يفعل عليها الا الجاذبية بين دقائقها والمادة على اختلاف احوالها تتجاذب دائمًا ولكن الجذب فيها لا يظهر الا اذا كانت الاجسام المتجاذبة تستطيع الحركة بعضها نحو بعض كما لو كانت سابحة على سطح سائل كما تقدم فان اجزاء السدم المنحطة في اواسط الجو مهما كانت المسافات بينها لا تلبث ان تجتمع وتصير ركامًا بقوة الجذب فلو وضعت كتابين على مائدة وبينهما مسافة فانهما يمكثان عليها بما بينها وبين الارض من التجاذب ولولا احتكاكها بسطح المائدة لاقترب احدهما من الآخر حتى تلاصقا

والجذب بين أجزاء المادة متبادل اي ان كل جسم ما على الارض يجذب الجسم الآخر ولكن الجذب يزداد بنسبة مقدار مادة الجسم ويقل كلما بعدت المسافة بين الجسمين بنسبة معينة فان قطع الخشب على سطح الماء تتجاذب وتتلاصق ولكن اكبرها يجذب اصغرها بنسبة مادة كل منها فيسير الاصغر نحو الاكبر بسرعة تناسب الفرق بينهما ولو رفعنا حجرًا الى علوّ وتركناه لسقط الى الارض لما بينهُ وبينها من التجاذب اي ان كلًّا منهما يجذب الآخر ولكن يظهر لنا ان الارض تجذبهُ فقط لانهُ

يسير اليها ولا نراها نسير اليو والسبب في ذلك ان عظم الفرق بين مادة الارض برمتها ومادة ذلك الحجر لا يجعل الارض تتحرك نحو الحجر حركة يشعر بها والحقيقة ان الارض تتحرك نحو ذلك الحجر عند سقوطهِ حركة نسبتها الى حركة الحجر نحوها كنسبة ثقل الحجر الى ثقل الارض

وخلاصة القول ان الجذب قوة شاملة كل اجزاء المادة على اختلاف مقاديرها ومظاهرها واشكالها من الجوهر الفرد الى الاجرام السماوية

أما الدفع فكامن بين الجواهر او الدقائق و يظهر من مقاومة الاجسام للانضغاط اذا حاولنا ضغطها فكما ان قطعة الخشب تقاوم قوتك عند فصلها فانها تقاوم قوتك أيضاً عند ضغطها ولا يمكنك الضغط وتقريب اجزاء المادة الاَّ بصرف قوة تختلف مقداراً باختلاف نوع المادة فالخشب يحتاج الى قوة في ضغطهِ أقل مما يحتاج اليهِ الحديد وأكثر مما يحتاج اليهِ القلين وقس عليهِ والغازات اكثر المواد قابلية للانضغاط فكأَن بين جواهر المادة قوتين احداها تجذب الجواهر بعضها الى بعض والاخرى تدفعها بعضها عن بعض وهما قوتا الجذب والدفع

وقد يلتبس على المطالع كيفية وقوع ذلك وكيف يمكن ان تكون هاتان القوتان على هذه الصورة وما معنى تضاربهما ولكن العلماء الطبيعيين لم يروا رأياً الاَّ أيدوه بالادلة الطبيعية المحسوسة او المؤيدة بالمحسوس ومرجع اقوالهم من هذا القبيل الى الرأي الجوهري فالجواهر الفردة قلنا انها تتحرك حركة محدودة وانها لا تتلامس اي ان كل جوهر يتحرك في فضاء خاص بهِ كما تتحرك الاجرام السماوية في افلاكها ولا يصطدم الجوهر برفيقهِ ولا نعلم كيف تحركت الجواهر كما اننا لا نعلم كيف تحركت الاجرام فانحصار حركة كل جوهر في دائرة محدودة يعلل قوتي الجذب والدفع فان ضغط المادة عبارة عن تقريب جواهرها بعضها من بعض فكأَنك بذلك تقاوم حركتها فلا يمكنك ضغطها الاَّ بصرف قوة تعادل قوة تلك الحركة وهكذا اذا اردت فصلها فانك تقاوم قوة الجذب ولا بد من صرف قوة تعادل تلك القوة

فيتضح من ذلك ان الجذب هو القوة الاصلية الكامنة في المادة واما الدفع فانهُ الحركة الطارئة على الجواهر لمقاومة الجذب فحصل ما يعبر عنهُ بالجذب والدفع وبهاتين القوتين تعلل سائر القوى الطبيعية ومظاهرها وسائر انواع الحركة

الجارية في الطبيعة

وتتصل ذلك ان القوى الطبيعية التي تقوم بها سائر اعمال هذا الكون من الحياة والجماد ترجع الى ثلاث الحرارة والنور والكهربائية فالحرارة اكثر القوى الطبيعية عملاً في احداث الحركة والنمو والحياة وبالحرارة تتبخر المياه عن سطوح البحار وتحدث عنها الامطار وبالحرارة تتحرك الرياح الدورية وغيرها وبها ينمو الحيوان والنبات وتنضج الثمار وتتم سائر انواع الحياة وبها تتحرك آلات البخار وتسير السفن في البحار وغير ذلك مما لا يمكن حصره او تعداده. والنور ضروري لحفظ حياة الحيوان والنبات فبدونه لا تتولد الكريات الحمراء بالدم ولا يتولد الكلوروفل النباتي الذي عليه المعوّل في نمو النبات وبالنور يتم كثير من الاعمال الكيماوية التي لا تتم بغيره

والكهربائية من القوى الفعالة في نظام هذا الكون فانها من الفواعل الكيماوية التي تؤثر في التحليل والتركيب وفيها خاصية كبيرة لاحداث الحركة يشهد بذلك الآلات المخترعة حديثًا تتحرك بالكهربائية

والقوى الطبيعية الثلاث المشار اليها ترد الى قوة واحدة اي انها كلها مظاهر مختلفة لمبدإ واحد وذلك ظاهر من سهولة تحوّل القوة الواحدة منها الى الاخرى فاذا وضعنا قطعة من حديد في النار تحمى اولاً اي تتولد فيها حرارة ثم اذا زدنا الاحماء احمرت وانارت فتحولت الحرارة الى نور . والكهربائية تتولد بالفرك كالحرارة واذا زادت الكهربائية تحولت الى حرارة ثم الى نور وعلى هذا المبدإ تتكون الانوار الكهربائية وقس على ذلك تحوّل كل من هذه القوى الى الاخريين

فالحرارة والنور والكهربائية مظاهر مختلفة لقوة واحدة وفي تعليل احدها ما يغني عن تعليلها كلها والحرارة أصل لسائر القوى فهي اولى بالتعليل

فالحرارة هي الحركة التي قلنا انها من خصائص الجواهر الفردة وبما ان الجواهر الفردة تتحرك دائمًا فالحرارة صفة من صفات الاجسام ولكنها لا تظهر لنا الا متى زادت على ما اعتدناه من درجات الحرارة فاذا سلمنا ان الحرارة حركة في دقائق الاجسام او جواهرها هان علينا تعليل كل ظواهرها ونواميسها

ومن أشهر نواميس الحرارة انها تمدد الاجسام اي ان الجسم يزداد حجمه بالحرارة فاذا احميت قطعة من حديد قطرها قيراط زاد قطرها بازدياد الحرارة ولكن هذه

الزيادة طفيفة لا يكاد يشعر بها الا بالقياس الدقيق أما اذا احميت مادة قابلة للتبخر كالماء مثلاً فتظهر فيها الزيادة ظهورًا فاحشًا فان قيراطًا مكعبًا من الماء اذا احميته يزداد حجمه بالحرارة رويدًا رويدًا حتى يتبخر فاذا تبخر ازداد زيادة فاحشة حتى يملأ غرفة كبيرة او اكثر من غرفة والبخار او الغاز لا حد له ولا نهاية اي ان الجسم اذا صار غازًا او بخارًا لم يعد له حجم محدود ولا قياس معلوم فوزن معلوم من الماء له حجم معلوم واذا وضعته في وعاء ملأه الى حد محدود وهكذا سائر السوائل والجوامد أما الغاز أو البخار فلا حد لها الا جدران الوعاء فاذا جعلت قمحتين من الهواء في زجاجة فانها تملآنه ولو وضعت قمحة واحدة فقط لملأته ايضًا وهكذا حتى لا يبقى الا جزء صغير فانه كاف لملء الزجاجة ولكن كثافة ذلك الغاز تختلف باختلاف مقدار الهواء الموجود فكأن الغاز يطلب الانتشار الى ما لا نهاية له وهو ايضًا قابل للانضغاط حتى يتحوّل الى سائل وأقوى فاعل في تحويل الغازات الى سوائل التبريد والضغط فكما ان الحرارة تمدد الاجسام فتحوّل جامدها الى سائل وسائلها الى غاز فالبرودة تقلصها وتحوّل بخارها الى سائل وسائلها الى جامد

ومن خصائص الحرارة انها تظهر بالفرك والضغط اي انك اذا حككت قطعتين من خشب او غيره بعضهما ببعض على التوالي تظهر فيها حرارة وهي اوّل واسطة استخدمها الانسان للاشعال قبل ان عرف المواد المساعدة عليه كالكبريت والفصفور والزناد او ما شاكل ولا يزال بعض القبائل المتوحشة في اواسط اوستراليا يشعلون نيرانهم بالفرك ‧ وقدح الزناد من قبيل الاشتعال بالفرك ايضًا ولكن الاشتعال يحصل به بغتة دفعة واحدة ‧ واما تولد الحرارة بالضغط فظاهر من ملاحظة الحوادث الاعتيادية فالحدّاد اذا طرق قطعة من حديد حميت والنجار اذا دق مسمارًا في خشب حمي وقس عليه

ومن خصائصها ايضًا انها تتولد بالاتحاد الكيماوي اي ان كل تحليل وتركيب لا بد من ظهور الحرارة فيه ومن أمثلة ذلك الاشتعال الاعتيادي فانه عمل كيماوي يتحد به اوكسجين الهواء بالمادة المشتعلة فيتولد من تركيبها مواد اخرى ويحدث عن التحليل والتركيب حرارة ونور

ومن خصائص الحرارة انها تختفي في تحول المادة من جامد الى سائل او من

سائل الى غاز وتظهر في تحولها من غاز الى سائل ومن سائل الى جامد مثال ذلك اذا وضعنا قطعة ثلج في وعاء وجعلنا الوعاء على النار وجعلنا مقياس الحرارة في الثلج فانه ينزل الى صفر ويأخذ الثلج في الذوبان رويدًا رويدًا لأنه يتحوّل بالحرارة من جامد الى سائل ولكن درجة الحرارة بالمقياس لا ترتفع عن الصفر حتى يذوب كل ما في الوعاء من الثلج ويصبح كله ماء فعند ذلك تأخذ الحرارة بالارتفاع حتى تبلغ مئة درجة سنتكراد فيأخذ بالغليان أي بالتحوّل من سائل الى بخار ومهما زدت الوقود تحت ذلك الوعاء فالحرارة لا ترتفع عن المئة قط ولا يزال الماء يتبخر حتى لا يبقى منه في الوعاء شيء ولو قست حرارة البخار المتصاعد عن الوعاء لرأيتة تحت درجة الغليان بدرجات كثيرة

ثم لو جئت ببخار مائي على درجة الحرارة الاعتيادية وجعلته في وعاء ضاغط وضغطته الى درجة معلومة فانه يتحوّل الى ماء وعند تحوّله تشعر بحرارة شديدة ثم لو أمكن تحويل الماء الى ثلج بالضغط لرأينا منه مثل هذه الظواهر. ففي الحال الأولى اختفت الحرارة وفي الحال الثانية ظهر ما كان مختفيًا منها فلما جعلنا الوعاء على النار وفيه ثلج لم ترتفع حرارة السائل فيه حتى ذاب كل الثلج فأين ذهبت الحرارة التي تولدت بالوقود ومرّت في الثلج وحوّلته الى ماء لا شك انها اختفت فيه ثم ما زالت الحرارة ترتفع حتى وصلت الى درجة الغليان (١٠٠ درجة سنتكراد) فأخذ الماء يتحوّل الى بخار ولم تعد الحرارة ترتفع قط فأين ذهبت الحرارة التي تولدت أثناء الغليان انها اختفت في تحويل السائل الى بخار وهذا سبب تبريد الماء بوضعها في أوعية من الفخار اذ يتبخر الماء عن سطحها ويتبخر يختفي فيه جانب من حرارة الماء فيبرد. وتبقى الحرارة المختفية محفوظة حتى تتحوّل تلك الاجسام من ألطف الى أكثف اي من غاز الى سائل فتظهر كما رأيت. فنواميس الحرارة المتقدم ذكرها لا يمكن تعليلها الاّ بتقدير انها حركة في جواهر الاجسام فتمدد الاجسام بالحرارة عبارة عن زيادة تلك الحرارة زيادة طفيفة فتتباعد الجواهر بعضها عن بعض تباعدًا طفيفًا مع بقائها ضمن حدود معينة الاّ في البخار أو الغاز فان الجواهر فيها تخترق الحدود وتذهب بحركتها كل مذهب ولا تعرف حدًّا الاّ جدران الوعاء فلو استطعنا رؤية هذه الجواهر لرأيناها تلاطم الجدران ولو اطلق سبيلها في الفضاء لذهبت الى ما لا نهاية له

وتولد الحرارة بالفرك عبارة عن تهييج حركة تلك الجواهر واثارة القوة الكامنة

فيها فتختفي وتولدها بالضغط يشبه ظهور الحرارة المختفية بتحولها من ألطف الى أكثف لان الحركة التي كانت حافظة حجماً معلوماً للجسم لو ضغطنا ذلك الجسم بالقوة حتى صغرنا حجمه لاقتضى انصراف تلك الحركة فتظهر بمظهر الحرارة

والحرارة المختفية عبارة عن انصراف الحرارة المتولدة بالوقود في زيادة حركة الجواهر حتى يتحوّل الجسم من جامد الى سائل فاذا صار سائلاً صارت تظهر الحرارة فيه حتى يبلغ الدرجة التي يتحوّل فيها ذلك السائل الى بخار فلا تعود تظهر لانها تنصرف في زيادة حركة الجواهر المتقدم ذكرها ثم لما نضغط البخار ونحوّله الى سائل فالحركة التي كانت منصرفة في زيادة حركة الجواهر لم يعد لها لزوم فتظهر . ويشبه ذلك اذا كان جسم متحركاً الى جهة فاوقفته بغتة فان ايقافه يحدث صدمة تتولد منها حرارة تختلف باختلاف مقدار سرعة ذلك الجسم فمقدار الحرارة التي تظهر عند تحويل الغاز الى سائل يناسب مقدار الحرارة التي اختفت عند تحويل ذلك السائل الى غاز

فالحرارة وبعبارة اخرى القوى الطبيعية (الحرارة والنور والكهربائية) ترجع في تعليلها الى حركة الجواهر الفردة وليس ذلك من قبيل التخمين الوهمي فانهم توصلوا بعلمهم الآن الى قياس سرعة تلك الحركة وخصوصاً الامواج التي تنتقل بها تلك الحركة فهم يذكرون عدد امواج النور في الثانية وعدد الاميال التي يقطعها النور في الثانية بل عرفوا عدد تموّجات كل لون من ألوان النور في الثانية وعدد تلك الامواج في القيراط الواحد فوجدوا ان سرعة النور ١٨٤ر٠٠٠ ميل في الثانية واما عدد الامواج بحسب الالوان فتظهر من الجدول الآتي

اللون	عدد الامواج في القيراط	عدد التموجات في الثانية
الأحمر	٣٩ر٠٠٠	٤٧٧ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
البرتقالي	٤٢ر٠٠٠	٥٠٦ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الأصفر	٤٤ر٠٠٠	٥٣٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الأخضر	٤٧ر٠٠٠	٥٧٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الأزرق	٥١ر٠٠٠	٦٢٢ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
النيلي	٥٤ر٠٠٠	٦٥٨ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
البنفسجي	٥٧ر٠٠٠	٦٩٩ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠

ووجدوا أيضاً ان عدد امواج الحرارة أقل من امواج اللون الأحمر وعدد أمواج الكهربائية اكثر من امواج البنفسجي

فالفرق بين القوى الطبيعية بالمقدار فقط فانها كلها حركة في جواهر الاجسام ولكن تلك الحركة تختلف مقداراً ونوعاً فتظهر تارة حرارة وطوراً نوراً وأخرى كهربائية

فكل ما في هذه الارض من الاعمال والحركات على اختلاف اشكالها من حية وجامدة انما هي ناتجة عن حركة تلك الجواهر

وكما ان المادة خالدة لا تتلاشى فالقوة ايضاً باقية لا تتلاشى وان تلاشت ظواهرها فقد يوقد أحدنا شمعة فيرى الحرارة تتولد وتندثر وهي لم تندثر ولكنها انتشرت في الفضاء لتحفظ فيه الى حين الحاجة أما النار التي توقد في حلة الآلة البخارية فانها تختفي في تحويل الماء الى بخار وتنتقل بضغط البخار فتحرك الآلة والآلة تحرك القطار والقطار يحمل الناس ولكن من يراقب مصير القوى الطبيعية يرها تنصرف كلها أخيراً او بعضها الى الفضاء ولكنه لو امعن الفكرة أيضاً في مصدرها الحقيقي لرأى انه الشمس فالوقود التي تقدها لتوليد الحركات الانتقالية وغيرها والقوى التي نبذلها من انفسنا وقوى الحيوانات التي نستخدمها في النقل والحمل او غيرها كل ذلك مصدره من الشمس وتفسير ذلك ان سائر انواع الوقود ترجع الى النبات وسائر القوى الحية ترجع الى الحيوان فالنبات والحيوان أصل كل هذه القوى وهناك قوى اخر كنزول الأمطار وجري الانهار ومسير العواصف والزوابع وما جرى مجراها

فهذه كلها راجعة الى حرارة الشمس فنزول الامطار وجري الانهار وتلاطم امواج البحار وحركات الزوابع والعواصف علاقتها بحرارة الشمس واضحة لا تحتاج الى دليل وأما أعمال الوقود والاعمال الحيوية فدليلها ان النبات لا ينمو بغير أشعة الشمس فالاشعة تكسبه قوة ينمو بها ويغتذي وتدخر فيه تلك القوة حتى يصير شجراً فاذا قطعوه حطباً واوقدوه فالحرارة المتولدة من الاشتعال انما هي القوة التي اذخرتها الشمس في الشجرة اثناء نموها والحيوان ينمو ويغتذي بتناول النبات وهضمه فتنتقل القوة التي اكتسبها النبات من الشمس عند نموه الى جسم الحيوان ويحفظ فيه فاذا رفع الحيوان ثقلاً انما يرفعه بقوة اكتسبها في الاصل من حرارة الشمس واذا عمل الانسان عملاً عقلياً

أو بدنياً انما ينفق فيه ما اذخره من الطعام ومرجعه اخيرًا الى أشعة الشمس

فحركات الأمطار والزوابع والرياح وتلاطم أمواج البحار وجري الانهار ونمو النبات والحيوان ومسير السفن في البحار والقطر في البر وحركات الحيوان وسائر اعمال الانسان من عقلية وغير عقلية كل ذلك راجع الى اشعة الشمس وقد تقدم ان مصير القوى أخيرًا الى الفضاء. فلعل القوة التي تنتقل من الشمس وتعمل اعمالها على الارض تعود فترجع الى حيث اتت

وخلاصة ما تقدَّم ان هذا الكون على اختلاف ظواهره ومجاري حوادثه يرجع عند التخصيص الى المادة والقوة او الى الجوهر الفرد وحركته المعبر عنها بالجذب والدفع وقد تقدم ان المادة والقوة خالدتان وهما مرجع كل ما في هذا الكون فلنا في ذلك دليل قاطع على تأ ييد القول بخلود النفس ولله في خلقه حكمة لا تدركها العقول



باب المراسلات

الحواة

حضرة الاكرم منشيء الهلال الزاهر

سررت كثيرًا من سؤال حضرة محمد بك توفيق أباظه من جهة تدجيل الحواة المدرج بالجزء التاسع عشر من السنة الثالثة من هلالكم الاغر ومن بحثكم الدقيق وتكلفكم المشقة في كشف سر شعوذة هؤلاء الدجالين (الحواة) كما ورد في جوابكم على السؤال المذكور مما سرّ قرّاء هلالكم الادباء.

وبما انكم تذكرون في خاتمة جوابكم وخلاصته ان لبعض الحواة المشعوذين طرقًا دقيقة قد تنطلي على أدق المراقبين رأيت ان أذكر لقراء الهلال النجباء حادثة جرت معي من هذا القبيل تنفي كل شبهة في تدجيل الحواة وتساعد في كشف حيلهم وهي :

كنت مرة في أبعادية المرحوم موسى باشا حكمدار السودان سابقًا بشرق سهود

اصحابها عذراً ونرجو حضرات المراسلين والسائلين ان يجتنبوا مثل هذه الابحاث لأنها خارجة عن موضوع الهلال

ونتقدم اليهم أيضاً أن يعذرونا في تأخير الاجابة على اقتراحاتهم احياناً لتراكم المسائل علينا واضطرارنا الى اغفال بعضها لانحصار موضوعها او لعدم فهم المراد منها أو عدم وضوح اسم مرسلها فمن استبطأ الاجابة على اقتراحه فلينبهنا الى ذلك مع ذكر السؤال ثانية وايضاحه

باب السؤال والاقتراح

اللهيب والاشتعال

(القاهرة) محمد افندي فؤاد بالخاصة الخديوية

من المعلوم ان كل جسم منير يعيش في الهواء فاذا اشتد عليه الهواء انطفأ كالشمعة مثلاً . فلماذا لا تنطفي الشمس ولها جو وهواء

(الهلال) لا بد في الاجابة على سؤالكم من التمييز بين الاشتعال والانارة فالاشتعال الاحتراق وهو عمل كيماوي ويحدث عادة من اتحاد المادة المشتعلة باكسجين الهواء فيتولد من اتحادهما غاز او غازات وقد يتولد غير ذلك فاشتعال الفحم عبارة عن اتحاده باكسجين الهواء والحرارة الحاصلة من الاشتعال من جملة الظواهر الكيماوية التي تنتج عن الاتحاد لان بعض الأعمال الكيماوية يحدث كهربائية كالبطاريات وبعضها يحدث حرارة فقط بغير نور كاتحاد الحامض الكبريتيك بالسكر كما لو وضعت شراباً سكرياً في أنبوب وصببت عليه قليلاً من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) فتسخن الانبوب وقد تشتد حرارتها حتى تتكسر ولم يكن حرارة قبل المزج فالحرارة تولدت بالعمل الكيماوي الذي حصل في الانبوب وذلك ان الحامض الكبريتيك يحل السكر فيتركب مع بعض اجزائه فتتولد مركبات جديدة يتصاعد بعضها على هيئة غازات

وبعضها يبقى على شكل سائل وأخيرًا يسودُّ المزيج ولو فحصت المادة السوداء الباقية في الانبوب لوجدتها فحماً وهو جزء من أجزاء السكر

فالحرارة الحادثة بالاشتعال ظاهرة من الظواهر الكياوية التي لا بد منها في كل عمل كياوي وهي ثلاث النور والحرارة والكهربائية

والاشتعال لا يبطله الهواء اذا زاد بل هو يزداد قوة بازدياد الهواء والشاهد على ذلك واضح من استعمال المنافخ في ايقاد الفحم فكلما نفخت في النار ازدادت اشتعالاً وبازدياد الاشتعال يزداد النور ايضاً اما انطفاء الشمعة بازدياد الهواء فلهُ سبب ستبينه لكم فيما يأتي

وقبل ذلك يجب ان نبين الفرق بين الاشتعال والانارة وقد عرفت ما هو الاشتعال فالانارة ظاهرة من ظواهر الاشتعال وقد تحدث بدونهِ فان الانوار الكهربائية لا اشتعال فيها وبعبارة اخرى ان الجزء المنير من القنديل الكهربائي لا يحدث فيهِ عمل كياوي اي انهُ لا يتركب مع اوكسجين الهواء ولا يتولد عنهُ مركبات جديدة والدليل على ذلك ان النور الكهربائي ينير وهو محجوب عن الهواء والجزء المنير منهُ لا ينالهُ تحليل ولا تركيب بدليل انهُ لا يقل ولا يزيد ولا يحدث فيهِ تغيير فالانارة عبارة عن حمي المادة المنيرة الى درجة البياض فاذا احميت قطعة من حديد في النار واشتدت حرارتها تحمر فاذا اشتدت اكثر من ذلك تبيضُّ فتنير اما الفحم فاذا احميتهُ يشتعل وقلما ينير والسبب في ذلك ان المواد تتفاوت في احتمالها الاحماء قبل ان تشتعل فالفصفور مثلاً يشتعل بمجرد ملامستهِ الهواء على الحرارة الاعتيادية والكبريت يشتعل بالحرارة الحادثة من الفرك الشديد والفحم يشتعل بحرارة الاشتعال الاعتيادية قبل ان يحمى الى درجة البياض ولكن الحديد مثلاً يحمر ويبيض قبل ان يشتعل والاجسام لا تنير الا اذا حميت ولم تشتعل لان الاشتعال اتحاد المادة المشتعلة بالاوكسجين فيحدث من ذلك الاتحاد مادة جديدة اما غازية تنتشر في الهواء او جامدة او سائلة تتساقط على الارض ولا يحدث عنها نور

ثم ان اللهيب لا يحدث في الاشتعال الا اذا كانت المادة المشتعلة غازًا او تحولت الى غاز قبل الاشتعال فالفحم لا لهيب لهُ لانهُ يشتعل وهو جامد ولكن الزيوت لها لهيب لأن بعضها او كلها يتحوَّل الى غاز او بخار قبل الاشتعال فحيثما ترى لهباً

اعلم ان بعض المادة المشتعلة او كلها غاز او تحوّل الى غاز قبل الاشتعال

واذ قد اتضح ذلك نعود الى الشمعة واشتعالها فالشمعة مادة دهنية مركبة من الكربون والهيدروجين والاوكسجين فاذا أنرت الشمعة وتأملت لهيبها رأيته مؤلفاً من أربعة أجزاء (١) الجزء السفلي المزرق وهو لهيب ازرق (٢) الجزء المخروطي المنير وهو أبيض محمر (٣) الجزء المتوسط المظلم وهو قلب اللهيب (٤) الجزء الخارجي الشفاف المحيط بالجزء المنير فاللهيب الازرق يكوّن قاعدة اللهيب وهو عبارة عن اشتعال هيدروجين الشمعة باتحاده مع اوكسجين الهواء والهيدروجين اذا اشتعل كان لهيبة ازرق والجزء المنير دقائق الكربون محماة الى درجة البياض وهي التي تنير والجزء المظلم في داخل اللهيب عبارة عن دقائق الكربون المنحل من الشمعة قبل احمائه والجزء الخارجي الشفاف المركب الحادث من اشتعال دقائق الفحم المحماة فعند اشتعال فتيلة الشمعة يذوب الجزء القريب لها من الشمع و يصعد في الفتيلة بالجاذبية الشعرية وعند ملامسته النار ينحل الى مواده الاصلية وهي الكربون والاوكسجين والهيدروجين والهيدروجين غاز سريع الاشتعال فحالما ينحل يشتعل بلهيب ازرق وما بقي واكثره من الكربون يحمى بعضه و يظهر على هيئة الجزء المنير و يبقى البعض الآخر داخل اللهيب مظلماً ولو استخرجته لرأيته فحماً دقيقاً يظهر على هيئة السناج ثم ان الكربون المحمى متى لامس الهواء يشتعل و يظهر على هيئة الجزء الخارجي الشفاف و يأتي مكانه جزء من الكربون من الجزء المظلم فيحمى الى درجة البياض و ينير فالجزء المنير من لهيب الشمعة كربون محمى الى درجة الانارة سابح في غاز الهيدروجين المشتعل فاذا اشتعلت تلك الدقائق تصير غازاً شفافاً يظهر خارج القسم المنير ومنها ينتشر في الهواء على هيئة غاز الحامض الكربونيك كما تقدم وهكذا على التوالي

فالشمعة تبقى منيرة طالما كان هيدروجينها مشتعلاً فاذا اشتد الهواء عليها برد أسفل اللهيب فلم تعد حرارته كافية لاشتعال الهيدروجين فتنطفىء وهذا هو سبب انطفاء الشمعة وسائر المواد التي تنير بواسطة اللهيب كزيت الكاز وغيره

أما الشمس فنورها حادث عن مواد جامدة محماة الى درجة البياض ولو فرضنا ازدياد الرّياح عليها فهي لا تزيدها الا احماء فتزداد نوراً ويحيط بالشمس جو من

الغازات المحماة ولكن النور يخرقها لشفافتها فلا تؤثر عليه على ان العلماء في اختلاف من قبيل مصدر نور الشمس مما لا محل له هنا · والخلاصة ان المواد المنيرة بواسطة اللهيب كالشمعة وسائر الزيوت تنطفئ اذا اشتد عليها الهواء و برد لهيبها أما المواد المنيرة بواسطة الاحماء فلا تؤثر مجاري الهواء على نورها طالما كان مصدر الاحماء باقياً

﴿ العرب الجاهلية ﴾

(القاهرة) ع

كنت أطالع في كتاب مجمع الأمثال للميداني فاذا في الصحيفة ١٢٢ المثل الآتي (أجرأ من فارس خصاف) و بتلاوة الأسباب التي وُضع لأجلها هذا المثل فاذا فيه روايتان الأولى لمحمد بن حبيب والثانية لابن الاعرابي وهي بغيتنا حيث قال بأن اصل هذا المثل هو (ان جند ملك من ملوك الفرس غزوهم (بني غسان) وكان عندهم ان جنود الملك لا يموتون فشد فارس خصاف على رجل منهم فطعنة فخرّ صريعاً فرجع الى اصحابه فقال و يلكم القوم أمثالكم يموتون كما نموت فتعالوا نقارعهم فشدوا عليهم فهزموهم فضرب بفارس خصاف المثل) فمن عبارة ابن الاعرابي كما هي مذكورة بالحرف الواحد يعلم لنا بأن الجهل كان متسلطاً عند العرب حتى كانوا لسخافة عقولهم أو بالحرى عقول أهل هذه القبيلة يعتقدون بأن جنود الملك لا يموتون و بالطبع كانوا يعتقدون و يتوهمون اكثر من ذلك مع ان العرب مشهورون بالذكاء والشجاعة والسخاء وانهم كانوا يبذلون النفس والنفيس في التوصل لاكتساب الشرف والسمعة وما شابه ذلك ولما كانت هذه العبارة توجب الالتباس اذ هي مخالفة لما نقرأهُ ونسمعهُ عن العرب وجاهليتهم فبناء عليه نرجو ان تفيدونا عن سبب هذا الاختلاف وما هو القصد من تحرير هذه العبارة

(الهلال) اذا اردتم البحث في صدق هذه الرّواية او كذبها فذلك أمرٌ يعسر الوصول اليه لأن هذه الحكاية وأمثالها تتوقلت على السنة الرّواة والقصاصين أجيالاً قبل ان دونت ولا يمكنا الطعن في صدقها اذ ليس ما يمنع وقوعها وأما اذا شئتم البحث في كيفية انطباقها على حال العرب في الجاهلية فعندنا انها لا تؤثر شيئاً على ما اشتهروا به من السخاء والشجاعة والذكاء. فان هذه الاعتقادات وأمثالها لم تخل منها

المائدة الناطقة

(نيار . بأميركا) لياس افندي يعقوب انطون

أنشأتم في بعض اعداد مجلتكم نبذات خصوصية اجابة لبعض السائلين بينتم فيها كذب ما يدعيه بعضهم من الخرافات التي يدعونها « تجربة » كالتنجيم والدبن واستحضار الارواح الخ وبالحقيقة ان كلما كتبتموهُ بهذا الشأن قريب الى الاقناع حري بالسمع والانتباه . لكن يذهلنا امر بعض الملاعب التي يجريها بعض النبهاء بحضور العشرات من الناس ننقل اليكم منها ما رأيناه رأي العين لعلكم تكشفون لنا عن حقيقتها

كان بعض النبهاء الطرابلسيين قاطنًا بالاسكندرية فدعاهُ داعي الشوق الى مشاهدة أهلهِ وذويهِ في طرابلس الشام ففي ذات ليلة كان الناس مجتمعين لتهنئتهِ بسلامة الرجوع فدنا منهم وسألهم ان يسمحوا له بالانتباه لما سيجريه لهم من الالعاب التي ستكون من أحسن دواعي سرورهم في تلك الليلة فطلب من صاحب المنزل ان يأتيه بطاولة ذات ثلاث أرجل فأتوهُ بها فطلب ثلاثة أولاد قال انهُ يستحضر بواسطتهم روح أيّ ميت كان من أقارب الحاضرين فقدموا له ثلاثة أولاد فأمرهم ان يضعوا ايديهم على الطاولة بشكل مثلث ففعلوا فأخذ يقرأ ويدمدم ويصلي ويبغمّ زاعمًا انهُ كان يستحضر الارواح ويستخدم الجان وقد تبين اخيرًا انهُ كان يقرأ فصولاً من بعض الكتب المقدسة ومن غيرها ثم نظر ذات اليمين وذات اليسار وسأل الجمع الحاضر هل يحب احد ان يخاطب احدًا من ذويهِ او أصدقائهِ من الاموات فأجابهُ أحدهم انهُ يود ان يرى والدهُ ويخاطبهُ فأشار اليهِ ان يدخل الدائرة المرسومة ويضع أصبعًا من أصابعهِ على تلك الطاولة فدخل الدائرة ووضع احدى أصابعهِ في المحل الذي أشار اليهِ ثم طلب منهُ معرفة اسم والدهِ فأجاب على سؤالهِ وعلى أسئلة اخرى لا محل لذكرها هنا ثم استدعى تلك الروح باسمها بصوت جهوري وهو لا يميل بنظرهِ عن الطاولة وقال « متى حضرتِ أيتها الرُّوح واستنشقتِ نسيم ارض الشقاء اعلميني بثلاث ضربات من هذه الرِّجل » وأشار بيدهِ الى رِجل من أرجل الطاولة التي كانت كل الابصار والانظار حائمة عليها . كل ذلك والاولاد الثلاثة لا تزال أيديهم على تلك الطاولة ولم تمضِ برهة يسيرة حتى رأينا الرِّجل التي أومأ

اليها تحرك رويدًا رويدًا وما لبثت ان ارتفعت بهدوء وسكينة (من تلقاء نفسها) وصارت تطرق و بوصولها للطرقة الثالثة سكنت وهدأت « وكانت الطاولة قائمة على صينية من نحاس ليسمع صوت كل ضربة من ضربات رجلها » ثم عاد فسألها هل وصلت الرّوح الى ارض الشقا. فطرقت له طرقة واحدة برجلها تعني نعم وهناك صار يسألها أسئلة كثيرة عن معارف تلك الرّوح وأصدقائها وأهلها وأقربائها وغير ذلك من الأسئلة حتى تعجب الحاضرون اذ كانت تجيب عن كل سؤال بمفرده بكل تدقيق .

وكيفية ذلك انها كانت تضرب عن كل حرف من الحروف الهجائية ضربة الى ان تصل الى الحرف الاوّل من الاسم او الامر المسئولة عنه فتقف ثم تعود فتطرق مبتدئة بطرقاتها من اوّل الحروف الهجائية كالاوّل و بوصولها الى الحرف الثاني من الاسم المسئولة عنه تقف وكذلك حتى النهاية فان كان الاسم المسئولة عنه « عمر » مثلاً تتابع الطرقات من حرف الالف الى حرف الظاء و بوصولها الى حرف العين تقف فيكتب الحاضرون الحرف « ع » ثم تعاود الطرقات من اوّل الحروف الهجائية الى ان تصل الى حرف الميم فتسكت ثم تعاود طرقاتها من الاوّل مبتدئة من اوّل الحروف الهجائية حتى تصل الى حرف الراء الذي هو آخر احرف كلمة عمر وهناك تصمت صمتاً تاماً

ومما يحير عقولنا من امر هذه الطاولة معرفتها الغيب الذي يمكن حصوله بعد زمن فان بعض الحضور سألها « هلمّ ايتها الرّوح المتجسدة بهيكل هذه الطاولة احصِ عدد رجال ونساء هذا الجمع » فاخذت تدمدم بالطرق تريد بكل طرقة شخصاً فلما صمتت اخذ الحاضرون باحصاء الجمهور الحاضر فكانت طرقاتها اكثر من عدد الموجودين بطرقتين فعجبنا لامرها ولم يكن صاحبها أقل عجبًا منا ولذلك اعاد السؤال عليها فاجابت ولكن كالاوّل تمامًا أي بزيادة طرقتين على عدد الموجودين فاحتار في أمرها فسألها ان تعد الرجال اوّلاً ففعلت فكانت طرقاتها مطابقة لعدد الرجال تماماً ثم سألها ان تعد النساء فزادت طرقاتها عن عددهن اثنتين فانذهل الحضور لوقوع هذا الخلل الذي لم تعودهم اياه فكرّر لي سؤالها وكان جوابها واحدًا فاخذ البعض في الاستقصاء وملاحظة احوال الحاضرين فوجد امرأتين حاملين ولم يمض من عهد

ذلك التاريخ وقت يسير حتى وضعت كلّ منهما ابنة فتأمل

وكل ذلك كان برأى من كثيرين الامر الذي حدا بالجميع الى الاعجاب والانذهال وهذا ما الجأنا الى سؤالكم عن سبب وقوع هذه الغرابة فهل لكم ان تزيلوا لنا عنها الاشكال وتوضحوا كيفية حصول هذه المعجزات ببرهان علمي او اختباري قريب من التصديق

(الهلال) ان الحكم في حادثة منفردة وبيان صحتها او فسادها لا يتأتى الا بمشاهدة وقائعها عياناً وفحص الادوات والاحوال التي استخدمت فيها وتحقق نية الفاعل هل اخلص في ما اجراه ولم يستخدم الشعوذة ام دبر الحيلة قبل مباشرة العمل بالتواطؤ مع احد او باستخدام وسائل اخرى خفية انطلت على الحاضرين

ولكننا نحكم في مثل هذه الحوادث بما نعلمه من النواميس العلمية المقررة التي لا سبيل الى نقضها فالعلم لا يساعدنا على قبول مثل هذه الاقوال . ومسألة تجلي الارواح من المسائل التي قد برهن العلم فسادها وكثيراً ما حاول بعض زعمائها تقرير صحتها باساليب مختلفة فمنهم من استخدم المائدة وآخرون بغير المائدة وانتشرت اعمالهم في انحاء اوربا وتقاطر الناس افواجاً لمشاهدة ارواح اقاربهم واصدقائهم وظن اصحاب هذه الدعوى انهم نالوا مرامهم فذهبت مساعيهم ادراج الرياح واشهر من اظهر شعوذتهم العلامة تندل الانكليزي فقد زار بعض شركات الارواح بنفسه وبين فساد مدعاهم بالادلة الواضحة العيانية .

ثم نعود الى القول بان الخرافة لا تخلو من الحقيقة فمسألة حركات هذه المائدة لا تخلو من اصل مبني على الحقيقة او شبهها ويشبه ذلك ما ذكرناه مرة عن قراءة الافكار فان في بعضهم قوة على استطلاع افكار الآخرين او سلطة على استهوائهم وكشف مكنونات صدورهم وقد يكفي لذلك دقة احساس الكاشف فلو كنت في مجلس اصدقاء وقال لك احدهم اضمر في ذهنك شخص احد الحضور وانا اكشف لك المضمر فقد تظن لاول وهلة ان ذلك مستحيل عليه لعلمك انه ليس من قراءة الأفكار ولكنه لا يلبث ان يبين لك ضميرك على مشهد من الناس وتكون انت المساعد له على ذلك من حيث لا تدري وذلك بأن تقف انت امامه مغمض العينين بمنديل و يقف هو وراءك جاعلاً كفيه على كتفيك ثم يطلب اليك ان تسير امامه ببطء بين الحاضرين وان توجه

ذهنك الى الشخص الذي قد أضمرتهُ ولا تكف عن التفكر بهِ قط فاذا سرتما يقود احدكما الآخر لا يزال هو يدنو بك من هذا الشخص وذاك و يلاحظ بكفيهِ جهة اتجاه حواسك حتى يدرك الجهة التي توجه اليها ذهنك فيعرف الشخص المضمر حالاً وأنت لا تشعر بأنك أبديت أقل حركة تبين حركة ذهنك وقلما يخيب ظنهُ الاَّ اذا لم تحسن توجيه ذهنك جيدًا وقد جرَّبنا ذلك بنفسنا غير مرة وتحققنا وقوعها مع غير واحد من أصدقائنا . هذه في الحال مع من لا يقرأون الافكار اما الذين يقرأونها وخصوصًا اذا مارسوا ذلك مدة فانهم لا يحتاجون الى اكثر من القبض على كف المضمر فيبين لهُ ضميرهُ حرفًا حرفًا

فاذا جلس جماعة حول مائدة ذات ثلاث أرجل ووضعوا ايديهم عليها واضمروا كلهم ضميرًا واحدًا ووجهوا أذهانهم اليهِ معًا لا يبعد ان تتحرَّك المائدة حركة لم يعلمون انها تدل على ذلك الضمير ولكنها لا تتعدى هذه الدلالة البسيطة وقد لا تدركها وانما جئنا بذلك تعليلاً لما ربما يقع في مثل هذه الحال

اما الذين يستخدمون الموائد في استحضار الارواح ومخاطبتها وكشف أسرار الناس او ما شاكل فهي من قبيل الشعوذة المبنية على الحيلة اما بالتواطؤ مع احد او بايصال رِجل الطاولة بمجرى كهربائي الى مكان آخر وهناك احد المتواطئين فيحرّك الطاولة كيف شاء او غير ذلك من أساليب الشعوذة والله أعلم

آخر ملك مصري

(الفيوم) راغب افندي مخائيل بالبوسطة بالفيوم

يقولون ان آخر ملك مصري حكم مصر هو هنتطنبو (Henegtambo) فهل هذا حقيقي نرجو الافادة

(الهلال) ان في قولكم « آخر ملك مصري » تقييدًا قد يقف بنا عند الجواب بين التحقيق والريب لان العائلات التي حكمت مصر بعد ملوك الرعاة والاثيوبيين وغيرهم اختلطت انسابها وتشابهت اصولها حتى لم يعد في الامكان الحكم القطعي على وطنية كل ملك منها والمشهور ان آخر عائلة مصرية حكمت مصر العائلة السادسة والعشرون وآخر ملوكها بسامتيك الثالث واسمهُ باللغة المصرية القديمة (كا اعنخ ان رع)

الياس صالح

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

لم يكد يتم العامان مذ فجعنا الدهر بأخ شقيق حتى داهمنا بفقد أخ صديق فانفتحت جروحنا وتفطرت قلوبنا وتصدعت رؤوسنا - فضيا وهما سميان وبينهما عامان كاملان كأنهما وا أسفي عليهما افترقا على موعد وقد التقيا في دار لا فناء لها وغادرانا نقضي النهار بكاء ونطوي الليل تحرقاً وعقولنا حائرة في شؤون هذا الكون ووجه الحكمة في احكامه

فصيبتنا الآن في صديق ودود وخل وفي وأخ حبيب عاشرناه وجالسناه وآكلناه وشاربناه سبعة اعوام متوالية حتى امتزجت روحنا بروحه واتحد قلبنا بقلبه ونحن في غفلة عن طوارق الحدثان ففاجأتنا يد الاقدار واختطفته من بيننا وهو غض الشباب كبير النفس واسع الآمال وكنا نعد وسائل الاحتفال بقرانه في هذا الصيف فأبدلنا رسائل التهنئة بمراثي التعزية والافراح بالاحزان انا لله وانا اليه راجعون

قضى رحمة الله وقد قضينا ستين يوماً في تطبيبه وتمريضه نستشير الاطباء ونبدل الدواء بالدواء ونحن لا ندري

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

قضينا الشهرين وقوفاً والقلوب واجفة والاكف مرتعشة نعلل النفس بالآمال حتى نفدت في تطبيبه حيل العقاقير فأشار الاطباء بتبديل الهواء في ربوع الشام ففارقناه والهفي عليه وقد ركب القطار يشيعه والده وشقيقه ويودعه الاصدقاء والخلان وفينا بقية أمل بلقائه

وأي فتى ودعت يوم طويلع عشية سلمنا عليهِ وسلما

ودعاهُ وما علمنا انهُ الوداع الذي لا لقاء بعدهُ الاَّ في فضاء الابدية

فقضى واحسرتاه عليهِ في بيروت مسقط رأسهِ في اوَّل يونيو الجاري ولم يبت فيها الاَّ ليلة واحدة ولا اتمَّ العام السادس والعشرين من عمرهِ فاحتفلوا في تشييعهِ احتفالاً يليق بمنزلتهِ مشى فيهِ جماعة الاكليروس الارثوذكسي ووجهاء بيروت وعلماؤُها وادباؤُها وفي جملتهم رفقاؤُهُ تلامذة المدرسة الكلية السورية وقد حملوا نعشهُ على ايديهم وعليهِ اكاليل الزهر واسم الفقيد ولما وصلوا بهِ كنيسة القديس ديمتريوس صلوا عليهِ وواروهُ التراب ثم ابنهُ الخطباء الافاضل ابراهيم افندي الحوراني والياس افندي حنيكاتي واسعد افندي عقيش والخواجه سليم تحجي ورزق افندي الحداد وفارس افندي يعقوب الخوري ونقولا افندي فياض وسليم افندي كوهن وجبران افندي فوتيه وغيرهم واختتم التأبين حضرة الخطيب الفاضل اسكندر افندي العازر ولولا ضيق الوقت لأبنهُ كثيرون غيرهم . ولا غرو اذا بكاهُ الاهل والخلان وابنهُ الخطباء والشعراء او رثاه الكتباء والادباء فان على مثلهِ يحق الرثاء وعلى فقدهِ يجدر البكاء . فقد كان على صغر سنهِ نابغة الشعراء وعمدة الكتاب والبلغاء اذا نظم سحر الالباب واذا نثر شنف الاسماع فلا عجب اذا طارصيتهُ في القطرين وبكاه اهل المصريين ولو فسح في اجلهِ لرأينا من نفثات اقلامهِ وبنات افكاره ما يفاخر بهِ اهل هذا القرن اهل القرون الخالية كيف لا وقد نظم الشعر في العاشرة من عمرهِ وتولى الاشتغال في تحرير المقطم قبل ان يدرك العشرين فرأينا من نظمهِ ونثرهِ ما قد يعجز فطاحل الشعراء وعمدة الكتاب عن الاتيان بمثلهِ

كان رحمهُ الله متوقد الذهن ذكياً فطناً لا تكاد تبدأ بحديثك حتى يدرك مرادك منهُ ولا تخفاه خفية من ممكنات معانيهِ فيخال لك انهُ ينطق بلسانك ويعبر عن جنانك

وكان كاتباً اديباً تسيل عبارتهُ سهولةً وتمتزج معانيهِ بالنفوس رقة قلَّ ان يهفو هفوة يؤاخذ عليها متضلعاً بقواعد اللغة لو سألتهُ عن اي شاردة من شواردها لاجابك فوراً واورد لك مثالاً او أمثلة . وكان انشاؤُهُ عربياً فصيحاً خالصاً من صبغة العجمة مع كثرة اشتغالهِ ومطالعاتهِ باللغات الاجنبية . وكان قابضاً على ناصية الالفاظ عارفاً اشتقاقاتها ومواقعها واظلال معانيها فلا تسألهُ عن لفظ الاَّ اورد لك سائر اشتقاقاتهِ

ومعانيها وإشار باصبعهِ الى موضع كل منها في الصفحة من القاموس

وكان شاعراً مطبوعاً نظم الشعر قبل ان بلغ الحلم ويمتاز شعره مع الدقة والفصاحة بالسهولة والطلاوة لا يخلو لهُ بيت من نكتة تدل على الذكاء والظرف وقد نظم على صغر سنهِ واشتغالهِ عن الشعر قصائد رنانة ومقاطع جرت مجرى الامثال ولهُ في نظم التاريخ ابيات يندر ان يتفق مثلها لغيره من الشعراء وسنجمع ذلك كلهُ ان شاء الله تعالى في كتاب خاص نضم اليهِ سائر مآثره نظماً ونثراً ولكننا نذكر منها هنا تاريخاً نظمهُ تقريظاً لكتابنا تاريخ مصر الحديث عند صدوره سنة ١٣٠٨ هـ يكاد يكون معجزة من معجزات النظم وهو قولهُ بعد وصف الكتاب

وبالاختصار فقد حوى ووعى ما لم يكن في الكتب منسوخا
فيرى الحكيم لهُ بهِ عظة ويرى الجهول كذاك توبيخا
ويرى المطالع فيهِ تكبهة ويرى المؤرخ فيهِ تاريخا

وآخر ما نظمهُ قبل مرضهِ بيتان كتبهما الى خطيبتهِ على بطاقة وفيهما اشارة الى ساعة اهداها اليها وهما

يا من دعاني حبهُ فأجبتهُ سمعاً لما تدعو اليهِ وطاعه
تفديك روحي ان حبك راسخ فيها قديماً قبل هذه الساعه

وبيتان آخران كتبهما اليها وقد اهداها حلياً مرصعاً على شكل طير يجعل في اعلى الصدر وهما

اليك حبيب القلب مني هدية تزيدك في عيني محاسنها حسنا
أتتك وقد حنّت اليك صبابة ولا عجب للطير ان يعشق الغصنا

وآخر ما نظمهُ بعد مرضهِ وقد ثقلت عليهِ وطأة الحمى بيتان قالهما في وصفها وكانت تشتد عليهِ ليلاً

اذا جنَّ الظلام وغاب صحبي وفارقني أحبائي وناسي
أتت تسعى اليَّ وليس ترضى مقاماً غير أحشائي وراسي

وكان لين العريكة دمث الاخلاق صفياً وفياً لم يصاحبهُ احد الّا اعجب بلطفهِ ورقتهِ واخلاصهِ

يرحمك الله من اخي ثقة　　لم يكن في صفو وده كدر

وكان حلو الحديث حسن المعاشرة لا يخلو مجلسه من المطارحة او المذاكرة او المباحثة في ما يحلو الخوض فيه من المواضيع الادبية او العلمية او السياسية واذا ناظرتهُ في امر آنست منهُ آراء قويمة وأفكارًا اكثرها في جانب الاصابة

وكان اديبًا عفيفًا يحدث بعفتهِ واعتدالهِ سائر اصدقائهِ وخلاَّنهِ ما يصح ان يكون قدوة لشبان هذا العصر ويندر ان نرى على مثالهِ بينهم

وكان يعرف اللغة الانكليزية معرفة جيدة ترجمة وكتابة ويحسن الفرنساوية وكثيرًا ما عرَّب قصائد انكليزية فنظمها في العربية لا يشك قارئها انها نظمت في العربية رأْسًا وترجم جانبًا من رواية الاميرة المصرية دُرج شيء منها في مجلة اللطائف قبل مرضهِ وفيها ما يدل على تمكنهِ من الانكليزية مع اقتداره على نقل معانيها الى عبارة عربية فصيحة لا يشتمُّ منها رائحة التعريب وذلك نادر في الكتَّاب

وكان كبير النفس عزيزها ممتلئ القلب انفة ونزاهة لا يرضى بغير العلى مقامًا ولا يفتر لحظة عن الاهتمام بمستقبلهِ وقد بالغ في ذلك حتى أودى بهِ الى تعب الجسم ونحول البدن فصح فيهِ قول القائل

واذا كانت النفوس كبارًا　　تعبت في مرادها الاجسام

فلما جاءه المرض لم يستطع الى دفعهِ سبيلاً فقضى ونفسهُ شاخصة الى المعالي وآمالهُ لا تزال عالقة بنيل الاماني الى آخر نسمة من حياتهِ فأسلم الرُّوح وهو يردد ذكرى خطيبتهِ ويوصي اهلهُ بها خيرًا وقد ضمَّ رسمها بين يديهِ

فاذا بكيناه انما نبكي اخًا صادقًا وخلاً وفيًا او رثيناه فانما نرثي كاتبًا اديبًا وشاعرًا مجيدًا ونابغة من نوابغ هذا الجيل فعلى مثلهِ يحق الرثاء وفي فقدهِ لا يكفينا البكاء ولو بلغ صراخنا عنان السماء فان المصيبة فيهِ مصيبة وطنية فليبكهِ الوطن لانهُ كان من نوابغهِ ولتندبهُ الصحف فانهُ من نخبة رجالها وليرثهِ الشعراء فانهُ كان من اجودهم قريحة ولتبكهِ مجالس الانس فقد كان من خيرة جلاسها ولتبكهِ الآداب وليرثهِ الادباء فقد كان للادب ظهيرًا ولاهل الادب نصيرًا وليبكهِ الاصدقاء والخلان فانهُ كان صديقًا امينًا وخليلاً مخلصًا

فيا شقيق الروح وحليف الفؤاد يا من غادر الاهل يبكون والخلان يندبون قد اوحشت الدور وآنست القبور وخلفتنا لا يقر لنا قرار ولا يلذ لنا مقام حتى تأتي الساعة فنلحق بك ونلقى الشقيق الذي سبقك الى دار لا تعب فيها ولا شقاء ونترك دار المحنة والبلاء فطب نفساً وقر عيناً وقبل عنا حميك ثلاثاً واعلما اننا مقيمون على الولاء لا نعد فراق الجسد فراقاً وقد امتزجت النفوس واتحدت القلوب فذكركما باقٍ ما بقي لنا من الحياة بقية

سأبكيكما حتى الممات وما الذي يردُّ على ذي عولةٍ ان بكاكما

ويا أيها الوالدان والاشقاء ان المصاب عظيم يعزُّ فيه العزاء ولكن حبيبنا لم يمت وقد خلف ذكراً حسناً يحيى به دهوراً فتمسكوا بحبل الصبر والتمسوا العزاء من انفسكم وثقوا بان الوفا يشاركونكم في احزانكم فعسى ان يهبنا الله صبراً جميلاً ويسكب على ضريح فقيدنا سحائب رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جنانه

ويا أيها الاصدقاء والخلان ان صديقنا صالحاً قد سبقنا الى دار البقاء في العالم الاعلى ولا يعزينا على فراقه الا الامل بلقائه لقاء ليس بعده فراق ولكننا نؤسي النفس اثناء تلك الفترة بذكرماثره وترديد الاسف عليه فاذا رثيتموه فابعثوا بمراثيكم الينا نظماً او نثراً فاننا عازمون على جمع ما يقال فيه كتاباً واحداً نصدره برسمه وترجمة حاله ونضم اليها منظوماته وسائر نفثات اقلامه وبنات افكاره ونتقدم الى من بذكر شيئاً من نظمه ان يكتب به الينا لأن اكثر منظوماته رحمة الله غير مطبوعة فلا بد لنا من جمع شتاتها عن افواه حافظيها واقلام كاتبيها نحفظها تذكاراً الى يوم اللقاء.

الهلال

الجزء الحادي والعشرون من السنة الثالثة

(١ يوليه (تموز) سنة ١٨٩٥) (٩ محرّم سنة ١٣١٣) (٢٤ بؤونه سنة ١٦١١)

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



خريستوفورس كولمبوس . مكتشف أميركا

ولد سنة ١٤٣٥ وتوفي سنة ١٥٠٦ م

ولد هذا الرجل العظيم في جنوا من أعمال ايطاليا سنة ١٤٣٥ م ونشأ في حجر والديه وكانا في سعة من العيش ولهما خمسة ذكور وأنثى وكان خريستوفورس اكثرهم ذكاء وأكبرهم عقلاً فعهد بتعليمه الى مدرسة بافي فلم يكد يتلقى فيها شيئاً من العلم حتى شغف بالطبيعة وغرائبها فمال الى مهنة الملاحة فأخذ يتعاطاها ويحمل أخطارها بصبر وثبات فسار مرة في حملة حرب فأصيب بجراح خطرة لم يكد يشفى منها حتى داهمه خطر أعظم وذلك انه سار في بعثة بحرية للتفتيش عن بعض المراكب البندقية بالقرب من لشبونة (باسبانيا) فدارت رحى الحرب بين الفريقين فاحترقت بعض المراكب ولحقت النار بمركب خريستوفورس فالتهمته وكان يحسن السباحة فألقى نفسه في الماء وما زال يخوض اليمّ حتى وصل البر سالماً فنظر واذا هو برّ البرتغال وكان البرتغاليون اذ ذاك اكثر الناس مهارة في الفنون البحرية والاكتشافات الجغرافية وكان سنه اذ ذاك ثلاثين سنة والتقى هناك بأخيه برثلماوس

وكان الناس الى ذلك العهد لا يعرفون سعة الارض وكانوا يظنون ان البحر الاتلانتيكي لا يمكن عبوره ولا يعلمون ما وراءه ولذلك سموه بحر الظلمات ولكن كولمبوس كان يعلم ان الارض مستديرة فلا بد من وجود يبس في القسم الغربي من الارض يوازن اليبس في شرقيها وما زال هذا الظن يتمكن فيه حتى شغل باله وأقلق أفكاره وعوّل على ركوب لجج الاتلانتيكي لاستطلاع ما وراءه فاستحث ابناء وطنه في جنوا والبندقية فلم يعبأوا بكلامه فجاء البرتغال وكان ملكها اذ ذاك (جان الثاني) محباً لرجال الملاحة راغباً في توسيع نطاق علم سلك البحار فكتب كولمبوس تقريراً عن مشروعه رفعه الى الملك فعرضه الملك على رجال البحرية عنده فلم يستطيعوا المصادقة عليه لانهم ما زالوا يعتبرون عبور بحر الظلمات من أشياء المستحيلات لكن واحداً منهم حدثته نفسه ان يسابق خريستوفورس لنيل هذا الشرف فاطلع على تقريره خلسة حتى فهم مقاصده فاستأذن الحكومة في ارسال سفينة الى جهة الارض المنوي اكتشافها ولكنه لم ينجح

أما خريستوفورس فسار الى اسبانيا وهي اذ ذاك يحكمها الملكة ايزابلا الشهيرة والملك فرديناند ولكن اسبانيا كانت في حرب مع غرناطة شغلتها عن النظر في مشروع كولمبوس بضع سنوات لجأ هو في اثنائها الى دير فرنسيسكاني يقال له دير

رابيدا وجعل يبث آراءه ويغرس مبادئه بين علمائه ورجاله فلم تمض مدة حتى اعتقد اهل الدير بكروية الارض وبوجود جزيرة مجهولة يمكن اكتشافها ثم رفع تقريره لنظر المجلس في مشروعه فرفضوه واحتقروا آراءه وكانت ايزابلا اذ ذاك امام غرناطة فشق ذلك على كولمبوس ويئس من مساعدة اسبانيا فكلف اخاه برثلماوس ان يعرض مشروعه على فرنسا واتفق على اثر ذلك انتصار ايزابلا فتفاءلت بمشروع كولمبوس خيرًا فبعثت اليه ان يسترجع اخاه وانها مستعدة لتأييد مشروعه بكل ما في وسعها ولو اقتضت الحال ان تبيع مصاغها وحليها في سبيل مساعدته

فكتبت بينها وبينه عقد اتفاق سنة ١٤٩٢ مآله ان كولمبوس اذا اكتشف الارض التي يسعى في اكتشافها يعين حاكمًا عليها واميرالاً اعظم على البحر الاتلانتيكي ومليكًا على الهند ويستولي على عشر محصولات الارض المكتشفة

فسار خريستوفورس الى فرضة بالوس ليسافر منها بسفنه في الاوقيانوس وامرت الملكة باعداد سفينتين بكل لوازمها فلما شاع امر هذه الارسالية خاف الناس وامسكوا عن معاضدة المشروع فتمارض النجارون واقفل باعة الخشب حوانيتهم واختبأ الملاحون حتى خاف خريستوفورس حبوط مسعاه لولم ينهض الاب يوحنا بيرز وغيره لمعاضدته فاخذوا يحثون الناس على القيام بنصرته وحملوا البحارة على المسير معه فتهيأت له ثلاث سفن اثنتان كبيرتان وهما (بنتا) و (سنتاماريا) وواحدة صغيرة اسمها (نينا) وجعلوا في السفن مئة وعشرين رجلاً وكل ما يحتاجون اليه من العدة والزاد والمؤن على انهم لم يقبلوا بالمسير الاّ وقد وضعوا الخطر الشديد امام عيونهم فصلوا وتناولوا القربان المقدس وودعوا اهلهم واصدقاءهم كمن يستعد للموت ونزلوا السفن

وفي يوم الجمعة الواقع في ٣ اوغسطس (آب) سنة ١٤٩٢ نشرت السفن اشرعتها واقلعت على اسم الله جاعلة الغرب الجنوبي جهة مسيرها فطابت الريح ثلاثة ايام ولكن السفينة بنتا تعطلت فعرجوا على جزائر كناريا لترميمها واتفق ان بركان جزيرة تنريف كان هائجًا فتشاءم البحارة من مرآه وندموا على ركوب هذا الخطر فاخذ كولمبوس يخفف من خوفهم ويبرهن لهم ان ذلك من الامور الاعتيادية الجارية في الطبيعة وضرب لهم مثلاً بركان فيزوف في ايطاليا وبعد الاخذ والرد اقنعهم

فاقلعوا من الجزائر في ٦ سبتمبر (ايلول) وجعلوا خطتهم من ذلك الحين الغرب الصريح فدخلوا مياه الاتلانتيكي وهم يجهلون مصير السائر فيها

وفي ٩ سبتمبر ساعدتهم الريح كثيرًا فسارت السفن سيرًا حسنًا ولم ينقض ذلك اليوم حتى توارت جزيرة الحديد عن ابصارهم فخفقوا دخولهم في جهات كلها مجهولات فاحسوا بعظم الخطر المحدق بهم ولم يعد لهم امل بالعود الى اوطانهم وكان كولمبوس يخفف ما بهم تارة بالوعد وطورًا بالوعيد وفي ١٣ منه لاحظ ان ابرة الحك (البوصلة) بدلاً من اتجاهها نحو نجم القطب انحرفت عنه خمس او ست درجات في نصف الليل واخذ ذلك الانحراف بالزيادة

وفي ١٤ منه شاهدوا طيرين من الطيور التي قلما تبعد عن البر كثيرًا فتجددت آمالهم ولكنهم شاهدوا في اثناء الليل شهبًا ساقطة فارعبتهم فعادوا الى الخوف وظنوا الساعة قد دنت ولكنهم عادوا الى آمالهم في اليوم التالي اذ رأوا البحر مخضرًا كأن على سطحه فراشًا من العشب الاخضر فاطمأنت قلوبهم على انهم ما لبثوا ان عادوا الى الخوف والتذمر وثاروا على كولمبوس وطلبوا اليه الرجوع بهم وتوعدوه بالقتل فجعل يلطف من غضبهم ويؤملهم بالمكافآت والمواعيد المختلفة حتى سكن روعهم وما زال في مثل ذلك الى يوم الجمعة ١٢ اكتوبر (ت ١) سنة ١٤٩٢ اذ شاهدوا برًا بغتة فصاحوا جميعًا البر البر البر وتساقطت دموعهم من شدة الفرح فلما دنوا من الشاطئ لبس كولمبوس رداءه القرمزي وحمل العلم الملوكي باحدى يديه والسيف مسلولاً بيده الاخرى ونزلوا البر والفرح ملء قلوبهم فحالما وطئوا الارض صار كولمبوس اميرالاً وحاكماً وملكاً حسب الاتفاق المبرم بينه وبين ايزابلا

وعلم كولمبوس حالاً ان ذلك البر جزيرة فسماها جزيرة (سان سلفادور) على اسم المخلص وكان اسمها قبل ذلك جواناهاني ولا تسل عن اهل الجزيرة عند ما شاهدوا هؤلاء الاسبانيين بألبستهم الحمراء فانهم ذعروا وفروا من امامهم وهم عراة كالوحوش البرية فاخذ كولمبوس ورجاله يسترضونهم فاقبل جماعة منهم ومعهم بعض الاعشاب العطرية قدموها اليهم وهم مندهلون بملابس الاسبانيين لانهم لم يشاهدوا بشرًا بمثل لباسهم فظنوهم من العوالم العليا وقد هبطوا من السماء

ولما سكن روع اهل الجزيرة افهموا الاسبانيين بالاشارات والرموز ان الجزيرة

خصبة وان هناك عدة جزائر غيرها فطاف كولمبوس تلك الجزائر الواحدة بعد الاخرى فرأى واحدة تفضلها كلها خصباً وجمالاً وسعة وعمارة. فسماها على اسم الملكة (ايزابلاً) وشاهدوا اهل هذه الجزيرة يلفون ورق نوع من النبات لفاً ثم يحرقونهُ ويدخنونهُ بأفواههم فسموا تلك اللفة تباغوس وهو التبغ وكان ذلك اوّل عهدهم بهِ

وأقاموا في جزيرة سموها اسبانيولا بضعة ايام للراحة وظنوا انهم كشفوا الارض المطلوبة فاتفق ان احدى سفنهم بينما كانت سائرة من شاطئ الى آخر صدمت رملاً فتعطلت فاضطرّوا الى الاقامة هناك ريثما ينظرون في الامر فبنوا حصناً اقاموا فيهِ وكانوا قد ائتلفوا الاهالي وصاروا يبادلونهم الاشارات وبعض الالفاظ

وفي يوم الجمعة ١١ يناير (ك ٢) سنة ١٤٩٣ سار كولمبوس عائداً الى اسبانيا ومعهُ بعض رجالهِ وترك البعض الآخر في الجزيرة وكانت عودتهم هذه شديدة الخطر للغاية لان النوء اشتد عليهم فتعاظمت الامواج حتى أيقنوا بالهلاك فكتب كولمبوس تقريره وما تم له على رق لفهُ وطلاهُ بالقطران وجعلهُ في برميل القاه في البحر وكتب رقاً آخر وطلاه ووضعهُ في برميل وعلقهُ بالسفينة حتى اذا غرقت يعوم البرميل ويدل على مكانها ويشرح حكايتها . وفيما هم في هذا الخطر العظيم شاهدوا برّاً فاقتربوا منهُ فاذا هو جزيرة (سان ماري) وحاكمها بورتغالي فهمّ الحاكم بالقبض عليهم غيرة وحسداً من الاسبان لانهم فازوا بمشروعهم ولولا حزم كولمبوس واقدامه وفطنته لنالوا من البرتغاليين اعظم ما قاسوهُ في الاتلانتيكي وخلاصة الامر ما زالوا في مسيرهم حتى وصلوا سواحل البرتغال ومنها ساروا الى بالوس فوصلوها يوم الجمعة في ١٥ مارس سنة ١٤٩٣ وكان اهلها لم يسمعوا شيئاً عن تلك الارسالية منذ اقلعت سفنها من ميناها في (٣ اوغسطس سنة ١٤٩٢) فيئسوا من عودة كولمبوس وبحارتهِ فبكاهم اهلهم ولبسوا الحداد عليهم ولعنوا الساعة التي اقلعوا بها ولكنهم لما وصلت السفينة طاروا فرحاً ولم يصدقوا انهم يرون اهلهم وأصدقاءهم فغصت الطرق والشرفات والسطوح بالناس وقوفاً يشاهدون القادمين وينثرون عليهم الزهور والرياحين وبعد وصول كولمبوس بقليل عوّل على مقابلة الملك والملكة فسار الى برشلونة برجالهِ وبعض اهل الجزائر التي اكتشفوها باحتفال لم يسبق له مثيل فان الناس كانوا يتقاطرون من القرى والبلاد المجاورة يقفون على الطرق

لمشاهدة كولمبوس ونطوبيهِ وتهنئتهِ بما نالهُ من الفخر فلما وصل البلاط الملوكي لاقاه الملك فردينان بترحاب وخلع عليهِ خلعة اعيان اسبانيا وأجلسهُ في مجلسهم فتكلم كولمبوس كلاماً حرَّك قلوب الملكين ورجال دولتهما فسجدوا جميعاً وشكروا الله على انعامهِ

فلم يبق عليهم بعد ذلك الاَّ الاستعمار فاعدوا ارسالية من اربع عشرة سفينة حملوا بها الناس والمؤن والماشية وسائر اجناس الحبوب والحيوان واقلعوا من بالوس تحت امارة كولمبوس في ٢٥ سبتمبر سنة ١٤٩٣ قاصدين العالم الجديد فوصلوا اسبانيولا يوم الجمعة في ٢٢ نوفمبر وكانوا ينتظرون ان يلاقوا عند الشاطئ الجماعة الذين تركوهم عند سفرهم فرأوا الارض بلقعاً لا اثر للناس فيها الاَّ بعض الجثث متبعثرة على الرمال فامعنوا فيها النظر فاذا هي جثث بعض البحارة الاسبانيين فذهلوا لذلك كثيراً وأخذوا يتأهبون للدفاع عن انفسهم وعلم كولمبوس بعد ذلك ان سبب مقتل هؤلاء البحارة انهم طمعوا بعد سفرهِ بالمسير الى معادن الذهب واستغلالها لانفسهم فعلم بهم كبير اهل الجزيرة وايقن انهم لقلتهم لا يستطيعون دفاعاً فجاءهم ليلاً وهم في غفلة وامر رجالهُ فدخلوا الحصن وذبحوهم عن آخرهم واحرقوا مساكنهم

فاخذ كولمبوس من ذلك الحين في بناء البيوت والحصن جيداً فبنى مدينة سماها ايزابلا وهي اوَّل مدينة بنيت في اميركا وبعث الى اسبانيا يستزيدهم موْناً وذخائر وجنَّد شرذمة من رجالهِ على هيئة عسكرية بالطبول والزمور لارهاب الاهالي وتوغل بهم في الجزيرة على سبيل الاستكشاف فوصلوا وادياً خصباً بالقرب من معادن سيباو سموه الوادي الملوكي فبنى كولمبوس هناك حصناً سماه حصن القديس توما واقام فيهِ حامية وعاد فركب البحر فاكتشف جامايكا وارخبيلاً سماه حدائق الملكة ثم جاءهم المدد من اسبانيا ومعهُ اخوهُ برثلماوس يحمل كتاباً من الملكة الى كولمبوس وهو اوَّل كتاب نقل الى العالم الجديد

أما حصن القديس توما فقد نالهُ اثناء غياب كولمبوس عنهُ أمور ذات بال لأن حاميتهُ اهملوا واجباتهم وانغمسوا في ملذاتهم وجعلوا يسومون الاهالي مر العذاب قتلاً واحتقاراً فنجمهروا الوفاً تحت قيادة رئيسهم وحصروا الحصن وقتلوا بعض الاسبان فعلم كولمبوس بالامر فهم لنصرة رجالهِ فوصل بالمدد الى الحصن وكان عدد الوطنيين قد بلغ مئة الف وعدد الاسبانيين ٢٢٠ نفساً فسلم كولمبوس قيادة رجالهِ الى اخيهِ

واعتزل يصلي و يطلب النصر من عند الله فحمي وطيس الحرب وانتصر الاسبان انتصارًا لم يكونوا ينتظرونهُ فعدوهُ من قبيل المعجزات وسموهُ معجزة السهام واعتبروا المكان الذي صلى فيهِ كولمبوس مكانًا مقدسًا وسموهُ الاكمة المقدسة

اما قائد حامية ذلك الحصن فانهُ فرَّ الى اسبانيا واخذ يشي بكولمبوس فاتهمهُ بالاستبداد والظلم فلم يثق الملك بقولهِ فارسل مندوبًا خصوصيًا يتحرى الامر اسمهُ اوجيدا وكان لكولمبوس عليهِ فضل كبير ولكنهُ انكر الجميل وتواطأ هو والمدعي ومن والاه من الاسبان والوطنيين على تأييد الدعوى

وفي ١٠ مارس سنة ١٤٩٦ ابحر كولمبوس واوجيدا قاصدين اسبانيا ولكن الريح كانت ضدهم فلم يصلوا منتصف الطريق قبل ٣٠ مايو وقلَّ زادهم فاستولى عليهم الجوع فثار الاسبانيون وهموا بان يلقوا من كان معهم من الاميركانيين البحر لكي يكتسبوا طعامهم او يذبحوهم ويقتاتوا على لحومهم الى ان يدركوا البر فلما علم كولمبوس بذلك تحركت فيهِ محبة بني الانسان فاعلن رجالهُ انهُ لا يأذن بارتكاب تلك الجريمة فاما ان يموتوا جميعًا او ينجوا جميعًا فاطاعوا وفي ١١ يونيو سنة ١٤٩٦ وصلت السفينتان ساحل اسبانيا

فلما وقع نظر الملكة ايزابلا على كولمبوس قرأت البساطة والشهامة والاستقامة على وجههِ فاثبتت براءتهُ ولم تسمع فيهِ وشاية وعرضت عليهِ لقب ماركيز اودوق ووهبتهُ بقعة من الارض مساحتها الف ومائتان وخمسون فرسخًا مربعًا يختاره: هو من ارض اسبانيولا على ان اعداءه كانوا لا يزالون يموّهون ويسعون في الوشايات عليهِ

وفي ٣٠ مايو سنة ١٤٩٨ رحل كولمبوس رحلتهُ الثالثة الى اميركا قاصدًا اكتشاف القارة وليس الجزائر فقط وفي ٣١ يوليو شاهد جبلاً عاليًا مثلثًا فدعاه التالوث تبركًا باسم التالوث الاقدس وفي ٥ اغسطس وصلوا القارة عند مصب نهر الاورينوك واوَّل من نزلها من الاسبان بيهردي تروروس لان كولمبوس كان مريضًا فعهد اليهِ القيادة موقتًا

وبعد قليل عاد كولمبوس الى اسبانيولا فرأى الجند قد عاد الى الثورة برئاسة رولدان وكان برثلماوس اخو كولمبوس قائمًا هناك نائبًا عنهُ وقد مهد الامور وأيد سلطة الاسبان ولكنهُ لم يقوَ على اخماد تلك الثورة فأصر كولمبوس على العود

الى اسبانيا لدفع ما وجّه عليهِ من التهم والوشايات ولكنهُ لم يكد يهمّ بالمسير حتى وصل اوجيدا مرسلاً من قبل مجلس اسبانيا لمحاكمة كولمبوس فشق ذلك عليهِ واسقط في يدهِ فوكل أمرهُ الى الله ثم بلغهُ ان رولدان الذي كان ثائرًا ضده قد اخذ جانبهُ وسار لرد أوجيدا ولكنهُ لم يكد يسمع ذلك حتى قيل لهُ ان بوبادبلا جاء مفوضًا تفويضًا مطلقًا لمحاكمتهِ ومقاصتهِ ولم يكن من بوبادبلا حال وصولهِ الاَّ انهُ القى القبض على كولمبوس واخيهِ واغلهما وجعل كلاً منهما في سجن على حدة

فشق ذلك كثيرًا على رجال كولمبوس وكل من فيهِ حتى ان الوطنيين الاصليين شعروا بالظلم في معاملتهِ اما هو فاحتمل كل ذلك بالصبر والحزم ولم يبد تذمرًا حتى حملوه الى اسبانيا فلما وصلها وعلم الملك والملكة بقدومهِ وبما ساموه من العسف والجور امرا بحل قيوده وكتبا اليهِ «ان اثقال قيودك كانت وقرًا ثقيلاً على قلبينا» واحتفلا بالاعتذار لهُ احتفالاً عموميًا ثم دعتهُ الملكة لمقابلة خصوصية استطلعتهُ فيها كنه المسألة فاطلعها فتساقطت الدموع من عينيها فكانت شفاء لجروح قلبهِ فنسي ما قاساه

ثم عينت الحكومة حاكمًا عامًا على اسبانيولا وسائر الارض المكتشفة اسمهُ اوفاندو

اما كولمبوس فعوَّل على رحلة رابعة يدور بها حول الكرة الارضية حتى يعود الى اسبانيا من بحور آسيا فجنوبي افريقيا فغربيها الى اسبانيا فأبحر في ٢٥ مايو سنة ١٥٠٠ ومعهُ اخواهُ فرناند وادلنتادو وقصدوا اولاً جهة اسبانيولا فوصلوها في ٢٥ يونيو فأحب كولمبوس ابدال سفينته بأخف منها فبعث الى الحاكم (اوفاندو) يلتمس ذلك منهُ وان يأذن لهُ بالاقامة هناك بضعة ايام ريثما تمضي ايام نوء تنبأ بقرب حلولها فرفض طلبهُ رفضًا قبيحًا فصبر كولمبوس على ذلك وذهب هو بنفسهِ ثانية الى اوفاندو وأفهمهُ انهُ يريد الاقامة هناك تربصًا الى ان ينقضي زمن النوء القريب فلم يعبأ بكلامهِ لان الطقس كان اذ ذاك صحوًا فأمر السفن بالمسير فسارت وكانت ٢٤ سفينة فلم يصبح الصباح الاَّ على ثمانٍ منها وغرق الست والعشرين في قاع الاوقيانوس فكان ذلك بمثابة صوت الهي يؤيد صدق كولمبوس

اما هو فسار يتابع رحلتهُ فاكتشف اماكن كثيرة وفي ١٧ اوغسطس سنة ١٥٠٢ وطئت قدمهُ ما بين قسمي القارة الشمالي والجنوبي وهو لا يدري وما زال ينتقل من

شاطئهِ الى آخر ومن ميناء الى آخر حتى وصل بناما وكان يظن ان يسيره غربًا يصل الى البحر المحيط فلم يرَ طريقًا يجري باليه وقد مرَّ بشاطئ البرزخ كلهِ وهو لا يدري كل ذلك والنوء يتعاظم والامطار تتساقط حتى يئس من النجاة. ولما هدأ النوء جاءهُ بعض اهل ذلك المكان ويهددوهُ ومن معهُ بالقتل وتجمهروا مئات وألوفًا حتى لم يعد لكولمبوس وأصحابه أمل بالبقاء فنزل كولمبوس الى البر وخاطب هؤلاء الاميركانيين بقلب لا يهاب الموت بأنهُ مرسل من الاله ليقيم هناك الى ان يشاء وقال لهم ان الله أخبره ان القمر سيحمر تلك الليلة بعد شروقهِ ثم يظلم فتأثروا لاقوالهِ ولكنهم لم يصدقوهُ حتى شاهدوا القمر يظلم بعد شروقهِ وهو الخسوف وكان كولمبوس قد علم بزمن حدوثهِ قبلاً فظنَّ الاميركانيون ان كولمبوس من أشباه الآلهة لصدق نبوَّتهِ ووعدوهُ بكل مساعدة وقدموا لهُ ما يحتاج اليهِ من المؤن

ثم سمع كولمبوس ان الملكة ايزابلا أصيبت بمرض شديد فأحب المسير اليها ومقابلتها قبل الوفاة لان آمالهُ كلها كانت متوقفة على مواعيدها . وفيما هو عائد اصيب بنكبات كثيرة أهمها ان النوء كسر اكثر سفنهِ ثم أُصيب هو بضعف الجسم والعقل على ان ذلك لم يمنعه من المسير ولكنهُ لم يدرك اسبانيا الا بعد وفاة ايزابلا فأسف أسفًا شديدًا لذهاب آمالهِ ادراج الرياح واما الملك فرديان فقابلهُ بكل رعاية وأمر باكرامهِ وأثنى على غيرتهِ واجتهاده وعلى ما قام بهِ من الخدم الجزيلة نحو العالم ولكنهُ لم يعدهُ بشيء ولا كافأهُ بما يليق بمقامهِ

فأحسَّ كولمبوس بحبوط آمالهِ وضياع اتعابهِ وحقوقهِ مع ما لحقهُ من الاهانة وسوء المعاملة فزهد في الحياة الدنيا وزاد ضعفهُ ونحولهُ فلزم الفراش الى ان توفاهُ الله في ١٩ مايو سنة ١٥٠٦ م وكان تقيًا ورعًا حسن العقيدة مقدامًا حازمًا صبورًا دقيق الاحساس حاد الحواس الخمس وكان عفيفًا معتدلاً قضى والاقدار لم تذقهُ ثمرة اتعابهِ فمات حزينًا كئيبًا منكسر القلب وقد خدم العالم خدمة لا تعادلها خدمة كيف لا وقد اكتشف بلادًا وارضين كانت مظنة خير وبركة لسائر اهل الارض



باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

أو خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين

(٥) الحياة

تقسم كائنات هذا الكون على اختلاف أشكالها وطبائعها الى عالمين عالم الجماد وعالم الحياة وعالم الحياة ينقسم الى مملكتي النبات والحيوان وقد تقدم في المقالات السابقة ان هذه الكائنات مهما تعددت اشكالها واختلفت خصائصها ترجع في تحليلها الى المادة والقوة ولكن عالم الحياة يمتاز عن عالم الجماد بمبدإ مستقل هو الحياة على ان بعض العلماء الطبيعيين حاولوا رد هذا المبدإ الى القوة يريدون ان الحياة ظاهرة من ظواهر القوة فهي عندهم احدى القوى الطبيعية (الحرارة والنور والكهربائية) ولهم في ذلك ابحاث وأقوال ليس هنا محل ايرادها ولكنهم لم يستطيعوا تأييد دعواهم ولا نظنهم يستطيعون لان الحياة قوة مستقلة وضعها الخالق جل وعلا في بعض اجزاء المادة وقدر لها نواميس خاصة بها دون سواها

وأقوى دليل من أدلة الماديين على وحدة القوة والحياة تحوّل احداها الى الاخرى ولكنهم عند البحث والتنقيب سقطت دعواهم بالبرهان العياني

زعم الماديون ان الحي يتولد من غير الحي وبنوا زعمهم على تولد البكتيريا في المياه الفاسدة وظن بعضهم ان بعض الديدان تتولد من نفسها في بعض انواع الجبن او ما شاكل ذلك

ولكن العلم اثبت تولد البكتيريا والديدان من جراثيم او بيوض صغيرة كما تتولد سائر الاحياء الكبيرة وانها لا تتولد الأ من جراثيم حيوية وبالنتيجة ان الحي لا يتولد من غير الحي وأثبت ذلك العلاّمة تندل الانكليزي بالتجارب العديدة المبنية على المشاهدة مما لا سبيل الى نقضه ولا محل لتفصيله هنا

فالحياة مبدأ مستقل لا يتولد الا بالتناسل والانتقال من حي الى حي فالطير لا يتولد من غير البيضة والبيضة جسم حي وان كانت لا تتحرك ولا تنمو ولكن مبدأ الحياة كامن فيها لا يلبث ان يظهر اذا أثرت فيه الفواعل اللازمة لاخراجه ولا فرق بين تولد الطير الكبير وسائر الحيوانات العليا وتولد الحييوينات الصغيرة الميكروسكوبية الا بالجسم فقط اما مبدأ التولد فواحد

وقد حاول بعضهم اصطناع بعض المركبات الحيوية كالنشاء والسكر وغيرها من مواد غير حية فعادوا بصفقة المغبون بحيث لم يبق محل للريب في ان الحي لا يتولد من غير الحي

واذ تقرّر ذلك بقي علينا النظر في مصدر تلك الحياة وكيف وجدت اوّلا في المادة فارتأى بعضهم انها تولدت من ذاتها بالتدريج من الجمادية الى الحيوية في الازمان القديمة اذ كانت محاطة بأحوال مناسبة لتولدها وقد زالت تلك الاحوال الآن فاستلزم رأيهم هذا ان يكون بين الحي وغير الحي حلقة موصلة لها خصائص الاثنين اي ان يكون في الطبيعة مادة فيها خصائص الحياة في اوّل انتقالها من الجمادية الى الحيوية ولما كانت الحيوانات الدنيئة تكثر دائمًا في المياه أخذوا يفتشون عن تلك الحلقة في البحور ولكن مساعيهم ذهبت عبثًا

ومما يحكى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان احد كبار علماء الانكليز الذاهبين هذا المذهب عثر وهو يبحث في الصخور على شواطىء البحر على مادة جلاتينية بسيطة تهتز اهتزازًا ضعيفًا فلاح له ان ذلك الاهتزاز حركة حيوية لا تزال في اوّل عهد تولدها فحمل تلك المادة الى معمله للبحث فيها بحثًا دقيقًا لتأييد رأيه فلاقاه في طريقه بعض اصدقائه المشيعين له في مذهبه فأخبره العالم بما عثر عليه وبما يرجو تحقيقه بفحص هذه المادة فتبادر الى ذهن صاحبنا ان صديقه قد عثر على الحلقة الموصلة بين الحي وغير الحي وأسرع في نشر خبر هذا الاكتشاف وصديقه لا يعلم

ففي ذات يوم دعي العالم المكتشف الى حفلة قام فيها صديقه خطيبًا وموضوع خطابه شرح ذلك الاكتشاف والثناء على مكتشفه والاطناب في سعة علمه وكيف انه وجد الحلقة الموصلة بين العالمين في مادة جلاتينية تهتز بمبدإ الحياة الاصلي . الى غير ذلك من عبارات المدح . فلما أتم الخطيب كلامه وقف صديقه امام الحضور وأثنى

على غيرة صديقه عليه وعلى العلم الى ان قال « اما الاكتشاف الذي اشار اليه صديقي فبكل أسف اخبر حضراتكم اني بعد ان فحصت تلك المادة الجلاتينية بحثاً دقيقاً وجدتها مادة بسيطة زلالية لا أثر للحياة فيها وانما كانت تهتز اهتزازاً ميكانيكياً بحركة الهواء » فأسقط بيد الخطيب وزال الوهم من عقول سامعيه

ومما يليق ذكرهُ في هذا المقام ان المتشيعين لأصحاب المذاهب العلمية او الدينية اكثر تمسكاً بها من اصحابها وهاك شاهداً قريباً يؤيد قولنا وذلك ان العلاّمة داروين صاحب مذهب الارتقاء قال في جملة ابحاثه في اصل الانواع وترقي الانسان بعد شرح طويل ان « الانسان ربما كان متسلسلاً هو وبعض انواع القرود من اصل واحد مشترك بينهما وقد انقرض » فبالغ متشيعوه في قوله هذا حتى شاع على السنة الناس ان داروين يقول ان الانسان اصلهُ من القرد وهو لم يقل ذلك قط - فلنرجع الى ما نحن فيه

فالحياة مبدأ مستقل بثهُ الخالق سبحانهُ وتعالى في المادة في زمن لا نعرفهُ وعلى كيفية لا نفهمها ووضع لها النواميس والشرائع الخاصة بها وقضى عليها بالتولد والموت لحكمة لا تدركها عقولنا

ثم ان العناصر الداخلة في تركيب المواد الحيوية من جملة العناصر الجمادية التي ذكرناها في مقالة (المادة) اي اننا لو حللنا جسماً حياً حيوانياً كان او نباتياً لما وجدنا في تركيبه شيئاً غير العناصر المعروفة واشهر العناصر الداخلة في تركيب المواد الحية الكربون والاوكسجين والهيدروجين والنتروجين والكبريت والفصفور وقد توصلوا الى تحليل كل مركب حي وتقدير نسب عناصره بعضها الى بعض بالتدقيق ولكنهم لم يستطيعوا تركيب هذه العناصر الجمادية حتى تصير حيوية . فالنشاء مثلاً مركب من ٦ اجزاء كربون و ١٠ هيدروجين و ٥ اوكسجين فلو جئنا بهذه العناصر وركبناها لا يتولد منها نشأ مع ان هذه المواد جمادية والنبات تناولها من التراب والهواء ولكنهُ حولها الى نشاء بقوة خاصة فيه هي القوة الحيوية وقد تقدم في مكان آخر ان جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان ترجع الى نحو سبعين عنصراً بسيطاً وهذه العناصر جامدة لا حياة فيها وبفعل القوى الطبيعية عليها (النور والحرارة والكهربائية) تتولد بها الاعمال الجارية في الطبيعية غير الحيوية اما هذه فلا تتم الاَّ بواسطة الحياة

التي تتوارث بالتناسل كأنها سرٌّ ينتقل من الحي الى نسلهِ

على ان غموض سرّ الحياة وقصورنا عن ادراكهِ لا يمنعنا عن البحث في الابنية الحية وطبائعها والتأمل في عجيب صنعها فالانسجة الحية على اختلاف مواضعها و وظائفها مؤلفة من كريات دقيقة جدًّا فيها مادة جلاتينية شفافة لا لون لها وتركيبها يشبه تركيب الزلال تسمى البروتوبلاسم و يراد بها مادة الحياة الاصلية وفيها يستقر منشأ الحياة ولها سائر الخواص الحيوية من التغذية والحركة والتناسل والدثور ومن تألفها بعضها مع بعض تتولد الانسجة الحية وعلى خواصها المتقدم ذكرها تتوقف الخواص الحيوية كما تتوقف خواص المركبات الجمادية على خصائص الجواهر الفردة

على ان هذه الكريات الحية توجد منفردة على هيئة حيوينات دقيقة وابسط انواعها نوع يقال له مونيرا وهي كريات جلاتينية مؤلفة من غلاف فيهِ مادة زلالية شفافة ليس لها اعضاء منفردة ولكن لها كل خصائص الحياة الرئيسية فهي تمتص غذاءها من السوائل التي تسبح فيها وتتناسل بالانقسام . فالمونيرا ابسط انواع الحيوان وهي الدرجة الاولى في سلم الحياة وتنمو وتتكاثر في اعماق البحور العظمى وقد وصفها العلامة هكسلي سنة ١٨٦٨

وبعد الكريات تأتي الحويصلات النووية وهي كائنات حويصلية الشكل فيها البروتوبلاسم متنوعة ومضمومة في غلاف غشائي وفي وسطها نواة او هي نقطة سوداء ومن هذه الحويصلات تتألف الاجسام الحية العظمى وقد درسوا طبائع هذه الحويصلات درسًا دقيقًا فوجدوا ان لكل حويصلة منها حياة مستقلة وانها تتناسل بالانفجار وذلك ان الحويصلة اذا بلغت وانقضى اجلها انفجر غشاؤها وخرج منهُ عدة حويصلات لكل منها خصائص الام وهي تتناول غذاءها من السوائل الجمادية فتحولها الى مواد حيوية تصلح لغذاء الاحياء العليا

ومن اجتماع هذه الحويصلات تتألف سائر انواع الحيوان والنبات . واصغر انواع الاحياء التي تتألف منها احياء دقيقة جدًّا لا تشاهد الاَّ بالميكروسكوب وهي تتولد في منقوع التبن اذا رشحة وتركتهُ يومين وتظهر بكثرة وقطرها لا يزيد على جزء من اربعين الفًا من القيراط (......) وهي مع ذلك تتمتع بكل اعمال الحياة فتتحرك وترسل من جوانبها نتوات تلتقط بها الغذاء وتمتصهُ فتهضمهُ وتمثلهُ وهذه الاحياء الدقيقة

كثيرة الوجود في الطبيعة لا يكاد يخلو مكان منها ولها فوائد عظيمة الاهمية جدا وذلك انها تزيل بقايا الاحياء بعد الموت ولولاها لتكاثرت تلك البقايا الفاسدة حتى ملأت الارض وعملها هذا يظهر لنا على هيئة التعفن او الفساد والتعفن عبارة عن تولد نوع من هذه الاحياء الصغيرة انبوبي الشكل يقال له بكتيريا فالبكتيريا تحوّل المواد المتعفنة الى مركبات جديدة تنصرف الى مجار اخرى من اعمال الحياة

وأبسط انواع البكتيريا الأميبا وهي قطعة جلاتينية ذات نواة ولا غلاف لها تتحرّك الى كل الجهات وترسل منها زوائد او نتوات تجتذب بها طعامها بحركة تموّجية فتغتذي وتنمو وتتناسل بالانقسام وذلك ان الواحدة منها تتقلص من وسطها رويدًا رويدًا حتى تنقسم الى اثنتين ثم تنقسم كل من هاتين الى اثنتين وهكذا على التوالي

والبكتيريا على اختلاف انواعها لا يمكن الجزم في كونها حيوانًا او نباتًا فالعلماء في اختلاف من هذا القبيل فقال بعضهم انها نبات وسموها بروتيستا وقال آخرون انها حيوان وسموها بروتوزوا والاكثر على انها بين بين

وبعد البكتيريا تنقسم الاحياء الى مملكتي النبات والحيوان وهما تشتركان في الخاصة الحيوية وأهم صفاتها التناسل والنمو والتغذية والدثور بتحول الخويصلات وانقسامها ودثورها . وتختلفان بنوع الغذاء فالنبات يغتذي بالمواد الجامدة رأسًا واما الحيوان فلا يمكنه الاغتذاء بها قبل ان يحولها النبات الى مواد نباتية ومعنى ذلك اننا اذا تناولنا خبزًا وشواء فالخبز نبات واما الشواء فلحم محوّل عن نبات بالهضم الحيواني وكلاهما محلف عن المواد الجامدة التي حولتها سنابل القمح ومراعي الحيوان الى نبات فكأننا نغتذي بتراب الارض بواسطة النبات ثم نعيد تلك المواد الى الارض بالافراز والتنفس والعرق وفي آخر العمر يتحلل ما بقي من جسمنا الى تراب وقد فصلنا ذلك في كلامنا عن المادة

وتنقسم كل من هاتين المملكتين الى اقسام تعرف بالاجناس والانواع وما تحتها فالمملكة الحيوانية تنقسم الى ذوات الفقرات وعديمات الفقرات وذوات الفقرات تنقسم الى الطيور والاسماك والزحافات وذوات الثدي وغيرها وكل من هذه الاقسام تنقسم الى ما تحتها وهكذا حتى نصل الى الانواع كالفرس والجمل والكلب والنسر والحمام وما شاكل والنبات ينقسم الى ذوات الزهور وعديمات الزهور وذوات الزهور تنقسم الى ذوات

الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة وعديمات الزهور تنقسم الى الناميات من القمة والناميات الى الاعلى والناميات على ثالوس وتحت كل من هذه الاقسام عدة طوائف وفصائل حتى نصل الى الانواع كالقمح والتفاح والبرتقال والنخل وغيرها

ولكل من اقسام المملكتين صفات خاصة تميزهُ من الاقسام الاخرى حتى نصل الى الانواع فنرى لكل منها صفات مميزة وهي حدودها او تعاريفها ولكن هذه الحدود غير واضحة تمام الوضوح بمعنى ان حدود الانواع مختلطة بعضها ببعض بحيث يقال ان ليس بين الانواع حد فاصل وهذا ما حدا بالعلامة داروين الى كتابة رأيهِ في اصل الانواع وخلاصتهُ ان هذه الانواع لم توجد منذ الخليقة مستقلة بعضها من بعض ولكنها كانت انواعًا قليلة وعنها صدرت الانواع الكثيرة بالتباين والتنوع على مقتضى الانتخاب الطبيعي وغيره من النواميس كما ذكرناهُ في ترجمة حياتهِ في هذه السنة من الهلال ولا يزال رأيهُ هذا من الآراء التي تفتقر الى اثبات

وخلاصة القول ان غاية ما وصل اليهِ العلماء بشأن الحياة حتى الآن ان الحياة مبدأ مستقل بثهُ الخالق في المادة في زمن لا نعرفهُ واحوال لا ندركها فلا يمكن توليدها الا بالتناسل من حي سابق اما نواميسها وكنهها وكيفية وقوع التوليد وما معنى الولادة والموت وكيف تتحول المواد الجمادية الى مواد حية كل ذلك من المسائل الغامضة التي لم تكشف للناس بعد الاستقصاء . اما حقيقتها ونواصيلها فلا تزال محجوبة عن عقولنا كغيرها من النواميس المتعلقة بنظام هذا الكون والحكمة في خلقتهِ واحكامهِ ما تحار بهِ العقول وتتضارب فيهِ الظنون . على ان العاقل البصير من عرف حدهُ فوقف عندهُ واقرَّ بعجزهِ عن ادراك اسرار الخليقة فمن هو الانسان في هذا الكون الواسع الاطراف بل ما هي الارض برمتها بل ما هو النظام الشمسي باجمعهِ فانها لا تساوي نقطًا قليلة من اوقيانوس عظيم وكلما ازداد الانسان علمًا وبحثًا ضعفت ثقتهُ بمعرفتهِ ومنتهى العلم معرفة الانسان مقدار جهلهِ فما شأننا في ابحاثنا في نظام هذا الكون وماهية المادة والقوة والحياة والزمان والمكان الا كرجل على عينيهِ غشاوة يشوف ليلاً من جبل عال ينتظر اقوامًا قادمين فمر ببصيرتهِ نور بسرعة البرق فظنهُ نارهم وهي شرارة تطايرت من عينيهِ لكثرة تفرسهِ واجهاد بصرهِ ولا وجود لها في الخارج وقد تكون شرارة من شهب ساقط فيبني العلالي والقصور واساسها الوهم

يتطهر بالتنفس فقد يعرض لهذه الاوردة اسباب تعيق مسير الدم او توقفهُ كما يحدث للحبالى اذ يضغط الجنين بثقلهِ على جزوع اوردة الساقين فتعيق سير الدم فيزدحم في تلك الاوردة فتنتفخ وتتعرَّج فتظهر على شكل عروق متعرجة او منتفخة داكنة اللون واذا جُسَّت شعر بها كأنها حبال بارزة لينة متعرجة السير او مجتمعة على هيئة عقد مرتفعة وربما آل امرها اخيرًا الى تقرُّح الجلد ونزف الدم من انفجار الاوردة ومن اكثر الناس تعرضًا لهذه العلة ايضًا الحمالون الذين يرفعون الاحمال الثقيلة على ظهورهم والذين يتعاطون الاعمال الشاقة وغيرهم

اما ما ذكرتم من اجابتها على ما يوجه اليها من الخطابات فمن العبث التعرض لنفيها وقد ظهر فسادها من بيان حقيقة تلك العروق ·اما تحركها بما يشبه الاشارات او يؤخذ مأخذ الجواب فمعقول لما قدمناهُ من وصفها لانها لتعرجها وانتفاخها يمكن تحركها بالانزلاق تحت الجلد بالضغط عليها او بتحريك الساق او الزند الظاهرة فيه الدوالي او بقبض العضلات من تحتها بخفة والظاهر ان هذه الطريقة هي المعوَّل عليها عند الذين يدعون لتلك العروق الفهم والتكلم فان العضلات تحت الدوالي وانقباضها لا يشعر به الرائي ولكنه يرى العروق تتحرك فيظنها تحركت من تلقاء نفسها

اما علاج هذا الداء فمسح الساق او القسم المصاب بالماء البارد مرارًا ويجب الامتناع عن الوقوف ما امكن وتناول المقويات او المسهلات عند الاقتضاء. غير ان العلاج الشافي لا يتم الاَّ بعملية جراحية خاصة بهذا الداء

مجاري الأنهر

(الاسكندرية) مصطفى افندي طاهر بالقباري

ثبت بالعلوم الرياضية والفلكية والطبيعية ان الارض كروية الشكل · ومن المعلوم ان السائلات مهما اختلفت كثافتها لا تصعد الى الاعلى الاَّ بقوة فعالة · ولما ذا مياه النيل تبتدي بجريها من القسم الجنوبي فتقطع خط الاستواء وتصب في البحر الابيض الذي هو في القسم الشمالي · فاذا قلنا ان قطبي الارض افقيان وان مياه النيل تابعة لقانون توازن السائلات فمن الضروري ان تصب مياه النيل في المحيط الهندي فنرجو الافادة ولكم الفضل

(الهلال) يؤخذ من سؤالكم انكم تظنون مركز ثقل الارض عند قطبيها وان خط الاستواء اعلى اجزائها ومنهُ تتدرج الارض نازلاً في الشمال الى القطب الشمالي وفي الجنوب الى القطب الجنوبي فلو صح هذا لاقتضى ان الانهر التي تنشأ جنوبي خط الاستواء تصب في الجنوب والتي تنشأ شماليهُ تصب في الشمال . ولكن الواقع خلاف ذلك فان الارض كما قلتم كروية وكل كرة مركز ثقلها في مركزها اي في نقطة متوسطة في داخلها على بعد واحد من سائر اجزاء سطحها فمركز ثقل الارض في مركزها وبعبارة اخرى ان الارض تجذب كل ما على سطحها من الاجسام نحو مركزها بقطع النظر عن خط الاستواء او القطبين فلو كان سطح الارض بحرًا واحدًا اي لو لم يكن على سطحها يبس لكان البعد بين مركز الارض وسائر اجزاء سطحها متساويًا لان الماء يطلب المساواة لسيولتهِ ولو فرضنا ان ذلك البحر صار كلهُ يبسًا وبقي سطحهُ مستويًا ثم امطرت السماء ماء لبقي الماء في مكان وقوعه ولم يجرِ شمالاً ولا جنوبًا ولا شرقًا ولا غربًا لان الارض تجذبهُ جذبًا متساويًا من كل اجزائهِ نحو مركزها

اما ما نشاهدهُ من مسير الانهار فسببهُ ما على اليبس من الجبال والاودية والارتفاعات والانخفاضات فاذا نزل المطر في مكان تجمعت مياههُ في المنخفضات حتى اذا صادفت ثغرة او شقًا انصرفت اليهِ وجرت منهُ الى منخفض آخر ولا تزال تنصرف من مكان الى أوطأ منهُ حتى تصل مكانًا لا مصرف فيهِ فتقف عندهُ اما اذا لم يوقفها حاجز فانها تظل سائرة بما ينضم اليها من المياه في سيرها حتى تصب في البحر بقطع النظر عن الشمال او الجنوب او الشرق او الغرب ويؤيد ذلك ان في نصف الكرة الشمالي انهارًا تجري الى الجنوب وفي نصفها الجنوبي انهارًا تجري الى الشمال وكثير من الانهار يجري شرقًا او غربًا فان قارة آسيا واقعة في النصف الشمالي ومعظم انهرها تجري من الشمال الى الجنوب كنهري الفراة والدجلة وسائر انهر الهند وفارس وسيام وغيرها وبعضها يجري شرقًا كنهر الصين وبعضها يسير غربًا كنهر سوريا وغيرها ومثل ذلك يقال في انهر اوربا واميركا الشمالية وشمالي افريقيا فان نهر النيجر ينشأ في شمالي افريقيا من الشمال ويجري جنوبًا حتى يصب في الاتلانتيكي وفي جنوبي افريقيا انهر تجري شمالاً ولكن معظمها يجري شرقًا او غربًا وقد يتجه احدها في مسيره بين منشإهِ ومصبهِ الى الجهات الاربع فنهر الكونغو مثلاً ينشأ جنوبي خط الاستواء

ثم يسير شمالاً الى شماليهِ ثم يجري غربًا ثم يعود فينعكف جنوبًا ثم يسير غربًا حتى يصب في الاوقيانوس الاتلانتيكي

وخلاصة القول ان مجاري الانهار لا علاقة لها بجهات الارض ولكنها تتوقف على ما يعترضها في مسيرها من الجبال والوديان وهي في كل حال تطلب المنخفضات فلو اعترض مجرى النيل جبل عند خط الاستواء او شماليهِ ورأى لهُ مصرفًا الى الجنوب لسار جنوبًا او الى الغرب او الشرق لسار غربًا او شرقًا فيصب في الاوقيانوس الهندي او في الاتلانتيكي او في البحر الاحمر تبعًا لما يلاقيهِ في طريقهِ

(ومنهُ ايضًا)

نرى الغربان في القاهرة كثيرة تألف المنازل والحدائق ولا نرى لها أثرًا في الاسكندرية فما سبب ذلك

(الهلال) لعل السبب في ذلك مجاورة الاسكندرية للبحر الملح والغراب طير بريّ مسكنهُ في الاصل البراري والاماكن المقفرة واما استئناسهُ بمنازل القاهرة فربما كان سببهُ وجود ما يقتات بهِ من بقايا اللحوم وغيرها او لعل لذلك سببًا آخر لا نعلمهُ

﴾ آخر ملك مصري ﴿

(القاهرة) اثر بي افندي ابو العز

اطلعت في العدد العشرين من مجلتكم الغراء على سؤَال من حضرة الفاضل راغب افندي مخائيل برجوفيو الافادة عن آخر ملك مصري فأجبتم حضرتكم ان بساميتيك الثالث آخر ملوك العائلة السادسة والعشرين الأ انهُ بالتأمل في سلسلة العائلات المصرية يظهر انهُ بعد انقراض العائلة السابعة والعشرين التي هي عبارة عن دولة الفرس الاولى بمصر حكم ثلاث عائلات مصرية (الثامنة والعشرون الصاوية والتاسعة والعشرون الاشمونية والثلاثون السمنودية) وذلك سنة ١٠٢٨ الى ٩٦٣ ق م) وكان آخر ملك من العائلة الثلاثين هو نكتانيبوس الثاني وهذا على ما نرى آخر من حكم مصر من المصريين فان كان عندكم رأي غير ذلك أفيدونا ولكم الفضل

الوصايا الجليلة في آداب الحليلة

(بقلم حضرة النطاسي البارع الدكتور امين افندي الخوري)
(حكيمباشي اسبتالية دمياط)

(مذهب)

ان أوقات التلاهي قد مضت　　وأتى وقت الزواج المؤنس
فخذي عني وصايا جمعت　　يا فتاتي من نفيس أنفس

(دور)

ان حسن الحظ ألقانا الى　　بيت قوم مثلنا في كل حال
وحليل كلما فيه حلا　　من جمال ورشاد وكمال
فيه بدر هناك اكتملا　　أسأل الله لكم حسن المآل
ان يكن هام بحسن قد حلت　　وزهت بهجته للأنفس
فأريه فيك أخلاقاً سمت　　حسبما يقضيه طيب المغرس

(دور)

ستنالين الرضا بالاجتدا　　والصفا الدائم في شهر العسل
ويكون الكل فيكم سعدا　　والمنا أين تقيان بجمل
انما ذا ليس يبقى سرمدا　　فلقد يعقبه بعض الملل
ربما نار هوى الزوج خبت　　فاحسني الظن ولا تبتاسي
اذا المرأة في ذا عقلت　　تجعل العمر كشهر العرس

(دور)

ودي أخت الزوج واسترضي أباه　　وابذلي كل احترام لامه
أتركي المزل ولا تلقي أخاه　　بمزاح لا ولا ابني عمه
اقضي ما يرضى وخلي ما أباه　　وكذا اهتمي له في همه
واذا البشر عليه ظهرت　　اظهري بشراً له وأتمي
وكذا في غمه لو بدرت　　حدة لا تنزعي للشرس

(دور)

خلي عنكِ المزل مع أهل القرين — لا لكي تستظهري بالعظمة
بل لأنّ المزل للنفس مهين — مثلما الكبر سجايا المجرمة
و زني الاعمال بالعقل الرزين — وقبيل النطق ذوقي الكلمة
حاذري الجارة مهما برهنت — كذباً عن حبها واحترسي
وبكِ الاقوام مهما أعجبت — فالى تمليقهــم لا تأنسي

(دور)

اودعي سرّك أعماق الفؤاد — ولدى الحاجة في وقت الصفا
زوجكِ المختار من رب العباد — اذ سواهُ ليس يرجى للوفا
امدحي أطوارهُ في كل ناد — واتقي الشكوى ولو يوماً هفا
انما الشكوى من الزوج عنت — تورث الوحشة بعد الأنس
فأمور مثل هذي لو جرت — تنطق الألسن بعد الخرس

(دور)

ان يكن عيبٌ به يوماً طرا — أو أتى امراً على غير المرام
غضي من طرفكِ عنهُ حذرا — ان تقوديه لشرّ وخصام
فبحسن الرأي نقضي الوطرا — لا ببذل اللوم او بذء الكلام
واحفظي الواجب مهما وصلت — معهُ حرية واحترسي
ولتكُ الآداب فيكِ انطبعت — جُنةً من وصمة الملتبس

(دور)

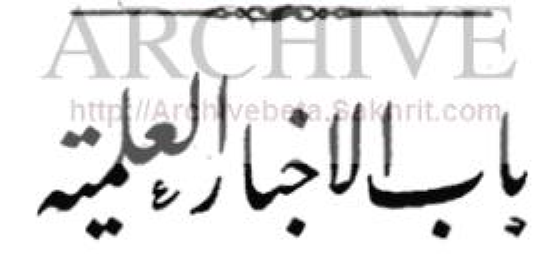
ألبسي ما كان محبوباً لديه — وامنعي ما النفس منهُ تشمئزّ
اجمعي اولادهُ بين يديه — واشغليه فيهم عمن يعزّ
لا تلحي بالسؤالات عليه — واربي فيكِ نفس المستعزّ
وابعدي الغيرة مهما فتكت — بالحشى فهي نذير الابؤس
وافري منها اذا ما هجمت — كالظبا من أسدٍ مفترس

(دور)

أنتِ بالحسن وباللين فقط قد تفوزين لدى ارجاعهِ
فاحذري ان تركبي متن الشطط ان دعت حالٌ الى اقناعهِ
وثأني واعلمي ان الغلط غالبًا للمرء من اسراعه
انما المرأة من قد ادركت قصدها تحت لواء الانس
لا من الغيرة فيها اشتعلت فأضاعت رشدها بالهوس

(دور)

ربي بينك فيا نقتضيه حال ذاك الزوج في هذا الوجود
والذي عنهُ غنى فاقتصديه واسعي الاثنين تثيرا وجود
ان من وفر شيئًا يلتقيه فلياليِ عمرنا بيض وسود
وبأوقات فراغ قد خلت من مهامك لا بأس ادرسي
فمبادي طبنا قد نميت كلما يصلح ان تأنسي



باب الاخبار العلمية

✽ العدسيات المكبرة ✽ قد يتبادر الى الذهن ان العدسيات البلورية المكبرة التي يستخدمونها في تكبير الاشباح المنظورة من الاختراعات الحديثة جدًا ولكن يظهر مما كتبهُ بعضهم ان كونفوشيوس الفيلسوف الصيني الشهير الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد قد عرف هذه العدسيات واستعمالها وقال الموسيو دي باراڤي نقلاً عن الموسيو جوبيل في كتاب عن تاريخ الصين ان الامبراطور شان الذي تولى مملكة الصين سنة ٢٢٨٢ ق م كان يستخدم عدسيات بلورية تساعدهُ في رؤية السيارات

✽ النمل في فلوريدا ✽ ان في فلوريدا من اعمال اميركا انواعًا كثيرة من النمل لا توجد في غيرها . منها ما لا يزيد حجمهُ عن حبة الرمل بحيث لا تكاد تدركهُ

الهلال

الجزء الثاني والعشرون من السنة الثالثة

(١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٥) (٢٢ محرّم سنة ١٣١٣) (٩ أبيب سنة ١٦١١)

أشهر الحوادث وأعظم الرّجال



احمد جودت باشا

الوزير الخطير والعالم النحرير

(ولد سنة ١٢٣٨ هـ وتوفي سنة ١٣١٢)

رزئ العالم العثماني في السابع والعشرين من مايو الماضي بوفاة المغفور له احمد جودت باشا العالم الكبير والوزير العثماني الشهير فبادرنا الى ذكر ترجمة حاله تخليداً لذكره لأنه من أشهر رجال هذا العصر علماً وعملاً

هو الوزير احمد جودت باشا بن الحاج اسماعيل اغا بن الحاج علي افندي بن احمد اغا بن اسماعيل افندي مفتي مدينة لوفجة المشهور ابن احمد اغا احد ضباط الحملة العثمانية التي ظهرت على بطرس الكبير امبراطور الروس في الحرب المعروفة بحرب بروث

ولد رحمة الله في مدينة لوفجة التابعة لولاية الطونة سنة ١٢٣٨ هـ وكان والده من اعيان لوفجة وعضواً من اعضاء مجلسها فربي احمد في حجر والديه وتهذب على يديها وتلقى مبادئ العلوم البسيطة في وطنه وقد ظهرت عليه مخائل النجابة منذ نعومة اظفاره فلما ترعرع قدم الاستانة العلية سنة ١٢٥٥ في اواخر ايام المغفور له السلطان محمود الثاني المصلح الشهير فاقام فيها بتلقى العلوم والاداب على احسن علمائها فأتقن الفقه وأصوله والحديث والتفسير وعلم الكلام والمنطق والفلسفة على انواعها والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ واللسان الفارسي وأتقن اللسان التركي والعربي حتى نظم الشعر فيها جميعاً . وفي سنة ١٢٦٠ عكف على درس القضاء فنال قصب السبق على اقرانه فنال في السنة التالية رتبة بنالها السابقون في هذا المضار يقال لها (رتبة رؤوس تدريس) وأخذ في التأليف فذاع صيته فعينته الحكومة السنية عضواً في مجلس المعارف العمومية سنة ١٢٦٦ وفي تلك السنة انعم عليه بالنيشان المرصع من من الرتبة الثانية وفي السنة التالية عين عضواً في المجمع العلمي العثماني (الاكاذيمية) وفي سنة ١٢٧١ تقلد كتابة وقائع البلاد وفي السنة التالية عين قاضياً لغلطة احد اقسام الاستانة الثلاثة

وكان كلما تقلد منصباً قام بمهامه حق القيام فانهالت عليه الرتب والمناصب والنياشين فنال سنة ١٢٧٢ باية ولاية مكة المكرمة والنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة وتعين عضواً في مجلس التنظيمات ورئيساً للقومسيون المنعقد اذ ذاك لترتيب القوانين والنظامات المتعلقة بالاراضي وكان في جملة اعضاء هذا القومسيون وقتئذ محمد رشدي افندي شرواني الذي صار بعدئذ والياً على سوريا ثم ناظراً للمالية ثم صدراً اعظم

وفي سنة ١٢٧٥ ﻫ سار الصدر الاعظم محمد باشا القبرسي الى الروم ايلي للتفتيش فسار صاحب الترجمة بمعيتهِ وفي سنة ١٢٧٧ وجهت اليهِ باية استانبول والنيشان المجيدي من الرتبة الثانية وفي السنة التالية عين عضواً في مجلس الاحكام العدلية على أثر الغاء مجلس التنظيمات وإحالتهِ الى مجلس الاحكام العدلية

واتفق اذ ذاك وقوع اختلال في جهات إشقودره افضى الى تشويش الاذهان فانتُدب صاحب الترجمة ان يسير اليها بمهمة خصوصية لاصلاح احوالها عسكرياً وملكياً فسار اليها وأصلح شؤونها ورتب احكامها بمدة يسيرة وعاد

وفي أواخر سنة ١٢٧٩ عين مفتشاً في البوسنة والهرسك وقبل سفرهِ وجهت اليهِ باية قاضي عسكر الاناطول وأحسن اليهِ بالنيشان المجيدي من الرتبة الاولى وكانت ولاية البوسنة والهرسك الى ذلك الحين خلوًا من التنظيمات العسكرية بنوع استثنائي فادخل اليها التنظيمات ورتب أحكامها فنال رضى الباب العالي بنوع خاص فانعم عليهِ بالنيشان العثماني من الرتبة الثانية ولم يحرز هذا النيشان أحد من العلماء قبلهُ وأُهدي اليهِ بندقية من الطرز الذي فرقهُ في الجند في البوسنة والهرسك وقد نقش عليها ما معناه « تذكرة افتخار من السرعسكرية الى حضرة جودت افندي من اجل الهمة التي بذلها في تدريب شجعان بوسنة على الخدمة العسكرية »

وفي سنة ١٢٨١ أُرسل في الفرقة الاصلاحية التي سارت لاصلاح ما اختل من شؤون جبال القوزان وكانت تلك الفرقة تحت قيادة درويش باشا مشير المعسكر الهمايوني الرابع فاصلحا الاحوال وضبطا امور تلك الجبال فلما عادا سنة ١٢٨٢ انعمت الحضرة الشاهانية على صاحب الترجمة بعلبة مرصعة اشارة الى نيلهِ رضائها لما بذلهُ من الهمة والاقدام في اصلاح شؤون القوزان ثم عين عضواً في المجلس العالي وبعد قليل وجهت اليهِ رتبة الوزارة السامية ثم ضمت ايالات حلب واطنه والوية القوزان ومرعش واورفه الى ولاية واحدة قصبتها مدينة حلب عهدت حكومتها اليهِ فقدمها واستلم زمام الاحكام بهمة ونشاط نحو سنتين حتى اذا كان انقسام مجلس الاحكام العدلية العالي سنة ١٢٨٤ الى قسمين وتشكلت منهُ هيئتان عرفتا بمجلس شورى دولة وديوان الاحكام العدلية ولي هو رئاسة ديوان الاحكام العدلية ثم تحولت هذه الرئاسة الى نظارة الديوان ثم الى نظارة العدلية وتشكلت تحت رئاستهِ لجنة علمية لتأليف

كتاب في الفتاوي على مذهب الامام ابي حنيفة فألفه وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وعليه المعوّل في سائر المحاكم الشرعية النظامية .

وفي سنة ١٢٨٨ عين عضوًا في مجلس شورى الدولة وفي السنة التالية عهدت اليه ولاية مرعش ولم يلبث بها الاّ قليلاً ثم استقدم لتولي نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٠ عين ناظرًا للمعارف العمومية وفي السنة التالية انحرفت صحة كامل باشا رئيس مجلس شورى الدولة فعين هو نائبًا عنه واحيلت اليه ايضًا ولاية يانيه وفي سنة ١٢٩٢ اعيدت اليه نظارة المعارف العمومية وفي اواخر هذه السنة عهدت اليه نظارة العدلية ثم اقتضت الاحوال ان يتولى تفتيش الروم ايلي مع بقائه على العدلية وفي تلك السنة سمي واليًا على سوريا وقبل ان يأتيها اعيد الى نظارة المعارف العمومية وبعد اشهر رجعت اليه نظارة العدلية .

وفي سنة ١٢٩٤ تقلد نظارة الداخلية وعهد اليه ان يرتب جندًا من سكان الاستانة باسم الموكب الهمايوني وفي اواخر تلك السنة نقل من نظارة الداخلية الى نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٥ تعين واليًا على سوريا ولكنه لم يقم فيها طويلاً بسبب اختلال ظهر في قوزان اقتضى مسيره الى اصلاحه وفيما هو عائد منها فصل عن سوريا وتعين ناظرًا للتجارة والزراعة في دار السعادة

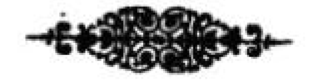
وفي سنة ١٢٩٦ استعفى خير الدين باشا من مسند الصدارة فقام هو بمهامها موقتًا ثم عهدت اليه نظارة العدلية وفي سنة ١٣٠٠ تغير الوكلاء جميعًا فاعتزل الاعمال واكب على المطالعة والتأليف وفي سنة ١٣٠٢ تعين مامورًا لقومسيرية الروم ايلي الشرقي ولكنه تاخر عن السفر بسبب تكدير جو السياسة اذ ذاك فعاد الى نظارة العدلية وفي السنة التالية انعم عليه جلالة مولانا السلطان الاعظم بنيشان الامتياز وفي اواخر سنة ١٣٠٥ انفصل عن نظارة العدلية وبقي من اعضاء مجلس الوكلاء الى ان توفاه الله في ٣ ذي الحجة سنة ١٣١٢ (٢٧ مايو الماضي) وصدرت الارادة الشاهانية ان تنفق حاجيات التجهيز والدفن من الجيب الهمايوني وقد دفن في تربة ساكن الجنان السلطان محمد الفاتح وله من العمر ٧٤ سنة قضاها في خدمة الدولة والامة علمًا وعملاً

وكان عالمًا فاضلاً اشتهر في كثير من العلوم وخصوصًا العلوم الاسلامية والتاريخ

وكان يعرف اللغات التركية والفارسية والعربية معرفة جيدة تكلماً وكتابة مع المام بالفرنساوية والبلغارية . وكان سهل الخلق كريم الخصال وديعاً متواضعاً واسع العلم عالي الهمة مخلصاً للدولة والامة تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

(مؤلفاته)

اما مؤلفاته فعديدة في التركية والعربية بين مطبوع وغير مطبوع اشهرها وأكبرها تاريخ آل عثمان المعروف بتاريخ جودت طبع بالتركية في تسعة مجلدات وهو جليل في بابه بل هو المرجع الوحيد لتاريخ الدولة العلية وقد عني في نقله من اللسان التركي الى العربي حضرة الفاضل صاحب السعادة عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت فنشر منه الجزء الاول سنة ١٣٠٨ مطبوعاً طبعاً متقناً في بيروت ولعله آخذ في نشر الاجزاء الباقية لكيلا تحرم اللغة العربية فوائد هذا التاريخ . ومن مؤلفاته رسائل عديدة في العربية وبعض التعليقات طبعت مجموعة واحدة وله ثمة شرح ديوان صائب المشهور في الدواوين الفارسية وكان قد شرع في شرحه فهيم افندي وتوفي قبل تجازه وله ترجمة القسم الثاني من مقدمة ابن خلدون وهي منشورة باسمه والقسمان الاولان ترجمها صائب افندي . وله بيان العنوان والمعلومات النافعة وتقديم الادوار وكلها رسائل مطبوعة بالتركية وله في علم المنطق كتاب اسمه (ميعاد سداد) وفي علم الادب (آداب سداد) ومؤلفات في روايات الانبياء وتواريخ الخلفاء مع ترجمة التاريخ المقدس وقد طبعت وشاعت في المدارس للتدريس وله رسالة في كيفية تربية التوت والدود وقانون نامه الاراضي والنظام المتفرع عنه مع قانون نامه الجزاء الهمايوني وجميع النظامات وتواريخ القوانين الصادرة من مجلس التنظيمات وله كتاب في ترتيب وظائف العدلية وابتداء تشكيلها مع تنظيم مجلة الاحكام العدلية تحت رئاسته كما قدمنا وله تعليمات مخصوصة في نظارة المعارف لتدريس الطلبة على أساليب سهلة جديدة وجميع ذلك باللغة العثمانية على ان بعضها قد ترجم الى اللغة العربية كتاريخ آل عثمان ومجلة الاحكام العدلية وغيرها



باب المقالات

أركان العلوم الطبيعية

خلاصة الخلاصة

(او المعاد والخلود)

لا مشاحة في أن اجلى المذاهب واوضح الآراء ما كان مبنياً على الحقائق الطبيعية المؤسسة على المشاهدات العيانية والقول بالمعاد والخلود من الاقوال القديمة التي لم تقم امة من الامم قديماً او حديثاً الا قالت به على تفاوت بينها في الكيفية اما في الجوهر فالامم مجمعة على ان الانسان سيبعث حياً وينال عقاباً او ثواباً في عالم آخر يختلف عن عالمنا بالبقاء الدائم وهو الخلود

ولكن جماعة من العلماء واكثرهم من الماديين انكروا هذا القول لمخالفته (حسب اعتقادهم) للمشاهدات الحسية او لبعده عن مدارك البشر وغرضنا من هذه المقالة تأييد القول بالمعاد والخلود بناء على اقوال الماديين انفسهم في المادة والقوة وسائر المظاهر الطبيعية

وقد بينّا في المقالات الخمس المتقدم ذكرها خلاصة ابحاث العلماء الطبيعيين في الزمان والمكان والمادة والقوة والحياة وخلاصة ما قلناه هناك ان المكان والزمان لا حدّ لهما وبعبارة اخرى ان مدارك البشر لا تستطيع ادراك حدودهما فمعرفتنا فيهما قاصرة ولا يمكننا الجزم بما وراء الافلاك التي نشاهدها ولا علم لنا بما هنالك ولا بالزمان قبل ان تكونت الارض ولا ما كان اذ ذاك من الاحوال فغاية ما نستطيع الاجابة عليه فيما لو سئلنا عما كان او يكون في اقدم الزمان وابعد المكان اننا لا نعلم

وقد اتضح لنا من ابحاثنا في المادة والقوة انهما خالدتان محدودتان لا تقبلان الملاشاة او الزيادة وان من تفاعلهما على نسب مختلفة واحوال متباينة تتولد كل مظاهر هذا الكون وهي الكائنات على اختلاف احوالها من الجماد والنبات والحيوان وان هذه

التفاعل جار على نظام تام وحدود لا يمكن تعديها فالسيارات تجري في افلاكها بازمنة ومسافات محدودة بنظام تام نستطيع التنبوء عن مسير كل منها وتعيين المكان الذي يبلغه بعد مئة سنة او الف سنة او اكثر وتعيين الكسوف والخسوف باوقاتها بالدقيقة والثانية والثالثة · ونرى الفصول الاربعة تتوالى باوقاتها على نظام معلوم واذا نظرنا الى سائر الحوادث الطبيعية لا نعدم لها تعليلاً يرتاح اليه العقل ويستنير به الذهن فاذا تساقط المطر علمنا انه بخار الماء الذي تصعد بحرارة الشمس عن سطوح البحار ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماء وتساقط مطرًا ثم يجري جداول وانهارًا تصب في البحار فتعود الى حيث اتت فتعود الشمس فتبخرها فيتصاعد بخارها في الجو حتى يتكاثف بالبرد وينزل مطرًا وهكذا على التوالي

واذا رأينا ماء البحر ينخفض عند الشاطئ علمنا انه الجزر المسبب عن جذب القمر لمياه البحار فيترفع في اواسطها فيقل عند الشاطئ فينخفض فاذا عاد المد علمنا بتحول القمر عن ذلك البحر الى غيره واذا زلزلت الارض او تفجرت البراكين وتصاعدت النيران من جوف الارض علمنا ان ذلك ناتج عن تفاعل حرارة باطن الارض واذا قصفت الرعود وتألق البرق علمنا ان ذلك حدث بتفاعل كهربائية الغيوم كما يتفاعل طرفا بطارية كهربائية

واذا اشعلنا شمعة حتى احترقت كلها علمنا انها لم تتلاش ولكنها تحولت الى مواد غازية لا تدركها ابصارنا واذا استقبلنا شعاعة من نور الشمس بموشور فانحلت الى الوان النور السبعة علمنا ان النور مؤلف من هذه الالوان ولو مزجناها لعاد النور الى ما كان عليه

ولو صببنا حامض الكبريتيك على كربونات الكلس لا نرتاب مطلقًا ان المركب الحاصل من ذلك كبريتات الكلس وقد أفلت غاز الحامض الكربونيك في الهواء ومثل ذلك تقول في سائر التفاعلات الكيماوية فان نواميس تركيبها وتحليلها من ادق النواميس واضبطها وشاهد النظام في ذلك انك لو عملت عملاً عرفت عواقبه او لو رأيت حادثًا استطعت تعليله بما يرتاح اليه عقلك ولا يبقى لديك مكان للريب او الالتباس

ومثل ذلك اعمال الحياة فاذا غرسنا بزرة زيتون في الارض علمنا يقينًا انها

لا تنبت الا زيتونًا وبزر الليمون لا ينبت الا ليمونًا وهكذا في سائر انواع النبات ونعلم يقينًا ايضًا ان النبات لا يولد حيوانًا ولا الحيوان نباتًا وان لكل نوع من النبات والحيوان عمرًا لا يتعداه

وفي اعمال الحياة نواميس جارية بغاية الدقة فالحيوان يتولد من جنين والجنين من بيضة وكل ذلك بنواميس جلية يرتاح اليها العقل ولو اوردنا تعداد الامثلة لضاق بنا المقام

فالنظام شامل للكائنات وهي مرتبطة بعضها ببعض بسلاسل من الاسباب والنتائج لا يسع العقل الا التسليم بها والرجوع اليها فاذا سقط حائط على مارٍّ فقتله ظننا لاول وهلة ان ذلك حدث بالصدفة ولكن الصدفة امر لا معنى له لان الحائط لم يقع الا بعد ان اثرت فيه فواعل الرياح والحرارة والمطر اعوامًا والريح لم تمر به الا مدفوعة بفواعل طبيعية معلومة اقتضتها نواميس الرياح المقررة والرجل لم يمر بجانب ذلك الحائط الا لاسباب اقتضت مسيره ولو بحثت عنها لرأيتها مبنية على نواميس طبيعية راهنة لا مناص له منها

واذا مات أحد بغتة يتبادر الى ذهننا ان موته كان صدفة او لغير سبب ولكننا لو فحصنا الرمة لوجدنا في بعض اعضائه الرئيسية مرضًا تمكن به لاسباب طبيعية مبنية على نواميس طبيعية مقررة

وخلاصة القول اننا نرى الحوادث الطبيعية مما يتعلق بالمادة والقوة على اختلاف مظاهرها جارية بكل دقة ونظام ولكل منها نواميس وقواعد وتعاليل يرتاح العقل اليها ويعجب بدقة نظامها وصحة مقدماتها ونتائجها

ولا نزال نرى ذلك النظام مرعيًا حتى نصعد من الاعمال المادية الى الحوادث النفسية او الادبية المرتبة حسب الظاهر على الحوادث الطبيعية فنرى في تلك الحوادث نقصًا او خللاً يقف بنا حيارى لا نعلم وجه الحكمة او العدل في وقوعه

فاذا اصيب احدنا بمرض وتمكن فيه حتى قضى نحبه فلا نعدم وسيلة في تعليل سبب المرض وكيفية الوفاة والرجوع في ذلك الى نواميس طبيعية مقررة واذا اصابت أحدنا مصيبة من فقر او شقاء لا نعجز عن تتبع ذلك الى اصوله واسبابه ونعلله تعليلاً يقبله العقل وكل ذلك راجع الى النواميس الطبيعية المتعلقة بالمادة والقوة

ولكننا لو نظرنا الى مجمل هذه الحوادث من وجهها الادبي او قسناها بقياس العدل او حاولنا تطبيقها على احكام العقل لرأينا فيها خللاً او نقصاً لا يزيدنا الاّ جهلاً ولا يزداد بحثنا فيها الاّ تعقيداً حتى قد يقودنا ذلك الى الشكوك وتضارب الظنون

ولايضاح ذلك نقسم حوادث هذا الكون الى مادية وأدبية فالحوادث المادية نريد بها ما هو جارٍ من تفاعل المادة والقوة كالحوادث الفلكية والظواهر الجوية والافعال الكيماوية ونواميس النمو في النبات والحيوان وما جرى مجرى ذلك من الحوادث الجارية في الطبيعة ونريد بالحوادث الادبية افعال النفس بالنظر الى احكام العقل على ما يظهر لنا من مجمل حوادث هذا الكون ونسبتها الى ما نشعر بهِ او نتوقعهُ من الحكمة في الخلق · ومن امثلة اعمال النفس المشار اليها حكمنا على بعض الحوادث من حيث انطباقها على العدل او الشفقة او الحنو او عدم انطباقها مثال ذلك اذا سمعنا او قرأنا ان رجلاً قتل ابنهُ عمداً فاننا نشعر بانقباض ونتمنى الانتقام من القاتل ولو كنا لا نعرفهُ او لم يكن لنا علاقة بالمقتول وبالعكس اذا سمعنا ان رجلاً انتصر لمظلوم فانجدهُ وانقذهُ من يد ظالم فاننا نشعر بارتياح الى هذا العمل ونرى في انفسنا ميلاً الى الفاعل ورغبة في الثناء عليهِ او مكافأتهِ

فاذا تاملنا في مجريات هذا الكون نرى المادية منها منطبقة على احكام العقل ونرى في انفسنا ارتياحاً اليها لانها جارية على نواميس مقررة مرتبطة بعضها ببعض بنظام معلوم وعلى وتيرة واحدة بحيث اذا علمنا مقدماتها تنبأنا عن نتائجها بناء على علمنا ان للسبب الواحد نتيجة واحدة دائماً

أما الحوادث الادبية او النفسية فعلى خلاف ذلك وقلَّ ان نرى فيها ما ينطبق على احكام العقل او ترتاح اليهِ النفس مثال ذلك رجل قضى حياتهُ في عمل البر والاحسان الى الفقراء واعانة المصابين عاملاً على التقوى والورع ولكننا نرى النكبات تتوالى عليهِ والضيق يحدق بهِ فلا يكاد ينسى مصيبة حتى يصاب باخرى فيقضي حياتهُ آسفاً كئيباً وربما مات اسفاً وحزناً · ورجل لا ديدن لهُ الاّ ارتكاب المحرمات واتيان الموبقات لا يتترع عن الاذى والظلم ولكننا نرى الخيرات تنهال عليهِ والسعد يخدمهُ فيقضي حياتهُ سعيداً متمتعاً بملاذ الدنيا ونعيمها

وهناك فتى غض الشباب يانع الفؤاد ذكياً فطناً يتوقع الناس منهُ خيراً وهو

راغب في خدمة بني الانسان أخذ يهيء نفسه للعمل وآماله واسعة وصدره رحب وقلب والديه عالق به يعدَّان الساعات لجني ما غرساه في ولدهما من العلوم والآداب للتمتع بثمر اتعابهما ولكنه لا يكاد يبدأ بالعمل حتى تداهمه المنية فينقضي نحبه فتضيع بموته الآمال ويذهب تعبه واستعداده ادراج الرياح

وهناك شاب آخر ينشأ على المنكرات وأذية اهله ومعارفه فيطلب الناس موته ويتمنون قضاء نحبه ولكنه يعمر طويلاً ويتمتع بثمار اتعابه وربما تمتع بتعب سواه

وهناك طفل ولد مريضاً بمرض ورثه عن والده فقضى حياته (القصيرة) يقاسي مر العذاب من المرض حتى مات وهو لم يقترف ذنباً وقد يتفق ان والده الذي جرَّ عليه هذا الوبال لم يقاسِ من عواقب مرضه امرًا يسوءهُ. وآخر ورث عن والده ثروة طائلة وصحة جيدة فعاش في رغد ورخاء متنعماً منغمساً في الترف عاكفاً على الملاهي وقد يكون شريرًا فيستخدم امواله ونفوذه للاضرار في الناس. وآخر ورث عن والده الفقر او مات والده مديوناً وقضى هو كل حياته يعمل ويجد لوفاء الدين حتى مات من عظم الشقاء والبلاء

وهناك ارملة احبت البقاء من اجل ولد وحيد ربته بدموع عينيها وتعب يديها منذ دب الى ان شب فاذا مشى راقبته عيناها او تكلم خفق له قلبها واذا تبسم انتعشت جوارحها واذا غاب شيعه عقلها وكل عواطفها فاذا دنت ساعة عودته جعلت تطل من النوافذ وقد شاعت عيناها وكلما رأت شبحاً ظنته ابنها فلما ابطأ قليلاً خارت قواها وجثت تصلي وتطلب الى الله ان يحرسه من نائبات الزمان فاذا عاد نسيت كل اتعابها وقامت بخدمته تحمد الله على نعمه. فلما شب لم يعد همها الا الاهتمام بزواجه فكلما رأت فتاة نظرت اليها من وجه المناسبة بينها وبينه وهي تظن ان ليس في الدنيا فتاة تليق بابنها حتى وقع اختيارها واختيارهُ على عذراء تنطبق اوصافها على ما يريدان فخطبتها له واخذت تعد معدات العرس فاستقدمت الفراشين والنجارين وابتاعت احسن الاثاث وهي تعد الايام والساعات منتظرة يوم الفرح وفيما هي في ذلك اصيب العريس بمرض لم يمهله ليلة فقضى وترك والدته في حال انت ادرى بها

وهذا خريستوفورس كولمبوس مكتشف اميركا جاء العالم بخدمة لا تعادلها خدمة ولكنه قضى حياته في الخطر والمشقة ومات حزيناً بئساً وكم من المخترعين

والمكتشفين الذين يذيبون ادمغتهم ويهكون اجسامهم في البحث والتنقيب حتى يخترعوا آلة او يكتشفوا مخبئاً ولكنهم يموتون من عواقب الشقاء والتعب وهم لم يذوقوا ثمرة اتعابهم

هذه أمثلة قليلة تذكر القارئ بحوادث كثيرة اغرب منها سمعها او شاهدها وكلها تدل على اختلال الحوادث الادبية وعدم انطباقها على احكام العقل وشعور النفس فان هذه الامثلة وامثالها لا تدل على نظام عاقل ولا نرى فيها حكمة او رابطة كما نرى في الحوادث المادية لان احكام عقولنا ونفوسنا تقضي على فاعل الخير بالخير وفاعل الشرّ بالشر وتعلمنا الشفقة على المصابين والحزانى وتأبى العسف والجور وهذا لا نراه فيها

فنظام هذا الكون يدل على حكمة فائقة في وضعه ونرى آثار هذه الحكمة في كل عمل من الاعمال المادية اما الاعمال الادبية فقلما نرى حكمة فيها . فيظهر ان في نظام هذا الكون نقصاً من جهة معلومة في الحوادث الادبية ولا يعقل ان الذي اوجد هذا النظام المحكم اراد ان يكون فيه نقص او ظلم او اجحاف الاّ ان يكون قد جعل لهذا الكون تتمة تسد هذا النقص ولا يمكن ان يكون ذلك الاّ في عالم آخر نظامه متم لهذا وبما ان ذلك النقص متعلق رأساً بالانسان فلا يسد ذلك الخلل الاّ اذا وُجد الانسان في ذلك العالم وهو لا يكون هناك الاّ مبعوثاً . وهو المعاد

فهل في الحوادث الطبيعية ما ينافي هذا القول وهل يترتب على فرض المعاد مناقضة لنظام الكون المعروف . كلاّ . لاننا لم نستطع حتى الآن ادراك حدود هذا الكون ولا الزمان الذي وجد فيه فكيف يمكننا الحكم قطعياً على ما وراءه او على ما لا يقع تحت حواسنا منه ومثلنا في ذلك مثل رجل مغمض العينين حمل الى حديقة ثم رفع الغطاء عن عينيه فمشى في الحديقة فاذا هي محاطة بسور عال لا يمكنه تعديه ولا ان يرى ما وراءه فلو جاءه مخبرٌ بان وراء ذلك السور بحراً او براً او وادياً او مدينة فلا يمكنه ان يكذبه ولا هو مكلف بتصديقه حتى يعتقد صدق قوله الاّ اذا اقام له دليلاً يقبله عقله

فوجود العالم الآخر لا ينافي نظام هذا العالم بل هو متم له كما تقدم وزد على ذلك ان خصائص المادة والقوة تؤيد هذا القول فقد علمنا انهما باقيتان لا تتلاشيان ولا تقبلان الزيادة وهو الخلود فالخلود من خصائص هذا الكون الاصلية .

وخلاصة ما تقدم ان في نظام هذا الكون حكمة فائقة الاَّ من حيث الحوادث الادبية وانطباقها على احكام العقل وشعور النفس فاننا نرى هناك نقصاً لا يمكن سدهُ الاَّ بفرض عالم آخر متمم لهذا وذلك لا ينافي نظام الكون المعروف ولا يتم الاَّ بوجود الانسان لان الانجاف واقع عليهِ و وجود الانسان يقتضي المعاد والمعاد يستلزم الخلود والخلود خاصة من خصائص المادة والقوة فالقول بالمعاد والخلود مؤيد بالادلة الطبيعية الحسية . ولا يخفى ان الادلة على المعاد والخلود عديدة بين لاهوتية وعقلية وادبية لم نتعرض لشيء منها وانما اردنا الاشارة الى ما استنتجناهُ من بحثنا في اركان العلوم الطبيعية



حضرة الفاضل منشئ الهلال الأنور

اقترحت على حضرتكم قبلاً عن كتاب (الف ليلة وليلة) الشهير فأجبتم جواباً حسناً في الجزء الثالث من هلال هذه السنة وبينما كنت انقب عن هذا الكتاب عثرت في بعض الكتب على كلام عنهُ لا يخلو من فائدة أحببت ايراده تصديقاً لما كتبتموهُ وافادةً لقرّاء الهلال الأنور

قال العلامة القيلوبي رحمة الله في نوادره في الحكاية ١٤٥ اصل وجود الف ليلة وليلة (حكي) ان ملكاً من ملوك الفرس كان كلما تزوج بامرأة وبات عندها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من بنات الملوك ذات عقل ودراية فلما دخل بها ابتدأته بخرافة من كلام الخرافات واستمرت فيها حتى فرغ الليل وبقي منها ما يحمل الملك على طلب تمامها فلما كانت الليلة القابلة سألها عن تمامها واستمرت معهُ على ذلك

مدة الف ليلة وليلة وهو مع ذلك يجامعها فحملت منه بولد وأظهرته له وأوقفته بين يديه واطلعته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها وأبقاها فدوّن ذلك وجعل كتاباً وسمي بذلك الاسم وكله كذب مختلق قال بعضهم وهذا اصل منشأ الخرافات في الفرس والله اعلم (انتهى كلام الفيلوبي)

وقال المأسوف عليه المرحوم المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف عند الكلام عن هذا الكتاب ما محصلة

الف ليلة وليلة ويسميه الافرنج الليالي العربية ايضاً هو تأليف محتو على قصص كثيرة غريبة وحوادث عجيبة وروايات مبهجة وهو منشور بين امم الارض ومشهور عندها شهرة ليست لتأليف آخر من تآليف البشر وكما ان العرب في اسيا وافريقية يسرّون بتلاوته واستماعه في بيوتهم والقهوات كذلك يسر اهل اوربا واميركا في كل الجهات وأهل الهند وغيرها في مطالعة غرائبه والوقوف على اخباره المكتوبة كتابة تلذ للطبع البشري الذي يميل الى الغرام والحب الى مطالعة الصدف والاتفاقات المدهشة والاجراآت الدالة على الشجاعة والبطش واختلاف اوصافه ومع انه محتو على فوائد كثيرة من جهة اوصاف البلدان والافراد فيه من السناعة والفساد ما يجعله كتاباً مضرًّا جدًّا بالفتيان والفتيات بل بجميع البشر ولذلك من الواجب منع ادخاله الى المكاتب ولئن كان فيه من الحكمة والحيل وغير ذلك ما يفيد المطالع ويقوي تصوّراته ويبين له من احوال البشر ما ربما كان لا يقدر ان يقف عليه ولو صرف عشر سنوات في اختباره وما دام في العالم من يحب يكون ذلك الكتاب محبوباً فيه . وقد ترجمه الاوربيون كما ترجمه غيرهم من الامم الشرقية غير انهم تحولوا منه السناعة في بعض الترجمات ومترجمه الى لغة اوربية هو رجل فرنساوي اسمه انطوان كالان ولد في رولد من بيكاردي سنة ١٦٤٦ للميلاد . هذا وان بحثنا عن مؤلف هذا الكتاب او جامعه لا نقدر ان نصل الى حقيقة ظاهرة حتى ان زمان تأليفه ومكانه لا يعرفان الا بالتخمين الناتج عن براهين قابلة الاعتراض . الى ان قال ويظن انه كتب في زمان هارون الرشيد لانه يذكره مكرّرًا وان مؤلفه من المسلمين لانه يلقب المسلمين بالمؤمنين ولا ريب بأنه كتب بعد ظهور الاسلام . وقال العالم دي ساسي ان القهوة لم تكن موجودة في ذلك الزمان مع انها مذكورة فيه وهذا قابل للاعتراض فان القهوة

ربما كانت موجودة حينئذٍ ومما يحمل الانسان على الظن بأن النساخ ادخلوا ذكر القهوة لكونها لم تذكر الا في ثلاثة مواضع مع انهُ من الواجب ان تذكر القهوة في اماكن كثيرة لو كانت جارية في ذلك الزمان لكرامة الضيوف كما تذكر العادات الاخرى والقهوة لم تستعمل في بلاد العرب استعمالاً عمومياً قبل سنة ١٥٠٠ ميلادية فانها ادخلت اليها سنة ١٤٥٤ والتدخين مذكور في الكتاب المذكور مرة واحدة والتبغ لم يدخل انكلترا الا في سنة ١٥٦٥ للميلاد ولا ريب في انهُ لم يدخل الشرق قبل ذلك لانهُ اتي بهِ من اميركا والمظنون ان تأليفهُ كان سنة ١٤٥٤ وقد وقع الخلاف بين علماء الافرنج بخصوص البلاد التي جرى تأليفهُ فيها قال المعلم فون هامر انهُ كتب في بلاد فارس وقال المعلم دي ساسي انهُ كتب في سورية وقال المعلم لان انهُ كتب في مصر هذا ولكل براهين يحاول وتأييد زعمهِ . أما ما قيل عن مادة السناعة الموجودة فيهِ فصحيح الا ان حضرة الفاضل خليل افندي سركيس صاحب المطبعة الادبية في بيروت قد اعتنى بحذف الكلام المخل بالآداب من الكتاب المذكور وطبعهُ في مطبعتهِ العامرة بحيث تقرأهُ العذراء في خدرها

وقد آليت على نفسي ان اواصل البحث عن مؤلف هذا الكتاب وزمن تأليفهِ ومحلهِ وقد فرضت جائزة قدرها ليرتان عثمانيتان لمن يتكرم بالافادة عن مؤلفهِ ووقت كتابتهِ ومحلها بالدلائل الواضحة والحجج الدامغة ويكون لفضلهِ من الشاكرين

فأرجو ادراج هذه الاسطر في مجلتكم المعتبرة ليطلع عليها قراء الهلال وغيرهم لعلنا نحصل على المطلوب والله ولي التوفيق

طرابلس الشام) « حكمت شريف »

قارة الاطلانتيد

حضرة الفاضل منشيء الهلال الاغر

لا يخفى ان اكثر من ثلاثة ارباع الكرة الارضية مغمور بالماء وينقسم هذا الماء في عرف الجغرافيين الى خمسة محيطات اي خمسة بحار كبرى يسمى الواحد منها اوقيانوس وهي الاقيانوس المتجمد الشمالي وهو المحيط بالقطب الشمالي والمتجمد الذي يحيط بالقطب

الجنوبي والاقيانوس الهندي الواقع بين استراليا وافريقيا والاقيانوس الاطلانطيقي وموقعة بين اوروبا واميركا والاقيانوس الخامس هو المحيط الاعظم المعروف بالهادي وهو بالحقيقة اهدأ المحيطات الخمسة واعظمها وموقعة بين افريقيا وآسيا واستراليا والقسم الباقي من سطح الكرة وهو يساوي ربعها تقريباً ينقسم الى خمسة اقسام ايضاً ويقال لها قارات وهي اوروبا اصغر القارات ثم افريقيا فاسيا فاميركا ثم الاقيانوسية وهي عبارة عن جزائر متعددة متقاربة وذلك لا يخفى على من له ادنى المام بالجغرافية ولكن يظهر لي ان قليلين منهم يعلمون بان بعضهم يزعم بوجود قارة سادسة غير الخمس المتقدم ذكرها وهي قارة (الاطلانتيد) كان موقعها في المحيط الاطلانطيقي بين اوروبا وافريقيا من جهة واميركا الشمالية من جهة اخرى وتعرف أيضاً باسم ميروبيد القديمة وكانت أكبر من قارتي افريقيا وآسيا معاً وتمتد من الدرجة الثانية عشرة طولاً شمالياً الى الدرجة الاربعين منه ويزعمون ان جزائر ماديرا واسور والرأس الاخضر التابعة لمملكة البرتغال الآن وجزائر كناريا التابعة للاسبانيول انما هي ارفع قمم جبال تلك القارة الغريقة

والاعجب ان خسوفها كان بغتة بحيث هبطت الى قاع البحر في يوم واحد اي في اربع وعشرين ساعة فقط

وقد اشتهر الاطلانتيديون بالشجاعة والقوة وممارسة الحروب كاغلب اهل القرون الخالية وهم اول شعب وقعت الحروب بينه وبين الرومانيين وقد امتدت فتوحاتهم على كثير من الشعوب الاخرى باسيا واوروبا وافريقيا حتى مصر وبالجملة لم تقوَ امة على مقاومتهم ورد غائلتهم الا دولة الرومان القديمة

واول قائل بوجود الاطلانتيد صولون وافلاطون ثم اتى من بعدهما من عضدهما في هذا الزعم ولكن كثيرين من الجغرافيين يفندون هذا القول وعلى كلتا الحالتين فالمسئلة غريبة في بابها ولا تخلو من فائدة . وهذا ما حملني على مراسلتكم في هذا الموضوع الذي ارجو درجه اذا حسن لديكم في صفحات الهلال الوضاء تقبيداً لتلك الشاردة كما في خطة الهلال واقبلوا فائق احترامي

(الاسكندرية) « عبد القادر سري »

« ناظر مدرسة جمعية الاخلاص »

(الهلال) ان القول بقارة (او جزيرة) الاطلانتيس او الاطالانتس او الاطلانتيد من الاقوال الشبيهة بالخرافات واول من روى حكايتها افلاطون قال ان جده سمع صولون يقول انه من مضي تسعة آلاف سنة قبل عصره تغلب الاثينيون على امة كانت قاطنة هذه الجزيرة وانها كانت امة شديدة البطش والصولة وزعم صولون انه نقل هذه الاحدوثة عن كهنة المصريين . وقد وصف افلاطون تلك الجزيرة كما ذكرتم

أما أن يكون هناك جزيرة وتغور في قاع البحر وتبقى رؤوس جبالها على هيئة جزائر فليس من الامور الغريبة الحدوث بل هو عادي يحصل في كل عصر . اما رواية صولون فلا يمكنا التسليم بها صريحاً ولكننا نجتهد في تعليلها حتى تقرب من احكام العقل

قلنا غير مرة ان الخرافة لا تخلو من الحقيقة ويلوح لنا ان في هذه الخرافة جرثومة من الحقيقة ذلك ان من الروايات القديمة المروية عن الفينيقيين انهم قطعوا البحر الاتلانتيكي بسفنهم حتى وصلوا شاطئ جزيرة كبيرة لعلها اميركا فالظاهر ان خبر هذه الرحلة تنوقل على السنة المصريين وعنهم اخذه صولون وعنه رواه افلاطون كما تقدم ولكنهم لم يعودوا يعبرون الاتلانتيكي الى اميركا فظنوا ان الجزيرة التي بلغها الفينيقيون قد غارت في الاوقيانوس ولم يبق ظاهراً منها الا رؤوس جبالها ثم جعلوا يتناقلون هذه الحكاية ويغيرون بها ويبدلون شأن الناس في رواية الحوادث الغريبة حتى صارت كما حكاها افلاطون والله اعلم

مراسلات الهلال ومراسلوه

لا ريب في ان كثرة الرسائل التي ترد علينا مدبجة باقلام حضرات الادباء دليل على رغبتهم في نشر العلم وتوسيع نطاق الآداب وكان بودنا ان ننشرها كلها لولا ان صفحات الهلال تضيق عن ذلك لا سيما واننا نؤثر ان تكون مندرجات الهلال كلها من قلم منشئه اجابة لاقتراح القسم الاكبر من حضرات القراء فنتقدم الى حضرات المراسلين الكرام ان يعذرونا اذا اغفلنا بعض رسائلهم لطولها او انحصار موضوعها او اذا اختصرناها

اما اصل هذه اللفظة فعبراني وتلفظ الياهو (אליהו) وهي مركبة من لفظين (אל) (إيل) و (יהוה) (يهوى) ومعنى الاوّل إله والثاني اسم الجلالة عند اليهود فيكون معنى الياس (الاله يهوى)

التفاؤل والتشاؤم

(مصر) احمد افندي حسين كاتب اوقاف الجيزة والجزيرة

قد يفتش بعض الناس عن منزل يقيم فيهِ فيقع نظره على بناء حسن بعجبه فيهم بنقل اثاثهِ اليهِ فيلاقيهِ بعض اصدقائهِ او جيرانهِ فيقول له احذر يا هذا ان تنقل الى هذا المنزل فان عتبته (او بابه) شؤم وقد سكن فيهِ قبلك فلان ومات او افتقر فيقع هذا الحديث في ذهن صاحبنا موقع القبول او انهُ على الاقل يرتاب بهِ فيتوقف عن سكناه وقد يكون معجبًا بهِ لحسن موقعهِ وترتيبهِ

وبما ان من موجبات الانسانية ان تكون الطوية خالصة النية خالية الالتباس والميل في قضاء المصالح بعد العزم تمسكًا بآيات الله الشريفة (فاذا عزمت فتوكل على الله . قل كلٌّ من عند الله . قل لن يصيبنا الاَّ ما كتب الله لنا) وهي مستندات كافية ولعلمي بان لكل فضيلة لما انتاس في الخصال فوان كنت ممن لا اكترث بذلك ولا اعترض عليهِ الاَّ انهُ من باب العلم والوقوف على اسبابهِ رفعت هذا الاستفهام لحضرتكم طامعًا بالتكرم بالاجابة كي اكون على علم باسبابهِ وكيفية منشأ ذلك واصوله لا زلتم للقاصدين ملجأ والسلام

(الهلال) من امثال العامة « الدنيا اوجاه واعتاب » يريدون ان الحوادث تتوقف في حسنها وقبحها على أوجه الناس وعتبات المنازل وذلك شائع في العالم الشرقي وفي غيره وهو من قبيل التفاؤل والتشاؤم ولا تكاد توجد امة لا تعتقد بهما وكان العرب في جاهليتهم واسلامهم يعتقدون ذلك فاذا رأى أحدهم غرابًا او بومة تشاءم بهما وهو امر شائع بين عامتنا الآن وقس عليهِ كثيرًا من امثالهِ

ويدل شيوع هذا الاعتقاد في الدنيا على انهُ غريزيٌّ في فطرة الانسان وسببهُ ميل الانسان الى تعليل الحوادث مع غموضها عنهُ فاذا لم يعرف اسبابها الطبيعية اسندها

الى احوال رافقتها والعقل يرتاح الى هذا الاسناد حتى قد نرى كثيرين من العقلاء والمتعلمين اذا مات لهم عزيز في منزل أنتقل السكنى فيهِ تشاؤماً من عتبتهِ او اذا لبس احدهم لباساً واتفق انهُ مرض تشاءم من اللباس واذا التقى ببعض معارفهِ صباحاً ثم أُصيب بمكروه في ذلك اليوم تشاءم برؤْيتهِ و بعكس ذلك التفاؤل وهذا كلهُ من قبيل الخرافات والاوهام اذ لا علاقة بين رؤْية شخص والاصابة بمكروه لان المكروه نازل في حينهِ لا محالة سواء التقى صاحبهُ بذلك الشخص ام لا وهكذا يقال في سائر احوال التشاؤم والتفاؤل

ولكننا نعود فنقول « ان الخرافة لا تخلو من الحقيقة » ولا بد لشيوع هذه الاوهام من اصل حقيقي مبني على سبب طبيعي فمن يتشاءم من منزل فاما ان يقال لهُ ان من يسكنهُ يموت او يمرض او انهُ يفتقر فقد يكون لذلك اسباب طبيعية كأن يكون موقعهُ غير صحي او ان فيهِ جراثيم فاسدة او ميكروب مرض يتصاعد من اماكن غير ظاهرة فيسبب الامراض والحميات والناس لا يعلمون . وهذه الاسباب ايضاً قد يورث الفقر فان المنزل اذا لم يكن نقي الهواء حسن الموقع سبب لساكنيهِ الخمول والضعف وهما كافيان لجر الفقر على الساكنين ولكن الناس قلما يبحثون عن الاسباب الاصلية فينسبون العلة الى المنزل نفسهِ فيتشاءمون منهُ ولو عرفوا الاسباب الطبيعية وتلافوها كأن يطهروا المنزل من اسباب تلك الامراض لبطل التشاؤم بهِ

ومثل ذلك حانوت يتشاءمون بعتبتهِ فيعتقدون ان من تعاطى صناعة او تجارة فيهِ خسر وقد يكون لذلك سبب طبيعي يوجب الخسارة كان يكون موقعهُ بعيد عن ازدحام الناس او ان يكون معرضاً للشمس مثلا فلا يمر الناس الاَّ على الجانب الآخر من الشارع تجنباً لحرارة الشمس فيقل المارة و يقلُّ الطلاَّب او ان يكون لهُ علة اخرى غير ظاهرة

ومثل ذلك ايضا تشاؤم الناس من بعض الاطباء لاعتقادهم انهُ لا يداوي مريضاً الاَّ مات او اشتد مرضهُ ولا بد لشيوع هذا الامر من علة في الطبيب كان يكون غير بارع في مهنتهِ او انهُ متسارع في التشخيص او ما شاكل . ومن هذا القبيل قولهم قد حل النحس في فلان فلا يتعاطى عملاً الاَّ عاد بصفقة المغبون ولو بحثت عن الحقيقة لرأيت العلة في الشخص مثل ان يكون خاملاً او قليل الدراية او قليل الاختبار في

الاعمال التي يتعاطاها او ما شاكل ذلك على اننا لا نقول ان كل من عسرت حالة كانت العلة منهُ فقد يتفق لبعضهم احوال غير منتظرة تعرقل مساعيهم وتقعدهم عن العمل لا عن خمول او جهل او ضعف لكن الحوادث تقعدهم رغماً عنهم

وما تقدم عن التشاؤم يصح في التفاؤُل ايضاً فقد يشيع ان المنزل الفلاني عتبتهُ مسعدة لا يسكنهُ ساكن الاَّ بعُد عنهُ المرض وانهالت عليهِ الخيرات ولو استطعنا معرفة كل الاسباب لرأيناها في صحة هواء المكان او مطابقة موقعهِ لمصادر رزقهِ او ما شاكل ذلك مما لا يمكن البحث في جزئياتهِ وانما يقال بالاجمال ان التشاؤُم والتفاؤُل من الاقوال التي لا دليل علمي على صحتها ولا يصح الاركان اليها واذا صحت في مكان كان السبب المساعد طبيعياً ولو لم نعرفهُ فان الانسان لا يستطيع كشف كل الاسباب ولكنهُ يقيس مجهولها على معلومها



باب الاخبار العلمية

﴿ النظافة التامة تمنع المرض ﴾ قال بعض الاطباء « النظافة اذا تمت منعت كل الامراض » ويراد بالنظافة نظافة كل شيء فيدخل في ذلك نقاوة الهواء والماء وتنظيف المنازل والملابس والطعام والشراب والنظافة في العمل والعوائد والمخالطات وتطهير النفس والضمير والقلب وتطهير كل شيء مادياً وادبياً وكل ذلك مستطاع لدى الانسان فاذا جرى عليهِ أمن غوائل الامراض في الدنيا والآخرة

﴿ سبب الكوليرا ﴾ من المعلوم ان للكوليرا مكروباً خاصاً مسبباً لها وبهِ تنتشر عدواها ولكنهم لم يعرفوا كيفية احداثهِ ذلك المرض فارتأى بعض الاطباء الآن ان سبب الاصابة بالكوليرا غاز الحامض النتروس الذي يفرزه مكروب الكوليرا ويؤيد ذلك ان المسمومين بهذا الغاز تصيبهم اعراض مثل اعراض الكوليرا تماماً

﴿ الدفثيريا ﴾ وجد الاطباء بالبحث والمقابلة ان مدة الحضانة في الدفثيريا لا تجاوز اربعة ايام ومدة الحضانة عبارة عن المدة الواقعة بين حصول العدوى وظهور

الهلال

الجزء الثالث والعشرون من السنة الثالثة

(١ اغسطس (تموز) سنة ١٨٩٥) (١٠ صفر سنة ١٣١٣) (٢٤ أبيب سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



البطريرك مكسيموس المظلوم

وُلد سنة ١٧٧٩ م وتوفي سنة ١٨٥٥

هو الطيب الذكر السيد مكسيموس المظلوم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الذي انهضها وأحياها ووطّد دعائمها بما خصهُ الله بهِ من العلم والفضل وعلوّ الهمة وحسن السياسة فضلاً عن حسن العقيدة

ولد في حلب الشهباء في نوفمبر (ت٢) سنة ١٧٧٩ م ودعي عند ولادتهِ ميخائيل واسم والدهِ جرجس المظلوم ووالدتهِ مريم البنا فربي في حجريهما تربية دينية وتعلم القراءة البسيطة ثم تلقى العلوم اللغوية والمنطق واللاهوت النظري عن أشهر علماء حلب وفاق اقرانهُ ذكاء وحدة

وفي سنة ١٨٠٢ انتخبهُ الاكليروس العلماني في حلب للدرجات الكهنوت ورسمهُ مطرانهم السيد جرمانوس آدم واستدعاهُ اليهِ في زوق مكائيل وعلّمهُ اللاهوت الادبي والنظري فتمكن منها بمدة قصيرة فاعجب المطران بذكائهِ وفطنتهِ فسامهُ كاهناً على كنيسة حلب سنة ١٨٠٦ فسار اليها وخدمها وعلم ابناءها فسارت بذكرهِ الركبان وذاع صيتهُ في الآفاق وتوسم الناس فيهِ مستقبلاً عظيماً

ففي سنة ١٨٠٩ توفي المطران جرمانوس آدم فأمر البطريرك اغابيوس مطر اذ ذاك بانتخاب مطران بدلهُ فوقع الانتخاب على صاحب الترجمة فثبتهُ البطريرك في ٦ اغسطس (آب) سنة ١٨١٠ وسماهُ مكسيموس وفي السنة التالية انشأ البطريرك مدرسة عين تراز بلبنان فاقام السيد مكسيموس رئيساً عليها فقام بمهامها حق القيام وعهد اليهِ الوكالة على وصيتهِ . ولكن البطريرك توفي في السنة التالية (١٨١٢) فأبّنهُ المطران مكسيموس تأبيناً ابكى الحجارة الصماء وذاع أمرهُ بين الناس وتحدث بهِ الخاص والعام

وانتخبوا السيد اغناطيوس صروف مطران بيروت بطريركاً فلم يتول البطريركية الا تسعة اشهر فانتخب بدلهُ السيد اثناسيوس مطر . وكانت الطائفة مرتبكة اذ ذاك بمشاكل مختلفة تتعلق بالكرسي البطريركي وبتركة البطريرك اغابيوس الموكل هو عليها وبالمجمع المقدس برومية فالتأم مجمع الاساقفة وغبطة البطريرك للنظر في وسيلة لحل هذه المشاكل فلم يروا من يصلح لتولي حلها غير المطران مكسيموس فعهدوا اليهِ المسير الى تريستهِ وليكورنا ورومية للقيام بهذه المهمة فسار سنة ١٨١٣ وقام بما عهد اليهِ بكل نشاط ولما قدم رومية لاقى فيها ترحاباً عظيماً وانزلوهُ في منزل خصوصي واكرموا وفادتهُ

فتنازل عن ابرشية حلب فجعلهُ البابا بيوس السابع رئيساً لأساقفة ميراليكيا بمقتضى براءة رسولية فاقام في رومية يطالع اللغات اليونانية واللاتينية والايطالية والعلوم العالية فاتقنها وبرع فيها وفي سنة ١٨١٨ سار الى فيانا واجتمع فيها بامبراطور النمسا لامور ذات شأن تتعلق به فاكرم وفادتهُ وقضى لبانتهُ فعاد الى رومية وفي سنة ١٨٢٠ سار الى مرسيليا فرحب بهِ اسقفها واكرمهُ وتقدم اليهِ ان يبث تعاليمهُ وعظاتهِ بين اهلها فجعل يعظ ويعلم واغتنم تلك الفرصة فاتقن بها اللغة الفرنساوية ثم سار الى باريس يلتمس رخصة في بناء كنيسة بمرسليا لابناء طائفتهِ فاذن له فبناها وكرسها على اسم القديس نيقولاوس وبنى بجانبها دارًا لسكنى الكهنة

وفي سنة ١٨٢٢ عاد الى رومية واقام فيها ثماني سنين قضاها في الدرس والتبحر والتاليف والاختبار وفي رومية من وسائل التعليم ما لا يتأتى في غيرها وخصوصاً الدين والتاريخ ونظرًا لحدة ذهن صاحب الترجمة ورغبتهِ في العلم لم يترك شاردة ولا واردة في سائر العلوم الدينية والتاريخ والفلسفة والمنطق وغيرها الا التقطها فالف قبل سفره من رومية كتاب «كنز العباد الثمين في اخبار القديسين» في خمسة مجلدات طبع بعد وفاتهِ

وقد نال اثناء اقامتهِ في رومية اكرامًا جزيلاً من جانب الباباوات والكرادلة وسائر اهل الفاتيكان وامروا له بركبة خصوصية لركوبهِ

وفي سنة ١٨٣١ اذن له البابا غريغوريوس السادس عشر في الرجوع الى الشرق لتدبير شؤون الطائفة وكانت قد تضعضعت اثناء غيبتهِ فعاد ومعهُ ثلاثة من الرهبان اليسوعيين وهم القس بولس ريكادونا والقس بناديكتوس بلانشا والراهب منصور وكان قد علمهم اللغة العربية في رومية وهم اول وفد يسوعي قدم بلاد الشام نوطئوا بيروت في نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٣١

فذهب السيد مكسيموس توًا لزيارة البطريرك اغناطيوس في دير الشرفة وكان مقعدًا كفيفًا فسرَّ بهِ كثيرًا وأمر بادخالهِ الكنيسة باحتفال فمنع السيد مكسيموس بدعوى ان الاحتفال باسقف على هذه الصورة مع وجود البطريرك غير لائق فلم يفد منعهُ فادخلوه الكنيسة باحتفال شائق ثم سار الى زيارة الامير بشير الشهابي الكبير في بيت الدين وكان يلاقي الاحتفاء والاحتفال حيثما حل لان شهرتهُ كانت قد سبقتهُ الى

بلاد الشام وكان الناس وخصوصاً ابناء طائفتو لا حديث عندهم الاّ التحدث بعلومو وهمتو وتقواه

وبعد الزيارات الضرورية سار الى عين تراز واخذ في ترميمها وتوسيع نطاق بنائها وجمع اليها مكتبة جامعة

وفي سنة ١٨٣٣ توفي البطريرك اغناطيوس فاجتمع الاساقفة لانتخاب خلف له فوقع الانتخاب على السيد مكسيموس فتمنع اولاً عن قبول هذا المنصب لما يحف بو من الاخطار وما يترتب عليو من التبعة دينياً وادارياً والتمس اعفاءه وانتخاب سواه فلم يعفوه فقبل المنصب رغماً عنه فصار من ذلك الحين بطريركاً وكان يوقع في المكاتبات « البطريرك الانطاكي وسائر المشرق » وقد تم انتخابه في ٢٤ مارس (اذار) سنة ١٨٣٣ وفي سنة ١٨٣٥ جاءه التثبيت والباليوم من بابا رومية غريغوريوس السادس عشر

وكان المغفور له السلطان محمود الثاني قد اقام سنة ١٨٣٠ رئيساً على الطوائف الكاثوليكية بصفة ابيكولوس ورفع تسلط غير الكاثوليك عنهم فاحب البطريرك مكسيموس ان يسير الى دمشق يتعهد احوال رعيتو فيها فاستاذن محمد علي باشا والي مصر لان الشام كانت اذ ذاك في عهدة ابنو ابراهيم باشا فاذن له واوصى ابنه بو فدخل دمشق فاستقبلة ابناء الطائفة فيها استقبال الظمآن للماء واحتفلوا بقدومو احتفالاً عظيماً فرتب امورها ونظم كنيستها وجعل يلقي المواعظ والخطب بمواضيع مختلفة فبث في الدمشقيين روحاً جديدة والف في اثناء ذلك كتباً ورسائل سيأتي ذكرها

وما زال ينتقل من مدينة الى اخرى يتعهد احوال رعيتو ويجدد فيهم روح التقوى والمحبة تارة في حوران وطوراً في زحلة او بعلبك او صيدا او صور او يافا او بيروت او دمشق اما اقامتة في الغالب فكانت في مدرسة عين تراز

وقدم سنة ١٨٣٦ الى الاسكندرية واقام في القطر المصري اربع سنوات بين الاسكندرية ودمياط ورشيد يواصل المواعظ والخطب ولم يكن تعلق ابناء طائفتو المصريين بو اقل من تعلق ابنائها الشاميين لانة بنى لهم ثلاث كنائس احداها في درب الجنينة وهي دار البطريركية الكاثوليكية الى اليوم والثانية في الازبكية والثالثة في بولاق واقام في كل منها صندوقاً للفقراء . وفي سنة ١٨٣٨ نال براءة شاهانية من المغفور له

السلطان محمود بتسميتهِ رئيساً على كراسي انطاكية واسكندرية واورشليم فلما علم حضرة البابا بذلك خوّلهُ الحق بان يوقع في كتاباتهِ ومنشوراتهِ « بطريرك انطاكية واسكندرية واورشليم »

وكان في عزمهِ السفر الى الشام سنة ١٨٤٠ فلم يستطع لنشوب الحرب اذ ذاك في سوريا لاخراج ابراهيم باشا منها فسار الى مالطا ومنها الى نابولي فرومية ثم الى مرسيليا فباريس وكان حيثما حل ينزل على الرحب والسعة في دور الملوك والامبراطرة وكبار رجال الدولة وفي اثناء اقامتهِ في باريس هذه المرة ترجم كتاب تاريخ الحرب الصليبية الى العربية في مجلدين ويظهر انهُ حافظ في الترجمة على التعبير الفرنساوي حتى اخل بالتعبير العربي وربما كان ذلك شأنهُ في اكثر ترجماتهِ ولعلَّ السبب انهُ كان يترجم على عجل وقد تغلبت اللهجة الافرنجية على لسانهِ وقلمهِ لكثرة اشتغالهِ باللغات الافرنجية

ثم اقتضت الاحوال سفر البطريرك مكسيموس الى الاستانة العلية لمخابرة الباب العالي بشأن لبس القلنسوة المربعة او غيرها . ذلك انهُ كانت قد صدرت عدة براآت في ان يلبس كهنة الروم الكاثوليك القلنسوة المربعة ككهنة الارمن فلم يقبلوا فاحتجبوا في دار البطركخانة مدة وبعثوا الى البطريرك بذلك فسار الى الاستانة واقام فيها ست سنوات فنال بغيتهُ كما شاءت الطائفة . وخدم الطائفة خدمات اخرى عديدة وهناك الف كتابهُ في حقيقة الاتفاق اجابة لطلب مجمع انتشار الايمان . ومما خدم بهِ طائفتهُ انهُ حررها تحريراً مطلقاً فصارت قائمة بنفسها لا علاقة لها بغيرها . ونال اثناء اقامتهِ بالاستانة براءة بكونهِ بطريركاً قديماً على انطاكية واسكندرية واورشليم وسائر الممالك المحروسة للروم الكاثوليكيين الملكيين . وكانت هذه الطائفة قبلاً داخلة باحكامها تحت طائفة الارمن الكاثوليك وكانت مذكورة بين الطوائف الكاثوليكية الاخرى في براءة بطريرك الارمن الكاثوليك لان الباب العالي كان يعتبرهُ رأساً لسائر الطوائف الكاثوليكية فما زال البطريرك مكسيموس يسعى لدى الباب العالي حتى احضر البراءة المشار اليها ورفع اسم طائفة الروم الكاثوليكيين منها فصارت طائفة مستقلة هو رئيسها وتأييداً لذلك أنعم عليهِ بالنيشان المرصع الذي يهدى عادة الى بطاركة القسطنطينية ونال فوق كل ذلك التفاتاً واكراماً من رجال الدولة وخصوصاً مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم الشهير الذي تقدمت ترجمة حالهِ في السنة الثانية من الهلال

وفي سنة ١٨٤٨ عاد الى بيروت فقوبل باحتفال وهمة لا مثيل لها فتلا يوم وصوله خطبة حث فيها ابناء طائفته على الاخلاص للدولة العلية · ثم سار لزيارة بيت المقدس فقضى فيها مدة الفصح وسار منها بطريق نابلس وبلاد بشاره وراشيا وحاصبيا الى دمشق فلاقاه اهلها باحتفال جدير به فاقام فيها مدة ثم عاد الى القدس لعقد المجمع البطريركي الحادي عشر سنة ١٨٤٩ فالتأم وسن عدة قوانين وسار من القدس الى يافا فبيروت فاسكندرونة فحلب فاقام هناك الى سنة ١٨٥٠ وفيما هو يهم بالسفر منها نزلت بالمسيحيين نازلة قتل فيها اثنان من كبار هذه الطائفة فسار متنكرًا الى بيروت بمساعدة قنصل فرنسا ووالي حلب وحال وصوله بيروت عرض على الاعتاب الشاهانية خبر تلك الحادثة

وفي سنة ١٨٥٢ سار الى الاسكندرية لبناء الكنيسة ودار البطريركية وكانت هذه الرحلة خاتمة اسفاره فما زال في الاسكندرية حتى توفاه الله في ١٠ اوغسطس (آب) سنة ١٨٥٥ وله من العمر ٧٧ سنة قضاها في العمل والجد وخدمة طائفته خدمة لا مثيل لها فقد قوّى ضعفها ولم شعثها ووطد دعائمها · وبقيت جثته يومين معروضة في الكنيسة تتوارد الناس افواجًا لوداعه والتيمن بتقبيل يده ثم نقلت في صندوق الى القاهرة يخفرها الجند ويصحبها الاكليروس والاعيان بكل تجلة واكرام ودفنوها تحت المائدة الكبيرة في كنيسة القاهرة الكبرى

وكان نزيه النفس كريم الاخلاق واسع الصدر نقيًا ورعًا حازمًا مقدامًا مهيبًا كريمًا حليمًا محبًا للعدل واهله وكان عاملاً في خدمة طائفته بكل قواه عقلاً وجسدًا بين مواعظ وخطب وتعليم وتدريس وارشاد مما لا يستطيعه الاّ افراد قليلون من الناس وكان وديعًا متواضعًا غيورًا على مصلحة طائفته غيرة لا تحتاج في اظهارها الى دليل وقد ظهرت من اعماله في مصلحتها كما رايت وكان محبًا للفقراء محسنًا اليهم فلو سأله سائل حسنة ولم يكن لديه ما يعطيه خلع رداءه ودفعه اليه يروى عنه اقاصيص كثيرة من هذا القبيل منها ان سائلاً في القاهرة سأله حسنة فلم يجد معه ما يعطيه فدفع اليه خاتمه فاخذه الى الجوهري فعرف الجوهري انه خاتم البطريرك فارضى السائل وارجع الخاتم الى صاحبه

ومجمل ما قام به من الخدمات على اختلاف اوجهها انه رسم اثني عشر اسقفًا في

الطائفة وبنى ٣٢ كنيسة بعضها بنيت بمساعيه وبعضها بماله الخاص وكان يغتنم ساعات وجوده في مدرسة عين تراز او غيرها ويلقي دروساً على التلامذة بنفسه او يمتحنهم وينشطهم . والغى اخوية البنات العابدات في حلب واصدر منشورا بمنع دفن الميت قبل ان يمرّ عليه ٢٤ ساعة بعد وفاته

وقد بلغ ما انفقهُ على مشروعاته واعماله المتقدم ذكرها وما وزعه على الفقراء ٨٥٠٠ كيس (٤٢٠٠٠ جنيه) وكان نافذ الكلمة لدى الاعيان ورجال الحكومة

(مؤلفاته)

وبلغ عدد مؤلفاته ٢٧ مؤلفاً وترجم ١٩ كتاباً تقدم ذكر بعضها وهاك قائمة باسماء مؤلفاته وترجماته

(بيان الكتب التي ألفها)

(١) كتاب كنز العبادة الثمين في أخبار القديسين طبع في بيروت
(٢) كتاب أخبار اربعين قديساً من الشرقيين
(٣) كتاب يشتمل على أخبار اربعين قديساً من جهابذة الكنيسة الغربية
(٤) كتاب الأصول الصرفية في القواعد العربية (طبع في بيروت)
(٥) رسالة تشتمل على تاريخ الاضطهادات العشرة الاولى واضطهاد بولياوس واضطهاد الفرس
(٦) رسالة في انتخاب البابا وتتويجهِ ووفاتهِ
(٧) رسالة تشتمل على براهين في علم الجغرافية
(٨) رسالة في عدم انحلال الزواج
(٩) كتاب دحض المضل وارشاد الضال
(١٠) مجمع مدرسة عين تراز . وهو يشتمل على ٢٤ قانونا (طبع في رومية)
(١١) كتاب الحقيقة البرهانية في دوام كنيسة الروم الكاثوليكية (طبع في بيروت)
(١٢) كتاب الرسالة البرهانية في تدبير الديانة النصرانية (طبع في مصر)
(١٣) كتاب حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق (طبع في اورشليم)
(١٤) رسالة الأعداد الرضية في المسائل الفرضية (في الميراث) طبعت في القسطنطينية

(١٥) رسالة في دحض معتقد البروتستانت بخصوص الوصية الاولى والثانية والتاسعة والعاشرة

(١٦) رسالة في دحض الاعتقادات الباطلة (طبعت في القسطنطينية)

(١٧) مؤلف تاريخي في سر المعمودية

(١٨) كتاب القائد الامين في اثبات القضايا الخمس المنكرة عند غير الكاثوليكيين (طبع في بيروت)

(١٩) رسالة تشتمل على ثلاثة سؤالات واجوبة عن الكنيسة اليونانية وخروج الطوائف منها

(٢٠) كتاب مجموع أسئلة واجوبة عن قدم اللغة اليونانية وان الكنيسة اليونانية هي الكنيسة الشرقية وعن المجامع اليونانية وتسمية ملكيين

(٢١) كتاب اجوبة سديدة البراهين ضد البروتستانتيين (طبعت في مصر)

(٢٢) كتاب المجمع الاورشليمي

(٢٣) كتاب خدمة الذخائر المقدسة للاحد الثاني من الصوم

(٢٤) كتاب ايضاح تاريخي عن الاجوبة من جهة في فضيلة وسر

(٢٥) كتاب خدمة زيارة العذراء في جمعة النصح

(٢٦) كتاب خلاصة الحقائق

(٢٧) كتيب عن الاضرار الواقعة من اسقفية البروتستانت في اورشليم

(اما الكتب التي ترجمها فهي

(١) كتاب امجاد العذراء تأليف القديس ليكوري طبعة بنفقته وتوزع مجاناً

(٢) كتاب استعداد الموت « « « «

(٣) كتاب الواسطة العظيمة « « « «

(٤) كتاب الرياضة اليومية « « « «

(٥) كتاب زيارة القربان المقدس « « «

(٦) كتاب الرياضة السنوية

(٧) كتاب ذمة في الوصايا العشر (تأليف القديس المذكور)

(٨) كتاب انتصار الكنيسة . وهو تاريخ الارتقات ودحضها

(٩) كتاب السنكسار الروماني

(١٠) رسالة تشتمل على سلسلة الاحبار الرومانيين من القديس بطرس الى البابايوس التاسع

(١١) نبذة تشتمل على اسماء الملوك القياصرة وملوك المسيحيين

(١٢) كتاب لمقالة الوحية في سرّ التوبة الفريدة (تأليف القديس ليكوري)

(١٣) كتاب تأملات مختصرة في عواقب الانسان على عدد ايام الشهر (طبع في بيروت)

(١٤) نبذة تشتمل على سبع رسائل (للقديس اغناطيوس البطريرك الانطاكي)

(١٥) كتاب في الطبيعة والفلك

(١٦) كتاب مختصر تاريخ العهد القديم

(١٧) كتاب حرب الصليبيين (طبع بمطبعة الآباء الفرنسيسكانيين في اورشليم)

(١٨) البراءة الصادرة من البابايوس التاسع باستدعاء الطوائف غير الكاثوليكيين للايمان الكاثوليكي

(١٩) كتاب امثلة عن الحيوانات وشروحات عن النباتات

التماس من حضرات القرّاء

نرجو ممن يعثر على رسم فوتوغرافي أو غير فوتوغرافي لأحد الأشخاص الآتي ذكرهم أن يتكرّم بارساله الينا أو يفيدنا عن محل وجوده لنستحضره ويكون له الفضل وهذه هي أسماء الأشخاص المطلوبة صورهم

المعلم غالي	سليمان باشا الفرنساوي
المعلم بطرس كرامه	صالح بك مجدي
الشيخ عبد الغني النابلسي	ماريت باشا
فرنسيس المراش الحلبي	مارون نقاش
حنا بحري بك	الشيخ ابراهيم الاحدب
محمود باشا الفلكي	نوفل نوفل الطرابلسي

باب المقالات

مذهب الماديين

كما يرويه الماديون أنفسهم

ورد ذكر الماديين ومذهبهم مرارًا في كلامنا على اركان العلوم الطبيعية فاوعز الينا بعض القراء ان نبين حقيقة هذا المذهب ونوضحه اتمامًا للفائدة فنقول

الماديون فرقة من العلماء ينسبون كل اعمال هذا الكون العاقلة وغير العاقلة الى المادة والقوة فعندهم ان اعمال الحياة وظواهر العقل والنفس كلها اعمال مادية ناتجة عن تفاعل المادة والقوة كسائر الاعمال الجاذبية فعمل العقل في حل مسألة رياضية مثلاً يشبه الحرارة او الكهربائية الناتجة عن عمل كياوي ولا فرق عندهم بين الحياة التي تتوقف عليها كل ظواهر الحياة واعمالها وبين سائر القوى الظاهرة في الطبيعة . فنمو الحيوان والنبات عندهم كنمو بلورات الملح في تبلورها اذا جف الماء عن مذوبها واعمال الذاكرة والادراك وسائر القوى العاقلة انما هي في اعتبارهم من جملة ظواهر القوى الطبيعية التي تنتج عن تفاعل المادة والقوة ولا يسلّمون بشيء لا يقع تحت حواسهم رأسًا او استنتاجًا

ولا يخفى ان كل مذهب او رأي لا يخلو من اساس يقوم عليهِ وحقيقة يرجع اليها والماديون يرجعون في ادلتهم وبراهينهم الى اعمال الطبيعة الظاهرة للعيان ولكي لا نبخس الناس اشياءهم نبسط مذهب الماديين بسطًا شافيًا كما يريدونهُ مع بيان ما يعنُّ لنا من الملاحظات عليهِ وهاك مذهبهم

كان القدماء يحسبون اهرام الجيزة وغيرها من اهرام مصر من مولدات الطبيعة كالجبال والسهول وسبب هذا الاعتقاد ان الناس اعظموا امر هذه الابنية ونظروا اليها بالنسبة الى ما بين ايديهم من الوسائل الميكانيكية فاستنتجوا ان الانسان لا يستطيع اقامة مثل هذه الابنية فنسبوا بناءها الى الطبيعة وما زال بعضهم يعتقد ذلك حتى كتب

هومبولت الفيلسوف الالماني في حداثتهِ رسالة بين فيها خطأ هذا الزعم فالناس الآن لا يرتابون مطلقاً بان الاهرام من صنع الانسان وان الانسان نحت حجارتها على قواعد هندسية وحملها اليها بوسائل ميكانيكية لا يزال اكثرها مجهولاً لدينا وان الفراعنة انما تمكنوا من هذا العمل العظيم بكثرة العملة يوم كان الشعب المصري مستعبداً لحكامهِ يعمل بلا ثمن ولا اجرة وقد يتمثل للقارئ لغط الفعلة وقرقعة المطارق واصوات المهندسين والبنائين يستحثون الفعلة في حمل تلك الاحجار ووضعها في اماكنها طبقة فوق طبقة حتى يتم البناء . وهكذا شان الانسان في كل عمل لم يكتشف حقيقتهُ فانهُ مطبوع على تعليل الحوادث تعليلاً يرتاح اليهِ عقلهُ . واذا اذبت ملحاً في الماء ثم بخرت الماء تبخيراً بطيئاً لا تلبث ان ترى دقائق الملح ترسب وتترتب على اشكال هندسية جميلة الدقيقة بجانب الدقيقة والطبقة فوق الطبقة وقد لا يظهر لك ذلك الاّ بالميكروسكوب فاذا جف الماء كلهُ ظهر الملح جامداً على هيئة بلورات هرمية الشكل بغاية الدقة تستوقف النظر وتعجز امهر المهندسين عن الاتيان بمثلها فهي تمثل اهرام الجيزة بطبقاتها وشكل بنائها . فكيف تكونت هذه البلورات ? فبالقياس على ما علمناهُ من بناء اهرام الجيزة يصوّر لنا الوهم ان عالماً لا تراه العين لصغرهِ وفيهِ الفعلة والمهندسون قد اشتغلوا في حمل دقائق الملح وترتيبها على تلك الاشكال الهندسية الجميلة ولكن العلم يعلل لنا ذلك تعليلاً يقبلهُ العقل فقد علمت من مقالة « القوة » في الهلال ان بين دقائق الاجسام قوتين متضادتين هما قوتا الجذب والدفع فتاثير هاتين القوتين على دقائق الملح على طرق مخصوصة يرتب الدقائق على هذا الشكل . فالفرق بين بناء اهرام الجيزة واهرام الملح بالكيفية فقط فان الاولى بنيت بقوة ظاهرة لنا ولكنها بالاصل مكتسبة من القوة الكامنة في دقائق الاجسام والثانية ترتبت بالقوة الكامنة رأساً

وما قلناهُ عن بلورات الملح يصدق على كل المواد المتبلورة كسائر الاملاح وكثير من الجبال الطباشيرية وبعض انواع الصوان ومن اجمل الاجسام المتبلورة الجليد او الثلج فان بلوراتهِ في غاية الجمال والدقة على ان النظام الذي هو من قبيل التبلور ونريد بهِ ما كان متوقفاً على خصائص الدقائق شامل سائر انواع الجماد فحيثما تطلعت وكيفما بحثت في التراب او في الماء او الجبال او الافلاك فانك ترى فيها هذا النظام ظاهراً وقد نحتاج لتحقق ذلك الى استخدام الميكروسكوب او التلسكوب . ثم ان لكل

مادة شكلاً خاصاً تتبلور عليهِ فبعضها هرمي وبعضها مخروطي او مربع او مسدس اي ذو زوايا عديدة واشكال اخرى مما لا يقع تحت الحصر ولكنها كلها بغاية الضبط والدقة وتميز اشكال البلورات بواسطة استقطاب النور فيها

واذ قد اتضح هذا النظام في الجماد فلنتنقل الى عالم النبات . خذ حبة من الحنطة وانظر اليها بالنور المستقطب فترى بناءها شبيهاً بالبلوري فتعلم ان دقائق تلك الحبة مرتبة ترتيباً بلورياً كالاجسام البلورية الجامدة واذا سأل سائل ما الذي رتب دقائق حبة الحنطة على هذه الصورة فالجواب بقياس التمثيل ان قوتي الجذب والدفع بين دقائقها هما اللتان رتبتاها كما رتبتا دقائق بلورات الملح فاذا غرسنا هذه الحبة في التراب ودفأناها بشيء من الحرارة والحرارة حركة فيحصل بين حركة دقائق الحبة والتراب المحيط بها تفاعل شبيه بالتفاعل الذي فرضناه بين دقائق الملح فيتولد بناء جديد هو البرعم وهذا البرعم يتعرض للحرارة فيتم بتفاعل دقائقهِ ودقائق التراب كما تم للحبة اولاً وهكذا حتى تنمو السنبلة وقس عليهِ نمو سائر انواع النبات

وهكذا ايضاً الحال في الحيوان فان نموَّهُ يتم بواسطة الحرارة الحيوانية وهي ناتجة عن الاعمال الكيماوية الجارية في الجسد فالحرارة التي ساعدت النبات على النمو في التراب كالحرارة التي تتولد في جسم الانسان بالاعمال الكيماوية وهي التي تسبب النمو بالهضم والتمثيل واما حركة الحيوان فحاصلة من الحرارة ايضاً فالانسان عندهم كالآلة البخارية ووقوده الطعام والشراب وحكمهُ فيما خلا ذلك حكم الجماد والنبات فالقوة الحيوية لا يمكنها ملاشاة شيء ولا ايجاد شيء من العدم واعمالها جارية بالتفاعل بين الدقائق فليست الحياة الا ظاهرة من ظواهر القوة وبعبارة اخرى ان القوة العامة تظهر لنا بمظاهر مختلفة كالحرارة والنور والكهربائية فالحياة ايضاً ظاهرة من هذه الظواهر ولا فرق بينها كلها الا بالكيفية وليس بالنوع فكما ان تجمع دقائق الملح على شكل هرمي يتم بقوة الجذب او الدفع فتمثيل المواد الغذائية في جسم الحيوان او النبات يتم بنفس هذه القوة ولكن على كيفية ارقى واكثر تركيباً

ثم اذا جعلنا قطعة من زنك واخرى من نحاس في سائل حامض وعلقنا بكل منها سلكاً طويلاً وادنينا طرفي السلكين السائبين احدهما من الآخر انبعثت منها شرارة كهربائية بسبب التفاعل الكيماوي الذي جرى بين المعدنين والحامض واذا قوينا هذا

العمل تزايد النور وصار قوياً وعلى هذا المبدأ يتولد النور الكهربائي . فالاعمال الكيماوية الجارية في جسم الانسان هي التي تسبب الاعمال العقلية وما الاعمال العقلية الاّ من بعض اعمال القوى وكلها راجعة الى حركة الدقائق

وخلاصة القول ان الكون في عرف الماديين مؤلف من المادة والقوة فقط وان من تفاعلهما تتولد سائر مظاهر الجمادية والنباتية والحيوانية العاقلة وغير العاقلة فلا فرق عندهم بين تكوّن البلورات الجامدة والنبات والحيوان الاّ بالكيفية او الكمية وليس بالماهية . وما الاعمال العقلية عندهم الاّ نتيجة لازمة لتفاعل القوى الطبيعية في الجسم الحي وهم لا يفرقون بين الاعمال الجسدية والعقلية لان كليهما يتم بالتحليل والتركيب فالعمل العضلي يسبب دثور العضل والعمل العقلي يسبب دثور الدماغ ونتيجتاهما متشابهتان فحركة العضل تنتج قوة تحمل الاثقال وعمل العقل ينتج قوة تخفف عن الانسان الاعمال وتسهل عليه الصعاب فيترتب على كل ذلك ان الاعمال الجارية في الطبيعة على اختلاف انواعها واشكالها ترجع الى المادة والقوة او الى حركة الدقائق

والماديون فئات فئة تقول ان المادة والقوة شيئان مستقلان يؤثر احدهما على الآخر . وفئة تقول ان المادة هي الاصل والقوة تابعة لها بمعنى ان القوة خاصة من خصائص المادة فيقولون مثلاً ان من خصائص المادة البقاء والجذب والحركة والحركة هي القوة فالقوة في عرفهم خاصة من خصائص المادة . وفئة يزعمون ان القوة هي الموجودة حقيقة واما المادة فظاهرة من ظواهرها ويبنون قولهم على اننا لا نعرف وجود المادة الاّ بواسطة القوة وهي الحركة التي تنقل التأثير الى دماغنا فنشعر بوجودها فربما لم يكن للمادة وجود . وفئة تزعم ان المادة والقوة شيء واحد واغرب من ذلك قول بعضهم انهما لا شيء . أي ان الوجود برمته وهمٌ لا حقيقة له في الخارج وانما هو صورة في ذهن الانسان لان الانسان لا يشعر بوجود شيء الاّ بواسطة حواسه فلا يدرك الموجودات الاّ بعقله وكثيرًا ما يشعر او يتصوَّر اشياء لا وجود لها في الخارج كالاحلام وغيرها فلا يبعد ان يكون كل ما نسميه مادة صورًا وهمية . ولهم على كل من آرائهم المتقدم ذكرها ادلة وتفاصيل لا محل لها هنا . ومرجع ذلك كله يقضي بعدم وجود شيء غير المادة والقوة وليس العقل والروح والنفس عندهم الاّ اسماء لا مسمى لها

هذه حقيقة مذهب الماديين وخلاصة ادلتهم بسطناها كما يرويها الماديون انفسهم

مع مراعاة الاجمال لضيق المقام

وقد يخال للقارئ ان مذهبهم هذا يؤيد بالادلة الطبيعية التي لا سبيل الى نقضها ولكن مها قيل في صحة مقدماتهم ونتائجهم فهم عاجزون عن تعليل اعمال العقل واحساس النفس . نعم ان اعمال التغذية والنمو والدثور والحركات العضلية وبعض الاعمال العقلية يمكن تعليلها بنواميس المادة وحركة الدقائق والجواهر ولكن هناك اعمالاً تقصر مداركهم ومدارك البشر كافة عن تعليلها فالعلم قاصر حتى الآن عن تعليل الشعور بالحب والبغض والانتقام والانتصار ناهيك عن الوجدان الذي لا ينطبق مطلقاً على نواميس المادة والقوة . فان كلاً منا يشعر بأنه ذاتٌ مستقلة يشعر ويفتكر ويعلم انه يفعل ذلك فاذا سلمنا بان الفكر نتيجة تفاعل القوة والمادة فما قولك بالوجدان وهو شعور الانسان بوجوده وبانه يفتكر فاننا نفتكر . ونعلم اننا نفتكر في وقت واحد وهي خاصة لا نعرف ناموساً من النواميس المادية ينطبق عليها فاذا قلنا ان الاشتغال بحل مسألة حسابية مثلاً حركة في دقائق الدماغ فبماذا نعلل شعورنا باننا نشتغل في ذلك الحل فبين الاعمال المادية والشعور النفساني او العقلي بون عظيم ولم يستطع العلماء او الفلاسفة التوفيق بينهما او تطبيق احدهما على الآخر بوجه من الوجوه . على اننا لو اعدنا النظر الى حركة الدقائق التي عليها مدار ادلتهم وبراهينهم وبحثنا في كنهها لوقفنا حيارى ولو سألت المادي من الذي جعل المادة دقائق وبث فيها تلك القوة وكيف تتحول المادة غير الحية الى مادة حية او ما هي العلاقة بين اعمال العقل او شعور النفس وبين حركة الدقائق وكيف تتحول تلك الى هذه لما رأى سبيلاً الى الجواب فان العلم قاصر عن تعليل هذه الظواهر وهناك اسئلة جمة لم يتصل العلم الى حلها او تعليلها تعليلاً يقبله العقل

فلنطأطئ رؤوسنا ونعترف بعجزنا عن ادراك كنه الخليقة وكشف اسرارها فان البشر كافة عالمهم وجاهلهم من لاهوتيين وطبيعيين عاجزون حتى الآن عن ادراك سر الاكوان وربما اتصل العلم في مستقبل الازمان الى كشف ذلك السر الا اذا اقتضت حكمة الخالق جل وعلا تفرّده بمعرفته وبقاءه مكنوناً عن خلقه وهو القادر على كل شيء يفعل ما يشاء

باب المراسلات

عادةٌ مضرَّةٌ

من ضرّها ضعف المشاعر والقوى   وعمى العيون وخفةٌ وخمولُ

حضرة الفاضل منشىء الهلال المنير

أجل ليست هي عادة مضرة فقط بل قتالة وليست زناً. بل افجع من الزناء وأعظم ضرراً منه وأشدّ قصاصاً عند الاله العدل يستسهل استعمالها السواد الاعظم من شبان المدن والقصبات والبادية لا يحسبون حساباً لما سيقاسون من الآلام حين يتقلبون على قتاد الأمراض ويعضون بنان النادم ولات ساعة مندم . يجهلون او يتجاهلون ان قابض الارواح واقف لهم بالمرصاد لخطف ارواحهم وقصف أغصان شبابهم قبل الاوان وتأبى المروءة ان نسوّد صفحات الهلال المنير بذكر اسم هذه العادة الشنعاء . على ان مستعمليها يفهمونها بالاشارة والتلميح . وليت لهم هذه النباهة حين يستعملونها او حين يتلون ارشادات الهلال الاغر وبراهينه الرّاهنة بوجوب تركها والنجاة من حبائل شرها وهنا يجدر بنا ان نقوم باداء رسائل المنة والشكر لمنشىء الهلال الساطع لانه ينتخب المواضيع ذات الفوائد الجلى لبني البشر ولا يتوخى الا الخدمات التي تخلد له الذكر الجميل في صفحات التاريخ

ولا بدّ لنا من ان نرفع برقع الحياء عن محيا الحقيقة ونأخذ بالبحث والتنقيب لبيان اضرار هذه العادة القبيحة والواسطة الفعالة لنجاة مستعمليها ومن سنشتري بهم جرائم استعمالها من شراك شرها اذ قد يضر الخجل في هذا الموقف الخطير . كما جاء برسالة حضرة الفاضل الاديب « ر . ن » المشحونة بالفرائد والفوائد وهي التي جرّأتني وتجرّئ حضرات الكتاب الافاضل ان يتباروا على الكتابة في هذا الموضوع لانه من الاهمية في مكان بدون ان يوقفهم الحياء ويستولي عليهم الخجل والضرورات تبيح المحظورات

أعرف جماعة من الشبان خارج المدارس منهمكين في استعمال هاته العادة الرديئة ولا يعرفون البتة ان كانت ضارّة ام نافعة بل يعتقدون ان لهم الاجر والثواب باتخاذهم اياها بدلاً من الفحشاء من جهة وانها لا تنفع ولا تضر من جهة اخرى ولدى الخوض معهم في هذا الحديث وتبيان اجل ما اعرفه من البراهين والبينات على مضارها وتلاوة نصائح نطس الاطباء واخصها بالذكر فريدة من فرائد كتاب تحفة الراغب في صحة المتزوج وزواج العازب لحضرة الدكتور الفاضل رفعتلو شاكر افندي الخوري ندموا على ما اجترأت ايديهم وبكتوا انفسهم لقلة اعتنائهم باقتناء مثل هذه الكتب . فتغلبت ارادتهم على عواطفهم اذ ذاك وخافوا على اجسامهم وعقولهم من الانحطاط والتقهقر وتعاهدوا على ترك تلك العادة الذميمة وما لبثوا ان نقلوا عهودهم من حيز التصوّر الى حيز الفعل ولم تمض الايام القلائل حتى راقت الوانهم واتجهت الى الصحة علائمهم

فكما يجب على رؤساء المدارس ملاحظة تلاميذهم بهذا الامر كذلك يجب على الآباء عظة ابنائهم عند اقتبالهم سن الرشد اذ يكونون في ذلك الغضون على بصيرة مما تجني ايديهم كما انه يطلب من ذمة حضرات الاطباء والذين امتازوا عن سواهم بمعرفة الضار من النافع ان لا يبخلوا بارشاداتهم حين الاقتضاء واهم ما اراه واجباً على رؤساء المدارس عموماً والداخلية خصوصاً ان يضعوا بين ايدي التلاميذ تآليف الاطباء بهذا الشأن نظير كتاب تحفة الراغب الذي المعت اليه آنفاً ليطالعوها فيعلموا ان وراء الاكمة ما وراءها وان لمستعمليها اقبح عاقبة فمن كان لا يؤمن بوجود الله يعاقب المسيء ويثيب المحسن يخاف على قواه من الانحلال وعقله من الاختلال واعضائه من الوهن وعيونه من العمى . ولا مشاحة في ان مطالعة هذه المؤلفات لا تقل فائدة عن درس الصرف والنحو والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم والفنون هذا مع الانتباه الى ما جاء برسالة حضرة الكاتب البارع « ر . ن » الآنفة الذكر بأن لا يسمح للتلميذ بالعزلة في مكان وحده ولا يترك له وسيلة للافتكار وغير ذلك مما لا يخفى على رؤساء المدارس واساتذتها الافاضل

وليعلم الشبان ان هذه العادة في مقدمة العوائد الضارة في العالم . فالتدخين او القمار او السكر او الزناء او ضياع الاوقات في قهوات الملاهي والملذات هذه كلها لا تذكر بجانب هذه العادة القبيحة فانها من اقبح العادات واضرها مادياً وأدبياً اذ بها

علل ترتجف الابدان خوفاً من ذكرها وقتل نفوس حية يطلب دمها (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) من مباشري قتلها عمداً وبهتاناً هداهم الله الى صراط الحق والهدى

سألتُ يوماً أحد اصدقائي من الاطباء الماهرين ما هو السن الذي يجوز للشاب ان يتزوّج بهِ طبياً فاجاب . اتريد جواب مختبر اخلاق الشبان ام تريد جواب دارس الطب . فقلت لا بل اريد ما قالهُ المثل . اسأل مجرّباً ولا تسأل حكيماً وها قد اتفق لنا مجرّب وحكيم فقال اذا بقي الشبان على العادة « الثلاثية » (التي نحن بصددها الآن) او ما زالوا يقضون اوقاتهم في محال الفحشاء والرذيلة فسن الزواج السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة وإلاَّ فالسنة الخامسة والعشرون وانهُ خير للشاب ان يتزوّج حين بلوغه الرشد من ان يقضي ايام حياتهِ بالاوجاع والامراض ويذهب فريسة التهتك والابتذال

فلتتبارَ ايها الادباء على الكتابة في هذا الموضوع الخطير ولنرج بلسان واحد من حضرات الاطباء الافاضل الذين يطالعون الهلال ان لا يحرمونا من نفثات اقلامهم ودرر ارشاداتهم الموثوق بها حباً بالانسانية وانتصاراً للفضيلة والسلام

مرمريتا (الحصن بطرابلس الشام) « عبد الله اليازجي »

باب السؤال والاقتراح

التولد الذاتي

(بيروت) اسبر بدون افندي ابو الرّوس من طلبة المكتب الطبي الفرنساوي .

قرأت في الجزء ٢١ من السنة الحاضرة لمجلتكم الغراء في صدد كلامكم على أركان العلوم الطبيعية فقرة التبس عليَّ فهمها ورأيتها محلاً لاستفهامين فتكرموا ان شئتم بالجواب ولكم مزيد الفضل سابقاً ولاحقاً

(الأول) يتعلق بتاريخ التولد الذاتي . فقد ذكرتم هناك فساده واسندتم اثبات فساده الى العلامة تندل الانكليزي . مع ان مرجع الفضل في ذلك الى العلامة

باستور الفرنسويّ الذي بلغ غايتهُ من دفع أوهام الاقدمين بطريقين: كشفهِ لحقيقة الاختمار وبيانهِ لفساد التولد الذاتي الذي نحن بصدده. والمناقشة التي جرت بينهُ وبين بوشيه مدير متحف التاريخ الطبيعي في روان ومكاتب جمعية العلوم بباريز مشهورة لا يزال يرن صداها في تصانيف البكتربولوجيا. وبوشيه هذا أحيا معالم الهيتروجينيا (التولد الذاتي) سنة ١٨٥٨ بعد ان بينت فسادها اختبارات شولز وشوان عام ١٨٣٧

وتصدّى باستور لتفنيد آراء بوشيه فذهب الى ان الجوّ مشحونٌ بالجراثيم الحية وبيوضها وان وجود هذه الاكيات ضروريّ لتولد النقاعيات بمعنى ان السوائل القابلة الاختمار اذا حجبت عن الجراثيم المذكورة بقيت عقيمة لا أثر للحياة فيها. وبرهن القضية الاولى بسهولة واجرى اختباراته المشهورة على القضية الثانية فنشرها في سفر طبع ١٨٦٢ فكان مطلقاً لانوار العلم الحديث حتى ان جون تندل العلامة الطبيعي الانكليزي في كتابه في المكروبات لم يتمالك أن قال «ان الوضوح والقوة والتعقل في الاستدلال والمهارة في طرق الاختبار لم يستخدمها العالم الفرنسوي مثل هذه المرة في هذا السفر الخالد. ولذلك كل حاكم نزيه في الابحاث الاختبارية في انكلترا لم يبأس قط من انتصار باستور رغماً عن احتدام نار الجدال في هذه المسألة»

ثم ان تندل المذكور لم يباشر اختباراته في هذا الصدد حتى سنة ١٨٦٨ أي بعد ظهور سفر باستور بست سنوات. هذا فضلاً عن انهُ لم يزد شيئاً على تأييد الحقيقة التي كان قد اثبتها باستور باكتشافاته السابقة

والاستفهام الثاني يتعلق بالتولد الذاتي رأساً. وموضوعهُ (أولاً) هل ان فساد التولد الذاتي في الوقت الحاضر يستلزم امتناع وقوعه في وقت من الاوقات (ثانياً) هل ان فساد التولد الذاتي يستلزم سقوط دعوى الماديين في وحدة القوة والحياة وسقوط قول بعض الفيزيولوجيين في ان القوى الطبيعية الكيماوية ليست غير حالات من الحركة وان الحياة نباتية كانت أم حيوانية قوة من هذه القوى وحالة من الحركة الكونية العامة (ثالثاً) هل ان امتناع تحول القوة الى حياة يستلزم منطقياً امتناع تلك الوحدة (رابعاً) واخيراً ان صح امتناع تلك الوحدة هل تندفع مبادئ الماديين عموماً

فرجائي في حضكم الاجابة على هذين الاستفهامين من فضل معارفكم الواسعة دفعاً للالتباس الذي عرض لداعيكم

(الهلال) لا ريب في ان العلامة بستور اشهر من كتب عن البكتيريا وفند القول بالتولد الذاتي ولكننا اردنا بما ذكرناه هناك ان العلامة تندل آخر من بين ذلك التفنيد كتابة وخطابة في المجامع العلمية او المجلات الفلسفية واردنا بنوع خاص مقالة ضافية نشرت في مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٨٧٨ بين فيها غاية ما وصلت اليه الابحاث العلمية في التولد الذاتي والتجارب التي اجراها بنفسه والمجادلات التي قامت بينه وبين بعض العلماء الماديين بشأن التولد الذاتي وقد افاض في ايراد الادلة واجراء التجارب مما لا محل لذكره هنا

أما اثبات فساد التولد الذاتي فيرجع الفضل فيه الى اول من وجه الانظار اليه وهو فرنسيسكو ريدي طبيب الغراندوق فرديناند الثاني في توسكانا وكان عضواً عاملاً في اكاديمية سيمنتو اشهر سنة ١٦٦٨ بابحاثه عن تولد الدود في اللحوم الفاسدة فكان الناس يزعمون ان الدود يتولد في اللحوم من تلقاء نفسه فما زال يبحث ويجرب حتى برهن انه يتولد من جراثيم حية يضعها الذباب في اللحوم الفاسدة فتفرش وتظهر دوداً وقد ضافره في رأيه هذا اكثر معاصريه . فلما ظهر الميكروسكوب تمكنوا به من رؤية كثير من الجراثيم التي لم تكن تظهر للعين المجردة فأيدوا القول بفساد التولد الذاتي ولكنهم من الجهة الثانية اكتشفوا احياء اخرى دقيقة للغاية هي البكتيريا فعادوا الى القول بالتولد الذاتي زعماً منهم بان هذه الاحياء تتولد من نفسها في المستنقعات الآلية وسموها لذلك (Infusoria) (النقاعية) ولم يكد يشيع امر هذه الاحياء حتى انقسم العلماء الى حزبين كبيرين أحدهما يقول بالتولد الذاتي والآخر يقول بفساده واشهر زعماء الحزب الاول بوفون ونيدهام واشهر زعماء الحزب الآخر الاب لازارو سبالانزاني فانه اثبت سنة ١٧٦٧ بالبراهين الحسية والادلة العملية ان تلك الاحياء لا تتولد الا من جراثيم حية وظهر بعده شولز وشوان اللذين انضما اليهما وأيدا رأيه واوضحاه بين سنة ١٨٣٦ و ١٨٣٧ وجاء بعدهما هلمهولتز سنة ١٨٤٣ وشرودر سنة ١٨٥٤ وزادا البحث ايضاحاً وتأييداً حتى رسخ في الاذهان ان التولد الذاتي مذهب فاسد ولكن في السنة التالية ظهر العلامة بوشيه مدير متحف التاريخ الطبيعي في روان

وقام لمقاومة ما ذهب اليهِ شولز وشوان وادعى صحة التولد الذاتي وبذل من الجهد والبحث والعناية ما ليس بعده غاية وسمي مذهبهُ هذا هيتروجيني (التولد الذاتي) ولم يكد هذا المذهب ينتشر ويذيع حتى ظهر العلامة باستور بابحاثهِ البكتيريولوجية وافسده بالادلة القاطعة وقام تندل بانكلترا وكان من اكبر المنتصرين لهُ كما قدمنا وربما افردنا فصلاً مخصوصاً لايضاح وجهي هذه المسألة في مكان آخر

أما استفهامكم الثاني فلا بد قبل الجواب عليهِ من تفهم معنى التولد الذاتي فقد يتبادر الى ذهن القارىء ان المراد بهِ ان يتولد الحي من ذاتهِ وهو قول لا معنى لهُ فان الشيء قبل ان يتولد لا ذات لهُ فكيف يمكن ان يتولد من ذاتهِ الاَّ اذا اريد ان يتولد من العدم وهذا لا قبل لنا في الذهاب اليهِ ولا هو المراد بقولهم . فالمقصود بالتولد الذاتي بابسط عبارة تحول القوة الى حياة او تحول غير الحي الى حي بلا مداخلة فاعل غير الفواعل الطبيعية القديمة واذ قد اتضح ذلك نجيب حضرتكم

(١) ان فساد القول بالتولد الذاتي الآن لا يستلزم امتناع وقوعه في وقت من الاوقات كما انهُ لا يستلزم وقوعهُ (٢) ان فساد القول بالتولد الذاتي (مطلقاً) يستلزم عدم تحوّل القوة الى حياة في وقت من الاوقات فلا يبقى وجه للقول بوحدتها أما قول بعض الفسيولوجيين « بان القوى الطبيعية والكيماوية ليست غير حالات من الحركة وان الحياة نباتية كانت او حيوانية قوة من هذه القوى وحالة من الحركة الكونية العامة » فالجواب عليهِ راجعوا مقالة « مذهب الماديين » في هذا الهلال (٣) ان « امتناع تحوّل القوة الى حياة » مثل « امتناع التولد الذاتي » لاننا قدمنا في تعريف التولد الذاتي انهُ تحوّل القوة الى حياة فالجواب عليهِ كالجواب على القول بامتناع التولد الذاتي وقد تقدم (٤) ان امتناع وحدة القوة والحياة يسقط دعوى الماديين لان اساس مذهبهم ان اعمال الحياة وسائر ظواهر العقل والنفس اعمالٌ مادية ناتجة عن تفاعل القوة والمادة كسائر الاعمال الجمادية وبعبارة اخرى ان القوة والحياة شيء واحد فاذا بطلت هذه الوحدة سقط ركن مذهبهم اما من قبيل ما صحَّ او فسد من مذهبهم فقد بسطناه في مقالة مذهب الماديين المتقدم ذكرها

تقسيم الزمن الى السنة وأجزائها

(قضاء جنين . نابلس) محمد افندي لطفي حداد كاتب تحريرات قضاء جنين

كيف تمّ لسكان المعمورة الاتفاق على معرفة تقسيم ايام السنة فصولاً واشهراً وتعميم تقييد أيام الاسبوع باسماء لا تختلف بالمعنى في سائر اقطاره

(الهلال) ان تقسيم الزمان الى سنين وفصول واشهر واسابيع وايام من اوضاع البشر منذ القدم فقد كانت عند الكلدان والمصريين وغيرهما من الام التي تمدنت قديماً وعنهم اخذتها الام التالية كاليونان والرومان ومن جاء بعدهم وحسنوا فيها وضبطوها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن . اما كيفية توصلهم الى هذا التقسيم فقد اشرنا اليها في مقالة الزمان من اركان العلوم الطبيعية في الهلال السابع عشر من هذه السنة وخلاصتة ان النهار اساسة المسافة بين شروق الشمس وغروبها والليل بين الغروب والشروق واليوم بين شروق وشروق او غروب وغروب وهو طبيعي لا يحتاج الى اعمال الفكرة . أما الشهر فاساسة دورة القمر منذ ولادتو هلالاً حتى يبدر ثم يعود فيصير محاقاً فالشهور كانت في اوّل الامر قمرية ثم اضطروا لتطبيقها على حركة الشمس السنوية ان يجعلوها شمسية وهي الشهور الافرنجية . أما السنة فاساسها الفصول الاربعة والفصول مؤسسة على احوال الجو والزرع وهي اربعة الصيف والخريف والشتاء والربيع فسموا المدة التي تمرّ بها الفصول الاربعة سنة وهي دورة الشمس السنوية

أما الاسبوع فليس له اساس طبيعي فظن بعضهم انهُ مؤسس على اعتبار الاوائل للعدد السبعة عدداً مقدساً ولذلك فانهم كانوا يكثرون من استخدامه ولكن هذا القول ساقط ولا سند له فما الذي حمل الانسان على احترام هذا العدد ولا دليل على ان الانسان كان يقدس هذا العدد قبل ان وضع الاسبوع بل الارجح ان احترامهم اياه كان مؤسساً على كونه عدد ايام الاسبوع وقال آخرون انهُ مؤسس على الشهر فقسموا الشهر القمري الى اربعة اجزاء كل جزء سبعة ايام وسموه اسبوعاً ولكن هذا ايضاً لا يشفي غليلاً لان الشهر القمري يزيد على اربعة اسابيع على انهُ اقرب الى الصواب من ذاك

والظاهر ان الاسبوع مبني على تقليد قديم ديني او شبه ديني والاقرب ان تكون رواية الخليقة الواردة في سفر التكوين هي اساس هذا التقسيم ويؤيد ذلك ان القدماء

من الفرس والمصريين القدماء لم يكونوا يعرفون الاسابيع على الارجح وانهم تعلموها من اليهود والله اعلم

أما الايام فليست اسماؤها واحدة في سائر اللغات كما تبادر الى ذهنكم ولكن لها عند كل امة اسماء اقتضتها طبيعة احوالهم في اول ازمانهم و يغلب ان تكون مؤسسة على اسماء آلهة كانوا يعبدونها زمن الوثنية في كل يوم من تلك الايام وهذه في حال اسماء الايام بلغات اوربا اما اللغات الشرقية (العربية والعبرانية والسريانية) فاسماء الايام فيها تسمى بحسب ترتيبها العددي من الاحد الى الخميس اما الجمعة والسبت فلها اسمان لا علاقة لها في العدد ولكنها مؤسسان على تقليد ديني. اما العرب قبل الاسلام فكانت اسماء الايام عندهم غيرما صارت اليه بعد الاسلام وهي لا تبعد ان تكون اسماء آلهة او شيء آخر من هذا القبيل وسيأتي ذكرها ولايضاح ذلك نذكر اسماء الايام باللغتين الانكليزية والفرنساوية وتحليل معنى كل منها

وهاك اسماءها بالانكليزية مأخوذة عن الانجلوسكسونية وهي لغة الانكليز القديمة

اسم اليوم		معناه
Sunday	(الاحد)	يوم الشمس لانهم كانوا يعبدون الشمس فيه
Monday	(الاثنين)	« القمر « « القمر «
Tuesday	(الثلاثاء)	« الاله تيو اله الحرب عندهم وهو المريخ عند الرومانيين
Wednesday	(الاربعاء)	« الاله ودانس . وهو عطارد عند الرومانيين
Thursday	(الخميس)	« « طور . وهو المشتري « «
Friday	(الجمعة)	« الآلهة فريا . الهة الزيجة تقابل يونو «
Saturday	(السبت)	« الاله ساتورن . وهو زحل

وهاك اسماءها الفرنساوية وهي مأخوذة عن اللاتينية

Dimanche	(الأحد)	من دومينيكا (السيد) ويراد به يوم الرب
Lundi	(الاثنين)	يوم القمر
Mardi	(الثلاثاء)	« الاله مارس (المريخ)
Mercredi	(الاربعاء)	« ماركوريوس (عطارد)
Jeudi	(الخميس)	« جوفيس (المشتري)

Vendredi (الجمعة) يظهر انهُ مبني على حال اخرى
Samedi (السبت) من شبات بالعبرانية

أما اسماء الايام باللغات الشرقية فكما في العربية تماماً تبدأ بالاحد اي اليوم الاول فالاثنين اي اليوم الثاني فالثلاثاء فالاربعاء فالخميس اما الجمعة فمعناها يوم الاجتماع للصلاة واما السبت فهو معرب عن العبرانية ومعناه يوم الراحة وهو اليوم الذي استراح بهِ الله من اعمالهِ فترى ان اسماء الايام عند الامم الشرقية مأخوذة عن اليهود وهؤلاء اخذوها عن حكاية الخليقة

أما العرب قبل الاسلام فكان لأيام الاسبوع عندهم اسماء غير هذه وهي

اسماء الايام في الجاهلية	يقابلها الآن
أوهد	الاحد
أهون	الاثنين
جُبار	الثلاثاء
دبار	الاربعاء
مؤنس	الخميس
عَرُوبة	الجمعة
شيار	السبت

وربما كانت هذه الالفاظ اسماء آلهة استخدمها العرب كما فعل الانكليز والفرنساويون في اسماء ايامهم ثم غيّرها الاستعمال فلم يعد اصل وضعها معروفاً او انها ماخوذة عن لغات اخرى ولها معانٍ اخرى فان عروبة ماخوذة عن السريانية وهي يوم الجمعة عند السريان

الحروف الأبجدية

(بوزسعيد) يوسف افندي هندي

من المعلوم ان الاحرف العربية تبتدئ بالالف وتنتهي بالياء وتسمى الاحرف الهجائية وقد نراها أيضاً مرتبة على نسق آخر وتسمى بالاحرف الابجدية وبها يستعمل حساب الجُمَّل فمن يا ترى المخترع لهذا الترتيب العجيب وما الحكمة في جعلها هجائية

وإبجدية ولماذا حساب الجمل بالابجدية وما هو اصل الوضع افيدونا ولكم الفضل

(الهلال) الاحرف العربية مأخوذة عن الكلدانيين او بعض من تخلف عنهم وهي في الاصل مقتبسة عن الفينيقيين فان الفينيقيين هم الذين استنبطوا احرف الكتابة عن الكتابة المصرية وعنهم اخذها سائر امم الارض في اوربا وآسيا وافريقيا (راجع مقالة تاريخ الكتابة واصل الخطوط في السنة الاولى من الهلال) ولما كان منشأ هذه الحروف واحداً كانت اسماؤها متشابهة وترتيبها واحداً عند سائر الامم والترتيب الاصلي لها على ترتيب الابجدية اي انها تبدأ بالالف فالباء فالجيم فالدال والحروف الابجدية في الاصل ٢٢ حرفاً يجمعونها في ست كلمات وهي ابجد هوّز حطي كلمن سعفص قرشت هذه هي الحروف الاصلية وهكذا انتشرت في العالم فاستخدمتها الامم القديمة ولما كان لكل لغة خصائص تميزها عن سواها وفي كل منها مقاطع لا وجود لها في الاخرى فجعلت كل امة تزيد على هذه الحروف او تنقص تبعاً لاحتياجها فالعرب لم تكفهم هذه الحروف لان في لغتهم مقاطع اكثر منها فجمعوا المقاطع الزائدة عندهم فاذا هي ستة فاضافوها الى الابجدية في كلمتين هما ثخذ ضظغ فصارت الحروف العربية ٢٩ حرفاً وما زالت مرتبة على الابجدية الى زمن غير بعيد فجعلوا ترتيبها كما هو عليه الآن فالالف أولاً ثم الباء فالتاء فالثاء الخ والظاهر ان المراد بهذا الترتيب جمع الحروف المتشابهة شكلاً بعضها الى بعض كالباء والتاء والثاء . والجيم والحاء والخاء . والدال والذال . الخ

أما سبب الترتيب الابجدي في الاصل فغير معروف ولكنهم يظنون فيه ظنوناً لا تخرج عن حد الخرافات ولا فائدة من ذكرها

اما حساب الجمّل وهو استخدام الحروف الابجدية للعدد فقديم عند معظم الامم فالعرب والسريان والكلدان والعبرانيون وغيرهم من الامم الشرقية كانوا يستخدمون احرف لغاتهم بمنزلة الارقام الهندية الآن لان هذه الارقام حادثة عندهم والعرب ما زالوا يستخدمون الحروف للعدد الى امد غير بعيد واما السريان والعبرانيون فلا يزالون يستخدمونها حتى الآن ومثل ذلك فعلت الامم الغربية القديمة فان الرومان واليونان كانوا يستخدمون بعض احرف لغاتهم للعدد على طريقة غير طريقة الابجدية عندنا ولكن بينها مشابهة من بعض الوجوه فلما عثروا بالارقام الهندية فضلوا اسلوبها

فاتخذوها واهملوا الحروف تدريجياً حتى اصبحوا لا يستعملونها البتة الا في احوال خصوصية .ومثل ذلك فعل العرب أيضاً

﴿ الأقباط ﴾

(الرقة) جرجس افندي ميخائيل بصنط ميدوم

في اي زمن اطلق لقب قبط على الاقباط المقيمين بمصر والى من ينسب هذا اللقب وهل كانوا يسمون اقباطاً قبل دخولهم في الدين المسيحي وهل لفظ قبط اسم جنس ام اسم وطن

(الهلال) يظهر ان اسم القبط قديم لان اليونان سموا مصر بالاضافة اليهم فدعوها ايجبتوس (Aigyptos) ومنها اسماء مصر بلغات اوربا . ومعنى ايجبتوس ارض القبط واليونان جاؤا مصر قبل الميلاد باجيال فالقبط كانوا يسمون بهذا الاسم قبل دخولهم في الدين المسيحي اما سبب تسميتهم بهذا الاسم ففيه اقوال والغالب انهم سموا كذلك نسبة الى قفط او قبط وهي بلدة في اعلى الصعيد كانت عامرة ايام انتشار اليونان بمصر وكانت اشبه شيء بفرضة تجارية تمر بها سائر الواردات والصادرات بين مصر وبلاد العرب والهند لوقوعها في اول طريق الصحراء بين النيل والبحر الاحمر وكان الصعيد اجمالاً اكثر عمراناً من الوجه البحري فربما سموا اهل قفط اولاً بهِ ثم اطلقوه على ما جاورها من المدن ثم على اهل الصعيد كافة ثم عمَّ الوجهين القبلي والبحري وعليهِ فيكون القبط اسم وطن الا اذا كانت مدينة قفط قد سميت بالاضافة اليهم وغاب عنا سبب تسميتهم بهذا الاسم

﴿ آلات ترشيح الماء ﴾

(القاهرة) سعيد افندي حسين

اي الآلات المستخدمة لترشيح الماء افضل لتنقية المياه مما يخالطها من الاكدار والعفن

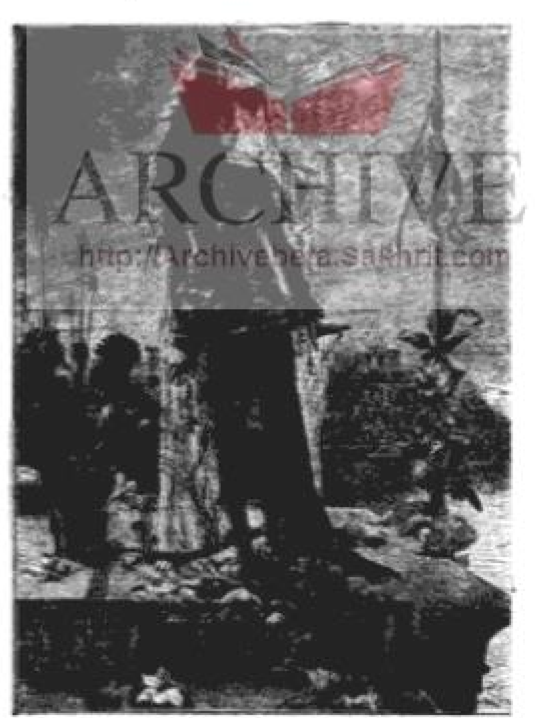
(الهلال) اجتمعت لجنة طبية عظمى في بلاد الانكليز وامتحنوا سائر المرشحات المعروفة فوجدوا اكثرها لا يفي بالغاية المقصودة تماماً وبعضها تزيد فيها كميات الميكروب بعد الترشيح عما قبله ولكنهم وجدوا مرشحة باستور افضل سائر المرشحات المعروفة

الهلال

الجزء الرابع والعشرون من السنة الثالثة

(١٥ اغسطس (تموز) سنة ١٨٩٥) (٢٤ صفر سنة ١٣١٣) (١٠ امسرى سنة ١٦١١)

اشهر الحوادث واعظم الرجال



ضحية النيل

ضحية النيل

بمناسبة فتح الخليج في ١٦ الجاري دلالة على وفاء النيل رأينا ان نذكر تاريخ هذا الخليج وكيفية الاحتفال بفتحهِ في الدول السابقة ولكننا قد سبق لنا كلام من هذا القبيل في الهلال الاوَّل من السنة الثانية فلا حاجة بنا الى اعادتهِ ومن اراد الوقوف على تاريخ خليج القاهرة والاحتفال بفتحهِ وكل ما يتعلق بهِ فليراجعهُ هناك

واما الآن فغرضنا البحث في رواية رواها مؤرخو العرب عن عادة قالوا انها كانت جارية في مصر قبل فتحها وان المسلمين ابطلوها عند الفتح الاسلامي ومما يوقع شبهة فيها ان مؤرخي اليونان والرومان لم يتعرَّضوا لذكرها او الاشارة اليها ولا عثر احدٌ في الآثار المصرية على دلالة او شبه دلالة تؤيد هذا القول

واما الرّواية فهي ان القبط قبل الفتح كانوا اذا دخل شهر بؤونه القبطي كل سنة عمدوا الى ابنة جميلة البسوها احسن ما لديها من الحلي والقوها في النيل ضحية فاذا لم يفعلوا ذلك لا يرتفع النيل حق ارتفاعهِ ولا تروى الارض وان عمرو بن العاص ابطل هذه العادة · ثم ابدلت الفتاة بعروس من طين يلقونها في النيل عند وفائهِ او عند فتح الخليج وما زال ذلك جاريًا الى الآن

ولكن الغريب ان مؤرخي مصر قبل الاسلام لم يذكروا هذه العادة قطولا شيئًا من مثلها · واكثر من ذكرها من مؤرخي الاسلام اسندها الى ابن عبد الحكم وهو راوية من رواة الاسلام عن الفتح وخصوصًا عن مصر وهاك اشهر النصوص التاريخية التي قالت هذا القول

قال المقريزي في الصفحة ٥٨ من الجزء الاوَّل « وقال ابن عبد الحكم ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى اهلها الى عمرو حين دخل بؤونة من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الاَّ بها فقال لهم وما ذاك قالوا انهُ اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها فأرضينا ابويها وجعلنا عليها من الحليّ والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها في النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبلهُ فأقاموا بؤونة وابيب ومسرى وهو لا يجري قليلاً ولا كثيرًا حتى هموا بالجلاء. فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنهُ بذلك فكتب اليهِ عمر أن قد اصبت ان الاسلام يهدم ما

كان قبلة وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها (من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك) فالقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل واصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن اهل مصر وذكر بعضهم ان جاحلاً الصدفي هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى »

وقال السيوطي في الصفحة ٢٤٨ من الجزء الثاني من حسن المحاضرة « قال ابن عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتح عمرو بن العاص مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤونة من اشهر العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤونة وابيب ومسري لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر (أما بعد) فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعاً وقد زالت تلك السنة السوء عن أهل مصر »

وقال ابن آياس في صفحة ٣٢ من الجزء الاول « قال ابن عبد الحكم لما استقر عمرو بن العاص بمصر جاء اليه القبط وقالوا له ايها الامير ان لنيلنا سنة كل سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما هي فقالوا اذا كان ليلة اثنتي عشرة من شهر بؤونة من

الشهور القبطية عمدنا الى جارية بكر واخذناها من ابويها غصبًا او رضًا وجعلنا عليها الحلي والحلل ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم فلما سمع عمرو بن العاص ذلك قال لهم هذا الامر لا يكون في الاسلام ابدًا فاقام اهل مصر شهر بؤونة وابيب ومسري وتوت من الشهور القبطية ولم يجر فيها النيل لا قليلاً ولا كثيرًا فهمّ أهل مصر بالجلاء. فلما ان رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتابًا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وارسله على يد نجاب فلما وصل الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب كتب بطاقة وارسلها الى عمرو بن العاص وأمره ان يلقيها في بحر النيل فلما وصلت الى عمرو بن العاص فتح تلك البطاقة وقرأ ما فيها واذا فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك اما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله تعالى الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله تعالى ان يجريك فلما وقف عمرو على ما في البطاقة القاها في النيل كما امره امير المؤمنين عمر وقد القاها في النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد وعيد الصليب يكون سابع عشر توت من الشهور القبطية وكان قد أجلى غالب اهل مصر من عدم جريان الماء. فلما اصبح الناس يوم عيد الصليب وأوا النيل زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعًا في دفعة واحدة وقد قطع الله تلك السنة السيئة عن اهل مصر ببركة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه »

وقال غيرهم مثل قولهم ومرجع ذلك كله الى قول ابن عبد الحكم ومن الغريب اننا لم نعثر على مؤرخ قبل القرن التاسع للهجرة ذكر هذه الحكاية او ما يشبهها نعم ان ابن عبد الحكم كان في اوائل الهجرة ولكن كتابه لم يصل الينا ولا نعلم شيئًا عنه الاّ ما رواه المؤرخون بعده

وأغرب من ذلك ان عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر وكتب رحلته اليها في القرن السادس او اوائل السابع للهجرة لم يذكر حكاية ضحية النيل هذه قط مع انه افاض في الكلام على حال النيل في الزيادة والنقصان وتكهن القبط في معرفة الزيادة قبل حصولها وما شاكل ذلك مما يجرّ الى ما نحن فيه فلو كان ذلك الرحالة عالمًا بتلك الاحدوثة لذكرها ولو تلميحًا

ومهما تعدد رواة هذه الحادثة فان مصدرها واحد كما يؤخذ من نصها وكلهم

متفقون في اسنادها الى ابن عبد الحكم وقد يقال ان الاجماع عليها يدعو الى تصديقها ولكننا لا نرى اجماعاً لأن الراوي واحد والكل نقلوا عنه ومثل هذه العادة لو صح وجودها في مصر قبل الاسلام لذكرها مؤرخو اليونان والرّومان ولو بالاشارة فهم لم يقولوا شيئاً يدل على وجودها وزد على ذلك ان حال القبط اذ ذاك من التدين لا تأذن لهم بارتكاب مثل هذه الفظائع ومع هذا وذاك لا طاقة لنا في الحكم حكماً قاطعاً وانما نقول ما نقوله من باب البحث

ولو فرضنا هذه الرّواية خرافة فهي لا تخلو من الحقيقة وتعليل ذلك ان النيل قد ألّهه المصريون منذ القدم وعبدوهُ واقاموا له التماثيل والرموز مما يستلزم السجود له والتضحية لاسمه وقد كان لهم في جزيرة فيلي بقرب اصوان هيكل لا تزال آثاره ظاهرة الى الآن تعرف بآثار انس الوجود وفي هذا الهيكل كان يجتمع جماهير الكهنة ولم يكن يؤذن لاحد غير الكهنة بوطء تلك الجزيرة ومن أهم واجباتهم في ذلك الهيكل ان يلقوا في النيل حلياً او قطعاً من الذهب مرة كل سنة ثمناً لما يجود النيل به عليهم بفيضانه وكان الحلي اكثره على شكل الخواتم والمظنون ان البندقيين اقتبسوا عادة زفاف البحر الادرياتيكي من هذه العادة المصرية ولنا في ما تنثره الحكومة من النقود كل سنة عند فتح الخليج موضع نظر لما نحن فيه

فلا يبعد ان حكاية هذه العادة كانت متناقلة على السنة المصريين حوالي الفتح او بعده وقد بولغ فيها حتى قالوا ان المصريين كانوا يلقون المصاغ عند جزيرة فيلي وهو على فتاة جميلة ثم عمموها فوصلت كما رواها ابن عبد الحكم ومن اخذ عنه

وفي صدر هذا الهلال رسم فتاة تمثل ضحية النيل كما يصفها مؤرخو العرب مع ما يؤخذ من مجال الاحوال فانك تراها واقفة على رصيف عند ضفة النيل وقد أُغلت يداها ورجلاها وجُعلت الحلي على عنقها ومعصميها وتكلل رأسها بالأزرار والازهار وعلى حقويها منطقة من الزهر ومن ورائها جماعة الكهنة والجند برماحهم وملابسهم كأنهم يحتفلون بتضحيتها والى جانبها علم كأنه العلم الملوكي.



باب المقالات

الاعلان في الجرائد والمجلات

يراد بالاعلان في الجرائد أحد ثلاثة امور اما اعلان الناس عن امر يراد بيعهُ او شراؤُه في اجل معلوم واما اذاعة المعان عنهُ في اقطار العالم لمجرد الشهرة او اعلان الناس عن انتقال محل او تجديده ومثال الاوَّل الاعلان عن قطعة ارض او منزل يراد بيعهُ بالمزايدة في يوم معلوم . ومثال الثاني اشهار محل تجاري جديد او مصنوع حديث مثل علاج او آداة او ما شاكل ذلك ومثال الثالث اعلان تاجر عن انتقال محل تجارتهِ من منزل الى آخر او مدينة الى اخرى على ان الغاية في كل حال واحدة والناس ميالون الى الشهرة بالفطرة فهم يسعون في اكتسابها من سائر سبلها وقد كانوا قبل عهد الجرائد ينشرون الاخبار او يعلنون المشروعات بواسطة المناديين الذين يطوفون الشوارع يعلنون الناس باعلى اصواتهم وقد يكتفون باذاعة ذلك في الاماكن العمومية كالكنائس والجوامع او غيرها . ولم يشع الاعلان في الجرائد الاَّ في القرن الثامن عشر واقدم اعلان نشر في جرائد انكلترا درج في اكتوبر سنة ١٦٤٨ في جريدة اسمها مركوريوس إلنكتيكوس اما الآن فان الاعلان في الجرائد اصبح من التجارات العظمى ينفق في سبلها الاموال الطائلة . ومن الناس من يعلن عن تجارتهِ او مصنوع اصطنعهُ في كل جرائد العالم شرقيها وغربيها فينفق ما لا يقل عن اربعين او خمسين الف جنيه في السنة وقد يعجب القارئ اذا علم ان في انكلترا معملاً يصطنع نوعاً من الصابون يعرف بصابون پير (Pear, s Soap) لا تكاد تظهر جريدة او كتاب من الكتب التي تنشر كثيراً في بلاد الانكليز او غيرها الاَّ وينشر اسمهُ فيهِ والغريب انهُ لا يزيد شيئاً على الاسم بل يكتفي بهذين اللفظين (صابون پير) مع رسم ينبه الاذهان ويستلفت الانظار مثل امرأة عجوز تغسل راس طفل او فتاة جميلة حاملة قطعة من ذلك الصابون تقدمهُ للناظر مبتسمة او ما اشبه ذلك

فلا ينفق هذا المعمل على الاعلان اقل من خمسين الف جنيه في السنة ولكنه يربح بسبب الاعلان اضعاف اضعاف ذلك · والاعلان في تجارة اوربا امر ضروري لا مناص منه فاذا باشر احدهم تجارة او صناعة اعدّ رأس ماله وحسب حساب الاعلان قبل اجرة المكان وهم يكتفون في اعلانهم غالبًا باسم المحل وعنوانه فقط بغير ان يذكروا انواع البضائع والاسعار او يرغبوا الناس في سلعه واثمانها ·

واكثر الناس ميلاً الى الاعلان في اوربا الآن صنّاع الادوية الخصوصية او بعض انواع المأكولات الخصوصية كالبقساط او المعاجين او الحلويات وباعة الاثاث والفرش وسائر الاشياء البيتية والشركات التجارية واماكن الوكالات وناشرو الكتب والصباغ وصناع الآلات الموسيقية والخياطون وسائر الصناع فترى بعضهم ينفق الالوف على الاعلان عن نوع من السلع لا يساوي الواحد منها بارة واحدة وفي بلاد الانكليز الآن نحو ٣٠٠٠ جريدة من الجرائد الاخبارية على اختلاف اقدارها واعمارها مديونة ببقائها حية للاعلان فقط فان اثمانها زهيدة جدًّا لا تكاد تجمع ما يقوم بالنفقات الضرورية ولولا باب الاعلانات لتعطلت من ضيق ذات يدها وهذا شأن اكثر الجرائد في اكثر انحاء العالم · وقد قدّر بعضهم عدد الاعلانات التي تدرج في جرائد انكلترا التي تظهر صباحًا او مساء فوجد ان في ١٦٨ منها يظهر مئة الف اعلان في اليوم · وهناك اكثر من ١٥٠٠ جريدة اسبوعية لا تقل الاعلانات فيها عن الجرائد اليومية · وفيها نحو ٤٠٠ مجلة علمية او ادبية او فكاهية والاعلان في هذه المجلات على اسلوب آخر وهي تمتاز على الجرائد السياسية من جملة وجوه ولا سيما المجلات المنتشرة كثيرًا كما سنرى

وقدّر بعضهم قيمة ما تربحه جريدة التيمس الانكليزية في السنة من الاعلانات فبلغ نحو نصف مليون جنيه والسبب في ذلك ان التيمس يومية وفيها ١٦ صفحة واحيانًا ٢٤ تدرج الاخبار في خمس صحائف او ست فقط والصحائف الباقية لنشر الاعلانات ونظرًا لانتشار هذه الجريدة تسابق الناس الى الاعلان فيها فارتفعت الاثمان ويتلو التيمس بكثرة الاعلان جريدة الدالي تلغراف

ومن انواع الاعلان عندهم ان يشرفوا على اثابة الكتب او المجلات ويعد ذلك عندهم من افضل وسائل الاعلان فقد دفع بعضهم سبعمئة جنيه على اعلان درجه على

غلاف كتاب يتضمن وصف المعرض الاعظم لعام ١٨٥١ اما المجلات العلمية فالاعلان فيها شائع وله قيمة خصوصية ومزية ليست في الجرائد السياسية ولذلك فان بعضها يحتوي على مئات من الصفحات المخصصة للاعلانات فقط وبعضها تكاد تكون كلها اعلانات وتدعى اذ ذاك جرائد الاعلان والقصد منها نشر الامور التجارية والمبايعات بين البائع والشاري . ومن المطبوعات الدورية دليل البريد والتقاويم السنوية (النتيجة) ودليل السكك الحديدية وغيرها وهذه تكثر فيها الاعلانات كثيرًا لكثرة تداولها فان في دليل بريد لندرا اربعمئة صفحة للاعلانات فقط وفي تقويم ويتيكر مئة صفحة او تزيد وفي دليل بعض شركات السكك الحديدية مائتا صفحة للاعلان فقط

وقد بلغت الاعلانات في الجرائد من الاهمية حتى اوقف بعضهم نفسه للاتجار بها والتوسط بين المعلنين والجرائد المعلنة وهناك شركات كبيرة لا شغل لها الاّ التوسط بين المعلنين والجرائد بطريق الضمان او الاحتكار وبعضهم يحتكر باب الاعلانات في بعض الجرائد بثمن معلوم وهو يؤجر منه للمعلنين باثمان يتفق عليها معهم

ولم نتعرض لذكر طرق الاعلان في غير الجرائد كالاعلان على الجدران او على العربات او بعض الادوات الكثيرة الانتشار او على تذاكر السكك الحديدية او عربات الامنيبوس او على البالونات التي ترسل في الجو او على الادوات التي ترصف بها الارض او غير ذلك من اساليب الاعلان مما يضيق المقام عن استيفائه

ولا ريب ان اقدام الناس على الاعلان في الجرائد والمجلات وانفاق المال الكثير في سبيله دليل كاف على فوائده فان من ينفق خمسين الف جنيه على الاعلان لا ينفقها الاّ لعلمه انه يربح بواسطته مئة الف جنيه او اكثر وقد جرب ذلك فعلاً ولكن ما لنا وللامثلة البعيدة وشاهدنا قريب هذه الديار المصرية كم نرى فيها من باعة الالبسة الافرنجية ولا نسمع الاّ باسماء قليلين منهم وهم الذين ينشرون اسماءهم في الجرائد مثل مايروستين وكم فيها من باعة الاشياء ولكننا لا نسمع الاّ بانحال لانه ملأ الجرائد المصرية بالاعلانات وكم في مصر من باعة الكنياك وكم فيها من انواع الكنياك ولكننا قد الفنا اسم كنياك متاكسا وكبا وكم من انواع المقويات في الصيدليات ولكن اذهاننا قد الفت فري كينا بسلري الذي ملأ الجرائد وجدران الازقة بصورة رأس الاسد وعليها اسمه وقس على ذلك

(الجرائد افضل للاعلان ام المجلات)

قلنا في صدر هذه المقالة ان الاعلانات يراد بها أمر من ثلاثة امور اما اعلان الناس عن شيء يراد بيعه أو تأجيره في وقت معلوم واما اذاعة المعلن عنه في اقطار العالم لمجرد الشهرة او التنبيه الى انتقال او قدوم او تجديد اما الاول فالافضل نشره في الجرائد اليومية اذ قد يكون الاجل المعين للبيع او الايجار قصيرا محددا بأقل من وقت صدور المجلة قبل انقضائه لأن المجلات اسرع ما يكون صدورها اسبوعياً وهي في الغالب شهرية او نصف شهرية وبعضها سنوية · اما الذين يريدون الاعلان لشهرة محلاتهم او صناعتهم او بعض مصنوعاتهم او الاشارة الى انتقال او تجديد فالمجلات أفضل لهم كثيراً والسبب في ذلك

(١) ان الجرائد اليومية يقرأها القارئ لمطالعة الاخبار في حينها فاذا تلاها اهملها او مزقها وقلَّ من يجمع الجرائد السياسية او يحفظها من يوم الى يوم وهذا امرٌ مشهور فاذا تلا فيها اعلاناً مر نظره عليه مر السحاب ثم لا يلبث ان يزول من ذهنه

أما المجلات فانها تحفظ في مجلدات سنة فسنة وقد تبقى اجيالاً وزد على ذلك ان العدد الواحد من المجلة يبقى على مائدة المطالعة الى صدور العدد التالي فكلما جلس احد على تلك المائدة وفتح المجلة رأى الاعلان فيها ثم متى صدر الجزء التالي يحفظ السابق حتى تجمع كل الاجزاء وتجلد

(٢) ان الذين يتلون الجرائد السياسية انما يتلونها للاطلاع على الاخبار السياسية وبعضهم لا يتلوها الاّ لمعرفة الاخبار المحلية فلا يلتفت الاّ الى الصفحة المخصصة لذلك لانه قد يتلو الجريدة وهو في معظم السرعة مشتغل في عمله لا فرصة له للتبحر في كل ما هو مدوّن فيها وخصوصاً صفحة الاعلانات فهذه لا نظن واحداً في المئة من القراء ينظر اليها بطرف عينه اما تلاوتها فقد لا يوجد في كل الف منهم واحد يقرأ شيئاً منها · اما المجلات فنظراً لصدورها مرة او مرتين في الشهر فاذا قرأها قارئ انما يقرأها في ساعة فراغه من العمل فيمعن فيها ويتلو عباراتها ويقرأ كل ما هو مدوّن فيها من الاعلان وغيره وبقراءتها على هذه الصورة من الهدو والتمعن ترسخ في الذهن رسوخاً متيناً

(٣) ان للمجلات مزية على الجرائد السياسية في درج المواد والادوات العلمية

او الادبية فالاعلان عن الكتب او العقاقير او الادوات الطبية او الجراحية والمكاتب او الاطباء او الصيادلة او ما شاكل ذلك فهذه كلها يفضل درجها في المجلات لان قراءها اقرب الى الحاجة اليها من سائر القراء

وقد يعترض بان قراء الجرائد اكثر من قراء المجلات فالجواب على ذلك ان حفظ المجلة وتمزيق الجريدة يعوض عن ذلك الفرق

(فوائد الاعلانات)

أما فوائد الاعلانات فغنية عن البيان ولكننا نأتي ببعض الامثلة لايضاحها . كلما اتسعت الحضارة وكثر التجار والصناع زاد الناس مسابقة في اكتساب الرزق والاعلان في الجرائد من جملة وسائل المسابقة والفائدة الكبرى من الاعلان في الجرائد او المجلات ان اسم الشيء او الشخص المعلن عنه يصبح مألوفاً في اذهان القراء فاذا مست الحاجة الى شراء او بيع او شيء مما يدل عليه الاعلان اوّل ما يخطر في البال الاسم المألوف مثال ذلك لو مرض أحد في منزلنا وكنا لا نعرف طبيباً فاول مايتبادر الى ذهننا اسماء الاطباء الذين ألفنا اسماءهم اما بالسماع او بالقراءة . ولو احتجنا الى شيء من الالبسة الافرنجية مثلاً فاوّل ما يتبادر الى ذهننا ماير وشيكوريل او ساعة فيتمثل امام اعيننا اسم سويحان او كرامر والصور التي تدرج في اعلاناتها ولو احتجنا الى شيء من الاثاث لا يخطر ببالنا الا محل يوسف واحمد الجمال ويتصوّر امامنا صورة الجمل الذي يصدرون الاعلان به واذا احتجنا الى الكباك أوّل ما يخطر ببالنا اسم كباك متاكسا . ومن فوائد الاعلانات التنبيه الى حادث جديد او تغيير او تبديل او ما جرى مجرى ذلك مما لا يقع تحت الحصر

(اعلانات الهلال)

الهلال اكثر قرّاء وأوسع انتشارًا من سائر المجلات العربية السورية والمصرية في مصر والشام والعراقين وفارس والهند وسائر المشرق وفي اوربا واميركا واوستراليا ونقول ولا فخر ان الهلال على حداثته وعجز منشئه قد نال شهرة لم تكن نرجوها له لاعتقادنا بقصورنا عنها - وقد يظهر للقارىء لاقلّ تأمل ان غرضنا الاوّل من اصداره توسيع دائرة انتشاره بقطع النظر عن الفوائد المادية لان بدل الاشتراك زهيد جداً في جانب النفقات التي يستلزمها الطبع والنشر فضلاً عن المشقة التي نقاسيها في اعتناء

المواضيع والاجابة على المسائل مع صدوره مرتين في الشهر الامر الذي ضاعف نفقاته مع بقاء بدل الاشتراك على حاله . وما ذلك الاَّ على أمل ان يقبل المعلنون الى نشر اعلاناتهم فيه لسعة انتشاره وتكرار صدوره . فقراء الهلال اكثر من قراء سائر الجرائد العلمية ومعظم الجرائد السياسية اليومية على ان حفظة من التمزيق والتشتيت يجعله في مقدمة الجرائد فائدة في نشر الاعلانات وزد على ذلك ان قيمة الاعلان فيه زهيدة جدًّا وقد جعلناها كذلك تسهيلاً لحضرات المعلنين لعلمنا انهم لم يتعودوا النشر في الجرائد العلمية ويصعب عليهم التعود فورًا فاتخذنا التساهل بالاجور وسيلة نستجلبهم بها حتى اذا ذاقوا حلاوة النشر في الجرائد العلمية واحسوا بأفضليتها واقبلوا عليها نعتاض عما فاتنا والسلام



باب المراسلات

عار التمدن الغربي

او قتل الابرياء

سيدي الفاضل منشىء الهلال المنير

قرأت في هلالكم الساطع كلاماً لبعض القراء الادباء في عار التمدن الغربي فاعجبني الموضوع واحببت الاستزادة فيه كبحًا لجماح شباننا وشاباتنا من المبالغة في التمسك بالعوائد الغربية فان بعضها مجلبة للعار ومهلكة للتمدن

قرأت في جريدة « المديكال بولتين » مقالة للدكتور شيرك وهي في الاصل خطاب القاه في المجمع الطبي في ولاية كمدن باميركا بحث الاطباء والناس كافة على تجنب رذيلة هي وحدها كافية لشين التمدن الغربي . وموضوع الخطاب « قتل البريء » ويريد به الاسقاط الاغتصابي الذي تأتيه بعض النساء الاميركانيات فأحببت تلخيصه حرصًا على فوائده وهاك ملخصه

« أيها السادة

« لا تعجبوا لما سميت خطابي بو فان قتل الابرياء . اصبح في هذه الايام ذريعة يتذرع بها نساؤنا الى رذيلة من اقبح الرذائل أليست هي الخطيئة التي ارتكبها اقدم بني البشر واستحق عليها اقدم لعنة لحقت ببني الانسان فعلى كل من اعضاء هذا المجمع ان يأخذ بناصر الانسانية لازالة هذه العادة القبيحة التي اقل ما يقال فيها انها وسيلة لقتل مئات بل الوف من الاطفال الابرياء . اذا قرأنا في الكتاب عن قتل هيرودس الاطفال او قتل فرعون الابرياء بمصر تقشعر ابداننا وتنفطر قلوبنا وننقم على القاتلين فما قولكم في من يقتل الاطفال الابرياء اليوم بين ظهرانينا والقتلة نساء سفكن تلك الانفس الطاهرة ضحية على مذبح الشهوات الدنيئة وقد كثرت هذه الحوادث بيننا حتى عددناها من العاديات فلا نعامل فاعلها معاملة الجاني . فما قولكم فيمن يهبها الله نسمة حية تمرح حياتها في جوفها فتتعمد قتلها ظلماً وعدواناً واغرب من ذلك ان بعض اسافل الاطباء فقدوا الذمة والشهامة حتى ساعدوا اولئك النساء في تلك الجريمة ولو كانت الخسارة خسارة الطفل فقط لهانت فيها المصيبة ولكنها خسارة الامهات وخراب العائلات فكم من وفيات حدثت والطبيب يؤدي شهادته بانها حادثة عن حميات تيفويدية او عفنية او ما شاكل ذلك وما هي الا من عواقب الاسقاط الاغتصابي فمثل هؤلاء الاطباء يجب اخراجهم من بيننا

« ومما يزيد الطين بلة ان هذه الفظيعة منتشرة على الاكثر بين سراتنا واعياننا واغنيائنا ولذلك فاننا نرى العائلات الدنيئة في نمو والاعيان في دثور فلا نلبث ان يحكمنا رعاعنا اذا كانت الاكثرية فيهم والعاقبة سقوط جمهوريتنا والعياذ بالله

« أما احصاء الاسقاط الاغتصابي فيكاد يكون مستحيلاً لتعذر الوقوف على حقيقة كل الحوادث لأن النساء اللاتي يرتكبن هذا العمل الفظيع يبذلن الجهد في اخفائه

« ومن فظائع اولئك النساء انهنّ يحملن آداة معروفة عندهنّ فاذا احسسن بالحبل قتلنَ بها الجنين ولا يخفى عليكم ما يتسبب عن بقايا ذلك الميت من النزف والعفونة والتسمم الرحمي وغير ذلك من الاعراض التي ترافق الاسقاط الطبيعي ولكنها أشدّ وطأة وخطراً في الاغتصابي . ومن رأي الاستاذ بروزان خمساً وسبعين في المئة من حوادث الاسقاط اغتصابي ويظن آخرون ان المعدل تسعون في المئة .

اليست هذه حالة يرثى لها فانها آيلة الى الخراب والسقوط · ادخلوا المستشفيات وهي تنبئكم انظروا الى المقابر وهي تذكركم هلمَّ الى البيمارستانات وتأملوا حوادث الجنون التي هي من عواقب تلك الفظيعة

« فعلى الاطباء اذا علموا بارتكاب امرأة لهذه الرذيلة ان ينذروها بكل ايضاح وينبهوها الى خطائها وما جرَّته على جسمها وعقلها من الاسقام فاذا لم ينجع فيهنَّ هذا الدواء فليس ثم الاَّ القصاص المدني فعلى الحكومة ان تسنَّ لهذه الفظيعة قانوناً يقضي بعقاب مرتكبها عقاباً صارماً صوناً لحرمة الانسانية وحفظاً لنسل الانسان

« اذا سمع احدنا ان بعض القبائل المتوحشة يرمون اطفالهم في النهر او في النار ذبيحة لآلهتهم تقشعر ابداننا ولكن نساءنا يرتكبن جرماً افظع من ذلك كثيراً لان الوثني يقتل الطفل ويبقى هو ولكن الاميركية تقتل طفلها وتضر نفسها

« وأغرب من ذلك وقوع هذه الفظائع في امة بلغت اعلى ذرى المدنية فليهزأ الوثني المتوحش بنا وليبدل بيننا الاحتقار علينا فقد دعونا انفسنا مسيحيين وبعثنا رسلنا الى سائر اقطار المسكونة يعلمون الناس ويهذبونهم ونحن نرتكب ما لا يرتكبهُ اوحش المتوحشين فعلى اطبائنا الانتباه الى هذا الامر وملافاته بتنبيه اذهان الأمهات وتحذيرهن من عواقبهِ الوخيمة واذا لم ينجع تحذيرهن بالتي هي احسن فليهددوهنَّ بكشف أمرهنَّ للعموم · ومهما بالغ الاطباء في الخشونة بانذارهنَّ فانهم يخدمون الانسانية ولا بدَّ من الاغضاء عن الحياء ومراعاة الجانب في مثل هذه الحال · ولا نظن طبيباً عاقلاً شريفاً تأذن له ذمته بمشاركة المرأة بهذه الرذيلة · وقد يدعي بعض الاطباء انهُ يستطيع منع الحبل بغير الاسقاط · والاضرار بالصحة ولكنها دعوى باطلة فالحبل لا يُمنع الاَّ بوسائل مضرة بالصحة وبالشرف ضرراً بليغاً

« فانقدم اليكم باسم الوطنية وليس باسم صناعة الطب فقط ان تحافظوا على صحة العموم وان تحاربوا جهدكم لاماتة رذيلة الاسقاط الاغتصابي والاَّ فاحذروا من يوم لا ينفع فيهِ ندم يوم تعطون فيهِ حساباً عما تفعلون والسلام » (انتهى)

فليتأمل قرَّاء الهلال الكرام في ما يقولهُ الغربيون انفسهم عن بعض عوائدهم ولتحذر نساءنا من الغواية والغرور

بفلو (نيويورك) « جرجي الياس نور »